[illegible]

[illegible]

CD –

الجزء الثاني من تفسير الخازن

تأليف الإمام العالم
العلامة البحر الحبر الفهامة
علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي
الخازن تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته بمنه وكرمه
آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المجلد الثاني من تفسير اللباب لابن الخازن

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ وبه نثق ۝

۝ سورة يوسف عليه السلام ۝

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة اية والف وستماية كلمة وسبعة الاف ومائة وست وستون حرفا قال ابن الجوزي وفي سبب نزولها قولان احدهما ما روى عن سعيد بن ابي وقاص قال انزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا من امر يعقوب وشان يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين الايات ۝

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تقدم تفسيره في سورة يونس تلك اشارة الى ايات هذه السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر تلك هذه ايات الكتاب المبين وهو القران اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وقال قتادة مبين بركته وهداه ورشده فهذا من بان اي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من ابان بمعنى

ظهر

ظهر وقيل انه بين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين **انا انزلناه**
يعني هذا الكتاب **قرانا عربيا** اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه
وتفهموا ما فيه . وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا عن امر
يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه
السورة فذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها
والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا
فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القران على بعضه لانه اسم جنس يقع على
الكل والبعض . واختلف العلما هل يمكن ان يقال في القران شي بغير
العربية فقال ابو عبيدة من زعم ان في القران لسانا غير العربية فقد
اعظم على الله القول واحتج بهذه الاية انا انزلناه قرانا عربيا . وروي
عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل
ومشكاة . ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت
على السنتهم فصارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم
لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين
وامكن الجمع بينهما **لعلكم تعقلون** اي لكي تفهموا ايها العرب لانه نازل
بلغتكم قوله تعالى **نحن نقص عليك احسن القصص** الاصل في معنى القصص
اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي ياتي بالخبر على وجهه واصله في
اللغة من قص الاثر اذا اتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص
الحديث يذكر تلك القصة شيا فشيا والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار
الامم السالفة والقرون الماضية احسن البيان . وقيل المراد منه قصة
يوسف خاصة سماها احسن القصص لما فيها من سير الملوك والمماليك
والعلما ومكر النسا والصبر على اذى الاعدا وحسن التجاوز عنهم بعد اللقا
وغير ذلك من الفوايد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان
سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة في الجنة . وقال ابن عطا
لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها وقوله تعالى **بما اوحينا**
اليك يعني بايحاينا اليك يا محمد **هذا القران وان كنت** اي وقد كنت **من**
قبله يعني من قبل وحينا اليك **لمن الغافلين** يعني عن هذه القصة
وما فيها من العجايب . قال سعد بن ابي وقاص انزل القران على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا
فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت
علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله
لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
قوله عز وجل **اذ قال يوسف لابيه** اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف

لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خ عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا الكريم ابن الكريم بن
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري
فيه ٭ وقيل هو عربي ٭ سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن
والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به **يا ابت اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين** قال اهل التفسير راى يوسف
في منامه كان احد عشر كوكبا نزل من السما ومعها الشمس والقمر فسجدوا
له وكانت هذه الرويا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم
في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضا بهم كما يستضا بالنجوم
والشمس ابوه والقمر امه في قول قتادة ٭ وقال السدي القمر خالته لان امه
راحيل كانت قد ماتت ٭ وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان
الشمس مونثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثني
عشر سنة وقيل سبعة عشر سنة ٭ وقيل سبع سنين واراد بالنجوم تواضعهم
له ودخولهم تحت امره ٭ وقيل اراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان
التحية فيما بينهم بالسجود **فان قلت** ان الكواكب جماد لا تعقل
فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رايتهم لي ساجدين ولم يقل رايتها
وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات **قلت** لما اخبر عنها بفعل من
يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون ان الكواكب احيا ناطقة
حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من يعقل وهذا القول ليس بشي
والاول اصح **فان قلت** قد قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس
والقمر ثم اعاد لفظ الروية مرة ثانية فقال رايتهم لي ساجدين فما فايدة
هذا التكرار **قلت** معناه الروية الاولى انه راى اجرام الكواكب
والشمس والقمر ومعنى الروية الثانية انه اخبر بسجودها له وقال بعضهم
معناه انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر وكانه قيل له
وكيف رايت قال رايتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان
كان من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على ساير الكواكب
قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف
عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راي
يوسف هذه الرويا وكان تاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له فلهذا
قال يعقوب **يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك** يعني لا تخبرهم
برؤياك فانهم يعرفون تاويلها **فيكيدوا لك كيدا** يعني فيحتالوا في هلاكك
فامره بكتمان روياه عن اخوته لان رويا الانبيا وحي وحق واللام في فيكيدوا

لك كيدا تاكيد للصلة كقوله نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت
لك **ان الشيطان للانسان عدو مبين** يعني انه بين العداوة لان
عداوته قديمة فهم ان قدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان
ووسوسته ق عن ابي قتادة قال كنت ارى الرويا تمرضني حتى سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الرويا الصالحة من الله والرويا السو من
الشيطان فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى
ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ من الشيطان وشره فانها
لن تضره خ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا راى احدكم الرويا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها
واذا راي غير ذلك مما يكره فانها من الشيطان فليستعذ بالله من
شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره م عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرويا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا
وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي
كان عليه عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رويا المومن جزء من اربعين ٭ وفي رواية جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم يحدث بها فاذا احدث بها
سقطت قال واحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه
الترمذي ولابي داود نحوه قال الشيخ محيي الدين النواوي قال المازري
مذهب اهل السنة في حقيقة الرويا ان الله تعالى يخلق في قلب النايم
اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشا
لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على
امور اخر يخلقها في ثاني الحين واجمع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرويا
والاعتقادات التي جعلها الله علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان
وان خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان
مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه
وسلم الرويا من الله والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيا
او الرويا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضاف الرويا
المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرويا المكروهة وان كانتا
جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته لا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر
المكروه ويرتضيها فيستحب اذا راي الرجل في منامه ما يحب فليحدث
به من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الاخر فانها لا تضره لان
الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة

سببا لوقاية الملك وغيره من البلا والله اعلم • قوله تعالى **وكذلك**
يجتبيك ربك يعني قول يعقوب ليوسف عليهما السلام اى وكما رفع
منزلتك بهذه الرويا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعنى
يصطفيك ربك واجتبا الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الهيا
فيحصل له منه انواع من الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص
بالانبيا او لبعض من يقاربهم من الصديقين والشهدا والصالحين **ويعلمك**
من تاويل الاحاديث يعني به تعبير الرويا يسمى تاويلا لانه يوول امره
الى ما يرى في منامه يعني تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم
وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتاويل الرويا • وقال الزجاج تاويل
الاحاديث الامم الانبيا والامم السالفة والكتب المنزلة • وقال ابن زيد يعلمك
العلم والحكمة **ويتم نعمته عليك** يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب
النبوة اعلا من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من
اتمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب **وعلى آل**
يعقوب المراد بآل يعقوب اولاده فانهم كانوا انبيا وهو المراد من
اتمام النعمة عليهم **كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق** بان جعلهما
نبيين وهو المراد من اتمام النعمة عليهما • وقيل المراد من اتمام النعمة على
ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد
من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه من الذبح وهذا على قول من يقول
ان اسحاق هو الذبيح وليس بشي والقول الاول اصح بان اتمام النعمة عليهما
بالنبوة لانه لا اعظم من منصب النبوة فهو من اعظم النعم على العبد **ان ربك**
عليم يعني بمصالح خلقه **حكيم** يعني انه تعالى لا يفعل شيا الا بحكمة وقيل انه
تعالى حكيم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
كان بين رويا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابيه واخوته
اربعون سنة وهذا قول اكثر المفسرين • قال الحسن البصرى كان بينهما
ثمانون سنة فلما بلغ هذه الرويا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي
ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه **قوله عز وجل** **لقد كان في يوسف**
واخوته يعني في خبره وخبر اخوته واسماوهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون
ولاوى ويهودا وريالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب
وولد ليعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والاخرى بلهه اربعة اولاد
واسماوهم دان ونفتالى وجاد واشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب
اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهولا بنو يعقوب وهم الاسباط
وعددهم اثنى عشر نفرا **ايات للسايلين** وذلك ان اليهود سالوا النبى صلى
الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سالوه عن سبب انتقال ولد يعقوب

من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة
لما في التوراة فتعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دلالة على نبوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس العلما
واصحاب الاخبار ولم ياخذ عن احد منهم شيا فدل ذلك على ان ما اتى به وحى
سماوى وعلم قدسى اوحاه الله اليه وعرفه به ومعنى ايات للسايلين اي
عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ
والحكم • ومنها رويا يوسف وما حقق الله فيها • ومنها حسد اخوته له
وما آل اليه امرهم في الحسد • ومنها صبر يوسف على بلواه مثل القايه
في الجب وبيعه عبدا او سجنه بعد ذلك وما ال اليه امره من الملك ومنها
ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه امره من بلوغ
المراد وغير ذلك من الايات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ **اذ**
قالوا يعنى اخوة يوسف **ليوسف** اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف
واخوه يعنى بنيامين وهما من ام واحدة **احب الى ابينا منا ونحن عصبة**
انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راوا من ميل يعقوب
اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة • قال الفرا العصبة
هم العشرة فما زاد • وقيل هى ما بين الواحد الى العشرة • وقيل ما بين الثلاث
الى العشرة • وقال مجاهد هى ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقيل الى الاربعين
والاصل فيه ان كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض يسموا عصبة والعصبة
لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر **ان ابانا لفي ضلال مبين** يعني انه في
خطا بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة
ننفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح امر مواشيه وليس المراد
من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين اذ لو ارادوا ذلك لكفروا ولكن
ارادوا به الخطا في تدبير امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من
يوسف فهو مخطى في صرف محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد قوة واكثر منفعة
وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو ان يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف
واخيه على ساير الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع
البشر دفعها ويحتمل ان يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة
لان امه ماتت وهو صغير او لانه راي فيه من اثار الرشد والنجابة ما لم
يره في ساير اخوته **فان قلت** الذي فعله اخوة يوسف بيوسف
وهو محض الحسد والحسد من امهات الكباير وكذلك نسبة ابيهم الى
الضلال هو محض العقوق وهو من الكباير ايضا وكل قادح في عصمة الانبيا
فما الجواب عنه **قلت** ان هذه الافعال انما صدرت من اخوة
يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبيا هو وقت حصول

النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين
ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في
عصمة الانبياء • قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف اقتلوا يوسف او
اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال اخوة
يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا
باحد الطريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب الى ارض يحصل
اليأس من اجتماعه بابيه بان يفترسه السباع او يموت في تلك الارض
البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهو قولهم يخل لكم وجه ابيكم والمعنى
انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف اقبل يعقوب
بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم وتكونوا من بعده يعني من بعد قتل
يوسف او ابعاده عن ابيه قوما صالحين يعني تائبين تتوبون الى
الله بعد عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي
عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا نتوب الى الله من هذا
الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل • وقال مقاتل معناه يصلح
لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم فان قلت كيف يليق ان يصدر
هذه الافعال منهم وهم انبيا قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا
انبيا في ذلك الوقت حتى يكون هذا الفعل قادحا في عصمة الانبيا
وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي اشار بقتل
يوسف كان اجنبيا شاوروه في ذلك فاشار عليهم بقتله قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهودا وقال قتادة
هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم واحسنهم رايا فيه فنهاهم عن
قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهودا لا
انه كان اقربهم اليه سنا والقوه في غيابت الجب يعني القوه في اسفل
الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والجب البير
الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يطو وافاد ذكر
الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار بطرحه في موضع من الجب مظلم
لا يراه احد • واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بير بيت المقدس
وقال وهب هو في ارض الاردن • وقال مقاتل هو في ارض الاردن على
ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها
وهو قولهم يلتقطه بعض السيارة وذلك لان هذا الجب كان معروفا يرد
عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشي من الطريق او من حيث
لا يحتسب ومنه يلتقطه بعض السيارة يعني يأخذه بعض المسافرين
فيذهب به الى ناحية اخرى فتستتر عنه حوادثه ان كنتم فاعلين فيه اشارة

الى

نوا

الى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا
هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك • قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم
يكونوا انبيا بعد وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا
من بعده قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب
له قال محمد بن اسحاق اشتمل فعلهم هذا على جرايم كثيرة من قطيعة الرحم
وعقوق الوالدين وقلة الرافة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر
بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى
لا ييأس احد من رحمة الله تعالى وقال بعض اهل العلم عزموا على
قتله وعصمهم الله رحمة لهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا اجمعا وكل ذلك
كان قبل ان نباهم الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين
والده بضرب من الحيل قالوا يعني قال اخوة يوسف ليعقوب يا ابانا
ما لك لا تامنا على يوسف بدؤا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف
معهم كانهم قالوا تخافنا عليه اذا ارسلته معنا وانا له لناصحون ٥
المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى انا
لعاطفون عليه قائمون بمصلحته ونحفظه • وقال مقاتل في الكلام
تقديم وتاخير وذلك انهم قالوا لابيهم ارسله معنا فقال يعقوب اني
ليحزنني ان تذهبوا به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له
لناصحون ثم قالوا ارسله معنا غدا يعني الى الصحرا نرتع الرتع هو
الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته والاصل
في الرتع اكل البهايم في الخصب من الربيع ويستعار للانسان اذا اريد
به الاكل الكثير ونلعب اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان
اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا • سيل ابو عمرو بن العلا
كيف قالوا نلعب وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ انبيا ويحتمل ان يكون
اللعب المراد به هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا فان
لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام
على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سماه لعبا لانه في صورة
اللعب وقيل معناه نرتع ونلعب ننعم ونأكل ونلهو وننشط وانا
له لحافظون يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما
قال يعني قال لهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به اي ذهابكم به
والحزن هنا الم القلب بفراق المحبوب ومعنى الاية لما طلبوا منه ان يرسل
معهم يوسف اعتذر يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما ان ذهابهم
به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني

قوله **واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون** يعني اذا غفلوا
عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه السلام راى في المنام
ان ذيبا شد على يوسف فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل
كانت الذياب في ارضهم كثيرة **قالوا** يعني اخوة يوسف مجيبين ليعقوب
لين اكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة عشرة رجال **انا اذا لخاسرون**
يعني عجزة ضعفا وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار
والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ اخينا فكيف نحفظ
مواشينا فنحن اذا خاسرون

قوله عز وجل **فلما ذهبوا به** فيه

اضمار واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا **واجمعوا ان يجعلوه
في غيابت الجب** يعني وعزموا في غيابت الجب

ذكر قصة ذهابهم بيوسف

قال وهب وغيره من اهل السير
والاخبار ان يوسف اخوة قالوا له ما تشتاق ان تخرج معنا الى
مواشينا فنتصيد ونستبق فقال بلى قالوا فسل اباك ان يرسلك
معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا
ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب
ما تقول يا بني قال نعم يا ابت اني ارى من اخوتي من اللين واللطف
فاحب ان تاذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته
فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا
يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه
وصاروا الى الصحرا القوه على الارض واظهروا له ما في انفسهم من
العداوة وبسطوا اليه القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جا الى
احد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله
جعل ينادي يا ابتاه لو رايت يوسف وما نزل به من اخوته
لاحزنك ذلك وابكاك يا ابتاه هذا ما اسرع ما نسوا
عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكا شديدا فاخذه
روبيل فجلد به الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له
يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب
الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث
يوسف بيهودا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد
قتلي فادركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهودا يا اخوتاه ما
على هذا عاهدتموني الا ادلكم على ما هو اهون لكم وارفق به
فقالوا وما هو قال تلقوه في هذا الجب اما ان يموت او يلتقطه
بعض السيارة فانطلقوا به الى بير هناك على غير الطريق

واسع

واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه في البير فيتعلق بشفيرها
فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي لاستتر
به في الجب قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك
فقال اني لم ار شيا فالقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه اتدعوني فريدا
وحيدا وقيل جعلوه في دلو ثم ارخوه فيها فلما بلغ نصفها القوه
ارادة ان يموت وكان في البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة
كانت في البير فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه
واخرج له صخرة من البير فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه
في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم
فارادوا ان يرضخوه بصخرة فيقتلوه فمنعهم يهودا من ذلك وقيل
ان يعقوب لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم عليه السلام
الذي كساه الله اياه من الجنة حين القي في النار فجعله يعقوب
في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك اياه
حين القي في الجب فاضا له الجب • وقال الحسن لما القي يوسف
في الجب عذب ماوه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل
عليه جبريل فانس به فلما امسى نهض جبريل ليذهب فقال له
انك اذا خرجت استوحش فقال اذا رهبت شيا فقل يا صريخ
المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين
قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شي من امري فلما قالها
يوسف حفته الملايكة واستانس في الجب • وقال محمد بن مسلم
الطايفي لما القي يوسف في الجب فقال يا شاهدا غير غايب
ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما انا
فيه فما بات فيه • واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم القي في الجب
فقال الضحاك ست سنين • وقال الحسن اثني عشر سنة وقال
ابن السايب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر سنة • وقيل
مكث في الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يرعون حواليه وكان
يهودا ياتيه بالطعام وذلك قوله تعالى **واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا** يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله
اوحى اليه وحيا حقيقة بعث اليه جبريل يونسه ويبشره
بالخروج ويخبره انه ينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول
طايفة عظيمة من المحققين ثم القايلون بهذا القول اختلفوا
هل كان بالغا في ذلك الوقت او كان صبيا صغيرا فقال بعضهم
انه كان بالغا وكان عمره خمسة عشر سنة وقال اخرون بل كان صغيرا

الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة
كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام **فان قلت** كيف
جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن يبلغ رسالة ربه لان فايدة النبوة
والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه **قلت** لا يمتنع ان الله يشرفه
بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفايدة ذلك
تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك امره
بتبليغ الرسالة في وقتها • وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحي
الهام كما في قوله واوحى ربك الى النحل • واوحينا الى ام موسى والقول
الاول اولى وهم لا يشعرون باجابتنا اليك وانت في البير بانك
ستخبرهم بصنيعهم وهذا والفايدة في اخفا الوحي عنهم انهم اذا
عرفوه فربما ازداد حسدهم له • وقيل ان الله اوحى الى يوسف لتخبرن
اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت
يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانه
سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت
امره وقهره وجاوا اباهم عشا يبكون قال المفسرون لما طرحوا يوسف
في الجب رجعوا الى ابيهم وقت العشا ليكونوا في الظلمة اجرا على الاعتذار
بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع
اصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما راهم قال بالله سالتكم يا
بني هل اصابكم شي في غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق قال ابن عباس يعني ننتضل قال الزجاج
يسابق بعضنا بعضا في الرمي وهو التناضل ايضا وسمي المترامبان بذلك
يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما وقال
السدي نشتد ونعدوا والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين اينا اسرع
عدوا واخف حركة • وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد
وتركنا يوسف عند متاعنا يعني عند ثيابنا فاكله الذيب يعني في
حال استباقنا وغفلتنا عنه وما انت بمؤمن لنا يعني وما انت
بمصدق لنا ولو كنا صادقين يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين
لكنك لا تصدق قطنا لولا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا في قولنا هذا
وقيل معناه انا وان كنا صادقين لا تصدقنا لانه لم يظهر عندك امارة
تدل على صدقنا وجاوا على قميصه يعني قميص يوسف بدم كذب اي
مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف
ثم جاوا اباهم وفي القميص انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال
يعقوب لهم كيف اكله الذيب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم

انوه بذيب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايها الذيب انت اكلت
ولدي وثمرة فوادي فانطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته ولا
رايت ولدك قط ولا يحل لنا ان ناكل لحوم الانبيا فقال يعقوب فكيف
وقعت بارض كنعان فقال جيت لصلة الرحم وهو قرابة لي فاخذوني
واتوا بي اليك فاطلقه يعقوب • ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب
هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم قال يعقوب
بل سولت لكم انفسكم امرا يعني بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل
تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه • قال صاحب الكشاف سولت
سهلت من السول وهو الاسترخا اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما
ركبتموه من يوسف وهونتموه في انفسكم واعينكم فعلى هذا يكون معنى
قوله بل رد لقولهم اكله الذيب كانه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذيب
بل سولت لكم انفسكم امرا اخر غير ما تصفون فصبر جميل اي فشاني
صبر جميل وقيل معناه فصبري جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه
ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا تزكي نفسك والله
المستعان على ما تصفون يعني من القول الكذب وقيل معناه والله
المستعان على حمل ما تصفون **قوله عز وجل** وجات سيارة وهم
القوم المسافرون سموا سيارة لسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين
يريدون مصر فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذي فيه يوسف
وكان في قفرة بعيدا من العمارة يرده الرعاة والمارة وكان ماوه ملحا
فلما القي يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين يقال
له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الما فذلك قوله فارسلوا واردهم
فادلى دلوه والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الما فيهيئ الارشية والدلا
يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها في البير ودلوتها اذا اخرجتها قالوا
فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل وكان يوسف احسن ما يكون من
الغلمان • وذكر البغوي بغير سند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطي
يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة
وكانت قد اعطيت سدس الحسن • قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وامه
بثلثي الحسن • وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن
الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ
الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا
تبسم رايت النور في ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور من ثناياه لا
يستطيع احد وصفه كان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه ادم
عليه السلام يوم خلقه وصوره قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف

وراه مالك بن داعر كاحسن ما يكون من الغلمان **قال** يعني الوارد وهو
مالك بن داعر **يا بشراى** يعني يقول الوارد لاصحابه ابشروا **هذا غلام**
وقرئ يا بشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه
اسمه بشرى كما تقول يا زيد يقال ان جدران البير بكت على يوسف حين
خرج منها **واسروه بضاعة** قال مجاهد اسره مالك بن داعر واصحابه
من التجار الذين كانوا معه وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل
الما الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيه • وقيل
ان اخوة يوسف اسروا شان يوسف يعني انهم اخفوا امر يوسف وكونه
اخا لهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه
بالقتل سرا من مالك بن داعر واصحابه القول الاول اصح ان مالك بن داعر
هو الذي اسره بضاعة من اصحابه **والله عليم بما يعملون** يعني من اراد
اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه انه يصير ملك
مصر بعد ان كان عبدا • قال اصحاب الاخبار ان يهودا كان ياتي يوسف
بالطعام فاتاه فلم يجده في الجب فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذاهم
بمالك بن داعر واصحابه نزول قريبا من البير فاتوهم فاذا يوسف عندهم
فقالوا لهم هذا عبد لنا ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى كتم حاله
ولم يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى
وشروه اي باعوه وقد يطلق لفظ الشرا على البيع يقال شروت الشي بمعنى
بعته وانما وجب حمل هذا الشرا على البيع لان الضمير في وشروه وفي كانوا
فيه من الزاهدين يرجع الى شي واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه
وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن داعر واصحابه فعلى هذا القول
يكون لفظ الشرا على بابه **بثمن بخس** قال الضحاك ومقاتل والسدي بخس
اي حرام لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعني
منقوصها • وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اي زيوف يعني ناقصة
العيار • وقال قتادة بخس اي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا انقصه
حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اي قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس في
اللغة هو نقص الشي على سبيل الظلم والبخس والباخس الشي الطفيف
دراهم معدودة فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان
ما كانوا يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا ياخذون ما دونها عددا ۞
فاذا بلغت اربعين وهي اوقية وزنوها • واختلفوا في عدد تلك الدراهم
فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها
درهمين درهمين فعلى هذا القول لم ياخذ اخوه من امه وابيه شيئا منها
وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين

لانهم

لانهم كانوا احد عشر اخا وقال قتادة كانت اربعين درهما **وكانوا فيه**
من الزاهدين يعني وكانوا اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل
الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة ۞
والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة
يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا ابعاده عنهم ولم يكن
قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين
كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل
ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابق اظهر المشتري
قلة الرغبة فيه لهذا السبب • قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن
داعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته ۞
يقولون استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه
مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب
امر الملك وكان على خزاين مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر
ونواحيها اسمه ريان بن الوليد بن ثروان وكان من العماليق • وقيل
ان هذا الملك لم يمت حتى امن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف
عليه السلام حي • قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن
داعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين
وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق
يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه
فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعماية رطل وكان عمره يومئذ
ثلاث عشرة سنة او سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك
قوله تعالى **وقال الذي اشتراه من مصر** يعني قطفير من اهل مصر **لامراته**
وكان اسمها راعيل وقيل زليخا **اكرمي مثواه** يعني اكرمي منزله ومقامه
عندك والمثوى موضع الاقامة • وقيل اكرمي في المطعم والملبس والمقام
عسى ان ينفعنا يعني ان اردنا بيعه بعناه بربح او يكفينا بعض امورنا
ومصالحنا اذا قوي وبلغ **او نتخذه ولدا** يعني نتبناه وكان حصورا
ليس له ولد • قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف
حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب
في موسى حيث قالت لابيها استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين
وابو بكر في عمر حيث استخلفه بعده **وكذلك مكنا ليوسف في الارض**
يعني كما مننا على يوسف وانقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك
مكناه في الارض يعني ارض مصر فجعلناه على خزاينها **ولنعلمه من تاويل**
الاحاديث اي مكناه في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث يعني عبارة

الرويا وتفسيرها والله غالب على امره قيل الكناية في امره راجعة الى
الله تعالى ومعناه والله غالب على امره يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا
دافع لامره ولا مرد لقضايه لا يغلبه شي وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه
ان الله مستولى على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى احد سواه
حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني ما هو صانع
بيوسف وما يريد منه ولما بلغ اشده يعني منتهى شبابه وشدته وقوته
قال مجاهد ثلاثة وثلاثين سنة • وقال السدي ثلاثين سنة وقال
الضحاك عشرون سنة • وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشر سنة الى
ثلاثين سنة • وسيل مالك عن الاشد فقال هو الحلم اتيناه حكما وعلما
يعني اتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما
يعني اصابة في القول وعلما بتاويل الرويا • وقيل الفرق بين الحكيم
والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشيا بحقايقها والحكيم الذي هو يعمل
بما يوجبه العلم • وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي
والعلم هو العلم النظري وكذلك يعني وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم
كلها كذلك نجزي المحسنين قال ابن عباس يعني المومنين وعنه ايضا
المهتدين • وقال الضحاك يعني الصابرين على النوايب كما صبر يوسف
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني ان امراة العزيز طلبت من
يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها وغلقت الابواب
اي اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في سترة وخفية
وانها اغلقتها لشدة خوفها وقالت هيت لك اي هلم واقبل قال ابو عبيدة
كان الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعالى
وقال عكرمة ايضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية هي كلمة
حث واقبال على الشي • وقيل هي بالعبرانية واصلها هيتالج اي تعال
فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب
وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على لغات غيرهم كما وافقت لغة
العرب للروم في القسطاس ولغة العرب للفرس في اقليد ولغة العرب
للترك في الغساق ولغة العرب للحبشة في ناشية الليل وبالجملة فان العرب
اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرى هيت لك بكسر الها مع الهمزة ومعناها
تهيات لك قال يعني قال يوسف معاذ الله اعوذ بالله واعتصم به والجا
اليه فيما دعوتني اليه انه ربي يعني ان العزيز قطفير سيدي احسن مثواي
اي اكرم منزلتي فلا اخونه وقيل ان الها في انه راجعة الى الله تعالى يقول
ان الله ربي احسن مثواي يعني اواني ومن بلا الجب نجاني انه لا يفلح
الظالمون يعني ان فعلت هذا فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه

انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه الاية هذه الاية الكريمة مما يجب الاعتنا بها والبحث عنها
والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الاية
قال المفسرون الهم هو المقارنة من الفعل من غير دخول فيها وقيل الهم
مصدر هممت الشي اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير
دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به اي ارادته وقصدته فكان همها
عزمها على المعصية والزنا • وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم
عليه قال الشاعر وهو عمرو بن ضابي البرجمي •

هممت ولم افعل وكدت وليتني • نزلت على عثمان تبكي حلايله •

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها
لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لخالطها قال البغوي
واما همه بها فروي عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها
مجلس الخاين • وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول
اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن • وقال الضحاك جرى الشيطان
بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى جيد المراة حتى جمع بينهما
قال ابو عبيد القسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول • قال البغوي
والقول ما قاله قدما اهل هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في
الانبيا من غير علم • قال السدي وابن اسحاق لما ارادت امراة العزيز
مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى
نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من
جسدي • قالت ما احسن عينيك قال هي اول ما يسيل على خدي في
قبري • قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله • وقيل انها قالت
له ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من
الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب
ما يجد الرجل وهي امراة حسنا جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها له
به وهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره
وسياتي الكلام على تفسير البرهان الذي راه يوسف عليه السلام هذا
ما قاله المفسرون في هذه الاية • اما المقام الثاني في تنزيه يوسف
عليه السلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطية التي
تنسب اليها • قال بعض المحققين الهم همان هم ثابت وهو ما كان معه
عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرات العزيز فالعبد ماخوذ به
وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا
عزم مثل هم يوسف فالعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل على

صحة هذا ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها
عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها
حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة لفظ مسلم وللبخاري بمعناه ق
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروى عن
ربه عز وجل ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين
ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وان هم
بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف
كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هم بها
فعملها كتبها الله له سيئة واحدة زاد في رواية او محاها ولا يهلك
على الله الا هالك • قال القاضي عياض في كتابه الشفا فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس يؤاخذ به وليست سيئة وذكر
الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا • واما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس
كان سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو
المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون
قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك
على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف
وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام
فيه تقديم وتاخير ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقال
تعالى حكاية عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم • وقال تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا • وقال تعالى وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله الاية • وقيل في قوله وهم بها اي
همها امتناعه منها • وقيل هم بها اي نظر اليها • وقيل هم بضربها ودفعها
وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف
ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من
راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله • واما الامام فخر
الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وانا اذكر بعضه ملخصا
فاقول قال الامام فخر الدين ان يوسف عليه السلام كان بريا من
العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين
وبه نقول وعنه نذب فان الدلايل قد دلت على عصمة الانبيا عليهم السلام
ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الايمة المتقدمين فان الانبيا
عليهم السلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموها واتبعوها باظهار

الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن ادم في قوله ربنا ظلمنا انفسنا
الاية • وقال في حق داود عليه السلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
واما يوسف عليه السلام فلم يحك عنه شيا من ذلك في هذه الواقعة
لانه لو صدر منه شيا لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله
عنه ذلك في كتابه كما حكى عن غيره من الانبيا وحيث لم يحك عنه شيا
علمنا براته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شي مما نقله اصحاب الاخبار ويدل
على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراة
يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة
يوسف والمراة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والشهود الذي
شهدوا على القميص والله تعالى شهد ببراته من الذنب ايضا • اما بيان
ان يوسف ادعى براته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي • وقوله
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه • واما بيان ان المراة اعترفت على
نفسها واعترفت ببراة يوسف ونزاهته بقولها انا راودته عن نفسه
فاستعصم • وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن
الصادقين • واما بيان ان زوج المراة اعترف ايضا ببراة يوسف فقوله
انه من كيدكن ان كيدكن عظيم • يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
انك كنت من الخاطئين • واما شهادة الشهود ببراته فقوله وشهد شاهد
من اهلها الاية • واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشا انه من عبادنا المخلصين فشهد الله في هذه الاية
بنزاهته وبراته وانه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان
عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل
بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المراة
حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك • واما ما روي
عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخاين فحاشا ابن عباس ان يقول مثل هذا
عن يوسف عليه السلام ولعل بعض القصاص من اصحاب الاخبار وضعوه
على ابن عباس • وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره ايضا فانه لا يكاد يصح
بسند صحيح فبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براة يوسف عليه السلام
من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وما صدر من انبيائه
عليهم السلام **فان قلت** فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل
لولا ان راى برهان ربه فايدة **قلت** فيه اعظم الفوايد وبيانه من
وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان
الى ان الامتناع من ضربها اولى من صونا للنفس عن الهلاك • الوجه
الثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان

في ذلك ان يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان
ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخاين واذا تمزق من خلف كانت
هي الخاينة فاعلمه بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل
ولى هاربا فاثبت بذلك حجة له لا عليه • واما تفسير البرهان على ما ذكره
المفسرون في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين
ان يوسف راي صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفها
وانت مكتوب في الانبيا • وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة
والضحاك انفرج له سقف البيت فراي يعقوب عاضا على اصبعه وقال
سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت
شهوته من انامله • وقال السدي نودي يا يوسف اتواقعها انما مثلك
ما لم تواقعها مثل الطير في جو السما لا يطاق عليه ومثلك ان واقعتها كمثله
اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك ما لم تواقعها
مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل
النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه • وقيل انه راى معصما بلا عضد
عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون •
فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة ومقتا وسا سبيلا فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه
مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال الله تعالى
لجبريل ادرك عبدي يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا
على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله في
الانبيا • وقيل انه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من انامله • قال محمد
ابن كعب القرظي رفع يوسف راسه الى سقف البيت فراى كتابا في حايط
كان ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا • وفي رواية عن ابن عباس
انه راى مثال الملك • وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت
المراة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت استحييت
منه ان يراني على معصية فقال يوسف انستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا
يفقه فانا احق ان استحي من ربي وهرب فذلك قوله لولا ان راى برهان
ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه • الاول جعفر بن محمد الصادق
البرهان هو النبوة التي جعلها في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز
وجل • الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على
الزاني من العقاب • الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبيا عليهم السلام
من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة
الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا

يليق فعله **كذلك** يعني كما اريناه البرهان كذلك **لنصرف عنه السوء**
يعني الاثم **والفحشا** يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل
السوء الثنا القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين
وهو قوله **انه** يعني يوسف **من عبادنا المخلصين** تقرى بفتح اللام ه
ومعناه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم
وتقري بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله
عز وجل قوله **واستبقا الباب** وذلك ان يوسف عليه السلام لما راى
البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب
حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت
بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله **وقدت قميصه من**
دبر يعني شققته من خلف فغلبها يوسف وخرجت خلفه **والفيا سيدها**
لدا الباب يعني فلما خرجا وجدا زوج المراة قطفير وهو العزيز عند
الباب جالسا مع ابن عم المراة فلما راته المراة هابته وخافت التهمة ه
فسابقت يوسف بالقول **قالت** يعني لزوجها **ما جزا من اراد باهلك**
سوءا يعني الفاحشة ثم خافت عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له
فقالت **الا ان يسجن** اي يحبس في السجن ويمنع التصرف **او عذاب اليم**
يعني الضرب بالسياط وانما بدات بذكر السجن على العذاب لان المحب
لا يشتهي ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم
ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها
اراد ان يبرهن عن نفسه **قال** يعني يوسف **هي راودتني عن نفسي**
يعني طلبت مني الفاحشة فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه السلام
ما كان يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت
ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني
عن نفسي **وشهد شاهد من اهلها** يعني وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا
في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد انطقه
الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس • وروي عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنت فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي بغير سند
والذي جا في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المراة
وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال
المراة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا
حكيما ذا راي • قال السدي هو ابن عم المراة فحكم فقال **ان كان قميصه قد**
من قبل اي من قدام **فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد**

من دبر اي من خلف فكذبت وهو من الصادقين وانما كان هذا الشاهد
من اهل المراة ليكون اقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه السلام مع ما وجد
من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف ونفي التهمة عنه منها انه كان
في الظاهر مملوك هذه المراة والمملوك لا تنبسط يده الى سيدته ومنها
انهم شاهدوا يوسف يعدو ليخرج هاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم
راوا المراة وقد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها
انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه
على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات الدالة على صدقه
مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا فلما راى قميصه قد من دبر يعني
فلما راى قطفير زوج المراة قميص يوسف قد شق من خلفه عرف خيانة
امراته وبراة يوسف عليه السلام قال يعني قال لها زوجها قطفير
انه يعني هذا الصنيع من كيدكن يعني من حيلكن ومكركن ان كيدكن
عظيم فان قلت كيف وصف كيد النسا بالعظم مع قوله تعالى
وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال اعظم من مكر النسا قلت
اما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو اعظم منه كخلق
الملايكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك واما عظم كيد النسا ومكرهن
في هذا الباب اعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد في
اتمام مرادهن لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب • وقيل ان قوله انه من
كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة
المراة وبراة يوسف عليه السلام قال هذه المقالة يوسف يعني يا يوسف
اعرض يعني اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفشوا ويشيع
وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث لهذا الامر ولا تهتم به
فقد بان عذرك وبراتك ثم التفت الى المراة فقال لها واستغفري لذنبك
اي توبي الى الله مما رميتي يوسف به من الخطية وهو بري منها وقيل ان
هذا من قول الشاهد يقول للمراة سلي زوجك ان يصفح عنك ولا يعاقبك
بسبب ذنبك انك كنت من الخاطيين يعني من المذنبين حين خنت زوجك
ورميت يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال من الخاطين ولم يقل من الخاطيات
تغليبا لجنس الرجال على النسا • وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النسا بل قصد
الخبر عن من يفعل من هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطيين
فهو كقوله وكانت من القانتين قوله عز وجل وقال نسوة في المدينة
امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه يعني وقال جماعة من النسا وكن
خمسا وقيل من اربع وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة في مدينة مصر وقيل
هي مدينة عين الشمس وتحدث النسا فيما بينهن بذلك وهن امراة حاجب

الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة صاحب
سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن
نفسه يعني تراود عبدها الكنعاني عن نفسه بانها تطلب منه الفاحشة
وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحدث قد شغفها حبا يعني قد علقها حبا
والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه
احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب • قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى
لا تعقل شيا سواه انا لنراها في ضلال مبين يعني في خطا بين ظاهر حيث
تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها فلما
سمعت بمكرهن يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي
قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك روية يوسف وكان يوصف لهن حسنه
وجماله فقصدن وجماله فقصدن ان يرينه • وقيل ان امراة العزيز افشت
اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا ارسلت
اليهن يعني انها لما سمعت بانهن يلمنها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم
عذرها عندهن • قال وهب اتخذت مادبة يعني صنعت لهن وليمة
وضيافة ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هولا التي عيرنها
واعتدت لهن متكا يعني وضعت له نمارق ومساند يتكين عليها وقال
ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما وانما
سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسايد
يجلس ويتكي عليها فسمي الطعام متكا على الاستعارة ويقال اتكانا
عند فلان اي طعمنا عنده والمتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب
والحديث ولذلك جا النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لا اكل متكا • وقيل المتكا الاترج وقيل هو كل شي قطع بالسكين او بحزبها
يقال ان المراة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد
ودعت النسا اللاتي عيرنها بحب يوسف واتت كل واحدة منهن سكينا
يعني واعطت كل واحدة من النسا سكينا لتاكل بها وكان من عادتهن
ان ياكلن اللحم والفواكه بالسكين وقالت اخرج عليهن يعني وقالت زليخا
ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف
وكانت قد زينته واحتبسته في مكان آخر فلما راينه يعني النسوة •
اكبرنه يعني اعظمنه ودهشن عند رويته وكان يوسف قد اعطي شطر
الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر
ليلة البدر على ساير النجوم • وروى ابو سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي الى السما يوسف
كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحاق بن فروة كان

يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالا وجهه على الجدران ويقال
انه ورث حسن يوسف ادم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من
الجنة وقال ابو العالية هالهن امره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن
عباس قال اكبرنه اى خضعن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال خضعن
من الفزع وانكر اكثر اهل اللغة هذا القول • قال الزجاج هذه اللفظة
ليست معروفة في اللغة والهاء في اكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز ان يقال
النسا قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول • قال الازهرى
ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت
اول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال
لها اكبرت اى حاضت على هذا المعنى • قال الازهرى فان صحت
الرواية عن ابن عباس سلم له وجعلنا الهاء في قوله اكبرنه هاء الوقف
لا هاء الكناية • وقيل ان المراة اذا خافت او فزعت فربما اسقطت
ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن
من امر يوسف حين راينه • قال الامام فخر الدين الرازى وعندى
انه يحتمل وجها آخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن راين عليه نور النبوة
وسيما الرسالة واثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة
ملكية وهى عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن
وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيبة فتعجبن من تلك
الحالة فلا جرم اكبرنه وعظمنه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال
وحمل الاية على الوجه اولى وقطعن ايديهن يعنى وجعلن يقطعن ايديهن
بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم
لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسسن الا بالدم
وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة
وقال وهب مات جماعة منهن وقلن يعنى النسوة حاش لله ما هذا
بشرا اى معاذ الله ان يكون هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم يعنى على
الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد
ركز في النفوس انه لا شى احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل
لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث التى
تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله تعالى قالت فذلكن الذى لمتنني
فيه يعنى قالت امراة العزيز للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رويته
فذلك الذى لمتنني في محبته وانما قالت لاقامة عذرها عندهن حين
قلن ان امراة العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن
بعد ما قام من المجلس وذهب • وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن

ولم

ولم يقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب
ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها
الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذى صورتن في انفسكن
ثم لمتنني فيه ثم ان امراة العزيز صرحت بما فعلت فقالت ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم يعنى فامتنع من ذلك الفعل الذى
طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن
وانهن قد اصابهن ما اصابها عند رويته ثم ان امراة العزيز
قالت ولئن لم يفعل ما امره يعنى ولئن لم يطاوعنى فيما دعوته اليه
ليسجنن اى ليعاقبن بالسجن والحبس وليكونن من الصاغرين
يعنى من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك
فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته
المراة بذلك قال رب اى يا رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه
قيل ان الدعا كان منها خاصة وانما اضافه اليهن جميعا خروجا
من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل
انهن لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة الدعا اليهن جميعا قال بعضهم
لو لم يقل السجن احب الى لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد ان يسال الله
العافية والا تصرف عنى كيدهن يعنى ما اردن منى اصب اليهن
اى امل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه واكن
من الجاهلين يعنى من المذنبين • وقيل معناه اكن ممن يستحق صفة
الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة
فاستجاب له ربه يعنى فاجاب الله دعا يوسف فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع العليم يعنى لدعا يوسف وغيره العليم بحاله وفي الاية
دليل على ان يوسف عليه السلام لما ظهرت البلية بكيد النسا ومطالبتهن
اياه بما لا يليق بحاله لجا الى الله وفزع الى الدعا رغبة الى الله
ليكشف ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه
من المعصية وقع فيها فدل ذلك على انه لا يقدر احد على الانصراف
عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل ثم بدا لهم
يعنى للعزيز واصحابه في الراى وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا
من امر يوسف بالاعراض وكتم الحال وذلك ان المراة قالت لزوجها
ان هذا العبد العبراني قد فضحنى عند الناس يخبرهم بانى قد
راودته عن نفسه فاما ان تاذن لى فاخرج واعتذر الى الناس واما
ان تحبسه فراى حبسه من بعد ما راوا الايات يعنى الدالة على
صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النسا

لبنهن •

ايديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته ليسجننه اى ليحبسه
فى السجن حتى حين يعنى الى مدة يرون رايهم فيها وقال عطا الى
ان ينقطع مقالة الناس • قال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبى
خمس سنين فحبسه قال السدى جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف
من همه بالمراة ودخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد
ابن ثروان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه
والاخر ساقيه وصاحب شرابه وقد غضب عليهما الملك فحبسهما
وكان السبب فى ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك
واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك
فى طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك
وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك
قال الساقى لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز
ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره
وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام لدابة
فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما
دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى اعبر الاحلام فقال احد
الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبرانى نتراأى له
رويا فسالاه من غير ان يكونا قد رايا شيا قال ابن مسعود ما رايا
شيا انما تحالما ليجربا يوسف • وقال قوم بل كانا قد رايا رويا حقيقة
فراهما يوسف وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكرا انهما غلامان
للملك وانه حبسهما وقد رايا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا على
ما رايتما فقصا عليه ما رايا وذلك قوله تعالى قال احدهما وهو
صاحب شراب الملك انى ارانى اعصر خمرا يعنى عنبا يسمى العنب خمرا
باسم ما يؤول اليه يقال فلان يطبخ الاجر اى يطبخ اللبن حتى يصير
آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال انى رايت فى المنام
كانى فى بستان واذا فيه اصل نخلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب
فجنيتها وكان كاس الملك فى يدى فعصرتها فيه وسقيت الملك
فشربه وقال الاخر وهو صاحب طعام الملك انى ارانى احمل فوق
راسى خبزا تاكل الطير منه وذلك انه قال رايت فى المنام كان فوق
راسى ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها
نبينا بتاويله اى اخبرنا بتفسير ما راينا وما يؤول اليه امر هذه
الرؤيا انا نراك من المحسنين يعنى من العالمين بعبارة الرويا
والاحسان هنا بمعنى العلم • وسئل الضحاك ما كان احسانه

فقال كان اذا مرض انسان فى الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق
على احد وسع عليه له واذا احتاج احد جمع له شيا وكان مع هذا
يجتهد فى العبادة بصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل
انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاءهم وانقطع رجاهم
وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله
فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا
فى جوارك ممن انت • قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن
ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا
فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سارفق بك واحسن
جوارك اختر اى بيوت السجن شئت • وقيل ان الفتيين لما رايا
يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف انشدكما
بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل على من حبه
بلا لقد احبتني عمتي فدخل على من ذلك بلا واحبني ابى فالقيت فى
الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه روياهما كره يوسف
ان يعبرها لهما حين سالاه لما علم ما فى ذلك من المكروه لاحدهما
فاعرض عن سوالهما واخذ فى غيره من اظهار المعجزة والدعا الى التوحيد
وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان درجته فى العلم اعلى واعظم
مما اعتقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا
العلم مبنى على الظن والتخمين فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن
المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه
واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرويا بطريق
الاولى وقيل انما عدل عن تعبير الرويا روياهما الى اظهار المعجزة
لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله فى الاسلام ويخلصه من
الكفر ودخول النار واظهر له المعجزة لهذا السبب قال لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قيل اراد به فى النوم يقول
لا ياتيكما طعام ترزقانه فى نومكما الا اخبرتكما خبره فى اليقظة
يقول لا ياتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعنى تطعمانه وتاكلانه
الا نباتكما بتاويله يعنى بقدره وكونه والوقت الذى يصل اليكما
قبل ان ياتيكما يعنى من قبل ان يصل اليكما واى طعام اكلتم وكم اكلتم
ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبيكم بما
تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم فقالا ليوسف عليه السلام هذا من
علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا
عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذى اخبرهما به ذلكما

مما علمني ربي يعني ان هذا الذي اخبرتكما به وحي من الله اوحاه الي
وعلم علمنيه اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله **فان قلت**
ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام
داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبيا عليهم السلام
من حين ولدوا وظهروا الى الوجود وهم على التوحيد فما معنى هذا
الترك في قوله تركت **قلت** الجواب من وجهين الاول ان الترك
عبارة عن عدم التعرض للشي والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه
ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه وخرج عنه • الوجه الثاني وهو
الاقرب ان يكون يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر
وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم ويوسف كان على التوحيد
والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالاخرة هم كافرون فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه
وتكرير لفظة هم في قوله وهم بالاخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم
للمعاد وقوله واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب لما
ادعى يوسف النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان
اباه كلهم انبيا • وقيل لما كان ابراهيم واسحاق ويعقوب مشهورين
بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العالية في الدنيا والمنزلة الرفيعة
عند الخلق اظهر يوسف عليه السلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت
النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد
ما كان لنا ان نشرك بالله من شي معناه ان الله تعالى لما اختارنا
لنبوته واصطفانا برسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان
نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي
لفظة من في قوله من شي زايدة موكدة كقولك ما جاني من احد وقال
صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله اي شي
كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا
يبصر ذلك من فضل الله يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم
الذي رزقنا من فضل الله علينا وعلى الناس يعني بما نصب لهم من
الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك
من فضل الله على عباده ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثرهم
لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا
غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في
السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق
فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب

الجنة ارباب متفرقون اي الهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد
وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة
وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع خير ام الله الواحد القهار يعني امن هذه الاصنام
اعظم في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة ام الله الواحد • قال
الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين
والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كساير الاحاد من الاجسام المولفة
لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو
الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شي في خلقه القهار • قال
الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق
كلهم بالموت • وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شي وذلله فاستسلم
وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة
اذا اراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه
القهار لعباده الذي لا يغلبه شي وهو الغالب لكل شي سبحانه وتعالى ثم
بين عجز الاصنام وانها لا شي البتة فقال ما تعبدون من دونه يعني
من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدا بالتثنية في المخاطبة
لانه اراد جميع من في السجن من المشركين الا اسما سميتموها يعني سميتموها
الهة وارباب وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها انتم واباوكم
يعني من قبلكم سموها الهة ما انزل الله بها من سلطان يعني ان تسمية
يعني ان تسمية الاصنام الهة لا حجة لكم ولا برهان ولا امر الله بها وذلك
انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما
انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله يعني ان الحكم والقضا والامر
والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك امر الا تعبدوا الا اياه لانه هو
المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتموها الهة ذلك الدين القيم
يعني عبادة الله هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
ولما فرغ يوسف عليه السلام من الدعا الى الله وعبادته رجع الى تعبير
رؤياهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يعني ان
صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه
اول مرة والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يدعوا به
الملك ويرده الى منزلته التي كان عليها واما الاخر فيصلب يعني صاحب
طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعوا به الملك فيصلبه
فتاكل الطير من راسه قال ابن مسعود لما سمعا قول يوسف قالا ما راينا
شيا انما كنا نلعب قال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان يعني
فرغ من الامر الذي فيه سالتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما

بدرا يتما ولم نريا شيبا وقال يعني يوسف للذي ظن يعني علم وتحقق
والظن بمعنى العلم انه ناج منهما يعني ساقي الملك اذكرني عند ربك
يعني عند سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا
مظلوما طال حبسه فانساه الشيطان ذكر ربه في هذه الكناية في
فانساه الى من تعود قولان احدهما انها ترجع الى الساقي وهو
قول جماعة من المفسرين والمعنى فانسى الشيطان ان يذكر يوسف عند
الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حتى
انساه ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول
اكثر المفسرين ان هذه الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان
انسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان
بمخلوق مثله وتلك غفلة ليوسف فان الاستعانة بالمخلوق في
دفع الضرر جائز الا انه لما كان مقام يوسف اعلى المقامات ورتبته
اشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف
مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت
كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه قلت
بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك
الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه وقوله تعالى فلبث
في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين
الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال
ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الاية
سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك
اثنى عشر سنة • وقال وهب اصاب ايوب البلاء سبع سنين وترك يوسف
في السجن بضع سنين • وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي
اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن
حبسك فبكى يوسف وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة
قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا الكلمة التي
قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى
الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا
وبغير سند • وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما راه يوسف
عرفه فقال له يوسف يا اخي المنذرين مالي اراك بين الخاطئين فقال
له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرا عليك السلام رب العالمين ويقول
لك ما استحييت مني ان استغثت بالآدميين وعزتي لالبثنك في السجن

بالآدميين

بضع

بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا
ابالي • وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل من خلقك
قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله
قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تاويل الرويا قال
الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت
بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت السبع سنين قال الكلبي وهذه السبع
سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله عز
وجل اخراجه من السجن راى ملك مصر الاكبر رويا عجيبة هالته وذلك
انه راى في منامه سبع بقرات سمان قد خرج من البحر ثم خرج عقيبهن
سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن
في بطونهن ولم ير منهن شيئا ولم يتبين على العجاف منها شيء وراى
سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها
شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبرين فقص عليهم رؤياه التي راها فذلك
قوله تعالى وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رؤياي يعني
يا ايها الاشراف اخبروني بتاويل رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون يعني
ان كنتم تحسنون علم العبارة وعلم التعبير مختص بتفسير الرويا وسمي هذا
العلم تعبيرا لان المفسر للرويا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها
وهذا اخص من التاويل لان التاويل يقال فيه وفي غيره قالوا يعني قال
جماعة الملك الملاء وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك اضغاث
احلام يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله الحزمة المختلطة من
انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه
وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص
يوسف من السجن وذلك ان الملك لما راها قلق واضطرب وذلك لانه
شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى غلبه وقهره
فاراد ان يعرف ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما راى في
منامه وسالهم عن تاويلها فعجز الله عز وجل بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين
عن تاويل هذه الرؤيا ومنعهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف
من السجن فذلك قوله وقال الذي نجا منهما وهو الساقي الذي نجا من
السجن والقتل بعد صاحبه الخباز وادكر بعد امة يعني انه تذكر قول يوسف
اذكرني عند ربك بعد امة يعني بعد حين وهو سبع سنين سمي الحين من
الزمان امة لانه جماعة ايام والامة الجماعة انا انبئكم يعني اخبركم بتاويله

وقوله انا انبيكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة
والمعبرين او اراد الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
وذلك ان الفتى الساقي جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا
عالما بعبّر الرؤيا **فارسلون** فيه اختصار تقديره فارسلني ايها الملك
فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة **يوسف** اي يا يوسف
ايها الصديق انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق
الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في
تعبير رؤياه التي رآها في السجن **افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات** فان الملك راي هذا
الرويا **لعلي ارجع الى الناس** يعني ارجع بتاويل هذه الرويا الى الملك
وجماعته **لعلهم يعلمون** يعني بتاويل هذه الرويا الى الملك وجماعته
وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم **قال** يعني قال يوسف معبرا لتلك
الرؤيا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب
واما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة
فذلك قوله **تزرعون** وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا **سبع سنين
دابا** يعني عادتكم في الزراعة والداب العادة وقيل بجد واجتهاد **فما
حصدتم فذروه في سنبله** انما امرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في
سنبله لانه لا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان
الا قليلا مما تاكلون يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة
وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين المجدبة
وهو قوله **ثم ياتي من بعد ذلك** يعني بعد السنين المخصبة **سبع شداد**
يعني سبع سنين مجدبة شديدة على الناس **ياكلن** يعني يفنين **ما قدمتم
لهن** يعني يوكل فيهن كلما اعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف
الاكل الى السنين على سبيل التوسع في الكلام **الا قليلا مما تحصنون**
يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقا الشي في الحصن
بحيث يحفظ ولا يضيع **ثم ياتي من بعد ذلك** يعني من بعد السنين المجدبة
عام فيه يغاث الناس اي يمطرون من الغيث والذي هو المطر وقيل
هو من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث **وفيه يعصرون** يعني
يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم
على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون
من الكرب والشدة والجدب قوله عز وجل **وقال الملك ايتوني به**
وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وما عبر به روياه
استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كاين لا محالة قال ايتوني به حتى

ابصر هذا الرجل الذي عبر روياه بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف
وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى **فلما جاءه الرسول** فابى ان يخرج
معه حتى تظهر برآته للملك ولا يراه بعين النقص **قال** يعني يوسف
للرسول **ارجع الى ربك** يعني الى سيدك وهو الملك **فاساله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن** ولم يصرح بذكر امراة العزيز ادبا واحترا
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لبثت في
السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه
ثم قرا فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه
السلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي
جا من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه
من الضيق والسجن الطويل بل ثبت في السجن وارسل الملك في كشف
امره الذي سجن بسببه لتظهر برائته عند الملك وغيره فاثنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وبين فضيلته وحسن صبره
على المحنة والبلاء وقوله تعالى **ان ربي بكيدهن عليم** يعني ان الله
تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة
فرجع الرسول من عند يوسف الى عند الملك بهذه الرسالة فجمع الملك
النسوة وامراة العزيز فيهن **قال** لهن **ما خطبكن** يعني ما شانكن
وامركن **اذ راودتن يوسف عن نفسه** انما خاطب الملك جميع النسوة
بهذا الخطاب والمراد بذلك امراة العزيز وحدها ليكون استر لها
وقيل ان امراة العزيز راودته عن نفسه وحدها وساير النسوة امرنه
بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب **قلن** يعني النسوة جميعا
مجيبا للملك **حاش لله** يعني معاذ الله **ما علمنا عليه من سوء** يعني
من خيانة في شي من الاشيا **قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق** يعني
ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امراة العزيز فقررنها وقيل
خافت ان يشهدن عليها فاقرت فقالت **انا راودته عن نفسه وانه لمن
الصادقين** يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا في قوله **ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب** على قولين احدهما انه من قول المراة ووجه
هذا القول ان هذا الكلام متصل بما قبله وهو قول المراة الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في حال غيبته وهو
في السجن ولم اكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تاكيد هذا القول

[illegible]

فقالت **وان الله لايهدي كيد الخاينين** يعني لما اقدمت على هذا الكيد
والمكر لاجرم اني افتضحت لان الله لايرشد ولا يوفق كيد الخاينين والقول
الثاني انه من قول يوسف عليه السلام وهو قول الاكثرين من المفسرين
والعلما ووجه هذا القول انه لايبعد وصل كلام انسان آخر اذا دلت
القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الاية انه لما بلغ يوسف قول المراة
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك اي ذلك
الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه ليعلم اي العزيز اني لم اخنه
يعني في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف
اتصل بكلام امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين
الكلامين لمعرفة السامعين مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم
اتبعه بكلام آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى
يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملا فماذا تامرون من قول
فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول
بلقيس وكذلك يفعلون من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول
اختلفوا اين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما
انه كان في السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن
واخبره بجواب امراة العزيز للملك قال حينيذ ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج
والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه
رواية عطا عن ابن عباس **فان قلت** فعلى هذا القول كيف
خاطبهم بلفظه ذلك وهي اشارة للغايب مع حضوره عندهم
قلت قال ابن الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان
في هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالشاهد الذي يشار
اليه بهذا. وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته
من ترديدي الرسول ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز في
حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لايهدي كيد الخاينين
يعني اني لو كنت خاينا لما خلصني الله من هذه الورطة التي
وقعت لان الله لايهدي اي لايرشد ولا يوفق كيد الخاينين واختلفوا
في قوله **وما ابرئ نفسي** على قولين ايضا احدهما انه من قول المراة وهذا
التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب من
قول المراة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي يوسف
عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين
انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني

لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند
ذلك وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس وهو قول الاكثرين
وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب خاف
ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان الله تعالى يقول فلا
تزكوا انفسكم ففي قوله وما ابرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع
لله عز وجل فان روية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم
فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيات المقربين
ان النفس لامارة بالسوء والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الانسان
من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا
في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه اكثر المحققين من
المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة لها صفات منها
الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمينة فهذه الثلاث هي
مراتب صفات النفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت
اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة
فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات فيحصل عند
ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس
المطمينة. وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت
من اخلاقها الذميمة صارت مطمينة وقوله **الا ما رحم ربي** قال
ابن عباس معناه الا من عصم ربي فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ما
طاب لكم من النسا يعني من طاب لكم وقيل هذا استثنا منقطع تقديره
لكن من رحم ربي فيعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء **ان ربي
غفور** يعني لذنوب عباده **رحيم** بهم قوله تعالى **وقال الملك ايتوني
به استخلصه لنفسي** وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف
امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ايتوني به يعني بيوسف
استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص
الشي من جميع شوايب الاشتراك وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف
لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا بالاشيا النفيسة العزيزة
ولا يشاركهم فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم
اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن
واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن كلها فلهذا
حسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله تعالى امرا هيا اسبابه
فالهم الملك ذلك فقال ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه
اختصار تقديره فلما جا الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك الآن

بالمعاودة روى ان يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله
فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم
الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت
البلوى وقبر الاحيا وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل
وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك
قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي
ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار
فلما ابصر الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك
من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية
فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له
بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان ايضا قال يوسف هذا
لسان اباي • قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف
هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد
عليه العربية والعبرانية فلما راى الملك ذلك منه اعجبه ما راى
مع حداثة سن يوسف وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة
فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى **فلما كلمه** يعني فلما كلم الملك
يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدا بالكلام فيها
وانما يبدا الملك بالكلام • وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال
الساقي ايها الملك هذا الذي علم تاويل رؤياك مع عجز السحرة
والكهنة عنها فاقبل عليه الملك **قال انك اليوم لدينا مكين امين**
يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي منزلة وهي الحالة التي يتمكن
بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت
امانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسب اليك • وقوله
مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب
في امر الدين والدنيا • روى ان الملك قال ليوسف عليه السلام
احب ان اسمع تاويل رؤياي منك شفاها فقال نعم ايها الملك
رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل
فطلعن عليه من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر
اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه
فخرج من حمائه سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون
ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف
الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان افتراس السبع
فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن

فبينا

فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات
في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك
اي شيء هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت
واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت اوراق اليابسات السود
على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا
ما رايت ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات منهن
شيئا فما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا فما هي باعجب مما سمعت
منك وما ترى في تاويل رؤياي ايها الصديق قال يوسف عليه
السلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين
المخصبة وتجعل ما يحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه
وسنبله فانه ابقى له ويكون القصب والسنبل علفا للدواب وتامر
الناس فيرفعوا الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذي
جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة
ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال
الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه فعند
ذلك **قال** يعني يوسف **اجعلني على خزائن الارض** يعني على
خزائن الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اي اجعلني على
خزائن ارضك التي تحت يدك • وقال الربيع بن انس اجعلني على
خزائن ارض مصر ودخلها **اني حفيظ عليم** اي حفيظ للخزائن عليم
بوجود مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل اني حفيظ لما
استودعتني عليم بما وليتني • وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة
من ياتيني • وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين الخصبة للسنين
الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فعند ذلك قال الملك ومن
احق بذلك منك وولاه ذلك • روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله
اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته
ولكنه اخر ذلك سنة **فان قلت** كيف طلب يوسف عليه
السلام الامارة والولاية مع ما ورد من كراهية طلبها صح من حديث
عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
عبد الرحمن لا تسئل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكلت
اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه في الصحيحين
قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين لطلبها عليه واذا
تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه فاما يوسف عليه

السلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله والرسول اعلم بمصالح
الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب
الامارة وجب عليه طلبها • وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما
بطريق الوحي من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق
وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه
طلب الامارة لهذا السبب **فان قلت** كيف مدح يوسف نفسه بقوله
اني حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم **قلت** انما يكره
تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى
غير ما يحل فهذا القدر مذموم في تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية
النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم
بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا
يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من
يوسف انه عالم بمصالح الدين نبهه بقوله اني حفيظ عليم اي عالم بما
يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين **قوله**
عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكذلك اشارة الى ما تقدم
يعني وكما انعمنا على يوسف بانا انجيناه من الجب وخلصناه من السجن
وزيناه في عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكنا له في الارض
يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره
واليه الاشارة بقوله يتبوأ منها حيث يشاء لانه تفسير للتمكين قال
ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف الامارة دعاه
الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب
مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع
له عليه ثلاثون فراشا وستون مقرمة وضرب له عليه حلة من استبرق
وامره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه
فيه من صفا لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف
الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل
يوسف مكانه • قال ابن اسحاق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزاين كثيرة
فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله وجعل امره وقضاه نافذا
في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك
يوسف امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس
هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة
حسناء كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعلك
الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها

يوسف عذراء فاصابها فولدت له ذكرين افرائيم وميشا وهما ابني يوسف
منها واستوسق ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل واحبه الرجال
والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبر في جميع الطعام احسن التدبير
فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة
وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون
المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله • وقيل انه دبر في طعام الملك
وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط
كان اول من اصابه الجوع الملك فقال يوسف هذا اول القحط اوان القحط
فهلك في السنة الاولى من سني القحط كلما اعدوه في السنين المخصبة
فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى
بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم في السنة
الثانية بالحلي والجواهر فلم يبق في ايدي الناس منها شيئا وباعهم في
السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى احتوى عليها كلها وباعهم
في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بايدي الناس عبد
ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى
عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم
في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه
فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر ما راينا
كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رايت
صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هولاء قال الملك الامر امرك الراي
رايك ونحن لك تبع قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت
اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم • وقيل ان يوسف لا يشبع
من الطعام في تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض فقال
اخاف ان شبعت انسى الجايع وامر يوسف طباخي الملك ان يجعلوا غداه
نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع
فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار • قال مجاهد ولم يزل يوسف
يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس
قوله تعالى نصيب برحمتنا من نشاء يعني نختص بنعمتنا وهي النبوة من
نشاء يعني من عبادنا ولا نضيع اجر المحسنين قال ابن عباس يعني
الصابرين ولاجر الاخرة يعني ولثواب الاخرة خير يعني افضل من اجر
الدنيا للذين امنوا وكانوا يتقون يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه
دليل على ان الذي اعد الله عز وجل ليوسف في الاخرة من الاجر
والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله في الدنيا من الملك قوله تعالى

وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال العلما
لما اشتد القحط وعظم البلاء ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام
فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف لا يعطي احدا اكثر
من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بآل
يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك
عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله تعالى
وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين
بغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشاة فدعاهم يعقوب عليه السلام
وقال بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه
لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر
فدخلوا على يوسف فعرفهم • قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر
اليهم عرفهم • وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون
يعني لم يعرفوه • قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في الجب وبين
دخولهم عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه • وقال عطا انما لم
يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك • وقيل
لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من
ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف
وقد اجتمعت فيه • وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى
لها فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم
تحقيقا لما اخبر انه سينبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك
معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية
كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم
قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس
فجينا نمتار فقال يوسف لعلكم جيتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله
ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال
له يعقوب نبي من انبيا الله قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ
لنا معنا في البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا قال فكم انتم الآن
قالوا عشرة قال فاين الاخر قال هو عند ابينا لانه اخو الذي هلك لامه
فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك
انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها احد قال فايتوني باخيكم الذي من ابيكم
ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه ٥
وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني به فاقترعوا
بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه

عنده

عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت القوم تجهيزا
اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز
بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل
اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيرا من
الطعام واكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون
اليه في سفرهم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم يعني الذي خلفتموه عنده
وهو بنيامين الا ترون اني اوف الكيل يعني اني اتمه ولا ابخس منه
شيا وازيدكم حمل بعير آخر لاجل اخيكم اكرمكم بذلك وانا خير المنزلين
يعني خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده
قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من
المفسرين انه اتهمهم وزين لهم الى انهم عيون وجواسيس ومن يشافههم
بهذا الكلام فلا يليق به الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين ٥
وايضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان يقول لهم
انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براتهم من هذه التهمة لان البهتان
لا يليق بالصديقين ثم قال يوسف عليه السلام فان لم تاتوني به
يعني باخيكم الذي من ابيكم فلا كيل لكم عندي يعني لست اكيل لكم طعاما
ولا تقربون ولا ترجعوا تقربوا بلادي وهذا هو نهاية التخويف والترغيب
لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده
فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك قالوا يعني اخوة
يوسف سنراود عنه اباه يعني سنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من عنده
وانا لفاعلون يعني ما امرتنا به قوله عز وجل وقال لفتيته
يعني وقال يوسف لفتيته وهم غلمانه واتباعه اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت
دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال
جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره لعلهم يعرفونها
يعني يعرفون بضاعتهم اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون الينا
واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف اليهم بضاعتهم فقيل انهم
اذا فتحوا امتاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت عليهم علموا ان ذلك من كرم
يوسف وسخايه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف
ان لا يكون عند ابيه شيا آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة
وقيل انه راي ان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لوم لشدة حاجتهم
اليه وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب وقيل
اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك

اد عى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم
تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبيا وقيل
اراد برد البضاعة اليهم ليكون ذلك عونا لابيه واخوته على شدة الزمان
فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا
كرامة عظيمة لو كان رجل من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم
يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقروه عني السلام وقولوا له ان
ابانا يصلي عليك ويدعوا لك بما اوليتنا ثم قال لهم اين شمعون
قالوا ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا منع منا
الكيل وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف باخيهم من ابيهم طلبوا منه
الطعام لابيهم واخيهم المتخلف عند ابيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقوله
منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني
انه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تاتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون. وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم تحمل
معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم فارسل معنا اخانا يعني بنيامين
نكتل قرى باليا يعني يكتل لنفسه وقرى بالنون يعني نكتل نحن جميعا
واياه معنا وانا له لحافظون يعني نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه
المقالة قال يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
يعني كيف امنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيكم يوسف ما فعلتم
وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه وقلتم
وانا له لحافظون ثم فعلتم ما فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف
يحصل ههنا ثم قال فالله خير حفظا يعني ان حفظ الله له خير من
حفظكم له فيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع
الامور وهو ارحم الراحمين وظاهر هذا الكلام يدل على انه ارسله
معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد
بينهما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف
او ان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان
شدة القحط والضيق في الوقت احوجه الى ذلك قوله تعالى ولما
فتحوا متاعهم يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد منه
الطعام او اوعية الطعام وجدوا بضاعتهم ردت اليهم يعني انهم
وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد
رد عليهم ودس في متاعهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا
يعني ماذا نبغي واي شي نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب
احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما

فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا ما نبغي اي شي
نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام اوفى
لنا الكيل ورد علينا الثمن ارادوا بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم
ردت الينا ونمير اهلنا يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم
الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى انا نشتري لاهلنا الطعام
ونحمله اليهم ونحفظ اخانا يعني بنيامين مما تخاف حتى نرده اليك
ونزداد كيل بعير يعني ونزداد لاجل اخينا على احمالنا حمل بعير من
الطعام ذلك كيل يسير يعني ذلك الحمل الذي نزداد من الطعام هين
على الملك لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك. وقيل معناه
ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا قال يعني
قال لهم يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله يعني
لن ارسل معكم بنيامين حتى تعطوني عهد الله وميثاقه والموثق للعهد
المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه لتاتنني به دخلت
اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان
يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندي لان
العرب تقول احيط بفلان اذا اهلك او قارب هلاكه وقال قتادة
الا ان تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع فلما اتوه موثقهم يعني
فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له قال الله على ما نقول وكيل يعني
قال يعقوب الله شاهد على ما نقول لان الشاهد وكيل يعني
انه موكول اليه هذا العهد. وقيل وكيل يعني حافظ. قال كعب
الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي
لاردن كلاهما بعد ما توكلت علي وفوضت امرك الي وذلك انه
لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد
يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على
الله ومفوضا امره اليه قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا
بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدي
اراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه
خاف عليهم العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتدادا قامة
وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا
يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد

وقتادة وجمهور المفسرين ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن
عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان
شي سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا عن
عايشة قالت كان يامر العاين فيتوضا ثم يغتسل منه المعين اخرجه
ابو داود قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله ۝ قال الماوردي اخذ
جماهير العلما بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوايف من
المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى مخالفا في نفسه ولا
يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات المعقول
واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وهل
فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من امور الاخرة ۝ قال
وقد زعم بعض الطبايعيين المثبتين للعين ان العاين ينبعث من
عينيه قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالذبح فيهلك وان
كان غير محسوس لنا فكذا العين ۝ قال المازري وهذا غير مسلم لانا
بينا في كتب علم الكلام ان لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول
بالطبايع وبينا ان المحدث لا يفعل في غيره شيا فاذا تقرر هذا بطل
ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض
فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا
لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعضها باولى
من عكسه فبطل ما قالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام
منهم ان قالوا لا يبعد ان ينبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين
العاين فتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل
الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله
عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجا العقل اليها قال ومذهب
اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العاين بفعل الله
تعالى اجرى الله تعالى العادة ان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص
لشخص آخر وهل ثم جواهر ام لا هذا من مجوزات المعقول لا نقطع فيه
بواحد من الامرين وانما نقطع بنفي العلم عنها واضافته الى الله تعالى
فمن قطع من اطبا الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطا في قطعه وانما
هو من الجايزات هذا اما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم
الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن
حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطا واما
صفة وضوء العاين فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلما

فليطلب من هناك فليس هنا موضعه والله اعلم ۝ وقال وهب بن منبه
في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف
ان يغتالوا لما ظهر لهم في ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل
ان يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله
لم ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى
اخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف
عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله بقوله وما اغنى
عنكم من الله من شي يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم
مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كاين ولا ينفع حذر من قدر ان
الحكم الا لله يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض
من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى عليه توكلت يعني على الله
اعتمدت في اموري كلها لا على غيره وعليه فليتوكل المتوكلون ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة
مصر وقيل هي مدينة الفرما اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما
كان يغني عنهم من الله من شي وهذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال
وما اغني عنكم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضاها
هذا الاستثنا منقطع ليس من الاول في شي معناه لكن حاجة في نفس
يعقوب قضاها وجوابه انه اشفق عليهم اشفاق الابا على الابنا وذلك
انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد اهل مصر او خاف ان لا
يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه وانه يعني يعقوب لذو
علم يعني صاحب علم لما علمناه يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه
وانه لذو علم للشي الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه الاشيا حصل له
العلم بتلك الاشياء ۝ وقيل انه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل
ما يعمل عن علم لا عن جهل ۝ وقيل انه لعامل بما علمناه ۝ قال سفيان من
لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون
ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس
لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف
آوى اليه اخاه قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا
يا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به قد جيناك به فقال
لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرم نزلهم ثم
انه اضافهم واجلس كل اثنين على مايدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال
لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده

فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه فاجلسه
معه على مايدته وجعل يواكله فلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال
كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال
يوسف هذا ينام عندي على فراش فنام بنيامين مع يوسف على
فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال
لهم اني اري هذا الرجل وحيد ليس معه ثاني فساضمه الي فيكون
معي في منزلي ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل مارابنا
مثل هذا فذلك قوله اوى اليه اخاه يعني ضمه اليه وانزله معه
في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال
وما بنيامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت
قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل من ولد قال عشرة بنين قال
فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب ان
اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك
ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه
السلام وقام اليه وعانقه **وقال** له **انا اخوك** يعني يوسف **فلا تبتئس**
يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البوس وهو الضر
والشدة والابتياس اجتلاب الحزن والبوس **بما كانوا يعملون** يعني فلا
تحزن بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من
الهلاك وجمع بيننا • وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد
ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف
لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشئ مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوته
الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر
بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر
وقال كعب لما قال له يوسف اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك
فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي واذا حبستك عندي ازداد
غمه ولا يمكنني هذا الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما لا
يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس
صاعي في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك
قال فافعل ما شيت فذلك قوله عز وجل **فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية في رحل اخيه** وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال
ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل من
ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف
مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لانا

واحد جعلت في وعا طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم
فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة
ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم **ثم اذن موذن** اي نادي منادي
واعلم معلم والاذان في اللغة الاعلام **ايتها العير** وهي القافلة التي
فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير • وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه
من الابل والحمير والبغال فهي عير وقول من قال انها الابل خاصة
باطل وقيل العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير
اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتي
قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير **انكم
لسارقون** نعقلوا والسرقة اخذ ما ليس له اخذه في خفا **فان قلت**
هل هذا النداء بامر يوسف ام لا فان كان بامره فكيف يليق بيوسف
مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يبهت اقواما
وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراتهم من ذلك وان كان ذلك
النداء بغير امره فهلا اظهر براتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها
قلت ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة • احدها ان يوسف
لما اظهر لاخيه اني اخاك قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك
الا بتدبير حيلة انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك
فعلى هذا التقدير لم يتالم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضي به فلا
يكون ذنبا • الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه
الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة
عن الكذب • الثالث يحتمل ان يكون المنادي ربما قال ذلك النداء على
سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا • الرابع ليس في القران
ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال
لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هنالك احدا غيرهم غلب
على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بنا على غلبة ظنهم
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قال اصحاب الاخبار لما وصل
الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف
لكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا
سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله قالوا واقبلوا عليهم
اي عطفوا على الموذن واصحابه ماذا اي ما الذي تفقدون ۞
والفقدان ضد الوجود **قالوا** يعني الموذن واصحابه **نفقد صواع
الملك** الصاع الانا الذي يكال به وجمعه اصوع والصواع لغة فيه
وجمعه صيعان **ولمن جا به** يعني بالصواع **حمل بعير** يعني من الطعام

وانا به زعيم اى كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن
وهذه الاية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحميل غارم والحميل الكفيل فان قلت
كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيا قلت
لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضايع فيكون
جعالة او لعل مثل هذه الكفالة كانت جايزة عندهم فى ذلك الزمان
فيحمل عليه قالوا يعنى اخوة يوسف تالله التا بدل من الواو ولا
تدخل الا على اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله لقد علمتم ما
جينا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قال المفسرون ان اخوة
يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما جاوا لاجل الفساد فى الارض
والثانى انهم ما جاوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد
ظهر من احوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على
انواع الخير والطاعة لله حتى بلغ من امرهم انهم سدوا افواه
دوابهم لئلا تؤذى زروع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد
فى حقه ممتنع واما الثانى وهو انهم ما كانوا سارقين لانهم قد
ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا اخذها
ومن كان هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم
ما جينا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فلما ثبتت براءتهم من هذه
التهمة قالوا يعنى اصحاب يوسف وهو المنادى واصحابه فما جزاوه
ان كنتم كاذبين يعنى فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جينا
لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قالوا يعنى اخوة يوسف جزاوه
من وجد فى رحله يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله ان يسلم برقبته
الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة ال يعقوب فى حكم
السارق وكان فى حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفى
قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى
القطع فى شرعنا فاراد يوسف ان ياخذ بحكم ابيه فى السارق فلذلك
رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعبد سنة جزاء على
جرمه وسرقته فهو جزاوه يعنى هذا الجزاء جزاوه كذلك نجزى
الظالمين يعنى مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزى
الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو
من كلام اصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق
ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف كذلك نجزى الظالمين يعنى
السارقين ٭ قوله عز وجل فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه قال اهل

التفسير ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال
اصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر
بتفتيشها بين يديه فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة
التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه
كان لا يفتح متاعا ولا ينظر فى وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به
حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذ شيا قال اخوته
والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما
فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله ثم استخرجها من
وعاء اخيه انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع
يؤنث ويذكر فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته
رؤسهم من الحيا واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ايش الذى
صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما زال لنا
منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال
لهم منكم بلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه فى البرية ان الذى وضع هذا
الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم قالوا فاخذ بنيامين
رقيقا وقيل ان المنادى واصحابه هم الذين تولوا التفتيش وهم الذين
استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف
كذلك كدنا ليوسف يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو
اشارة الى الحكم باسترقاق السارق اى مثل ذلك الحكم الذى ذكره اخوة
يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا
فى حق الله عز وجل محال فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال
الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف
فى الابتدا فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق
والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف بان حكموا ان جزاء السارق ان يسترق
كذلك الهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل اخيه ليضمه اليه على ما
حكم به اخوته ٭ وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل وبالحق فعلى
هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف ٭ وقيل صنعنا ليوسف وقال
ابن الانبارى كدنا وقع خبرا عن الله عز وجل على خلاف معناه
فى اوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال
وهو فى موضع فعل الله معرى من المعانى المذمومة ويخلص بانه
وقع بمن يكيده تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على
دفعه فهو من الله مشيئته بالذى يكون من المخلوق من اجل ان
المخلوق اذا كان لمخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمره له والذى يقع به

الكيد من الله تعالى فهو سترنا ختم الله عما فعلته به والذى وقع باخوة
يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة
وتمام النعمة بحيث جرى الامر على عزمها قدروا من اهلاكه وخلوص
ابيهم لهم بعده وكل ذلك بتدبير الله تعالى وخفى لطفه سماه كيدا
لما يشبه من كيد المخلوقين فعلى هذا كيد الله عز وجل ليوسف
عايد الى جميع ما اعطاه وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته
من غير ان يشعروا بذلك وقوله تعالى **ما كان لياخذ اخاه فى دين**
الملك يعنى فى حكم الملك وقضائه لانه كان فى حكم الملك ان السارق
يضرب ويغرم ضعفى قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس اخيه
عنده فى حكم الملك فالله تعالى الهم يوسف ما دبره حتى وجدوا
السبيل الى ذلك **الا ان يشاء الله** يعنى ان ذلك كان بمشية الله
وتدبيره لان كلمة كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى
الامر على وفق المراد **نرفع درجات من نشاء** يعنى بالعلم كما رفعنا
درجة يوسف على اخوته وفى هذه الاية دلالة على ان العلم اشرف
المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته
على اخوته بالعلم وبما الهمه من وجه الهداية والصواب فى الامور
كلها **وفوق كل ذى علم عليم** قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان
ينتهى العلم الى الله فانه تعالى فوق كل عالم لانه هو الغنى بعلمه عن
التعليم وفى الاية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علما وكان يوسف
اعلم منهم ۰ قال ابن الانبارى يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر
التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه فى الغلبة لانه لا يخلو عالم من
عالم فوقه قوله تعالى **قالوا** يعنى اخوة يوسف **ان يسرق** يعنى
بنيامين الصواع **فقد سرق اخ له من قبل** يعنى يوسف وظاهر
الاية يقتضى ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب
منه فان اخاه الذى هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا
الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه كانا على
هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا
فى السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن
جبير وقتادة كان لجده ابى امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف
سرا وكسره والقاه فى الطريق لئلا يعبده ۰ وقال مجاهد ان يوسف
جاء سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السايل ۰ وقال
سفين بن عيينة اخذ دجاجة من الطير الذى كانت فى بيت يعقوب
فاعطاها سايلا ۰ وقال وهب كان يخبا الطعام من المائدة للفقرا

وذكر

وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت
امه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت
محبة يعقوب عليه فاتاها فقال لاخته يا اختاه سلمي الى يوسف
فوالله ما اقدر على ان يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه
فقال والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندى اياما انظر
اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت
لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحق فكانت
عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا
يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحاق ففتشوا اهل البيت فوجدوها
مع يوسف فقالت انه لسلم لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد
فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال
اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة
قال ابن الانبارى وليس فى هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة
ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب **فاسرها يوسف فى**
نفسه ولم يبدها لهم فى هذه الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير
يرجع الى الكلمة التى بعدها وهى قوله تعالى قال يعنى يوسف انتم شر
مكانا روى هذا المعنى العوفى عن ابن عباس والثانى ان الضمير
يرجع الى الكلمة التى قالوها فى حقه وهى قولهم فقد سرق اخ له من قبل
وهذا معنى قول ابى صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى
فاسر يوسف جواب الكلمة التى قالوها فى حقه ولم يجبهم عليها والثالث
ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف
الاحتجاج عليهم فى ادعايهم عليه السرقة ولم يبدها لهم **قال انتم شر**
مكانا يعنى منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم تكن من يوسف
سرقة فى الحقيقة وخيانتكم حقيقة **والله اعلم بما تصفون** يعنى
بحقيقة ما تقولون **قوله عز وجل** **قالوا** يعنى اخوة يوسف **يا ايها**
العزيز يخاطبون بذلك الملك **ان له ابا شيخا كبيرا** قال اصحاب الاخبار
والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصواع من رحل بنيامين
نقره وادناه الى اذنه ثم قال ان صواعى هذا يخبرنى انكم اثنى عشر رجلا
لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها
الملك سل صواعك من جعله فى رحلى فنقره ثم قال ان صواعى غضبان
وهو يقول كيف تسالنى عن صاحبى وقد رايت مع من كنت قالوا فغضب
روبيل لذلك وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل
اذا غضب لم يقم لغضبه شى وكان اذا صاح القت كل حامل حملها اذا سمعت

صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه
وكان اقوى الاخوة واشدهم • وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب
وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم
الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق
فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او
لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر حامل الا وضعت ولدها وقامت كل
شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن صغير
له قم الى جنب هذا فمسه او خذ بيده فأتني به فلما مسه سكن غضبه
فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل
ان هذا بذرا من بذر يعقوب • وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه
يوسف فوكزه برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا
معشر العبرانيين تزعمون ان لا احدا اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم ٥
وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له
ابا شيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه نبي من
اولاد الانبيا فخذ احدنا مكانه يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه
الهالك انا نراك من المحسنين يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين
الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت
بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين قال معاذ الله
يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذا ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده ولم يقل من سرق تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق
انا اذا لظالمون يعني ان اخذت بريا بمذنب فان قلت
كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولم يخبره بمكانه
وحبس اخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه ما فيه من
العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو
منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع
ما فيه من الايذا لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلما
عن هذا السوال اجوبة كثيرة احسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر
الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلا يعقوب
فيضاعف له الاجر على البلا ويلحقه بدرجة ابايه الماضين ولله تعالى
اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشا وهو الذي
اخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما
يريد ان يدبره فيهم والله اعلم باحوال عباده • قوله عز وجل فلما استياسوا
منه يعني استياسوا اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم خلصوا نجيا يعني خلا

بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم قال كبيرهم يعني
في العقل والعلم لا في السن • قال ابن عباس والكلبي هو يهودا وكان
اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته وقال
قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم سنا واحسنهم رايا
في يوسف لانه نهاهم عن قتله الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله يعني عهدا ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني قصرتم في امر
يوسف حتى صنعتموه فلن ابرح الارض يعني الارض التي انا فيها وهي
ارض مصر والمعنى فلن ابرح من ارض مصر ولا اقار قها على هذه الصورة
حتى ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر فيدعوني اليه او يحكم
الله لي يعني برد اخي علي او بخروجي معكم او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم
حتى استرد اخي وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف
والمراد من هذا الكلام الالتجا الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده
يعقوب عليه السلام ارجعوا الى ابيكم يعني يقول الاخ الكبير الذي
عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا
له يا ابانا ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة
لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم
انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال
ويدل عليه انهم لم يقطعوا بالسرقة عليه قولهم وما شهدنا الا بما علمنا
يعني لم نقل ذلك الا بعد ان راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه
ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا بما علمناه وهذه ليست بشهادة
انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق
في زعم الملك واصحابه لا انا نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك
سرق بضم السين وكسر الرا وتشديدها اي نسب الى السرقة واتهم بها
وهذه القراة لا تحتاج الى تاويل لان القوم نسبوه الى السرقة لان هذه
القراة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراة الصحيحة المشهورة
هي الاولى • وقوله وما شهدنا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع
من متاعه • وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا بما
علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل
قال لهم يعقوب هب انه سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يوخذ
بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا
من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبيا قبله ويعقوب وبنيه واورد على
هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفا هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك
واجيب عنه بانه يحتمل ان ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق

منه مثلها فلهذا انكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كان كافرا
وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة معناه ما كنا نعلم ان ابنك
يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به وانما قلنا ونحفظ
اخانا مما لنا الى حفظه سبيل • وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره
ومجيه وذهابه حافظين • وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة
لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى فلعل الصواع دس في رحله ونحن
لا نعلم بذلك واسال القرية التي كنا فيها يعني واسال اهل القرية
الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في
كلام العرب والمراد بالقرية مصر • وقال ابن عباس هي قرية من قرى
مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش والعير التي اقبلنا
فيها يعني واسال القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان
من جيران يعقوب وانا لصادقون يعني فيما قلناه وانما امرهم اخوهم
الذي اقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن انفسهم عند
ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم
في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوه لابيهم فعند
ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم امرا
وهو حمل اخيكم معكم الى مصر لطلب نفع عاجل فآل امركم الى ما آل وقيل
معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق فصبر جميل تقدم تفسيره
في اول السورة وقوله عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يعني بيوسف
وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة
لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا
ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل
اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما
جرى عليه وعلى بنيه من اول الامر وهو رويا يوسف وقوله يا بني لا تقصص
روياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما انتهى الامر قال عسى الله ان
ياتيني بهم جميعا انه هو العليم يعني بحزني ووجدي عليه الحكيم يعني فيما
يدبره ويقضيه قوله تعالى وتولى عنهم يعني واعرض يعقوب عن بنيه
حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تتام حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده
وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم وقال يا اسفا على يوسف
الاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة
لان الحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان
الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه

مالك فقال

اتبكي على كل قبر رايته • لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت لها ان الاسى يبعث الاسى • فدعني فهذا كله قبر مالك

فاجاب ان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما
كانا من ام واحدة فكان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل
فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان
يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب
عليه السلام في قوله يا اسفا على يوسف وقال هذه شكاية واظهار
جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل
المعترض لان يعقوب عليه السلام شكى الى الله لا منه فقوله يا اسفا
على يوسف وقد ذكر ابن الانباري عن بعض اللغويين انه قال نادى
يعقوب الاسف في اللفظ من المجاز يعني به المظهر في اللفظ وتلخيصه
يا الهي ارحم اسفي او انت راى اسفي او هذا اسفي فنادى الاسف في
اللفظ والمنادى سواه في المعنى ولا ماثم اذا لم ينطق اللسان
بكلام سوء لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا
اسفي على يوسف شكوى الى ربه وكان غير ملوم في شكواه وقيل
ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته
قال يا اسفا على يوسف اي اشكو الى الله شدة اسفي على يوسف
ولم يشك الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني
الى الله وابيضت عيناه من الحزن اي عمي من الحزن على يوسف
قال مقاتل لم يبصر شيا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة
البكا وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكا فتصير العين كانها
بيضا من ذلك الما الخارج من العين فهو كظيم اي مكظوم وهو
الممتلي من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذي
يردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج
يوسف من حجر ابيه الى يوم التقيا ثمانين سنة لم تجف عينا يعقوب
وما على وجه الارض يوميذ اكرم على الله منه • قال ثابت البناني
ووهب بن منبه والسدي ان جبريل دخل على يوسف وهو في السجن
فقال هل تعرفني ايها الصديق قال يوسف ارى صورة طاهرة
قال اني ايها رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف
فما ادخلك مدخل المذنبين وانت الطيب الطيبين وراس المقربين
وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض
بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي اطهر الارضين وان الله

بين •

قد طهرت الارض والسجن وما حوله يا طهر الطاهرين وقد ادخلت
مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في
معصية ربك فلذلك سماك الله في الصديقين وعدك من
المخلصين والحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم
من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه
بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه
قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الاجر يا جبريل فقال اجر
مائة شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال
لا ابالي ما لقيت ان رايته قوله عز وجل **قالوا** اي يعني اخوة يوسف
لابيهم **تالله تفتؤ تذكر يوسف** يعني لا تزال تفتؤ تذكر يوسف ولا
تفتر من حبه يقال ما فتئ يفعل كذا اي ما زال ولا محذوفة في جواب
القسم لان موضعها معلوم فحذف للتخفيف كقول امرء القيس
حيث قال •

• فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا راسي لديك واوصالي •

اي لا ابرح قاعدا وقوله **حتى تكون حرضا** قال ابن عباس يعني
دنفا قال مجاهد الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وقال
ابن اسحاق يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعني فاسدا لا عقل
له والحرض الذي فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرض
الفساد في الجسم والعقل من الحزن او الهم ومعنى الاية حتى تكون
دنف الجسم مخبول العقل يعني لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن
والهم والاسف **او تكون من الهالكين** يعني من الاموات فان قلت
كيف حلفوا على شيء لم يعلموا حقيقته قطعا قلت بنوا على
الامر الاغلب الظاهر اي نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك **قال**
يعني يعقوب عندما راي قولهم له وغلظتهم عليه **انما اشكوا بثي
وحزني الى الله** اصل البث اثارة الشيء وتفريقه وبث النفس ما
انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن
وذلك لان الانسان اذا استتر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره كان
بثا فالبث اشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون انما اشكوا حزني
العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي روى الحاكم
ابو عبد الله في صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مواخ فقال له
ذات يوم يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك قال
اذهب بصري البكا على يوسف واما الذي قوس ظهري فالحزن على

بنيامين

بنيامين فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام
ويقول لك يا يعقوب اما تستحي ان تشكوا الى غيري فقال انما
اشكوا بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكوا وقيل
انه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب ما لي اراك
قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال
يعقوب هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى
الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال رب خطية اخطاتها
فاغفرها لي قال غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سيل يقول
انما اشكوا بثي وحزني الى الله • وقيل ان الله اوحى اليه وعزتي
وجلالي لا اكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما
اشكوا بثي وحزني الى الله ثم قال اي رب اما ترحم الشيخ الكبير
اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي اشمه شمة
قبل ان اموت ثم اصنع ما شيت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب
ان ربك يقريك السلام ويقول لك ابشر فوعزتي لو كانا
ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة
طعام على بابكم ومر فلان المسكين وهو صايم فلم تطعموه شيا منها
وان احب عبادي الي الانبيا ثم المساكين اصنع طعاما وادع
اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صايما فليفطر الليلة
عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى ينادي من اراد الغدا
فليات آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين
قال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك
وحبست عنك يوسف ثماني سنة قال لا يا رب قال سويت
عناقا وقترت على جارك ولم تطعم منه شيا • وقيل ان سبب البلا
ليعقوب انه ذبح عجلا من ثدي امه وهي تخور فلم يرحمها **فان
قلت** هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبيا
قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيات
المقربين وانما يطلب من الانبيا من الاعمال على قدر منصبهم
وشريف رتبتهم فيعقوب عليه السلام من اهل بيت النبوة
والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من انبيايه بمحنة
فصبر وفوض امره الى الله تعالى فابراهيم عليه السلام القي في
النار فصبر ولم يشك الى احد واسمعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض
امره الى الله واسحق ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك الى احد وكذلك
يعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك

او ضعف بصره من كثرة البكا على فقدهما ولم يشك مع ذلك الى
احد شيا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله الى الله عز وجل
بدليل قوله انما اشكوا بثي وحزني الى الله فاستوجب بذلك
المدح العظيم والثنا الجميل على الله في الدنيا والاخرة والدرجات
العلى في الاخرة مع من سلف له من ابايه ابراهيم واسحاق
عليهما السلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب
به عتبا ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل
تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده
ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن وما
نقول الا ما يرضي ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن
نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس وقوله **واعلم
من الله ما لا تعلمون** يعني انه تعالى من رحمته واحسانه ياتي بالفرج
من حيث لا يحتسب وفيه اشارة انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع
رجوعه اليه روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب
ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت
روح ابني يوسف في الارواح قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في
رويته فلذلك قال واعلم من الله ما لا تعلمون • وقيل اعلم
ان رويا يوسف حق واني وانتم سنسجد له • وقال السدي لما
اخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع احواله وافعاله
احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال
يعني يعقوب **يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه**
التحسيس طلب بالحاسة وهو قريب من التجسيس بالجيم وقيل
ان التحسيس بالحا يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس
وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس
التمسوا وقال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال
من فلان وقال هذا من يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال
ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من
اخبار يوسف واخيه • روي عن عبد الله بن يزيد عن ابي فروة
ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليه السلام حين حبس عنده
بنيامين من يعقوب اسرايل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلا
اما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها
الله بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين

على

على قفاه ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا
بالدم وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن اخر
وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت
انه سرق ونحن اهل بيت لا نسرق ولا نولد سارقا فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
فلما قرا يوسف كتاب ابيه اشتد بكاوه وعيل صبره واظهر
نفسه لاخوته على ما سنذكره ان شا الله تعالى فذلك قوله
عز وجل يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه **ولا تياسوا
من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون**
يعني ان المومن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلا فينال
به خيرا والكافر بضد ذلك قوله عز وجل **فلما دخلوا
عليه** معنا فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند ابيهم
قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني على يوسف **قالوا يا ايها العزيز**
اي يعنون ايها الملك العزيز القادر الممتنع وكان العزيز
لقب لملك مصر يوميذ **مسنا واهلنا الضر** اي الشدة والفقر
والجوع وارادوا باهلهم من خلفهم ومن وراهم من العيال **وجينا
ببضاعة مزجاة** يعني ببضاعة كاسدة ردية لا تنفق في ثمن
الطعام الا بتجوز من البايع واصل الازجا في اللغة الدفع قليلا
قليلا وتزجيه دفع الشي ليتساق كتزجية الريح السحاب ومنه
قول الشاعر • وحاجة غير مزجاة من الحاج • يعني هي قليلة
يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك
البضاعة بانها مزجاة اما لنقصانها او ردائتها او لمجموعها
فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة
المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم زيوفا وقيل كانت خلق
الغراير والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف
والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت الحبة الخضرا وقيل كانت
سويق المقل • وقيل كانت الادم والنعال • وقال الزجاج سميت
هذه البضاعة القليلة الردية مزجاة من قولهم فلان يزجي
العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جينا ببضاعة مزجاة
لندافع بها الزمان وليست مما يتسع بها • وقيل انما قيل للدراهم
الردية مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها
فاوف لنا الكيل يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن

الجيد الوفي والمعنى انما نريد ان تقيم لنا الزايد مقام الناقص
والجيد مقام الردي **وتصدق علينا** يعني وتفضل علينا بما بين
الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال
ابن الانباري وكان الذي يسالونه من المسامحة يشبه الصدقة
وليس به • **واختلف** العلما هل كانت الصدقة حلالا للانبيا
قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية وانكر جمهور
العلما ذلك وقالوا ان حال الانبيا كلهم واحد في تحريم الصدقة
عليهم ولانهم يانفون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم لان
الصدقة اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن
سواه **واجيب** عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه
ان يجريهم على عادتهم في المسامحة وايفا الكيل ونحو ذلك مما يفعل
بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن
ومجاهد ان يقول الرجل في دعايه اللهم تصدق علي لان الصدقة
لا تكون الا ممن يبتغي الثواب • وروي ان الحسن سمع رجلا يقول
اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبغي الثواب
قل اللهم اعطني وتفضل علي • وقال ابن جريج والضحاك وتصدق
علينا يعني برد اخينا الينا **ان الله يجزي المتصدقين** يعني بالثواب
الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه
مومن **قال** يعني قال يوسف لاخوته **هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه** اختلفوا في السبب الذي من اجله حمل يوسف وهيجه على
هذا القول فقال ابن اسحاق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته
رقة على اخوته فباح بالذي كان يكتم • وقيل انه اخرج لهم نسخة
الكتاب الذي كتبوه ببيعه من مالك وفي آخره وكتب يهودا فلما
قروا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا ايها الملك انه كان لنا عبد
فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة
وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوا قال يهودا كان يعقوب يبكي
ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا
ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا فانه بمكان كذا وكذا
فذلك حين ادركته الرقة عليهم ورحمهم فبكى وقال هذا القول وقيل
ان يوسف لما قرا كتاب ابيه اليه فلم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة
ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه
من قطيعة الرحم وتفريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري

من

من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه
اراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم
بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الاية
تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبينهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه
باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في
حبسه ولا ارادوا ذلك **قلت** انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف
نغصوا عليه عيشه وكانوا يوذونه كلما ذكر يوسف • وقيل انهم قالوا
له لما اتهم باخذ الصواع ما راينا منكم يا بني راحيل خيرا **اذ انتم جاهلون**
هذا اجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما اقدمتم على الفعل القبيح
المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون
بما يوول اليه امر يوسف **قوله عز وجل قالوا اينك لانت
يوسف** قري على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراة قال ابن عباس
لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه تبسم فراوا ثناياه كاللولو
تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما اينك لانت
يوسف وقري على الخبر وحجته ما قال ابن عباس ايضا في رواية
اخري عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه
وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق
مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا انت يوسف وقيل قالوه
على التوهم ولم يعرفوه حتى **قال انا يوسف** قال بعض العلما
انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به
من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكانه
قال انا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني
في الجب ثم بعتموني بابخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون فكان
تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي ولم يعرفونه
لانه قصد به ايضا **وهذا اخي** المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت انا وهو
الى ما ترون وهو قوله **قد من الله علينا** يعني بان جمع بيننا وقيل
من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة • وقيل من علينا
بالسلامة في ديننا ودنيانا **انه من يتق ويصبر** يعني يتق الزنا
ويصبر على العزوبة قال ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية
ويصبر على السجن وقيل يتق الله باداء فرايضه ويصبر عما حرم الله
فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اجر من كان هذا حاله
قالوا يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه

تالله لقد اثرك الله علينا يعني اختارك وفضلك علينا يقال
اثرك الله ايثارا اي اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضل
والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن
ابن عباس بالملك • وقال ابو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم
والصفح علينا • وقيل بالحسن وساير الفضايل بل التي اعطاها الله
له دون اخوته • وقيل فضله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول
بان اخوته كانوا انبيا ايضا فليس له عليهم فضل واجيب
عنه بان يوسف فضل عليهم بالرسالة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار
لان من جمع له النبوة والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط
وان كنا لخاطئين يعني وما كنا في صنيعنا بك الا خاطئين ولهذا
اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطأ
اذا تعمد واخطأ اذا كان غير متعمد • وقيل يجوز ان يكون آثر لفظ
خاطئين على مخطئين لموافقة روس الآي لان خاطئين اشبه بما
قبلها قال يعني يوسف لا تثريب عليكم يعني لا تعيير ولا توبيخ
عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليحدها
ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله
اليوم قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله ويكون التقدير لا تثريب
عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم يوم التثريب والتقريع والتوبيخ
وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا يحسن
الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدى بقوله يغفر الله لكم
والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم
التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم ثم بشرهم بقوله اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف نفسه سالهم
عن حال ابيه فقال ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة
البكا عليك فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا
قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وقال مجاهد
امره جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم
وذلك انه لما جرد من ثيابه والقي في النار عريانا اتاه جبريل
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند
ابراهيم فلما مات ورثه اسحاق فلما مات ورثه يعقوب
فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من الفضة
وسد راسها وعلقها في عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف
عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القي يوسف في البير

عريانا اتاه جبريل واخرج ذلك القميص والبسه اياه فلما كان
هذا الوقت جاء جبريل فامره بان يرسل هذا القميص الى ابيه
لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي في الوقت
فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وذلك قوله اذهبوا
بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قال المحققون
انما علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد
البصر كان بوحي الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما
علم ان اباه لما عمي من كثرة البكا وضيق الصدر فبعث اليه
قميصه ليجد ريحه فيزول بكاه وينشرح صدره ويفرح قلبه
فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر يمكن
معرفته من جهة العقل وقوله واتوني باهلكم اجمعين قال
الكلبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة
وسبعين ما بين رجل وامراة ولما فصلت العير يعني خرجت
من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى كنعان قال ابوهم
يعني قال يعقوب لولد ولده اني لاجد ريح يوسف قيل ان ريح
الصبا استاذنت ربها ان تاتي يعقوب بريح يوسف قبل ان
ياتيه البشير • وقال مجاهد اصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة
ثلاثة ايام • وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن
بينهما ثلاثون فرسخا • وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص
الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم ان ليس في الارض من ريح الجنة
الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك
قال اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند
وهو ضعف الراي • وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف
وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل
من خرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولا ان تفندون اي
تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهون وقيل تلوموني وقيل تجهلون وقيل
وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمون فتقولون شيخ كبير
قد خرف وذهب عقله قالوا يعني اولاد اولاد يعقوب واهله الذين
عنده لان اولاده لصلبه كانوا غايبين عنه تالله انك لفي ضلالك القديم
يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لان عندهم ان يوسف قد مات وهلك
ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك
القديم والضلال الذهاب عن طريق الحق الصواب فلما ان جاء
البشير هو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جا البشير بين يدي

العير قال ابن عباس هو يهودا قال السدي قال يهودا انا ذهبت
بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله الذيب فانا
اذهب اليوم واخبره انه حي فافرحه كما احزنته ● قال ابن عباس حمله
يهودا وخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة فلم يستوف
اكلها حتى اتا اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا **القاه على وجهه**
يعني فالقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب **فارتد بصيرا** يعني
فرجع بصيرا بعد ما كان قد اعمى وعادت اليه قوته بعد الضعف
وسروره بعد الحزن **قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون**
يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال
للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما
اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن
تمت النعمة **قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا** يعني قال اولاد
يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به
وبيوسف استغفر لنا اي اطلب لنا عفو ذنوبنا من الله **انا كنا خاطئين**
يعني في صنيعنا **قال سوف استغفر لكم ربي** قال اكثر المفسرين ان
يعقوب اخر الدعا والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف
الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجيب
له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله
فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله
اليه اني غفرت لك ولهم اجمعين ● قال عكرمة عن ابن عباس انه
اخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات ● قال وهب
كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيف وعشرين سنة وقال طاوس اخر
الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشورا
وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى اسال يوسف فان كان
قد عفى عنكم استغفرت لكم ربي **انه هو الغفور** يعني لذنوب عباده
الرحيم بجميع خلقه قال عطا الخراساني طلب الحوايج الى الشباب
اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم
اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي ● قال اصحاب الاخبار
ان يوسف عليه السلام بعث مع اخوته الى ابيه مائتي راحلة وجهازا
كثيرا ليا توا بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب
للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل
وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر

الى ولاولادي ثم

كلم

كلم يوسف الملك الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجي ابيه واهله فخرج
يوسف ومعه الملك في اربعة الاف من الخيل وركب اهل مصر معهم
يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على يد
ابنه يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر
قال لا بل هو ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف
ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدا يعقوب
بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان ● وقيل
انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا
وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم
ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني
وبينك فذلك قوله تعالى **فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه**
قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قد ماتت
في نفاس بنيامين قال الحسن هو ابوه وامه وكانت حية بعد وقيل
ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لروياه
والاول اصح **وقال ادخلوا مصر** قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما
دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر
يعني البلد ● وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول
الثاني الاستيطان بها اي ادخلوا مستوطنين فيها **ان شا الله امنين**
قيل ان هذا الاستثنا عايد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمنين ان شا الله ● وقيل انه عايد الى الدخول فعلى هذا يكون
قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثنا يرجع
الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديما وتاخيرا تقديره
سوف استغفر لكم ربي ان شا الله ● وقيل ان الناس كانوا يخافون من
ملوك مصر فلا يدخلها احد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر
امنين على انفسكم واهليكم ان شا الله فعلى هذا يكون قوله ان شا الله
للتبرك وهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون
مع علمه بانه لاحق بهم **ورفع ابويه على العرش** يعني السرير الذي كان
يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو **وخروا له سجدا** يعني
يعقوب وخالته واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو
الانحنا والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض
على سبيل العبادة. **فان قلت** كيف استجاز يوسف ان يسجد
له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصبا في النبوة والشيخوخة **قلت**
يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق روياه ثم في معنى هذا السجود

قولان احدهما انه كان انحنا على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه
والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة بالارض
وهذا مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى
واجيب عن هذا الاشكال ان السجود كان في الحقيقة لله تعالى
على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملايكة لآدم
ويدل على صحة هذا التاويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له
سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله
ولو كان ليوسف كان قبل الصعود لان ذلك ابلغ في التواضع **فان قلت**
يدفع صحة هذا التاويل قوله رايتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدا
فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه السلام **قلت**
يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل
يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة
يوسف ربما احتملهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ان
اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية
والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جايزا في ذلك الزمان
فلما جا الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه
وقال يعني قال يوسف عند ما راى ذلك **يا ابت هذا تاويل روياي**
من قبل يعني تصديق الرويا التي اريت في حال الصغر **قد جعلها ربي**
حقا يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين روياه وتاويلها فقال سلمان
الفارسي وعبد الله بن شداد بن الهاد اربعون سنة ۰ وقال ابو صالح
عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة ۰ وقال قتادة خمس وثلاثون
سنة ۰ وقال عبد الله شوذب سبعون سنة ۰ وقال الفضيل بن
عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره
عن الحسن ان يوسف كان عمره حين القي في الجب سبع عشرة سنة واقام
في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه
واخوته واقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن
ماية وعشرين سنة وقوله **وقد احسن بي** يعني انعم علي يقال احسن
بي والي بمعنى **اذ اخرجني من السجن** انما ذكر انعام الله عليه في خروجه
من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا
يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله
عليه في اخراجه من السجن كان اعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك
ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه
من السجن كان سببا لوصوله الى الملك ۰ وقيل ان دخوله الجب كان

لحسد

لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه فكان ذلك اعظم
نعمه عليه **وجاء بكم من البدو** يعني من البادية واصل البدو البسيط من
الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر
والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا
البادية **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** يعني افسد ما
بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول في امر لافساده واستدل
بهذه الاية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف
الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله
لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا
الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل
المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا
على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة
قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله
وبقضايه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقا الوسوسة والتحريش
لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك **ان ربي لطيف**
لما يشآ يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقايق الامور وخفاياها قال
صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما لا يدركه الحاسة ويصح ان
يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقايق
الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشا
اي حسن الاستخراج تنبيها على ما اوصل اليه يوسف حيث القاه اخوته
في الجب ان اجتماع يوسف وابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته
له وازالة ذلك مع طيبة النفس وشدة المحبة كان من لطف الله
بهم حيث حصل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيا اسبابه
انه هو العليم بمصالح عباده **الحكيم** في جميع افعاله قال اصحاب
الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام اقام عند يوسف بمصر
اربعا وعشرين سنة في اهنا عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته
الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر ابيه
اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عمر ففعل يوسف
ما امره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق
ذلك موت العيص اخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا
في قبر واحد وكان عمرهما ماية وسبعة واربعين سنة فلما دفن يوسف
اباه ورجع الى مصر قالوا فلما جمع الله شمل يوسف عليه السلام بابيه
واخوته علم ان نعيم الدنيا زايل سريع الفنا لا يدوم ۰ سال الله حسن

العاقبة والخاتمة الصالحة فقال رب اى يارب قد اتيتني من الملك
يعنى ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان
فوقه ملك اخر والملك عبارة عن الاتساع فى المقدور لمن له السياسة
والتدبير وعلمتني من تاويل الاحاديث يعنى تعبير الرويا فاطر
السموات والارض يعنى خالقها ومبدعها على غير مثال سبق واصل
الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق
اوجده وابدعه انت وليي يعنى معيني ومتولى امرى فى الدنيا
والاخرة توفني مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة فى الحال ام لا
على قولين احدهما انه سال الله الوفاة فى الحال قال قتادة لم يسال
نبى من الانبيا الموت الا يوسف قال اصحاب هذا القول وانه
لم يات عليه اسبوع حتى توفى والقول الثانى انه سال الوفاة
على الاسلام ولم يتمنى الموت فى الحال • قال الحسن انه عاش بعد
هذا سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الاية توفني اذا
توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام
وليس فى اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة فى الحال قال
بعض العلما وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد
من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه بان الدنيا ولذاتها
فانية زايلة سريعة الذهاب وان نعيم الاخرة باق دايم لانفاذ له
ولا زوال ولا يمتنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم
الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضر ونزول البلا مكروه
والصبر عليه اولى وقوله والحقني بالصالحين اراد بدرجة ابايه
وهم ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام قال
علما التاريخ عاش يوسف مايه وعشرين سنة وفى التوراة مايه
وعشر سنين وولد ليوسف من امراة العزيز ثلاثة اولاد افرايم
ومنيشا ورحمة ايوب • وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر
ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه فى النيل فى صندوق من رخام
وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه فطلب
كل اهل محلة ان يدفن فى محلتهم رجا بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم راوا
ان يدفنوه فى النيل بحيث يجرى الما عليه ويتفرق عنه وتصل بركته
الى جميعهم • وقال عكرمة انه دفن فى جانب الايمن من النيل فاخصب
ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر فنقل فى الجانب الايسر فاخصب
واجدب الجانب الايمن فدفنوه فى وسط النيل وقدروه بسلسلة
فاخصب الجانبان فبقى الى ان اخرجه موسى عليه السلام وحمله معه

حتى

حتى دفنه بقرب ابايه بالشام فى الارض المقدسة قوله عز وجل
ذلك يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له
مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق من انبا الغيب يعنى اخبار
الغيب نوحيه اليك يعنى الذى اخبرناك به من اخبار يوسف وهى
اوحيناه اليك يا محمد وفى هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلما
ولم يسافر الى بلد اخر غير بلده الذى نشا فيه وانه صلى الله عليه
وسلم نشا بين امة امية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه
القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة
علم بذلك ان الذى اتى به هو وحى ونور قدسى سماوى فهو معجزة
له قايمة الى آخر الدهر وقوله تعالى وما كنت لديهم يعنى وما كنت
يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم يعنى حين عزموا على
القا يوسف فى الجب وهم يمكرون يعنى بيوسف وما اكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وما
اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمومنين وذلك ان اليهود
وقريشا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما
اخبرهم بها على وفق ما عندهم فى التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يومنون ولو حرصت على
ايمانهم ففيه تسلية له وما تسالهم عليه من اجر يعنى على تبليغ
الرسالة والدعا الى الله من اجر يعنى اجرا وجعلا على ذلك ان هو
اى ما هو يعنى القران الا ذكر يعنى عظة وتذكيرا للعالمين وكاين
من اية يعنى وكم من اية دالة على التوحيد فى السموات والارض يمرون
عليها يعنى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهم عنها معرضون اى لا
يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الايات الدالة على
وحدانية الله باعجب من اعراضهم عنك يا محمد وما يومن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون يعنى ان من ايمانهم انهم اذا سئلوا من خلق السموات
والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع
ذلك يعبدون الاصنام • وفى رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله
خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم • وفى رواية اخرى
عنه انها نزلت فى تلبية مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقولون فى تلبيتهم
لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك • وقال عطا
هذا فى الدعا وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخا فاذا اصابهم البلا
اخلصوا فى الدعا افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله يعنى عقوبة

مجللة تعمهم • وقال مجاهد عذاب يغشاهم • وقال قتادة وقيعة
وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع **أو تأتيهم الساعة بغتة**
يعني فجاة **وهم لا يشعرون** يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الناس
في اسواقهم **قل** أي قل يا محمد لهولا **هذه سبيلي** يعني طريقي التي ادعوا
اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه
الطريق المودي الى الثواب والجنة **ادعوا الى الله** يعني الى توحيد
الله والايمان به **على بصيرة** يعني على يقين ومعرفة والبصيرة
هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل **انا ومن اتبعني**
يعني ومن امن بي وصدق بما جيت به ايضا يدعوا الى الله وهذا
قول الكلبي وابن زيد فانه حق على من اتبعه وامن به ان يدعوا
الى ما دعاه اليه ويذكر بالقران ثم الكلام عند قوله ادعوا الى الله
ثم استانف على بصيرة انا ومن اتبعني يعني اني على بصيرة ومن
اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس يعني اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم
وكنز الايمان وجند الرحمن • وقال ابن مسعود من كان مستنا
فليستن بمن قد مات اوليك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم
الله تعالى لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا ه
باخلاقهم وطرايقهم فهولا كانوا على الهدى المستقيم وقوله **وسبحان
الله** اي وقل سبحان الله يعني تنزيها لله عما لا يليق بجلاله من جميع
العيوب والنقايص والشركا والاضداد والانداد **وما انا من المشركين**
يعني وقل يا محمد وما انا من الذين اشركوا بالله غيره قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد
الا رجالا مثلك ولم يكونوا ملايكة **يوحي اليهم** هذا جواب لاهل
مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا
اياك يا محمد وساير الرسل الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالهم
كحالك **من اهل القرى** يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل
البوادي لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا من اهل البوادي
قال الحسن لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفايهم **افلم
يسيروا في الارض** يعني هولا المشركين المكذبين **فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم** يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا
رسلنا فليعتبر هولا بهم وما حل بهم من عذابنا **ولدار الاخرة خير
للذين اتقوا** يعني فعلنا هذا باوليانا واهل طاعتنا ان انجيناهم

عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة خير لهم يعني
الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي
هي لان العرب تضيف الشي الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو
اليقين نفسه **افلا يعقلون** يعني فيتفكرون ويعتبرون بهم فيومنون

قوله عز وجل **حتى اذا استياس الرسل** قال صاحب الكشاف

حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وقال الواحدي
حتى هنا حرف من حروف الابتدا يستانف بعدها والمعنى استياسوا
من الرسل اي من ايمان قومهم **وظنوا انهم قد كذبوا** قرا اهل الكوفة
وهم عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراة على
ما قاله الواحدي ظن الامم ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم
فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم وهذا معنى قول ابن
عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد • وقال اهل المعاني كذبوا
من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك ومنه قوله وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله • قال ابو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراة للمرسل
اليهم التقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به
من انهم لم يومنوا بهم نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا
من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم
وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شيت
قلت ان ذكرهم قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير في وظنوا للذين من قبلهم من مكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم
والحسبان وهذا معنى ما روي عن ابن عباس انه قال حتى اذا استياس
الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من
نصرهم واهلاك من كذبهم • وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا
في وعد قومهم اياهم الايمان اي وعدوا ان يومنوا ثم لم يومنوا وقال
صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم لا ينصرون او رجاوهم كقولهم رجا صادق ورجا كاذب والمعنى
ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله وتامله قد
تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر
لهم في الدنيا فجاهم نصرنا فجاة من غير احتساب • وعن ابن عباس
وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد خلفوا ما وعدهم الله من النصر قال
وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه
متى نصر الله • قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد

س •

اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد
الجايزين على الاخر فغير جايز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله
الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى
الواحدي عن ابن الانباري انه قال غير هذا معول عليه من جهتين
احدهما ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس لكنه من متاول تاوله
عليه والاخرى ان قوله جاهم نصرنا دلالة على ان اهل الكفر لما ظنوا
ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله نصر الله الرسل ولو كان الظن
للرسل لكان ذلك خطا عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتنزيه الانبيا
وتطهيرهم واجب علينا اذ اوجد نا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم
نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد
ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استياس الرسل من ايمان
قومهم وظنوا يعني وايقنوا يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا
لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة
وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم قومهم ان يصدقوهم
وظنوا ان من امن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة
المحنة والبلا واستبطا النصر فاتاهم النصر وعلى هذا القول الظن
بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من امن بهم يعني وظنت
الرسل ظن حسبان ان من امن بهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر
لابطايه وتاخره عنهم وطول البلا بهم لا انهم كذبوهم كونهم رسله
وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المومنين لانه لو حصل
لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطو النصر وعلى هذا
القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المنفي هو من جهة الكفار
وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل خ عن عروة بن الزبير
عن انه سال عايشة عن قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا او كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا
ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة اجل لقد استيقنوا
بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك
بربها قلت فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم
وصدقوهم وطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر حتى اذا استياست
الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم جاهم نصر الله
عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال قال ابن
عباس حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها

هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان
نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير فذكرت ذلك له فقال
قالت عايشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شي قط الا
علم انه كاين قبل ان يموت ولكن لم يزل البلا بالرسل حتى خافوا ان
يكون من معهم من قومهم يكذبونهم وكانت تقراوها وظنوا انهم
قد كذبوا مثقلة وقوله تعالى **جاهم نصرنا** يعني جا نصر الله النبيين
فنجي من نشا يعني عند نزول العذاب بالكافرين فننجي المومنين المطيعين
ولا يرد باسنا يعني عذابنا **عن القوم المجرمين** يعني المشركين قوله
تعالى **لقد كان في قصصهم** يعني في خبر يوسف واخوته **عبرة** اي
موعظة **لاولي الالباب** يعني يتعظ بها اولوا العقول الصحيحة
ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة
المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التامل والتفكر ووجه
الاعتبار بهذه القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف من الجب
بعد القايه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية
وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة والياس من الاجتماع
لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته واظهار دينه
وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب
فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم • وقيل ان الله تعالى قال في
اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال في اخرها
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة
من احسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبر بها **ما كان حديثا**
يفترى يعني ما كان هذا القران حديثا يفترى ويختلق لان الذي
جا به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه او
يختلقه لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلما ثم انه جا بهذا القران المعجز
فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر **ولكن تصديق الذي بين يديه**
يعني ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السما
من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على
الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف **وتفصيل كل شي**
يعني ان في هذا القران المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شي يحتاج
اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال
وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في امر دينهم ودنياهم **وهدى** يعني
الى كل خير **ورحمة** يعني انزلناه رحمة **لقوم يومنون** لانهم هم الذين
ينتفعون به والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه •

تفسير سورة الرعد وهى مكية

قال ابن الجوزى اختلفوا فى نزولها على قولين احدهما انها مكية
رواه ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطا
وقتادة وروي ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا ايتين احدهما
قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله
ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثانى انها مدنية رواه
عطا الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد • وروى عن ابن
عباس انها مدنية الا ايتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرانا سيرت
به الجبال الى اخر الايتين • وقال بعضهم المدنى منها قوله هو الذى
يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق وهى ثلاثة وقيل خمس واربعون
اية وثمانماية وخمس وخمسون كلمة وثلاثة الاف وخمس ماية وستة
احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل المر**
قال ابن عباس معناه انا الله وارى • وروى عطا عنه انه قال معناه
انا الله الملك الرحمن **تلك ايات الكتاب** اشار بتلك الى ان ايات السورة
المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اى ايات السورة الكاملة العجيبة
فى بابها ثم قال تعالى **والذى انزل اليك** يعنى من القران كله هو الحق
الذى لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة فى قوله تلك الاخبار والقصص
التى قصصتها عليك هى ايات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة
المنزلة والذى انزل اليك يعنى وهذا القران الذى انزل اليك **من
ربك** يا محمد **الحق** اى هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة
اراد بايات الكتاب القران والمعنى هذه الايات الكتاب الذى هو
القران ثم قال والذى انزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القران
الذى انزل اليك من ربك هو الحق الذى لا شك ولا تناقض **ولكن
اكثر الناس لا يومنون** يعنى مشركى مكة نزلت هذه الاية فى الرد عليهم
حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقا نفسه ثم ذكر من دلايل ربوبيته
وعجايب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى **الله الذى رفع
السموات بغير عمد ترونها** جمع عمود وهى الاساطين والدعايم التى تكون
تحت السقف وفى قوله ترونها قولان احدهما ان الروية ترجع الى السما
يعنى وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعنى ليس من
دونها دعامة يدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفى العمد
بالكلية قال اياس بن معوية السما مقببة على الارض مثل القبة وهذا
قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس والقول
الثانى ان الروية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن

قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط
بالدنيا والسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية
الاخرى عن ابن عباس والقول الاول هو الصحيح وقوله **ثم استوى على
العرش** تقدم تفسيره والكلام عليه فى سورة الاعراف بما فيه كفاية **وسخر
الشمس والقمر** يعنى ذللها لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما
يريد **كل يجرى لاجل مسمى** يعنى الى وقت معلوم وهو وقت فنا الدنيا
وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما
يعنى انهما يجريان فى منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها
ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس
والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطو
فى الحركة **يدبر الامر** يعنى انه تعالى يدبر امر العالم العلوى والسفلى
ويصرفه ويقضيه بمشيته وحكمته على اكمل الاحوال لا يشغله شان عن
شان وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة ففيه
دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره
ورحمته داخلون تحت قهره وقضايه وقدرته **يفصل الايات** يعنى
انه تعالى يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان
الدلايل الدالة على وجود الصانع قسمان • الاول الموجودات المشاهدة
وهى خلق السموات وما فيهما من العجايب واحوال الشمس والقمر وساير
النجوم وهذا قد تقدم ذكره • والقسم الثانى الموجودات الحادثة فى
العالم وهى الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنا والضعف بعد القوة الى
غير ذلك من احوال هذا العالم فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع
وكمال قدرته **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** يعنى انه تعالى ذكر هذه الدلايل
الدالة على وجوده وكمال قدرته لكى توقنوا وتصدقوا بلقايه والمصير
اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر
على ايجاده واحيايه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهى
فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك
يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم • قوله تعالى **وهو الذى مد الارض**
لما ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهى رفع السموات
بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردفها بذكر الدلايل الارضية فقال
وهو الذى مد الارض اى والله هو الذى مد الارض وبسطها على وجه
الما وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا
القول انما يصح اذا قيل ان الارض مسطحة لا كرة وعند اصحاب الهيئة
ان الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة

منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك
فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه دحاها وانه بسطها وكل ذلك
يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب
الهيئة وجعل فيها يعني الارض رواسى يعني جبالا ثابتة يقال رسى
الشئ يرسو اذا ثبت وارساه غيره قال ابن عباس كان ابو قبيس اول
جبل وضع على الارض وانهارا يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع
الخلق ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يعني صنفين اثنين
احمر واصفر وحلوا وحامضا يغشى الليل النهار يعني يلبس النهار بظلمة
الليل ويلبس الليل بضوء النهار ان في ذلك يعني ان الذي تقدم
ذكره من عجايب صنعته وغرايب قدرته الدالة على وحدانيته لايات
اى لدلالات لقوم يتفكرون يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع
وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشيا وقال
صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان
تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال
الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روى تفكروا في الآء
الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال
بعض الادبا الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في طلب
المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها قوله
عز وجل وفي الارض قطع متجاورات يعني متقاربات يقرب بعضها
من بعض وهي مختلفة في الطبايع بهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا
تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع وجنات يعني بساتين
والجنة بستان ذي شجر من نخل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر
باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله من اعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان جمع صنو وهي النخلات يجمعهن من اصل واحد ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعني انهما من اصل
واحد وغير صنوان هي النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير
صنوان المتفرق تسقى بماء واحد يعني اشجار الجنات وزروعها والماء
جسم رقيق مايع به حياة كل نام وحي وقيل في حده جوهر سيال به قوام
الارواح ونفضل بعضها على بعض في الاكل يعني في الطعم ما بين الحلو
والحامض والعفص وغير ذلك من المطعوم • عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال
الدقل والفارسي والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب • قال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن

قول النبي صلى الله عليه وسلم

هذا مثل ضربه الله لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن
فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها ماء السما فتخرج هذه
زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج سبختها وتخرج هذه سبختها وملحها
وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء ملحا قيل انما هذا من قبل
الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السما تذكرة فترق
قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسوا قلوب قوم فتلهوا ولا تسمع وقال الحسن
والله ما جالس القران احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال
الله تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا وقوله تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكرت لايات
لقوم يعقلون يعني فيتدبرون ويتفكرون في الايات الدالة على
وحدانيته قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم العجب تغيير النفس
برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند
الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف سببه
ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى عالم الغيوب لا يخفى عليه
خافية والخطاب في الاية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك
يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق
الامين فعجب امرهم • وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا
يضرهم ولا ينفعهم الهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق
السموات والارض وهو يضر وينفع وقد راوا من قدرة الله وما ضرب
لهم به الامثال فعجب قولهم قيل وانك ان تعجب من انكارهم النشاة
الاخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله فعجب
قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم
بان ابتدا الخلق من الله وقد تقرر في النفوس الا ان الاعادة اهون من
الابتدا فهذا موضع التعجب وهو قولهم ايذا كنا ترابا يعني بعد الموت
اينا لفي خلق جديد يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله
ثم ان الله تعالى قال في حقهم اوليك الذين كفروا بربهم وفيه دليل
على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من انكر
البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شى قدير ومن انكر
فهو كافر واوليك الاغلال في اعناقهم يعني يوم القيمة والاغلال جمع
غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم
وانقيادهم يوم القيمة كما ينقاد الاسير ذليلا بالغل واوليك اصحاب
النار هم فيها خالدون يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل

محيٍ وقته والمراد بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية وذلك
ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاً منهم
وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما او ايتنا بعذاب اليم وقد خلت من قبلهم المثلات يعني
وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة
بفتح الميم وضمها وضم الثا نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا يرتدع غيره
به وذلك كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثا
فيهما لغتان وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال ابن عباس
معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وان ربك لشديد العقاب
يعني للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو
تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا
عاقب ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا اي هلا انزل
عليه يعني على محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه يعني مثل عصى
موسى وناقة صالح وذلك انهم لم يقتنعوا بما راوا من الايات التي
جاءهما النبي صلى الله عليه وسلم انما انت منذر اي ليس عليك يا محمد
غير الانذار والتخويف وليس لك من الايات شي ولكل قوم هاد
قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة
ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما اليك الانذار يا محمد والهادي
هو الله يهدي من يشا وقال عكرمة في رواية اخرى عنه وابو الضحى
الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انت منذر وانت
هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم
وقال ابو العالية الهادي هو العمل وقال ابو صالح الهادي هو
القايد الى الخير او الى الشر قوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل
انثى لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله
عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني من ذكر
او انثى سوي الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر وما
تغيض الارحام وما تزداد قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض
على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض
هو غذا الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذا فينتقص الولد واذا لم
تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم
والزيادة تمام خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك
الدم وقيل اذا حاضت المراة في وقت حملها ينقص الغذا ويزداد
مدة الحمل حتى يستكمل تسعة اشهر طاهرة فان رات خمسة ايام دما

وضعت

وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان في الغذا والزيادة
في مدة الحمل وقيل السقط والزيادة تمام الخلق • وقال الحسن غيضها
نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل
مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في
اكثره فقال قوم اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عايشة وبه قال
ابو حنيفة • وقيل ان الضحاك ولد لسنتين • وقال جماعة اكثرها
اربع سنين واليه ذهب الشافعي • قال حماد بن ابي سلمة انما سمي هرم
ابن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين وعند مالك ان اكثر
مدة الحمل خمس سنين وكل شي عنده بمقدار يعني بتقدير وحد لا
يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شي وكيفيته على
اكمل الوجوه وقيل معناه انه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث
بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيته الازلية وارادته
وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره عالم الغيب والشهادة يعني
انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو
المعدوم والمشاهد هو الموجود • وقيل الغيب ما غاب عن الحس
والشاهد ما حضر في الحس الكبير اي العظيم الذي يصغر كل كبير
بالاضافة على عظمته وكبريايه فهو يعود الى معنى كبر قدره وانه
تعالى المستحق لصفات الكمال المتعال يعني المنزه عن صفات النقص
واهله كالزيد الذي يعلوا على لما المتعال عن الخلق وفيه دليل على
انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزهه عن جميع
النقايص قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي مستو
منكم من اخفا القول وكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى
في علم الله تعالى السر بالقول والمجاهر به ومن هو مستخف بالليل
اي مستتر بظلمته وسارب بالنهار اي ذاهب في سربه ظاهرا والسرب
بفتح السين وسكون الرا الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف
في حوايجه قال ابن عباس في هذه الاية هو صاحب ريبة مستخف
بالليل واذا خرج بالنهار اري الناس انه بري من الاثم وقيل مستخف
بالليل ظاهر من قولهم من خفيت الشي اذا اظهرته واخفيته
اذا كتمته وسارب بالنهار اي متوار داخل في سرب مستخفيا ومعنى
الاية سوا ما اضمرته القلوب او نطقت به الالسنة وسوا من اقدم
على القبايح مستترا في ظلمات الليل او اتى بها ظاهرا في النهار فان
علمه تعالى محيط بالكل له معقبات يعني لله ملايكة يتعاقبون
بالليل والنهار فاذا صعدت ملايكة الليل عقبتها ملايكة النهار

والتعقيب العود بعد البدا وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث
وان كانا الملاذكور لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع
المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر ق عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم
يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولو
تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد
من بني ادم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك
عن شماله وهو كاتب السيات وكاتب الحسنات امين على كاتب
السيات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر امثالها واذا عمل سية
قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول انظره
لعله يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها
والا قال له اكتبها عليه سية واحدة وملك موكل بناصية العبد
فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله وضعه
بها وملك موكل بعينيه يحفظها من الاذى وملك موكل بفيه
لا يدع يدخل فيه شيا من الهوام يوذيه فهولا خمسة املاك موكلون
بالعبد في ليله وخمسة غيره في نهاره فانظر الى عظمة الله وقدرته
وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعني يحفظون العبد من
بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امر الله بامر الله واذنه ما لم
يجي القدر فاذا جا خلوا عنه • وقيل معناه انهم يحفظونه عما امر الله به
من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في
نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شي ياتيه يريده
الا قال له الملك وراءك الا شي باذن الله فيه فيصيبه • وقال
كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم
ومشربكم وعوراتكم لتخطفنكم الجن • وقال ابن جريج معنى يحفظونه
اي يحفظون عليه الحسنات والسيات وهذا على قول من يقول ان
الاية في الملكين القاعدين عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات
والسيات • وقال عكرمة الاية في الامرا وحرسهم يحفظونهم من
بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم
حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن
وطوارق الليل والنهار • وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية

في

في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان
من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل
قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك
ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال
ليس ذلك الي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشا قال فتجعلني
على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك
اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك لي اليوم ثم قم معي اكلمك
فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اوحى الى
اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف
فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار
اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا
من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر
يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما صنع
بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم
صحو قائظ فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل
اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يمنع الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر
بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه فخرج له خراج في اصل
اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البكر وموت
في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحرا ويقول ادن يا
ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لين ابصرت محمدا واصحابه
وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله ملكا فلطمه
فارداه في التراب ثم عاد فركب واجراه حتى مات على ظهره واجاب
الله عز وجل دعا رسوله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات
بالطعن واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل في شان
هذه القصة سوا منكم من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات
يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اي بامر الله • وقيل
ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له معقبات

من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله **ان الله لا يغير
ما بقوم** خطاب لهذين عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة يعني لا
يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم **حتى يغيروا
ما بانفسهم** يعني من الحال الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه
عليهم فعند ذلك يحل نقمته بهم وهو قوله تعالى **واذا اراد الله بقوم
سوءا** يعني هلاكا وعذابا **فلا مرد له** يعني لا يقدر احد ان يرد ما
نزل بهم من قضائه وقدره **وما لهم من دونه من وال** يعني وليس لهم
من دون الله من وال يلي امرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم ۞

قوله عز وجل هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لما خوف الله
عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الاية من
عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال
تعالى هو الذي يعني والله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو
لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول
ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر
الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جرينه
يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له
في نزول المطر نفع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في
غير مكانه وزمانه والطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه فان من
البلاد ما اذا امطرت قحطت واذا لم تمطر اخصبت **وينشئ السحاب
الثقال** يعني بالمطر يقال انشا الله السحابة فنشات اي ابداها
فبدات والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الما قاله علي بن ابي
طالب رضي الله عنه • وقيل السحاب الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما ولهذا
قيل سحاب جهام وهو الخالي من الما واصل السحب الجر وسمي السحاب
سحابا اما لجر الريح له او لجره الما او لانجراره في سيره **ويسبح الرعد
بحمده** اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب
والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول ان عطف عليه
قوله **والملائكة من خيفته** واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف
عليه وجب ان يكون غيره واجيب عنه بانه لا يبعد ان يكون
الرعد اسم لملك من الملائكة وانما افرد بالذكر تشريفا له على غيره من
الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل قال ابن عباس اقبلت
يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ما
هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها حيث شا الله فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره

السحاب

السحاب حتى تنتهي حيث امرت قالوا صدقت اخرجه الترمذي مع
زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب الصبيان
بعضهم بعضا واراد به هنا آلة تزجر الملائكة السحاب بها وقد جا تفسيره
في حديث اخر وهو سوط من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن
عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته وهو على كل شي قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته وكان
عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح
الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض
شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوني لا
سقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت
الرعد • وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الرعد
ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يومر وان بحور الما في نقرة
ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السما الا رفع صوته
بالتسبيح فعندها ينزل المطر • وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك
الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد تسبيح لله عز وجل
لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقايص
فكان وجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليلا على وجود
موجود خالق قادر متعال عن جميع النقايص والا لم يكن ذلك في
الحقيقة تسبيحا • ومنه قوله وان من شي الا يسبح بحمده • وقيل المراد من
تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه
وقوله والملائكة من خيفته يعني وتسبح الملائكة من خيفة الله
عز وجل وهيبته وخشيته • وقيل المراد بهولا الملائكة اعوان السحاب
جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب اعوانا من الملائكة فهم
خايفون خاضعون طايعون • وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله
على العموم **ويرسل الصواعق** جمع صاعقة وهي العذاب النازل من
البرق فيحرق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو
ثم يكون فيه نارا وعذابا او موت وهي في ذاتها شي واحد وهي الاشيا
الثلاثة تنشا منها **فيصيب بها** يعني بالصواعق **من يشا** يعني فيهلكه
بها كما اصاب اربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب
المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر **وهم يجادلون في الله** يعني يخاصمون
في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله
من جدلت الحبل اي احكمت فتله نزلت في شان اربد بن ربيعة حين
قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك من در ام ياقوت ام ذهب فنزلت

صاعقة من السما فاحرقته وسيل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق
الاية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله
عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم
اخبروني عن رب محمد هذا الذي يدعوني اليه مما هو من ذهب او فضة
او حديد او نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على
الله منه فقال ارجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيا وقال
اجيب محمدا الى رب لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى شيا
بل قال اخبث فقال ارجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه
وهو لا يزيدهم على مقالته شيا اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق روسهم
فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس عنده
فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم استقبلهم نفر من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم
ذلك قالوا قد اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله اختلفوا في هذه الواو
فقيل هي واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشا في حال جداله
في الله وذلك ان اربد لما جادل في الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل
انها واو الاستيناف فيكون المعنى انه تعالى لما تمم ذكر الدلايل قال
بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال اي شديد الاخذ
بالعقوبة من قولهم محل به محلا اذا اراده بسوء وقيل هو من قولهم محل به
اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة
واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدايه حتى
يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من الحول والحيلة
والميم زايدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال
فقال الحسن معناه شديد النقمة • وقال مجاهد وقتادة شديد القوة
وقال ابن عباس شديد الحول • وقيل شديد العقوبة • وقيل معناه
شديد الجدال وذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر انه
اشد جدالا منهم قوله تعالى له دعوة الحق يعني لله دعوة الصدق قال
علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله قال
صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان • احدهما ان يضاف الدعوة الى
الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة
على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان

الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سوله ان كان مصلحة
له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان توجه اليه الدعا لما في
دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا يجدي دعاوه الثاني
ان يضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي
يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق **فان قلت** ما وجه
اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت** اما على قصة اربد
فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت
الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على
مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعايه ان دعا عليهم
وقيل في معنى الاية الدعا بالاخلاص والدعا الخالص لا يكون الا لله تعالى
والذين يدعون من دونه يعني والذين يدعونهم الهة من دون الله
وهي الاصنام التي يعبدونها لا يستجيبون لهم بشي يعني لا يجيبونهم
بشي من نفع او دفع ضر ان دعوهم الا كباسط كفيه الى الما ليبلغ فاه
وما هو ببالغه يعني الا استجابة كاستجابة الما لمن بسط كفيه اليه
يطلب منه ان يبلغ فاه والما جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه
ولا يقدر ان يجيب دعاه او يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس
بدعايهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة
جدوى دعايهم لالهتهم بمن اراد ان يغترف الما بيديه ليشربه ولم يبلغ
طلبته فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته
من شربه وقيل ان القابض على الما ناشرا اصابعه لا يكون في يده منه شي
ولا يبلغ الى فيه منه شي كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع
ولا بيده منها شي • وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي يرى الما بعينه
من بعيد فهو يشير بكفيه الى الما ويدعوه بلسانه فلا ياتيه ابدا هذا
معنى قول مجاهد • وعن عطا كالعطشان الجالس على شفير البير وهو
يمد يده الى البير فلا هو يبلغ قعر البير ليخرج الما ولا الما يرتفع اليه
فلا ينفعه بسطة الكف الى الما ودعاوه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين
يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك • وقال ابن عباس كالعطشان اذا
اذا بسط كفيه لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما ولم يبلغ الما فاه ما دام
باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعايهم الاصنام
حيث لا تنفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله وما دعا الكافرين يعني
اصنامهم الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن
عباس في هذه الاية لان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى **قوله عز وجل**

وما دعاء الكافرين يعني اصنامهم الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس في هذه الاية لان اصواتهم محجوبة عن الله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الاية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملايكة ومن في الارض يعني المومنين طوعا وكرها يعني من المومنين من يسجد لله طوعا وهم المومنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المومنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا من المومنين • الوجه الثاني وهو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا القول في اللفظ اشكال وهو ان جميع الملايكة والمومنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول وجواب اخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس او جن فانهم يعترفون لله بالعبودية والتعظيم • ويدل عليه قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود وهو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال الغدو الغدوة والغداة من اول النهار وقيل الى نصف النهار والغدوة بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع اصيل وهو العشية والاصال العشايا جمع عشية وهو ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس • قال المفسرون كل شخص يسجد لله سوا ظل المومن والكافر وقال مجاهد ظل المومن يسجد لله طوعا وهو طايع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره • وقال الزجاج جا في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله • قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود • وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من

جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والاصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما **فصل** وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم قوله تعالى قل من رب السموات والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيهما والارض وما فيها فاذا اجابوك لذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض • وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد الله وانما جا السوال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شي فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله قل اي قل يا محمد للمشركين افاتخذتم من دونه يعني من دون الله اوليا يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموه انصارا يعني الاصنام لا يملكون يعني وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمومن الذي يعبد الله فقال تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير قال ابن عباس يعني المشرك والمومن ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمومن وكما لم تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا ام جعلوا لله شركاء هذا استفهام انكار يعني اجعلوا لله شركا خلقوا كخلقه يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم من هذا الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله تعالى ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه مثل خلقه فتشابه خلق الشركا بخلق الله عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق ساير الاشيا والشركا مخلوقون له ايضا لا يخلقون شيا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركا واذا كان الامر كذلك

فتدلّ لزمهم الحجة وهو قوله قل الله خالق كل شي اى قل يا محمد لهولاء
المشركين الله خالق كل شي مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل
شي من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شي وهو
غير مخلوق وهو الواحد يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشيا
كلها القهار لعباده حتى يدخلهم تحت قضايه وقدره وارادته
قوله عز وجل انزل من السما ما لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى
والمومن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب الله لذلك
مثلا فقال تعالى انزل من السما ما يعنى المطر فسالت اودية بقدرها
اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الما وقوله فسالت
اودية بقدرها فيه اتساع وحذف تقديره سال الما فى الوادي فهو كما
يقال جرى النهر والمراد جرى الما فى النهر فحذف المضاف لدلالة
الكلام عليه بقدرها • قال مجاهد بملئها • وقال ابن جريج الصغير
بقدره والكبير بقدره • وقيل بمقدار ملئها وانما انكر اودية لان المطر
اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل فى كل الاودية بل ينزل فى ارض دون
ارض ويسيل فى واد دون واد فلهذا السبب جا هذا بالتنكير وقال
ابن عباس انزل من السما ما يعنى قرانا وهذا مثل ضربه الله تعالى
فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران الجامع
الهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك
القران وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يسكن فيها الما وكذلك
القلوب يسكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القران فيها وهذا
خاص بالمومنين لانهم هم الذين انتفعوا بنزول القران ق عن ابى موسى
الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثنى الله
به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة
قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت
الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها
اخرى انما هى قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه
فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك
راسا ومن لم يقبل هدى الله الذى ارسلت به قال الشيخ محيى الدين
النواوى رحمه الله وغيره فى معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا
فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله وكان منها اجادب
فبالجيم والدال المهملة كذا وقع فى الصحيحين وهى الارض التى لا تنبت
الكلا جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب والجدب ضد الخصب
وقال الخطابى هى التى لا تمسك الما ولا يسرع فيه النضوب وفى رواية

الهروي

الهروى اخاذات بالخا المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهى الغدير
الذى يمسك الما وقوله وزرعوا كذا هو فى صحيح مسلم من الرعى ووقع
فى صحيح البخارى وزرعوا بزيادة زاى من الزرع والقيعان بكسر القاف
جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه فى دين
الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه الفهم
فى الاحكام واما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبى صلى الله عليه
وسلم ضرب مثلا لما جا به من الهدى والعلم بالارض التى اصابها
المطر قال العلما والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها
خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الارض الطيبة التى تنتفع
بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى
وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى والعلم
فيحيى به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه ويعلمه غيره فينتفع به
وينفع غيره • قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية
العلوم بما رزقت من صفا الفهوم • النوع الثانى من انواع الارض
ارض لا تقبل الانتفاع بنفسها لكن فيها فايدة لغيرها وهى امساك
الما لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثانى من
الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليس لهم افهام ثاقبة ينبغى ما
عندهم من العلم حتى يجى المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم
فياخذه منهم فينتفع به هو وغيره • النوع الثالث من انواع الارض
ارض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ما كذلك النوع الثالث من
الناس ليس لهم قلوب حافظة وافهام ثاقبة فاذا بلغهم شى من العلم
لا ينتفعون به فى انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله اعلم وقوله تعالى
فاحتمل السيل زبدا الزبد ما يعلوا على وجه الما عند الزيادة
كالحبب وكذلك ما يعلوا على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل
السيل الذى حدث من ذلك الما زبدا رابيا يعنى عاليا مرتفعا
فوق الما طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدا بمثل اخر فقال تعالى
ومما توقدون عليه فى النار الايقاد جعل الحطب فى النار لتتقد ثم
جعل تلك النار تحت الشى ليذوب ابتغا حلية يعنى لطلب زينة
والضمير فى عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين
لان الحلية لا تطلب الا منهما او متاع يعنى او لطلب متاع اخر مما
ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب ويتخذ به
الاوانى وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يمتع به ويقال لكل ما ينتفع

لينتفع

به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع زبد مثله
يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا ذيب فله ايضا زبد مثل
زبد الما فالصافي من الما ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به
وهو مثل الحق والزبد من الما ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع
به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق
والباطل فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد
الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفا يعني
ضايعا باطلا والجفا ما رمى به الوادي من الزبد الى جنباته وقيل
الجفا المتفرق يقال جفات الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل
وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب واما ما ينفع الناس يعني
الما الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب فيمكث
في الارض يعني يثبت ويبقى ولا يذهب كذلك يضرب الله الامثال
قال اهل التفسير والمعاني هذا امثل ضربه الله للحق والباطل
فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله
يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذي يعلوا
على الما فيذهب الزبد ويبقى الما الصافي الذي ينفع وكذلك الصفو
من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلوا الذي هو الكدر وهو ما ينفيه
الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل
وان علا في وقت فانه يذهب هو واهله والحق يظهر هو واهله
وقيل هذا مثل للمومن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الما
الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد
الذي لا ينتفع به البتة ● وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي
يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الازل لان الوادي اذا
سال كنس كل شي فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك النور
اذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه
ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفا
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني تذهب البواطل وهي
الاخلاق المذمومة وتبقى الحقايق وهي الاخلاق الحميدة كذلك
يضرب الله الامثال وقوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى
قيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله
الامثال للمومنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم
اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم
يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله يضرب الله الامثال للفريقين من

المومنين والكافرين ● وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله
الامثال ثم استانف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى
قال ابن عباس وهم هو المفترين يعني الجنة ● وقيل الحسنى هي
المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الحاصلة الخالية عن
شوايب المضرة والانقطاع والذين لم يستجيبوا له يعني الكفار الذين
استمروا على كفرهم وشركهم وماتوا عليه لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا يعني لبذلوا ذلك كله فدا لانفسهم من عذاب
النار يوم القيمة اوليك يعني الذين لم يستجيبوا لربهم لهم سوء
الحساب قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه
كله لا يغفر له منه شي وماواهم جهنم يعني في الاخرة جهنم وبيس المهاد
يعني وبيس ما مهد لهم في الاخرة ● وقيل المهاد الفراش يعني
وبيس الفراش يفرش لهم في جهنم **قوله تعالى** افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق يعني فيومنوا به ويعمل بما فيه كمن هو اعمى يعني
اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يومن بالقران ولا يعمل بما فيه
قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم
وابي جهل بن هشام ● وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل فالاول هو
حمزة او عمار والثاني هو الاعمى ابو جهل وحمل الاية على العموم اولى
حكما وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه
ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان
الاعمى لا يهتدي لرشده وهما واقعان في المهالك انما يتذكر اولوا
الالباب يعني انما يتعظ ذووا العقول السليمة الصحيحة وهم الذين
ينتفعون بالمواعظ والاحكام ● قوله عز وجل الذين يوفون بعهد الله
يعني الذين عاهدتم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم
واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال ● وقيل اراد بالعهد
ما اخذه على اولاد ادم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد
والميثاق ولا ينقضون الميثاق بل يوفون به فهو تاكيد لقوله
الذين يوفون بعهد الله والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصلون بينهم
بالايمان بهم ولا يفرقون بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة
الرحم ● عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم
وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته
او قال بتته اخرجه ابو داود والترمذي ق عن عايشة قالت قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني
وصله الله ومن قطعني قطعه الله **خ** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسى له في اثره
فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده
القطع قوله وان ينسى له في اثره ههنا الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع
للحياة وسابقها ومعنى ينسى يوخر والمراد به تاخير الاجل وهو على وجهين
احدهما ان يبارك الله له في عمره فكانه قد زاده فيه والثاني ان يزيد
في عمره زيادة حقيقة والله يفعل ما يشا **ق** عن جبير بن مطعم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال
سفين يعني قاطع رحم **خ** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي المواصل
من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة
في الاهل مثراة في المال منساة في الاجل اخرجه الترمذي وقوله تعالى
ويخشون ربهم يعني انهم مع وفايهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما
امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم
واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه **ويخافون سوء الحساب** تقدم
معناه **والذين صبروا** يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر
الله وقال عطا على المصايب والنوايب وقيل صبروا عن الشهوات
وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر على جميع
المامورات من ساير العبادات والطاعات وجميع اعمال البر وترك
جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي والحسد والحقد والغيبة
وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع
الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصايب واصل الصبر
حبس النفس عما يقتضيه العقل او الشرع او هما يقتضيان حبسها
عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكروا انما قيد الصبر بقوله
ابتغا وجه ربهم لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم
وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته على ما
تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا
يشمت به الاعدا فكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك
داخلا تحت قوله ابتغا وجه ربهم لانها لغير الله تعالى • النوع الثاني
الصبر المحمود وان يكون الانسان صابرا لله بما نزل به من الله طالبا
في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا اجره على الله وهذا هو الصبر الداخل

تحت قوله ابتغا وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلبه
رضوانه **واقاموا الصلاة** يعني الصلاة المفروضة • وقيل حمله على
العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام اركانها
وهياتها **وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** قال الحسن المراد به
الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك ادا الزكاة فالاولى ان يوديها سرا
وان كان متهما بترك ادا الزكاة فالاولى ان يوديها علانية • وقيل
المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يوديه الى
الامام • وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة
الواجبة وحمله على العموم اولى **ويدرؤن بالحسنة السيئة** قال
ابن عباس يدفعون بالصالح من العمل السيء وهو يعني قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيات ويدل على صحة هذا التاويل ما جاء في
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سية فاعمل
بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية • وروى
البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل
عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل
اخرى فانفكت اخرى حتى يخرج الى الارض • وقال ابن كيسان يدفعون
الذنب بالتوبة • وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر
بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة
والحلم الحسنة • وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا • وقال الحسن
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله
ابن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت
انما هي تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل
هذه الخلال من بعد اعمال البر ذكر بعدها ما اعد للعاملين بها
من الثواب فقال تعالى **اوليك** يعني من اتى بهذه الاعمال **لهم عقبى
الدار** يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب **جنات عدن** بدل
من عقبى الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به
يدخلونها يعني الذين تقدم وصفهم **ومن صلح من ابايهم وازواجهم
وذرياتهم** يعني ومن صدق من ابايهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم
قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير اعماله
الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى
قول الزجاج معناه صلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن
عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في اهله حيث

بشره بدخوله الجنة مع هولا فدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع
العامل الاتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة
لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فايدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا
في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وازواجهم
ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات
عنها او ماتت عنه وما روي انه لما كبرت سودة اراد النبي صلى الله
عليه وسلم طلاقها فسالته ان لا يفعل ووهبت يومها لعايشة
فامسكها رجا ان تحشر في جملة ازواجه كالدليل على ما ذكرناه وقوله
تعالى **والملايكة يدخلون عليهم من كل باب** يعني من ابواب الجنة
وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد بالتحية من الله
والتحف والهدايا **سلام عليكم** يعني يقولون سلام عليكم فاضمر القول
ههنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني يقولون لهم سلمكم الله من
الافات التي كنتم تخافون منها وادخلكم **بما صبرتم** في دار الدنيا على
الطاعات وترك المحرمات • وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا
يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعا من
الملايكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم • قال مقاتل ان الملايكة يدخلون
عليهم في مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا
والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم • وروي
البغوي بسنده عن ابي امامة موقوفا عليه قال ان المومن ليكون
متكيا على اريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند
طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملايكة الله يستاذن
فيقول للذي يليه ادنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستاذن فيقول
للذي يليه ملك يستاذن كذلك حتى يبلغ المومن فيقول ايذنوا
له فيقول اقربهم الى المومن ايذنوا له ويقول للذي يليه ايذنوا
كذلك حتى يبلغ اقصاهم للذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم
ثم ينصرف **فنعم عقبى الدار** يعني فنعم العقبى عقبى الدار • وقيل
معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه **والذين ينقضون عهد الله من
بعد ميثاقه** لما ذكر الله احوال السعدا وما اعد لهم من الكرامات
والخيرات ذكر بعده احوال الاشقيا وما لهم من العقوبات فقال تعالى
والذين ينقضون عهد الله ونقض العهد ضد الوفا به وهذا من صفة
الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وخالفوا امره
ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه على انفسهم من الاعتراف
والقبول **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يعني ما بينهم وبين

المومنين من الرحم والقرابة **ويفسدون في الارض** يعني بالكفر والمعاصي
اوليك يعني من هذه صفته **لهم اللعنة** يعني الطرد عن رحمة
الله يوم القيمة **ولهم سوء الدار** يعني النار لان منقلب الناس في
العرف الى دورهم ومنازلهم فالمومنون لهم عقبى الدار وهي الجنة
والكفار لهم سوء الدار وهي النار قوله تعالى **الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر** يعني يوسع على من يشا من عباده فيغنيه من
فضله ويضيق على من يشا من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا
امر اقتضته حكمة الله **وفرحوا بالحياة الدنيا** يعني مشركي مكة لما
بسط الله الرزق عليهم اشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب
بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح في الدنيا والركون اليها حرام
وما الحياة الدنيا يعني بالنسبة الى الاخرة **في الاخرة الا متاع** اي
قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر
ينتفع في الدنيا بها ثم تذهب كذلك الحياة في الدنيا لانها ذاهبة
لا بقا لها **ويقول الذين كفروا** يعني من اهل مكة **لولا انزل عليه اية
من ربه** يعني هلا انزل على محمد اية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى
قل اي قل لهم يا محمد **ان الله يضل من يشا** فلا تنفعه نزول الايات
وكثرة المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل وهو قوله **ويهدي اليه من
اناب** يعني ويرشد الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه
بكليته **الذين امنوا** بدل من قوله اناب **وتطمين قلوبهم** يعني وتسكن
قلوبهم **بذكر الله** قال مقاتل بالقران لان الطمانينة لقلوب المومنين
والطمانينة والسكون انما يكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون
بالشك **الا بذكر الله تطمين القلوب** يعني بذكر تسكن قلوب المومنين
ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم
اذا حلف بالله على شي سكن قلوب المومنين اليه **فان قلت**
اليس قد قال الله تبارك وتعالى في اول سورة الانفال انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الحزن وحصول
الاضطراب وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم بالوجل والطمانينة
وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد **قلت** انما يكون الوجل عند
ذكر الوعيد والعقاب والطمانينة انما يكون عند الوعد والثواب
فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمين اذا
ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه **الذين امنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم** اختلف العلما في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم
وقرة عين وقال عكرمة نعم لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية اخرى

عندالله هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اى اصبت خيرا
وقال ابراهيم النخعي خيرا لهم وكرامة • وقال الزجاج طوبى من الطيب
وقيل تاويلها الحال المستطابة لهم وهو كما استطاب في الجنة من
بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى
يقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين
وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشة • وروى عن ابى امامة
وابى هريرة وابى الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها
قال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي صلى الله
عليه وسلم في كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا
ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها
منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل • وقال مقاتل
كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروى
عن ابى سعيد الخدرى ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة
تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى
شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان
اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين
بغير سند • وروى بسنده موقوفا على ابى هريرة قال ان في الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود
فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذى انزل التوراة على موسى
والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا ركب حقة او جذعة
ثم دار باصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها
بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة
نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة • قال البغوى وبهذا الاسناد
عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب
عن ابى هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها
تفتقى لعبدى عما يشا فتفتق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها
كما يشا وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشا وعن
الثياب ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ق عن ابى
سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة
يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها ق عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير

الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخارى في روايته واقرؤا ان شئتم وظل
ممدود وقوله تعالى وحسن مآب يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع
ينقلبون ويرجعون اليه في الآخرة وهى الجنة **قوله عز وجل** كذلك
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم يعنى كما ارسلناك يا محمد
الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبيا قبلك الى امم قد خلت ومضت
لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك يعنى لتقرا على امتك الذى
اوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين وهم يكفرون بالرحمن قال
قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية
وذلك ان سهيل بن عمرو لما جا للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون
مسيلمة الكذاب اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم
يكفرون بالرحمن يعنى انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الآية
مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو في
الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرجع ابو جهل الى المشركين
وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن
ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله ادعوا
الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى • وروى الضحاك
عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله
عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى قل اي
قل يا محمد ان الرحمن الذى انكرتم معرفته هو ربى لا اله الا هو عليه
توكلت يعنى عليه اعتمدت في امورى كلها واليه متاب يعنى واليه
توبتى ورجوعى قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية نزلت
في نفر من مشركى مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابى امية
جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتاهم
وقيل مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله
ابن ابى امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فاذهبها
عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا انهارا وعيونا
لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على
ربك من داود حيث سخر له الجبال يسبحن معه او سخر لنا الريح لنركبها
الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت
فلست باهون على ربك من سليمان او احى لنا جدك قصيا او من شئت
من موتانا لنسأله عن امرك احق ما تقول ام باطل فان عيسى كان

يحيى الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله تعالى هذه الاية
ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض او قطعت به
الارض يعنى شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى باحيايهما
واختلفوا فى جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفا
بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو ان قرانا فعل به كذا لكان هذا
القران فهو كقول الشاعر •

• فاقسم لو شيء اتانا رسوله • سواك ولكن لم نجد لك مدفعا •

اراد لو شى اتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه
قال معناه لو فعل هذا بقران قبل قرانكم لفعل بقرانكم وقال
اخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا
سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن
ولم يومنوا به لما سبق فى علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شى قبلا ما كانوا ليومنوا ثم قال تعالى
بل لله الامر جميعا يعنى فى هذه الاشيا وفى غيرها ان شا فعل وان لم يشا لم
يفعل افلم يياس الذين امنوا قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبى
هى لغة النخع وقيل لغة هوازن واختلف اهل اللغة فى هذه اللفظة
فقال الليث وابو عبيد الم يياس الم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول
الشاعر •

• اقول لهم بالشعب اذ ياسروننى • الم تياسوا انى ابن فارس زهدم •
يعنى الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر •

• الم يياس الاقوام انى انا ابنه • وان كنت عن ارض العشيرة نايئا •
يعنى الم يعلم الاقوام قال قطرب بيئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا وجه
هذه اللغة انما وقع الياس فى مكان العلم لان علمك بالشى يقينك به
يياسك من غيره • وقيل لم يرد ان الياس فى موضع كلام العرب للعلم
وانما قصد ان ياس الذين امنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم
بانتفايه فاذا معنى ياسهم يقتضى حصول العلم • وقال الكسايى ما
وجدت العرب تقول ييست بمعنى علمت قال وهذا الحرف فى القران
من الياس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهذه الايات اشراب المسلمين لذلك وارادوا ان يظهر
لهم اية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى افلم يياس الذين امنوا من
ايمان هولا ويعلموا علما يقينا ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا من
غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندى ان معناه افلم يياس الذين
امنوا من ايمان هولا لان الله لو شا لهدى الناس جميعا وحاصله ان

فى معنى الاية قولان احدهما ان يياس بمعنى علم والقول الثانى انه من
الياس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وتمسك اهل السنة بقوله
ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشا هداية جميع
الخلق ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة اى نازلة وداهية
تقرعهم بانواع البلا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل
والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم او تحل يعنى السرية او البلية قريبا
من دارهم وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم حتى ياتى
وعد الله يعنى بالنصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيمة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم
باعمالهم ان الله لا يخلف الميعاد والغرض منه تقوية قلب النبى صلى الله
عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد قوله
عز وجل ولقد استهزى برسل من قبلك وذلك ان كفار مكة انما
سالوا هذه الاشيا على سبيل الاستهزا فانزل الله هذه الاية تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كما طلبوا منك هذه الايات
على سبيل الاستهزا فكذلك قد استهزى برسل من قبلك فامليت
للذين كفروا يعنى فامهلتهم واطلت لهم المدة ثم اخذتهم يعنى
بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم فى الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفى
الاخرة بالنار فكيف كان عقاب يعنى فكيف كان عقابى لهم افمن هو
قايم على كل نفس بما كسبت يعنى افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها
وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت
ويعاقبها ان اسات وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقايم بل هو
عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهى
الاصنام التى لا تضر ولا تنفع وجعلوا لله شركا يعنى وهو المستحق للعبادة
لا هذه الاصنام التى جعلوها لله شركا قل سموهم يعنى له وقيل صفوهم
بما يستحقون ثم انظروا هل هى اهل لان تعبد ام تنبيونه يعنى ام يخبرون
الله بما لا يعلم فى الارض يعنى انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف
يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان
لعلمه والمراد من ذلك نفى العلم بان يكون له شريكا ام بظاهر من القول
يعنى انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لا
اصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته بل زين
للذين كفروا مكرهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر انما فسر
المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين

في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر
احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القا الوسوسة
فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل عليه
سياق الاية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله **وصدوا
عن السبيل** قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن الدين سبيل والرشد
والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ
وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا غيرهم عن الايمان **ومن يضلل
الله فما له من هاد** الوقف عليه بسكون الدال وحذف اليا قراءة اكثر
القرا **لهم عذاب في الحياة الدنيا** يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما
فيه غيظهم **ولعذاب الاخرة اشق** يعني اشد واغلظ لان المشقة غلظ
الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من
الشق الذي هو الصدع **وما لهم من الله** اي يعني من عذاب الله **من
واق** يعني من مانع يمنعهم من عذابه قوله **مثل الجنة التي وعد المتقون**
يعني اي صفة الجنة التي وعد المتقون **تجري من تحتها الانهار اكلها
دايم** اي لا ينقطع ابدا **وظلها** يعني انه دايم ابدا لا ينقطع وليس في
الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الاية
رد على جهم واصحابه بقول ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الاية دليل
على حركات اهل الجنة لا ينتهي الى سكون دايم كما يقول ابو الهذيل
واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الاية ان الجنة لم تخلق بعد
قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب ان يفنى وينقطع اكلها
لقوله كل شي هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة مخلوقة لقوله
اكلها دايم قال ولا ينكر ان يكون في السموات جنات كثيرة يتمتع بها
الملايكة ومن يعد حيا من الانبيا والشهدا وغيرهم على ما روي
لا ان الذي يذهب اليه ان الجنة الخلد لم تخلق بعد ◦ **والجواب**
عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من اثنين احدهما قوله تعالى كل شي
هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دايم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص
على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلايل
الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى **تلك عقبى الذين اتقوا** يعني ان
عاقبة الذين اتقوا وهم اهل التقوى هي الجنة **وعقبى الكافرين النار**
يعني في الاخرة قوله تعالى **والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل
اليك** فالمراد بالكتاب قولان احدهما انه القران والذين اوتوه المسلمون
وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد

من

من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القران
ومن الاحزاب يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى **من ينكر بعضه** وهذا قول
الحسن وقتادة ◦ **فان قلت** ان الاحزاب من الكفار وغيرهم من
اهل الكتاب ينكرون بعض القران كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر
بعضه **قلت** ان الاحزاب لا ينكرون القران جملة لانه قد ورد فيه
اثبات الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول
الثاني ان المراد بالكتاب التورية والانجيل والمراد باهله الذين
اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن
اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون
من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقران كونهم امنوا به وصدقوه
ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى
وساير المشركين من ينكر بعضه ◦ وقيل كان ذكر الرحمن قليلا
في الابتدا فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب
ساءهم قلة ذكر الرحمن في القران مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر
الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القران فرحوا بذلك فانزل الله
الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب
يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله
الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة
الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما قال من
الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن
قل اي قل يا محمد **انما امرت ان اعبد الله** يعني وحده **ولا اشرك
به** شيا **اليه ادعوا** يعني الى الله والى الايمان به ادعوا الناس
واليه ماب يعني مرجعي يوم القيمة **وكذلك انزلناه حكما عربيا**
اي كما انزلنا الكتب على الانبيا بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يا
محمد هذا الكتاب وهو القران عربيا بلسانك ولسان قومك وانما
سمي القران حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام
والنقض والابرام فلما كان القران سببا للحكم جعل نفس الحكم على
سبيل المبالغة ◦ وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القران
والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى **ولين اتبعت اهواهم**
قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى ملة ابايه فتوعده الله على اتباع اهوايهم في ذلك وقال

ابن السايب المراد به متابعة اباءهم في الصلاة الى بيت المقدس
بعد ما جاءك من العلم يعني بانك على الحق وان قبلتك هي
الكعبة وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة
والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان
من هو ارفع منزلة واعظم قدرا واعلى مرتبة اذا حذر كان غيره
ممن هو دونه بطريق الاولى **ما لك من الله من ولي ولا واق**
يعني من ناصر ولا حافظ قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك روى
ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون محمدا صلى
الله عليه وسلم ليس له همة الا في النسا فعابوا عليه ذلك وقالوا
لو كان يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان مشتغلا
بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما
عابوه به بقوله عز وجل **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك** يا محمد
وجعلنا لهم ازواجا وذرية فانه قد كان لسليمان عليه السلام
ثلاث مائة امراة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك ايضا في نبوته
وكان لابيه داود عليه السلام مائة امراة فلم يقدح ذلك ايضا
في نبوته فكيف يعيبوا عليك ذلك ويجعلوه قادحا في نبوتك
والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون ويشربون وينكحون
وما جعلناهم ملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون **وما
كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله** هذا جواب لعبد الله بن
ابي امية وغيره من المشركين الذين سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الايات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير
هذا الجواب ان المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عنها البشر
عن مثلها البشر فما لهم ان يقترحوا عليه شيا واتيان الرسول
بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشية الله عز وجل فان شا
اظهرها وان شا لم يظهرها **لكل اجل كتاب** وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما
استبطاوا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله فاخبر الله ان لكل
قضاه كتاب وقد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا
يتاخر والمعنى ان لكل اجل اجله الله كتاب قد اثبت فيه ٥
وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى
ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه **يمحو الله ما يشا**

ويثبت

ويثبت وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك
الا انه يقوله من تلقا نفسه **فاجاب** الله عن هذا بقوله يمحو الله
ما يشا ويثبت • قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشا من الشرايع
والفرايض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشا من ذلك فلا ينسخه ولا
يبدله وقال ابن عباس يمحو الله ما يشا ويثبت الا الرزق والاجل
والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عن حذيفة
ابن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر
بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها
وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام
انثى فيقضي ربك ما يشا فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول
ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضي
ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على
امر ولا ينقص اخرجه مسلم **ق** عن ابن مسعود قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم
يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات يكتب
رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي
لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان
احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها **فان قلت**
هذا الحديث والذي قبله صريح بان الاجال والارزاق مقدورة
وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل ٥
فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد
شقيا او سعيدا او قد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد
في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله
ما يشا ويثبت **قلت** قد تقرر بالدلايل القطعية ان الله عالم
بالاجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو
عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت
قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب
العلما عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم يزيد في العمر باجوبة

الصحيح منها ان هذه الزيادة يكون بالبركة في عمره بالتوفيق
للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة وصيانتها عن
الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انها بالنسبة الى
ما يظهر للملايكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة
الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعين سنة وقد علم الله في
الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشا
ويثبت فهو بالنسبة الى ما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة
واما انقلاب الشقي سعيدا او السعيد شقيا فيتصور في الظاهر
ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذلك
العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد
يرتد المسلم والعياذ بالله فيموت على ردة فينقلب من السعادة
الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم
الله له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يبدل والله
اعلم واصل المحو ذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلما من
حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شي يقتضيه ظاهر اللفظ
فيزيد الله ما يشا في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقا
والايمان والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا يمحو الله
السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشا وروى
عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت
كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني على الشقاوة
فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشا
وتثبت وعندك ام الكتاب • وروي مثله عن ابن مسعود وقد
ورد في بعض الاثار ان الرجل قد يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام
فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند
وروى بسنده عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في اخر ثلث ساعات يبقين من الليل
فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد
غيره فيمحو ما يشا ويثبت ومن العلما من حمل معنى الاية على الخصوص
في بعض الاشيا دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم
المتقدم • وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم
فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول
القايل اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو
صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال

وه

الكلبي

الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شي ليس فيه
ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود
لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل
يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن
يمحو الله ما يشا يعني من جا اجله فيذهب به ويثبت من لم يجي اجله
وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشا من ذنوب عباده فيغفرها
ويثبت ما يشا فلا يغفرها • وقال عكرمة يمحو الله ما يشا من
الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب الحسنات • وقال السدي
يمحو الله ما يشا يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في
الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن
اراد ابقاه اثبته ورده الى صاحبه • وقيل ان الله يثبت في اول كل سنة
حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل
يمحو الله الدنيا ويثبت الاخرة • وقيل هذا في المحن والمصايب فهي
مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعا والصدقة • وقيل ان الله يمحو ما
يشا ويثبت ما يشا الا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
فان قلت مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف
القلم بما هو كاين الى يوم القيمة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات
قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا
يمحو شيا ولا يثبت شيا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب
القضا والقدر • مسالة استدلت الرافضة على مذهبهم في البدا بهذه
الاية قالوا ان البدا جايز على الله وهو ان يعتقد شيا ثم يظهر له
خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت والجواب
عن هذه المسالة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم
ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول
التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي
في تفسير هذه الاية وقوله تعالى **وعنده ام الكتاب** يعني اصل
الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمي اللوح المحفوظ
ام الكتاب لان جميع الاشيا مثبتة فيه ومنه ينسخ الكتب المنزلة وقيل
ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان يمحو الله
ما يشا منه ويثبت ما يشا وام الكتاب الذي لا يغير شي منه وروى
عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسماية عام من
درة بيضا له دفتان من ياقوت لله فيه كل يوم ثلثماية وستون لحظة
يمحو ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وسال ابن عباس كعبا عن ام الكتاب

فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون **واما نرينك** يعنى
يا محمد **بعض الذى نعدهم** يعنى من العذاب **او نتوفينك** يعنى
قبل ان نريك ذلك **فانما عليك البلاغ** يعنى ليس عليك الا تبليغ
الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ **وعلينا الحساب**
يعنى وعلينا ان نحاسبهم يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم **قوله
عز وجل اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها** يعنى اولم
ير كفار مكة الذين سالوا محمدا صلى الله عليه وسلم الايات انا نأتى
الارض يعنى ارض الشرك ننقصها من اطرافها قال اكثر المفسرين
المراد منه فتح بلاد الشرك فاما ما زاد فى الاسلام فقد نقص من
دار الشرك والمعنى اولم يروا انا نأتى الارض فنفتحها لمحمد صلى الله
عليه وسلم ارضا بعد ارض حوالى اراضيهم افلا تعتبرون فتتعظون
وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان
المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا واخربوا ما كان ذلك
نقصان ديارهم وزيادة فى دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من
اقوى الدلايل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر
دينه وينجز له ما وعده • وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا
انا نأتى الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم
مثل ذلك قال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة
والشعبى نحوه وهذا القول قريب من الاول • وقال عطا وجماعة
وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلما وذهاب الفقها ق
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفى رواية
من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلما حتى اذا لم يبق عالما
اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا
وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة فى الاسلام
لا يسدها شى ما اختلف الليل والنهار • وقال عبد الله ايضا
عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله • وقال سليمان لا يزال
الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الاخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم
الاخر هلك الناس • وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس
قال هلاك العلما فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلما والاشراف
من الناس • حكى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف
واستدل الواحدى بهذه اللغة بقول الفرزدق •
• واسال بنا وبكم اذا وردت • منا اطراف كل قبيلة من يمنع •

قال

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول
الاول اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر
الدين الرازى ويمكن ان يقال ان هذا الوجه ايضا لا يليق بهذا
الموضع وتقريره ان يقال اولم يروا ما يحدث فى الدنيا من الاختلاف
خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال
واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذى يؤمنهم
ان يقلب الله الامر على هولا الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا
عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه
ايضا يكون اتصال الكلام بما قبله **قوله عز وجل والله يحكم
لا معقب لحكمه** يعنى لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو
الذى يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا
حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه احد
بتغيير ولا نقص **وهو سريع الحساب** قال ابن عباس يريد سريع
الانتقام يعنى حسابه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار
بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم
بسط الكلام فى معنى سريع الحساب قبل هذا **وقد مكر الذين من
قبلهم** يعنى من قبل مشركى مكة من الامم الماضية مكروا بانبيايهم
والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر
نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى **فلله المكر جميعا**
يعنى عند الله جزاء مكرهم • وقال الواحدى يعنى جميع مكر الماكرين
له ومنه اى من هو خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير
والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته
وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم
كانه قيل قد فعل ممن كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا
مثل صنيعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك
وجب ان لا يكون الخوف الا من الله لا من احد من المخلوقين **يعلم ما
تكسب كل نفس** يعنى ان جميع اكتساب العباد وتاثيراتها معلومة
لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك
فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع
الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك
فكان الكل من الله ولا يحصل شر الا باذنه وارادته وفيه وعيد
للكفار الماكرين **وسيعلم الذين كفروا الكافر** وقرئ الكافر على

التوحيد قال ابن عباس يعنى ابا جهل وقيل اراد المستهزئين وهم
خمسة نفر من كفار مكة لمن عقبى الدار والمعنى انهم وان كانوا
جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة المحمودة للمومنين ولهم
العاقبة المذمومة في الاخرة حين يدخلون النار ويدخل المومنون
الجنة قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا لما انكر
الكفار كون محمد رسولا من عند الله امره الله بقوله قل اى قل يا
محمد لهولا الكفار الذين انكروا نبوتك كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم والمراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما
اظهر على يده من المعجزات الباهرات والايات القاهرات الدالة
على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله ومن عنده علم الكتاب
ايضا يشهد على صحة نبوتك يا محمد واختلفوا في الذى عنده علم
الكتاب من هو فروى العوفى عن ابن عباس انهم علما اليهود
والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة
ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا مرسل من الله لما يجد من
الدلايل الدالة على نبوتك فيهما شهد بذلك من شهد به وانكره
من انكره منهم وقيل انهم مومنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على
نبوتك قال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبى هذا
وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم بالمدينة وقال
يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام
فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن
ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول
يكون المعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما في
اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم • قال الزجاج الاشبه
ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا القول مشكل لان عطف
الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خارق الاصل فلا
يقال يشهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد والفقيه
لكن يشهد لصحة هذا القول في قراة من قرا ومن عنده علم الكتاب
بكسر الميم والدال وهى قراة ابن عباس وغيره على البنا للمفعول
والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراة قوله وعلمناه
من لدنا علما • وقيل معناه ان من علم ان القران الذى جئتكم به معجز
ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن
الغيوب وعن الامم الماضية فمن علمه بهذه الصفة كان شهيدا
بينى وبينكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

• تفسير سورة ابراهيم عليه السلام •

وهى مكية سوى ايتين وهما قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا الى اخر الايتين وهى احد وقيل اثنان وخمسون اية وثمانماية
واحدى وستون كلمة وثلاثة الاف واربعماية واربعة وثلاثون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
الر كتاب انزلناه اليك يعنى هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد
والكتاب هو القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس
من الظلمات الى النور يعنى بهذا القران والمراد من الظلمات
ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر
الدين الرازى وفيه دليل على ان طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق
الحق ليس الا واحد لانه تعالى قال ليخرج الناس من الظلمات الى النور
فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان
والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر
والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان ليس الا واحد باذن ربهم
يعنى بامر ربهم وقيل بعلم ربهم الى صراط العزيز الحميد يعنى الى
دين الاسلام وهو دينه الذى امر به عباده والعزيز هو الغالب
الذى لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد الله
قرى بالرفع على الاستيناف وخبره ما بعده وقرى بالجر نعتا للعزيز
الحميد وقال ابو عمرو قراة الخفض على التقديم والتاخير تقديره
الى صراط الله العزيز الحميد الذى له ما في السموات وما في الارض
يعنى ملكا وما فيهما عبيده وويل للكافرين يعنى الذين تركوا
عبادة من يستحق العبادة الذى له ما في السموات وما في الارض
وعبدوا من لا يملك شيا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة ما في
السموات والارض من عذاب شديد يعنى معد لهم في الاخرة ثم
وصفهم فقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة
يعنى يختارون الحياة الدنيا ويوثرونها على الاخرة ويصدون عن
سبيل الله اى ويمنعون الناس عن قبول دين الله ويبغونها عوجا
يعنى ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل
معناه يطلبون سبيل الله جايرين عن القصد وقيل الهاء في ويبغونها
راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق
لكن بجهة الحرام اوليك يعنى من هذه صفته في ضلال بعيد يعنى
عن الحق وقيل يكون المراد في ضلال ذى بعد او فيه بعد لان الضال
يبعد عن الطريق قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه

يعنى بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ليبين
لهم يعنى ما ياتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس
جميعا بدليل قوله يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل هو
مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات
شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب وذلك يقتضى
بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يكون وجه الجمع قلت
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس
تبع للعرب فكان مبعوثا الى الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث
الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بلسانهم بالسنتهم ويدعونهم الى
الله تعالى بلغاتهم ۝ وقيل يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده وفيهم
العرب وغير العرب فيدخل معهم غيرهم من جنسهم فى عموم الدعوى
وقيل ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو محمد
صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان اقرب
لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم فى ذلك فاذا فهموه وتنوقل عنهم
انتشر علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك
ممن هو من غير العرب واذا كان الكتاب واحد بلغة واحدة مع ۝
اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابلغ فى اجتهاد المجتهدين
فى تعليم معانيه وتفهيم فوايده وغوامضه واسراره وعلومه
وجميع حدوده واحكامه ۝ وقوله فيضل الله من يشا ويهدى
من يشا يعنى ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والبيان والله هو
الهادى المضل يفعل ما يشا وهو العزيز يعنى الذى لا يغلب ولا
يغلب الحكيم فى جميع افعاله قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى
باياتنا المراد بالايات المعجزات التى جا بها موسى عليه السلام
مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة
الباهرة ان اخرج قومك من الظلمات الى النور يعنى ان اخرج
قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذكرهم بايام
الله قال ابن عباس وابى بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى بنعم الله
وقال مقاتل بوقايع الله فى الامم السالفة يقال فلان عالم بايام
العرب اى بوقايعهم وانما اراد بما كان فى ايام الله من النعمة والنقمة
فاختصر بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى
هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد
فالترغيب والوعد ان يذكرهم ما انعم الله عليهم وعلى من قبلهم من امن

بالرسل

بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم باس الله
وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله ۝ وقيل بايام الله فى حق
موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت
ايدى القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم
ملوكا بعد ان كانوا مملوكين ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور
الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الصبور
والشكور بالاعتبار بالايات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم
المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالايات فكانها ليست
لغيرهم فهو كقوله هدى للمتقين ولان الانتفاع بالايات لا يمكن
حصوله الا لمن كان صابرا شاكرا اما من لا يكون كذلك فلا ينتفع
بها البتة واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم لما امر الله
عز وجل موسى عليه السلام ان يذكر قومه بايام الله امتثل ذلك
الامر وامرهم وذكرهم بايام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم
من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم فان
قلت قال فى سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون
بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذف الواو فى سورة البقرة
لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفى التفسير
لا يحسن ذكر الواو تقول جاءنى القوم زيد وعمرو اذا اردت تفسير
القوم واما دخول الواو هنا فى هذه السورة لان آل فرعون كانوا
يعذبونهم بانواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح ايضا فهو
كقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون نوع آخر من العذاب
لا انه تفسير للعذاب ويستحيون نساءكم يعنى يتركونهن احيا
وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم فان قلت كيف كان فعل آل
فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما
فعلوا كان ذلك بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى
الانجا وهو بلاء عظيم لان البلا يكون ابتلا بالنعمة والمحنة جميعا
ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق
لاول الاية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب
ان تذبيح الابناء بلاء فكيف يكون استحيا النساء بلاء قلت
كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء
واذ تاذن ربكم هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل واذكروا
نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ومعنى تاذن آذن اى اعلم ولا
بد فى تفعل معنى زيادة ليس فى افعل كانه قيل واذن ربكم

كم

ايذانا بليغا ينتفي عنده المشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذ
تاذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني اسرايل ما خولتكم من نعمة الانجا
وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم يعني نعمة
الى نعمة ولامنا عفي لكم ما اثبتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود
وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور
النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه
وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد
اذا اشتغل بمطالعة اقسام انعم الله عز وجل عليه وانواع فضله
وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعم وذلك يوجب المزيد
وبذلك تتاكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف اعلى منه
وهو ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام
الصديقين نسال الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من
فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله ولئن كفرتم المراد منه
الكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة
الشكر ان عذابي لشديد يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها وقال
موسى ان تكفروا يعني انتم يا بني اسرايل ومن في الارض جميعا
يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود الى انفسكم وحرمتموها
الخير كله فان الله لغني عن جميع خلقه حميد اي محمود في جميع افعاله
لانه فيها متفضل وعادل الم ياتكم نبا يعني خبر الذين من قبلكم قوم
نوح وعاد وثمود قال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا خطابا
من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان يخوفهم بهلاك
من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون خطابا من الله على لسان موسى
لقومه يذكرهم بذلك امر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود
منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم والذين من بعدهم
يعني من بعد هولا الامم الثلاثة لا يعلمهم الا الله يعني لا يعلم كنه
مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شي الا يعلم من خلق
وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله هم اقوام وامم
ما بلغنا خبرهم اصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن
مسعود اذا قرا هذه الاية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون
علم النسب الى ادم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله
ابن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله
وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى ادم لانه
لا يعلم اوليك الا الله وقوله تعالى جاتهم رسلهم بالبينات يعني

بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات فردوا ايديهم في افواههم
وفي معنى الايدي والافواه قولان احدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان
المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه • قال ابن مسعود عضوا ايديهم
غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم
الى افواههم • وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاوا به
يقال رددت قول فلان في فيه اي كذبته • وقال الكلبي يعني ان
الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على
الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا • وقال مقاتل ردوا ايديهم
على افواه الرسل يسكتوهم بذلك • وقيل ان الامم لما سمعوا كلام
الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم
في افواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك على القول الثاني ان المراد
بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم ومعناه
ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد نعمة والمراد
بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم
وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق ولم يومنوا به
يقال فلان رد يده الى فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا
القول فيه لا بعد لانهم قد اجابوا بالتكذيب وهو ان الامم ردوا
على رسلهم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به يعني انا كفرنا بما زعمتم ان
الله ارسلكم به لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا اليهم لانهم لو اقروا بان
الرسل ارسلوا اليهم لكانوا مومنين وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
مريب يعني موجب الريبة او موقع في الريبة والتهمة والريبة
قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذي تشك فيه فان قلت
انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولوا ثانيا وانا لفي
شك والشك دون الكفر او داخل فيه قلت انهم لما صرحوا
بكفرهم بالرسل كانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم
ندع الجزم في كفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في ذلك
قالت رسلهم يعني مجيبين لاممهم افي الله شك يعني هل تشكون
في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه فاطر السموات والارض
يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما
فيهما يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا امنتم
وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها اصل ليست بصلة وعلى هذا انهم
يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ويوخر
الى اجل مسمى يعني الى حين انقضا اجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب

كم

قالوا يعني الامم مجيبين للرسل ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا يعني
في الصورة الظاهرة لستم ملائكة تريدون ان تصدونا عما كان يعبد
اباؤنا يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن الهتنا التي كان اباؤنا
يعبدونها فاتونا بسلطان مبين يعني بحجة بينة واضحة على صحة
دعواكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني ان الكفار لما قالوا
لرسلهم ان انتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين ان الامر كما وصفتم
فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب
العظيم الشريف وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله يعني
وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة ان
ناتيكم باية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في
ذلك وعلى الله فليتوكل المومنون يعني في دفع شرور اعدائهم
عنهم وما لنا ان لا نتوكل على الله يعني ان الانبياء ايضا قالوا قد عرفنا
انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقدره نحن نثق به ونتوكل عليه في دفع
شروركم عنا وقد هدانا سبلنا يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا
الرشد ولنصبرن لان القسم لتقديره والله لنصبرن على ما اذيتمونا
يعني به من قول او فعل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فان قلت
كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت
نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني
فيه اشارة السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته
فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا يعني ليكونن احد الامرين
اما اخراجكم ايها الرسل من بلادنا وارضنا واما عودكم الى ملتنا فان
قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يعودوا
فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير
في كلام العرب وفيه وجه اخر وهو ان الانبياء عليهم السلام قبل الرسالة لم
يظهر خلاف اممهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله
قالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم
واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشاوا على التوحيد لا
يعرفون غيره فاوحى اليهم ربهم يعني ان الله تعالى اوحى الى رسله
وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات لنهلكن الظالمين
يعني ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ولنسكننكم الارض
من بعدهم يعني من بعد هلاكهم ذلك يعني ذلك الاسكان لمن خاف

مقامي

مقامي يعني خاف قيامه بين يدي يوم القيمة فاضاف قيام العبد
الى نفسه لان العرب قد تضيف افعالها الى انفسها نحو قولهم ندمت
على ضربي اياك وندمت على ضربك مثله وخاف وعيد اي وخاف عقابي
قوله عز وجل واستفتحوا يعني واستنصروا قال ابن عباس يعني
الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هولاء الرسل صادقين فعذبنا
وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على اممهم وذلك انهم لما يئسوا
من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب وخاب
يعني وخسر وقيل هلك كل جبار عنيد والجبار في صفة الانسان يقال
لمن تجبر نفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق
الانسان • وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه احدا • وقيل الجبار المتعظم
في نفسه المتكبر على اقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله
مجاهد • وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق • وقال مقاتل هو
المتكبر وقال قتادة هو الذي يابى ان يقول لا اله الا الله • وقيل العنيد
المعجب بما عنده • وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف من ورائه
جهنم يعني من امامه وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد
يعني انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى امام • وقال الاخفش
هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني انه سياتيك ويسقى يعني
في جهنم من ماء صديد وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل
ذلك شراب اهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من
فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله يتجرعه اي يتحساه ويشربه
لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته
ونتنه ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب
في الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين كاد صلة المعنى
يتجرعه ولا يسيغه • وقال صاحب الكشاف دخل كاد للمبالغة
يعني ولا يقارب ان يسيغه اي يسيغه بعد ابطاء لان العرب
تقول ما كدت اقوم اي قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على اصلها
وليس بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا
يسيغه ويسيغه ليغلي في جوفه • عن ابي امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال
يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة
راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا ماء
حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال

حديث غريب قوله وقعت فروة راسه اى جلدة راسه شبهها
بالفروة للشعر الذى عليها وقوله تعالى ويأتيه الموت من كل
مكان يعنى ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان من اعضايه
وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه
الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه
وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه
عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه
فتنفعه الحياة ومن ورائه يعنى امامه عذاب غليظ اى شديد
وقيل هو الخلود فى النار قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف هذا الكلام مستانف منقطع
عما قبله وهو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما يقص
او فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى
فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد وقال الفرا مثل اعمال الذين
كفروا بربهم كرماد فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف
اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد
معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به
الريح يعنى فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيا فى يوم عاصف وصف اليوم
بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم
بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر يوجد فيه وقيل معناه
فى يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه
الله لاعمال الكفار التى لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل
وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به
وتفرق اجزاوه بحيث لا يبقى منه شى وكذلك اعمال الكفار تذهب
وتبطل بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شى • ثم اختلفوا فى هذه
الاعمال ما هى فقيل هى ما عملوه من اعمال الخير فى حال الكفر كالصدقة
وصلة الرحم وفك الاسير واقرا الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من
اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا ينتفع بها
صاحبها يوم القيمة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها كلها وقيل
المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التى ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت
ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فى الدهر الطويل
لكى ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم • وقيل اراد بالاعمال التى عملوها فى
الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذى

ذرته الريح وصار هبا لا ينتفع به وهو قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا
يعنى فى الدنيا على شى يعنى من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون
ثواب اعمالهم فى الاخرة ذلك هو الضلال البعيد يعنى ذلك الخسران
الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا
الذى لا يرجى عوده الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق يعنى
لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح ان يشا
يذهبكم يعنى ايها الناس ويات بخلق جديد يعنى سواكم اطوع لله
منكم والمعنى ان الذى قدر على خلق السموات والارض فانه يقدر على
افنا قوم واماتتهم وايجاد خلق اخر سواهم كان الاولى لان القادر
لا يصعب عليه شى قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد اميتكم يا معشر
الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع وما ذلك على الله بعزيز
يعنى بممتنع لان الاشيا كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله
عز وجل وبرزوا لله جميعا يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله
ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضا وبرز حصل فى البراز
وذلك ان يظهر بذاته كله والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى
الفضا واورد بلفظ الماضى وان كان معناه الاستقبال لان كل ما اخبر
الله عنه فهو حق وصدق وكاين لا محالة فصار كانه قد حصل ودخل
فى الوجود فقال الضعفا يعنى الاتباع للذين استكبروا وهم القادة
الروسا انا كنا لكم تبعا يعنى فى الدين والاعتقاد فهل انتم يعنى فى
هذا اليوم مغنون عنا يعنى دافعون عنا من عذاب الله من شى
من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض
عذاب الله الذى حل بنا قالوا يعنى الروسا القادة والمتبوعين
للتابعين لو هدانا الله لهديناكم يعنى لو ارشدنا الله لارشدناكم
ودعوناكم الى الهدى ولكن لما اضلنا دعوناكم الى الضلالة سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا يعنى مستوى علينا الجزع والصبر والجزع
ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه ما لنا
من محيص يعنى من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل
يقولون فى النار تعالى نجزع فيجزعون خمسماية عام فلا ينفعهم الجزع
فيقولون تعالى نصبر فيصبرون خمسماية عام فلا ينفعهم الصبر فعند
ذلك يقولون سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال
محمد بن كعب القرظى بلغنى ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال
الله وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما
من العذاب فردت الخزنة عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات

قالوا ازددت الخزنة ادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا
مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا الموت فلا
يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة
مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال
بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا
فصبروا فطال صبرهم فلم ينفعهم فجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا
سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قوله تعالى وقال
الشيطان يعني ابليس لما قضى الامر يعني فرغ منه وادخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم
فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع اليه اهل النار
يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله بقوله ان الله وعدكم وعد الحق
فيه اضمار تقديره فصدق في وعده ووعدتكم فاخلفتكم يعني الوعد
وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار وما كان لي عليكم
من سلطان يعني من ولاية وقهر وقيل لم اتيكم بحجة فيما وعدتكم به
الا ان دعوتكم هذا استثنا منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لي
فلا تلوموني ولوموا انفسكم يعني ما كان مني الا الدعا والقا الوسوسة
وقد سمعتم دلايل الله وجاتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا
الي ولا تسمعوا قولي على الدلايل الظاهرة فكان اللوم بكم اولى باجابتي
ومتابعتي من غير حجة ولا دليل ما انا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم
وما انتم بمصرخي يعني لمغيثي ولا منقذي مما انا فيه اني كفرت بما
اشركتموني من قبل يعني كفرت بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرات
من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا
لله وتبرا من ذلك ان الظالمين لهم عذاب اليم روى البغوي بسنده عن
عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر
الحديث الى قوله فياتوني فياذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي من
اطيب ريح شمها احد حتى اتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر راسي
الى ظفر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المومنون من يشفع لهم فمن يشفع
لنا فيقولون ما هو غير ابليس الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد
المومنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا فانك انت اضللتنا فيقوم
فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم تعظم لجهنم ويقول عند ذلك ان
الله وعدكم وعد الحق الاية وقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما شرح الله عز وجل حال
الكفار الاشقيا بما تقدم من الايات الكثيرة شرح احوال المومنين

السعدا وما اعدلهم في الاخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك
ان الثواب منفعة خالصة دايمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الحاصلة
اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار وكونها دايمة اشير اليه بقوله خالدين فيها
والتعظيم حصل من وجهين احدهما قوله باذن ربهم لان تلك المنافع
انما كانت تفضلا من الله وانعامه الثاني قوله تحيتهم فيها سلام
فيحتمل ان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة او الملايكة يحيهم بها او الرب
سبحانه وتعالى يحيهم بها ويحتمل ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة
سلموا من جميع الافات لان السلام مشتق من السلامة قوله
عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة لما شرح
الله عز وجل احوال الاشقيا واحوال السعدا ضرب الله مثالا فيه حكم
هذين القسمين فقال تعالى الم تراي بعين قلبك فتعلم علم يقين ٥
باعلامي اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله
عليه وسلم ويدخل معه غيره ويحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من
الناس فيكون المعنى الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني
بين شبها والمثل عبارة عن قول في شي يشبه قولا في شي اخر بينهما مشابهة
ليتبين احدهما من الاخر ويصوره وقيل هو قول ساير لتشبيه شي بشي
اخر كلمة طيبة وهي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجمهور المفسرين
كشجرة طيبة يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال
ابن مسعود وانس ومجاهد وعكرمة والضحاك ق عن ابن عمر قال
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة شبه
الرجل او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا توتي اكلها كل
حين قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر لا يتكلمان
فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها
النخلة فقال ما منعك ان تتكلم قال لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم
او اقول شيا فقال عمر لان تكون قلتها احب الي من كذا وكذا وفي رواية
ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي
فوقع الناس في شجر الوادي قال عبد الله ووقع في نفسي انها النخلة
فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية
عن ابن عباس انها شجرة في الجنة • وفي رواية اخرى عنه انها المومن
وقوله اصلها ثابت يعني في الارض وفرعها يعني اعلاها في السما يعني
ذاهبة في السما توتي اكلها يعني ثمرها كل حين باذن ربها يعني بامر

ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا
في مقداره هنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان
النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة
اشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن
عباس ايضا • وقال علي بن ابي طالب ثمانية اشهر يعني ان مدة حملها
باطنا وظاهرا ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور حملها
الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت يوكل الى
صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعني كل غدوة وعشية لان ثمر
النخل يوكل ابدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء فيوكل منها الجمار والطلع
والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يوكل التمر
اليابس الى حين الطرى الرطب فاكلها دايم في كل وقت • قال العلما
ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص واصل الايمان
بالنخلة من اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في
قلب مومن كثبوت اصل هذه النخلة في الارض الوجه الثاني ان
هذه الكلمة ترفع عمل المومن الى السما كما قال تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع هذه النخلة ياتي في كل
حين ووقت وكذلك ما يكسبه المومن من الاعمال الصالحة في كل
وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمومن كلما قال لا اله الا الله صعدت
الى السما وجاء ببركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها • الوجه الرابع
ان النخلة شبيه بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طين
آدم وانها اذا قطع راسها تموت كالادمي بخلاف ساير الشجر فانه اذا
قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر • الوجه الخامس في
وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق ان الشجر لا تسمى شجرة
الا بثلاثة اشيا عرق راسخ واصل قايم وفرع عال وكذلك لا يتم
الايمان الا بثلاثة اشيا تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان
وقوله تعالى **ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** يعني ان
في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير للمعاني وتذكير وموعظ
لمن تذكروا تعظ وقوله تعالى **ومثل كلمة خبيثة** وهي الشرك **كشجرة
خبيثة** يعني الحنظل قاله انس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن
عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافر
لانه لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السما **اجتثت**
يعني استوصلت وقطعت **من فوق الارض ما لها من قرار** يعني
ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها اصل ثابت ولا فرع

الوجه الثالث ان ثمرة هذه النخلة عال في السما

صاعد

صاعد الى السما كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل
صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة
الخبيثة • عن انس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه
رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما
توتي اكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظل اخرجه
الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح قوله تعالى **يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت** لما وصف الله الكلمة الطيبة
في الاية المتقدمة اخبر في هذه الاية انه يثبت الذين امنوا بالقول
الثابت والقول الثابت هو الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا
الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الله الكلمة الخبيثة في الاية
المتقدمة وهي كلمة الشرك قال في هذه الاية ويضل الله الظالمين
يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله
في الحياة الدنيا يعني في القبر عند السوال **وفي الاخرة** يعني يوم القيمة
عند البعث والحساب والقول الذي عليه الجمهور اصح ويدل عليه
ما روى عن البرا بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول المسلم اذا سيل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وفي رواية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت قال نزلت في عذاب القبر • وفي رواية يقال له من ربك
فيقول الله ربي ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخاري
ومسلم **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد
اذا وضع في قبره وتولى وذهب عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم
اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا
الرجل محمد فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له
انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي
صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا • قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له
في قبره ثم رجع الى حديث انس • واما الكافر والمنافق وفي رواية
واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه
فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه
فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم بمعناه
زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى
يوم يبعثون واخرجه ابو داود عن انس وهذا لفظه ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا وضع في قبره اتاه ملك فيقول
ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول له ما
كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسال عن
شي بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان
لك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول
دعوني حتى اذهب فابشر اهلي فيقال له اسكن واذا الكافر او المنافق
اذا وضع في قبره اتاه ملك فينتهره فيقول ما كنت تعبد فيقول
لا ادري فيقال لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في
هذا الرجل فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق
من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين
اخرجه النسائي ايضا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا اقبر الميت او قال اذا اقبر احدكم اتاه ملكان اسودان
ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول
في هذا الرجل فيقال ما كان يقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك
تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال
له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذي
لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه
ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت
مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض
التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا
حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن
عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل
من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجلسنا حوله كانما على رؤسنا الطير وبيده عود
ينكت به في الارض فرفع راسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا
من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت
يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من
ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية ياتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان من ربك فيقول ربي الله فيقولان له وما دينك فيقول
ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول
هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرات كتاب الله وامنت
به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول

الثابت

الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ثم اتفقا قال فينادي مناد من
السما صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فياتيه
من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره • وان كان الكافر فذكر
موته قال فيعاد روحه في جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان
من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما دينك فيقول
هاه هاه لا ادري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول
هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السما ان قد كذب عبدي فافرشوه
من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فياتيه من حرها
وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه • زاد في رواية
ثم يقيض له اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار
ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين
فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح اخرجه ابو داود • عن عثمان بن عفان
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت
وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسالوا له التثبيت فانه الان
يسال اخرجه ابو داود • عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا
عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكا طويلا وحول وجهه
الى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله
بكذا او كذا فاقبل بوجهه فقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت
فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا
ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس بكم
وانظر ماذا اراجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة قيل
المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى اغاثهم في القبر
بسبب كثرة مواظبتهم على الشهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها
فمن كان مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان في قلبه اعظم فينبغي
للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته
من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكونه فلعل الله
عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبت في
القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه من خلاصه من عذاب الاخرة
نسال الله التثبت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله وكرمه
ومنه واحسانه انه على كل شي قدير • وقوله تعالى **ويضل الله الظالمين**
يعني ان الله تعالى لا يهدي المشركين الجواب بالصواب في القبر **ويفعل
الله ما يشا** يعني من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبت

وترك التثبت لا اعتراض عليه في جميع افعاله لا يسال عما يفعل وهم
يسالون **قوله عز وجل** الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ
عن ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم
كفار اهل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمر وهم قريش
ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار • وعن علي رضي الله عنه قال
هم كفار قريش نحروا يوم بدر • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الافجران
من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية اما بنوا المغيرة فقد كفيتموهم يوم
بدر واما بنوا امية فقد متعوا الى حين • فقوله بدلوا نعمة الله كفرا
معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله
اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ٥
فاختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز ان
يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب
هذه النعمة اتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوا بالكفر واحلوا
قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك
ثم فسرها بقوله تعالى جهنم يصلونها وبئس القرار يعني المستقر
وجعلوا لله اندادا يعني امثالا واشباها من الاصنام وليس لله
تعالى ند ولا شبه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبه والمثل علوا
كبيرا ليضلوا عن سبيله يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى
ودين الحق قل تمتعوا اي قل يا محمد لهولا الكفار عيشوا في الدنيا
اياما قلائل فان مصيركم الى النار يعني في الاخرة وقوله تعالى
قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة يعني اقيموا الصلاة الواجبة
واقامتها اتمام اركانها وينفقوا مما رزقناهم قيل اراد بهذا الانفاق
اخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع وجوه
الخير والبر وحمله على العموم اولى لانه يدخل فيه اخراج الزكاة
والانفاق في جميع وجوه البر سرا وعلانية يعني ينفقون اموالهم
في حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر صدقة التطوع
وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
قال ابو عبيدة البيع هنا الفدا يعني لا فدا في ذلك اليوم ولا خلال
يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون بين اثنين
وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شرا ولا مخاللة ولا قرابة انما هي
الاعمال اما ان يثاب بها او يعاقب عليها **فان قلت** كيف
نفي الخلة في هذه الاية وفي الاية التي في سورة البقرة واثبتها
في قوله الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **قلت**

الاية

الاية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة
ورعونة النفس والاية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة
على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الا تراه اثبتها للمتقين فقط
ونفاها عن غيرهم • وقيل ان ليوم القيمة احوالا مختلفة ففي بعضها
يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلا بعضهم على
بعض اذا كانت تلك المخالة لله في محبته **قوله عز وجل**
الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم اعلم انه قد تقدم تفسير هذه الاية في مواضع
كثيرة ونذكر هنا بعض فوايد هذه الاية الدالة على وجود الصانع
المختار القادر الذي لا يعجزه شي اراده فقوله الذي خلق السموات
والارض انما بدا بذكر خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات
المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل
من السما ما يعني من السحاب سمي السحاب سما لارتفاعه مشتق
من السمو وهو الارتفاع فاخرج به اي بذلك الما من الثمرات
رزقا لكم الثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا
بدليل قوله كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده وقوله
من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره لما ذكر الله انعامه بانزال المطر واخراج
الثمر لاجل الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن
الجارية على الما لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو
الثمرات وغيرها من بلد الى بلد اخر فهي من تمام نعم الله على عباده
وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجرونها حيث شيتم ولما كان ما البحر
لا ينتفع به في سقي الزروع والثمرات ولا في الشرب ايضا ذكر نعمته على
عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهي من
اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دايبين الداب
العادة المستمرة دايما على حالة واحدة ودايب في السير داوم عليه
والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دايبان فيما يعود الى مصالح
العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انقضا عمر الدنيا وذهابها
قال ابن عباس دوبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه
يدابان في مسيرهما وتاثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان
لان الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة والقمر سلطان
الليل وبه يعرف انقضا الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل
وانعامه على عباده وسخر لكم الليل والنهار يعني يتعاقبان في

الضيا والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على
عباده وتسخيره لهم **وآتاكم من كل ما سألتموه** لما ذكر الله تعالى
الانعام العظيمة التي انعم بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك
انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمراد آ
تالايات على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل شي سألتموه
شيا فحذف الشي الثاني اكتفا بدلالة الكلام على التبعيض وقيل
هو على التكثير يعني وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لان
نعمه علينا اكثر من ان تحصر **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**
يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها
لكثرتها **ان الانسان** قال ابن عباس يريد ابا جهل وقال الزجاج هو
اسم جنس ولكن يقصد به الكافر **لظلوم كفار** يعني ظلوم لنفسه كفار
بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر في
غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها
كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار
في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
البلد امنا** يعني ذا امن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة **فان قلت**
اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد
امنا **قلت** الفرق بينهما انه سال في الاول ان يجعلها من جملة
البلاد التي يامن اهلها فيها ولا يخافون وسال في الثاني ان يخرج
هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه
قال هو بلد مخوف فاجعله امنا **واجنبني وبني ان نعبد الاصنام**
يعني ابعدني وبني ان نعبد الاصنام **فان قلت** قد توجه
على هذه الاية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه
ان يجعل مكة امنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها
واخافوا اهلها الوجه الثاني ان الانبيا عليهم السلام معصومون
من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن
عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم سال ربه ايضا ان يجنب بنيه
عن عبادة الاصنام وقد وجد كثيرا من بنيه عبد الاصنام مثل كفار
قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم **قلت** الجواب عن الوجوه
المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما
ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بنا الكعبة دعا بهذا الدعا والمراد
منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر احدا
على اخراب مكة واورد على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين
من الحبشة اخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل
هذا البلد امنا يعني الى قرب القيمة وخراب الدنيا وقيل هو عام
مخصوص بقصة ذو السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه
الثاني ان يكون المراد اجعل هذا البلدين آمنين وهذا الوجه عليه
اكثر العلما من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة
بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس
من حولهم واهل مكة امنين من ذلك حتى ان من التجا الى مكة
امن على نفسه وماله وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من
الحرم امنت واستانست لعلمها انه لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر
من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه
الثاني من وجوه ايضا الوجه الاول ان دعا ابراهيم لنفسه لزيادة
العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني
ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله تعالى يعصمه من عبادة
الاصنام الا انه دعا بهذا الدعا هضما للنفس واظهارا للعجز
والحاجة والفاقة الى فضل الله ورحمته وان احدا لا يقدر على نفع
نفسه بشي لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعا
واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب
عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد
احد منهم صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده واولاد اولاده
الموجودين حالة الدعا ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد
اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن اذن الله في ان
يدعو له فكانه قال وبني الذين اذنت لي في الدعا لهم لان دعا
الانبيا مستجاب وقد كان من نسله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه
يكون هذا الدعا من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا
مختص بالمومنين من اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الاية
فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس
منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى **رب انهن** يعني الاصنام
اضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لا
تعقل شيا حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها
اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا
بسببها **فمن تبعني فانه مني** يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي
فانه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر

• اذا حاولت في اسد فجورا • فاني لست منك ولست مني •

اراد لست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه فانه مني حكمه كحكمي جار مجراي في القرب والاختصاص **ومن عصاني** يعني في غير الدين **فانك غفور رحيم** قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وسمح ابو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرايع وعقد التوحيد فانك غفور رحيم ان شيت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر من وجهين اخرين احدهما ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهذا يعتبر ان ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرا منهما والوجه الاخر ان قوله ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وتهديه الى الصواب

قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم **ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم** خ عن ابن عباس رضي الله عنه قال اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ما فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم ثم دعا بهولا الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت حتى اذا بلغت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت اسمعت ان كان عندك غواث

فاذا الملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف وفي رواية بقدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدى فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم • قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجا ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته اخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة واما تفسير الاية فقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي من للتبعيض اي بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع ومكة واد بين جبلين جبل ابي قبيس وجبل اجياد ومكة في واد بينهما عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسو وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزايرين له يحرمون على انفسهم اشيا كانت مباحة لهم من قبل وسمي عتيقا ايضا لانه اعتق من الجبابرة او من الطوفان **فان قلت** كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هنالك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك **قلت** يحتمل ان الله عز وجل اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمره فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع ايام الطوفان وقيل يحتمل

ان يكون المعنى عند بيتك المحرم الذى جرى فى سابق علمك
انه سيحدث فى هذا المكان **ربنا ليقيموا الصلاة** اللام فى ليقيموا
متعلقة باسكنت يعنى اسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل واولاده
بهذا الوادى الذى لا زرع فيه ليقيموا اى لاجل ان يقيموا او لكى
يقيموا الصلاة **فاجعل افئدة من الناس** قال البغوى جمع الوفد
تهوى اليهم اى تحن وتشتاق اليهم قال السدى امل قلوبهم الى
هذا الموضع قال ابن الجوزى افئدة من الناس اى قلوب جماعة
من الناس تحتمله جمع فؤاد • قال ابن الانبارى وانما عبر عن القلوب
بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد تجعل القلب والفؤاد جارحتين
وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع افئدة تجعلها جارحة واحدة
ولفظة من فى قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال افئدة
الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن
جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس
فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعى يقال هوى يهوى هويا اذا
اسقط من علو الى اسفل • وقال الفرا تهوى اليهم تريدهم كما تقول
رايت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوى تسرع
اليهم وقال ابن الانبارى معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا
قول اهل اللغة فى هذا الحرف • واما قول المفسرين فقال ابن
عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك • وقال قتادة تنزع اليهم وفى
هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم
وفيه دعا للمؤمنين بان يرزقهم حج البيت ودعا لسكان مكة من
ذريته لانهم ينتفعون بمن ياتى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد
جمع ابراهيم عليه السلام فى هذا الدعا من امر الدين والدنيا
ما ظهر بيانه وعمت بركته **وارزقهم من الثمرات** يعنى كما رزقت
سكان القرى ذوات الما والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب
مكة لتحصل تلك الثمار • وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات
الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله يجبى اليه ثمرات كل شى
وقوله **لعلهم يشكرون** يعنى لعلهم يشكرون هذه النعم التى انعمت
بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على
ان تحصيل منافع الدنيا انما هى ليستعين بها على اداء العبادات
واقامة الطاعات **ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن** يعنى تعلم
السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما
يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعا والطلب

انما

انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك
وافتقادا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة
اسمعيل وامه حيث اسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن يعنى من
البكاء • وقيل ما نخفى يعنى من الحزن المتمكن فى القلب وما نعلن
يعنى ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم
الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا **وما يخفى على الله
من شى فى الارض ولا فى السما** قيل هذا من تتمة قول ابراهيم يعنى
وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شى فى كل مكان وقال
الاكثرون انه من قول الله تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله
وكذلك يفعلون **الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل
واسحاق** قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين
سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنى عشر سنة وقال سعيد
ابن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى
قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من اعظم المنن
لانه سن الياس من الولد فلهذا اشكر الله على هذه المنة فقال الحمد
لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق **فان قلت**
كيف جمع بين اسحاق ويعقوب واسماعيل فى الدعا فى وقت
واحد وانما بشر باسحاق بعد اسمعيل بزمان طويل **قلت**
يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعا عندما بشر
باسحاق وذلك انه لما عظمت المنة عليه بهبة ولدين عظيمين
عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل
واسحاق ولا يرد على هذا ما ورد فى الحديث انه دعا بما تقدم عند
مفارقة اسمعيل وامه لان الذى صح فى الحديث انه دعا بقوله رب
انى اسكنت من ذريتى الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا
فيكون قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فى
وقت اخر والله اعلم بحقيقة الحال **ان ربى لسميع الدعا** كان ابراهيم
عليه السلام قد دعا ربه وسال الولد بقوله رب هب لى من الصالحين
فلما استجاب الله دعاه ووهبه ما سال شكر الله على ما اكرمه
به من اجابة دعايه فعند ذلك قال الحمد لله الذى وهب لى على
الكبر اسمعيل واسحاق **ان ربى لسميع الدعا** وهو من قولك سمع
الملك كلام فلان اذا اعتذر به وقبله **رب اجعلنى مقيم الصلاة**
يعنى ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها فى اوقاتها **ومن ذريتى**
اى واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من التى هى

للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد
في ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي واراد
بهم المومنين من ذريتي ربنا وتقبل دعاي سال ابراهيم عليه السلام
ربه ان يتقبل دعاه فاستجاب الله لابراهيم وتقبل دعاه بفضله ومنه
وكرمه ربنا اغفرلي فان قلت طلب المغفرة من الله انما
يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة له من ذلك الذنب
وقد ثبت عصمة الانبيا من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له
قلت المقصود منه الالتجا الى الله سبحانه وتعالى وقطع
الطمع من كل شي الا من فضله وكرمه والاعتراف بعبوديته لله تعالى
والاتكال على رحمته ولوالدي فان قلت كيف استغفر
ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اراد انهما ان اسلما وتابا
وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل
ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وللمومنين
اي واغفر للمومنين كلهم يوم يقوم الحساب يعني يوم يبدو ويظهر
فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذكر
الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعا للمومنين بالمغفرة
والله تعالى لا يرد دعا خليله ابراهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع
المومنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون الغفلة معنى تمنع الانسان من الوقوف على حقايق
الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ
والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تاويل الاية فالمقصود
منه انه تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم
واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه
مغفلا عنه قال سفين بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل فان قلت
يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت ان كان المخاطب به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان
عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها الذين امنوا امنوا اي اثبتوا
على ما انتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسابه
غافلا الاعلام بانه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شي وانه

ينتقم

ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه
معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ
عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى
الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سوال لان اكثر الناس غير عارفين
بصفات الله فمن جوز يحسبه غافلا فلجهله بصفاته انما يوخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتا
لا يطرف بهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما ترى
في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة مسرعين وهذا قول ابي عبيدة
فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من
شدة الخوف فانه يبقى واقفا باهتا فبين الله تعالى في هذه الاية
ان احوال اهل الموقف يوم القيمة بخلاف الحال المعتاد فاخبر
انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي
وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت مقنعي روسهم الاقناع
رفع الراس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعي روسهم الى
السما وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلا فانه يطرق ببصره
الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيمة الى السما لا ينظر احد
الى احد وهو قوله لا يرتد اليهم طرفهم اي لا ترجع اليهم ابصارهم
من شدة الخوف فهي شاخصة لا يرتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم
وافيدتهم هوا اي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم
فصارت في حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى
الاية ان افيدتهم خالية فارغة لا تعي شيا ولا تعقل من شدة الخوف
وقال سعيد بن جبير وافيدتهم هوا اي مترددة تهوي في اجوافهم
ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الاية ان القلوب يوميذ زايلة عن
اماكنها والابصار شاخصة والروس مرفوعة الى السما من هول ذلك
اليوم وشدته وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد بيوم القيمة
وهو قوله يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم
بالشرك والمعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة
قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يومنوا به فيمنعهم ذلك
وهو قوله نجب دعوتك ونتبع الرسل فاجيبوا بقوله او لم تكونوا
اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال يعني ما لكم عنها
انتقال ولا بعث ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح
وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف

كان عقوبتنا لهم اياهم **وضربنا لكم الامثال** يعني الامثال التي ضربها
الله عز وجل في القران ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من
شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى
لهم وكيف اهلكوا ان يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب
والهلاك **قوله عز وجل وقد مكروا مكرهم** اختلفوا في الضمير الى
من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن
الذين ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب
مذكور • وقيل ان المراد بقوله قد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول
الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم
ياتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بك وقوله **وعند الله مكرهم**
يعني جزا مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم
القيمة **وان كان مكرهم لتزول منه الجبال** يعني وان مكرهم لا ضعف
من ان تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى
الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي
طالب في الاية قولا اخر وهو انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج
ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقول له ابراهيم حقا فلا انتهي
حتى اصعد الى السما فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افرخ من النسور
فرباهن حتى شببن وكبرن واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من
اعلى وبابا من اسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات اربع في اطراف
التابوت وجعل على روس تلك الخشبات لحما احمر وقعد هو في التابوت
واقعد معه رجلا اخر وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت من اسفل
فجعلت النسور كلما رات اللحم طرن اليه فطارت النسور يوما اجمع حتى
بعدت في الهوا فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السما
هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السما كهيئتها فقال له افتح الباب
الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة
والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما اخر وارتفعت حتى
حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى
ففعل فاذا السما كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سودا مظلمة
فنودي ايها الطاغية اين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت
غلام قد حمل القوس والنشاب فاخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد اليه
السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر في الهوا وقيل طاير اصابه
السهم فلما رجع اليه ملطخا قال كفيت اله السما ثم امر نمرود صاحبه

ان يصوب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم ففعل وهبطت النسور
بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت
ان قد حدث حدث من السما وان الساعة قد قامت فكادت تزول
عن اماكنها فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال استبعد
بعض العلما هذه الحكاية وقال لان الخطر فيه عظيم وما يكاد عاقل
ان يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه
الا شك ولا مناسبة لهذه الحكاية بتاويل الاية البتة **فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله** يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد
به رسله من النصر واعلا الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله
واوليايه ومهلك اعدايه وفيه تقديم وتاخير تقديره فلا
تحسبن الله مخلف رسله وعده **ان الله عزيز** اي غالب **ذو
انتقام** يعني من اعدايه **قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات** ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين
احدهما انه تبدل صفة الارض والسما لا ذاتهما فاما تبديل الارض
فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقا ذاتها وهو ان تدكدك جبالها
ويسوى وهادها واوديتها وتذهب اشجارها وجميع ما عليها
من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شي الا ذهب وتمد مد الاديم
واما تبديل السما فهو ان ينتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها
ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وهذا القول
قال جماعة من العلما ويدل على صحة هذا القول ما روي عن
سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس فيها
علم لاحد اخرجاه في الصحيحين العفرا بالعين المهملة وهي البيضا
الى حمرة ولهذا اشبهها بقرصة النقي وهو الخبز الابيض الجيد
الفايق المايل الى حمرة كان النار ميلت بياض وجهه الى الحمرة
وقوله ليس فيها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل
هيئتها وزوال جبالها وجميع بنايها فلا يبقى فيها اثر يستدل
به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسما وهو قول جماعة
من العلما ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود
في معنى هذه الاية قال تبدل الارض بارض كالفضة بيضا نقية
لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطية • وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه الارض من فضة والسما من ذهب • وقال ابي بن كعب
في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسما جنانا وقال ابو

هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة
بيضا يا كل المومن من تحت قدميه • عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيمة خبزة
واحدة يتكفاها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا
لاهل الجنة اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه • قال الشيخ محيي
الدين النواوي في شرح هذا الحديث اما النزل فبضم النون والزاي
ويجوز اسكان الزاء وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة
بضم الخاء قال اهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفاها
بالخبز بيده اي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوى لانها
ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق
الله تعالى وتاويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله
شي ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالظلمة او الرغيف
العظيم ويكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شي قدير
فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع
بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث بكل
ما عمل عليها **قلت** وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل
اولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث اخبارها ثم بعد
ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم
ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن عايشة قالت سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال
على الصراط اخرجه مسلم • وروي ثوبان ان حبرا من اليهود سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل
الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند
ففي هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثاني مرة يكون بعد
الحساب والله اعلم بمراده • وقوله تعالى وبرزوا يعني خرجوا من قبورهم
لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب الواحد القهار صفتان
لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه
والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد • قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين
يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشي بالشي اذا شددته
معه في رباط واحد في الاصفاد يعني في القيود والاغلال قال ابن
عباس يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال ابن زيد تقرن ايديهم

وارجلهم

وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن
بعضهم الى بعض سرابيلهم يعني قميصهم واحدها سربال وقيل السربال
كل ما لبس من قطران القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر
والتوت كالزفت يدهن به الابل اذا اجربت وهو الهنا يقال هنات
البعير اهنوه بالهنا وهو القطران • قال الزجاج وانما جعل لهم
القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله
المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم ما يعرفون
وقرا عكرمة ويعقوب من قطرآن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس
المذاب والآن الذي انتهى حره وتغشى وجوههم النار يعني تعلوها
وتجللها ليجزي الله كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر ان الله سريع
الحساب يعني اذا حاسب عباده يوم القيمة هذا بلاغ للناس يعني
هذا القران فيه تبليغ وموعظة للناس ولينذروا به يعني وليخوفوا
بالقران ومواعظه وزواجره وليعلموا انما هو اله واحد يعني
وليستدلوا بهذه الايات على وحدانية الله تعالى وليذكر اولوا
الالباب يعني وليتعظ بهذا القران وما فيه من المواعظ
اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم
بمراده واسرار كتابه • **تفسير سورة الحجر مكية باجماعهم**
وهي تسع وتسعون اية وستماية واربع وخمسون كلمة والفان وسبعماية
وستون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز
وجل** الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته
السورة من الايات والمراد بالكتاب والقران المبين الكتاب الذي
وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القران للتفخيم والتعظيم
والمعنى تلك ايات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه
قرانا واي قران كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان
وقيل اراد بالكتاب التورية والانجيل لانه عطف القران على الكتاب
والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم
يجر للتورية والانجيل ذكر حتى يشار اليهما • وقيل المراد بالكتاب
القران وانما جمعهما بوصفين وان كانا الموصوف واحدا لما في ذلك
من الفايدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من
الحرام والحق من الباطل ربما قرئ بالتخفيف والتشديد وهما
لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها
الفعل تقول رب رجل جاني وربما جاني زيد وان شيت جعلت ما
بمنزلة شي كانك قلت رب شي فيكون المعنى رب ود يود الذين كفروا

وقيل ما في ربما بمعنى شيء اي رب شيء يود يعني يتمنى الذين كفروا لان التمني هو تشهي حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا **لو كانوا مسلمين** على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الاخرة وذلك حين يعاينون اهوال يوم القيمة وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين • وقال الزجاج ان الكافر كلما راى حالا من احوال العذاب وراى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما • وقيل اذا راى الكفار ان الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج الله المؤمن من النار • عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شا الله من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال والى هذا ذهب ابن عباس في رواية عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطا وابو العالية وابراهيم يعني النخعي **فان قلت** رب انما وضعت للتقليل وعنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين **قلت** قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعله ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلا يتحرزون من التعريض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به

في تحققه كانه قال ربما ود قوله تعالى **ذرهم ياكلوا ويتمتعوا** يعني دع يا محمد هولاء الكفار ياكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها **ويلههم الامل** يعني ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى **فسوف يعلمون** يعني اذا وردوا القيمة وذاقوا وبال ما صنعوا • وهذا فيه تهديد ووعيد لمن اخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم ياخذ بحظه من طاعة الله عز وجل • قال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وسوف يعلمون تهديد اخر فمتى يهنى العيش بين تهديدين وهذه الاية منسوخة باية القتال وفي الاية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يودي الى طول الامل وليس ذلك من اخلاق المومنين • قال علي بن ابي طالب انما اخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق **وما اهلكنا من قرية** يعني من اهل قرية واراد هلاك الاستيصال **الا ولها كتاب معلوم** انما اجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتاخر عنه ولا ياتيهم الا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ **ما تسبق من امة اجلها** من زايدة في قوله من امة كقولك ما جاني من احد يعني احدا وقيل هي على اصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي اكد ومعنى الاية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت او نزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر وهو قوله ولا يستاخرون وانما ادخل الها في اجلها لارادة الامة واخرجها من قوله **وما يستاخرون** لارادة الرجال قوله عز وجل **وقالوا** يعني مشركي مكة **يا ايها الذي نزل عليه الذكر** يعني القران وارادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم **انك لمجنون** انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنونا فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله واتى بهذا القران العظيم انكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزا وقيل معناه يا ايها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه واتباعه انك لمجنون في ادعايك الرسالة **لوما** قال الزجاج والفرا لوما ولولا لغتان ومعناهما يعني هلا **تاتينا بالملايكة** يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا **ان كنت من الصادقين** يعني في ادعايك الرسالة

ما ننزل الملائكة الا بالحق يعني بالعذاب او وقت الموت وهو
قوله وما كانوا اذا منظرين يعني لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا
ولم يوخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم
الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال
وعذبوا في الحال ان لم يومنوا ويصدقوا انا نحن نزلنا الذكر يعني
القران انزلناه عليك يا محمد وانما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر
جوابا لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه
هو الذي انزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم وانا له لحافظون
الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا للذكر الذي انزلناه على محمد
لحافظون يعني من الزيادة فيه او النقص منه او التغيير والتبديل
والتحريف فالقران العظيم محفوظ من هذه الاشيا كلها لا يقدر احد
من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه او ينقص منه حرفا واحدا
او كلمة واحدة وهذا مختص بالقران العظيم بخلاف ساير الكتب المنزلة
فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما
تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا
من الزيادة والنقصان • وقال ابن السايب ومقاتل الكناية في
له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد صلى الله عليه
وسلم حافظون ممن اراده بسوء فهو كقوله والله يعصمك من الناس
ووجه هذا القول ان الله تعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على
المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه
امرا معلوما الا ان القول الاول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لانه
اشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى اقرب المذكور اولى وهو الذكر
واذا قلنا ان الكناية عايدة الى القران وهو الاصح فاختلفوا في كيفية
حفظ الله عز وجل للقران فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا
مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانه
لو زادوا الزيادة فيه او النقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عاقل
عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك المراد ليس بقران • وقال اخرون ان الله
حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر احد من الخلق ان يعارضه وقال
اخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض
له العلما الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى اخر الدهر لان دواعي
جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا
على ذلك بحمد الله تعالى قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع

الاولين لما تجرى كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه
بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون واساوا الادب عليه فاخبر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع انبيايهم
كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبيا ففيه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الاية محذوف تقديره ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله
تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال
الفرا الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من
يتقوى بهم الانسان وينتشرون عنه فقوله في شيع الاولين من باب
اضافة الصفة الى الموصوف وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين السلوك النفاذ في الطريق والدخول
فيه والسلك ادخال الشي في الشي كادخال الخيط في المخيط ومعنى
الاية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزا في قلوب شيع الاولين
كذلك نسلكه اي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي قومك
وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي ابين اية في ثبوت القدر لمن
اذعن للحق ولم يعانده • قال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله
تعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن
امن بالقران فليستحسنه • وقال الامام فخر الدين الرازي احتج
اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب
الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه اي كذلك نسلك الباطل والضلال
في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل
هذا اللفظ فلا يمكن ان يكون الضمير عايدا اليه واجيب
عنه بانه تعالى قال وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون •
فالضمير في قوله كذلك نسلكه عايدا اليه والاستهزا بالانبيا كفر
وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين انه الكفر والضلال والله اعلم • وقوله تعالى لا يومنون
به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران وقد خلت سنة
الاولين فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم مثل
ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة
الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل
مكة ان يصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب ولو فتحنا عليهم بابا
من السما فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هولا الذين
قالوا لو ما تاتينا بالملائكة بابا من السما فظلوا يقال ظل فلان

يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما انهم الملايكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشفت عن هولا الكفار فرأوا ابابا في السما مفتوحا والملايكة تصعد فيه لما امنوا القول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظروا الى ملكوت السموات وما فيهما من الملايكة لما امنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى لقالوا انما سكرت ابصارنا قال ابن عباس سدت ابصارنا ماخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكون يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الاية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملايكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه فاخبر الله تعالى انهم لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما امنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة قوله عز وجل ولقد جعلنا في السما بروجا يعني البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثنى عشر برجا وهي • الحمل والثور • والجوزاء • والسرطان • والاسد • والسنبلة • والميزان • والعقرب • والقوس • والجدي • والدلو • والحوت • وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثماية وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال عطية هي قصور في السما عليها الحرس • وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام • قال ابو اسحق يريد نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت واصل هذا كله من الظهور وزيناها يعني السما بالشمس والقمر والنجوم للناظرين يعني للمعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي

ابصارهم

اوجد كل شي وخلقه وصوره وحفظناها يعني السما من كل شيطان رجيم اي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد ان يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القران فقالوا هذا والله حدث الا من استرق السمع هذا استثنا منقطع معناه لكن من استرق السمع فاتبعه اي لحقه شهاب مبين والشهاب شعلة من نار ساطع ثم سمي الكواكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السما يسترقون السمع من الملايكة فيرمون بالكواكب فلا تخطي سهم ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تخرق وجهه او جنبه او يده او حيث يشا الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي خ عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما **فصل** اختلف العلما هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما انه لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدو امره وكان ذلك اساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين وظاهر هذا الحديث

يدل على ان الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
فلما بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما روي ان يعقوب بن عتبة
ابن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من فزع للرمي بالنجوم
هذا الحي من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية
احد بني علاج وكان ادهى العرب فقالوا الم تر ما حدث في السما
من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم
التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانوا من الصيف والشتا
لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا
وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على
حالها فهذا الامر اراده الله بهذا الخلق • قال الزجاج ويدل
على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعرا العرب
الذين ذكروا البرق والاشيا المسرعة لم يوجد في شعرها ذكر الكواكب
المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت
الشعرا ذكرها قال ذو الرمة •

كانه كوكب في اثر عفرية • مقوم في سواد الليل منتصب •

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري
اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قال افرايت قوله انا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن
عباس قال اخبرني رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من
الانصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم
تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا
نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا
تبارك وتعالى اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السما
الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه السما ثم قال الذين
يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال
فيستخبر بعض اهل السما بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السما الدنيا
فتخطف الجن السمع فيقذفون الى اوليايهم فيرمون فما جاؤا به
على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم قال
ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة

بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابي حازم
وهو جاهلي •

والعير يرهقها الغبار وجحشها • ينقض خلفهما انقضاض الكوكب •

وقال اوس بن حجر وهو جاهلي •

فانقض كالدري يتبعه • نقع يثور تخاله طنبا •

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السما
وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله اعلم • وقوله تعالى **والارض
مددناها** يعني بسطناها على وجه الما يقال انها دحيت من تحت
الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة
انها كرة عظيمة بعضها في الما وبعضها خارج عن الما وهو الجزء
المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة
اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا ان
الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة اجاب اصحاب اهل التفسير
بان الله اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة
لاخبر بذلك والله اعلم بمراده وكيف هي الارض **والقينا فيها رواسي**
يعني جبالا ثوابتا وذلك ان الله تعالى لما خلق الارض على الما
مادت ورجفت فاثبتها بالجبال **وانبتنا فيها** اي في الارض لان
انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال
لانها اقرب مذكور ولقوله **من كل شي موزون** وانما يوزن ما يتولد
في الجبال من المعادن من كل شي موزون قال ابن عباس وسعيد
ابن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة اي مقدور فعلى هذا
يكون المعنى معلوم القدر عند الله لان الله تعالى يعلم القدر الذي
يحتاج اليه الناس في معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه
مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشيا الا بالوزن • وقال الحسن
وعكرمة وابن زيد انه عني به الشي الموزون كالذهب والفضة
والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن
لان هذه الاشيا كلها توزن • وقيل معنى موزون متناسب في الحسن
والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته
متناسبة حسنة وكلام موزون الحركات اذا كان متناسبا حسنا
بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال
نوعان احدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني
النبات فبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان

الصاع والمد مقدران بالوزن **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة
وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب
والملابس ونحو ذلك **ومن لستم له برازقين** يعني الدواب والوحش
والطير انتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق
على الله ومنه قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون
من في قوله ومن لستم بمعنى ما لان من لم يعقل ولا لمن لا يعقل وقيل
يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل لقوله فمنهم من يمشي على بطنه
وقيل اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويدخل معهم من
لا يعقل من الدواب والوحش **وان من شيء الا عندنا خزائنه** الخزائن
جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن
الشيء اذا احرزه وقيل اراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر
لانه سبب الارزاق والمعايش لبني ادم والدواب والوحش والطير
ومعناه عندنا انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره وقوله تعالى
وما ننزله الا بقدر معلوم يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض
حدا ومقدارا من المطر يقال لا ينزل من السما قطرة الا ومعها ملك
يسوقها الى حيث يشاء الله وقيل ان المطر ينزل من السما كل عام
بقدر واحد لانه لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم
اخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا
اراد الله بقوم شرا صرف عنهم المطر الى حيث لا ينتفع به كالبراري
والقفار دون العمران والبحار ونحو ذلك • وحكى جعفر بن
محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما
خلق الله في البر والبحر وهو قوله تاويل وان من شي الا عندنا خزائنه
وارسلنا الرياح لواقح قال ابن عباس يعني الشجر وهو قول الحسن
وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى
اليها الما فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب قال ابن مسعود
في تفسير هذه الاية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل
الما فتمجه في السحاب ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة • وقال
عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل
المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المولفة فتولف السحاب
بعضه الى بعض فيجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر
والاظهر في هذه الاية لقاحها السحاب لقوله بعده وانزلنا
من السما ما • قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السما الا
بعد ان يعمل الرياح الاربع فيها فالصبا يهيج السحاب والشمال

يجمعه

يجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابو عبيد لواقح هنا
بمعنى ملاقح ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج
يجوز ان يقال لها لواقح وان القحت غيرها لان معناها النسب كما
يقال درهم وازن اي ذو وزن • واعترض الواحدي على هذا
فقال هذا ليس بمعنى لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات
لقح حتى يوافق قول المفسرين • واجاب الرازي عنه بان قال
هذا ليس بشي لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غيره
اللقحة فله نسبة الى اللقحة • وقال صاحب المفردات لواقح اي
ذات لقاح • وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة والدليل
عليه قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت فعلى هذا تكون
الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب • قال الزجاج ويجوز ان
يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تات بخير
وورد في بعض الاخبار ان اللقح الرياح الجنوب • وفي بعض الاثار
ما هبت ريح الجنوب الا وانبعث عينا غدقة • وعن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم
اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك
من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به • وروى البغوي بسنده
الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي
صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن
عباس في كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم • وقال وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح
مبشرات وقوله تعالى **فانزلنا من السما ما** يعني المطر **فاسقيناكموه**
يعني جعلنا المطر لكم سقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا
وسقاه اذا اعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ما
ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ما لشرب ارضه او ماشيته
يقول اسقيته **وما انتم له** يعني المطر **بخازنين** يعني ان المطر
في خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين **وانا لنحن
نحيي ونميت** بيدنا احيا الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك احد
الا الله سبحانه وتعالى لان قوله وانا لنحن يفيد الحصر للخلق فلا
يبقى احد سوانا **ونحن الوارثون** وذلك بان يميت جميع الخلق
فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك
المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله هو الباقي

كموه

بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما اتاهم في الحياة الدنيا لان وجود
الخلق وما اتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فاذا فني جميع الخلايق
رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على
الحقيقة وهو الله وقيل مصير الخلق اليه قوله تعالى **ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين** عن ابن عباس قال
كانت امراة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا من احسن
الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا يراها
ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف الموخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه
فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
اخرجه النسائي واخرجه الترمذي وقال فيه وقد روي عن ابي
الجوزا نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا اشبه ان يكون اصح
قال البغوي وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف
الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى اخر صف
الرجال ومن النسا من في قلبها ريبة فتتقدم الى اول صف النسا
لتقرب من الرجال فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وخير صفوف النسا
اخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة • وقال ابن عباس اراد
بالمستقدمين من خلق الله وبالمستاخرين من لم يخلق الله تعالى بعد
وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستاخرون امة محمد صلى
الله عليه وسلم • وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير
والمستاخرون المبطيون عنها • وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين
المصلين في اول الوقت وبالمستاخرين الموخرين لها الى اخره •
وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستاخرين في صف القتال
وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم اخرا • وقال ابن عباس
في رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف
الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد
لنبيعن دورنا ولنشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف
المقدم فنزلت الاية ومعناها انما يجزون على النيات فاطمانوا وسكنوا
فيكون معنى الاية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستاخر
للنظر وعلى القول الاخير المتقدم لطلب الفضيلة والمتاخر للعذر
ومعنى الاية ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتاخرهم
طايعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من احوال خلقه **وان ربك هو يحشرهم
انه حكيم عليم** يعني على ما علم منهم وقيل انه تعالى يميت الكل ثم يحشرهم

الاولين والاخرين على ما ماتوا عليه م عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله تعالى **ولقد خلقنا
الانسان** يعني ادم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا
لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي **من
صلصال** يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة
يعني صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا نضب
عنه الما تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن ه
واختاره الكسائي وقال هو من اصل اللحم والاصل اذا انتن **من حمإ** يعني
من الطين الاسود **مسنون** اي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن
المتغير وقال ابو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء
اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا
كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله تعالى
لما خلق ادم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه
الاشارة بقوله ان مثل عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم ان ذلك
التراب بله بالما وخمره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة
بقوله من حما مسنون ثم ان ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة
الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة
يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين
اليابس تحرقه الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا **والجان خلقناه
من قبل** يعني من قبل ادم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان ادم ابو
البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين
وفي الجن مسلمون وكافرون وياكلون ويشربون ويحيون ويموتون
كبني ادم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا
مات ابليس قال وهب ان من الجن من يولد له وياكلون ويشربون
بمنزلة الادميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا
ياكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع
من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن
الاعين من قولهم جن الليل اذا استتر والشياطين هو العاتي المتمرد
الكافر والجن منهم المومن ومنهم الكافر **من نار السموم** يعني من ريح
حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال
للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل
الحرور وقال ابو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها
وهي نار بين السما والحجاب فاذا احدث امرا خرقت الحجاب فهوت الى ما

امرت به فالهدمة التى لتسمعون خرق ذلك الحجاب وهذا اخول اصحاب
الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل نار السموم يعنى من نار
جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزاء من السموم
التى خلق منها الجان وتلا هذه الاية قال ابن عباس كان ابليس من
حى من الملايكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين
ذكروا فى القران من مارج من نار وخلقت الملايكة من نور قوله
عز وجل واذ قال ربك للملايكة اى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملايكة
انى خالق بشرا سمى الادمى بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر
الجلد من صلصال من حما مسنون تقدم تفسيره فاذا سويته يعنى
عدلت صورته واتممت خلقه ونفخت فيه من روحى النفخ عبارة عن
اجرا الريح فى تجاويف جسم اخر ومنه نفخ الروح فى النشاة الاولى وهو
المراد بقوله ونفخت فيه من روحى واضاف الله عز وجل روح ادم الى
نفسه على سبيل التشريف والتكريم له كما يقال بيت الله وناقة الله
وعبد الله وسيجى الكلام على الروح فى تفسير سورة سبحان عند قوله ويسلونك
عن الروح ان شا الله تعالى فقعوا له ساجدين الخطاب للملايكة الذين
قال الله لهم انى خالق بشرا امرهم بالسجود لادم بقوله فقعوا له
ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة فسجد الملايكة
يعنى الذين امروا بالسجود لادم كلهم اجمعون قال سيبويه هذا توكيد
بعد توكيد وسيل المبرد عن هذه الاية فقال لو قال فسجد الملايكة
لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر بهذا
انهم سجدوا باسرهم ثم عند هذا ابقى احتمال اخر وهو انهم سجدوا فى اوقات
متفرقة او فى دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا
دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول
الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلا يكون حالا روى عن
ابن عباس ان الله تعالى امر جماعة من الملايكة بالسجود لادم فلم
يفعلوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين يعنى مع الملايكة
الذين امروا بالسجود لادم قال يعنى قال لابليس الله تعالى يا ابليس
ما لك الا تكون مع الساجدين قال يعنى ابليس لم اكن لاسجد لبشر
خلقته من صلصال من حما مسنون اراد ابليس انه افضل من ادم لان ادم
طينى الاصل وابليس نارى الاصل والنار افضل من الطين فيكون
ابليس فى قياسه افضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله
الله قال فاخرج منها يعنى من الجنة وقيل من السما فانك رجيم اي

طريد

طريد وان عليك اللعنة الى يوم الدين قيل ان اهل السموات يلعنون
ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون فى السموات والارض فان قلت
ان حرف الى لانتها الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو
يوم القيمة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التى عليه كانه
قال وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد بعد ذلك
معها عذابا ابدا اى ما يستمر الانقطاع له قال رب فانظرنى يعنى اخرنى
الى يوم يبعثون يعنى يوم القيمة واراد بهذا السوال لانه لا يموت ابدا
فلهذا السبب سال الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله بقوله قال
فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى الوقت الذى يموت
فيه جميع الخلايق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعون
سنة وهو ما بين النفختين ويقال لم يكن اجابه الله تعالى اياه
فى الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة فى بلايه وشقايه
وعذابه وانما سمى يوم القيمة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا
يعلمه احد الا الله تعالى فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سال
ابليس الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله بقوله فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذي عينت وسالت الانظار
اليه قال رب بما اغويتنى الباء للقسم فى قوله بما وما مصدرية وجواب
القسم لازينن لهم والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم فى
الارض يعنى وقيل هى باء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لازينن لهم
فى الارض يعنى لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك ولاغوينهم
اجمعين يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم
انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق واغوايهم
ثم استثنى فقال الا عبادك منهم المخلصين يعنى المومنين الذين
اخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من
المخلصين يكون المعنى لامن اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك
وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل
فيهم ولا يقبلوه منه وحقيقة الاخلاص فعل الشى خالصا عن شايبة
الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلا يكو يخلو ان يكون مراده
بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله او مجموع الامرين اما ما
كان لله تعالى فهو الخالص المقبول واما ما كان لغير الله فهو الباطل
المردود واما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله كان
من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الاخر كان من الهالكين لان
الميل يقابله الميل فيبقى القدر الزايد فالى اى الجانبين رجح اخذ به

قال يعني قال الله تبارك وتعالى هذا صراطي على مستقيم قال الحسن
معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه
طريقه لا يرجع على شي وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط
المستقيم • وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول
الرجل لمن يخاصمه طريقك على اي لا تنفلت مني وقيل معناه على استقامته
بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية • وقيل هذا عايد الى الاخلاص
والمعنى ان الاخلاص طريق علي والي يودي الى كرامتي ورضواني ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما
قال لازينن لهم في الارض الا عبادك منهم المخلصين اوهم بهذا الكلام
ان له سلطان على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان
على احد من عباده سوا كان من المخلصين او لم يكن من المخلصين
قال اهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم • وسيل سفين
ابن عيينة عن هذه الاية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان
تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهو لا تثنية الله الذين هداهم
واجتباهم من عباده الا من اتبعك من الغاوين يعني الا من اتبع
ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين
له فيما يامرهم به وان جهنم لموعدهم اجمعين يعني موعد ابليس
واشياعه واتباعه لها يعني لجهنم سبعة ابواب يعني سبع طبقات
قال علي بن ابي طالب اتدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع
احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال
ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم جزء مقسوم يعني لكل
دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشي وجزاته جعلته اجزا والمعنى
ان الله يجزي اتباع ابليس سبعة اجزا فيدخل كل قسم منهم دركة
من نار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلف مراتبهم
في النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا
النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها • وفي الثانية
النصارى • وفي الثالثة اليهود • وفي الرابعة الصابيون • وفي
الخامسة المجوس • وفي السادسة اهل الشرك • وفي السابعة المنافقين
فذلك قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار • عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل
السيف على امتي او قال على امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون المراد

بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين
اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية
في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي
في الجنة وعلى هذا اهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون او يجري
هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل
واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جنانه وقصوره ودوره
فينتفع هو بها ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري
من جنان بعضهم الى جنان بعض لانهم قد طهروا من الحقد والحسد
ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها والقايل هو الله تعالى او بعض
ملايكته بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من
الموت ومن جميع الافات ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد
الكامن في القلب ويطلق على الشحنا والعداوة والبغضا والحقد
والحسد فكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة
في القلب يروى ان المومنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم
من بعض ثم يومر بهم الى الجنة وقد نقي قلوبهم من الغل والغش
والحقد والحسد اخوانا يعني في المودة والمحبة والمخالطة وليس المراد
منه اخوة النسب على سرر جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير
مجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور قال
ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت
والسرير مثل صنعا الى الجابية متقابلين يعني يقابل بعضهم بعضا
لا ينظر احد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المومن في الجنة
اذا اراد ان يلقى اخاها المومن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه
فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم فيها يعني في الجنة نصب اي تعب
ولا اعيا وما هم منها يعني من الجنة بمخرجين هذا نص من الله في
كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقا
بلا فنا وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان قوله عز وجل نبي عبادي
اني انا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال
تضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الاية وقال يقول
لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند وان عذابي
هو العذاب الاليم قال قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه
لبخع نفسه يعني لقتل نفسه خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة
فامسك عنده تسعة وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة
واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة ييئس من الجنة
ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار
وفي الاية لطايف منها انه تعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله
نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لو اراد ان يشرف
محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى
فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها انه تعالى لما ذكر الرحمة
والمغفرة بالغ في التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها
انا وثالثها ادخل الالف واللام على قوله الغفور الرحيم وهذا يدل
على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا
المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب
الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه في
التزام المغفرة والرحمة قوله تعالى **ونبئهم عن ضيف ابراهيم**
هذا معطوف على ما قبله اي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم
واصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من
مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل
الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم
وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم
الملايكة الذين ارسلهم الله تعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم
لوط **اذ دخلوا عليه** يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم **فقالوا سلاما**
اي نسلم سلاما **قال** يعني ابراهيم **انا منكم وجلون** اي خائفون وانما
خاف ابراهيم منهم لانهم لم ياكلوا طعامه **قالوا لا توجل** يعني لا تخف
انا نبشرك بغلام عليم يعني انهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم
بالاحكام والشرايع والمراد به اسحاق عليه السلام فلما بشروه بالولد
تعجب ابراهيم من كبره وكبر امراته **قال ابشرتموني** يعني بالولد **على ان**
مسني الكبر يعني حالة الكبر قاله على طريق التعجب **فبم تبشرون**
يعني فباي شي تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من
حصول الولد على الكبر **قالوا بشرناك بالحق** يعني بالصدق الذي
قضاه الله بان يخرج منك ولدا تكثر ذريته وهو اسحق **فلا تكن من**
القانطين يعني فلا تكن من الايسين من الخير والقنوط هو الاياس

من

من الخير **قال** يعني ابراهيم **ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون**
يعني من ييئس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم
لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت
الملايكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من
رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من جهل
كونه الله تعالى قادرا على ما يريد وان يجهل كونه تعالى عالما
بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلال **قال** يعني
ابراهيم **فما خطبكم** يعني فما شانكم وما الامر الذي جيتم فيه
ايها المرسلون والمعنى ما الامر الذي جيتم بسببه سوى
ما بشرتموني به من الولد **قالوا** يعني الملايكة **انا ارسلنا الى**
قوم مجرمين يعني لهلاك قوم مجرمين **الا آل لوط** يعني اشياعه
واتباعه من اهل دينه **انا لمنجوهم اجمعين الا امراته** يعني
امراة لوط **قدرنا** يعني قضينا وانما اسند الملايكة القدر الى
انفسهم وان كان ذلك عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه
كما تقول خاصة الملك نحن امرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه
بامر الملك **انها لمن الغابرين** يعني لمن الباقين في العذاب
والاستثنا من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثنى امراة
لوط من النا يعني ملحقة بالهالكين **فلما جا آل لوط المرسلون**
وذلك ان الملايكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه
بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه ولما دخلوا على لوط **قال**
انكم قوم منكرون ولما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه
هجما وهم في زي شباب مردان حسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم
قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة
فقوله انكم قوم منكرون لا اعرفكم ولا اعرف من اي الاقوام انتم
ولا لاي غرض دخلتم علي فعند ذلك **قالوا** يعني الملايكة **بل**
جيناك بما كانوا فيه يمترون يعني جيناك بالعذاب الذي كانوا
يشكون فيه **واتيناك بالحق** يعني باليقين الذي لا شك فيه
وانا لصادقون يعني فيما اخبرناك به من اهلاكهم **فاسر باهلك**
بقطع من الليل يعني اخر الليل والقطع القطعة من الشي وبعضه
واتبع ادبارهم يعني واتبع اثار اهلك وسر خلفهم **ولا يلتفت**
منكم احد يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع
بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات الى ما وراه
والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا تعرج على شي وقيل

جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط و ليلا يتخلف احد
منهم فيناله العذاب وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس
يعني الشام وقال مقاتل يعني زغر وقيل الاردن وقيل الى حيث
يامركم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يسيروا الى قرية معينة
ما عمل اهلها عمل قوم لوط وقضينا اليه ذلك الامر يعني واوحينا
الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه تعالى
فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله ان دابر هولاء مقطوع مصبحين
يعني ان هولاء القوم ليستاصلون عن اخرهم بالعذاب وقت الصبح
وانما ابهم الامر الذي قضاه عليهم اولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما
لشانه وجاء اهل المدينة يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم
لوط يستبشرون يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار
اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملايكة لما نزلوا على لوط ظهر
امرهم في المدينة • وقيل ان امراته اخبرتهم بذلك وكانوا شبابا
مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجا قوم لوط الى داره طمعا
منهم في ركوب الفاحشة قال يعني قال لوط لقومه ان هولاء ضيفي وحق
على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا
ظهر من امره ما يلزمه العار بسببه واتقوا الله يعني خافوا الله في
امرهم ولا تخزون يعني ولا تخجلون قالوا يعني قوم لوط الذين جاوا
اليه اولم ننهك عن العالمين اولم ننهك عن ان تضيف احدا من
العالمين وقيل معناه اولم ننهك ان تدخل الغربا الى بيتك فانا نريد
ان نركب منهم الفاحشة وقيل معناه السنا قد نهيناك ان تكلمنا في احد
من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة قال يعني قال لوط لقومه
الذين قصدوا اضيافه هولاء بناتي يعني ازوجكم اياهن ان اسلمتم
فاتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل اراد بالبنات الذين نسا قومه لان النبي
كالوالد لامته ان كنتم فاعلين يعني ما امركم به لعمرك الخطاب فيه
للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد قال
ابن عباس ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم
وما اقسم بحياة احد الا بحياته والعمر عمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن
الانسان بالحياة والروح وبقايه مدة حياته • وقال النحويون ارتفع
لعمرك بالابتدا والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في
الكلام دلالة عليه انهم لفي سكرتهم يعمهون يعني في حيرتهم وضلالتهم
وقيل غفلتهم يعمهون يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون
فاخذتهم الصيحة مشرقين يعني حين اضات الشمس فكان ابتدا

العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاوه حين اشرقت
الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل تقدم
تفسيره في سورة هود ان في ذلك يعني الذي نزل بهم من العذاب لايات
للمتوسمين قال ابن عباس للناظرين • وقال قتادة للمعتبرين وقال
مقاتل للمتفكرين • وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التاويل
ما روي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لايات
للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر
اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين احدهما ما دل
عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب اوليايه فيعلمون
بذلك احوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر
والظن والتثبت والنوع الثاني يحصل بدلايل التجارب والخلق
والاخلاق يتعرف بذلك احوال الناس ايضا وللناس في علم الفراسة
تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة
المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشي وصفته وعلامته فالمتوسم
الناظر في سمة الدلالة تقول توسمت في فلان كذا اي عرفت وسم ذلك
وسمته وانها يعني قرى قوم لوط لبسبيل مقيم يعني بطريق واضح
قال مجاهد بطريق معلم ليس يخفى ولا زايل والمعنى ان اثار ما انزل
الله بهذه القرى من عذابه وغضبه بسبيل مقيم ثابت لم يدثر
ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك
ويرون اثره ان في ذلك يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما
انزل بهم لايات للمتوسمين يعني المصدقين بما انزل الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم وان كان اصحاب الايكة لظالمين يعني كان
اصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتاكيد وهم
قوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكان
عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم
شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله وهو قوله تعالى فانتقمنا منهم
يعني بالعذاب وذلك ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى
اخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سحابة كالظلة فالتجاوا
اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم
جميعا وانهما يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة لبامام
مبين يعني بطريق واحد مستبين لمن مر بهما • وقيل الضمير راجع الى
الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمى الطريق اماما

لانه توم وتتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده
قوله عزوجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون
الحجر واد يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام ٥
وآثاره موجودة باقية يمر عليه ركب بالشام الى الحجاز واهل الحجاز الى
الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ للتعظيم او لانهم
كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل واتيناهم اياتنا يعني الناقة
وولدها والايات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم
جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الايات اليهم وان
كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الايات فكانوا عنها يعني عن
الايات معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا امنين يعني من الخراب او ان يقع عليهم
الجبل او السقف فاخذتهم الصيحة يعني العذاب مصبحين يعني
وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك والاعمال
الخبيثة ق عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر
قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم
الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير ثم جاز الوادي قوله
تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاظهار
الحق والعدل وهو ان يثاب المومن المصدق ويعاقب الجاحد
المكذب وان الساعة لاتية يعني وان القيمة لتاتي ليجازي المحسن
باحسانه والمسيء باساته فاصفح الصفح الجميل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما
تلقى من اذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ باية القتال
وقيل فيه بعد لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر الخلق
الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف ان ربك
هو الخلاق العليم يعني انه تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما
يصلحهم قوله عزوجل ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى
واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها انواع من البز
والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها ولانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الاية وقال قد اعطيتكم
سبع ايات هي خير من سبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به الاية قاله الحسين بن الفضل قلت وهذا
القول فيه ضعف ولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع اهل التفسير

ليس

ليس فيها من المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف
يصح ان يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها اموال عظيمة حتى
تمناها المسلمون فانزل الله هذه الاية واخبرهم ان هذه السبع ايات هي
خير من هذه السبع قوافل والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني اقوال
احدها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية
عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وابي هريرة والحسن وسعيد
ابن جبير في رواية عنه ومجاهد في رواية عنه وعطا وقتادة في اخرين
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القران وام الكتاب
والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي خ عن ابي سعيد بن
المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين
هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته اخرجه البخاري وفيه
زيادة • اما السبب في تسميتها فاتحة الكتاب بالسبع المثاني لانها
سبع ايات باجماع اهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني لانها
سبع ايات باجماع اهل العلم فاقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها
تثنى في الصلاة فتقرا في كل ركعة • وقيل لانها مقسومة بين العبد
وبين ربه الله نصفين فنصفها الاول ثنا على الله ونصفها الثاني
دعا ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني
وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضايل الفاتحة وقيل
سميت مثاني لان كلماتها مثناة كلها مثل قوله الرحمن الرحيم اياك
نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط صراط فكل هذه الالفاظ مثناة
وقال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة
معها سبعون الف ملك • وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها
وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم • وقال ابو زيد البلخي لانها
تثني اهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني • وقال الزجاج
سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله
وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك
على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القران لان افرادها بالذكر
في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني ٢ انها السبع الطوال وهذا قول
ابن عمر وابن مسعود في رواية عنه وسعيد بن جبير في رواية عنه والسبع
الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف
واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا

٢ والقران العظيم مع انها جزء من اجزاء القران واحد
سورة لابد وان يكون صاحبها بالشرف والفضيلة
القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني

لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم • وقيل السابعة هي سورة
يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطوال مكان التورية واعطاني
المبين مكان الانجيل واعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي
بالمفصل اخرجه البغوي باسناد الثعلبي • قال ابن عباس انما سميت
السبع الطوال مثاني لان الفرايض والحدود والامثال والخبر والعبر
تثنت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور الطوال مدنيات
غالبها فكيف يمكن ان تفسير هذه الاية بها وهي مكية واجيب
عن هذا الايراد بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السورة
على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسير هذه
الاية بهذه السورة • القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي
دون الطوال وفوق المفصل وهي المبين وحجة هذا القول الحديث
المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور • القول الرابع ان السبع المثاني
هو القران كله وهذا قول طاووس وحجة هذا القول قوله تعالى الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني لان الاخبار والقصص
والامثال تثنيت فيه **فان قلت** كيف يصح عطف القران في
قوله والقران العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الا عطف الشي
على نفسه **قلت** اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب او السبع
الطوال فما وراء من ينطلق عليه القران لان القران اسم يقع على البعض
كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني
سورة يوسف عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني القران كله كان
المعنى ولقد اتيناك سبعا من المثاني التي هي القران العظيم وانما
سمي القران عظيما لانه كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى
الله عليه وسلم قوله تعالى **لا تمدن عينيك** الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم اي لا تمدن عينيك يا محمد **الى ما متعنا به ازواجا** يعني اصنافا
منهم يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه
وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت
القران العظيم الذي فيه غنى عن كل شي فلا تشغل قلبك وسرك
بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها • روى ان سفين بن عيينة تاول
قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران يعني لم
يستغن بالقران فتاول هذه الاية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشي
اذا ادام النظر اليه مستحسنا له فيحصل من ذلك تمني ذلك الشي
المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شي من متاع

الدنيا

الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه **ولا تحزن عليهم** يعني ولا تغتم على
ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا • وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يومنوا
به فقيد النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا روى
البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري بما هو لاق بعد موته ان له عند
الله قاتلا لا يموت • قيل لابن ابي مريم ما قاتلا لا يموت قال النار **ق**
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم
الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ
البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى
من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا
نعمة الله عليكم • قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت اصحب
الاغنيا فما كان احد اكثر هما مني كنت اري دابة خيرا من دابتي وثوبا
خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقرا فاسترحت وقوله
تعالى **واخفض جناحك** يعني لين جانبك **للمومنين** وارفق بهم لما
نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنيا من الكفار امره بالتواضع
واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المومنين **وقل** اي وقل
يا محمد **اني انا النذير المبين** لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمومنين امره بتبليغ ما ارسل به
اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى اني انا النذير بالعقاب
لمن عصاني مبين بين النذارة **كما انزلنا على المقتسمين** يعني انذركم
عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس اراد بالمقتسمين
اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد سموا بذلك لانهم امنوا
ببعض القران وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به وما خالف كتبهم
كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القران فقال واحد هذه
السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به • وقال مجاهد انهم اقتسموا
كتبهم فامن بعضهم ببعضها وكفر اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال
قتادة وابن السايب اراد بالمقتسمين كفار قريش • قال قتادة سموا
بذلك لان اقواما منهم تقسموا في القران فقال بعضهم انه سحر وزعم
بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه اساطير الاولين • وقال ابن السايب
سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد
ابن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين فقال
لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم
فاذا سالوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه شاعر

وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاوا الى مكة فتكم فذهبوا وقعدوا
على انقاب مكة وطرقها يقولون لكل من يمر بهم من حجاب العرب
لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه مجنون كاهن
وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا
جاوا وسالوه عما قالوا اولئك المقتسمين قال صدقوا قوله تعالى
الذين جعلوا القران عضين خ عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا
القران عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه اجزا امنوا
ببعض وكفروا ببعض قال هو جمع عضو من قولهم عضيت الشي
اذا فرقته وجعلته اجزا وذلك انهم جعلوا القران اجزا مفرقة
اعضا فقال بعضهم هو سحر • وقال بعضهم هو كهانة • وقال بعضهم
هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان
وقيل المراد به العضة وهو السحر يعني انهم جعلوا القران
سحرا **فوربك لنسالنهم اجمعين** اقسم الله بنفسه انه يسال هولا
المقتسمين الذين جعلوا القران عضين **عما كانوا يعملون** يعني
عما كانوا يقولونه في القران وعما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي
وقيل يرجع الضمير في لنسالنهم الى جميع الخلق المومن والكافر
لان اللفظ عام فحمله على العموم اولى • قال جماعة من اهل العلم
عن لا اله الا الله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن قول لا اله الا الله اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب • وقال ابو العالية يسال العباد
عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين **فان**
قلت كيف الجمع بين قوله ولنسالنهم اجمعين وبين قوله
فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان **قلت** قال ابن عباس
لا يسالهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول هل عملتم كذا او عملتم
فطرب فقال السوال ضربان سوال استعلام وسوال توبيخ
فقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان يعني سوال
استعلام وقوله لنسالنهم اجمعين سوال توبيخ وتقريع وجواب
اخر وهو مروي عن ابن عباس ايضا انه قال في الايتين ان يوم
القيمة يوم طويل فيه مواقف فيسالون في بعض المواقف ولا
يسالون في بعضها نظيره قوله هذا يوم لا ينطقون وقال في اية
اخرى ثم انكم عند ربكم تختصمون قوله عز وجل **فاصدع بما تومر**
قال ابن عباس اظهر ويروي عنه امضه • وقال الضحاك اعلم واصل
الصدع الشق والفرق اي افرق بالقران بالحق والباطل امر النبي

صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة
الى من ارسل اليهم • وقال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله
عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه **واعرض**
عن المشركين اي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك
وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو
قوله تعالى **انا كفيناك المستهزئين** واكثر المفسرين على ان هذا
الاعراض منسوخ باية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان
معنى الاعراض ترك المبالات بهم والالتفات اليهم فلا يكون
منسوخا • وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز
وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف
احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك كما كفيناك
المستهزئين وكانوا خمسة نفر من روسا قريش كانوا يستهزؤن بالنبي
صلى الله عليه وسلم وبالقران وهم الوليد بن المغيرة المخزومي
وكان راسهم والعاص بن وايل السهمي • والاسود بن المطلب •
ابن الحرث بن اسد ابن عبد العزى ابو زمعة • وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه • فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده
والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث
ابن قيس بن طلاطلة كذا ذكره البغوي • وقال ابن الجوزي الحرث
ابن قيس بن عيطلة قال الزهري عيطلة امه وقيس ابوه فهو
منسوب الى امه • قال المفسرون ان جبريل عليه السلام الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل
وقام النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة
فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بيس عبد الله فقال قد
كفيته واومى الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال
يريش نبالا له وعليه بردان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من
النبل بازار الوليد فمنعه الكبر ان يطاطي راسه فينزعها وجعلت
تضربه في ساقه فخدشته فمرض منها ومات • ومر بهما العاص بن
وايل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بيس عبد الله
فاشار جبريل الى اخمص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على
راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على
شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت لدغت
فطلبوا فلم يجدوا شيا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير
فمات مكانه • ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد

هذا ابا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال
قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضرا فاذهب
بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وفي رواية
الكلبي قال اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له
وفي رواية فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث
بغلامه فقال له غلامه ما ارى احدا يصنع بك شيا غير نفسك
حتى مات وهو يقول قتلني محمد • ومر بهما الاسود بن عبد يغوث
فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بيس عبد الله على انه خالي
فقال جبريل قد كفيته واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي
رواية الكلبي انه خرج من اهله فاصابه سموم واسود حتى صار
حبشيا فاتى فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول
قتلني رب محمد • ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد
هذا يا محمد قال عبد سوء فاومى جبريل الى راسه وقال قد كفيته
فامتخط قيحا فقتله • وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش
فلم يزل يشرب الما حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك
المستهزين يعني بك وبالقران الذين يجعلون مع الله الها اخر
فسوف يعلمون يعني اذا انزل بهم العذاب فقيه وعيد وتهديد
قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون يعني بسبب
ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزا به والقول
الفاحش والجبلة البشرية تابى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق
الصدر فعند ذلك امره بالتسبيح والعبادة وهو قوله فسبح
بحمد ربك قال ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين
يعني من المتواضعين لله • وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل
سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى الصلاة قال
بعض العارفين من المحققين السبب في زوال الحزن عن القلب
اذا اتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه
وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها
فلا يلتفت اليها ولا يتاسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن
عن قلبه • وقال بعض العلما اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى
الصلاة كانه يقول يا رب انما يجب على عبادتك سوا اعطيتني
ما احب اوكفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بي
ما تشا واعبد ربك حتى ياتيك اليقين يعني الموت الموقن

بد

به الذي لا يشك فيه احد والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة
حياتك حتى ياتيك الموت وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله
تعالى في سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روي
البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اوحي الله الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي
الي ان سبح ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين • وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب
ابن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رايته بين
ابويه يغدوانه باطيب الطعام والشراب ولقد رايت عليه حلة
شراها او قال شريت له بماتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله
الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة النحل مكية •

الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة
في قتل حمزة قاله ابن عباس • وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير
ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
الى قوله يعملون • وقال قتادة هي مكية الا خمس ايات وهي قوله والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا • وقوله ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا • وقوله وان عاقبتم الى اخر السورة زاد مقاتل
قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الاية وضرب الله مثلا قرية
كانت امنة مطمينة الاية • وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم
لكثرة تعداد النعم فيها • وهي مائة وثمان وعشرون آية والفان
وثمان مائة واربعون كلمة وسبعة الاف وسبعماية وسبعة احرف •

• بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله عز وجل اتى امر الله يعني جا ودنا وقرب امر الله تقول
العرب اتاك الامر وهو متوقع المجي بعد ما اتى ومعنى الاية اتى امر
الله وعدا فلا تستعجلوه يعني وقوعها والمراد به مجي القيمة قال ابن
عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض
ان هذا الرجل يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون
حتى ننظر ما هو كاين فلما راوا انه لا ينزل شيا قالوا ما نرى شيا فنزل
قوله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد
ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم
ورفع الناس روسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه

فالها نوا والاستعجال طلب مجي الشي قبل وقته ولما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير
باصبعيه يمدهما اخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد
ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا
والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى
وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى
قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراطه
الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه
وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة • وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة
المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السما او ائتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية
وقتل النضر يوم بدر صبرا **سبحانه وتعالى عما يشركون** يعني تنزه الله
وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله تعالى **ينزل
الملائكة بالروح** يعني بالوحي **من امره** • وانما سمي الامر روحا لان به
تحيى القلوب من موت الجهالات • وقال عطا بالنبوة • وقال قتادة بالرحمة
وقيل الروح هو جبريل والبا بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح
وهو جبريل **على من يشا من عباده** يعني على من يصطفيه من عباده
للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق **ان انذروا** يعني بان اعلموا
انه لا اله الا انا فاتقون اي خافون وقيل معناه مروهم بقول
لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقران **خلق السموات والارض
بالحق تعالى عما يشركون** تقدم تفسيره • **خلق الانسان من نطفة فاذا
هو خصيم مبين** يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة قيل نزلت في
ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجا بعظم رميم الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظم بعدما رم فنزلت فيه
هذه الاية ونزل فيه ايضا قوله قال من يحيي العظام وهي رميم ٥
والصحيح ان الاية عامة في كل ما يقع فيه الخصومة في الدنيا ويوم
القيمة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان خلق الانسان
من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله
الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم **قوله عز وجل
والانعام خلقها لكم** لما ذكر الله عز وجل انه خلق السموات والارض
ذكر بعده ما ينتفع به في ساير ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان
الى الاكل واللباس الذين يقوم بهما بدن الانسان بدا بذكر الحيوان

المنتفع

المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها لكم وهي
الابل والبقر والغنم • قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها
ثم ابتدا فقال تعالى **فيها دفء** قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام
عند قوله لكم ثم ابتدا فقال فيها دفء قال صاحب النظم احسن الوجهين
ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدا بقوله لكم فيها دفء والدليل
عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء وجمال
ولما كان منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدا الله
تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفا
به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار ٥
والاشعار الحاصلة من النعم **ومنافع** يعني النسل والدر والركوب
والحمل عليها وساير ما ينتفع به من الانعام **ومنها تاكلون** يعني
من لحومها **فان قلت** قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر لان
تقديم الظرف موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها **قلت**
الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم واما
الاكل من غيرها كالدجاج والبط والوز وصيد البر والبحر فغير
معتد به في الاغلب واكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تاكلون
مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام **فان قلت** منفعة
الاكل متقدمة على منفعة اللباس فلم اخر منفعة الاكل وقدم منفعة
اللباس **قلت** منفعة اللباس اكثر واعظم من منفعة الاكل فلهذا
قدم على الاكل وقوله تعالى **ولكم فيها** يعني في الانعام **جمال** اي زينة
حين تريحون وحين تسرحون الاراحة رد الابل بالعشي الى مراحها
حيث تاوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها
بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما يكون هذه الاراحة ايام
الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب
للنجعة واحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل
بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من
معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي
الى الافنية والبيوت سمع للابل رغا وللشا ثغا يجاوب بعضها بعضا
فعند ذلك يفرح اربابها بها وتتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم
وقعها عند الناس **فان قلت** لم قدمت الاراحة على التسريح
قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت
التسريح لان النعم يقبل من المرعى ملا البطون حافلة الضروع فيفرح
اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جايعة البطون ضامرة

المزروع من اللبن ثم تاخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية
فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب
تقديمه وقوله تعالى **وتحمل اثقالكم** الاثقال جمع ثقل وهو متاع
السفر وما يحتاج اليه من الات السفر **الى بلد** يعني غير بلدكم
قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن
عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجارتهم واسفار
الى اليمن والشام وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخول
الكافة فيه اولى من تخصيصه ببعض المخاطبين **لم تكونوا
بالغيه** يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه **الا بشق
الانفس** يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف
الشي والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس
وذهاب نصفها **ان ربكم لروف رحيم** يعني بخلقه حيث خلق لهم
هذه المنافع رحيم يعني بهم قوله تعالى **والخيل والبغال والحمير
لتركبوها** هذه الاية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه
الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من
لفظه كالابل والرهط والنسا **وزينة** يعني وجعلها زينة مع
المنافع التي فيها **فصل** احتج بهذه الاية من يرى تحريم الخيل
وهو قول ابن عباس وتلا هذه الاية وقال هذه للركوب واليه
ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل
اعظم من منفعة الركوب فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان
هذا المعنى اولى بالذكر فلما لم يذكره الله علمنا تحريم اكله لان الله
خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب
فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل • وذهب
جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح
وعطا وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق
واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن اسما بنت ابي
بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسا فاكلناه • وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري
ومسلم **ق** عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم
الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر الخيل
وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه
رواية البخاري ومسلم • وفي رواية ابي داود قال ذبحنا يوم خيبر

الخيل

الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واحتج
من اباح لحوم الخيل عن هذه الاية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل
على ان منفعتهما مختصة بذلك وانما خص هذان المنفعتان بالذكر
لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل
مع قوله في الانعام وتحمل اثقالكم ولم يلزم من هذا التحريم حمل الاثقال
على الخيل • وقال البغوي ليس المراد من الاية بيان التحليل
والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال
قدرته وحكمته • والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل
ان السنة المبينة للكتاب ولما كان نص الاية يقتضي ان الخيل ٥
والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا
عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة
لحم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير اخذنا به جمعا بين النصين
والله اعلم وقوله تعالى **ويخلق ما لا تعلمون** لما ذكر الله تعالى الحيوانات
التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل ٥
التفصيل وذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على
سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات
اكثر من ان تحصر ويحيط بها عقل احد وفهمه فلهذا ذكره على الاجمال
وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما اعد الله لاهل الجنة
في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر • وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني
السوس في النبات والدود في الفواكه • قوله تعالى **وعلى الله
قصد السبيل** القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد
اذا اداك الى مطلوبك وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان
قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة • وقيل معناه
وعلى الله بيان طريق الحق بالايات والبراهين **ومنها جاير** يعني
ومن السبيل سبيل جاير عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من
السبيل هو دين الاسلام والجاير منها اليهودية والنصرانية وساير
ملل الكفر • قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرايع
والفرايض • وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد
السبيل السنة ومنها جاير الاهوا والبدع **ولو شا لهداكم اجمعين**
فيه دليل على ان الله تعالى ما شا هداية الكفار وما اراد منهم الايمان
لان كلمة لو تفيد انتفا الشي لانتفا غيره فقوله ولو شا لهداكم معناه

ولوشآ هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى ماشا هدايتهم
فلا جرم ما هداهم قوله عز وجل هو الذى انزل من السمآ ما
لما ذكر الله تعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع
والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على
العباد فقال وهو الذى انزل يعنى والله الذى خلق جميع الاشيا
هو الذى انزل من السما ما يعنى المطر لكم منه يعنى ذلك الما
شراب يعنى تشربونه ومنه يعنى ومن ذلك الما شجر الشجر فى اللغة
ما له ساق من نبات الارض ونقل الواحدى من اهل اللغة انهم قالوا
الشجر اصناف فاما جل الشجر فعظامه التى تبقى على الشتا واما دق
الشجر فصنفان احدهما تبقى له اروحة فى الشتا وينبت فى الربيع
ومنها ما لا يبقى له ساق فى الشتا كالبقول وقال ابو اسحق كل ما
ينبت على الارض فهو شجر وانشد • تطعمها اللحم اذا عز الشجر •
اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة
فى هذه الاية يعنى الكلا ومعنى الاية انه ينبت بالما الذى انزل من
السما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر فيه
يعنى فى الشجر تسيمون يعنى ترعون مواشيكم يقال اسمت السايمة
اذا خليتها ترعى وسامت اذا رعت حيث شات ينبت لكم اى
ينبت الله لكم وقرى ننبت على التعظيم لكم به اى بذلك الماء
الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر
الله فى الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر فى الثمار تفصيلا واجمالا فابتداء
بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما
اشبهه لانه به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم
والدهن وبارك فيه وثلث بذكر النخيل لان ثمرها غذا وفاكهة
وختم بذكر الاعناب لانه شبه النخل فى المنفعة من التفكه والتغذية
ثم ذكر ساير الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل
نعمته على عباده ثم قال تعالى ان فى ذلك يعنى الذى ذكر من انواع
الثمار لاية يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم
يتفكرون يعنى فيما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته وسخر لكم
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره فى سورة
الاعراف مسخرات يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه
رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعالة
المتصرفة فى العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات
فى نفسها مذللات بامره يعنى لامره بها مقهورات تحت قهره يصرفها

كيف

كيف يشاء ويختار وانها ليس لها تصريف فى نفسها فضلا عن غيرها ولما
ذكر الله خلق هذه النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم هذه الاية
بقوله ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون يعنى ان كل من كان له عقلا صحيحا
سليما علم ان الله تعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته
وقهره وتسخيره لما اراده منهم وما ذرا لكم فى الارض يعنى وما خلق لكم
فى الارض وسخرها لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار مختلفا
الوانه يعنى فى الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوان المخلوقات
مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه دليل قاطع على
كمال قدرة الله كذلك ختم هذه الاية بقوله ان فى ذلك لايات لقوم
يذكرون يعنى يعتبرون بذلك قوله تعالى وهو الذى سخر البحر
لما ذكر الله تعالى الدلايل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات
والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق ساير الحيوانات والنبات
وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من اثار قدرته وعجايب
صنعته وذكر انعامه فى ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه
على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر
لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه
او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة اقسام من انواع
الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا
فبدا بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لان به قوام البدن وفى ذكر الطرى
مزيد فايدة دالة على كمال قدرة الله وذلك ان السمك لو كان كله
مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج
من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه فى غاية العذوبة
علم انه انما حدث بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان
الله قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعنى اللولؤ والمرجان كما قال تعالى
يخرج منهما اللولؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسايهم لان زينة
النسا بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة
الثالثة قوله تعالى وترى الفلك يعنى السفن مواخر فيه يعنى جوارى
قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما
تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر فى اللغة الشق
يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الما بجوجوها • وقال مجاهد تمخر
الرياح السفن يعنى انها اذا جرت يسمع لها صوت قال ابو عبيدة
يعنى صوايح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها • وقال الحسن

مواخر يعني مواقر اي مملوة متاعا ولتبتغوا من فضله يعني الارباح
بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون يعني انعام الله عليكم اذا رايتم
صنع الله فيما سخره لكم والقى في الارض رواسي جبالا ثقالا ان تميد
بكم يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشي العظيم
كالارض وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت
الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت
الجبال فلم تدر الملائكة مما خلقت الجبال وانهارا يعني وجعل
فيها انهارا لان في القى معنى الجعل فقوله تعالى وانهارا معطوف على
والقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار
واصولها تكون من الجبال وسبلا يعني وجعل فيها طرقا مختلفة
تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان
الى مكان لعلكم تهتدون يعني بتلك السبل الى ما تريدون فلا
تضلون وعلامات يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في
اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا وبالنجم
هم يهتدون وقال محمد بن كعب القرظي والكلبي اراد بالعلامات الجبال
فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد
بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال
السدي اراد بالنجم الثريا وبنات النعش والفرقدين والجدي فبهذه
يهتدى بها الى الطريق والقبلة قال قتادة انما خلق الله النجوم
لثلاثة اشيا لتكون زينة السما ومعالم الطرق ورجوما للشياطين
فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله عز وجل افمن يخلق
كمن لا يخلق لما ذكر الله من عجايب قدرته وغرايب صنعته وبديع
خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشيا
المخلوقة المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة
الله ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل
الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا
تضر ولا تنفع ولا تقدر على شي افمن يخلق يعني هذه الاشيا الموجودة
المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام
العاجزة التي لا تخلق شيا البتة لانها جمادات لا تقدر على شي فكيف يليق
بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة
وهو الله خالق هذه الاشيا كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله
افلا تذكرون يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج
فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر

بما ذكر يعني في الاية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي
جماد لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب
عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل
في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذه والذين يدعون مع الله لا يخلقون
شيا فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم ٭ السؤال الثاني قوله افمن
يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث
جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام افمن يخلق
كمن لا يخلق ٭ والجواب عنه ليس المراد منه استفهام بل المراد
منه ان من خلق الاشيا العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف
يسوي بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة
وكيف يليق بالعاقل ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه
الاشيا الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيا البتة والله
اعلم قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني نعم الله على
العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاه النظر
الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشيا وبطش اليدين
وسعي الرجلين الى غير ذلك مما انعم به في نفسه وفيما انعم الله به عليه
مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا حتى لو رام
احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف
بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم
انفسكم فلا تقدروا عليه ان الله لغفور رحيم يعني لتقصيركم في القيام
بشكر نعمه كما يجب عليكم رحيم يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها
عنكم بسبب التقصير والمعاصي والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشيا وهو ما كانوا يمكرون بالنبي
صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه فاخبرهم
الله انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت
وخفيت ٭ وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية
المتقدمة وذكر في هذه الاية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان
يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست
كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات
فقال تعالى والذين تدعون من دون الله يعني الاصنام يدعونها
الهة من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون فان قلت قوله
في الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق يدل على هذه الاصنام لا تخلق

شيا وقوله هنا لا يخلقون شيا وهم يخلقون وهذا هو نفس المعنى
المذكور فى تلك الاية فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان
المعنى المذكور فى الاية المتقدمة انهم لا يخلقون شيا فقط والمذكور فى
هذه الاية انهم لا يخلقون شيا وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا
زيادة فى المعنى وهو فايدة التكرار اموات اى جمادات ميتة لا حياة
فيها غير احيا يعنى كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام الهة كما
تزعمون لكانت احيا غير جايز عليها الموت لان الاله الذى يستحق
ان يعبد هو الحى الذى لا يموت ولما كانت هذه اموات غير احيا فلا
تستحق العبادة لمن عبدها فقد وضع العبادة فى غير موضعها وما
يشعرون يعنى هذه الاصنام ايان يبعثون يعنى متى يبعثون وفيه
دليل على ان الاصنام يجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيمة حتى تتبرا من
عابدها وقيل معناه ما يدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى
يبعثون • قوله تعالى الهكم اله واحد يعنى الذى يستحق العبادة
هو اله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة فالذين
لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة يعنى جاحدة لهذا المعنى وهم
مستكبرون يعنى عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا
لا جرم يعنى حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب
المستكبرين يعنى عن اتباع الحق م عن ابن مسعود ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر
فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال
ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر
الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا
على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه
يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا • وقيل البطر التكبر
يعنى انه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله • وقوله وغمط الناس يقال
غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيا وكذا معنى غمصته اذا انتقصت
به وازديته قوله عز وجل واذا قيل لهم يعنى لهولا الذين لا يومنون
بالاخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا اعقابها وطرقها اذا سال لهم الحاج
الذين يقدمون عليهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين يعنى
احاديثهم واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اللام فى
ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القران بكونه اساطير الاولين
كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعنى ذنوب انفسهم وانما قال
كاملة لان البلايا التى اصابتهم فى الدنيا واعمال البر التى عملوا فى الدنيا

لا تكفر عنهم شيا يوم القيمة بل يعاقبون بكل اوزارهم • قال الامام
فخر الدين الرازى وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب
عن المومنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا فى حق الكل لم يكن لتخصيص
هولا الكفار بهذا التكميل فايدة وقوله تعالى ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم يعنى ويحمل للروسا الذين اضلوا غيرهم وصدوهم
عن الايمان مثل اوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن ابى هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعى الى هدى كان له من
الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعا
الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك
من اثامهم شيا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرييس الكبير
اذا سن سنة حسنة او سيية قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا
بها فان الله تعالى يعظم ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او
العقاب مساويا للكل مع ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين
عملوا بسنته الحسنة او القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل
جميع الثواب او العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الروسا لان ذلك
ليس بعدل الله ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى • قال الواحدى ولفظة
من فى قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض
لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك
غير جايز لقوله عليه السلام لا ينقص ذلك من اثامهم شيا لكنها
للجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع • وقوله بغير علم لان
الروسا يعنى ان الروسا انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما
يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك
جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد الا ساء ما يزرون
يعنى الا بيس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم • قوله تعالى قد مكر
الذين من قبلهم يعنى من قبل مكر كفار قريش وهو نمرود بن كنعان
الجبار وكان اكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم عليه السلام وكان
من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السما ويقاتل اهلها فى زعمه
قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح فى السما خمسة الاف ذراع
وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت
راسه فى البحر وخر عليهم الباقى فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت
السن الناس من الفزع فتكلموا يوميذ بثلاث وسبعين لسانا فلذلك
سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية قلت هكذا

ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان
يتكلم بالعربية وكان اهل العلم عرب منهم جرهم الذي نشا اسمعيل
بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبايل من العرب قديمة قبل ابراهيم
مثل طسم وجديس ولام كل هولا عرب فتكلموا في قديم الزمان بالعربية
ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم
وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فيكون الاية
عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يجادلون الحق المعرض والمكر
بالغير وقوله فاتى الله بنيانهم من القواعد يعني قصد تخريب بنيانهم
من اصوله وذلك بان اتاهم بريح فصفقت بنيانهم من اعلاه واتاهم
بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده واساسه هذا اذا حملنا تفسير
الاية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الاية على
القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات
ليمكروا بها على انبيا الله واهل الحق من عباده فاهلكهم الله تعالى
وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه
باساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل
ضربه الله تعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر
على السنة الناس من حفر بيرا لاخيه اوقعه الله فيه وقوله تعالى
فخر عليهم السقف من فوقهم يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله
من فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم • وقيل يحتمل انهم
لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم
كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وماتوا تحته واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون يعني من مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على
قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ثم يوم القيمة
يخزيهم يعني يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم
في الدنيا وفي الاخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ويقول
يعني ويقول الله لهم اين شركاي يعني في زعمكم واعتقادكم الذين
كنتم تشاقون فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين وتخاصمونهم
في شانهم لان المشاقة عبارة عن كل واحد من الخصمين في شق غير شق
صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم ما
نزل من العذاب والهوان قال الذين اوتوا العلم يعني المومنين وقيل
الملايكة ان الخزي يعني الهوان اليوم يعني في هذا اليوم وهو يوم القيمة
والسوء يعني العذاب على الكافرين وانما يقول المومنون هذا يوم
القيمة لان الكفار لما كانوا يستهزون بالمومنين في الدنيا وينكرون

عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيمة ظهر اهل الحق واكرموا بانواع
الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك
يقول المومنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفايدة هذا
القول اظهار الشماتة بهم فتكون اعظم في الهوان والخزي الذين
تتوفاهم الملايكة تقبض ارواحهم وهم ملك الموت واعوانه ظالمي
انفسهم يعني بالكفر فالقوا السلم يعني انهم استسلموا وانقادوا
لامر الله الذي نزل بهم وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني شركا وانما
قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني
فلا فايدة لكم في انكاركم قال عكرمة عنى بذلك من قتل من الكفار
يوم بدر فادخلوا اي فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
يعني مقيمين فيها لا تخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون اعظم
في الحزن والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من
بعض فلبيس مثوى المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل
وقيل للذين اتقوا ربكم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وذلك ان احيا
العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى
الله عليه وسلم فاذا جا الوافد سال الذين كانوا يقعدون على
طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون
واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت الى قومي
دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسالهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه
نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله وقيل للذين اتقوا يعني
اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعني
انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله قالوا اساطير الاولين
ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين
الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المومن وذلك انهم لما
سالوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب
عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي لانهم
لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سالوا المومنين عن المنزل على النبي صلى الله
عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا
مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو
وقف تام ثم ابتدا فقال تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
يعني الذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة
من الواحدة الى العشر الى السبع مايه الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك

من النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى
الاية للذين احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر
او الفتح او الرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله به على عباده في الدنيا
ويدل على صحة هذا التاويل قوله **ولدار الاخرة خير** يعني ما لهم في
الاخرة مما اعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا **ولنعم
دار المتقين** يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى ٥
يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين
لان الله تعالى فسر هذه الدار بقوله **جنات عدن** يعني بساتين اقامة
من قولهم عدن بالمكان اي اقام به **يدخلونها** يعني تلك الجنان لا يرحلون
عنها ولا يخرجون منها **تجري من تحتها الانهار** يعني تجري الانهار في هذه
الجنان تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم **لهم فيها** يعني في الجنات
ما يشاؤن يعني مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير
ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما
يشاؤن يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد
في الدنيا **كذلك يجزي الله المتقين** اي هكذا يكون جزاء المتقين
ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى **الذين تتوفاهم الملايكة طيبين**
يعني مومنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم
وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم
اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما
نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال
الحميدة والمباعدة من الاخلاق الذميمة والخصال المكروهة وقيل
معناه ان اوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم
بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح
والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه
الحالة **يقولون** لهم يعني الملايكة **سلام عليكم** تسلم عليهم الملايكة او
تبلغهم السلام من الله **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** يعني في الدنيا
من الاعمال الصالحة **فان قلت** كيف الجمع بين قوله تعالى
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل
احد منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله منه بفضل ورحمة اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة **قلت**
قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب
اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم
ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشيا كلها ولا غيرها

الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شيء
بل العالم ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشا فلو عذب
المطيعين والصالحين جميعهم اجمعين وادخلهم النار كان ذلك عدلا
منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين
وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق لا يفعل هذا
بل يغفر للمومنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم
النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون
ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن
اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث
دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما
قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون • وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون ونحوهما من الايات التي تدل على ان الاعمال يدخل بها
الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان دخول
الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها
وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو
مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والله
اعلم قوله تعالى **هل ينظرون** يعني هولا الذين اشركوا بالله وجحدوا
نبوتك يا محمد **الا ان تاتيهم الملايكة** يعني لقبض ارواحهم **او ياتي
امر ربك** يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستيصال وقيل
المراد به يوم القيامة **كذلك فعل الذين من قبلهم** يعني من الكفر
والتكذيب **وما ظلمهم الله** يعني بتعذيبه اياهم **ولكن كانوا انفسهم
يظلمون** يعني باكتساب الكفر والاعمال القبيحة الخبيثة **فاصابهم الله
سيات ما عملوا** يعني فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن والمعنى ونزل بهم جزا استهزايهم **وقال
الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا** يعني
ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزا والحاصل انهم تمسكوا بهذا
القول في انكار النبوة فقالوا لو شا الله منا الايمان لحصل جيت او لم
تجي ولو شا منا الكفر لحصل جيت او لم تجي واذا كان كذلك فالكل من الله
فلا فايدة في بعثة الرسل الى الامم • **والجواب** عن هذا انهم
لما قالوا ان الكل من الله فكان بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض على الله
تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله وفي افعاله وهو باطل
لان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه
وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا وكان

في حكم الله تعالى وسنته في عباده ارسال الرسل اليهم ليامروهم بعبادة
الله وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والضلالة اليه فمن هداه
فهو المهتدي ومن اضل فهو الضال وهذه سنة الله في عباده انه يامر
الكل بالايمان وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشا الى الايمان
ويضل من يشا فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة
الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هولا لو شا الله ما عبدنا
من دونه من شي نحن ولا اباونا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر
كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم ٥
استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله **ولا حرمنا من دونه من شي**
يعني السايبة والوصيلة والحامي والمعنى فلولا ان الله رضيها لنا
لغيره ذلك ولهدانا الى غيرها **كذلك فعل الذين من قبلهم** يعني
ان من تقدم هولا على كفار الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة
وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية
فهل على الرسل الا البلاغ المبين يعني ليس لهم هداية انما
عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه **ولقد بعثنا في كل امة
رسولا** يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا **ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت** يعني ان الرسل كانوا يامرونهم ان يعبدوا
الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو كل معبود عبد من دون
الله **فمنهم** يعني فمن الامم الذين جاتهم الرسل **من هدى الله** يعني
هداه الله الى دينه والايمان به وتصديق رسله **ومنهم من حقت
عليه الضلالة** يعني ومن الامم من وجب عليهم الضلالة بالقضاء
السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الاية ابين
دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي
من يشا ويضل من يشا لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم به في سابق
علمه **فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** يعني
فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما آل امر من كذب الرسل
وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب
نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم **قوله** عز وجل
ان تحرص على هداهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص
يا محمد على هدى هولا وايمانهم وتجتهد كل الجهد **فان الله لا يهدي من
يضل** قرى بفتح اليا وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله وقيل لا
يهتدي من اضله الله وقرى بضم اليا وفتح الدال ومعناه من اضله
الله فلا هادي له **وما لهم من ناصرين** يعني مانعين يمنعونهم من

العذاب

العذاب **واقسموا بالله جهد ايمانهم** قال ابن الجوزي سبب نزولها
ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه
فكان فيما تكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك
لتزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله ان **لا يبعث الله من يموت**
فنزلت هذه الاية قال ابو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت ٥
للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه
البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاوه وبلي امتنع عوده
بعينه لان الشي اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد
فنائه وعدمه فهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث
بعد الموت فذلك قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت فرد الله عليهم ذلك واكذبهم في قوله فقال تعالى بلى
يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي
والجواب عن شبهتهم ان الله خلق الانسان واوجده من
العدم ولم يكن شيا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على
ايجاده بعد اعدامه لان النشاة اهون من الاولى **وعدا عليه حقا**
يعني ان الذي وعد به من البعث بعد الموت وعدا حقا لا خلف فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك
العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شي **ليبين لهم الذي
يختلفون فيه** يعني من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه **وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين** يعني في قولهم لا بعث بعد الموت **انما
قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون** يعني ان الله اذا اراد ان
يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزا فلا تعب عليهم في احيايهم وبعثهم
انما يقول لشي اراده كن فيكون على ما اراد الله لانه القادر الذي لا يعجزه
شي اراده **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن ادم وما ينبغي ان يشتمني ويكذبني
وما ينبغي له اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا • واما تكذيبه فقوله
ليس يعيدني كما بداني • وفي رواية كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني
ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله ليس يعيدني كما بداني وليس
اول الخلق باهون علي من اعادته • واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله
ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قوله
تعالى **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا** يعني اوذوا وعذبوا
نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابو جندل بن سهل
اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر

وهم المستضعفون فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطحا مكة في
شدة الحر ويشدونه ويجعلوا على صدره الحجارة وهو يقول احد احد فاشتراه
منهم ابوبكر الصديق واعتقه واشترى معه ستة نفر اخر واما صهيب
فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلا انفعكم وان كنت عليكم فلا
اضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به ابوبكر الصديق فقال
يا صهيب ربح البيع واما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا
عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم
اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طايفة بالحبشة ثم بواهم الله
المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم
انصارا من المومنين فاووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الاية
تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة
اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال
من بلد الى بلد اخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه ومن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى
دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث
اخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب وقوله تعالى
لنبوينهم في الدنيا حسنة يعني لننزلنهم منزلة حسنة وهو انه
تعالى انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوينهم في الدنيا
دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة • روى ان عمر بن الخطاب
كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاه يقول له خذ بارك الله
لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة
افضل ثم يقرا هذه الاية • وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا
بان يفتح لهم مكة ويمكنهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها
ثم ننصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب • وقيل
المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية الى الدين **ولاجر
الاخرة اكبر** يعني اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم في الدنيا **لو
كانوا يعلمون** قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المومنين يعلمون ما
لهم في الاخرة والمعنى لو كان هولا الكفار يعلمون ان اجر الاخرة اكبر
مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المومنين
المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما اعد الله في الاخرة لزادوا في
الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين **الذين
صبروا** يعني في الله على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة
مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل

الانفس والاموال في سبيل الله **وعلى ربهم يتوكلون** يعني في امورهم
كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبتدا
السلوك الى الله تعالى ومنتهاه • اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها
على اعمال البر وساير الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن
الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصايب • واما التوكل
فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية •
فالاول هو مبدا السلوك الى الله والثاني هو اخر الطريق ومنتهاه

قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم

نزلت هذه الاية جوابا لاهل مكة لمشركي حيث انكروا نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا
بعث ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما ارسلنا من قبلك
يا محمد الا رجالا يعني مثلك يوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز
وجل جارية من اول مبدا الخلق انه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه
عادة مستمرة وسنة جارية قديمة **فاسالوا اهل الذكر** يعني اهل الكتاب
وهم اليهود والنصارى وانما امرهم بسوال اهل الكتاب لان كفار مكة
كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل اليهم رسلا منهم
مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سالوهم
فلا بد وان يخبروهم بان الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا
اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم **ان كنتم لا تعلمون** الخطاب
لاهل مكة يعني ان كنتم يا هولا لا تعلمون ذلك **بالبينات والزبر**
اختلفوا في معنى الجالب لهذه البا فقيل المعنى وما ارسلنا من قبلك
بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم ولم نبعث ملايكة وقيل معناه
وما ارسلنا من قبلك بالبينات الا رجالا نوحي اليهم ولم نبعث ملايكة
وقيل معناه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم ارسلناهم
بالبينات والزبر • وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسالوا اهل الذكر
يعني اهل العلم • والمعنى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انتم
ذلك والبينات والزبر لفظ جامع لكل ما يتكامل به امر الرسالة
لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي البينات
وعلى بيان الشرايع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة
على الرسل من الله عز وجل **وانزلنا اليك الذكر** الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد الذكر الذي هو القران وانما سماه
ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيه للغافلين **لتبين للناس ما نزل
اليهم** يعني ما اجمل من احكام القران وبيان الكتاب يطلب من

السنة والمبين لذلك المجمل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا
قال بعضهم متى وقع تعارض بين القران والحديث وجب تقديم
الحديث لان القران مجمل والحديث مبين لدلالة هذه الاية والمبين مقدم
على المجمل • وقال بعضهم القران منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب
ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله
لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما اجمل فيه دون المحكم المبين
المفسر **ولعلهم يتفكرون** يعني فيما انزل اليهم فيعملوا به **افامن الذين**
مكروا السيئات فيه اضمار تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش
مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه وبالغوا في اذيتهم
والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفا وقيل المراد بهذا
المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح
ان المراد بهذا المكر السعي في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين • وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله
والصحيح ان المراد بهم كفار مكة **ان يخسف الله بهم الارض** يعني كما
خسف بقارون من قبلهم **او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون**
يعني ان العذاب ياتيهم بغتة فيهلكهم فجاة كما اهلك قوم لوط وغيرهم
او ياخذهم في تقلبهم يعني في تصرفهم في الاسفار فانه تعالى قادر على
اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر • وقال ابن عباس
ياخذهم في اختلافهم • وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم وفي جميع
احوالهم **فما هم بمعجزين** يعني بسابقين الله او يفوتونه بل هو قادر عليهم
او ياخذهم على تخوف قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال
ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخوف يقال تخوفه الدهر وتخونه
اذا انتقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا
القول يكون المراد به انه ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشي بعد الشي
يعني يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف فيحتمل انه تعالى لا
ياخذهم بالعذاب اولا ثم يخيفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك
والكلبي هو من الخوف يعني طايفة فيتخوف الاخرون ان يصيبهم مثل
ما اصابهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب
ينزل من السما او بافات تحدث قليلا قليلا الى ان ياتي الهلاك
على اخرهم ثم انه تعالى ختم الاية بقوله **فان ربكم لروف رحيم** يعني انه
تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب قوله تعالى **او لم يروا** قرى
بالتا على خطاب الحاضرين وباليا على الغيبة **الى ما خلق الله من شي**
يعني من جسم قايم له ظل وهذه الروية لما كانت بمعنى النظر والاعتبار

لايكون

لا يكون الا بنفس الروية التي يكون معها نظر الى الشي ليتامل احواله
ويتفكر فيه ويعتبر به **يتفيوا ظلاله** يعني تميل وتدور من جانب الى
جانب فهي في اول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في اخر النهار الى
حالة اخرى ويقال للظل بالعشي فيء لانه من فاء يفيء اذا رجع من
المغرب الى المشرق والفيء الرجوع • قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها
بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه
الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله
جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شي
لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال **عن اليمين**
والشمايل قال العلما اذا طلعت الشمس من المشرق وانت متوجه
الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت
في وسط السما كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب
كان ظلك عن يسارك • وقال قتادة والضحاك اما اليمين فاول
النهار واما الشمايل فاخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به
الجمع للايجاز والاختصار في اللفظ • وقيل اليمين راجعة الى لفظ
الشي وهو واحد والشمايل راجع الى المعنى لان لفظ الشي يراد به الجمع
سجدا لله في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام
والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طاطا راسه ليركب
وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشيا التي لها
ظلال فهي منقادة لله مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له
من التفيؤ وغيره • قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شي لله والقول
الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها
كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين
اطلق الله عليها هذا اللفظ • وقيل ظل كل شي ساجد لله سوا كان
ذلك الشي يسجد لله او لا • ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير
ساجد لله **وهم داخرون** اي صاغرون اذلا والداخر الصاغر الذي يفعل
ما تامر به شا ام ابى وذلك ان جميع الاشيا منقادة لامر الله تعالى
فان قلت الظلال ليست من العقلا فكيف عبر عنها بلفظ
من يعقل وجمعها بالواو والنون **قلت** لما وصفها الله تعالى
بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من
يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلا **قوله عز وجل**
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال العلما السجود
على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود

انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض يحتمل النوعين لان سجود كل شي بحسبه فسجود المسلمين والملائكة
لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى
بلفظة ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان من لا
يعقل اكثر مما يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على
المونث ولانه لو اتى بمن التي هي للعقلا لم يكن فيها دلالة على التغليب
بل كانت متناولة للعقلا خاصة فاتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة
الدابة مشتق من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة
اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان
لانه مما يدب على الارض ولهذا افرد الملائكة في قوله والملائكة
لانهم اولوا اجنحة يطيرون بها وافردهم بالذكر وان كانوا في جملة من
في السموات لشرفهم • وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من
الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة
وسجود غيرهم تذللها وتسخيرها لما خلقت له او سجود ما لا يعقل ٥
والجمادات تدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فتدعوا الغافلين
الى السجود لله عند التامل والتدبر وهم لا يستكبرون يعني الملائكة
يخافون ربهم من فوقهم هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد
تقدم تفسيره ٥ ويفعلون ما يومرون عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون
الى الله تعالى قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه
الترمذي وقال وقد روي عن ابي ذر موقوفا

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان
يسجد عند قراتها وسماعها • قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل ما في السموات
والارض خاضعون له منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت
قدرته وقبضته نهى في هذه الاية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين
فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين
توكيدا لقوله الهين • وقال صاحب النظم فيه تقديم وتاخير تقديره
لا تتخذوا اثنين الهين يعني ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها
ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله انما هو اله واحد لان الالهين لا

يكونان متساويين في الوجود والعدم وصفات الكمال والقدرة
والارادة فصار الاثنينية منافية للالهية فلذلك قوله انما هو اله
واحد يعني لا يجوز ان يكون في الوجود الهين اثنين انما هو اله واحد
فاياي فارهبون يعني فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب
وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات
لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياي فارهبوه فهو من بديع الكلام
وبلغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق الا منه
ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه وله ما في السموات
والارض لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا
شريك له في الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي
ملكه وتصرفه وتحت قدرته فلذلك قوله تعالى وله ما في السموات
والارض يعني عبيدا وملكا وله الدين واصبا يعني وله العبادة
والطاعة واخلاص العمل دايما ثابتا والواجب الدايم قال ابن قتيبة
ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطاع ذلك بسبب في حال الحياة
او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة ابدا ولانه
المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة ابدا ولانه
المنعم على عباده دايما ابدا افغير الله تتقون يعني انكم عرفتم ان الله
واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد
هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى
التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل
وما بكم من نعمة فمن الله يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان
وسعة في الارزاق وكل ما اعطاكم من مال او ولد فكل ذلك من الله
تعالى هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه
ولما بين في الاية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا
الا الله تعالى بين في هذه الاية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا
اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليكم عليهم شكره عليها
ثم اذا مسكم الضر اي الشدة والامراض والاسقام فاليه تجارون
يعني اليه تستغيثون وتضجون بالدعا ليكشف عنكم ما نزل بكم من
الضر والشدة واصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومنه جوار البقرة
والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتدا فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات
فلا يفزع الا اليه ولا يدعا الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على
كشفها وهو قوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم يعني ثم اذا ازال
الشدة والبلا عنكم اذا فريق منكم بربهم

يشركون يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوايد والاسباب و لا
يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه
وانما قسمهم فريقين لان فريق المومنين لايرون كشف الضر الا من
الله تعالى ثم قال تعالى **ليكفروا بما اتيناهم** قيل ان هذه اللام لام
كي ويكون المعنى على هذا انهم ما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في
كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو
كفرهم بما اتيناهم من النعما وكشفنا عنهم الضر والبلا **فتمتعوا** لفظة
امر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التى انتم
فيها الى المدة التي ضربها الله لكم **فسوف تعلمون** يعني عاقبة امركم
الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى **ويجعلون لما لا
يعلمون نصيبا** قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين
يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى الاصنام يعني ان
الاصنام لا تعلم شيا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح
القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود
الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون
وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا انه
عايد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني
المشركين لما لا يعلمون انه الها ولا اله حقا نصيبا واذا قلنا انه
عايد الى الاصنام لم يحتج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم وقوله
مما رزقناهم يعني ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم
وانعامهم واموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام
تالله اقسم بنفسه على نفسه انه يسالهم يوم القيمة وهو قوله
لتسالن عما كنتم تفترون يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم
ان هذه الاصنام الالهة وان لها نصيبا من اموالهم وهذا التفات
من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه **ويجعلون
لله البنات** وهو خزاعة وكنانة قالوا الملايكة بنات الله وانما
اطلقوا لفظ البنات على الملايكة لاستتارهم عن العيون كالنسا
او لدخول لفظ التانيث في تسميتهم **سبحانه** نزه الله نفسه عن الولد
والبنات **ولهم ما يشتهون** يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني
البنين **واذا بشر احدهم بالانثى** البشارة عن الخبر السار الذى يظهر
على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان الفرح والسرور يوجبان
تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن والغم ايضا يظهر اثره على الوجه
وهو الكمودة التى تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا

ان

ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله
واذا بشر احدهم **ظل وجهه مسودا** يعني متغيرا من الغم والحزن والقبض
والكراهة التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هولا المشركين
لا يرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنتسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها
الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله **وهو كظيم** يعني انه ظل
ممتلى حزنا وغما **يتوارى من القوم من سوء ما بشر به** يعني انه
يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية
اذا قرب ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم الى ان يعلم ما ولد له
فان ولد له ذكر ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر
اياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى **ايمسكه على هون** يعني
على هوان وانما ذكر الضمير في ايمسكه لانه عايد الى ما بشر به في قوله
واذا بشر احدهم **ام يدسه في التراب** يعني ام يخفي ذلك الذى بشر
به في التراب ويئده والدس اخفا الشي في الشي قال اهل التفسير
ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات احيا والسبب في ذلك
اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة او للحمية فيخاف عليهن
من الاسر ونحوه او لطمع غير الاكفا فيهن فكان الرجل من العرب
في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى اذا
كبرت البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في
البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال
لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمايها ويكون قد حفر لها حفرة
في الصحرا فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البير فاذا نظرت
اليها دفعها من خلفها في تلك البير ثم يهيل التراب على راسها وكان
صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشي من ذلك وجه بابل الى والد
البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

● وعمي الذي منع الوايدات ● فاحيا الوييد ولم يوءد ●

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوايدة والمودة
في النار اخرجه ابو داود وقوله تعالى **الا سا ما يحكمون** يعني بيس ما
يقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن
ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك
اذا قسمة ضيزى ● وقيل معناه الا سا ما يحكمون في واد البنات
للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء يعني صفة السوء من احتياجهم
الى الولد وكراهتهم الاناث وقتلهم خوف الفقر **ولله المثل الاعلى**
اي الصفة العليا المقدسة وهي انه له التوحيد وانه المنزه عن الولد

وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم
والقدرة والبقا السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله
بها نفسه ۝ وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلا شهادة
ان لا اله الا الله **وهو العزيز** اى الممتنع فى كبريايه وجلاله **الحكيم**
يعنى فى جميع افعاله **قوله عز وجل** **ولو يواخذ الله الناس بظلمهم**
يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم
فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى اية
اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم
فى هذه الاية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة
قلت قوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه
الاية الاخرى لان فى جنس الناس الانبيا والصالحون ومن لا يطلق
عليه اسم الظلم ۝ وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك
لظلم عظيم وقوله **ما ترك عليها** يعنى على الارض كناية عن غير مذكور
لان الدابة لا تدب الا على الارض **من دابة** يعنى ان الله تعالى لو يواخذ
الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة
وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على
وجه الارض الا من كان فى السفينة مع نوح عليه السلام ۝ وروى
ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بيس ما
قلت ان الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم ۝ وقال ابن مسعود ان الجعل
تعذب فى جحرها بذنب ابن ادم ۝ وقيل اراد بالدابة الكافر بدليل
قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ۝ وقيل فى معنى الاية ولو
يواخذ الله الاباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسب ولم توجد
الابنا فلم يبق فى الارض احد **ولكن يوخرهم** يعنى يمهلهم بفضله
وكرمه وحلمه **الى اجل مسمى** يعنى الى انتها اجالهم وانقضا اعمارهم
فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعنى لا
يوخرون ساعة عن الاجل الذى جعله لهم ولا ينقصون منه وقيل
اراد بالاجل المسمى يوم القيمة والمعنى ولكن يوخرهم الى يوم القيمة
فيعذبهم فلا يستاخرون عن العذاب ساعة ولا يستقدمون ۝ ۝
ويجعلون لله ما يكرهون يعنى لانفسهم وهن البنات **وتصف السنتهم
الكذب ان لهم الحسنى** يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم
قالوا لله البنات ولنا البنين وهذا القول كذب منهم وافترا على
الله تعالى ۝ وقيل اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم
الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان

محمد صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم
الله تعالى فقال **لا جرم ان لهم النار** يعنى فى الاخرة لا الجنة **وانهم
مفرطون** قرى بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرى بكسر الراء
مع التشديد يعنى مضيعون لامر الله وقراة الجمهور بفتح الراء ۝
تخفيفها اى منسيون فى النار قاله ابن عباس ۝ وقال سعيد بن
جبير ومقاتل متركون ۝ وقال قتادة معجلون الى النار ۝ وقال الفرا
مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الما قبل القوم ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اى متقدمكم **تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك** يعنى كما ارسلنا الى هذه الامة لقد ارسلنا
الى امم من قبلك فكان شانهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم **فزين لهم الشيطان اعمالهم** يعنى اعمالهم
الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى
هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان الة بالقا الوسوسة
فى قلوبهم وليس له قدرة ان يضل احدا او يهدى احدا وانما له
الوسوسة فقط فمن اراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل
وسوسته **فهو وليهم** اى ناصرهم **اليوم** ومن كان الشيطان وليه
وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم
اياه **ولهم عذاب اليم** يعنى فى الاخرة **وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه** يعنى من امر الدين والاحكام
فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من
الحرام **وهدى ورحمة** يعنى وما انزلنا عليك الكتاب الا بيانا
وهدى ورحمة **لقوم يومنون** لانهم المنتفعون به قوله تعالى
والله انزل من السما ما يعنى المطر **فاحيا به الارض** يعنى بالما
الارض يعنى بالنبات والزرع **بعد موتها** يعنى بعد يبسها
وجدوبتها **ان فى ذلك لاية** يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا
لقوم يسمعون يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع
القلوب هو النافع لا سماع الاذان فمن سمع ايات القران بقلبه
وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالايات
وان لكم فى الانعام لعبرة يعنى اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا
على ذلك **نسقيكم مما فى بطونه** الضمير عايد الى الانعام فكان
حقه ان يقال مما فى بطونها واختلف النحويون فى الجواب
فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ
مفرد ويكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى يكون

ضره صنع الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال
في سورة المؤمنون مما في بطونها وهذا قول ابي عبيدة والاخفش
وقال الكسائي رده الى ما يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال المورج
الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كانه قال نسقيكم مما في
بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن **من بين فرث** وهو
ما في الكرش من الثفل فاذا اخرج منها لا يسمى فرثا **ودم لبنا**
خالصا يعني من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رايحة
الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستقر في كرشها
وطحنته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد
مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى فيجري الدم في العروق
واللبن في الضرع ويبقى الثفل كما هو **سايغا للشاربين** يعني
هنيا سهلا يجري في الحلق بسهولة وقيل انه لم يغص باللبن
احد قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الاية وحكى الامام
فخر الدين الرازي قول الحكما في ذلك فقال ولقايل ان يقول الدم
واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان
هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما راى احد في كرشها
دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان اذا تناول الغذا وصل ذلك
العلف الى معدته وان كان من الانعام الى كرشه فاذا طبخ وحصل
الهضم الاول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا
نزل الى الامعا ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير
دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفرا والسودا
وزيادة المائية فاما الصفرا فتذهب الى المرارة واما
السودا فتذهب الى الطحال واما المائية فتذهب الى الكلية
ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب في الاوردة وهي العروق
النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد
وبين الضرع والضرع لحم غددي ابيض فيقلب الله عز وجل ذلك
الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد
من الاجزا اللطيفة من الاشيا الماكولة الحاصلة في الكرش
فاللبن تولد اولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله تعالى
بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن
في الضرع خلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي
ثقبا صغارا ومساما ضيقة فجعلها كالمصفاة للبن فكل ما
كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحلب وما كان كثيفا

احتبس

احتبس في البدن وهو المراد بقوله خالصا يعني من شوايب
كدورة الدم والفرث **سايغا للشاربين** يعني جاريا في حلوقهم
سهلا لذيذا هنيا مريئا **قوله عز وجل** **ومن ثمرات النخيل**
والاعناب يعني ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات
النخيل والاعناب **تتخذون منه** الضمير في منه يرجع الى ما تقديره
ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه **سكرا ورزقا**
حسنا قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وابراهيم النخعي وابن ابي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر
سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر
ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب
والخل وغير ذلك **فان قلت** الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في
معرض الانعام والامتنان **قلت** قال العلما في الجواب
عن هذا ان السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي
مدنية فكان نزول هذه الاية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير
محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الاية على تحريم الخمر
ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان يقال
الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس
ان السكر هو الخل بلغة الحبشة • وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو
نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول
الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد
من الاية الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا منسوخ • سيل ابن عباس عن هذه الاية فقال
السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل • **قلت** القول
بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم
انها منسوخة راى ان هذه الاية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر
ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم على هذه الاية بانها منسوخة
وقال ابو عبيدة في معنى الاية انها منسوخة ان السكر الطعم
يقال هذا سكر لك اي طعم لك • وقال غيره السكر ما سد الجوع
من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع
وهذا اشرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم **ان في ذلك** يعني ان
الذي ذكر من انعامه على عبيده **لاية** يعني دلالة وحجة واضحة
لقوم يعقلون يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الاية على

كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشيا خالقا
ومدبرا قادرا على ما يريد قوله تعالى **واوحى ربك الى النحل**
لما ذكر الله تعالى دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة على وحدانيته
من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق
الحسن من ثمرات النخيل والاعناب فذكر هذه الاية اخراج العسل
الذى جعله شفا من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال تعالى واوحى
ربك الى النحل الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به
كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة
الله تعالى ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشيا المدبر لها
بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحى الاشارة السريعة وذلك يكون
بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال
للكلمة الالهية التى يلقيها الى انبيايه وحى والى اوليايه الهام
واما تسخير لما خلق له وهو قوله واوحى ربك الى النحل يعنى انه
سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدرها فى نفسها هذه الاعمال
العجيبة التى يعجز عنها العقلا من البشر وذلك ان النحل تبنى بيوتا
على شكل مهندس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض
بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او
غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينهما خللا ولما حصل المقصود
فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذى لا
يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضايعة والهمها الله ايضا ان يجعلوا
عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه ويمتثلون امره ويكون
هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل يعنى
ملكهم هذا حكاه الجوهرى • والهمها الله تعالى ان يجعلوا على باب
كل خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها • والهمها ايضا
انها تخرج من بيوتها مدورة وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل
عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدال
على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهى فكان ذلك
شبيهه بالوحى فلذلك قال الله تعالى واوحى ربك الى النحل والنحل
والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا • قال الزجاج يجوز ان يكون
هذا الحيوان نحلا لان الله تعالى نحل العسل الذى يخرج من بطونها
يعنى اعطاهم • وقال غيره النحل يذكر ويونث وهى مونثة فى لغة
الحجاز وكذا انثها الله فقال تعالى **ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن**
الشجر ومما يعرشون يعنى يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه

وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر ويأوى الى الكهوف ومنه أهلى
وهو الذى يأوى البيوت وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة
ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تاوى اليها وقال ابن زيد اراد
بالذى يعرشون الكروم **ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك**
يعنى الطرق التى الهمك الله ان تسلكها وتدخل فيها لاجل طلب
الثمرات **ذللا** قيل انها نعت للسبل يعنى انها مذللة لك الطرق
مسهلة لك مسالكها • قال مجاهد لا يتوعر عليها مكانا تسلكه
وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة
منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان اخر حيث شاوا
وارادوا وانها لا تستعصى عليهم **يخرج من بطونها شراب** يعنى العسل
مختلف الوانه يعنى ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من انواع
العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والازهار يستحيل فى
بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من افواهها يسيل
كاللعاب **وزعم** الامام فخر الدين الرازى انه راى فى بعض
كتب الطب ان العسل طل من السما ينزل كالترنجبين فيقع على
الازهار واوراق الشجر فتجمعه النحلة فتاكل بعضه وتدخر بعضه
فى بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع فى بيوتها من تلك
الاجزا بطلبه شى كثير فذلك هو العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل
يتغذى بالعسل • **واجاب** عن قوله تعالى يخرج من بطونها
يعنى من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد ان يوجد
فى طعم العسل طعم تلك الازهار التى تاكلها النحل فلذلك يوجد
لونها وريحها وطعمها ايضا فيعضد هذا قول بعض ازواج النبى صلى
الله عليه وسلم له اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح الذى
اجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط
العرفط شجر الطلع وله صمغ يقال له المغافير كريهة الريح فمعنى جرست
نحلة العرفط اكلت ورعت من العرفط الذى له الرايحة الكريهة
فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد فى
طعم العسل ولونه وريحه لا ما قاله الاطبا من انه طلا لو كان طلا لكان
على لون واحد وطبيعة واحدة • وقوله ان طبيعة العسل تقرب من
طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة
وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس فى الدرجة الثانية
فبينهما فرق كثير وقوله كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا فيه
نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن

الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى فيه يعني في الشراب الذي
يخرج من بطون النحل شفا للناس وهذا قول ابن عباس وابن
مسعود اذا الضمير في قوله شفا للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا
في هذا الشفا هل هو على العموم من كل مرض او على الخصوص لمرض
دون مرض على القولين احدهما ان العسل فيه شفا لكل دا وكل مرض
قال ابن مسعود العسل شفا من كل دا والقران شفا من كل دا
لما في الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفائين القران والعسل
وروي نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ما كانت تخرج به قرحة ولا
شي الا لطخ الموضع بالعسل ويقرا يخرج من بطونها شراب مختلف
الوانه فيه شفا للناس ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق
بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه
فجاه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث
مرات ثم جاه الرابعة فقال له اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم
يزده الا استطلاقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فبرى • وقد اعترض بعض الملحدين
ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطبا مجمعون
على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال ونقول في الرد
على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل
من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث في التخم والهيضات وقد اجمع
الاطبا في هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها بان احتاجت
الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها
لضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا
الشخص المذكور في الحديث اصابه الاسهال من امتلا او هيضة
فدواه بترك انتقاله على ما هو عليه او تقويته فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان
فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الذي كان به موافقة شرب
العسل فثبت بما ذكرناه ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا
الرجل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا
نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطبا بل لو كذبوه لكذبناهم
وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب
دفعا لهذا المعترض وان لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها
والله اعلم • وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك

يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بهذا الوحي الالهي ان العسل الذي
امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم
قال صدق الله يعني فيما وعد به من ان فيه شفا وكذب بطن اخيك
يعني باستعجالكم للشفا في اول مرة والله اعلم بمراده ومراد
رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفا للناس وهو
يضر باصحاب الصفرا ويهيج الحرارة ويجز باكتساب المحرور ويعطش
قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفا للناس
خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفا ولم يقل انه شفا لكل
الناس ولكل دا لكنه في الجملة دوا وان نفعه اكثر من مضرته وقل
معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل
نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا
والقول الثاني انه شفا للاوجاع التي شفاوها فيه وهذا قول
السدي • وقال مجاهد في قوله فيه شفا للناس يعني القران
لانه شفا من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة
للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات
واقربها قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولى ان
يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى ان في ذلك لاية
لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا
وقدرتنا قوله عز وجل • والله خلقكم يعني اوجدكم من العدم
واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا اشيا ثم يتوفاكم يعني عند انقضا
اجالكم اما صبيانكم اما شبانكم اما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر
يعني الى ارداه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلما هو عمر الانسان
له اربع مراتب اولها من النشو والنما وهو من اول العمر الى بلوغ
ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهو غاية من الشباب وبلوغ
الاشد • ثم المرتبة الثانية من الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين
سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل • المرتبة
الثالثة من الكهولة من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة
تشرع الانسان الى النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة
الرابعة من الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر وفيه يتبين
النقص ويكون الهرم والخوف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة • وقال قتادة
تسعون سنة ق عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل

واعوذبك من عذاب القبر واعوذبك من المحيا والممات وفي رواية
اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا بهولاء
الدعوات اللهم انى اعوذبك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب
القبر وفتنة المحيا والممات قوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيا يعنى
ان الانسان يرجع الى حال الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر
قال ابن عباس رضى الله عنهما لكى يصير كالصبى الذى لا عقل له وقال
ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيا لشدة هرمه وقال
الزجاج والمعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خوفا فيصير
بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته كما قدر على اماتته واحيايه
انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو
قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل هكذا
انه قادر على احيايه بعد اماتته فيكون ذلك دليلا على صحة البعث
بعد الموت لكان اجود • قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس هذا فى
المسلمين المسلم لا يزداد فى طول العمر والبقا الا كرامة عند الله وعقلا
ومعرفة • قال عكرمة رضى الله عنه من قرا القران لم يرد الى ارذل
العمر حتى لا يعلم بعد علم شيا • وقال فى قوله الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات هم الذين قروا القران • وقال ابن عباس فى قوله تعالى
ثم رددناه اسفل السافلين يريد الكافر ثم استثنى المومنين فقال
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل ان الله عليم بما صنع
باوليايه واعدايه قدير يعنى على ما يريد قوله تعالى والله فضل
بعضكم على بعض فى الرزق يعنى ان الله تعالى بسط على واحد
وضيق على واحد وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على واحد وكما
فضل بعضهم على بعض فى الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض فى الخلق
والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبيح والعلم والجهل
وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون فى ذلك كله وهذا مما
اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية فما الذين فضلوا
برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعنى من العبيد حتى يستووا
فيه هم وعبيدهم يقول الله تعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم
فيما رزقهم سوا وقد جعلوا عبيدى شركاى فى ملكى وسلطانى يلزم
بهذا الحجة على المشركين حيث جعلوا الاصنام شركا لله • قال قتادة
هذا مثل ضربه الله عز وجل يقوله هل منكم احد ان يرضى ان يشركه
مملوكه فى ملكه وجميع ما له فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل
فى معنى الاية ان الموالى والمماليك الله رزقهم جميعا فهم فيه يعنى فى

رزقه سوا فلا تحسبن الموالى انهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند
انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايدى الموالى للمماليك والمقصود
منه بيان ان الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالى والمماليك فى
ذلك الرزق سوا فان المالك لا يرزق المملوك بل ارزاق المملوك
والمالك هو الله تعالى وقوله افبنعمة الله يجحدون فيه انكار على
المشركين بحيث جحدوا نعمة وعبدوا غيره قوله عز وجل والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا يعنى النسا فخلق من ادم حوى زوجته
وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه
ادم وحوى خلاف الدليل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة
جمع حافد وهو المسرع فى الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه
قوله فى الدعا واليك نسعى ونحفد اى نسرع الى طاعتك فهذا
اصله فى اللغة ثم اختلف اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود
والنخعى الحفدة اختان الرجل على بناته • وعن ابن مسعود انهم
اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم
من ازواجكم بنين وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بسببهم الاختان
والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد
هم الاخوان وكل ما اعانك فقد حفدك • وقال عطا هم ولد
الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وهم اهل المهنة الذين يمتهنون
ويخدمون الاكابر الاولاد الذين يعينون الرجل على اهله وقال
ابن عباس رضى الله عنهما هم ولد الولد • وفى رواية اخرى عنه انهم
بنوا امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان
اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك • وبالجملة فان الحفدة هم
غير البنين • قال الله تعالى بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة قوله
ورزقكم من الطيبات يعنى النعم التى انعم بها عليكم من انواع الثمار
والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله
قوله افبالباطل يؤمنون يعنى بالاصنام وقيل بالشيطان يومنون
قيل معناه يصدقون ان لى شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام
انكار اى ليس لهم ذلك وبنعمة الله هم كافرون يعنى بانهم يضيفون
ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض يعنى الاصنام التى لا تقدر على انزال المطر الذى فى السموات
خزاينه ولا يقدرون على اخراج النبات الذى فى الارض معدنه
شيا يعنى لا يملك من الارزاق شيا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه

يعبدون من لا يرزق شيئا **ولا يستطيعون** ولا يقدرون على شيء بذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر **فلا تضربوا لله الامثال** اي يعني لا يشبهون الله بخلقه وانه احد لا مثيل له ولا شبيه له ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق او الرازق بالمرزوق او القادر بالعاجز **ان الله يعلم** يعني خطأ ما انتم عليه من ضرب الامثال له **وانتم لا تعلمون** خطأ ما تضربون له من الامثال قوله تعالى **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا** لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم فضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم الله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز الى التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فصريح العقل يشهد بانه لا تسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله عز وجل الخالق الرازق على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء وقيل انه الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيئا ٥ والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله عز وجل **فهو ينفق منه سرا وجهرا** فاثابه الجنة على ذلك **فان قلت** يقال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد فهو مملوك وهو غير قادر على التصرف **قلت** لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد فهو مملوك لما ذكر المملوك فليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله تعالى واما قوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب والماذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف ٥ واحتج العلماء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا **هل يستوون** ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوون الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذا لا يستوي الكافر والمؤمن والعاصي والطايع قال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال **الحمد لله** حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده

وهو الخالق الرازق لا هذه الاصنام التي عبدوها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجز لا تدل على احد ولا معروف فيحمد انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لانه اهل الحمد والثناء الحسن **بل اكثرهم** يعني الكفار **لا يعلمون** يعني الحمد لله لا لهؤلاء الاصنام **وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم** وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يُفهم **لا يقدر على شيء** وهو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل **وهو كل على مولاه** اي ثقيل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحد ويقال كل السكين اذا غلظت شفرتها وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل على مولاه **اينما يوجهه** اي حيث ما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم **لا يأت بخير** يعني لا ياتي بنجح لانه اخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم **هل يستوي** يعني من هذه صفته **هو** يعني صاحب هذه الصفات المذمومة **ومن يامر بالعدل** يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات وهو ذو رشد وديانة يامر بالعدل والخير **وهو** يعني في نفسه **على صراط مستقيم** يعني سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحمته والطافه ولا صنام التي اموات جمادات لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر فالمؤمن هو الذي يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يامر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل على الخصوص فالذي يامر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي هو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يامر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يامره بالاسلام وذلك المولى يامر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأتي بخير ابي بن خلف وبالذي يامر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون **ولله غيب السموات والارض** اخبر الله

عز وجل في الاية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه
شي منها وقيل الغيب هنا قيام الساعة وهو قوله وما امر الساعة
يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف
الحساب الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن
العين وفتحه وهو طرف العين ايضا او هو اقرب يعني ان لمح البصر
يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى اذا اراد شيا قال له كن فيكون
في اسرع من لمح البصر وهو قوله ان الله على كل شي قدير وفيه دليل
على كمال قدرة الله تعالى وانه تعالى مهما اراده كان اسرع ما يكون
قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في اقرب من لمح البصر ولكنه
تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شا لا يعجزه شي

قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيا تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة ومبداها خاليا
عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدا فقال تعالى وجعل لكم
السمع والابصار والافيدة يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه
الحواس لتنتقلوا بها عن الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا بها
به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلايل السمعية لتستدلوا بها على
على ما يصلحكم في امور دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجايب
مصنوعات الله وغرايب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانية
الله وجعل لكم الافيدة لتعقلوا بها وتفهموا بها معاني الاشيا التي
جعلها دلايل وحدانيته • وقال ابن عباس في هذه الاية يريد لتسمعوا
مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم منذ اخرجكم من بطون امهاتكم
الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله • وقيل في معنى الاية والله خلقكم
من بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة
وجعل لكم الحواس الات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم بها وعبادته والقيام بحقوقه والترقي
الى ما يسعدكم في الاخرة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان جعل
هذه الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه
الحواس للانسان في جملة خلقه وهو في بطن امه قلت
ذكر العلما فيه ان تقديم الاخراج وتاخيره ذكر هذه الحواس لا يدل على
ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب
تقدم وتوخر في بعض كلامها • واقول لما كان الانتفاع بهذه
الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت من البطن في ذلك
الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كان قد خلقت قبل ذلك وقوله

تعالى لعلكم تشكرون يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في
شكر من انعم بها عليكم الم يروا الى الطير مسخرات يعني مذللات في
جو السما الجو الفضا الواسع بين السما والارض وهو الهوا قال كعب
الاحبار ان الطير لترتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك ما
يمسكهن الا الله يعني في حال قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها في
الهوا وفي هذا احث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا
ذللها وممسكا امسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهوا وهو الله
تعالى وهو قوله ان في ذلك لايات لقوم يومنون انما خص المومنين
بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها وينتفعون
بها دون غيرهم قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا يعني التي
هي من الحجر والمدر سكنا يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت
اليه وفيه من الف او بيت وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
هي الخيام والقباب والاخبية والفسا طيط المتخذة من الادم
والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما ما لا يمكن نقله من
مكان الى مكان اخر وهي البيوت من الحجارة والخشب ونحوها
والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي الخيام والفسا
طيط •
المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى تستخفونها
يعني يخف عليكم حملها يوم ظعنكم يعني في يوم سيركم ورحيلكم في
اسفاركم وظعن البادية هو لطلب ما او مرعى ونحو ذلك ويوم
اقامتكم يعني ويخف عليكم ايضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل
عليكم في الحالتين ومن اصوافها واوبارها واشعارها الكناية
عايدة الى النعم يعني ومن اصواف الضان واوبار الابل واشعار
المعز اثاثا يعني تتخذون اثاثا الاثاث متاع البيت الكبير
واصله من اث اي كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال
ابن عباس اثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا • وقال القتيبي
الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره
الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك ومتاعا
يعني وبلاغا وهو ما يتمتعون به الى حين يعني الى حين يبلى ذلك
الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت اي فرق بين
الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة
فهل من فرق قلت الاثاث ما كثر من الات البيت وحوايجه
وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به
في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله اعلم والله جعل

لكم مما خلق ظلالا يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد
وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار وجعل لكم من الجبال اكنانا
جمع كن وهو ما يستكن من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران
ونحوها وذلك ان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا فاذا سافر
احتاج في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب
معه الخيام في سفره يستكن فيها والى الاشارة بقوله وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا واما الفقير فيستكن بظلال الاشجار
والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل
لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب
شديدة الحرارة وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدتها وقوته
اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان
عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف
وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر
احدهما لدلالة الكلام عليه وسرابيل تقيكم باسكم يعني الزروع
والجواشن وساير ما يلبس في الحرب ليمنع من السلاح والباس
الحرب يعني تقيكم في باسكم السلاح ان يصيبكم السلاح قال عطا
الخراساني انما نزل القران على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم
من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم كانوا
اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها
اثاثا وما جعل لكم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا اصحاب
صوف ووبر وشعر وكما قال وينزل من السما من جبال فيها من
برد وما انزل الله من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال
تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر
وقوله تعالى كذلك يعني انعم عليكم بهذه النعم يتم نعمته عليكم يعني
من نعم الدنيا والدين لعلكم تسلمون يعني لعلكم يا اهل مكة تخلصون
لله الوحدانية والعبودية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلموا
انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى فان تولوا يعني فان
اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد واثروا ما هم فيه من
الكفر واللذات الدنيوية وانما وبال ذلك عليهم لا عليك فانما
عليك البلاغ المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة
تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله بقوله
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال السدي نعمة الله يعني محمد صلى

الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام وهو من اعظم
النعم التي انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه وقال
مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون
بانها من الله ثم اذا قيل تصدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها
ويقولون ورثناها عن ابائنا وقال الكلبي هو انه لما ذكر هذه النعم
قالوا هذه نعم كلها من الله لكنها بشفاعة الهتنا وقيل هو قول
الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعرفون
بان الله انعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا
يشكروه عليها واكثرهم الكافرون انما قال تعالى واكثرهم الكافرون
مع انهم كلهم كانوا كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف
فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل اراد بالاكثر الكفار الجاحدين
المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل
انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع قوله
عز وجل ويوم نبعث من كل امة شهيدا لما ذكر الله تعالى
انعامه على الكفار وانكارهم لها وذكر ان اكثرهم كافرون اتبعه
بذكر الوعيد لهم في الاخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا
يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيمة والمراد به ان الشهدا امم
الانبيا يشهدون على اممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر ثم لا يوذن
للذين كفروا يعني في الاعتذار وقيل لا يوذن لهم في الكلام اصلا
وقيل لا يوذن بالرجوع الى دار الدنيا حتى يعتذرون ويتوبون
وقيل لا يوذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم
بذلك ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة
هي الغلظة والموجدة التي يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل
انما يطلب العتاب من خصمه ليزول ما في نفسه عليه من الموجدة
والغضب ويرجع الى الرضا عنه وان لم يطلب العتاب منه دل ذلك
على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الاية انهم لا يكلفون ان يرضوا
ربهم في ذلك اليوم لان الاخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى
الدنيا فيتوبوا او يرضوا ربهم والاستعتاب التعرض لطلب الرضا
وهذا باب منسد على الكفار في الاخرة واذا راى الذين ظلموا العذاب
يعني ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي العذاب يعني عذاب جهنم
فلا يخفف عنهم يعني العذاب ولا هم ينظرون يعني لا يوخرون ولا
يمهلون واذا راى الذين اشركوا يعني يوم القيمة شركاهم يعني اصنامهم
التي كانوا يعبدونها في الدنيا قالوا ربنا هولا شركاونا الذين كنا ندعوا

من دونك يعنى اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم الهة **فالقوا** يعنى
الاصنام **اليهم** يعنى الى عابديها **القول انكم لكاذبون** يعنى ان
الاصنام قالوا للكفار انكم لكاذبون يعنى فى تسميتنا الهة وما دعوناكم
الى عبادتنا **فان قلت** الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها
الكلام **قلت** لا يبعد ان الله تعالى لما بعثها واعادها فى
الاخرة خلق فيها الحياة و النطق والعقل حتى قالوا ذلك والمقصود
من اعادتها وبعثها حتى تكذب الكفار ويراها الكفار وهى فى غاية
الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة **والقوا** يعنى المشركين
الى الله يومئذ السلم يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم
ولم تغن عنهم الهتهم شيا **وضل عنهم** يعنى وزال عن المشركين **ما كانوا**
يفترون يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم ان الاصنام تشفع
لهم **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** يعنى انهم ضموا مع كفرهم
انهم منعوا الناس عن الدخول فى الايمان بالله ورسوله **زدناهم**
عذابا فوق العذاب يعنى زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم
عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى
واختلفوا فى هذه الزيادة ما هى فقال عبد الله بن مسعود عقارب
لها انياب كامثال النخل الطوال • وقال سعيد بن جبير حيات
كالبخت وعقارب امثال البغال تلسع احدهم اللسعة فيجد
صاحبها المها اربعين خريفا • قال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة
انهار من صفر مذاب كالنار تسيل تحت العرش يعذبون بها ثلاثة
على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار • وقيل انهم يخرجون من حر
النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين
بها وقيل يضا عف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب
صدهم الناس عن سبيل الله **بما كانوا يفسدون** يعنى ان الزيادة
انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا
يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر **ويوم نبعث**
فى كل امة شهيدا عليهم قال ابن عباس يريد الانبيا قال
المفسرون كل نبى شاهد على امته وهو اعدل شاهد عليها
من انفسهم يعنى منهم لان كل نبى انما بعث من قومه الذين
بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة
وعصيان **وجئنا بك** يا محمد **شهيدا على هولا** يعنى على قومك
وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى **ونزلنا عليك الكتاب**
يعنى القران **تبيانا لكل شى** تبيان اسم من البيان قال مجاهد

يعنى

يعنى ما امر به وما نهى عنه وقال اهل المعانى تبيانا لكل شى
يعنى من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب
العلم به من بيان النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه
وسلم بين ما فى القران من الحدود والاحكام والحلال والحرام
وجميع المامورات والمنهيات او اجماع الامة فهو ايضا اصل
ومفتاح لعلوم الدين **وهدى** يعنى من الضلالة **ورحمة** يعنى
لمن امن به وصدقه **وبشرى للمسلمين** يعنى وفيه بشرى
للمسلمين من الله عز وجل قوله تعالى **ان الله يامر بالعدل**
والاحسان قال ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله ۝
والاحسان اداء الفرايض وفى رواية عنه قال العدل خلع الانداد
والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب
لنفسك ان كان مومنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب
ان يكون اخاك فى الاسلام • وقال فى رواية اخرى عنه العدل
التوحيد والتوحيد الاخلاص واصل العدل فى اللغة المساواة
فى كل شى من غير زيادة فى شى ولا غلو فيه ولا نقصان فيه ولا
تقصير فالعدل هو المساواة فى المكافاة خيرا فخيرا وان شرا فشرا
والاحسان ان يقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل
العدل الانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه
والاحسان ان تحسن الى من اساء اليك • وقيل يعنى بالعدل فى
الافعال وبالاحسان فى الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا
تقول الا ما هو حسن **وايتاء ذى القربى** يعنى ويامر بصلة
الرحم وهم القرابة الادنى والابعد منك فيستحب ان تصلهم من فضل
ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعا حسن وتودد **وينهى**
عن الفحشا قال ابن عباس يعنى الزنا • وقال غيره الفحشا ما
قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال
والافعال المذمومة **والمنكر** قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر
وقال غيره المنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة **والبغى** يعنى
الكبر والظلم • وقيل البغى هو التطاول على الغير وقال بعضهم
اذا عجل المعاصى البغى • ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدك
الباغى قال ابن عيينة فى هذه الاية العدل استواء السر
والعلانية والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته ۝
والفحشا والمنكر والبغى ان تكون علانيته احسن من سريرته
وقال بعضهم ان الله تعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشيا ومن

المنهيات ثلاثة اشيا فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال
والافعال وذكر في مقابلة الفحشا ما قبح من الاقوال والافعال وذكر
الاحسان وهو ان تعفوا عن من ظلمك وتحسن الى من اسا اليك وذكر
في مقابلة المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر ايتا
ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم
وذكر في مقابلة البغي وهو ان يكبر عليهم او يظلمهم حقوقهم ثم قال
تعالى لعلكم تذكرون يعني انما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه
لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود
ان اجمع اية في القران لخير وشر هذه الاية قال اهل المعاني لما قال
الله تعالى في الاية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي بين
في هذه الاية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما من شي
يحتاج اليه الناس في امر دينهم مما يجب ان يوتى او يترك الا وقد
اشتملت عليه هذه الاية • وروي عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل الى اخر الاية فقال
له يا ابن اخي اعد علي فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما
هو بقول البشر قوله عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم لما
ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة المامورات والمنهيات على سبيل الاجمال
ذكر في هذه الاية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدا بالامر
بالوفا بالعهد لانه اوكد الحقوق فقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ثم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
فامرهم بالوفا بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان
باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد • وقيل
العهد هاهنا هو اليمين • وقال القتيبي العهد يمين وكفارته
كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفا به لقوله صلى الله عليه وسلم من
حلف على يمين ثم راي غيرها خيرا منها فلياتِ الذي هو خير وليكفر
عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته
السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف الجاهلية ويشهد
لهذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية
لم يزده الاسلام الا شدة ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يعني
تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين
لانه عم منه وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني شهيدا بالوفا بالعهد
ان الله يعلم ما تفعلون يعني من وفائكم بالعهد ونقضه ثم ضرب الله

يعظكم صح

لنقض

لنقض العهد مثلا فقال تعالى ولا تكونوا يعني في نقض العهد كالتي
نقضت غزلها من بعد قوة يعني من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي
ومقاتل هذه امراة من قريش يقال لها ريطه بنت عمرو بن سعيد بن
كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقا حمقا بها وسوسة وكانت قد
اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على
قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف او الشعر او الوبر وتامر
جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا
انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دابها
والمعنى ان هذه المراة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن
النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفا به
انكاثا جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل او الحبل بعد الفتل
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم يعني دغلا وخيانة وخديعة والدخل
ما يدخل في الشي على سبيل الفساد • وقيل الدخل والدغل ان يظهر
الرجل الوفا بالعهد ويبطن نقضه ان تكون يعني لان تكون امة هي
اربى من امة يعني اكثر واعلا من امة قال مجاهد وذلك انهم
كانوا يحالفون الحلفا فاذا وجدوا قوما اكثر من ذلك او ليك واعز
نقضوا حلف هولا وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد
بان كانت امة اي جماعة اكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم
بالوفا لمن عاهدوا وحالفوا انما يبلوكم الله به يعني يختبركم بما امركم
به من الوفا بالعهد وهو اعلم بكم وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه
تختلفون يعني في الدنيا فيثيب الطايع المحق ويعاقب المسي المخالف
قوله تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة يعني على ملة واحدة ودين
واحد وهو دين الاسلام ولكن يضل من يشا يعني بخذلانه اياه عدلا
منه ويهدي من يشا بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة
الالهية لا يسال عما يفعل وهم يسالون وهو قوله تعالى ولتسالن عما
كنتم تعملون يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسي
او يعفو قوله عز وجل ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم يعني خديعة
وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون الى ايمانكم ويامنون اليكم
ثم تنقضونها وانما كرر هذا النهي تاكيدا عليهم واظهارا لعظم امر نقض
العهد قال المفسرون وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده
وهو قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله انما يليق
بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به ولشريعته

وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلا ومحنة بعد عافية ونعمة اوسا قط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لمن وقع في بلا بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء يعني العذاب بما صددتم عن سبيل الله يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدمه على ذلك ولكم عذاب عظيم يعني بنقضكم العهد ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن اوفوا بها انما عند الله يعني فانما عند الله من الثواب لكم على الوفا بالعهد هو خير لكم يعني من عاجل الدنيا ان كنتم تعلمون يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى ما عندكم ينفد يعني من متاع الدنيا ولذاتها يعني ويذهب وما عند الله باق يعني من ثواب الاخرة ونعيم الجنة ولنجزين الذين صبروا يعني على الوفاء بالعهد في السرا والضرا اجرهم يعني ثواب صبرهم باحسن ما كانوا يعملون عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن

فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فايدة الذكر والانثى **قلت** موضعهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الاية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلايل الكرم والرحمة اثباتا للتاكيد وازالة وهم التخصيص وقوله وهو مومن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب فلنحيينه حياة طيبة قال سعيد بن جبير وعطا هي الرزق الحلال وقال مقاتل يعني العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم • واعلم ان عيش المومن في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المومن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المومن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان مصلحته في ذلك القدر الذي رزقه الله فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر والجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب

الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المومن القنوع اطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المومن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها • وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الاية ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون لان ذلك الجزا انما يكون في الجنة **قوله عز وجل** فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان محتاجا الى الاستعاذة وقد امر بها فغيره اولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القا الوسوسة في قلوب بني ادم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله والمومنين بالاستعاذة عند القراة حتى تبقى مصونة من وسواس الشيطان • عن جبير بن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو ولا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه المونة اخرجه ابو داود المونة الجنون والفا في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الاية يدل على ان الاستعاذة بعد القراة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابي هريرة واليه ذهب مالك وداود الظاهري قالوا لان قارئ القران يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس في قلب القاري هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الايمة وفقها الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراة قالوا ومعنى الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله ومثله قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل باسم الله واذا اردت ان تسافر فتاهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل في اثنا القراة فتقديم الاستعاذة على القراة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تاخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطا انه تجب الاستعاذة عند قراة

القران سواكانت في الصلاة او في غيرها واتفق سايرا لفقها على ان
الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسالة والخلاف
فيها في اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجا
اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو
اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القا
الوسوسة في قلوب بني ادم باقدار الله اياهم على ذلك انه ليس له
سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك اوهم ان له
قدرة على التصرف في ابدان بني ادم فازال الله تعالى هذا الوهم بقوله
انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لا
يغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان
كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة
الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى انما سلطانه على
الذين يتولونه يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا
اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه والذين هم به مشركون يعني
بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون
بالله قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل الاية
وذلك ان المشركين من اهل مكة قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم
اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقا نفسه فانزل
الله هذه الاية والمعنى واذا نسخنا حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر
والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل
من الناسخ وبما هو امصلح لخلقه وبما يغير ويبدل من احكامه اي هو
اعلم بجميع ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا توبيخ وتقريع للكفار
على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قالوا انما انت مفتر.
اي تختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى اعلم بما ينزل فما
بالهم ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الافترا والكذب لاجل
التبديل والنسخ وانما فايدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال
ان الطبيب يامر المريض بشرب دوا ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويامره
بغيره لما يرى فيه من المصلحة بل اكثرهم لا يعلمون يعني يعلمون
فايدة الناسخ وتنزيل المنسوخ قل اي قل لهم يا محمد نزله يعني القران
روح القدس يعني جبريل صلى الله عليه وسلم اضيف الى القدس وهو

الطهر

الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدسة المطهرة
من ربك يعني ان جبريل نزل بالقران من ربك يا محمد بالحق ليثبت الذين
امنوا يعني ليثبت بالقران قلوب المومنين فيزدادوا ايمانا ويقينا
وهدى وبشرى يعني وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله عز وجل
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر وذلك ان كفار مكة قالوا انما
يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو ادمي مثله
وليس كما هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان
نصرانيا اعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام
وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقري غلاما لبني
المغيرة يقال له يعيش وكان يقرا الكتب فقالت قريش انما يعلمه
يعيش وقال محمد بن اسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض
لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرا الكتب. وقال عبيد الله
ابن مسلم كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار
ويكنى ابا فكيهة ويقال للاخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة
وكانا يقرآن التورية والانجيل فربما مر بهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع. قال الضحاك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما
فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما. وقال الفرا قال المشركون انما يتعلم
محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان قد اسلم وحسن
اسلامه وكان اعجم وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل
ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم
هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها الى نفسه ويزعم انه وحي من الله
عز وجل وهو كاذب في ذلك. فاجاب الله تعالى عنه وانزل
هذه الاية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكذب فقال تعالى لسان الذي يلحدون اليه يعني يميلون
ويشيرون اليه اعجمي يعني هو اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في
كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم لكانه في لسانه
عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا
بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار

من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب فقوله وهذا لسان عربي
مبين يعني بين الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله
واين فصاحة هذا القران من عجمة هذا الذي تشيرون اليه فثبت
بهذا البرهان ان الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم وحي اوحاه الله
اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون ولا هو اتى به من تلقا نفسه
بل هو وحي من الله عز وجل اليه • وروي ان الرجل الذي كانوا يشيرون
اليه اسلم وحسن اسلامه ان الذين لا يومنون بايات الله يعني
لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم ولا
يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة ثم اخبر ان
الكفار هم المفترون فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا
يومنون بايات الله يعني انما يقدم على الفرية الكذب من لا يومن
بايات الله وهو رد لقول كفار قريش انما انت مفتر واوليك هم
الكاذبون يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم
فان قلت قد قال الله تعالى انما يفتري الكذب فما معنى
قوله واوليك هم الكاذبون والثاني هو الاول **قلت** قوله
انما يفتري الكذب اخبار عن فعلهم وقوله واوليك هم الكاذبون
نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت
في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الاية دليل على ان الكذب
من افحش الذنوب الكباير لان الكاذب المفتري هو الذي لا يومن
بايات الله • وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن
جراد قال قلت يا رسول الله المومن يزني قال قد يكون ذلك قلت
المومن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المومن يكذب قال لا قال الله
انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله قوله تعالى من كفر
بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان نزلت في
عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا
وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام
عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجي قلبها بحربة فقتلت وقتل زوجها
ياسر فهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض
ما ارادوا بلسانه مكرها • قال قتادة اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه
في بير ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملي
ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما وراك

ما وراك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك
قال مطمينا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا
لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الاية • وقال مجاهد نزلت في ناس
من اهل مكة امنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ان هاجروا الينا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة
فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا
القول ضعيف لان الاية مكية وكان هذا في اول الاسلام قبل ان
يومروا بالهجرة • وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي
اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمين بالايمان ثم اسلم
عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامهما وهاجرا الى المدينة
والاولى ان يقال ان الاية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمين
بالايمان وان كان السبب خاصا • **فان قلت** المكره على الكفر
ليس بكافر فلا يصح استثناوه من الكافر فما معنى هذا الاستثنا
في الا من اكره **قلت** المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله
يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثنا لهذه المشابهة والمشاكلة
والله اعلم **فصل** في حكم الاية قال العلما يجب ان يكون
الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب
لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات
القوية مثل التحريق بالنار ونحوه • قال العلما اول من اظهر الاسلام
سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وابو بكر • وخباب • وصهيب •
وبلال • وعمار • وابوه ياسر • وامه سمية • فاما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي طالب • واما
ابو بكر فمنعه قومه وعشيرته واخذ الاخرون والبسوا ادراع
الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه
وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية
كما تقدم • وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري
واجمعوا على انه من اكره على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة تصريحا
بل ياتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك
بشرط طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة
الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا
بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلما
من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير
والميتة ونحوه فمن اكره بالسيف او القتل على ان يشرب الخمر او ياكل

الميتة او لحم الخنزير جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الالة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلما في طلاق المكره فقال الشافعي واكثر العلما لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي اثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة يعني ذلك الاقدام على الارتداد على الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين يعني لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم تقدم تفسيره واولئك هم الغافلون يعني عما يراد بهم من العذاب في الاخرة وهو قوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الاخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع راس ماله وهو الايمان ومن ضيع راس ماله فهو خاسر **قوله عز وجل** ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنتهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا يعني على الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها من بعد الفتنة التي فتنوها لغفور رحيم نزلت هذه الاية في عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة وقيل كان اخوه لامه وفي ابي جندل بن سهل بن عمرو بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسد الثقفي فتنتهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا • وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه في عبد الله بن ابي سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بالكفار فلما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك

قوله

قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل يعني تخاصم وتحتج عن نفسها بما اسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا يتفرغ الى غيرها **فان قلت** النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها **قلت** ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها ايضا والمعنى يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وتوفى كل نفس ما عملت يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير او شر وهم لا يظلمون يعني لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيمة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا يهمك الا نفسك وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها • وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى تخاصم الروح والجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فيقول الجسد يا رب انت خلقتني كالخشبة ليست لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه ابصرت عيناي وبه مشت رجلي فضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعد دخلا حايطا يعني بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب • قوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية المثل عبارة عن قول في شي يشبه قولا في شي اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازي المثل قد يضرب بشي موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان يكون شيا مفروضا ويحتمل ان يكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون

ع •

غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية
اي جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم
النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد بها قرية
مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه
حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال
الواحدي يعني ضرب المثل بيان المشبه والمشبه به ولم يذكر المشبه
لوضوحه عند المخاطبين والاية عند عامة المفسرين نازلة في اهل
مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم
النبي صلى الله عليه وسلم فتقرير الاية ضرب الله مثلا لقريتكم مثلا
اي بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا
من مثلا لانها هي الممثل بها ويجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا
مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون
كلهم قالوا اراد بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة في تمثيلها بقرية
صفتها ما ذكره وقال ابن الجوزي في هذه القرية قولان احدهما انها
مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني
انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث
الله عليهم الجوع قاله الحسن • واقول هذه الاية نزلت في المدينة
في قول ابن عباس ومقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله
تعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات
موجودة في اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان
يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما اصابهم من الجوع والخوف
ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الاية في قوله في
فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي
صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يومر بالقتال وهو بمكة وانما امر بالقتال لما هاجر
الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم
بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير الاية فقوله
تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة **كانت امنة** يعني ذات امن
لا يهاج اهلها ولا يغار عليهم **مطمينة** يعني قارة باهلها لا يحتاجون
الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه ساير العرب **ياتيها
رزقها رغدا** يعني واسعا **من كل مكان** يعني يحمل اليها الرزق والميرة
من البر والبحر نظيره قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا وذلك
بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق اهله من الثمرات

فكفرت يعني هذه القرية والمراد اهلها **بانعم الله** جمع نعمة والمراد به
ساير النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا انعم الله التي انعم
بها عليهم بالجحود والكفر لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وذلك ان الله تعالى ابتلاهم
بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم الميرة بامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف
والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى
يوكل حتى كاد احدهم ينظر الى السما فيرى شبه الدخان من الجوع
ثم ان روسا مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا
ما هذا هبك عاديت الرجال فما بال النسا والصبيان فاذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركين
والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي
كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم وتغيرون على من حولهم من
العرب فكان اهل مكة يخافونهم **فان قلت** الاذاقة واللباس
استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس
المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس لا يذاق بل
يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع والخوف او يقال فاذاقهم الله
طعم الجوع **قلت** قال صاحب الكشاف اما الاذاقة فقد جرت
عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس
منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد
شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض
الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه
لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهما ما غشيهم
من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد
لصحة ما قاله • وقال الامام فخر الدين الرازي جوابه من وجوه الاول
ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق
هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقوا الجوع • الثاني
ان ذلك الجوع شديدا كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات
فاشبه اللباس فالحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه
المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الثالث ان التقدير عرفها الله اثر
لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة

واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف والاختبار
تقول ناظر فلانا وذاق ما عنده قال الشاعر •
ومن يذق الدنيا فاني طعمتها • وسيق الينا عذبها وعذابها
ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الشحوب الظهور وشحوب
اللون ونكهة البدن وتغير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت
سوء اثر الجوع والخوف على فلان وذقت لا تعرف • الوجه الثالث
ان يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها
الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون ولم
يقل بما صنعت لانه اراد اهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا
بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل لاهل مكة لانهم كانوا في الامن
والطمانينة والخصب ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة
وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه
وبالغوا في اذايه وارادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وامره بالهجرة
الى المدينة وسلط على اهل مكة البلاد والشدايد والجوع والخوف
كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه
من بين اظهرهم قوله تعالى ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة
وبعدها فكذبوه فاخذهم العذاب يعني الجوع والخوف وقيل
القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم في الاية وهم ظالمون
يعني كافرين فكلوا مما رزقكم الله في المخاطبين بهذا قولان احدهما
انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من
اهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلم روساهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال
النسا والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
ان يحملوا الطعام عليهم حكاه الواحدي وغيره وعلى القول الاول
هو الصحيح قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله • قال ابن عباس فكلوا
يا معشر المومنين مما رزقكم الله يريد الغنايم حلالا طيبا يعني ان
الله احل الغنايم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم واشكروا
نعمة الله يعني التي انعم بها عليكم ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم تقدم تفسير هذه الاية واحكامها في سورة
البقرة فلم نعده هاهنا وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب هذا حلال وهذا حرام يعني انكم

تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى
وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك • قال مجاهد يعني البحيرة
والسايبة • وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا • وذلك ان العرب في الجاهلية
كانوا يحلون اشيا ويحرمون اشيا من عند انفسهم وينسبون ذلك
الى الله وهو قوله تعالى لتفتروا على الله الكذب يعني لا تقولوا
ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افترا
على الله ثم اوعد المفترين الكذب فقال تعالى ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون يعني لا ينجون من العذاب وقيل معناه
لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم
فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى متاع قليل
يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فان لا بقا له ولهم عذاب اليم
يعني في الاخرة وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو
قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وما ظلمناهم
يعني بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني انا حرمنا
عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الاية بيان فضل الله وكرمه
وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل
تحته الكفر وساير المعاصي وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فانما يفعله
بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعلا قبيحا من
كفر او معصية انما يصدر عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر ما يترتب
عليه من العقاب او لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان من فعل
السوء انما يفعله بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوا بجهالة
ثم تاب واصلح العمل في المستقبل فانه يتوب عليه ويرحمه وهو قوله
ثم تابوا من بعد ذلك يعني من بعد عمل ذلك السوء واصلحوا
يعني اصلحوا العمل في المستقبل • وقيل معنى الاصلاح الاستقامة
على التوبة ان ربك من بعدها يعني من بعد عمل السوء بالجهالة
والتوبة منه لغفور يعني لمن تاب وامن رحيم يعني بجميع المومنين
التايبين • قوله عز وجل ان ابراهيم كان امة حكى ابن الجوزي
عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان
علامة ونسابة يقصدون بهذا التانيث قصد التناهي في المعنى الذي

يصفونه والعرب توقع الاسما المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله
تعالى فنادته الملايكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمى ابراهيم
صلى الله عليه وسلم امة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات
الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع فى امة ومنه قول الشاعر •
• وليس لله بمستنكر • ان يجمع العالم فى واحد •
ثم للمفسرين فى معنى هذه اللفظة اقوال • احدها قول ابن
مسعود الامة معلم الخير انه يعنى كان معلما للخير ياتم به اهل
الدنيا الثانى قال مجاهد انه كان مومنا وحده والناس كلهم
كفار فلهذا المعنى كان وحده • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى
زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وانما قال فيه هذه
المقالة لانه قد كان فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة
الاصنام • الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الا وهم يتولونه
ويرضونه • وقيل الامة فعلة بمعنى مفعول وهو الذى ياتم به
وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله انى
جاعلك للناس اماما • وقيل انه عليه السلام هو السبب الذى
لاجله جعلت امته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد
لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل
انما سمى ابراهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة فى عبادة
الله **قانتا لله** يعنى مطيعا لله وقيل هو القايم باوامر الله **حنيفا**
يعنى مسلما مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل
من اختتن وضحى واقام مناسك الحج سمى حنيفا وابراهيم عليه
السلام اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج **ولم يك من
المشركين** يعنى انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين
من صغره الى كبره **شاكرا لانعمه** يعنى انه كان شاكرا لله على
النعم التى انعم بها عليه **اجتباه** اى اختاره لنبوته واصطفاه
لخلته **وهداه الى صراط مستقيم** يعنى هداه الى دين الاسلام
لانه الصراط المستقيم والدين القويم **واتيناه فى الدنيا حسنة**
يعنى الرسالة والخلة وقيل هى لسان الصدق والثنا الحسن
والقبول العام فى جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق فكل
اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركوا
العرب وغيرهم • وقيل هو قول المصلى فى التشهد اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وقيل
انه اتى اولادا ابرارا على الكبر **وانه فى الاخرة لمن الصالحين** يعنى

فى اعلا مقامات الصالحين فى الجنة وقيل معناه انه فى الاخرة لمن
الصالحين يعنى الانبيا فى الجنة فتكون بمعنى مع ولما وصف الله
عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية
امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم يعنى دينه وما كان عليه
من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبى صلى الله عليه
وسلم مامورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار
شرعا وقال ابو جعفر الطبرى امره باتباعه فى التبرى من الاوثان
والتدين بدين الاسلام وهو قوله **حنيفا** مسلما **وما كان من المشركين**
تقدم تفسيره **انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** يعنى انما فرض
تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبى عن ابى
صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا
لله فى كل سبعة ايام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيا من
صنعتكم وستة ايام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم
الذى فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم
وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا
نريد ان يكون يوم عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد
فاعطى الله عز وجل هذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها **ق** عن ابى
هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون السابقون
يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم هذا
يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع
فغدا لليهود وبعد غد للنصارى • وفى رواية لمسلم نحن الاولون
الاخرون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة وفى رواية اخرى
له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت
وللنصارى يوم الاحد فجا الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة
والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيمة نحن الاخرون فى الدنيا
والاولون يوم القيمة المقضى لهم قبل الخلايق • قال الشيخ محيى الدين
النواوى فى شرح مسلم قال العلما فى معنى الحديث نحن الاخرون فى
الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول الجنة فيدخل هذه
الامة الجنة قبل ساير الامم وقوله هذا يومهم الذى فرض لهم عليهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله له • قال القاضى عياض الظاهر انه فرض
عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ولم يهدهم الله له وفرضه على
هذه الامة مبينا ولم يكله الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال

فى يوم

الجمعة م

يعني القاضي عياض وقد جاء موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة
واعلمهم بفضلها فناظروه ان السبت افضل فقيل له دعهم قال القاضي
ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا
فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن ان يكون امروا به صريحا
ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه ام لهم ابداله فابدلوه
وغلطوا في ابداله • قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى
على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة
فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في
ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا
فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على
ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير
من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم
قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشيا وقال
اخرون بل الاحد افضل لان الله تعالى ابتدا فيه بخلق الاشيا وهذا
غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد
النصارى بعدهم بزمان طويل **فان قلت** ان اليهود انما
اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة
ايام وبدا بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة
وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك
العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى
انما بدا بخلق الاشيا في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا
وهذا الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله اهل
الاسلام عيدا **قلت** يوم الجمعة افضل الايام لان كمال
الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح
والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه وهو اولى ووجه اخر
وهو ان الله عز وجل خلق فيه اشرف خلقه وهو ادم عليه السلام
ابو البشر وفيه تاب فكان يوم الجمعة لشرف الايام لهذا السبب ولان
الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا
لانفسهم شيا فكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيرهم
لانفسهم قال بعض العلما بعث موسى عليه السلام بتعظيم السبت
ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت
ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل
الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا وفي

معنى

معنى الاية قول اخر قال قتادة الذين اختلفوه اليهود استحله بعضهم
وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت
اي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله
بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود
عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم
ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيا وهم الناهون والقول الاول
اقرب الى الصحة وقوله تعالى **وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في امر السبت فيحكم الله بينهم يوم
القيمة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب **قوله
عز وجل** **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** يعني
ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة
المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة
الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا
يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم **وجادلهم بالتي هي احسن**
يعني بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير
فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة
اقسام القسم الاول وهم العلما الكاملون اصحاب العقول الصحيحة
والبصاير الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشيا على حقايقها فهولا
هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلا
القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشيا بحقايقها حتى ينتفعوا
وينفعوا الناس وهم خواص العلما من الصحابة وغيرهم • القسم
الثاني وهم اصحاب الفطر السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب
الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان
فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله بالحكمة والموعظة الحسنة
اي ادع هولا بالموعظة الحسنة • والقسم الثالث وهم اصحاب جدال
وخصام ومعاندة وهولا هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن
يعني حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القران
يعني ادعهم بالقران الذي هو حكمة وموعظة حسنة • وقيل المراد
بالحكمة النبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين
في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في
تبليغ الرسالة والدعا الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علما
التفسير هذا منسوخ باية السيف **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين** يعني انما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت

به اليهم وذعاهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال
والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله قوله تعالى **وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به** نزلت هذه الاية بالمدينة في شأن شهدا احد
وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلا المسلمين يوم احد
من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين
الا مثل به غير حنظلة بن ابي عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر
الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين
راوا ذلك لين اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم
مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ووقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه
وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من
كبده فمضغتها ثم استرطتها لتاكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت
بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلتها لم
تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيا من جسده
النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى
شي لم ينظر الى شي قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمت ما كنت الا فعالا للخيرات
وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك حتى
تحشر من افواج شتى اما والله لين اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم الاية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد وكفر عن يمينه • عن ابي
ابن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا
ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لين اصبنا
منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة فانزل الله
عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو
خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب • واما تفسير الاية فقوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة
في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوه فقابلوه
بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها امر الله برعاية
العدل والانصاف في هذه الاية في باب استيفا الحقوق يعني ان
رغبتم في استيفا القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان

استيفا

استيفا الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته
وفي الاية دليل على ان الاولى ترك استيفا القصاص وذلك بطريق
الاشارة والرمز والتعريض ان الترك اولى فان كان لا بد من استيفا
القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم
انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى **ولين
صبرتم لهو خير للصابرين** يعني ولين عفوتم وتركتم استيفا القصاص
وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خير من استيفا القصاص وفيه
اجر للصابرين العافين **فصل** اختلف العلما هل هذه
الاية منسوخة ام لا على قولين • احدهما انها نزلت قبل براة فامر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدا بالقتال ثم
نسخ ذلك وامر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا
يكون معنى قوله ولين صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر
اهله امر الله رسوله بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم الاية • والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم
ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر مما نال منه الظالم وهذا
قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم
الاصح انها محكمة لان الاية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية
استيفا الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزياده وهذه
الاشيا لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم **قوله
عز وجل** **واصبر وما صبرك الا بالله** الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه ان صبره
بتوفيقه ومعونته **ولا تحزن عليهم** يعني الكافرين واعراضهم عنك
وقيل معناه ولا تحزن على قتلى احد وما فعل فانهم افضوا الى رحمة
الله ورضوانه **ولا تك في ضيق مما يمكرون** يعني ولا يضيق صدرك
يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قري في ضيق
بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان • وقال ابو عمرو الضيق بالفتح
الغم وبالكسر الشدة • وقال ابو عبيد الضيق بالكسر قلة المعاش
وفي المسكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح • وقال ابن
قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا
هو صفة كانه قال ولا تكن في امر ضيق من مكرهم • قال الامام
فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة
تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة
فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك الا ان الفايدة في قوله ولا تكن في

صنيق هي ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط بالانسان من
كل جانب كالقميص المحيط فكانت الفايدة في ذكر هذا اللفظ بمعنى
بهذا المعنى ان الله مع الذين اتقوا اى اتقوا المثلة والزيادة
في القصاص وساير المناهى والذين هم محسنون يعنى بالعفو
عن الجانى وهذه المعية يعنى بالعون والفضل والرحمة يعنى ان
اردت ايها الانسان ان اكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن
من المتقين المحسنين وفي هذه اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق
مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل
به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية في المال
ولا مال لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل والله تعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة بنى اسرايل مكية

فصل في نزولها قال ابن الجوزى هى مكية في قول
الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال
هى مكية فى قول الجماعة الا ثمان ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك
الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة • وقال مقاتل فيها من المدنى
وقل رب ادخلنى مدخل صدق الاية • وقوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله • وقوله ان ربك احاط بالناس • وقوله وان كادوا
ليفتنونك • وقوله وان كادوا ليستفزونك • وقوله ولولا ان ثبتناك
والتى تليها وهى مائة وعشر ايات • وقيل واحد عشر اية وخمسماية وثلاث
وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعماية وستون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
سبحان الذى اسرى بعبده ليلا روى ابن الجوزى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه عن كل شى
هكذا ذكره بغير سند قال النحويون سبحان اسم علم التسبيح يقال
سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله اسم علم للتسبيح
وتفسير سبحان الله تنزيه الله من كل سوء ونقيصة واصله في اللغة
التباعد فمعنى سبحان بعده بعده وتنزاهته عن كل ما لا ينبغى اسرى
بعبده يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلما
والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الائمة
فى ذلك • وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم
ومنه قول بعضهم • •
• بالله لا تدعنى الا ياعبدها • فانه من اشرف اسمايي •

قيل

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب
الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله عز وجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب
حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية • فانزل الله سبحان الذى اسرى
بعبده ليلا فان قلت الاسرى لا يكون الا بالليل فما معنى
ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظة التنكير تقليل مدة
الاسرا وانه اسرى به فى بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر او اكثر
فدل تنكير الليل على البعضية من المسجد الحرام قيل كان الاسرا من
نفس مسجد مكة • وفى حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر وذكر حديث
المعراج وسيأتى بكماله فيما بعده • وقيل عرج به من دار ام هانى بنت
ابى طالب وهى بنت عمه اخت على فعلى هذا المراد بالمسجد الحرام الحرم
الى المسجد الاقصى يعنى الى بيت المقدس سمى اقصى لبعده عن المسجد
الحرام اولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله يعنى
بالانهار والاشجار والثمار • وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبيا ومهبط
الملائكة والوحى وقبلة الانبيا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه
يحشر الخلق يوم القيمة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان
الاسرا كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج
به الى السما فكيف الجمع بين الدليلين وما فايدة ذكر المسجد الاقصى
فقط قلت كان الاسرا على ظهر البراق الى المسجد الاقصى
ومنه كان عروجه الى السما على المعراج وفايدة ذكر المسجد الاقصى فقط
انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السماء اولا لاشتد انكارهم
لذلك فلما اخبر انه اسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبر
به عنه من العلامات التى فيه وصدقوه عليها اخبر بعد ذلك بمعراجه
الى السما وقوله تعالى لنريه من اياتنا يعنى من بعض عجايب قدرتنا
فقد راى محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الانبيا وصلى بهم وراى
الايات العظام فان قلت لفظة من فى قوله من اياتنا
تقتضى التبعيض وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى
ابراهيم ملكوت السموات والارض فظاهر هذا يدل على فضيلة
ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قايل به فما وجهه
قلت ملكوت السموات والارض من بعض ايات الله ايضا
ولايات الله افضل من ذلك واكثر فالذى اراه محمدا صلى الله عليه
وسلم من اياته وعجايبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات
والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم

صلى الله عليه وسلم انه هو السميع لاقواله ودعايه البصير لافعاله والحافظ له في ظلمة الليل وقت اسرايه • وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير بما رد واعليه من التكذيب • وقيل هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بافعالهم فيجازي كل عامل بعمله فحمله على العموم اولى

فصل في ذكر حديث المعراج

وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلما فيه ق عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به قال بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النايم واليقظان اذ اتاني آت قال فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود هو البراق يا ابا حمزة فقال انس نعم يضع خطوة عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى بي الى السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجي جا فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح • ثم صعد حتى اتى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح • فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح • ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا • فلما خلصت فاذا بيوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح • ثم صعد حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به بالاخ الصالح والنبي الصالح • ثم صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم

عليه

عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح • ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا • فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي • ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت فرد السلام • ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى • فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة • واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة في كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت قال امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية اخرى بالحسنة عشرا • وفي رواية بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بما زمزم ثم ملى ايمانا وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور فسالت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون

الف ملك اذا اخرجوا لم يعودوا مرة اخرى ق عن انس بن مالك قال كان
ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي
وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فلما جينا الى السما الدنيا قال جبريل
لخازن السما الدنيا افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك
احد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم ففتح
قال فلما علونا السما الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره
اسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكا فقال مرحبا
بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال
هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه واهل اليمين
اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه
ضحك واذا نظر قبل شماله بكا قال ثم عرج بي جبريل حتى اتى السما
الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن
السما الدنيا قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم
وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم نثبت كيف منازلهم غير انه
ذكر انه وجد ادم في السما الدنيا وابراهيم في السما السادسة قال
فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ
الصالح قال فقلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال
مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا عيسى
قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
قال قلت من هذا قال ابراهيم • قال ابن شهاب واخبرني ابن حزم
ان ابن عباس وابا حبة الانصاري يقولان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال
ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض
الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى قال
موسى ما فرض ربك على امتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال
لي موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي
فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك
لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول
لدي فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي
قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها الوان ما ادري
ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللولو واذا ترابها

المسك ق عن شريك بن ابي نمر انه سمع انس بن مالك يقول ليلة
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة
نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو
فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة
فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه
وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه
فوضعوه عند بير زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره
الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ما زمزم بيده حتى
انقى جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ايمانا
وحكمة فحشى صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج
الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السما من هذا قال
جبريل قال ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم
قالوا مرحبا به واهلا يستبشر به اهل السما لا يعلم اهل السما ما يريد
الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السما الدنيا ادم عليه السلام قال
جبريل هذا ابوك ادم فسلم عليه فرد عليه وقال مرحبا واهلا يا بني
يا بني نعم الابن انت فاذا هو في السما الدنيا بنهرين يطردان فقال ما
هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما قال ثم مضى
به الى السما فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من لولو وزبرجد فضرب بيده
فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي
خبا لك ربك • ثم عرج به الى السما الثانية فقالت الملايكة مثل
ما قالت الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا
وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا • ثم عرج به الى السماء
الثالثة قالوا مثل ما قالت الاولى والثانية • ثم عرج به الى الرابعة
فقالوا مثل ذلك • ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل ذلك • ثم
عرج به الى السادسة فقالوا مثل ذلك • ثم عرج به الى السابعة
فقالوا مثل ذلك كل سما فيها انبيا قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في
الثانية وهرون في الرابعة واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم
في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله قال موسى رب
لم اظن ان ترفع علي احدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه احد الا الله
حتى جا سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما يوحى اليه خمسين صلاة فاحتبسه
موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم
وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك

عنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك
فاشار اليه جبريل ان نعم ان شيت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو
مكانه يارب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر
صلوات • ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه
حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال
يا محمد لقد راودت بني اسرايل قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه
فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع
فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت الى النبي صلى الله عليه وسلم
الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند
الخامسة فقال يارب ان امتي اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم
ضعيفة فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال
انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب فكل حسنة
بعشر امثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى
موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر
امثالها فقال موسى قد والله راودت بني اسرايل على ادنى من
ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما
اختلف قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام
هذا لفظ حديث البخاري • وادرج مسلم حديث شريك عن انس
الموقوف عليه على حديث ثابت البناني المسند وذكر من اول
حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت
قال مسلم وقدم واخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من
هذه الالفاظ الا ما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده من حديث
حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى بصره طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت
المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا • قال ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت
الفطرة • قال ثم عرج بنا الى السما فاستفتح جبريل فقيل من
انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا واذا انا بادم رحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السما الثانية فاستفتح فقيل من انت قال جبريل

قيل

قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا
بي ودعوا لي بخير • ثم عرج بنا الى السما الثالثة فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام اذا
هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج
بي الى السما الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله ورفعناه
مكانا عليا • ثم عرج بي الى السما الخامسة فاستفتح جبريل قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج
بنا الى السما السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا
الى السما السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور
فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه • ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين
صلاة كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك
قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك
لا تطيق ذلك فاني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الى
ربي فقلت يارب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى
ربك فاساله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى
وبين موسى حتى قال يا محمد حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم
وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم
تكتب شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه
هذه رواية مسلم واخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه
فقال له جبريل ا بمحمد تفعل هكذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
فارفض عرقا • واخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي اخره قال
فرجعت الى ربي فسالته التخفيف فقال انه يوم خلقت السموات
والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم
بها انت وامتك فعرفت انها امر الله بقول حتم فلم ارجع

فصل

قال البغوي قال بعض اهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما
شيا لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك بن ابي نمر عن انس واحال الامر
فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق
اهل العلم ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثني عشر سنة وفيه انه
الجبار تبارك وتعالى دنى فتدلى وذكرت عايشة ان الذي تدلى هو
جبريل قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان رويا
في النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل اخر الحديث فاستيقظ
وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة
بسنة تحقيقا لرؤياه التي راها من قبل كما انه راى فتح مكة في المنام
عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان من
الهجرة ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق • وقال
الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه شرح مسلم قد جاء في رواية
شريك في هذا الحديث اوهام انكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم
على ذلك بقوله فقدم واخر وزاد ونقص منها • قوله وذلك قبل ان
يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه وان الاسرا اقل ما قيل فيه انه كان
بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا • وقال الحربي كان
ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة • وقال الزهري
كان مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال اسحق اسرى به صلى
الله عليه وسلم وقد فشى الاسلام بمكة والقبايل • قال الشيخ محيي
الدين واشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحق • واما قوله في رواية
شريك وهو نايم وفي الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النايم
واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رويا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون
ذلك اول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه
نايما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في
رواية شريك هذه عن انس في كتابه التوحيد من صحيحه واتى

بسنة

بالحديث

بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد
ذكره هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن ابي نمر
عن انس فقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد
روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين والايمة المشهورين
كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد
منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث
قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

فصل

في شرح الفاظ بعض حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة
الاسرا قبل الهجرة بسنة يقال كان في رجب ويقال في رمضان وقد
تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا • واختلف
الناس في الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك
في المنام والحق الذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف
من المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بروحه
وجسده صلى الله عليه وسلم • ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث
الصحيحة التي تقدمت على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها
وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كل
ذلك كان رويا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
اسرى بروحه • وحكى هذا القول عن عايشة ايضا وعن معوية
نحوه والصحيح ما عليه الجمهور العلما من السلف والخلف والله
اعلم قوله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق هو اسم للدابة التي
ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به واشتقاقه من
البرق لسرعته او لشدة صفايه وبياضه ولمعانه وتلالايه ونوره
والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق في الحلقة
الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح
في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى • وقوله جاني جبريل
بانا من خمر وانا من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير
وقال اختر فاخترت اللبن • وقول جبريل اخترت الفطرة يعني
فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة
لكونه سهلا طيبا سايغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف
الخمر فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر • قوله ثم عرج بي
حتى اتى السما الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
فيه بيان الادب لمن استاذن وان يقول انا فلان ولا يقول انا فانه
مكروه وفيه ان للسما ابوابا وبوابين وان عليها حرس وقول بواب

السما وقد ارسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه
للاسرا وصعود السما وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة
والرسالة فان ذلك لا يختفي عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح في
معناه وقيل غيره • وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الانبيا فيه
استحباب لقا اهل الفضل والصلاح والبشر والترحيب والكلام
الحسن وان كان الزائر افضل من المزار وفيه جواز مدح الانسان
في وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة
وقوله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور وفيه
دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم
ذهب بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف
واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى • قال ابن عباس
وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها
احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال ابن مسعود سميت
بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها
من امر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف
جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين او اكثر وقوله
فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين معناه رجعت الى الموضع
الذي ناجيته منه اولا فناجيته فيه ثانيا • وقوله فلم ازل ارجع بين
موسى وبين ربي معناه بين موضع مناجاة ربي عز وجل **قلت**
واما الكلام على معنى الروية وما يتعلق بها فانه سياتي ان شا الله
تعالى في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى وقوله ففرض
الله على امتي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية
الاخرى فوضع عني عشرا وفي الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات
منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف
واما رواية العشر ففي رواية شريك • ورواية ثابت البناني وقتادة
وهما اثبت من شريك فالمراد حط عني خمسا الى اخره • ثم قال هي خمس
وهي خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها
واحتج العلما بهذا الحديث على جواز نسخ الشي قبل فعله وفي
اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد
شق ايضا في صغره وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد الشرح
الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله
اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال انا
الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو

مباح

مباح لهم استعمال الذهب او يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلي
حكمة وايمانا فافرغها في صدري فان **قلت** الحكمة والايمان معاني
والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك **قلت** يحتمل انه جعل شي
يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه
سببا لهما وهذا من احسن المجاز • وقوله في صفة ادم عليه السلام
فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد
وقد فسره في الحديث بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض على
هذا الان ارواح المومنين في السما وارواح الكفار تحت الارض فكيف
تكون في السما فوافق وقت عروضها على ادم عليه السلام مرور النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبر بما راى • وقوله اذا راى عن يمينه ضحك
واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وفرحه وسروره
بحسن حال المومن منهم وحزنه على سوء حال الكافر منهم • وقوله
في ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح • وقد اتفق المورخون
انه جد لنوح عليهما السلام وعلى ان ادريس هو اخنوخ فيكون جد النبي
صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم عليه السلام جده فكان ينبغي ان
يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال ابراهيم عليه السلام •
والجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هذا هو
الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد لنوح هذا جواب القاضي
عياض • **قال** الشيخ محيي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس
ابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون
قاله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابنا لان الانبيا اخوة والله اعلم
بمراده واسرار كتابه **فصل في ذكر الايات التي ظهرت بعد
المعراج الدالة** على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياق
الحديث الذي يتعلق بالاسرا قال البغوي روى البغوي انه لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال يا
جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابا بكر قال ابن عباس وعايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة اسري بي اصبحت
بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس يكذبوني فروي انه صلى الله
عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه كالمستهزئ
فقال هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال
الى بيت المقدس قال ابو جهل واصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير
ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال ان حدثت
قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي

هملوا فانقضت المجالس وجاوا حتي جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما
حدثتني قال نعم اسرى بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس
قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين
واضع يده على راسه متعجبا وارتد اناس ممن امن به وصدقه وسعى
رجل الى ابي بكر الصديق فقال هل لك في صاحبك يزعم انه اسرى
به الليلة الى بيت المقدس قال او قد ذلك قال نعم قال لين كان قال
ذلك لقد صدق قالوا او تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا
في ليلة قبل ان يصبح قال نعم اني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه
بخبر السما في غدوة او روحة فلذلك سمي ابابكر الصديق قال وكان
في القوم من قد اتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا
المسجد قال نعم فذهبت بنعت وانعت حتى التبس علي قال فجي
بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت النبي صلى
الله عليه وسلم صفة المسجد وانا انظر فقال القوم اما النعت فوالله
لقد اصاب فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت
منها شيا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحا وقد اضلوا بعيرا
وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربته فوضعته
كما كان فسلوا اهل وجدوا الما في القدح حين رجعوا قالوا هذه اية
قال ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا فنفر
بعيرهما مني بفلان فانكسرت فاسيلوهما عن ذلك قالوا هذه اية
اخري فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها
واحمالها وهيتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها
واحمالها وهيتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيتها كذا وكذا وفيها
فلان وفلان يقدمها جمل ازرق عليه غرارتان مخيطتان تطلع
عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية
وهم يقولون والله لقد قص محمد شيا وبينه حتى اتوا كدى فجلسوا عليه
فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه اذ قال قايل هذه الشمس
قد طلعت وقال اخر وهذه العير قد طلبت يقدمها بعير ازرق
فيها فلان وفلان كما قال فلم يومنوا وقالوا هذا سحر مبين م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في
الحجر وقريش تسالني عن مسراى فسالتني عن اشيا في بيت المقدس
لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي انظر اليه
ما سالوني عن شي الا انباتهم به وقد رايتني في جماعة من الانبيا فاذا
موسى قايم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوة واذا عيسى بن

مريم

مريم قايم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه
وسلم فحانت الصلاة فاممتهم قال لي قايل يا محمد هذا خازن النار فسلم
عليه فالتفت اليه فبدا لي بالسلام ق عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلا الله لي بيت المقدس
فقعدت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية له لما
كذبني قريش حين اسرى بي الى بيت المقدس وذكر الحديث م عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسرى
بي عند الكثيب الاحمر فاذا هو قايم يصلي في قبره • عن بريدة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال
جبريل كذا باصبعه فخرق الحجر وشد به البراق اخرجه الترمذي
فان قلت كيف راى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى
يصلي في قبره وكيف صلى بالانبيا ببيت المقدس ثم وجدهم على
مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة
من الانبيا بعد الموت وهم في الدار الاخرة قلت اما صلاته
صلى الله عليه وسلم بالانبيا ببيت المقدس يحتمل ان الله جمعهم له
ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى اراه
اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم واما
مروره بموسى وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل
انه بعد رجوعه من المعراج • واما صلاة الانبيا وهم في الدار
الاخرة فهم في حكم الشهدا بل افضل منهم • وقد قال تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا والانبيا احيا
بعد الموت • واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا وذلك
من اعمال الاخرة قال الله تعالى سبحانك اللهم ورد في الحديث
انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس • ويحتمل ان الله تعالى
خصهم بخصايص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر
انه راهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقايق قوله
تعالى واتينا موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه يعني الكتاب
هدى لبني اسرايل الا تتخذوا يعني وقلت لهم لا تتخذوا من دوني
وكيلا يعني ربا كفيلا ذرية يعني يا ذرية من حملنا مع نوح انه
كان عبدا شكورا يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان
اذا اكل طعاما وشرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه عبدا
شكورا لذلك • قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب
يعني اعلمناهم واخبرناهم فيما اتيناهم من الكتب انهم سيفسدون •

وهو قوله لتفسدن في الارض مرتين قال ابن عباس وقضينا عليهم
في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام
في لتفسدن لام القسم مجازه والله لتفسدن في الارض يعني
بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس ولتعلن
يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس علوا كبيرا فاذا جا وعد اولاهما
يعني اولى المرتين قبل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا
من احكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى
قتل شعيبا في الشجرة وارتكابهم المعاصي بعثنا عليكم عبادا لنا
يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنحاريب من
اهل نينوى وقيل هو بخت نصر البابلي وهو الاصح اولي باس شديد
يعني ذوي بطش وقوة في الحرب فجاسوا خلال الديار يعني
طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم وكان وعدا
مفعولا يعني قضا كاينا لازما لا خلف فيه ثم رددنا لكم الكرة
عليهم يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين
تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا يعني اكثر عددا ان احسنتم احسنتم لانفسكم
يعني لها ثوابها وجزا احسانها وان اساتم فلها يعني فعليها
عقاب اساتها فاذا جا وعد الاخرة يعني المرة الاخرة من فسادكم
وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا
ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم
وقتلوهم وهو قوله ليسوءوا وجوهكم يعني ليحزنوكم ويغموكم وقرى
بالنون اي لنسوا نحن وجوهكم وليدخلوا المسجد يعني بيت
المقدس ونواحيه كما دخلوه اول مرة يعني وقت افسادهم
الاول وليتبروا ما علوا تتبيرا يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه
من بلاد بني اسرايل اهلاكا

ذكر القصة في هذه الايات

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرايل فيهم
الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا
اليهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم يدعى
صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده
ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يومرون باتباع التورية
والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا بن
امصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال ابشري اوري شلم ومعناه ابشري

الان ياتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك
يعني صديقة بني اسرايل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه
عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث الله سنحاريب ملك
بابل ومعه ستماية الف راية ولم يزل سايرا حتى نزل حول بيت
المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاه شعيا
النبي اليه وقال يا ملك بني اسرايل ان سنحاريب ملك بابل قد
نزل بك هو وجنوده وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك
على الملك وقال يا نبي الله هل اتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا
به وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده قال شعيا لم ياتني وحي
في ذلك فبينما هم على ذلك اوحى الله الى شعيا النبي ان ايت ملك
بني اسرايل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشا من
اهل بيته فاتى شعيا ملك بني اسرايل فمره ان يوصي فقال ان ربك
اوحى الي ان امرك ان توصي وصيتك وتستخلف من شيت على ملكك
من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا لصديقة الملك
اقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله
تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الالهة يا قدوس
المتقدس يا رحمن يا رحيم يا روف الذي لا تاخذه سنة ولا نوم
اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضاي على بني اسرايل وذلك كله
كان منك وانت اعلم به من سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له
وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعيا ان تخبر صديقة ان ربه
قد استجاب له ورحمه واخر اجله خمسة عشر سنة وانجاه من عدوه
سنحاريب فاتاه شعيا فاخبره فلما قال له ذلك انقطع عنه
الحزن وخر ساجدا وقال الهي واله ابائي لك سجدت وسبحت وكرمت
وعظمت انت الذي تعطي الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا
وتعز من تشا وتذل من تشا يا عالم الغيب والشهادة انت
الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة
المضطرين انت الذي اجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع راسه
اوحى الله الى شعيا ان قل للملك صديقة فيامر عبدا من عبيده
فياتيه بما التين فيحمله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برا
ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعيا قل له اني كفيتك عدوك
وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة
نفر من كتابه فلما اصبح جا صارخ يصرخ على باب المدينة يا
ملك بني اسرايل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنحاريب

ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سخاريب فلم يوجد في الموتى
فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب في مغارة ومعه خمسة نفر
من كتابه احدهم بخت نصر فجعلوهم في الجوامع ثم اتوا بهم الملك
فلما راهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى المجي العصر ثم
قال لسخاريب كيف رايت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن
وانتم غافلون فقال سخاريب قد اتاني خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته
التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي فلم اطع مرشدا ولم يلقني في
الشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت او عقلت ما غزوتكم فقال الملك
صديقه الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شا ان ربنا لم يبقك
ومن معك لكرامة بك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزداد
شقوة في الدنيا وعذابا في الاخرة ولتخبروا من وراكم بما رايتم من فعل
ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك
ودم من معك اهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان الملك بني
اسرايل امر امير حرسه ان يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف
بهم سبعين يوما وما حول بيت المقدس وايليا وكان يرزقهم في كل
يوم خبزتين من شعير فقال سخاريب للملك صديقه القتل خير
مما يفعل بنا فامر بهم القتل فاوحى الله الى شعيا النبي ان قل لملك
بني اسرايل يرسل سخاريب ومن معه لينذروا من وراهم وليكرمهم
وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعيا للملك ففعل فخرج
سخاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمعوا الناس فاخبرو
كيف فعل بهم الله بجنوده فقال كهانه وسحرته يا ملك بابل قد
كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله الى نبيهم فلم تطعنا
وهي امة لا يستطيعها احد مع ربهم وكان امر سخاريب تخويفا
لبني اسرايل ثم كفاهم الله ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سخاريب لبث
بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابن ابنه
بخت نصر فعمل بعمله وقضى بقضايه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض
الله ملك بني اسرايل صديقه فمرج امر بني اسرايل وتنافسوا
الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعيا بينهم معهم لا يقبلون منه فلما
فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم في قومك اوحي على لسانك فلما
قام انطق الله لسانه بالوحي فقال يا سما استمعي ويا ارض انصتي
فان الله يريد ان يقص شان بني اسرايل الذي رباهم بنعمته
واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم
كالغنم الضايعة التي لا راعي لها فاوى شاذتها وجمع ضالتها وجبر

كسيرها

كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك
بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم
صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطية لا يدرون اني جاهم
الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الاري الذي
شبع عليه فراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه
وان هولا القوم لا يذكرون من حيث جاهم الحين وهم اولوا الالباب
والعقول ليسوا ببقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل
كيف ترون في ارض كانت خواء زمانا لا عمران فيها وكان لها رب
حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوي
او يقال صنيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وانبط
نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب
والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا راي وهمة حفيظا
قويا امينا فلما اطلعت جا طلعها خروبا قالوا بيست الارض هذه
نرى ان يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق
غرسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال
الله تعالى قل لهم الجدار مني وان القصر شريعتي وان النهر كتابي
وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب الذي اطلع الغراس
اعمالهم الخبيثة وان قد قضيت عليهم قضاهم على انفسهم وانه
مثل ضربته لهم يتقربون الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم
ولا اكله ويدعون ان يتقربوا الي بالتقوى والكف عن ذبح الانفس
التي حرمتها فايديهم مخضوبة منها وثيابهم مترملة بدمايها يشيدون
لي بالبيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم
ويدنسونها ويزوقون الي المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم
واخلاقهم ويفسدونها فاي حاجة الى تشييد البيوت ولست
اسكنها واي حاجة الى تزويق المساجد ولست ادخلها انما امرت
برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم
تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين
الحمام وبكينا بمثل عوا الذياب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله
فسلهم ما الذي يمنعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين
وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم
وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور
صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي
ام كيف تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم انما اجزي

عليها اهلها المغضوبين ام كيف استجيب دعائهم وانما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيدوا انما استجيب للداع اللين وانما اسمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها اقاويل منقولة واحاديث متوارثة وتاليف مما يولف السحرة والكهنة وزعموا انهم لوشاوا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولوشاووا ان يطلعوا على علم الغيب بما يوحى اليهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضا اثبته وختمته على نفسي وجعلت دونه اجلا موجلا لابد انه واقع فان صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او في اى زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان ياتوا بما يشاوون فلياتوا بمثل القدرة التي بها امضيه فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان كانوا يقدرون على ان يولفوا ما يشاوون فيولفوا مثل الحكمة التي ادبر بها ذلك القضا ان كانوا صادقين واني قد قضيت يوم خلقت السما والارض ان اجعل النبوة في الاجرا وان اجعل الملك في الرعا والعز في الاذلاء والقوة في الضعفا والغنا في الفقرا والعلم في الجهلة والحلم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القايم بها ومن اعوان هذا الامر وانصاره وان كانوا يعلمون فاني باعث لذلك نبيا اميا اعمى من عميان ضنا لا من ضالين ليس بفظ ولا بغليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغا رضواني الهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على روس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب على الانصاف قربانهم دماهم

كي

وانا جيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشا وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبه من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فانشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرايل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق انه الخضر واسمه ارميا سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضا فقام عنها وهي تهتز خضرا فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارميا ان ايت قومك من بني اسرايل فاقصص عليهم ما امرك بهم وعرفهم وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى اولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيتي وان القلوب والالسنة بيدي اقلبها كيف شيت اني معك ولن يصل اليك شي معي فقام ارميا ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرايل بيافث ويافث من اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج في ستماية الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطي الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملاوه ثم امرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرايل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنايم جنده واراد ان يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنايمنا كلها واقسم بيننا هولا الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرايل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وفرق من بقي من بني اسرايل ثلاث فرق ثلثا اقر بالشام وثلثا سبا وثلثا قتل وذهب بانية بيت المقدس وبالصبيان السبعين الفا حتى اقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى الذي انزل الله عز وجل ببني اسرايل بظلمهم فذلك قوله تعالى فاذا جا وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد يعني بخت نصر واصحابه ثم ان بخت نصر

راي ء

اقام في سلطانه ماشا الله ثم روٴيا عجيبة اذ راي شيا اصابه فانسا
الذي راي فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وكانوا
من ذراري الانبياء وسالهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتاويلها
قال ما اذكرها ولين لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا
من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سالهم عنه فجاوه
فقالوا رايت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من
نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب وراسه وعنقه من حديد
قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله صخرة
من السما فدقته فهي التي انستكها قال صدقتم فما تاويلها قالوا
تاويلها انك اريت ملك الملوك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم
كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا الفخار اضعفه ثم فوقه
النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة احسن من ذلك وافضل
والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو اشد
واعز مما كان قبله والصخرة التي رايت ارسل الله من السما فدقته
نبي يبعثه الله من السما فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم ان
اهل بابل قالوا لبخت نصر ارايت هولا الغلمان من بني اسرايل الذين
سالناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد نكرنا نسانا منذ كانوا معنا
لقد راينا نسانا انصرفت وجوههم عنا اليهم فاخرجهم من بين اظهرنا
او اقتلهم فقال شانكم بهم فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل
فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا
اصابنا البلا بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الا من
كان منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل ثم لما اراد الله هلاك
بخت نصر انبعث فقال لمن في يديه من بني اسرايل ارايتم هذا البيت
الذي اخربت والناس الذي قتلت منهم وما هذا البيت قالوا
هذا بيت الله عز وجل وهولا اهله كانوا من ذراري الانبيا فظلموا
وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض
ورب الخلايق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم
وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ذلك
ببني اسرايل قال فاخبروني كيف لي ان اطلع الى السما العليا فاقتل
من فيها واتخذها ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض قالوا ما يقدر
عليها احد من الخلايق قال لتفعلن او لاقتلنكم عن اخركم فبكوا
وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة
فدخلت منخره حتى عضت على ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن

حتى

حتى يوجا له راسه على ام دماغه فلما مات شقوا راسه فوجدوا
البعوضة عاضة على ام دماغه ليري الله العباد قدرته ونجى الله
من بقي من بني اسرايل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا
حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله تعالى احيا
اوليك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها
وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير
من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي
ليله ونهاره وخرج على الناس فبينما هو كذلك اذ جاه رجل
فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده
الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح ديننا واخرتنا غيره قال
افتحب ان يرد اليك ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعد
هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد
الى المكان الى الذي وعده فجلس فيه فاتى ذلك الرجل باناء
فيه ما وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الانا فمثلت
التورية في صدره فرجع الى بني اسرايل فوضع لهم التورية له
فاحبوه حبا لم يحبوا حبه شيا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت
بنو اسرايل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث
فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان اخر من
بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا
من بيت ال داود زكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه
فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث
الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس فسار اليهم
باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من روسا
جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له اني كنت حلفت
بالهي لين انا ظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم
في وسط عسكري الا ان لا اجد احدا اقتله فامره ان يقتلهم حتى
يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة
التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسالهم
عنه فقال يا بني اسرايل ما شان هذا الدم يغلي اخبروني خبره
قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد
قربنا القربان من ثمان ماية سنة فيتقبل منا الا هذا فقال ما
صدقتموني خبرا قالوا لو كان كاول زماننا لقبل منا ولكن قد انقطع
عنا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورز

اذان منهم على ذلك الدم بسبعماية وسبعين روحا من روسهم فلم
يهدا الدم فامر بسبعماية غلام من علمائهم فذبحهم على الدم فلم
يهدا فامر بسبعة الاف من شيبهم وازواجهم فذبحهم على الدم
فلم يهدا فلما راي بيورزاذان الدم لا يهدا قال لهم يا بني اسرايل
ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فطال ما ملكتم في الارض
تفعلون ما شيتم قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من ذكر ولا انثى
الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان
هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا
اطعناه كان ارشد لنا وكان يخبرنا عن امركم فلم نصدقه فقتلناه
فهذا دمه قال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن
زكريا قال الان صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى
بيورزاذان انهم صدقوه خرساجدا وقال لمن حوله اغلقوا
ابواب المدينة واخرجوا من كان ها هنا من جيش خردوش
وخلا في بني اسرايل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك
ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فاهدا باذن ربك
قبل ان لا ابقي من قومك احدا فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان
عنهم القتل وقال بما امنت به بنو اسرايل وايقنت انه لا رب
غيره وقال لبني اسرايل ان خردوش امرني ان اقتل منكم حتى تسيل
دماكم وسط عسكره واني لا استطيع ان اعصيه قالوا له افعل ما
امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال
والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر
وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من
المواشي فلم يظن خردوش الا ان ما في الخندق من دما بني اسرايل
فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى بيورزاذان ان ارفع عنهم القتل
ثم انصرف الى بابل وقد افنى بني اسرايل او كاد وهي الوقعة
الاخيرة التي انزل الله ببني اسرايل في قوله لتفسدن في الارض
مرتين فكانت الوقعة الاولى بخت نصر وجنوده والاخيرة ٥
خردوش وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك
راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين
الا ان بقايا بني اسرايل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس
ونواحيها على وجه الملك وكانوا في نعمة الى ان بدلوا واحدثوا
فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومي فاخرب بلادهم
وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم

الذلة والمسكنة فما لبثوا في امة الا وعليهم الصغار والجزية
وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فعمره المسلمون بامره وقيل في سبب قتل يحيى ان ملك بني اسرايل
كان يكرمه ويدني مجلسه وان الملك هوي ابنة امراته وقال
ابن عباس ابنة اخيه فسال يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها
فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حتى جلس الملك
على شرابه والبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلي
وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فان هو راودها عن نفسها
ابت عليه حتى يعطيها ما سالته فاذا اعطاها ما سالته سالت
راس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا
قالت ما اريد غير هذا فلما ابت عليه بعث فاتي براسه حتى وضعت
بين يديه والراس يتكلم ويقول لا يحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلي
حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي فسلط الله عليهم
ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين الفا حتى سكن •

قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يعني يا بني اسرايل بعد
انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم وان عدتم اي الى المعصية عدنا اي
الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا اي سجنا ومحبسا من الحصر الذي هو الحبس وقيل
فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش قوله تعالى ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم اي الى الطريقة التي هي اصوب وقيل
الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله ويبشر يعني
القران المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
يعني الجنة وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
يعني النار في الاخرة ويدع الانسان اي على نفسه وماله وولده
بالشر يعني قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو
ذلك دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية
ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب
بفضله وكرمه وكان الانسان عجولا اي بالدعاء على ما يكره ان يستجاب
له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لا صبر له على سرا ولا ضرا قوله
عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين اي علامتين دالتين على
على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الاية قولان احدهما ان يكون
المراد من الايتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين

للخلق على مصالح الدين والدنيا اما الدين فلان كل واحد منهما
مضادا للاخر مغايرا مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه اقوى
دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة
واما في الدنيا لاتتم الا بهما ففي الليل يحصل السكوت والراحة وفي
النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني ان يكون
المراد وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين يريد الشمس والقمر فمحونا
اية الليل اى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسة مظلما لا يستبان
فيه شئ وجعلنا اية النهار مبصرة اى يبصر فيها الاشيا روية بينة
قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزا ونور القمر
كذلك فمحى من نور القمر تسعة وستين جزا فجعلها مع نور الشمس
وحكى ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث
مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسال ابن الكوى عليا عن
السواد الذى في القمر فقال هو اثر المحو لتبتغوا فضلا من ربكم
اى لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم
ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين والحساب اى مما
تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات
ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف
الليل من النهار ولم يدر الصايم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا
وقت حلول الديون الموجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع
مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين
والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد
هذه المراتب الاربعة الا التكرار وكل شئ فصلناه تفصيلا يعني
وكل شئ تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم وقد بيناه بيانا
شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه تعالى لما ذكر احوال ايتي
الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن
وجه اخر انهما نعمتان من الله على اهل الدنيا وكل ذلك تفصيلا
منه فلاجرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا قوله عز وجل وكل
انسان الزمناه طايره في عنقه قال ابن عباس عمله وما قدر
عليه فهو ملازمه اين ما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه
حتى يحاسب به وقيل وما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب
فيها شقي او سعيد وقيل اراد بالطاير ما قضى عليه انه عامله وما
هو صاير اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم
اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله لزوم القلادة او الغل لا ينفك

عنه

عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت
هذا في عنقك اى قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به
وانما خص العنق من بين ساير الاعضا لانه موضع القلايد والاطوا
والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان كالقلادة او الحلي
في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل في عنقه وهو
مما يشينه ونخرج له يقول الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا
يلقاه منشورا قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان
يحفظان عليه حسناته وسياته فاذا مات طويت الصحيفتان
وجعلت معه في قبره فلا ينشران الى يوم القيمة اقرا كتابك اى
يقال له اقرا كتابك قيل يقرا يوم القيمة من لم يكن قاريا كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اى محاسبا قال الحسن لقد عدل اليك من
جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد
فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب
الذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدي منه الى غيره وهو قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا
يواخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنب نفسه وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان
ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل واذا اردنا ان
نهلك قرية امرنا مترفيها في معنى الاية قولان احدهما ان المراد
منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الاية لا يدل على انه تعالى بماذا امرهم
فقال اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي
الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك امر عنادا او
فسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اى كثرنا فسقتها يقال امر
القوم فاكثروا وامرهم الله اذ اكثرهم ومنه الحديث خير المال
مهرة مامورة اى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا امرنا ليس من
الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة وسعة العيش
ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرهم الله به من الطاعة فحق عليها
القول اى وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا اى اهلكناها
هلاك استيصال والدمار الهلاك والخراب ق عن ام المومنين زينب
بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله
الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج

ق

مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت
يا رسول الله اتهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا اكثر الخبث قوله
ويل للعرب كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله
اذا اكثر الخبث اى الشر • قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون اى المكذبة
من بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف بذلك
كفار مكة قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن ويزيد بن معوية
في اخره وقيل القرن مائة سنة روي عن محمد بن القاسم عن عبد الله
ابن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على راسه وقال
سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القسم ما زلنا نعد له حتى
تمت له مائة سنة ثم مات • وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يعني انه عالم بجميع المعلومات
راى بجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل
من كان يريد العاجلة اى الدار العاجلة يعني الدنيا عجلنا له
فيها ما نشا اى من البسط والتقتير لمن نريد ان نفعل به ذلك
او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد اى القدر
الذي نشا عجلنا له في الدنيا لا الذي يشا هو لمن نريد ان نعجل له
شيا قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله وطاعته الدنيا ومنفعتها
وبيان ان من ارادها لا يدرك منها الا ما قدر له ثم جعلنا له اى في
الاخرة جهنم يصلاها اى يدخلها مذموما مدحورا اى مطرودا
مبعدا قوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها اى عمل لها
عملها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا قيل في
الاية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله وتجافا
عن دار الغرور والسعي فيما كلف له من العمل وترك ما امر بتركه ه
والايمان الصحيح الثابت • وعن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث
لم ينفعه عمل ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه
الاية قوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اى نمد كلا الفريقين من
من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة من عطاء ربك اى يرزقهما جميعا ثم
يختلف بهم الحال في المال وما كان عطاء ربك محظورا اى ممنوعا عن
عباده والمراد بالعطا في الدنيا ان لا حظ للكفار في الاخرة انظر يا محمد
كيف فضلنا بعضهم على بعض اى في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة
وطالب الاخرة وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا يعني ان تفاضل
الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات
منافع الاخرة اكبر واعظم فان نسبة التفاضل في درجات الاخرة الى

التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان
تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى وتشتد رغبته في
طلب الاخرة اولى لانها دار المقامة قوله تعالى لا تجعل مع الله الها
اخر الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل
ايها الانسان مع الله الها اخر وهذا اولى فتقعد مذموما اى من
غير حمد مخذولا اى بغير ناصر قوله عز وجل وقضى ربك اى وامر
ربك وقيل معناه واوجب ربك وقيل معناه الحكم الجزم وقيل ووصى
ربك وحكي عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقيل انهم الصقوا
الواو بالصاد فصار قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام
فخر الدين في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب
التحريف والتغيير وقد يتطرق الى القران ولو جوزنا ذلك لارتفع
الامان عن القران وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن
عظيم في الدين الا تعبدوا الا اياه فيه وجوب عبادة الله والمنع من
عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على
نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال
على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين
احسانا اى وامر بالوالدين احسانا اى برا بهما وعطفا عليهما واحسانا
اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما يبلغان
الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في اخر العمر كما كنت عندهما
في اول العمر واعلم انه تعالى ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين
خمسة اشيا الاول قوله فلا تقل لهما اف وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل
ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد نفخت فيه تزيله
تقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروه يصل اليهم
والثاني قوله ولا تنهرهما اى تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال
نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التافيف يدل على المنع
من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما اف
المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع
من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله وقل لهما
قولا كريما اى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قيل هو
ان يقول يا ابتاه يا اماه ولا يسميهما باسمائهما ولا يكنيهما وقيل هو ان يقول
لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز
وجل واخفض لهما جناح الذل اى الن لهما جناحك واخفض لهما حتى
لا يمتنع من شيء احباه من الرحمة اى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما

اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس قوله **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** اي وادع الله لهما ان يرحمهما رحمة الباقية واراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعا منسوخ في حقهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وقيل يجوز الدعا لهما بقوله بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا اهداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الاية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنسوهما او ان يدل ويحضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعا لهما والترحم عليهما

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين

ق عن ابي هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك **م** عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة **م** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه **ق** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه في الجهاد قال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين اخرجه الترمذي مرفوعا قال وهو اصح عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت فضع ذلك الباب او احفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح **ق** عن عبد الله بن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قوله تعالى **ربكم اعلم بما في نفوسكم** اي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير او عقوقهما **ان تكونوا صالحين** اي ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغيرهما وقيل او فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر بشي يودي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم مما فرطت منكم **فانه كان للاوابين غفورا** اي للتوابين غفورا قال سعيد

ابن

ابن جبير في هذه الاية هو ان الرجل تكون منه المبادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يواخذ به وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الراجع فيما ينوبه ويحزنه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روى عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قبا وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال اخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وان تحمى الرمضا وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهي اولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشا يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال ان الملايكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشا وهي صلاة الاوابين قوله تعالى **وآت ذا القربى حقه** قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى ان يوتي اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة وان يوتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السرا والضرا والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند ابي حنيفة وقال الشافعي لا تلزم الا النفقة الا الوالد على ولده او ولد على والديه فحسب وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على ذلك **والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا** اي لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو انفق الانسان ماله كله في حق لم يكن مبذرا ولو انفق درهما او مدا في باطل كان مبذرا وسيل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** يعني اولياءهم واصدقاءهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم **وكان الشيطان لربه كفورا** اي جحودا للنعمة فما ينبغي ان يطاع لانه يدعوا الى مثل عمله قوله عز وجل **واما تعرضن عنهم** نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه

الاية والمعنى وان تعرض عن هولاء الذين امرتك ان تؤتيهم ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها اى انتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فقل لهم
قولا ميسورا اى لينا جميلا اى عدهم وعدا تطيب به قلوبهم وقيل هو
ان يقول رزقنا الله واياكم من فضله قوله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك قال جابر اتى صبى فقال يا رسول الله ان امى
تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه
فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا اخر
فعاد الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه
وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب
اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك اى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق والخير
كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ولا تبسطها اى بالعطا كل البسط
اى فتعطى جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطا المسرف
امرا بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما اى
عند الله لان السرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك ه
واصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومونك
سايلوك عن الامساك اذا لم تعطهم محسورا اى منقطعا بك لا شى
عندك تنفقه وقيل محسورا اى نادما على ما فرط منك ثم سلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان
ذلك ليس هوانا بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى ان ربك
يبسط اى يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر اى يقتر ويضيق وذلك لمصلحة
العباد انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعنى انه تعالى عالم باحوال عباده
وبمصالحهم فالتفاوت فى الارزاق ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية
مصالح العباد قوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
اى الفقر والفاقة نحن نرزقهم واياكم وذلك ان اهل الجاهلية كانوا
يئدون خشية الفاقة او يخافون عليهم من النهب والغارات او لانهم
يكونون لغير الاكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم
الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعنى ان الارزاق بيد الله
فكما انه فتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح على النساء ان
قتلهم كان خطأ كبيرا اى اثما كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
اى قبيحة زايدة على حد القبح وساء سبيلا اى بئس طريقا طريقه
وهو ان تغصب امراة غيرك او اخته او بنته من غير سبب والسبب

ممكن

ممكن وهو الضمير الذى شرعه الله تعالى وقيل ان الزنا يشتمل على
انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها
اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم احد بتربيته
وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب
خراب العالم قوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا
بالحق الاصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما يثبت
بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل
ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الاسباب العرضية
فقال الا بالحق اى باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرء مسلم يشهد ان لا اله الا
الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس ه
بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة اخرجاه فى الصحيحين
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اى قوة وولاية على
القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شا استقاد منه وان
شا اخذ الدية وان شا عفى فلا يسرف فى القتل اى الولى قال ابن
عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل
منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه
اذا كان القاتل واحد فلا يقتل به جماعة من اقربايه وقيل معناه
لا يمثل بالقاتل انه كان منصورا وقيل الضمير راجع للمقتول ظلما
يعنى انه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الاخرة
بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولى
المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفا القصاص منه
او الدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل اراد به القاتل المتعدى
يقول لا تتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل
منصور من قبلى عليه باستيفا القصاص منه قوله تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتى هى احسن اى بالطريقة التى هى احسن وهى تثميره
وحفظه عليه حتى يبلغ اشده هو بلوغ النكاح والمراد بالاشد كمال
عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله فلو بلغ غير كامل ه
العقل لم ينفك عنه الحجر واوفوا بالعهد اى الاتيان بما امر الله والا
نتهاء
عما نهى عنه وقيل اراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ان
العهد كان مسئولا اى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسال عن
صاحبه فيقال فيما نقضت كالموءودة تسال فيما قتلت ٥ قوله
عز وجل واوفوا الكيل اذا كلتم المراد منه اتمام الكيل وزنوا بالقسطاس

المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الدراهم الى
ما هو اكثر منه وقيل هو القبان وقيل هو رومي سرياني والاصح انه
عربي ماخوذ من القسط وهو العدل اي زنوا بالعدل المستقيم واعلم
ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد
الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز منه وانما عظم
الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشرا
فالشارع بالغ في الكيل والتطفيف والنقصان سعيا في ابقاء
الاموال على اربابها ذلك خير واحسن تاويلا اي احسن عاقبة من
آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه امره قوله تعالى ولا تقف اي ولا تتبع
ما ليس لك به علم اي لا تقل رايت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت
ولم تعلمه وقيل معناه لا ترم احدا ما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه
بالحدس والظن وقيل هو ماخوذ من القفا كانه يقفوا الامور تتبعها
ويتعرفها وحقيقته انه لا يتكلم في احد بالظن ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا معناه يسال المرء عن سمعه وبصره وفؤاده
وقيل يسال السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع
الاشارة في اولئك الى الاعضا وعلى القول الاول ترجع الى اربابها
عن شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله
علمني تعوذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من
شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر منيي قال فحفظتها
اخرجه ابو داود والنسايي والترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله وشر منيي يعني ماءه وذكره قوله عز وجل ولا تمش في الارض
مرحا اي بطرا وكبرا وخيلا انك لن تخرق الارض اي لن تقطعها بكبرك
حتى تبلغ آخرها ولن تبلغ الجبال طولا اي لا تقدر ان تطاول الجبال
وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيا
كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا تحصل على شي وقيل ان الذي
يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له
انك لن تنقب الارض ان مشيت على صدور قدميك • عن علي قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط
من صبب اخرجه الترمذي في الشمايل • قوله تكفيا التكفؤ التمايل
في المشي الى قدام • وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ
اي كانه ينحدر من موضع عال • عن ابي هريرة قال ما رايت شيا
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه
وما رايت احدا اسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما

الارض

الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذي
قوله لغير مكترث اي شاق والاكتراث الامر الذي يشق على الانسان
كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها اي ما ذكر من الامور التي
نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها
قلت قيل فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك مكروها سيئة وقيل
مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروها • وقيل انه يرجع الى المعنى دون
اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر قوله تعالى ذلك اشارة الى ما
تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الايات مما اوحى اليك ربك
من الحكمة اي ان الاحكام المذكورة في هذه الايات شرايع واجبة
الرعاية في جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة
وحكمة بهذا الاعتبار • وقيل ان حاصل هذه الايات ترجع الى الامر
بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال
على الاخرة وذلك من الحكمة • وقيل ان هذه الايات كانت في الواح
موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة واعلم ان الله تعالى افتتح هذه
الايات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود
منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان يكون فيه التوحيد لانه
راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شي ثم انه تعالى ذكر
في الاية الاولى ان الشرك يجب ان يكون صاحبه مذموما مخذولا
وقال في هذه الاية ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما
مدحورا والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه
ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فهو مذموم ثم يقال له لم
فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه فهذا هو الملوم
والفرق بين المخذول والمدحور هو المخذول هو الضعيف الذي لا
ناصر له والمدحور هو المبعود المطرود عن كل خير والله اعلم قوله
عز وجل افاصفاكم ربكم بالبنين يعني افخصكم واختاركم فجعل
لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة بالبنين يعني اختصكم بافضل
الاولاد وهم البنون واتخذ من الملايكة اناثا لانهم كانوا يقولون
الملايكة بنات الله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي
لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القايلين بهذا القول انكم
لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد
وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه انفسهم حيث يجعلون له
ما يكرهون لانفسهم يعني البنات قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا

القران يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشد
ني صرفنا للتكثير والتكرير ليذكروا اى ليتعظوا ويعتبروا وما يزيدهم
اى تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اي تباعدا عن الحق قل يا محمد لهولا
المشركين لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اى لطلبوا يعني هولا الالهة
الى ذى العرش سبيلا اى بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل
ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل
معناه لعرفوا الله فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والاول اصح
ثم نزه نفسه فقال عز وجل سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
يعني وصفه بذلك للمبالغة في البراة والبعد مما يصفونه به
قوله عز وجل تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يعني
الملايكة والانس والجن وان من شي الا يسبح بحمده قال ابن عباس
وان من شي حي الا يسبح وقيل جميع الحيوانات والناميات وقيل
ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم
يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها
فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة
فاذا اسقطت تركت التسبيح وان الثوب ليسبح ما دام جديدا فاذا
توسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكتت
تركت التسبيح • وقيل وان من شي جماد او حي الا يسبح بحمده حتى صرير
الباب ونقيض السقف • وقيل كل الاشيا تسبح الله حيوانا كان
او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده يدل على ذلك ما روي عن
ابن مسعود قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل الما فقال اطلبوا فضلة
من ما فجاوا بانا فيه ما قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم
في الانا ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله ولقد
رايت الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل اخرجه البخاري م عن
جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا
كان يسلم علي ليالي بعثت اني لاعرفه الان خ عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر
تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل
فاحتضنه وساره بشي ففي الاية هذه الاحاديث دليل على ان
الجماد يتكلم وانه يسبح • وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات
والارض والجمادات والحيوانات سوي العقلا بلسان الحال حيث

تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك ويصير
لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث
وانه منقول عن السلف واعلم ان الله تعالى له علما في الجمادات لا
يقف عليه غيره فينبغي ان يكل علمه اليه وقوله تعالى ولكن لا تفقهون
تسبيحهم اى لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم
ولسانكم انه كان حليما غفورا اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على
غفلتكم وجهدكم بالتسبيح قوله عز وجل واذا قرات القران جعلنا
بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا اى يحجب
قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن اعين
الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير انه قال لما نزلت
تبت يدا ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر
فلم تره فقالت لابي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال
والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت
جيت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما راتك يا رسول الله قال
لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا على قلوبهم اكنة اى اغطية
ان يفقهوه اى لان يفهموه وفي اذانهم وقرا اى ثقلا لئلا يسمعوه
واذا ذكرت ربك في القران وحده يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت
تتلو القران ولوا على ادبارهم نفورا جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون
به اى من الهزء بك وبالقران وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذي
يستمعون به وهو التكذيب به اذ يستمعون اليك اى وانت تقرا
القران واذ هم نجوى اى وبما يتناجون به في امرك وقيل معناه
ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم
يقول هو ساحر او شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة
واصحابه ان تتبعون الا رجلا مسحورا اى مطبوبا وقيل مخدوعا
وقيل معناه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرية ومعناه انه بشر
مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر

• ارانا موضعين لحتم غيب • ونسحر بالطعام وبالشراب •

اى نغذى بهما انظر كيف ضربوا لك الامثال اى الاشباه فقالوا
ساحر كاهن شاعر مجنون فضلوا اى في جميع ذلك وحاروا فلا
يستطيعون سبيلا اى الى طريق الحق وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا
اى بعد الموت ورفاتا اي ترابا وقيل الرفات الاجزا المتفتتة من
كل شي تكسر اءنا لمبعوثون خلقا جديدا انيه انهم استبعدوا الاعادة
بعد الموت والبلا فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم يا محمد كونوا

حجارة اى فى الشدة او حديدا اى فى القوة وليس هذا امر الزام بل هو
امر تعجيز اى استشعروا فى قلوبكم انكم حجارة او حديدا اى فى القوة او خلقا
مما يكبر فى صدوركم قيل يعنى فى السموات والارض والجبال لانها اعظم
المخلوقات وقيل يعنى به الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم
ولابعثنكم فسيقولون من يعيدنا اى من يبعثنا بعد الموت قل
الذى فطركم اى خلقكم اول مرة فمن قدر على الانشا قدر على الاعادة
فسينغضون اليك رؤسهم اى يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزين
بما تقول ويقولون متى هو يعنى البعث والقيمة قل عسى ان يكون
قريبا اى هو قريب يوم يدعوكم اى من قبوركم الى موقف القيمة ٥
فتستجيبون بحمده قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين
بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب
مع المومنين فانهم يبعثون حامدين وتظنون ان لبثتم اى فى
الدنيا وقيل فى القبور الا قليلا وذلك لان الانسان لو مكث فى
الدنيا وفى القبر الوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة
القيمة والخلود فى الاخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى
جنب القيمة قوله تعالى وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن وذلك
ان المشركين كانوا يوذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل وقل لعبادى يقولوا يعنى الكفار
التى هى احسن اى لا يكافوهم على سفههم بل يقول له يهديك الله
وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطا
وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله
المومنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التى هى احسن وقيل الاحسن
كلمة الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان ينزغ بينهم اى يفسد
ويلقى العداوة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اى ظاهر
العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم اى يوفقكم للايمان فتومنوا
او ان يشا يعذبكم اى يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشا
يرحمكم فينجيكم من اهل مكة او ان يشا يعذبكم اى يسلطهم عليكم
وما ارسلناك عليهم وكيلا اى حفيظا وكفيلا قيل نسختها اية القتال
وربك اعلم بمن فى السموات والارض يعنى ان علمه غير مقصور بل
علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات
الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح
والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلا
وملّلهم واديانهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وذلك انه

اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى
سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده واتى داود زبورا وذلك قوله
تعالى واتينا داود زبورا وهو كتاب انزله الله على داود ويشتمل على
مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله وتحميد وتمجيد ليس فيه
حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا احكام فان قلت
لم خص داود فى هذه الاية بالذكر دون غيره من الانبيا قلت
فيه وجوه ٥ احدها ان الله ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم
قال واتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطى مع النبوة الملك فلم
يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور
فى الاية المراد منه العلم لا الملك والمال ٥ الوجه الثانى ان الله
كتب له فى الزبور ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فلهذا خصه
بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت انه لا نبى بعد موسى ولا
كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله واتينا داود زبورا ومعنى
الاية انكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبى
صلى الله عليه وسلم واعطاه القران وانه اتى موسى التورية وداود
الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على جميع الخلايق ذلك فضل الله يوتيه من يشا وهذا خطاب
مع من يقر بتفضيل الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا
الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليدعوا لهم
قال الله عزوجل قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم اى الجوع والقحط ولا تحويلا اى الى غيركم
او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الاية الرد على المشركين
حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين
اليه وهم الملايكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا
وصورة واشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الاية
وبين عجز الهتهم ثم قال تعالى اولئك الذين يدعون يعنى الذين
يدعونهم المشركين الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة اى القربة والدرجة
العليا قال ابن عباس عيسى وامه وعزير والملايكة والشمس والقمر
والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الاية فى نفر من العرب
كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم اولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك
فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وانزل هذه الاية وقوله تعالى ايهم
اقرب معناه ينظرون ايهم اقرب الى الله فيتوسلون اليه به وقيل ايهم

افرب يبتغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير
والطاعة **ويرجون رحمته** اى جنته **ويخافون عذابه** وقيل معناه
يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف تزعمون انهم الهة **ان
عذاب ربك كان محذورا** اى كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك
مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلايق قوله تعالى **وان
من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة** اى بالموت والخراب **او معذبوها
عذابا شديدا** اى بالقتل وانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل
الاهلاك فى حق المؤمنين هو بالاماتة والعذاب فى حق الكفار
قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا فى قرية اذن الله فى
هلاكها **كان ذلك فى الكتاب** اى فى اللوح المحفوظ **مسطورا**
اى مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له
اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما هو كاين الى الابد اخرجه
الترمذى قوله تعالى **وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها
الاولون** قال ابن عباس سال اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شيت ان تستانى بهم فعلت وان
شيت اوتيتهم ما سالوا فعلت فان لم يومنوا اهلكتهم كما اهلكت من
كان قبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا بل تستانى بهم فانزل الله
وما منعنا ان نرسل بالايات اى التى سالها كفار قومك بعد ارسال
الايات اهلكتهم لان من سنتنا فى الامم اذا سالوا فى الايات ثم لم
يومنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه
الامة الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التى اقترحها الاولون
ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى **واتينا ثمود الناقة
مبصرة** اى بينة وذلك لان اثار اهلاكهم فى بلاد العرب قريبة من
حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم **فظلموا بها** اى فجحدوا بها
انها من عند الله وقيل فظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة
وما نرسل بالايات الا تخويفا اى وما نرسل بالايات المقترحة الا
تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما
نرسل بالايات يعنى العبر والدلالات الا تخويفا اى انذارا بعذاب
الاخرة ان لم يومنوا فانه يخوف الناس بما يشا من اياته لعلهم يرجعون
قوله عز وجل وإذ قلنا لك اى واذكر يا محمد اذ قلنا لك **ان ربك
احاط بالناس** اي ان قدرته محيطة بهم فهم فى قبضته وقدرته لا يقدرون

على

على الخروج من مشيته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدرون على
امر من الامور الا بقضايه وقدرته وهو حافظك وما نعك منهم فلا
تهبهم وامض بما امرتك به من تبليغ الرسالة فهو ينصرك ويقويك
على ذلك **وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس** الاكثرون
من المفسرين على ان المراد منه ما راى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج من العجايب والايات قال ابن عباس هى رؤيا عين اريها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به الى بيت المقدس اخرجه
البخارى وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد
وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رايت بعينى رؤية
ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس انكر بعضهم
ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال
قوم اسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف • وقال قوم له معراجان
معراج روية عين فى اليقظة ومعراج رؤيا منام • وقيل اراد بهذه
الرويا ما راي النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة
هو واصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى
المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعد ما اخبر انه يدخلها فتنة
لهم لبعضهم ثم دخل مكة فى العام المقبل وانزل الله لقد صدق الله
رسوله الرويا بالحق • وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم راى فى المنام
ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما يتداول الكرة فساءه ذلك
فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية
وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه
فانه لا يبعد ان النبى صلى الله عليه وسلم راى ذلك بمكة ثم كانت
حقيقته بالمدينة **والشجرة الملعونة فى القران** يعنى شجرة الزقوم
التى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام
كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان ابا جهل قال ان ابن ابى كبشة
يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم
انه ينبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبعرى
قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال
ابو جهل يا جارية تعالى فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا
فان هذا ما يخوفكم به محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى حين
عجبوا ان يكون فى النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الايات
فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم فى القران **قلت**
لعنت حيث لعن الكفار الذين ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن

وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن
لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل جهنم في ابعد مكان من
الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث
الذي يلتوي على الشجرة والشوك فيجففه ونخوفهم فما يزيدهم اي
التخويف الا طغيانا كبيرا اي تمردا وعتوا عظيما قوله تعالى واذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت
طينا اي من طين وذلك ان ادم خلق من تراب الارض من عذبها
وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو
شقي قال يعني ابليس ارايتك الكاف للمخاطب والمعنى اخبرني
هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي لين اخرتني اي امهلتني
الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم بالاضلال وقيل
معناه لاقودنهم كيف شيت وقيل لاستولين عليهم بالاغوا الا قليلا
يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان قال الله تعالى اذهب اي امض لشانك
وليس من الذهاب الذي هو ضد المجي فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاوكم اي جزايك وجزا اتباعك جزاء موفورا اي مكملا قوله
عز وجل واستفزز اي استخف واستزل واستجهل وازعج من استطعت
منهم اي من ذرية ادم بصوتك قال ابن عباس معناه بدعايك الى
معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد
بصوتك الغنا والمزامير واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك
ورجلك اي اجمع عليهم مكايدك وحيلك واحثهم على الاغوا
وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا
ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل او مشى في معصية الله فهو
من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في
الامر جيتنا بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد اما
المشاركة في الاموال فكل مال اصيب من حرام او انفق في حرام
وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم او يحرمونه كالبحيرة
والسايبة والوصيلة والمشاركة في الاولاد فروي عن ابن عباس
انها الموودة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هو تسميتهم اولادهم
بعبد العزي وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا اولادهم
في الاديان الباطلة كالنصرانية واليهودية والمجوسية ونحوها وقيل
ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله
اصاب معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض

الاخبار ان فيكم المغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم
الجن وعدهم اي منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا
بعث وذلك ان الشيطان اذا دعى الى المعصية فلا بد ان يقرر اولا
انه لا مضرة في فعله البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا
جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيتقرر عنده انه لا مضرة البتة
في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل
يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا
به فهذا طريق الدعوى الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات
وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فايدة فيها
وقيل معنى عدهم اي شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل
على الاجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشيا بصيغة الامر
والله تعالى يقول ان الله لا يامر بالفحشا قلت هذا على
طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم وكقول القايل اجتهد
جهدك فسترى ما ينزل بك وقوله تعالى وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اي يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله تعالى لما قال
وعدهم اردفه بما يكون زاجرا عن قبول وعده بقوله وما يعدهم
الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعوا الى قضا الشهوة وطلب
الرياسة ونحو ذلك ولا يدعوا الى معرفة الله ولا الى عبادته وتلك
الاشيا التي يدعوا اليها خيالية لا حقيقة لها ولا يحصل الا بعد متاعب
ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضا
وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشيا بهذه
الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
يعني بعباده الانبيا واهل الفضل والصلاح لا يقدر على اغوايهم وكفى
بربك وكيلا اي حافظا والمعنى انه تعالى لما امكن ابليس ان ياتي
بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب
الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اي فالله تعالى احذر منه
وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصم من
اغوايه واضلاله وفي بعض الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال
يا رب اخرجتني من الجنة لاجل ادم فسلطني عليه وعلى ذريته قال
انت مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدني قال استفزز من استطعت
منهم الاية فقال ادم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لا
استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال
رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها والسية بمثلها قال رب زدني

قال التوبة معروضة مادام الروح في الجسد قال رب زدني فقال
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية • وفي الخبر ان ابليس قال
يارب بعثت انبيا وانزلت كتبا فما قراني قال الشعر قال فما كتابي
قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال ايش مطعمي قال ما لم يذكر
عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال واين مسكني قال الحمامات
قال واين مجلسي قال الاسواق قال وما حبالي قال النسا قال وما
اذاني قال المزمار • قوله تعالى ربكم الذي يزجي اي يسوق ويجري
لكم الفلك اي السفن في البحر لتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من
رزقه بالارباح في التجارة وغيرها انه كان بكم رحيما اي حيث يسر
لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم واذا مسكم الضر في البحر
اي لشدة وخوف الغرق في البحر ضل من تدعون اي ذهب عن اوهامكم
وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام وغيرها الا اياه
اي الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه
القادر على اعانتكم ونجاتكم فلما نجاكم اي اجاب دعاكم وانجاكم
من هول البحر وشدته واخرجكم الى البر اعرضتم اي عن الايمان
والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله وكان الانسان كفورا
اي جحودا افامنتم بعد انجايكم ان نخسف بكم جانب البر اي نغوره
والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته برا كان او بحرا بل ان كان الغرق
في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب
كما ان الغرق تغييب تحت الما او نرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم
حجارة من السما كما امطرها على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي
ما نعا وناصرا ام امنتم ان نعيدكم فيه اي في البحر تارة اي مرة اخرى
فنرسل عليكم قاصفا من الريح فنغرقكم قال ابن عباس اي عاصفا
وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شي من شجر وغيره
فنغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجاكم ثم لا
تجدوا لكم علينا به تبيعا التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل
بكم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من
جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا قوله تعالى ولقد كرمنا
بني آدم قال ابن عباس هو انهم ياكلون بالايدي وغير الادمي ياكل بفيه
من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم
وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل باللحا
والنسا بالذوايب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيره
لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير امة

اخرجت

اخرجت للناس وحملناهم في البر اي على الابل والخيل والبغال والحمير
والبحر اي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من موكدات التكريم لان
الله سبحانه وتعالى سخر له هذه الاشيا لينتفع بها ويستعين بها على
مصالحه ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب
وقيل السمن والزبد والتمر والحلوا وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل
ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان
الا باطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل
هذا لغير الانسان وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا واعلم
ان الله تعالى قال في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم وفي اخرها وفضلنا
ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزام التكرار والاقرب
ان يقال ان الله كرم الانسان على ساير الحيوان بامور خلقية
ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم
انه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم واكتساب العقايد
الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل
ثم قال تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على انه فضل
بني آدم على كثير من خلقه لا على الكل فقيل فضلوا على جميع الخلق الا على
الملايكة وهذا مذهب المعتزلة • وقال الكلبي فضلوا على الخلايق
كلهم الا على طايفة من الملايكة مثل جبريل وميكايل واسرافيل وعزرا
يل واشباههم • وقيل فضلوا على جميع الخلايق وعلى الملايكة كلهم فان
قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله
تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر
يرفعه قال لما خلق الله ادم وذريته قالت الملايكة يارب خلقتهم
ياكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال تعالى
لا اجعل من خلقته بيده ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان
وقيل بالتفضيل وهو الاولى الراجح ان خواص بني ادم وهم الانبيا
افضل من خواص الملايكة وعوام الملايكة افضل من عوام البشر
من بني ادم وهذا التفضيل انما هو بين الملايكة والمومنين من
بني ادم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اوليك هم خير البرية • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
المومن اكرم على الله تعالى من الملايكة الذين عنده • قوله عز وجل
يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي انزل عليهم
وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم
في الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة وذلك ان قوم يجتمعون الى

بنسبهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع ام يعني بامهاتهم
والحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا
يفتضح اولاد الزنا **فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم**
فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان
اصحاب الشمال يقرؤونه ايضا **قلت** الفرق ان اصحاب الشمال
اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولي عليهم
الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم
كلا قراءة واما اصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا
على الحسنات والطاعات فيقرؤونه احسن قراءة وابينها **ولا يظلمون**
فتيلا اي ولا ينقصون من ثواب اعمالهم ادنى شي **ومن كان في هذه**
اعمى المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى يعني ومن كان في
الدنيا اعمى اي عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الايات المتقدمة
فهو في الاخرة اعمى اي التي لم تعاين ولم تراعى **واضل سبيلا** قاله ابن
عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية قدرة
الله واياته ورؤية الحق فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا اي اخطا طريقا
وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى لانه في
الدنيا يقبل توبته وفي الاخرة لا يقبل توبته قوله تعالى **وان كادوا**
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك قيل في سبب نزولها ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعه قريش قالوا لا ندعك حتى
تلم بالهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي ان افعل ذلك والله يعلم
اني لكاره بعد ان يدعوني استلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر الهتهم
حتى يسلموا او يتبعوه فحدث نفسه فانزل الله هذه الاية وقال ابن
عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك
على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هي قالوا لا ننحني في الصلاة
اي لا ننحني ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة
من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا
ركوع فيه ولا سجود واما ان تكسروا اصنامكم بايديكم فذلك لكم واما
الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله
انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت
ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل
الله وان كادوا اي هموا ليفتنونك اي ليصرفونك عن الذي اوحينا
اليك **لتفتري** اي لتختلق وتتقول **علينا غيره** اي ما لم نقله **واذا**

اي لو فعلت ما دعوك اليه **لاتخذوك خليلا** اي والوك وصافوك
ولولا ان ثبتناك اي على الحق بعصمتنا اياك **لقد كدت تركن** اي تميل
اليهم شيئا قليلا اي قريبا من الفعل **فان قلت** كان النبي صلى
الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه **قلت**
كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفى الله عن حديث النفس
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلني الى نفسي
طرفة عين **والجواب** الصحيح هو ان الله تعالى قال ولولا ان
ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم **اذا لاذقناك ضعف الحياة**
وضعف الممات اي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف
عذاب الممات يعني اضعفنا لك العذاب في الدنيا والاخرة **ثم لا**
تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا **قوله عز وجل**
وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قيل هذه الاية
مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود
مقامه بالمدينة صلى الله عليه وسلم وذلك حسدا فاتوه فقالوا يا
ابا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبيا وان ارض الانبيا الشام وهي
الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبيا عليهم السلام فان كنت
نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك الخروج اليها مخافة الروم وان
الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه
وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى
يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الاية والارض ها هنا ارض
المدينة وقيل الارض ارض مكة والاية مكية وهم المشركون ان يخرجوه
منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق
بالاية لان ما قبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون
كلهم وارادوا ان يستفزوه من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه
فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوه والاستفزاز الازعاج **واذا**
لا يلبثون خلفك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا
قليلا حتى يهلكوا قوله تعالى **سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا**
يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان لا
يهلكهم ولا يعذبهم ما دام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا **قوله عز وجل** **اقم الصلاة**
لدلوك الشمس روي عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول
النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر
هو زوال الشمس وهو قول عطا وقتادة ومجاهد والحسن واكثر التابعين

ويعنى اللفظ يجمعهما لان اهل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت
واذا غربت والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القايلين به واذا
حملناه عليه كانت الاية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك
الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر **الى غسق الليل** اى ظهور ظلمته
وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشا **وقران
الفجر** يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرانا لانها لا تجوز الا بقرآن **ان قران
الفجر كان مشهودا** اي يشهده ملايكة الليل وملايكة النهار خ عن
ابي هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع
صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملايكة الليل وملايكة
النهار فى صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شيتم ان قران الفجر كان
مشهودا • قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسير هذا دليل قاطع قوى
على ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من الصبح
ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فيكون ملايكة الليل حاضرين ثم اذا
امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراة وتكثير ها زالت الظلمة وظهر الضوء
حضرت ملايكة النهار اما اذا ابتدا بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك
لم يبق احد من ملايكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الاية فثبت
ان قوله تعالى كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى اول وقتها افضل قوله
تعالى **ومن الليل فتهجد به** اى قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد
القيام من النوم والمراد من الاية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة
الليل فريضة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الامة فى الابتدا لقوله
تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب
منسوخا فى حق الامة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب
بدليل قوله فاقروا ما تيسر منه وبقى الوجوب ثابتا فى حق النبى صلى الله عليه
وسلم بدليل قوله نافلة لك اى زيادة لك يريد فريضة زايدة على ساير
الفرايض التى فرضها الله عليك • روى عن عايشة ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال ثلاث هن فريضة وهى سنة لكم الوتر والسواك وقيام
الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا فى حقه كما فى حق الامة فصار
قيام الليل نافلة لان الله تعالى قال **نافلة لك** ولم يقل عليك ٥
فان قلت ما معنى التخصيص اذا كانت زيادة فى حق المسلمين
كما فى حقه صلى الله عليه وسلم **قلت** فايدة التخصيص ان النوافل
كفارات لذنوب العباد والنبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فكانت له نافلة وزيادة فى رفع الدرجات

فصل في الاحاديث الواردة فى قيام الليل

• ق عن

المغيرة

المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا م عن زيد بن خالد الجهنى قال لارمقن
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته او
فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين
طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين
دون التى قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين
دون التى قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابى داود ق
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه سال عايشة كيف كانت صلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان قالت ما كان يزيد فى رمضان ولا
فى غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسئل عن حسنهن
وطولهن ثم يصلى اربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا
قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة
ان عينى تنامان ولا ينام قلبى ق عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلى فيما بين ان يفرغ من صلاة العشا احدى عشرة ركعة
يسلم فى كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يقرا احدكم
خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين
له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى
ياتيه المؤذن للاقامة م عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين عن عوف
ابن مالك الاشجعى قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
فقام فقرا سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف وسال وتعوذ ثم
ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه سبحان ذى الجبروت والملكوت
والكبريا والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال فى سجوده مثل ذلك
ثم قام فقرا بآل عمران ثم قرا سورة النسا اخرجه ابو داود والنساي
عن عايشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران
ليلة اخرجه الترمذي ق عن الاسود قال سالت عايشة رضى الله
عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت
كان ينام اوله ويقوم اخره فيصلى ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن
وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج • عن انس قال ما
كنا نشا ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليل مصليا الا رايناه
ولا نشا ان نرى نايما الا رايناه اخرجه النساى زاد فى رواية غيره قال
وكان يصوم من الشهر حتى لا نقول لا يفطر منه شيا • وقوله عز وجل

عسى ان يبعثك ربك مقامًا محمودا اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شئ ثم احرمه كان عارًا والله اكرم من ان يطمع احدًا ثم لا يعطيه ما اطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والاخرون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي فهي نايلة منكم ان شا الله من مات ولا يشرك بالله شيا م عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة خ عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين سمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيمة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون ادم فيقولون انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملايكته وعلمك اسما كل شي اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحًا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ايتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فياتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه التورية قال فياتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا عيسى روح الله وكلمته فياتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ايتوا محمدًا عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فياتوني فاستاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدًا فيدعني ما شا الله فيقال يا محمد ارفع راسك قل يسمع سل تعطه اشفع تشفع قال فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم

الجنة ثم اعود فاقع ساجدا فيدعني ما شا الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع راسك يا محمد قل يسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلى هذه الاية عسى ان يبعثك ربك مقامًا محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد ابن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس لك ذلك او قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريايي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو جميع اي مجتمع الذهن والراي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يوميذ آدم فمن سواه الا تحت لوايي وانا اول من ينشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون آدم فيقولون انت ابونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ايتوا نوحا فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فياتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ايتوا موسى فياتون موسى فيقول قد قتلت نفسًا ولكن ايتوا عيسى فياتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ايتوا محمدا فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان

قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ
حلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون
لي ويرحبون فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثنا
والحمد فيقال لي ارفع راسك سل تعطه اشفع تشفع وقل يسمع
لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا • قال سفين ليس عن انس غير هذه الكلمة فاخذ
بحلقة باب الجنة فاقعقعها اخرجه الترمذي **قوله** ماحل المماحلة
المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه السلام خاصم وجادل عن
دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت عنه • وقوله فاقعقعها
اي احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترسة
وغيرها مما له صوت **عن انس** قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا
مبشرهم اذا ابلسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم على
ربي ولا فخر اخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وانا
مستشفعهم اذا احبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف
على خدم كانهن بيض مكنون او لؤلؤ منثور م عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة
واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع زاد الترمذي
قال انا اول من ينشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش فليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال ان الشمس تدنوا يوم القيمة
حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بادم ثم
بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي
حتى ياخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده
اهل الجمع كلهم م عن يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني
راي من راي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم
نخرج على الناس فاك مررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله
جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو
قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي
تحدثونا والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال اتقرا القران
قلت نعم قال فانزل اما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام
محمد صلى الله عليه وسلم الذي يبعثه فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد

صلى

محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار
قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون
احفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد
ان يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كانهم عيدان السماسم قال
فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم
القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير
واحد او كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة واول من انكرها
عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق اهل السنة وروى ابو وايل
عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم لـه
خليل الله واكرم الخلق عليه ثم قرا عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن
سلام قال يقعد على الكرسي **قوله عز وجل** وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المراد منهما الادخال والاخراج
قال ابن عباس معناه ادخلني مدخل صدق المدينة واخرجني
مخرج صدق مكة نزلت حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالهجرة وقيل معناه اخرجني من مكة آمنا من المشركين وادخلني مكة
ظاهرا عليها بالفتح وقيل ادخلني في امرك الذي ارسلتني به من
النبوة مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي
من حق النبوة مخرج صدق • وقيل ادخلني في طاعتك مدخل صدق
واخرجني من المناهي مخرج صدق • وقيل معناه ادخلني حيث ما
ادخلتني بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان
ذا الوجهين عند الله لا يكون آمنا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا اي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني
وعزا ظاهرا اقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم
وغيرهما ويجعله له واجاب دعاه وقال له والله يعصمك من الناس
وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية قوله تعالى وقل جا الحق يعني
الاسلام والقران وزهق الباطل اي الشرك والشيطان ان الباطل
كان زهوقا اي كان مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان
كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الزوال ق
عن عبد الله بن مسعود قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثماية وستون نصبا فجعل يطعنها

بعود في يده ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
جا الحق وما يبدى الباطل وما يعيد قوله عز وجل ونتزل من
القران ما هو شفا ورحمة للمؤمنين من في قوله من القران لبيان
الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذى هو قران ما هو شفا
اى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل
ويستشفى به من الشبهة ويهدى به من الحيرة وهو شفا القلوب
بزوال الجهل عنها • وقيل هو شفا للامراض الباطنة والظاهرة
وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة
والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات فاشده فسادا
الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات
والقضا والقدر والبعث بعد الموت فالقران كله مشتمل على
دلايل المذهب الحق في هذه الاشيا وابطال المذاهب الفاسدة
لاجرم كان القران شفا لما في القلوب من هذا النوع • واما
النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقران على التنفير
منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت
ان القران شفا من جميع الامراض الباطنة واما كونه شفا
من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراته يرفع كثيرا
من الامراض يدل على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية ورحمة للمؤمنين
لما كان القران شفا للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير
بان يكون رحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لان
الظالم لا ينتفع به والمومن ينتفع به فكان رحمة للمومنين وخسارا
للظالمين • وقيل لان كل اية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد
خسارهم قال قتادة لم يجالس القران احد الا قام عنه احد
بزيادة او نقصان قضا الله الذى قضا شفا ورحمة للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان
اى بالصحة والسعة اعرض اى عن ذكرنا ودعاينا ونأى بجانبه
اي تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعا وقيل معناه
تكبر وتعظم واذا مسه الشر اى الشدة والضر كان يوسا اى ايسا
قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعوا عند الضر والشدة فاذا
تاخرت الاجابة ييأس فلا ينبغى للمؤمن ان يدع الدعا ولو
تاخرت الاجابة • قوله عز وجل قل كل اى كل احد يعمل على
شاكلته قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة

ينتفع

اى يعمل على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه اخر وهو ان كل
انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة
صدرت عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة
خبيثة صدرت عنه افعال خسيسة فاسدة ردية فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا اى اوضح طريقا واحسن مذهبا واتباعا للحق قوله
تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ‹ق› عن عبد
الله بن مسعود قال بينما انا امشى مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يتوكا على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه
عن الروح وقال بعضهم لا تسالوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه
وفي رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت
وفي رواية فقالوا احدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر وعرفت انه
يوحى اليه فتاخرت حتى صعد الوحى قال ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم
لبعض قد قلنا لكم لا تسالوه وفي رواية وما اوتوا من العلم الا قليلا
قال الاعمش هكذا في قراتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال
ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشا فينا بالامانة
والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا
الى اليهود بالمدينة واسيلوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة
اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشيا فان اجاب عن كلها اولم
يجب عن شى منها فليس بنبى وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن
واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان امرهم
فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها
ما خبره وعن الروح فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم
بما سالتم غدا فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة
عشر يوما وقيل اربعين يوما واهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا
وقد اصبحنا لا يخبرنا بشى حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه
السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشى انى فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله
ونزل في الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا
عجبا ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب ويسالونك عن ذى القرنين
ونزل في الروح ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي واختلفوا
في الذى وقع السوال عنه فروي عن ابن عباس انه جبريل وعن
على انه ملك له سبعون الف وجه وفي كل وجه سبعون الف لسانا

يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني ادم لهم ايد
وارجل ورؤوس ليسوا بملايكة وناس ياكلون الطعام وقال سعيد
ابن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش لو شا ان
يبتلع السموات السبع والارض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك
صورة خلقه على صورة الملايكة وصورة وجهه على صورة وجه
الادميين يقوم يوم القيمة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله
اليوم عند الحجب السبعين واقرب الخلق الى الله يوم القيمة وهو
ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملايكة سترا من نور
لاحترق اهل السموات من نوره • وقيل الروح هو القران لان الله
سماه روحا لان به حياة القلوب • وقيل هو الروح المركب في الخلق
الذي يحيى به الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح
فقال بعضهم هو الدم الا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت
منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس
النفس • وقال قوم هو عرض • وقال قوم هو جسم لطيف يحيى به
الانسان • وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والكلم
والعلم والعلو والبقا الا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان
موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل واقاويل
الحكما والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع
استقصايها واولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله عز وجل وهو
قول اهل السنة • قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله تعالى قل الروح من امر
ربي اي من علم ربي الذي استاثر به وما اوتيتم من العلم الا قليلا
اي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام • وقيل هو خطاب لليهود
فانهم كانوا يقولون اوتينا التورية وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم
التورية قليل في جنب علم الله • وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع
الاضافة فوصف الشي بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا
الى ما تحته • وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح
ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح
هو ان الله عز وجل استاثر بعلم الروح **قوله عز وجل** ولين شينا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك معناه انا كما منعنا علم الروح عنك
وعن غيرك ان شينا ذهبنا بالقران ومحوناه من الصدور والمصاحف
فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك
به علينا وكيلا معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده

يزيد

عليك

عليك واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك معناه الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك وقيل هو المستثنى المنقطع معناه لكن رحمة من
ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقا
القران محفوظا **فان قلت** كيف يذهب بالقران وهو كلام الله
عز وجل **قلت** المراد منه محو ما في المصاحف واذهاب ما
في الصدور • وقال عبد الله بن مسعود اقروا القران قبل ان يرفع
فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف
بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم
فيصبحون ما يحفظون شيا ولا يجدون ما في المصاحف شيا ثم
يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم
الساعة حتى يرفع القران من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي
النحل فيقول الرب ما لك فيقول يا رب اتلى ولا يعمل بي ان فضله
كان عليك كبيرا اي بسبب بقا العلم والقران عليك وجعلك سيد
ولد ادم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود قوله تعالى قل
لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل القران لا ياتون بمثله
اي لا يقدرون على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي اعوانا
نزلت حين قال المشركون لو نشا لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز
وجل فالقران معجز في النظم والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام
في اعلا طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو
غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله **قوله عز وجل** ولقد صرفنا
للناس في هذا القران من كل مثل اي رددنا وكررنا من كل معنى
هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر
والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها فابى اكثر الناس
الا كفورا اي جحودا قوله تعالى وقالوا لن نومن لك اي لن نصدقك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه
معجزات اخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح
الايات فقالوا لن نومن لك روي عكرمة عن ابن عباس ان عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابا سفين بن حرب والنضر بن الحرث وابا البختري
ابن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن
المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف والعاص
ابن وايل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند
ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه
حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك

ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه
بدا لهم في امره بدا وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا
يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب
ادخل على قومه كما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين
وسفهت الاحلام وشتمت الالهة وفرقت الجماعة وما من قبيح الا
وقد جيته فيما بيننا وبينك فان كنت جيت بهذا الحديث تطلب
به مالا جعلنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد
الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان
كان هذا الذي بك رأى تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا
لك اموالنا في طلب الطب حتى نبريك منه ونعذر فيك وكانوا
يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي
ما تقولون ما جيتكم بما جيتكم به نطلب اموالكم ولا للشرف عليكم
ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا
وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم
فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوا علي اصبر
لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل
منا ما اعرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا
اشد عيشا منا فسل ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال
التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا الانهار كانهار الشام
والعراق وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن منهم قصي بن كلاب
فانه كان شيخا صدوقا فنسيلهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك
صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد
بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر الله
تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك
واساله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك
بها علي ما نريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه
فقال ما بعثت لهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فقالوا فاسقط
السما كما زعمت علينا ان شا ربك فعل فقال ذلك الى الله ان شا الله فعل
ذلك بكم وقال قايل منهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملايكة
قبيلا فلما قالوا ذلك قام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام
معه عبد الله بن ابي امية وهو ابن عمته ابن عاتكة ابنت عبد المطلب
فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك
لانفسهم امورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سالوك

الجو

ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما اومن بك ابدا
حتى تتخذ لك سلما ترقا فيه وانا انظر حتى تاتيها فتاتي بنسخة منشورة
معك ونفر من الملايكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت
ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اهله حزينا لما راى من مباعدتهم فانزل الله تعالى او يكون
لك جنة من نخيل وعنب يعني ارض مكة فتفجر الانهار اي عيونا
وبساتين فيها نخيل وعنب خلالها تفجيرا اي تشقيقا او تسقط
السما كما زعمت علينا كسفا يعني قطعا او تاتي بالله والملايكة
قبيلا قال ابن عباس كفيلا اي يكفلون ما تقول وقيل هو جمع قبيلة
اي باصناف الملايكة قبيلا يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل
معناه تراه مقابلة عيانا او يكون لك بيت من زخرف اي من
ذهب واصله الزينة او ترقى اي تصعد في السما ولن نومن لرقيك
اي لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه اي امرنا فيه باتباعك
وهذا قول عبد الله بن ابي امية قل اي يا محمد سبحان ربي امره
بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب هل كنت الا بشرا رسولا قيل
اي كساير الرسل للامم وان كان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره
الله عليهم من الايات فليس امر الايات عليهم انما هو الى الله تعالى
ولو اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الايات على ما يقترحه
البشر وما انا الا بشر وليس ما سالتم في طرق البشر واعلم ان الله
تعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الايات والمعجزات
ما يغني عن هذا كله مثل القران وانشقاق القمر ونبع الماء من بين
اصابعه وسى وما اشبهها من الايات وليست بدون ما اقترحوه
بل هي اعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن
قصدهم طلب الدليل ليرضوا فرد الله عليهم سوالهم بقوله تعالى
وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى اي الوحي والمعنى
وما منعهم الايمان بالقران وبنوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة
تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله الا
ان قالوا اي جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا وذلك ان الكفار
كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا فاجابهم
الله بقوله قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين اي مستو
طنين فيها لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اي من جنسهم ان
الجنس الى الجنس اميل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي على
اني رسوله اليكم واني قد بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم

طمئنين

انه كان بعباده يعني المنذرين والمنذورين خبيرا بصيرا اى عالما باحوالهم فيجازيهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اى يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذى حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يكونوا مومنين ومن سبق منهم لهم حكم الله بالضلالة والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ق عن انس ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى امشاه على الرجلين في الدنيا قادر ان يمشيه على وجهه يوم القيمة ثلاث اصناف صنف مشاة وصنف راكبا وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي الحدب كل ما ارتفع من الارض عميا وبكما وصما اى لا ينطقون ولا يبصرون ولا يسمعون **فان قلت** كيف وصفهم بانهم عمي وبكم وصم وقد قال الله تعالى وراى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الروية والكلام والسمع **قلت** فيه اوجه قال ابن عباس يعني عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم • الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشيا الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ماواهم جهنم كلما خبت يعني ان سكن لهبها وقيل ضعفت وهدت من غير ان يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو اقوله زدناهم سعيرا اى وقودا وقيل المراد من خبت اى نضجت جلودهم واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه ويزيد في سعير النار لتحرقهم ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا لما ذكروا الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اجابهم الله ورد عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض اى في عظمها وشدتها قادر على ان يخلق مثلهم اي في صغرهم وضعفهم وجعل لهم اجلا

اى وقتا لعذابهم لا ريب فيه اى لا شك فيه باتيهم قبل الموت وقيل يوم القيمة فابى الظالمون الا كفورا اى جحودا وعنادا قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اى خزاين نعمه ورزقه وقيل ان خزاين الله غير متناهية والمعنى انكم ملكتم من النعم خزاين لا نهاية لها اذا لامسكتم اى لبخلتم وحبستم خشية الانفاق اى خشية الانفاق والطفر والنفاد وهذه مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح وكان الانسان قتورا اي ممسكا بخيلا **فان قلت** قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل **قلت** الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لا بد وان يحب ما يدفع به ضرر الحاجة ويمسك لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل ان يحب المدحة او رجا ثواب فثبت بهذا ان الاصل في الانسان البخل قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات اى دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضا والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص وقيل كان الرجل منهم مع اهله في الفراش وقد صارا حجرين والمراة قايمة تخبز وقد صارت حجرا • وروي ان عمر بن عبد العزيز سال محمد بن كعب القرظي عن الايات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب ان يكون الفضية ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرج فاذا فيه بيض مكسر بنصفين وجوز مكسر وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع ايات هي ايات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي فقال الاخر لا تقل نبي فانه لو سمع صار له اربعة اعين فاتياه فسالاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تاكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبري الى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالوا نشهد انك نبي الله قال فما منعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود فاسال يا محمد بني اسرايل يجوز الخطاب معهم والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسوال ليتبين كذبهم مع قولهم اذ جاءهم يعني جا موسى الى فرعون

بالرسالة من عند الله عز وجل فقال له فرعون انى لاظنك
يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اى مسحورا
وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجايب التى تفعلها
من سحرك قال لقد علمت خطابا لفرعون قال ابن عباس رضى
الله عنهما علمه فرعون ولكنه عاند ما انزل هولاء الا رب
السموات والارض يعنى الايات التسعة بصاير اى ايات
يبصر بها وانى لاظنك يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا
وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير فاراد ان يستفزهم من
الارض معناه فاراد فرعون ان يخرج موسى بنى اسرايل من ارض
مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اى اغرقنا فرعون وجنوده
ونجينا موسى وقومه وقلنا من بعده اى من بعد هلاك
فرعون لبنى اسرايل اسكنوا الارض يعنى ارض مصر والشام فاذا
جا وعد الاخرة يعنى القيمة جينا بكم لفيفا اى جميعا الى موقف
القيمة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم
المومن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الاخرة نزول
عيسى من السما • قوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل
يعنى اما ما اردنا انزال القران لا تقريرا للحق ولما اردنا هذا
المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا هذا القران
الا بالحق المقتضى لانزاله وما انزل الا ملتبسا بالحق باشتماله
على الهداية الى كل خير وما ارسلناك الا مبشرا يعنى بالجنة
للمطيعين ونذيرا اى مخوفا بالنار للعاصين • قوله عز وجل
وقرانا فرقناه اى فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق
والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل
قوله تعالى لتقراه على الناس على مكث اى على تؤدة وترسل
فى ثلاث وعشرين سنة ونزلناه تنزيلا اى بحسب الحوادث قل
امنوا به او لا تؤمنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين اوتوا العلم
من قبله قيل هم مومنوا اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين
قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا من بعد
مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وابى ذر
وغيرهم اذا يتلى عليهم يعنى القران يخرون للاذقان قال
ابن عباس اراد به الوجوه سجدا اى يسقطون على الوجوه سجدا
ويقولون سبحان ربنا اى تعظيما لربنا لا يجاوزه ما وعدنا فى
الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ان كان وعد ربنا

لمفعولا

لمفعولا اى كاينا واقعا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا اى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القران لين قلب ورطوبة
عين والبكا مستحب عند قراة القران عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من
خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على عبد غبار فى
سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذي والنسائى وزاد النساي
فى منخرى مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف • عن ابن عباس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من
خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله اخرجه الترمذى قوله عز وجل
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس سجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال
ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية
ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم وبهذا الاسم اياما تدعوا
ما صلة ومعناه اى هذين الاسمين سميتم او ذكرتم او من جميع اسمايه
فله الاسما الحسنى يعنى اذا حسنت اسماوه كلها وهذا ان الاسمان
منها ومعنى كونها حسنى لانها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم
والتمجيد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها عن ابن عباس فى قوله ولا
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسوله صلى الله عليه وسلم
مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران فاذا سمعه
المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اى بقراتك فيسمعوا ٥
المشركون فيسبوا القران ولا تخافت عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ
بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم
ولا تجهر حتى ياخذوا عنك القران وقيل نزلت الاية فى الدعا وهو
قول عايشة والنخعى ومجاهد ومكحول ق عن عايشة رضى الله
عنها قالت قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت فى الدعا
وقيل كان اعراب بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله ولا تجهر
بصلاتك ولا ترفع بصوتك فى قراتك وبدعايك ولا تخافت بها
المخافتة خفض الصوت والسكوت وابتغ اى اطلب بين ذلك سبيلا
اى طريقا وسطا بين الجهر والاخفا • عن ابى قتادة ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لابى بكر مررت بك وانت تقرا القران وانت تخفض
من صوتك فقال انى اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال

لعمر مررت بك وانت تقرا وانك ترفع صوتك فقال اني اوقظ
الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذي
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يحمده على وحدانيته فهو يمسك جميع النعم لولده وان لم يكن له ولد
من نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضايه
والله عز وجل يتعالى عن جميع النقايص فهو المستحق لجميع المحامد
ولم يكن له شريك في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة انه
لو كان له شريكا لك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذلك قوله
تعالى ولم يكن له ولي من الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر
يتعزز به وكبره تكبيرا اى وعظمه عن ان يكون له ولد او شريك او
ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان ٥
مستوجبا لجميع انواع المحامد • عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى
الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السرا والضرا • عن عبد الله بن
عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله راس الشكر ما
شكر الله عبد لا يحمده • عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان افضل الدعا الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب • عن سمرة بن جندب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع
لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدات
اخرجه مسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

• تفسير سورة الكهف مكية •

وآياتها ماية واحدى عشر • بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده اثنى الله على نفسه بانعامه على
خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويعبدونه ويحمدونه على اجزل
نعمايه عليهم وهي الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القران كان نعمة الله عليه على الخصوص
وعلى ساير الناس على العموم الكتاب ولم يجعل له عوجا اى لم يكن
له شيا من العوج تطرد العوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد
نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا
روي عن ابن عباس في قوله قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق
قيما اى مستقيما وقال ابن عباس في قوله قرانا عربيا قيما اى عدلا

وقيل

وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرايعها لينذر
باسا شديدا معناه لينذر الذين كفروا باسا وهو قوله بعذاب بئيس
من لدنه اى من عنده ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا يعني في الجنة اى مقيمين فيه وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اى بالولد وباتخاذه
يعني ان قولهم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت
اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت
انتفا العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون للجهل
في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت لا يستقيم تعلق العلم
به ولا لابائهم اى ولا لاسلافهم من قبل كبرت اى عظمت كلمة تخرج
من افواههم اي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم
البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري على لسانهم
على سبيل التقليد ان يقولون الا كذبا اى ما يقولون الا كذبا
قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق عنه وزاد بعضهم مع علم
قايله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله وصف قولهم باتخاذ
الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه
باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف
الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب
وكذوب ان كان كثير الكذب قوله تعالى فلعلك باخع نفسك اي
قاتل نفسك على آثارهم اى من بعدهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
يعني القران اسفا اي حزنا وقيل غيظا انا جعلنا ما على الارض
زينة لها اي مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار
وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلما
والصلحا وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت
اى زينة في العقارب قلت زينتها كونها تدل على وحدانية
الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن
ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان
لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله لنبلوهم فمن نبلوه يجب
ان لا يدخل فيه ومعنى لنبلوهم نختبرهم ايهم احسن عملا اى اصلح عملا
وقيل ايهم اترك للدنيا وازهدهم فيها وانا لجاعلون ما عليها اى من
الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا
معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس

الذي لا يثبت فيه شي قوله تعالى **ام حسبت** اي ظننت يا محمد **ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا** اي هم عجب من اياتنا وقيل معناه انهم ليسوا اعجب اياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجايب اعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه اسما اصحاب الكهف وقصتهم ثم وضعوه على باب الكهف وكان لوح من رصاص وقيل من حجارة • وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه اصحاب الكهف • قال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها اصحاب الكهف ثم ذكر الله قصة اصحاب الكهف فقال عز من قايل **اذ اوى الفتية الى الكهف** اي صاروا اليه وجعلوه ماواهم والفتية جمع فتى هو القوي من الشبان **فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة** اي رحمة من خزاين رحمتك وجلايل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والامن والنصر من الاعدا **وهيئ** اي اصلح لنا **من امرنا رشدا** اي حتى نكون بسببه مهتدين راشدين وقيل معناه واجعل لنا امرنا رشدا كله قال مجاهد ومحمد ابن اسحق وابن يسار •

ذكر قصة اصحاب الكهف

وسبب خروجهم اليه لما مرج امر اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا ينزل في قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفا عنه اهل الايمان وهربوا من كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل اوليك الشرط يتبعون اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما راي ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسادهم على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت وراي ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصيام والصلاة والصدقة والتسبيح والدعا وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو

بيعبدو

دبج

من

من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المومنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلا حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلا لهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي تعبد في الارض ه وتجعلوا انفسكم اسوة اهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان اقتلكم قال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا له التحميد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسال النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها ابدا فاصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سافرغ لكم وانجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل ذلك لكم الا اني اراكم شبانا حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما راي الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكر بهم فاشتوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي منها ثم انطلقوا الى كهف قريب من المدينة يقال له بنجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جا دقيانوس اتوه ليصنع بهم ما يشا فلما اتفقوا على ذلك عمد كل واحد منهم الى بيت ابيه فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اذا اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار ومروا بكلب فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني انا احب احباب الله عز وجل فناموا حتى احرسكم • وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف • قال ابن اسحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغا لوجه الله تعالى وجعل نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل

المدينة لبس فيها ثيابا بارثة كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه وينطلق
الى المدينة فيشترى لهم طعامًا وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكرهو
واصحابه بشى ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ما شا الله ان يلبثوا
ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظما اهلها ان يذبحوا للطواغيت
ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لاصحابه
طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فاخبرهم
ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظما
المدينة ففزعوا ووقعوا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون
من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا روسكم واطعموا وتوكلوا
على ربكم فرفعوا روسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند
غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم
على ذلك اذ ضرب الله على اذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه
بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم مومنون موقنون ونفقتهم
عند روسهم فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم
فقال لبعض عظما المدينة لقد سانى هولا الفتية الذين ذهبوا
لقد ظنوا انى غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امري ما كنت
لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا الهتى فقال عظما المدينة ما
انت بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت اجلت لهم
اجلا ولو شاوا لرجعوا فى ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا
ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى ابائهم فاتوا بهم فقال
اخبرونى عن ابنائكم المردة الذين عصونى فقالوا اما نحن فلم
نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة ثم ذهبوا باموالنا فاهلكوها فى
اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يسمى بنجلوس فلما قالوا له
ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدرى ما يفعل بالفتية فالقى الله
عز وجل فى نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم واراد الله عز
وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم
وان يبين لهم ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم فقال دعوهم
كما هم فى كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه
قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله
عز وجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد
غشيهم ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين
مومنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس

واسم

واسم الاخر روناس اهتموا ان يكتبا شان هذه الفتية واسمايهم
وانسابهم وخبرهم فى لوحين من رصاص ويجعلاهما فى تابوت من
نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هولا
الفتية قوما مومنين قبل يوم القيمة فيعلم من فتح عليهم خبرهم
حين يقرا الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس ما بقى
ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد
الملوك • وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين
مسورين ذوى ذوايب فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب
واخرجوا معهم الهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد
لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله الايمان فى قلوبهم فامنوا
واخفى كل واحد ايمانه وقال فى نفسه اخرج من بين اظهر هولا القوم
لا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة
فجلس فيه ثم خرج اخر فراه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل
امره فجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم خرج اخر فخرجوا
جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه
من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلسوا
وليفشى كل واحد امره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على
الايمان واذا الكهف فى جبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا
الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد
فناموا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم فطلبوهم
فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا اسمائهم وانسابهم فى لوح فلان
وفلان ابنا ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا وسنة كذا فى مملكة فلان
ابن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون
لهولاء شان ومات ذلك الملك وجا قرن بعد قرن • قال محمد
ابن اسحق ثم ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له تندروس فلما
ملك بقى فى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا
احزابا منهم من يومن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها
فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا
لما راى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون
لا حياة الا حياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل
الملك تندروس يرسل الى من يظن فيه خيرا وانهم ايمة فى الخلق فلم
يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالرسالة حتى كادوا يخرجون الناس
عن الحق وملة الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته

واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا مجلس عليه ذات
ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف
هولاء فابعث لهم اية تبين لهم ثم ان الله الرحمن الرحيم الذى يكره
هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس
شانهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب
فيها وليستجيب لعبده الصالح تندروس ويتم نعمته عليه وان يجمع
من كان تبدد من المومنين فالقى الله تعالى فى نفس رجل من اهل
ذلك البلد الذى كان فيه الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم
ذلك البنيان الذى على فم الكهف ويبنى فيه حضيرة لغنمه فاستا
غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحضيرة
حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتح باب الكهف وحجبهم الله
تعالى عن الناس بالرعب فلما فتحا باب الكهف اذن الله تعالى
ذو القدرة والسلطان محيى الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرى
الكهف فجلسوا فرحين بنفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم
على بعض كما استوقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا
اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون
لا يرى فى وجوههم ولا الوانهم شى ينكرونه ولكنهم كهيئتهم حتى رقدوا
وهم يرون دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب
نفقاتهم انبئنا ما الذى قال الناس فى شاننا عشية امس عند
هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا البعض ما كانوا يرقدون
وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تسالوا
بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك فى انفسهم يسير فقال لهم
تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريد ان يوتى بكم اليوم فتذبحوا
للطواغيت ويقتلكم فما شا الله بعد ذلك فعل فقال لهم
مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد
ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة
فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر عند دقيانوس وتلطف
ولا يشعرن بكم احد وابتع لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام
الذى جيتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل
ووضع ثيابه واخذ الثياب التى كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم
التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع
فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف وجد الحجارة منزوعة التى

بباب

بباب الكهف فتعجب منها ولم ثم مر ولم يبال بها حتى اتى المدينة رفع
بصره فراى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذا كان امر
الايمان ظاهرا فيها فلما راها تعجب وجعل ينظر اليها مستخفيا ينظر
يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب اخر فراى مثل ذلك
فخيل اليه ان المدينة ليست بالتى كانت تعرف وراى اشخاصا
اناسا محدثين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل
اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذى اتى منه فجعل يتعجب بينه
وبين نفسه ويقول يا ليت شعرى ما هذا اما عشية امس كان
المسلمون يخفون هذه العلامة فى هذه المدينة ويستخفون بها
واليوم ظاهرة لعلى بنايم ويرى انه ليس بنايم فاخذ كساه فجعله على
راسه ثم دخل المدينة وجعل يمشى فى اسواقها فسمع اناسا يحلفون
بعيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا وراى انه حيران فقام مستندا الى
جدار من جدران المدينة ويقول فى نفسه والله ما ادرى ما هذا
اما عشية امس فليس على الارض من يذكر عيسى بن مريم الا قتل واما
اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال فى نفسه
هذه ليست بالمدينة التى اعرف والله لا اعلم مدينة بقرب مدينتنا
فقام كالحيران ثم لقى فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال
اقسوس فقال فى نفسه لعل بى مسا او امر اذهب عقلى والله يحق لى
ان اسرع الخروج قبل ان يصيبنى فيها شر فاهلك فدنى الى الذين
يبيعون الطعام فاخرج لهم الورق التى كانت معه فاعطاها الرجل
منهم وقال له بعنى بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى
ضرب الورق ونقشها فتعجب منها فناولها رجلا اخر من اصحابه
فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون
منها ويتشاورون بينهم ثم يقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا
فى الارض منذ زمان طويل فلما راهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا
شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم
يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه
ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم اتصلوا على قد اخذتم
ورقى فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لى بها فقالوا له من انت
وما شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الارض للاولين وانت تريد
ان تخفيه منا انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت
وانك لا تفعل نحملك الى السلطان ونسلمك اليه فيقتلك فلما سمع
قولهم قال والله لقد وقعت فى كل شى كنت احذر منه فقالوا له يا فتى

انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدرى ما يقول
لهم وخاف حتى لم يجر على لسانه اليهم شيا فلما راوه لا يتكلم اخذوا
كساه وطرحوه فى عنقه وجعلوا يسحبونه فى سكك المدينة وجعلوا
ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل المدينة وما
رايناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا ما يدرى ما يقول لهم
وكان مستيقنا ان اباه واخوته بالمدينة وانه من عظما اهلها وانهم
سياتونه اذا سمعوا به فبينما هو قايم كالحيران ينتظر متى ياتيه بعض
اهله فيخلصه من ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى روسا
المدينة ومدبريها الذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان
اسم احدهما اريوس والاخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن
تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا
وشمالا وهو يبكى والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون
ثم رفع راسه الى السما وقال اللهم اله السما واله الارض افرغ على
اليوم صبرا واولج معى روحا منك تريدنى بها عند هذا الجبار
وجعل يقول فى نفسه فرقوا ما بينى وبين اخوتى يا ليتهم يعلمون
ما لقيت ويا ليتهم ياتونى فنقوم جميعا بين يدى هذا الجبار وانا كنا
تواثقنا على الايمان بالله ولا نشرك به شيا ولا نفترق فى حياة ولا
موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس وراى انه
لم يذهب الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكا واخذ اريوس واسطيوس
الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا له اين الكنز الذى وجدت يا فتى
فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن ورق ابائى ونقش هذه المدينة
وضربها ولكن والله ما ادرى ما شانى ولكن اقول لكم فقال له
احدهما ممن انت فقال تمليخا اما انا فانى كنت ارى انى من اهل
المدينة فقيل له ومن ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه
فلم يوجد من يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا
تنبينا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال
بعض من حوله هذا رجل مجنون ولكنه رجل احمق يحمق نفسه عمدا
لكى ينقلب منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا تظن انا
نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها
ولكن اكثر من ثلثماية سنة وانت غلام شاب اتظن انك تافكنا
وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سرية هذه المدينة وولاة امرها
وخزاين هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم
ولا دينار وانى سامر بك فتعذب عذابا شديدا ثم اوثقك

حتى

حتى تعرف بهذا الكنز الذى وجدته فقال لهم تمليخا اخبرونى عما
اسالكم عنه فان انتم فعلتم صدقتكم عما عندى فقالوا اسل ما تكتمك
فقال لهم ما فعل بالملك دقيانوس فقالوا لا نعرف على وجه
الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك فى الزمان الاول
ولده دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى اذا
لحيران وما هو يصدقنى احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية
وان الملك اكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا
منذ عشية امس فاتينا الكهف الذى فى جبل بنجلوس فنمنا فيه
فلما انتبهنا خرجت لاشترى طعاما لاصحابى واتجسس الاخبار
فاذا انا معكم كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف اريكم اصحابى قال
فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله
تعالى جعلها الله لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه
حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل
المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف ينظروا اليهم فلما
راى الفتية اصحاب الكهف ان تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم
وشرابهم عن القدر الذى كان ياتى فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب
به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا
الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس
بعث بهم اليهم ليوتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض
واوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نات اخانا تمليخا فانه
الان بين يدى الجبار وهو ينتظرنا متى ناتيه فبينما هم يقولون
ذلك وهم جلوس على هذه الحالة واذا هم باريوس واصحابه
وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكى فلما راوه
يبكى بكوا معه ثم سالوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا
انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا
اية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها
ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فراى تابوتا من نحاس مختوما
بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظما اهل المدينة
وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوب
فيهما مكسلمينا ومحسلمينا وتمليخا وارطونس وكسطونس ويبرونس
وديموس ويطونس وقالوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس
الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم
امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلمه من

بعدهم ان عثر بهم فلما قروه عجبوا وحمدوا الله الذى اراهم اية تدل
على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على
الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبتل ثيابهم
فخر اديوس واصحابه سجدا وحمدوا الله الذى اراهم اية من اياته ثم
كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس
ثم ان اريوس واصحابه بعثوا بريدا الي ملكهم الصالح بيذروس ان
عجل لعل تنظر الى اية من ايات الله جعلها الله على ملكك وللناس
اية ولتكون لهم نورا وضيا وتصديقا للبعث وذلك ان فتية
بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ ثلثمائة سنة واكثر فلما اتى الملك
الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك اللهم رب السموات
والارض واعبدك واسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطفئ النور
الذي جعلته لابائي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك ثم اخبر
بذلك اهل مدينته فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس
فتلقاهم اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعدوا الجبل راوا
الفتية بيذروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيذروس
الملك قدامهم واعتنقهم وبكاوهم جلوس بين يديه على الارض
يسبحون الله تعالى ويحمدونه ثم قال الفتية لبيذروس الملك
نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله
وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك
قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله انفسهم فقام الملك
اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب
فلما امسى ونام اتوه في منامه وقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من
فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في
الكهف على التراب حتى يبعثنا الله فامر الملك عند ذلك بتابوت
من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب
فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يتخذ على باب الكهف
مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يوتى كل سنة وقيل
ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من انت قال انا
رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ ايام وذكر
منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا في الزمان
الاول وان اسماهم مكتوب على لوح في خزانته فدعا باللوح ونظر
في اسمايهم فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء الاخرين فقال لهم تمليخا هم
اصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا

باب

باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى ادخل على اصحابي وابشرهم فانهم
ان راوكم معي رعبتموهم فدخل تمليخا وبشرهم فقبض الله روحه
وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك
قوله عز وجل **اذ اوى الفتية الى الكهف** اى صاروا الى الكهف
واسمه جيرم **فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة** اي هداية في الدين
وهيئ لنا اى يسر لنا **من امرنا رشدا** وقال ابن عباس رضى الله عنهما
مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى **فضربنا على اذانهم** اى القينا
عليهم النوم وقيل معناه منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان
النوم اذا سمع الصوت ينتبه **في الكهف سنين عددا** اي انمناهم
سنينا كثيرة فان العدد يدل على الكثرة **ثم بعثناهم** اي من نومهم
لنعلم اى علم المشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما
اراد ما تعلق بالعلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا
اى الحزبين اى الطايفتين **احصى لما لبثوا امدا** اى احفظ لما
مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم
في الكهف قوله **نحن نقص عليك نباهم بالحق** اى بالصدق نقرا عليك
خبر اصحاب الكهف **انهم فتية** اي شبان **امنوا بربهم وزدناهم**
هدى ايمانا وبصيرة **وربطنا على قلوبهم** اي شددنا على قلوبهم
بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران
دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم
الى الكهف **اذ قاموا** يعني بين يدي دقيانوس الجبار حتى عابهم على
ترك عبادة الاصنام **فقالوا** اي الفتية **ربنا رب السموات والارض**
لن ندعو من دونه الها اى قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنا[م]
لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعني جورا
وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله **هولاء قومنا** يعني اهل بلدهم
اتخذوا من دونه الهة اى من دون الله يعني اصناما يعبدونها
لولا اى هلا **ياتون عليهم** اي على عبادة الاصنام **بسلطان**
بين اى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة
الاصنام محال **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** اي وزعم ان له
شريكا او ولدا ثم قال بعضهم لبعض **واذ اعتزلتموهم** يعني قومكم
وما يعبدون الا الله وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
معه الاصنام والمعنى واذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله
فانكم لم تعتزلوا عبادته **فاووا الى الكهف** اى الجاوا اليه **ينشر لكم**
اى يبسط لكم **ربكم من رحمته ويهيئ لكم** اي يسهل لكم **من امركم مرفقا**

اى ما يعود اليه ويرفقكم قوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت
تزاور اى تميل وتعدل عن كهفهم ذات اليمين اى جانب اليمين واذا غربت
تقرضهم اى تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه اى
متسع من الكهف ذلك من ايات الله اى من عجايب صنعه ودلالات
قدرته وذلك انه ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم
اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات
نعش فهم فى مقناه ابدا لا تقع الشمس عليهم ابدا عند الطلوع ولا عند
الغروب ولا عند الاستوا فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم
مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها وترفع عنهم كرب
الغار وغمه وعلى هذا القول يكون فى معنى ذلك من ايات الله
اى شانهم وحديثهم من ايات الله من يهدى الله فهو المهتدى
يعنى مثل اصحاب الكهف وفيدنا عليهم ومن يضلل اى ومن
يضلله الله لم يرشده فلن تجد له وليا اى معينا مرشدا قوله
تعالى وتحسبهم خطاب لكل احد ايقاظا اى مستنبهين وهم رقود
اى نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس كانوا
يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تاكل الارض لحومهم
قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشورا وقيل كان لهم فى السنة تقليبتان
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس رضى الله عنهما كان
كلبا اغر وعنه انه كان فوق القلطا ودون الكردى والقلطا كلب
صينى وقيل كان اصفر وقيل كان شديد الصفرة ويضرب الى الحمرة
وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل ليس فى الجنة
من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم بالوصيد يعنى فنا
الكهف وقيل عتبة الباب وقيل الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه
عليهم وقيل كان يقلب مع اصحابه اذا انقلبوا ذات اليمين كسر
الكلب اذنه اليمين ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر
اذنه اليسرى ورقد عليها لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم
فرارا وذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى
يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم ولمليت منهم رعبا
اى خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم مفتحة كالمستيقظ
الذى يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم
ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب
لئلا يراهم احد • قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا
بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هولا

لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا
فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم قوله
عز وجل وكذلك بعثناهم اى كما انمناهم بعثناهم من النومة التى
تشبه الموت ليتسالوا بينهم اى ليسال بعضهم بعضا قال قايل منهم
وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا كم لبثتم يعنى اى فى نومكم وذلك
انهم استكثروا طول نومهم وقيل انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة
فقالوا ذلك قالوا لبثنا يوما ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقى
منها بقية فقالوا او بعض يوم فنظروا الى طول شعورهم واظفارهم
علموا انهم لبثوا اكثر من يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم يعنى وقيل ان
مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما
لبثتم فابعثوا احدكم يعنى تمليخا بورقكم يعنى النفقة كانت
مضروبة او غير مضروبة هذه الى المدينة قيل طرسوس وكان
اسمها فى الزمن الاول قبل الاسلام افسوس فلينظر ايها ازكى
طعاما اى احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مومن ولا
يكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مومنون يخفون ايمانهم
وقيل اجود طعاما واطيبه وقيل اكثر طعاما وارخصه فلياتكم
برزق منه اى قوت وطعام تاكلونه وليتلطف اى وليترفق فى
الطريق وفى المدينة وليكن فى ستر وكتمان ولا يشعرن بكم احدا
اى من الناس انهم ان يظهروا عليكم اى يعلموا مكانكم يرجموكم على
معناه يشتموكم ويوذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من
عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يعذبوكم او يعيدوكم
فى ملتهم اى بالكفر ولن تفلحوا اذا ابدا اى ان عدتم اليه قوله
عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اى اطلعنا عليهم ليعلموا ان
وعد الله حق يعنى قوم تندروسيس الذى انكروا البعث وان
الساعة اتية لا ريب فيها اى لا شك فيها انها اتية اذ يتنازعون
بينهم امرهم قال ابن عباس رضى الله عنهما فى البنيان فقال
المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال
المشركون نبنى بنيانا لانهم من اهل ديننا وقيل كان تنازعهم فى
البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث
الارواح فاراهم الله اية وان البعث للاجساد والارواح وقيل
يتنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا
ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم يعنى تندروس واصحابه

لنتخذن عليهم مسجدا قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
روي ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال
السيد وكان يعقوبيا ثلاثة ورابعهم كلبهم ويقولون وقال
العاقب وكان نسطوريا خمسة وسادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول
المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
على لسان جبريل عليه السلام بعد ما حكى قول النصارى اولا
ثم اتبعه قوله تعالى رجما بالغيب اي ظنا وحدسا من غير يقين
ولم يقل في السبعة وتخصيص الشي بالوصف يدل على ان الحال في
الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى
وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجما بالغيب
وظنا ثم اتبعه بقوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل
هذا هو الحق لان العالم بتفاصيل كائنات العوالم والمكاسات فيه
في الماضي والمستقبل لا يحصل الا بالله تعالى او من اخبره الله
تعالى بذلك قال ابن عباس انا من اوليك القليل كانوا سبعة
وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس ودوبوا
نس وكفيسيططيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم اي
لا تجادل ولا تقل في عددهم وشانهم الا مراء ظاهرا الا بظاهر ما
قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ولا تستفت فيهم اي في
اصحاب الكهف منهم يعني من اهل الكتاب احدا اي لا يرجع الى
قوله احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم قوله عز وجل ولا
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا يعني اذا عزمت على فعل شي
غدا فقل الا ان يشا الله ولا تقله بغير استثنا وذلك ان اهل
مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله
فلبث الوحي اياما ثم نزلت الاية وقد تقدمت القصة في سورة
بني اسرايل واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس معناه اذا
نسيت الاستثنا ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثنا
المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه
بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى
يكون الكلام متصلا بالاستثنا وقيل في معنى الاية واذكر ربك
اذا غضبت قال ابن وهب مكتوب في الانجيل اذكرني حين تغضب

اذكرك حين اغضب وقيل الاية في الصلاة يدل عليه ما روي عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها
اذا ذكرها اقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم او نام عنها فكفارتها
ان يصليها اذا ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا
رشدا اي على طريق هو اقرب اليه وارشد وقيل الى الله تعالى امره
ان يذكره ويهديه لما هو خير له من ان يذكر ما نسي وقيل ان القوم
لما سالوه عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله
تعالى ان يخبرهم ان الله تعالى سيوتيه من الحجج الصحيحة على صحة
نبوته ما هو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف وقد فعل حيث اتاه
من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو اوضح واقرب الى الرشد من
خبر اصحاب الكهف وقيل هذا شي امر ان يقوله مع قوله ان شا الله اذا
ذكر الاستثنا بعد النسيان واذا نسي الانسان قول ان شا الله فتوبته
من ذلك ان يقوله مع قوله ان شا الله عسى ان يهدين ربي لاقرب
من هذا رشدا قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاث ماية سنين
وازدادوا قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب لو كان خبرا من الله
عن قدر لبثهم لم يكن لقوله تسعا قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن
الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم بما لبثوا ان تنازعوا والاصح انه
اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل
الله اعلم بما لبثوا ان تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف فقل ان
الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان
اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومهم هذا
وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثماية وتسع سنين فرد
الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعني بعد قبض ارواحهم
الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله تعالى • فان قلت لم قال
سنين ولم يقل سنة • قلت قيل نزل قوله ولبثوا في كهفهم
ثلاث ماية سنين فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين
على وفق قولهم • وقيل هو تفسير لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم
في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا • قيل قالت نصارى نجران
اما الثلثماية فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قل
الله اعلم بما لبثوا • وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلثماية شمسية
والله تعالى ذكر ثلثماية وتسع سنين قمرية والتفاوت بين
القمرية والشمسية في كل ماية سنة ثلاث سنين فتكون الثلثماية
الشمسية ثلثماية وتسع سنين قمرية له غيب السموات والارض

يعني ان الله تعالى لا يخفى عليه شي من احوال اهلها فانه العالم وحده به فكيف
يخفى عليه اصحاب الكهف ابصر به واسمع معناه ما ابصر الله بكل موجود
واسمعه لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شي يدرك البواطن كما
يدرك الظواهر لا يخفى عليه خافية ما لهم اى لاهل السموات والارض
من دونه اى من دون الله من ولي اى ناصر ولا يشرك في حكمه احدا
قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه احدا وقيل في قضايه قوله
عز وجل واتل يا محمد ما اوحي اليك من كتاب يعني القران واتبع
ما فيه واعمل به ربك لا مبدل لكلماته اى لا مغير للقران ولا يقدر
احد على التطرق اليه بتغيير او تبديل فان قلت موجب
هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ ليس بتبديل في الحقيقة
لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فان الناسخ
كالغاية فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما وعد الله بكلماته
اهل معاصيه ولن تجد من دونه اى من دون الله ان لم يتبع القران
ملتحدا اى ملجا وحرزا تعدل اليه قوله عز وجل واصبر نفسك
الاية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري اتى النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقرا منهم سلمان
وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال
عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم اما يوذيك ريح هولا ونحن سادات
مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هولا
فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله تعالى مع الذين
اى احبس نفسك يا محمد يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني طرفي
النهار يريدون وجهه اى يريدون الله لا يريدون به عرض الدنيا
وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعماية رجل فقرا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا
ضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الاية قال
النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت
ان اصبر معهم ولا تعد اى ولا تصرف عيناك عنهم الى غيرهم تريد
زينة الحياة الدنيا اى تطلب مجالسة الاغنيا والاشراف وصحبة
اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى جعلنا قلبه
غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف واتبع
هواه اى في طلب الشهوات وكان امره فرطا ضياعا ضيع امره
وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق
وقل الحق من ربكم اى قل يا محمد لهولا الذين اغفلنا قلبه عن ذكرنا

ببيا من باصله

من ربكم الحق والى الله التفويض والتوفيق والخذلان وبيده الهدى
والضلال ليس الي من ذلك شي فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شيتم وقيل معنى
الاية وقل الحق من ربكم اى بطارد المومنين لهواكم فان شيتم فامنوا
وان شيتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان امنتم فلكم ما
وصف لاهل طاعته وعن ابن عباس رضي الله عنه في معنى الاية من شا
له الايمان امن ومن شا له الكفر كفر انا اعتدنا اى هيانا من العتاد
وهو العدة للظالمين اى للكافرين نارا احاط بهم سرادقها السرادق
الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعين سنة اخرجه
الترمذي قال ابن عباس هو حايط من نار وقيل هو عنق يخرج من
النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وان
يستغيثوا يغاثوا بماء اي من شدته كالمهل يشوي الوجوه
قال ابن عباس هو ما غليظ كدردي الزيت عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله بماء كالمهل قال كعكر
الزيت فاذا قرب اليه سقط فروة وجهه منه اخرجه الترمذي وقال
رشدين احد رواة الحديث وتكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة
الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب
بيس الشراب اى ينضج الوجوه من حر ذلك النار اى ذلك الذي يغاثون
به وسات مرتفقا اى منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق
المتكا وانما جا كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق
لاهل النار ولا متكا قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا اى لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل
نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر من احسن
عملا كلام معترض تقديره ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك
لهم جنات عدن اقامة سميت عدنا لخلود المومنين فيها تجري من تحتهم
الانهار وذلك لان افضل المساكن ما كان يجري فيه الما يحلون فيها
من اساور من ذهب قيل على كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من
ذهب لهذه الاية وسوار من فضة لقوله ولولو ولباسهم فيها حرير
ويلبسون ثيابا خضرا من هو الديباج الرقيق سندس هو الديباج
الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب واستبرق متكين
حتى الاتكا وهو هيئة المتنعمين فيها والملوك فيها اى في الجنة على
الارايك جمع اريكة وهي السرر في الحجال لما وصف الله تعالى هذه الاشيا

قال نعم الثواب اى نعم الجزا وحسنت اى الجنات مرتفقا اى مقرا
ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله
وساءت مرتفقا **قوله عز وجل** واضرب لهم مثلا رجلين قيل
نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم وهما ابو سلمة بن عبد الله
ابن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن واصحابه
وسلمان واصحابه وشبههما رجلين من بني اسرايل اخوين احدهما مومن
واسمه يهودا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والاخر كافر واسمه فرطوس
وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكان قصتهما
على ما ذكر عطا الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية الاف
دينار فاقتسماها احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان
فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت منك ارضا في الجنة بالف
دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت
منك دارا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة
فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم اني اخطب اليك امراة من
الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا
بالف دينار فقال هذا اللهم اني اشترى منك خدما ومتاعا من
الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو
اتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به
في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان
قال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك فاتيتك لتصيبني
خيرا قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا واخذت شطره فقص
عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك
شيا فطرده فقضي لهما فتوفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال قايل منهم اني كان لي قرين ۵ وروي انه لما اتاه اخذ بيده وجعل
يطوف به ويريه اموال فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا
لاحدهما جنتين بساتين من اعناب وحففناهما اى اطفناهما من
جوانبهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا اى وجعلنا بين النخل والاعناب
الزرع وقيل بينهما اى بين الجنتين يعني لم يكن بين الجنتين خراب
بغير زرع كلتا الجنتين اتت اكلها اى اعطت كل واحدة من الجنتين
اتت اكلها اى ثمرها تاما ولم تظلم منه شيا اى ولم تنقص منه شيا
وفجرنا خلالهما اي شققنا وسطهما نهرا وكان له ثمر اى صاحب البستان
ثمر قرى بالفتح جمع ثمرة وقرى بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من
كل صنف الذهب والفضة وغيرهما فقال يعني صاحب البستان

لصاحبه

لصاحبه اي المومن وهو يحاوره اى يخاطبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا
اى عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل جنته يعني الكافر واخذ
بيد اخيه المومن يطوف به ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره
قال ما اظن ان تبيد اى تهلك هذه يعني جنته ابدا وذلك انه
راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى ابدا وانكر البعث
فقال وما اظن الساعة قايمة اى كاينة ولين رددت الى ربي
فان قلت كيف قال ولين رددت الى ربي وهو منكر للبعث
قلت معناه ولين رددت الى ربي على ما يزعم من ان الساعة
اتية الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا اى يعطيني هنالك خيرا
منها لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الاخرة افضل منها
قال له صاحبه يعني المومن وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
من تراب اى خلق اصلك من تراب لان خلق اصله سبب في خلقه
فكان خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا اى عدلك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال لكنا هو الله ربي اي هكذا لا اجازه لكن الله
هو ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اى هلا اذ دخلت جنتك قلت
ما شا الله والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله
منها الامر ما شا الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله
وفضله وان امرها بيده ان شا تركها عامرة وان شا خربها لا قوة
الا بالله اى وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير
امرها هو بمعونة الله وتاييده ولا اقدر على حفظ ماله ودفع شي
منه الا بالله روي عن عروة بن الزبير انه اذا كان راى من ماله شيا
يعجبه او دخل حايطا يعجبه من حيطانه قال ما شا الله لا قوة الا بالله
الحايط البستان ان ترن انا اقل منك مالا وولدا اى لاجل ذلك تكبرت
على وتعظمت فعسى ربي فلعل ربي ان يوتيني في الاخرة خيرا من
جنتك ويرسل عليها اى على جنتك حسبانا قال ابن عباس نارا
وقيل مرامي من السما وهي الصواعق فتهلكها فتصبح صعيدا زلقا
زلقا اى ارضا جرداء ملسا لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل
رملا هايلا او يصبح ماؤها غورا اى غايرا ذاهبا لا تناله الايدي
ولا الدلا فلن تستطيع له طلبا يعني ان طلبته لم تجده واحيط بثمره
اى احاط العذاب بثمرة جنته وذلك ان الله تعالى ارسل من السما
نارا فاهلكها وغار ماوها فاصبح يعني صاحبها يقلب كفيه اى يصفق
كفا على كف ويقلب كفيه ظهرا على بطن تاسفا وتلهفا على ما انفق
فيها المعنى فاصبح يندم على ما انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها

اى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعروسة سقطت عروشها في
الارض ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا يعنى انه تذكر موعظة
اخيه المومن فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن
مشركا ولم تكن له فئة اى جماعة ينصرونه من دون الله اى
يمنعونه من عذاب الله وما كان منتصرا اى ممتنعا لا يقدر على
الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله
تعالى هنالك الولاية قرئ بكسر الواو يعنى السلطان في القيمة
لله الحق قرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعنى انهم يتولونه
يومئذ ويتبرؤا مما كانوا يعبدون في الدنيا هو خير ثوابا اي افضل
جزاء لاهل طاعته ولو كان غيره مثيب وخير عقبا يعنى عاقبة طاعة
خير من عاقبة طاعة غيره ولو كان غيره فهو خير اثابة وعاقبة
قوله تعالى واضرب لهم اى يا محمد لقومك مثل الحياة الدنيا كما
انزلناه من السما اى المطر فاختلط به نبات الارض اي خرج من
كل لون وزهره فاصبح اى عن قريب هشيما قال ابن عباس
يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه
وكان الله على كل شيء مقتدرا اى قادرا قوله تعالى المال والبنون
يعنى التى تفخر بها عيينه واصحابه الاغنيا زينة الحياة الدنيا
يعنى ليست من زاد الاخرة قال على بن ابى طالب رضى الله عنه
المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد
يجمعها الاقوام والباقيات الصالحات قال ابن عباس رضى الله
عنهما هى قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر م عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس
عن ابى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من قول
الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال الملة قيل
وما هى يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد
والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله • عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت
يا رسول الله ما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اخرجه الترمذى وقال حديث غريب • عن المسيب ان الباقيات
الصالحات هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب • وعن ابن عباس ان الباقيات

الصالحات هو الصلاة الخمس وعنه انها الاعمال الصالحات خير عند
ربك ثوابا اى جزاء وخير املا اى ما يؤمله الانسان قوله تعالى
ويوم نسير الجبال اى تذهب وذلك بان يجعل هبا منثورا كما تسير
السحاب وترى الارض بارزة اى ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا
بنا وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض
ظاهرا وحشرناهم يعنى جمعنا الى موقف الحساب فلم نغادر منهم
احدا وعرضوا على ربك صفا اى صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم
صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم لقد
جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يعنى احيا وقيل كل امة حفاة عراة
غرلا بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا يعنى يوم القيمة يقول ذلك
لمنكرى البعث • عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى
الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا
فاعلين الا ان اول الخلق يكسى يوم القيامة ابراهيم الا انه سيجاء
برجال من امتى فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابى فيقول
انك لا تدرى ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لى انهم
لن يزالوا مدبرين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول
سحقا سحقا قوله غرلا اى قلفا الغرلة القلفة التى تقطع من جلدة
الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا اى بعدا بعض العلماء ان
المراد بهولا اهل الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعد
ق عن عايشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عايشة فقلت الرجال
والناس جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم
ذلك زاد النسائى في رواية له لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه قوله
عز وجل ووضع الكتاب يعنى صحايف اعمال العباد توضع في ايدى
الناس في ايمانهم وشمايلهم وقيل توضع بين يدى الله تعالى فترى
المجرمين مشفقين مما فيه اى خايفين من الاعمال السيئة ويقولون
يعنى اذا راوها يا ويلتنا اى يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا
بالويل ما لهذا الكتاب لا يغادر اى لا يترك صغيرة ولا كبيرة اي
ذنوبنا الا احصاها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس
الصغيرة التبسيم والكبيرة القهقهة قال سعيد بن جبير اللمم والمسيس
والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله

كتابهم

عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشيء الصغير التافه وقوله لموبقات اي لمهلكات **ووجدوا ما عملوا حاضرا** اي مكتوبا مثبتا في كتابهم **ولا يظلم ربك احدا** اي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا ولا ياخذ احدا بجرم لم يعمله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد روى بعضهم عن الحسن عن ابي موسى قوله تعالى **واذ قلنا** اي واذكر يا محمد اذ قلنا **للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن** قال ابن عباس كان من حي من الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملايكة فهو اصل الجن كما ان ادم اصل البشر الانس ووجه كونه من الملايكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملايكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملايكة فيه فكل ملايكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملايكة ووجه كونه من الملايكة اولا استثناه والاستثنا يفيد اخراج ما لولاه لدخل او يصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملايكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملايكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملايكة وقوله افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو فاثبت له ذرية والملايكة لا ذرية لهم واجيب عن هذا الاستثنا انه استثنا منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برآء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملايكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن وقوله **ففسق عن امر ربه** اي خرج عن طاعة ربه **افتتخذونه** يعني يا بني ادم افتتخذون ابليس **وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو بيس للظالمين بدلا** يعني اعدا روى مجاهد عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ اقبل جمال فقال اخبرني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قوله الله عز وجل افتتخذونه وذريته اوليا من دوني فعلمت انه لا يكون ذرية

هوجر

الا من زوجة فقلت نعم وقيل يتوالد كما يتوالد بنو ادم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وثبر وهو صاحب المصايب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المراة ومطرس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسم الله ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع او يحسن موضعه واذا اكل ولم يسم الله تعالى اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكرنا فقول داسم داسم • روى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الما اخرجه الترمذي م عن عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين قراتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهب الله عني م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الما ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيا ثم يجي احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امراته فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه • وقوله بيس للظالمين بدلا يعني بيسما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى **ما اشهدتهم** اي ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملايكة **خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم** والمعنى ما اشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها واشاورهم فيها **وما كنت متخذ المضلين عضدا** الذين يضلون الناس عضدا اي انصارا واعوانا **قوله عز وجل** **ويوم يقول** يعني يقول الله يوم القيمة **نادوا شركاي** يعني الاصنام **الذين زعمتم** يعني انهم شركاي **فدعوهم** اي فاستغاثوا بهم **فلم يستجيبوا لهم** اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم **وجعلنا بينهم** يعني بين الاصنام وعابديها وقيل اهل الهوى واهل الضلال **موبقا** قيل مهلكا وقال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهر يسيل نارا على حافته حيات وعقارب مثل البغال الدهم وقيل

حاجز بين شيئين فهو موبق واصله الهلاك ورای المجرمون النار
ای المشرکون فظنوا ای ایقنوا انهم مواقعوها ای داخلوها وواقعون
فیها ولم یجدوا عنها مصرفا ای معدلا لانها احاطت بهم من کل جانب
وقیل لان الملائکة تسوقهم الیها قوله تعالی ولقد صرفنا ای بینا فی
هذا القران للناس من کل مثل ای فلیتذکروا ویتعظوا وکان الانسان
اکثر شی جدلا ای خصومة بالباطل قال ابن عباس اراد الخضر بن
الحارث وجداله فی القران وقیل اراد به الکفار وقیل اراد به ابی بن خلف
وقیل اراد الایة علی العموم وهو الاصح عن علی بن ابی طالب ان رسول
الله صلی الله علیه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه
وسلم لیلا فقال الا تصلیان فقلت یا رسول الله انفسنا بید الله تعالی
فاذا شا ان یبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلی الله علیه وسلم حین
قلت ذلک فلم یرجع الی شیا ثم سمعته وهو مولی یضرب فخذه وهو
یقول وکان الانسان اکثر شی جدلا **قوله عز وجل** وما منع الناس
ان یؤمنوا اذ جاءهم الهدی یعنی القران والاسلام والبیان من الله
تعالی وقیل انه رسول الله صلی الله علیه وسلم ویستغفروا ربهم ٥
والمعنی انه لا مانع لهم من الایمان ولا من الاستغفار والتوبة
والتخلیة حاصلة والاعذار زایلة فلم یقدموا علی الایمان والاستغفار
الا ان تاتیهم سنة الاولین یعنی سنتنا فی اهلاک الاولین ان لم یومنوا
وهو عذاب الاستیصال او یاتیهم العذاب قبلا قال ابن عباس عیانا
من المقابلة وقیل فجاة قوله تعالی وما نرسل المرسلین الا مبشرین
ای بالثواب علی الطاعة ومنذرین بالعقاب لمن عصی ویجادل
الذین کفروا بالباطل ای هو قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه
ذلک لیدحضوا به الحق ای یبطلوا به الحق ویزیلوه واتخذوا ایاتی
وما انذروا هزوا ای فیه اضمار یعنی اتخذوا ما انذروا به وهو القران
استهزا قوله تعالی ومن اظلم ممن ذکر ای وعظ بایات ربه فاعرض
عنها وترکها ولم یؤمن بها ونسی ما قدمت یداه ای ما عمل من المعاصی
من قبل انا جعلنا علی قلوبهم اکنة ای اغطیة ان یفقهوه یرید
لیلا یفقهوه وفی اذانهم وقرا ای ثقلا وصمما وان تدعهم الی الهدی
ای الدین الحق فلن یهتدوا اذا ابدا وهذا فی اقوام علم الله منهم
انهم لا یومنون وربک الغفور ای البلیغ المغفرة ذو الرحمة ای
الموصوف بالرحمة لو یواخذهم ای یعاقب الکفار بما کسبوا من الذنوب
لعجل لهم العذاب ای فی الدنیا بل لهم موعد یعنی البعث والحساب
لن یجدوا من دونه موئلا ای ملجا وتلک القری یعنی قری قوم نوح

وعاد وثمود وقوم لوط وغیرهم اهلکناهم لما ظلموا ای کفروا وجعلنا
لمهلکهم موعدا ای اجلا لاهلاکهم **قوله** تعالی واذ قال موسی لفتاه
لا ابرح حتی ابلغ مجمع البحرین الایات اکثر العلما علی ان موسی المذکور
فی هذه الایة موسی بن عمران لاوی بن یعقوب صاحب الحکم المعجزات الظا
وصاحب التورية وعن کعب الاحبار ان موسی بن میشا من اولاد یوسف
ابن یعقوب وکان قد تنبا قبل موسی بن عمران والقول الاول اصح بدلیل
ان الله تعالی لم یذکر فی کتابه موسی الا اراد به صاحب التورية فاطلاق
هذا الاسم یوجب الانصراف الیه ولو اراد شخصا اخر لوجب تعریفه
بصفة توجب الامتیاز بینهما وتزیل الشبهة فلما لم یمیزه بصفة علمنا
انه موسی بن عمران صاحب التورية واما فتاه فالاصح انه یوشع بن نون
ابن افراثیم بن یوسف وهو صاحب موسی وولی عهده بعد وفاته وقیل
انه اخو یوشع ٥ وقیل فتاه یعنی عبده بدلیل قوله صلی الله علیه وسلم
لا یقل احدکم عبدی وامتی ولیقل فتای عن سعید بن جبیر قال قلت
لابن عباس ان نوفل البکالی یزعم ان موسی صاحب الخضر لیس هو موسی بنی
اسرایل فقال ابن عباس کذب عدو الله حدثنا ابی بن کعب انه سمع
رسول الله صلی الله علیه وسلم ان موسی قام خطیبا فی بنی اسرایل فسیل
ای الناس اعلم فقال انا فعتب الله علیه اذ لم یرد العلم الیه فاوحی الله
الیه ان لی عبدا بمجمع البحرین هو اعلم منک قال موسی یا رب فکیف لی به
فقال تاخذ معک حوتا فتجعله فی مکتل فحیث ما فقدت الحوت فهو
ثم فاخذ حوتا فجعله فی مکتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه یوشع بن
نون حتی اتیا الصخرة وضعا روسهما فناما واضطرب الحوت فی المکتل فخرج
منه الحوت فسقط فی البحر فاتخذ سبیله فی البحر سربا وامسک الله عن
الحوت جری الما فصار علیه مثل الطاق فلما استیقظ نسی صاحبه ان
یخبره بالحوت فانطلقا بقیة یومهما ولیلتهما حتی اذا کان من الغد قال
موسی لفتاه اتنا غدانا لقد لقینا من سفرنا هذا نصبا قال ولم
یجد موسی النصب حتی جاوز المکان الذی امر الله به فقال له
فتاه ارایت اذ اوینا الی الصخرة فانی نسیت الحوت وما انسانیه
الا الشیطان ان اذکره واتخذ سبیله فی البحر عجبا قال کان للحوت سربا
ولموسی عجبا قال موسی ذلک ما کنا نبغی فارتدا علی اثارهما قصصا حتی
انتهیا الی الصخرة فاذا رجل مسجی ثوبا فسلم علیه موسی فقال الخضر وانی ٥
بارضک السلام فقال انت موسی بنی اسرایل قال نعم اتیتک لتعلمنی مما
علمت رشدا قال انک لن تستطیع معی صبرا یا موسی انی علی علم من الله
علمنیه ما تعلمه وانت علی علم من الله علمک الله لا اعلمه فقال موسی

مرة

سنجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال له الخضر فان اتبعتني
فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل
البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول
فلما ركبا السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم
فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق
اهلها لقد جيت شيا امرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجا
عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر
ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من
هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينماهما يمشيان على الساحل اذ
ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ براسه فاقتلعه بيده
فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جيت شيا
نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من
الاولى قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مايل فقال الخضر بيده هكذا
فاقامه قال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شيت لتخذت
عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى
لوددت انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان
ابن عباس يقرا وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وانه
يقرا واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين • وفي رواية عن ابي
ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى صلى الله
عليه وسلم ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ثم
ولى فادركه رجل فقال اي رسول الله هل في الارض اعلم قال فعتب
الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله سبحانه وتعالى قيل بلى قال اي رب
اين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا ينفخ فيه الروح وفي رواية
تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت زاد في رواية وفي اصل الصخرة
عين يقال لها الحياة لا يصيب من مايها شيا الا حيي فاصاب الحوت
من ما تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل ورجعنا الى التفسير
قوله لا ابرح اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين قيل اراد بحر فارس
والروم مما يلي المشرق وقيل افريقية **او امضي حقبا** اي او اسير دهرا

طويلا

طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل
الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع
البحرين وعندها عين يسمى الحياة ولا يصيب شيا الا حيي فلما اصاب
السمكة روح وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت في البحر **فلما**
بلغا يعني موسى وفتاه **مجمع بينهما** اي بين البحرين **نسيا** اي تركا
حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما اضاف
النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما • وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما
اي كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب
فاتخذ اي الحوت **سبيله في البحر سربا** اي مسلكا روى ابي بن كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انجاب الما عن مسلك الحوت
فصار كوة لم يلتام فدخل موسى الكوة اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال
ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيا في البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد
روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا روسهما فناما واضطرب الحوت
فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فامسك الله عن الحوت
جرية الما فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه
ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله تعالى **فلما جاوزا**
يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين **قال** يعني موسى **لفتاه اتنا**
غدانا اي طعامنا **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** اي تعبا شديدا
وذلك انه القي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت
ويرجع في طلبه **قال** يعني يوشع **ارايت اذ اوينا الى الصخرة** وهي
صخرة كانت بالموضع الموعود قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة **فاني**
نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين راى من
الحوت ذلك فقام ليدرك موسى ليخبره فنسي ان يخبره فمكثا يومهما
الى ان صليا الظهر من الغد ثم قال **وما انسانيه الا الشيطان ان**
اذكره اي وما انساني ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد
من النسيان شغل قلب الانسان بوسواس الشيطان قيل المراد من
النسيان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان
ذلك لا يصح الا من قبل الله عز وجل **واتخذ سبيله في البحر عجبا**
قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني طفى الحوت الى البحر فاتخذ سبيله
مسلكا وروى في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل اي
شي اعجب من حوت يوكل منه دهرا ثم صار حيا بعد ما اكل بعضه
قوله عز وجل **قال** يعني موسى **ذلك ما كنا نبغ** اي نطلب
فارتدا على اثارهما قصصا اي رجعا يقصان الذي جا منه ويتبعانه

فوجدا عبدًا من عبادنا قيل كان ملكا من الملايكة والصحيح الذي
ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجا في التواريخ انه الخضر
واسمه ايليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل كان من بني اسرايل
وقيل من ابنا الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له
سمي بذلك خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضا فاذا هي تهتز تحته خضره
الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة • وقيل سمي خضرا لانه اذا كان صلى
اخضر ما حوله روينا ان الخضر موسى راى الخضر مسجا ثوبا فسلم عليه
فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما
علمت رشدا ومعنى مسجا ثوبا اي مغطا بثوب واني بارضك السلام
معناه من اين بارضك السلام التي انت فيها الان السلام • وروى
انه لقيه على طنفسه خضرا على كبد البحر فذلك قوله فوجدا عبدا
من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا اي نعمة وعلمناه من لدنا علما
اي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر العلما فان
قلت هذه الاية تدل على ان الخضر كان اعلا شانا من موسى
وكان موسى يظهر التواضع والتادب معه قلت لا يخلو ان يكون
الخضر من بني اسرايل او من غيرهم فان كان من بني اسرايل فهو من امة
موسى ولا جايز ان يكون احد الامة افضل من نبيها واعلا شانا منه
وان كان من غير بني اسرايل فقد قال الله تعالى لبني اسرايل واني
فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانكم قال له موسى هل اتبعك
معناه جيت لاصحبك على ان تعلمني مما علمت رشدا اي صوابا
وقيل علما ترشدني به وقال في بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى
بالتورية علما وببني اسرايل فضلا قال له موسى ان الله امرني
بهذا فحينيذ قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وانما
استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر قال ذلك لانه علم انه يرى امورا
منكرة ولا يجوز للانبيا الصبر مع المنكر ثم بين عذره في ترك
الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما قال
موسى ستجدني ان شا الله صابرا انما استثنى لانه لم يثق من نفسه
بالصبر ولا اعصي لك امرا اي لا اخالفك فيما تامرني به قال
فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار
له ثم شرط عليه شرطا فقال فلا تسالني عن شي اي مما اعمله مما
تنكره ولا تعترض عليه حتى احدث لك منه ذكرا معناه حتى
ابتدي بذكره فابين لك شانه قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان على

الساحل

على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال
اهل السفينة ما هم بلصوص ولكن ارى وجوه الانبيا روى عن ابي
ابي كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان
يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اي بغير عوض ولا عطا فلما
لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق لوحا من الواح السفينة فذلك قوله
تعالى حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له اخرقتها
لتغرق اهلها لقد جيت شيا امرا اي اتيت شيا عظيما منكرا روي
ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الما وروي ان موسى لما راى
ذلك اخذ ثوبه يحشي به الخرق قال العالم وهو الخضر الم اقل
انك لن تستطيع معي صبرا قال يعني موسى لا تواخذني بما نسيت
قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسي شيا
اخر وقال معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال
ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى نسيانا والوسطى
شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني اي لا تغشني من امري عسرا والمعنى
لا تعسر علي متابعتك ويسرها بالاغضا وترك المناقشة وقيل لا
تكلفني مشقة ولا تضيق علي امري فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما
فقتله وفي القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون
فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضي الوجه بينو قد حسنا فاضجعه ثم
ذبحه بالسكين وروينا انه اخذه براسه فاقتلعه بيده • وروي
عن عبد الرزاق هذا الخبر وفيه واشار باصابعه الثلاثة الابهام
والسبابة والوسطى وقلع راسه • وروي انه رضخ راسه بحجر وقيل
انه ضرب راسه بالجدار فقتله • قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ
الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول اقتلت نفسا زاكية بغير نفس
الا وهو صبي لم يبلغ الحنث • وقيل كان رجلا • وقيل كان اسمه حيسور
وقيل كان فتى يقطع الطريق وياخذ المتاع ويلجا الى ابويه وقيل كان
غلاما يعمل بالفساد ويتاذى منه ابواه م عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع
كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم قال يعني
موسى اقتلت نفسا زاكية اي لم تذنب قط وقرى زكية وهي الذي
اذنبت ثم تابت بغير نفس لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد
جيت شيا نكرا اي منكرا عظيما وقيل النكرا اعظم من الامر لانه حقيقة
الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه
تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جيت شيا انكر من الاول لان ذلك

خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه **قال** يعني الخضر
الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قيل زاد في هذه الاية قوله لك
لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكد التوبيخ فعند
هذا **قال** موسي **ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني** اي
فارقني ولا تصاحبني **قد بلغت من لدني عذرا** قال ابن عباس
اى قد اعتذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر
في مفارقتي والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من انه احتمله مرتين
اولا وثانيا مع قرب المدة **ق** عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر بعض
الانبيا بدا بنفسه لولا انه عجل لراى العجب ولكنه اخذته من
صاحبه ذمامه فقال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد
بلغت من لدني عذرا فلو صبر راى العجب **قوله** ذمامه بذال
معجمة اى حيا واشفاقا من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة
يعني لمته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك
قوله تعالى **فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية** قال ابن عباس
يعني انطاكية وقيل ايلية وقيل ابعد الارض من السما وقيل بلدة
الاندلس **استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما** قال ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتيا اهل قرية فاستطعماهم فلم
يطعموهما واستضافا ثم فلم يضيفوهما • وعن ابي هريرة قال اطعمتهما
امراة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا
لنسايهم ولعن رجالهم • وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف
الضيف **فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض** اى يسقط وهذا من
مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط
كما تقول داري منتظر دار فلان اذا كانت تقابلها وتستعير لها النظر
كما استعير للجدار الارادة **فاقامه** اى سواه في حديث ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فاقامه وقال ابن
عباس هدمه وقعد يبنيه **قال** يعني موسى **لو شيت لتخذت
عليه اجرا** على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا
جياع وان اهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك اجرا **قال**
يعني الخضر **هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل** اى سوف
اخبرك بتاويل **ما لم تستطع عليه صبرا** وقيل ان موسى اخذ
بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان تفارقني فقال
الخضر **اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** قيل كانت

لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر يواجرون ويكسبون
وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيا لا يزول عنه اسم المسكنة
اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في العزوا لحاجة اشد
من حال المسكين لان الله تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون
تلك السفينة **فاردت ان اعيبها** اى اجعلها ذات عيب **وكان
وراهم ملك** اى امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه
والاول اصح **ياخذ كل سفينة غصبا** اى كل سفينة صالحة فخرقتها
وعيبتها حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي
الازدي وكان كافرا • وقيل كان اسمه هود بن بدد وروى ان الخضر اعتذر
الى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقيل
وقال اردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فلما جاوزوا اصلحوها وانتفعوا
بها قوله عز وجل **واما الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا** اى
فعلمنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه
وقيل معناه فعلمنا **ان يرهقهما** اى يغشيهما وقيل يكلفهما **طغيانا وكفرا**
قيل معناه ان يحملهما حبه على ان يتبعانه على دينه **فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه** الابدال رفع الشي ووضع الاخر مكانه **زكاة** اى صلاحا
وتقوى وقيل في مقابلة قوله اقتلت نفسا زاكية **واقرب رحما** ويكون
البدل منه اقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل
ابدلهما جارية فتزوجها نبيا من الانبيا فولدت له نبيا فهدى الله على
يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم
وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه قتل
ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضا الله تعالى فان قضا الله
تعالى للمومن فيما يكره خير له من قضايه فيما يحب قوله تعالى **واما
الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة** قيل كان اسمهما اصرم
وصريم **وكان تحته كنز لهما** روي ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وكان الكنز صحفا
فيها علم قال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوب فيها عجبا لمن ايقن
بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالرزق كيف يتعب عجبا لمن ايقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن
ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها لا اله الا الله محمد
رسول الله ومن الجانب الاخر مكتوب لا اله الا انا وحدي لا شريك لي
خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل
لمن خلقته للشر واجريته على يديه • وقيل الكنز اذا اطلق اريد به المال

ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح
جامعًا لهما **وكان ابوهما صالحا** قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقيا
قال ابن عباس حفظا صلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب
الصالح سبعة آبا قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بصلاح العبد
ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون في
حفظ الله ما دام فيهم • وقال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر
ولدي فازيد في صلاتي **فاراد ربك ان يبلغا اشدهما** اي يعقلا
ويدركا قوتهما وهو البلوغ وهي ثمانية عشر سنة **فان قلت**
كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد
ربك وما وجه كل واحد من هذه الالفاظ **قلت** انه
لما ذكر العيب اضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال
فاردت ان اعيبها • ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها
على انه من العلما العظما في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم
على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية الصالح في مال
اليتيم لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى لان حفظ الابنا
وصلاح احوالهم لرعاية حق الابا ليس ذلك الا الى الله تعالى فلاجل
ذلك اضافه الى الله تعالى **ويستخرجا كنزهما** يعني اذا اقويا **رحمة
من ربك** اي نعمة من ربك **وما فعلته عن امري** اي باختياري
ورايي بل فعلته بامر الله والهامه اياي واستدل بقوله وما
فعلته عن امري ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك
للانبيا والصحيح انه ولي الله وليس بنبي **واجيب** عن قوله
وما فعلته انه الهام من الله تعالى له بذلك هذا درجة الاوليا
لان تنقص اموال الناس واراقة دمائهم وتغير احوالهم لا يكون
ذلك الا بالنص وامر الله تعالى • وقيل معناه انما فعلت هذه
الافعال لغرض ان يظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى
واحد وهي تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى **ذلك تاويل ما لم
تسطع عليه صبرا** اي لم تطق ان تصبر عليه روي ان موسى عليه
السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال لا تطلب العلم
لتحدث به واطلب العلم لتعمل به • واختلف العلما في ان الخضر
حي ام ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلما ومتفق عليه
عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة والحكايات في
رويته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير
اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابن عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي

عند

عند جماهير العلما والصالحين والعامة في ذلك هذا اخر كلامه
وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة في الموسم وكان السبب
في حياة الخضر فيما حكي انه شرب من ما الحياة وذلك ان ذا القرنين
دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر
على العين فاغتسل وشرب منها وشكر وصلى واخطا ذو القرنين
الطريق فرجع وذهب اخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى
العشا ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس ماية سنة لا يبقى من هو
اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده
وقوله عز وجل **ويسئلونك عن ذي القرنين** قيل اسمه مرزبان
ابن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه
الاسكندر بن فيلفوس الرومي كذا صح وكان من له عجوز ليس لها
ولد غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي في تفسيره عن ابي الريحان
البيروني المنجم في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية
انه من حمير واسمه ابو كرب سمي بن عمير بن افريقش الحميري وهو الذي
افتخر به احد شعرا حمير حيث **يقول** •

• قد كان ذا القرنين عمر مسلما • ملك علا في الارض غير معتد •
• بلغ المشارق والمغارب يبتغي • اسباب ملك من كريم مرشد •
• فراى مآب الشمس عند غروبها • في عين ذي خلب وثاط حرمد •

قوله فراى مآب الشمس عند غروبها اي ذهاب الشمس **وقوله**
في عين ذي خلب اي حماة والثاط الحماة ايضا والجمع ثاطن والحرمد
الطين الاسود وقيل سمي ذي القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها
ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة
وقيل انه راى في المنام انه اخذ بقرني الشمس وقيل انه كان له
ذوابتان حسنتان • وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروي
عن علي انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات
فاحياه الله • واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه
قوله تعالى يا ذا القرنين وخطاب الله تعالى لا يكون الا مع الانبيا
وقيل لم يكن نبيا قال ابو الفضل سئل علي عن ذي القرنين اكان نبيا
فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح
الله فناصحه وروي ان عمر سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال
تسميتم باسما الانبيا فلم ترضوا حتى تسميتم باسما الملايكة والاصح
الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا عادلا صالحا وانه بلغ اقصى المغرب

والمشرق والشمال وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات
ابوه سمع ملك الروم بعد ان دان له طوايف ثم مضى الى ملوك المغرب
وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية
وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان
ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب وبنى السد ودانت له ملوك
العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند
والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور
ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون • وقيل ان عمره كان الفا ٥
وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف
العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدًا على وجه الارض فذلك قوله
ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اى خبرا
تضمن حاله انا مكنا له فى الارض اى وطنا له والتمكين تمهيد ٥
الاسباب قال على سخر له السحاب فحمل عليه ومد له فى الاسباب
وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سوا وسهل عليه
السير فى الارض وذلل له طرقها واتيناه من كل شى يحتاج اليه وكل
ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعدا سببا اى
علما يتسبب به الى كل ما يريد ويسير به فى اوطان الارض فاتبع سببا
اى سلك طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى
عين حمئة اى حارة وقرى حمئة اى ذات حمأة وهى الطينة السودا
وسأل معاوية كعبا كيف فى التورية تغرب الشمس واين تغرب قال
نجد فى التورية انها تغرب فى ماء وطين • وقيل يجوز ان يكون معنى
فى عين حمية اى عندها عين حمئة او فى راى العين وذلك انه بلغ
موضع المغرب لم يبق بعده شى من العمارات وجد الشمس كانها
تغرب وهذه مظلمة كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها تغرب فى البحر
ووجد عندها قوما اى عند العين امة قال ابن جريج مدينة
لها اثنى عشر الف باب يقال لها جابرسه واسمها بالسريانية جرجيسا
سكنها قوم من نسل ثمود الذين امنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع
الناس وجبة الشمس حين تجب اى تغيب قلنا يا ذا القرنين ٥
يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن يقل انه لم
يكن نبيا قال المراد منه الالهام • وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على
لسان غيره اما ان تعذب يعنى تقتل من لم يدخل فى الاسلام واما
ان تتخذ فيهم حسنا يعنى تعفو او تصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى
خيره الله بين الامرين قال اما من ظلم اى كفر فسوف نعذبه اى

نقتله ثم يرد الى ربه اى فى الاخرة فيعذبه عذابا نكرا اى منكرا يعنى
بالنار لانها انكر من القتل واما من امن وعمل صالحا فله جزا الحسنى
اى جزا اعماله الصالحة وسنقول له من امرنا يسرا اى نلين له القول
ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اى سلك طريقا ومنازل حتى
اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا قيل انهم كانوا فى مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا
شجر ولا يستقر عليهم بنا فاذا طلعت الشمس دخلوا فى اسراب لهم
تحت الارض فاذا زالت عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل
كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا فى الما فاذا ارتفعت عنهم خرجوا
فرعوا كالبهايم • وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه
ويلتحف بالاخرى • وقيل انهم قوم من نسل صرعى قوم هود واسم
مدينتهم جابلقا واسمها بالسريانية برقيسا وهم مجاورون ياجوج
وماجوج قوله تعالى كذلك اى كما بلغ مغرب الشمس كذلك القوم
الذين عند مطلعها وهو الاصح وقد احطنا بما لديه خبرا اى علما
بما عنده ومن معه من الجند والعدة والات الحرب وقيل معناه وقد
علمنا حين مكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال
به والقيام بامره قوله عز وجل ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين
السدين وهما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع ارض الترك حكى
ان الواثق بعث بعض من يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا
من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بنا
من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل وجد من
دونهما قوما يعنى امام السدين قيل هم الترك لا يكادون يفقهون
قولا قال ابن عباس لا يفقهون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم قالوا
يا ذا القرنين **فان قلت** كيف اثبت لهم القول وهم لا
يفقهون **قلت** تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم
وقيل معناه لا يكادون يفقهون الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها
كما يفهم الاخرس ان ياجوج وماجوج اصلهما من اجيج النار وهو
ضوءها ونورها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم اولاد يافث بن نوح
والترك منهم • قيل ان طايفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين
السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال
اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو
العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو
الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قال ابن عباس هم عشرة

ل ٥

اجزا وولد ادم كلهم جزء روى حذيفة مرفوعا ان ياجوج امة ٥
وماجوج امة وكل امة اربعة الاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر
الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد ادم يسيرون
الى خراب الدنيا ثم قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الاوز
شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السما وصنف منهم عرضه
وطوله عشرون ومائة وهولا القوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم
يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا
خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم
بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي رضي الله عنه
قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب
هم نادرة في اولاد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الما ياجوج وماجوج فهم
متصلون من جهة الاب دون الام ٥ وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين
كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله اني
باعثك الى امم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الارض احدهما
عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها
يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن
يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل
وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال
ذو القرنين باي قوة اكاثرهم وباي لسان اناطقهم قال الله تعالى
اني ساطوقك وابسط لسانك واشد عضدك فلا يهولنك
شي والبسك ثوب هيبة فلا يرد عنك شي واسخر لك النور والظلمة
واجعلهما من جنودك فالنور يهديك من امامك والظلمة تحوطك
من ورايك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا
يحصيهم الا الله فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم
الى الله وعبادته فمنهم من امن ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين
تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا
في دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة
تسوقهم حتى اتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك فانطلق حتى اتى
منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندا ثم اخذ ناحية
اليسرى فاتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي في
وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له
امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه

الهايم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع وياكلون الحيات والعقا
وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلقا كزيادتهم فلا شك انهم
سيملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فقال اعدوا الى
الصخور الحديد والنحاس حتى اعلمهم فانطلق حتى توسط بلادهم
فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل ٥
المربوع لهم مخاليب واضراس كالسباع ولهم هدب الشعر يوازي
اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد اذنان عظيمتان
يفترش احدهما ويلتحف بالاخرى يصيف في واحدة ويشتي في
الاخرى يتسافدون تسافد البهايم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين
ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له اساس حتى
بلغ الما فذلك قوله تعالى ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض
قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع في ارضهم فلا يدعون فيها
شيا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا حملوه وادخلوه ارضهم فلقوا منهم
اذى شديدا ٥ وقيل فسادهم انهم كانوا ياكلون الناس وقيل معناه
انهم سيفسدون عند خروجهم فهل نجعل لك خرجا اي جعلا من
اموالنا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا فلا يصلون الينا
قال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير اي ما قواني ربي خير من
جعلكم فاعينوني بقوة يعني لا اريد المال بل اعينوني بايديكم وقوتكم
اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة
وصناع يحسنون البنا والالة قالوا وما تلك الالة قال اتوني زبر
الحديد اي اعطوني زبر الحديد اي قطع الحديد فاتوه بها وبالحطب
فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى اذا ساوى بين
الصدفين اي بين طرفي الجبلين قال انفخوا يعني في النار حتى اذا
جعله نارا اي صار نارا قال اتوني افرغ اي اصب عليه قطرا اي
نحاسا مذابا فجعل النار تاكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى
لزم الحديد وقيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا وقيل
ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم
ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى
صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا
بالقرب فكان تعالى صرف تاثير الحرارة العظيمة من ابدان اولئك
النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوا
عليه لعلوه وملاسته وما استطاعوا له نقبا اي من اسفله لشدته

وصلابته قال يعني ذو القرنين هذا اى السد رحمة من ربي اي
نعمة من ربي فاذا جاء وعد ربي قيل يعني يوم القيمة وقيل وقت
خروجهم جعله دكا اى ارضا ملسا وقيل مدكوكا مستويا مع الارض
وكان وعد ربي حقا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل
هذه وعقد بيده تسعين • قوله عقد تسعين هذا من موصوفات
الحساب وهو ان يجعل راس السبابة في وسط الابهام من باطنها
تشبه الحلقة لكن لا يبين الا خلل يسير • وعنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه
قال ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كاشد مما كان حتى
اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي عليهم
ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنا قال فيرجعون
فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس ٥
فيستقون المياه ويفر منهم • وفي رواية يتحصن الناس في حصونهم
فيرمون بسهامهم الى السما فترجع مخضبة بالدما فيقولون قهرنا من في
الارض وعلونا من في السما قسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في
رقابهم فيهلكون قال فو الذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن
وتشكر من لحومهم شكرا اخرجه الترمذي • قوله قسوة وعلوا اي
غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يخرج في انوف الابل والغنم
وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلا ضرعها لبنا
والمعنى انها تمتلى اجسادها لحما وتسمن خ عن ابي سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج
ياجوج وماجوج قوله عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا ياجوج وماجوج يموج
اى يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم
وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط
انسهم بجنهم حيارى ونفخ في الصور فيه دليل على ان ياجوج وماجوج
من علامات قرب الساعة فجمعناهم جمعا اى في صعيد واحد
وعرضنا جهنم اى ابرزنا يومئذ للكافرين عرضا يعني شاهدوها
عيانا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي في غشا وستر عن ذكري
اى عن الايمان والقران والهدى والبيان وقيل عن روية الدلايل
وتبصرها وكانوا لا يستطيعون سمعا اى سمع القران والايمان لغلبة
الشقا عليهم وقيل معناه لا يستطيعون ان يسمعوا من رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له قوله تعالى افحسب اى افظن الذين
كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا يعني اربابا يريد عيسى
ابن مريم والملايكة بل هم لهم اعدا ويتبرؤن منهم وقال ابن عباس
يعني الشياطين اطاعوهم من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان
يتخذوا عبادي من دوني اوليا انا اعتدنا اى هيانا جهنم للكافرين
نزلا اى منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل
للضيف قوله عز وجل قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا يعني الذين
اتعبوا انفسهم في عمل يرجون فيه فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا
قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين
حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
اهل حروري يعني الخوارج الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا اي
بطل عملهم واجتهادهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اي عملا
ثم وصفهم فقال تعالى اوليك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه
يعني انهم جحدوا دلايل الله وقدرته وكفروا بالبعث والثواب
والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم والقران
فصاروا كافرين بهذه الاشيا فحبطت اعمالهم اى بطلت فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا قيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع
لاهل الحسنات قال ابو سعيد الخدري ياتي الناس باعمالهم يوم
القيمة هي عند ربهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا
فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا • وقيل معناه
نزدري بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن ق عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لياتي الرجل
العظيم السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقروا ان شيتم
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك اشارة الى ما ذكروه من حبوط اعما
لهم •
وخسة قدرهم ثم ابتدا فقال جزاوهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي
ورسلي هزوا اى سخرية واستهزا قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فاسالوه الفردوس
فانه وسط الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تنفجر انهار
الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة اعلا من جنة الفردوس فيها
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر • وقال قتادة الفردوس
ربوة الجنة وافضلها واوسطها وارفعها قيل الفردوس البستان
الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار والتي تنبت ضروبا

من النبات وقيل الفردوس بالرومية وقيل بلسان الحبشة منقول
الى العرب نزلا موضعا يهيى للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات
الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم في علم الله قبل ان
ان يخلقوا خالدين فيها لا يبغون اى لا يطلبون عنها حولا اى
تحويلا الى غيرها قال ابن عباس اى لا يريدون ان يتحولوا عنها
كما يتحول الرجل من دار لم توافقه الى دار اخرى **قوله عز وجل**
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال اليهود يا محمد تزعم اننا
قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا واوتينا التوراة
وفيها علم كل شيء فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي مداده وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به واصله من الزيادة
وقال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلايق
يكتبون لنفد البحر يعني لفني ماؤه قبل ان تنفد كلمات ربي
اى علمه وحكمه ولو جئنا بمثله مددا المعنى ولو كان الخلق
يكتبون والبحر يمدهم لفني ما البحر ولم تفن كلمات الله ولو
جئنا بمثل ما البحر في كثرته مددا او زيادة **قوله عز وجل**
قل انما انا بشر مثلكم قال ابن عباس علم الله رسوله صلى الله عليه
وسلم التواضع ليلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول انا ادمى
مثلكم الا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به وهو قوله يوحى
الي انما الهكم اله واحد لا شريك له في ملكه فمن كان يرجوا
لقاء ربه اى يخاف المصير اليه وقيل يومل روية ربه فليعمل عملا
صالحا اى من حصل له رجا لقا الله والمصير اليه فليستعمل نفسه
بالعمل الصالح ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله
ولما كان العمل الصالح قد يراد به غير وجه الله تعالى وقد يراد به
الريا والسمعة فاعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به الله تعالى والثاني
ان يكون مبرا من جهات الشرك جميعها ق عن جندب بن عبد
الله البجلي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به
ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به اى من عمل
عملا مرايا للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيمة وقيل يعني
سمع الله به اى سمعه المكروه م عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى
الشركا عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه
ولغير مسلم فانا منه بري هو للذي عمله عن سعيد بن ابي فضالة

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس
ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمله لله فليطلب ثوابه
منه فان الله اغنى الشركا عن الشرك اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا م عن ابي الدردا
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول
سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من اخرها والله تعالى
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة مريم عليها السلام وهي مكية

وهي ثمان وتسعون اية وسبعمائة واثنان وثمانون كلمة وثلاثة الاف
وثمانماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل كهيعص قال ابن عباس هو اسم من اسما الله تعالى
وقيل اسم للقران وقيل للسورة وقيل هو قسم اقسم الله به وعن ابن
عباس قال الكاف من كريم وكبير والها من هادى والياء من رحيم
والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقيل معناه كاف
لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم بتربيته صادق في وعده ذكر اي
هذا الذي يتلوا عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا قيل معناه ذكر ربك
عبده زكريا برحمته اذ نادى اي دعا ربه في المحراب ندا خفيا اى دعاء
سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله لانه ابعد من الريا
وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه ليلا يلام في طلب الولد في زمن الشيخوخة
وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله قال رب اني وهن
العظم مني وقيل اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الراس اى ابيض الشعر
شيبا اى شمطا ولم اكن بدعائك رب شقيا اي دعوتني الاجابة فيما
مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان امنت ولم اشق بترك
الايمان واني خفت الموالي من ورائي اى من بعد موتي والموالي هم بنوا العم
وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة وكانت امراتي عاقرا
اي لا تلد فهب لي من لدنك وليا اى اعطني وليا مرضيا يرثني ويرث
من آل يعقوب اى وليا وارثا وقيل اراد به يرث مالي ويرث من آل
يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبورة
لان زكريا كان راس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبيا
لم يورثوا المال وانما ورثوا العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبياء ان
يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله
ويغيروا احكامه وذلك انه لما شاهد من بني اسرايل من تبديل الدين

وقتل الانبيا فسال ربه ولدا صالحا يا منه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا
يضيع وهذا قول ابن عباس **واجعله رب رضيا** اي برا تقيا قوله تعالى
يازكريا المعنى فاستجاب الله له دعاه فقال يا زكريا **انا نبشرك بغلام**
اي بولد **اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا** اي لم يسم احد قبله يحيى وقيل
معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط
وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل ولم يرد الله تعالى بذلك
اجتماع الفضايل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا
قبله وهما افضل منه **قال رب انى يكون** اى من اين يكون **لى غلام وكانت**
امراتى عاقرا اى وامراتي عاقر **وقد بلغت من الكبر عتيا** اي يبسا
يريد بذلك نحول الجسم ورقة العظم ونحول الجلد **قال كذلك قال ربك**
هو على هين اى يسير **وقد خلقتك من قبل** اى من قبل يحيى **ولم تك**
شيا قال رب اجعل لى اية اى دلالة على امراتى **قال ايتك** اى علامتك
الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا اى صحيحا سليما من غير ما باس
ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر
يتكلم فيها مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه **قوله عز وجل**
فخرج على قومه من المحراب اى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان
الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون
ويصلون اذا خرج عليهم زكريا متغيرا لونه فانكروه وقالوا مالك
فاوحى اليهم اي فاوحى واشار اليهم وقيل كتب لهم فى الارض **ان سبحوا**
اى صلوا لله **بكرة وعشيا** المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا
فيامرهم بالصلاة اشارة قوله تعالى **يا يحيى** فيه اضمار معناه ووهبنا
له يحيى وقلنا له يا يحيى **خذ الكتاب** اى خذ التوراة **بقوة** اى بجد
واجتهاد **واتيناه الحكم** قال ابن عباس يعنى النبوة **صبيا** وهو ابن
ثلاث سنين وهو ان الله تعالى احكم عقله واوحى اليه فان قلت
كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت
اصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا يمتنع صيرورة
الصبى نبيا وقيل اراد الحكم فهم الكتاب فقرا التوراة وهو صغير وعن
بعض السلف قال من قرا القران قبل ان يبلغ فهو من الحكم صبيا
وحنانا من لدنا اى رحمة من عندنا قال الحطية يخاطب عمر بن
الخطاب رضى الله عنه • •
• تحنن على هداك المليك • فان لكل مقام مقالا •
اى ترحم على **وزكاة** قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص
وقيل العمل الصالح ومعنى الاية واتيناه رحمة من عندنا وتحننا على

العباد وليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه **وكان تقيا**
اي مسلما خالصا وكان من تقواه انه لم يعمل خطية قط ولا هم بها **وبرا**
بوالديه اى برا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله
اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا الاية **ولم يكن جبارا** الجبار المتكبر وقيل
الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على
نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه من يلزمه قضا لاحد **عصيا** هو
ابلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو
من صفات المومنين **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث**
حيا معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال
ساير بنى ادم ويوم يموت امان له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا
اى من عذاب القيامة وقيل اوحش ما يكون الخلق فى ثلاث مواطن
يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما
ما شاهدهم ويوم يبعث لانه يرى محشرا عظيما فاكرم الله يحيى فى
هذه المواطن فخصه بالسلامة فيها **قوله عز وجل** **واذكر**
فى الكتاب اى فى القران **مريم اذ انتبذت** اى تنحت واعتزلت **من**
اهلها اى من قومها **مكانا شرقيا** اى مكانا فى الدار مما يلى المشرق
وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست فى مشرقة تفلى راسها
وقيل ان مريم قد كانت طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل
ولهذا المعنى اتخذ النصارى المشرق قبلة **فاتخذت** اى فضربت **من دونهم**
حجابا قال ابن عباس سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت
تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت
عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها
جبريل فى صورة شاب امرد وضى الوجه سوى الخلق فذلك قوله **فارسلنا**
اليها روحنا يعنى جبريل **فتمثل لها بشرا سويا** اى سوى الخلق لم ينتقص
من الصورة الادمية شيا وانما مثل لها فى صورة الانسان لتانس
بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملايكة لنفرت عنه ولم
تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جا فى صورة
بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رات مريم جبريل عليه السلام يقصد
نحوها بادرته من بعيد **قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا**
اى مومنا مطيعا لله تعالى تعوذها من ذلك الصورة الحسنة على
عفتها وورعها فان **قلت** انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان
كنت تقيا **قلت** هذا القول القايل ان كنت مومنا فلا تظلمنى

اى ينبغي ان يكون ايمانك مانعالك من الفجور **قال** لها جبريل **انما انا رسول ربك لِيَهَب لك** اسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل به **غلاما زكيا** قال ولدا صالحا طاهرا من الذنوب **قالت** مريم **انى يكون** اى من اين يكون **لى غلام ولم يمسسنى بشر** اى لم يقربنى زوج **ولم اك بغيا** اى فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح او سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما **قال** جبريل **كذلك قال ربك** اى هكذا قال ربك **هو على هين** اى خلق بلا اب **ولنجعله اية للناس** اى علامة لهم ودلالة على قدرتنا **ورحمة منا** اى ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم **وكان امرا مقضيا** اى محكوما مفروغا منه لا يغير ولا يبدل

قوله عز وجل **فحملته** قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب وقيل نفخ فى كمها وقيل فى ذيلها وقيل فى فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام فى الحال **فانتبذت به** اى فلما حملت تنحت بالحمل وانفردت **مكانا قصيا** اى بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادى وهو وادى بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومه وقيل كانت مدة حملها تسعة اشهر كحمل النسا وقيل كان مدة حملها تسعة اشهر ثمانية وذلك لانه احرى لانه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة اشهر وهى بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشر وقيل ستة عشر سنة وكانت قد حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد عبادة واجتهادا منهما واول من عرف بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا فى امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبرئها راى الذى ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه وقع فى نفسى من امرك شى وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرايت ان اتكلم به اشفى صدرى فقالت قولا جميلا قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرعا بغير بذر وهل ينبت شجرا من غير غيث وقد يكون ذلك من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تعلم ان الله انبت الشجرة بالقدرة

من غير غيث او تقول ان الله لا يقدر ان ينبت الشجرة حتى استعان بالما ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكن اقول ان الله يقدر على ما يشا يقول له كن فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلا الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنا ولادتها اوحى الله اليها ان اخرجى من ارض قومك فذلك قوله فانتبذت به مكانا قصيا **قوله عز وجل** **فاجاءها المخاض** اى الجاها وجاها وجع الولادة **الى جذع النخلة** وكانت نخلة يابسة فى الصحرا فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجات اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة **قالت يا ليتنى مت قبل هذا** تمنت الموت استحيا من الناس وخوف الفضيحة **وكنت نسيا منسيا** اى شيا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق **فناداها من تحتها** قيل ان مريم كانت على اكمة وجبريل ورا الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها **ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا** اى نهرا قال ابن عباس ضرب جبريل وقيل عيسى برجله فظهرت عين ما عذبة وجرا وقيل كان هناك نهرا يابسا اجرى الله فيه الما وحييت النخلة اليابسة فاورقت واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اى يامرك ان امرتيه ان يجرى جرى وان امرتيه الامساك امسك • وقيل معنى سريا اى عيسى وكان عبدا سريا **وهزى اليك** اى حركى **بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجا اوان اجتنائه قال الربيع بن خثيم ما للنسا عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل **فكلى واشربى** اى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر **وقرى عينا** اى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك اى صادف مرادك ما يرضيك فتقر عينك من النظر الى غيره **فاما ترين من البشر احدا** معناه يسالك عن ولدك **فقولى انى نذرت للرحمن صوما** اى صمتا قيل كان فى بنى اسرايل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله تعالى امرها ان تقول هذا اشارة وقيل امرها ان تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت عن الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى

عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون اقوى بحجتها لازالة ذلك
التهمة عنها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى
الثانى كراهة مجادلة السفها وفى ان السكوت عن السفيه واجب
فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها كانت تكلم الملايكة ولا تكلم الانس
قوله تعالى **فاتت به قومها تحمله** قيل انها لما ولدت عيسى حملته فى
الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى
غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفسها ثم حملته الى
قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا اماه ابشرى فانى عبد الله
ومسيحه فلما دخلت الى اهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا
اهل بيت صالحين **قالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا** اى عظيما
منكرا وقيل معناه جيت بامر عظيم عجيب بديع **يا اخت هارون**
اى يا شبيهة هارون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرايل شبهت به
فى عفتها وصلاحها وليس المراد منه الاخوة فى النسب قيل انه
تبع جنازته يوم مات الفا من بنى اسرايل كلهم يسمى هارون سوى
ساير الناس **م** عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت بخراسان
سالونى فقالوا انكم تقرون يا اخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا
وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك
فقال انهم يسمون بانبيايهم والصالحين قبلهم وقيل كان هارون
اخا مريم لابيها وقيل كان من اصل رجل لبنى اسرايل وقيل انما عنوا
هارون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا اخا تميم
وقيل كان هارون فاسقا فى بنى اسرايل اعظم الفسق فشبهوها به
ما كان ابوك اى عمران **امرا سوء** قال ابن عباس زانيا **وما كانت
امك بغيا** يعنى حنه بغيا اى زانية فمن اين لك هذا الولد **فاشارت
اليه** اى اشارت مريم الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها
حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه
غضب القوم وقالوا لما فعلت تسخرين بنا ثم **قالوا كيف نكلم من
كان فى المهد صبيا** قيل اراد بالمهد حجرها وقيل هو المهد بعينه
وقيل هو معنى هو قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم
وقيل لما اشارت اليه ترك الرضاع واتكى على يساره واقبل عليهم
وجعل يشير بيمينه و**قال انى عبد الله** قال وهب اتاها زكريا عند
مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطلق بحجتك ان كنت امرت بها
فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل يوم ولد
انى عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم لئلا يتخذ

لها

لها فان قلت انا الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت
نفى التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات
عبودية لله تعالى قلت لانه جعل ازالة التهمة عن الله
تعالى اولى من ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه
الرتبة العظيمة من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه
لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى وكان الاشتغال بذلك اولى
اتانى الكتاب وجعلنى نبيا قيل سيجعلنى ويوتينى الكتاب
وهذا اخبار عما كتب فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلى الله عليه
وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وادم بين الروح والجسد وقال
الاكثرون انه اوتى الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال
الكمل وعن الحسن انه قال الهم التوراة وهو فى بطن امه **وجعلنى
مباركا اينما كنت** اى نفاعا حيث ما توجهت وقيل معلما للخير
ادعوا الى الله والى توحيده والى عبادته وقيل مباركا على من يتبعنى
واوصانى بالصلاة والزكاة اى امرنى بهما وكلفنى فعلهما فان قلت
كيف يامر بالصلاة والزكاة فى حال طفوليته وقد قال عليه الصلاة
والسلام رفع القلم عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحديث قلت
ان قوله اوصانى بالصلاة لا يدل على انه تعالى اوصاه بادايها فى
الحال بل المراد اوصاه بادايهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ
وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا وهذا
القول اظهر لقوله فى سياق الاية **ما دمت حيا** فانه يفيد ان هذا
التكليف متوجه عليه فى جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع
الى السما وحين ينزل الى الارض بعده فيه **وبرا بوالدتى** اى وجعلنى
برا بوالدتى **ولم يجعلنى جبارا شقيا** اى عصيا لربه متكبرا على
الخلق بل انا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وانا صغير فى
نفسى قال بعض العلما لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلى هذه
الاية وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب **والسلام على يوم ولدت**
اى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان **ويوم اموت** وعند
الموت من الشرك **ويوم ابعث حيا** اى من اهوال القيامة فلما كلمهم
عيسى بهذا علموا براة مريم ثم سكت عيسى بعد ولم يتكلم حتى بلغ
المدة التى يتكلم فيها الاطفال **ذلك عيسى ابن مريم** اى الذى قال
انى عبد الله عيسى بن مريم **قول الحق** اى هذا الكلام هو القول الحق
اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى ذلك عيسى بن مريم
كلمة الله الحق والحق هو الله **الذى فيه يمترون** اى يشكون ويختلفون

فقايل يقول هو ابن الله وقايل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى
ما كان لله ان يتخذ من ولد اي وما كان من صفته اتخاذ الولد
ولا ينبغي له سبحانه اذا قضى امرًا اى اذا اراد ان يحدث امرا
اذا قضى امرًا فانما يقول له كن فيكون اى لا يتعذر عليه اتخاذه
على الوجه الذى اراده وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا اخبار
عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان ربي وربكم لا رب للمخلوقات
سواه هذا صراط مستقيم اى هو الذى اخبرتكم به ان الله امرني
به هذا صراط مستقيم يودى الى الجنة فاختلف الاحزاب من
بينهم يعنى النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر
عيسى النسطورية والملكانية والمار يعقوبية فويل للذين
كفروا من عذاب يوم عظيم يعنى يوم القيامة اسمع بهم وابصر
يعنى ما اسمعهم وابصرهم يوم القيمة حتى لا ينفعهم السمع والبصر
اخبرانهم يسمعون ويبصرون بما يسوءهم ويصدع قلوبهم يوم ياتو
اى يوم القيمة لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين قيل اراد باليوم
الدنيا يعنى انهم فى الدنيا فى خطا بين وقيل فى الاخرة بغير قول
الحق وقيل معناه لكن الظالمون فى الاخرة فى ضلال عن طريق
الجنة بخلاف المومنين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة يعنى
خوف يا محمد كفار مكة بيوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا
احسن العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان يدل عليه ما روي
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا
ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون
ازداد وان كان مسيا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذي قوله
ان لا يكون نزع النزع عن الشى الكف عنه • وقال اكثر المفسرين
يعني يوم الحسرة حتى يذبح الموت ق عن ابى سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت كهيئة كبش
املح فينادى مناديا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل
تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راوه فينادى فيذبح
بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل
النار خلود بلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر
وهم فى غفلة وهم لا يومنون واشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي
فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات
حزنا لمات اهل النار • قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط ه

بالبياض والسواد قوله فيشرئبون يقال اشرات الى الشى اذا تطلع
ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم
ان الموت عرض ليس بجسم فى صورة كبش او غيره فعلى هذا يتاول
الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح
فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال اهل الجنة
والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال ق عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة للجنة
واهل النار الى النار جي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح
ثم ينادي مناديا يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت
فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار حزنا الى حزنهم
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
احد الجنة الا اري مقعده من النار لو اسا ليزداد شكرا ولا
يدخل النار احد الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه
حسرة اخرجه الترمذي • قوله تعالى اذ قضى الامر اى فرغ من
الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت
وهم فى غفلة اى عما يراد بهم فى الاخرة وهم لا يؤمنون اى لا يصدقون
انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نميت سكان الارض جميعا ونبقى
الرب سبحانه وحده فنرثهم والينا يرجعون نجزيهم باعمالهم
قوله عز وجل واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا
اى كثير الصدق وهو مبالغة فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصد
وقيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق
بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق فلما قرب
رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى كونه نبيا
والنبي العالي فى الرتبة بارسال الله اياه واى رتبة اعلا من رتبة من
جعله الله واسطة بينه وبين عباده اذ قال لابيه يعنى ازر وهو
يعبد الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع يعنى صوتا ولا يبصر شيا
ولا يغني عنك اى يكفيك شيا وصف الاصنام بثلاثة اشيا كل واحد
منها قادح فى الالوهية وذلك ان العبادة هى غاية التعظيم للعبودية
فلا يستحقها الا من له غاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى
فلا يستحق العبادة الا اياه يا ابت انى قد جاءنى من العلم بالله والمعرفة
ما لم ياتك فاتبعنى اى على دينى انجيك من ان تضل اهدك صراطا
سويا اى مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان اى لا تطعه فيما زين لك
من الكفر والشرك ان الشيطان كان اى هو للرحمن عصيا اى عاصيا

يقـ
لنا

يا ابت اني اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن ان تومن فتكون من اهل الجنة او تصير على الكفر تكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جايزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر على الاقدام على ما لا ينبغي فقوله اني اخاف **ان يمسك** اي يصيبك **عذاب من الرحمن** اي ان اقمت على الكفر **فتكون للشيطان وليا** اي قرينا في النار وقيل تاليا له في النار وانما فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها لشدة تعلق قلبه لصلاحية ابيه واداحق الابوة والرفق بهم به وثانيها ان النبي الهادي الى الحق لابد ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب بالاولى **قال** يعني اباه مجيبا له **اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم** اي تاركها انت وتارك عبادتها **لين لم تنته** اي تسكت وترجع عن سب الهتنا وشتمك اياها **لارجمنك** قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح **واهجرني** اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة **مليا** اي دهرا طويلا **قال** يعني ابراهيم **سلام عليك** اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك انه لم يومر بقتاله على كفره وقيل هو سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه **ساستغفر لك ربي** قيل انه لما اعياه امره وعده انه يراجع فيه فيسال له ان يرزقه التوحيد ويغفر له معناه ساسال ربي لك توبة تنال بها المغفرة **انه كان بي حفيا** اي برا لطيفا والمراد انه يستجب لي ان ادعوه لانه عودني الاجابة لدعاي **واعتزلكم وما تدعون من دون الله** اي افارقكم وافارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر من كوثا الى الارض المقدسة **وادعوا ربي** اي اعبد ربي الذي خلقني وانعم علي **عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا** اي ارجوا ان لا اشقى بدعا ربي وعبادته كما تشقون انتم بعبادة الاصنام ففيه من التواضع له مع التعريض بشقاوتهم **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله** اي ذهب مهاجرا **وهبنا له** اي بعد الهجرة **اسحاق ويعقوب** انسا وحشته من فراقهم باولاد كرام على الله **وكلا**

جعلنا

جعلنا نبيا اي انعمنا عليهما بالنبوة **ووهبنا لهم من رحمتنا** اي فكما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد **وجعلنا لهم لسان صدق عليا** يعني ثنا حسنا فيقال في اهل كل دين حتى ادعاه اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليه قوله عز وجل **واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا** قرى بكسر اللام اي اخلص العبادة والطاعة لله عز وجل ولم يراي وقرى بالفتح اي مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه واصطفاه **وكان رسولا نبيا** هذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا ينعكس **وناديناه من جانب الطور الايمن** اي من ناحية يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين وراي النار فنودي يا موسى اني انا الله رب العالمين **وقربناه نجيا** قال ابن عباس قربه فكلمه ومعنى التقرب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صريف الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته وشرفناه بالمناجاة وهو قوله وقربناه نجيا اي ناجيا **ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا** وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي فاجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون اكبر من موسى. قوله عز وجل **واذكر في الكتاب اسماعيل** ابن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم **انه كان صادق الوعد** قيل انه لم يعد شيا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقيم مقامه حتى يرجع الرجل فقعد اسماعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع الرجل وقيل انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله تعالى بهذا الخلق الحسن الشريف سيل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسيل بعضهم عن مثل ذلك ان وعده في وقت صلاة انتظره الى وقت صلاة اخرى **وكان رسولا** الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسماعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وهم جرهم بن يقطن وهم قحطان بن عامر بن شالخ وقحطان ابو قبايل اليمن **نبيا** اي مخبرا عن الله عز وجل **وكان يامر اهله** اي قومه وقيل جميع امته **بالصلاة والزكاة** قال ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدا باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم

وكان عند ربه مرضيا اي قايما لله بطاعته وقيل رضيه
لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله
هو الفايز في كل طاعته باعلا الدرجات **قوله عز وجل**
واذكر في الكتاب ادريس وهو جد ابي نوح واسمه اخنوخ
سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط
بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون
الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وهو اول من نظر
في علم الحساب **انه كان صديقا نبيا** وذلك ان الله تعالى شرفه
بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة **ورفعناه مكانا عليا**
قيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السما
وهو الاصح يدل عليه ما روى انس بن مالك عن مالك بن
صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس في السما
الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس
الى السما الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه مر ذات
يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما
فكيف بمن يحملها مسيرة خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف
عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس
وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي
قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك
حملها وحرها فاجبته قال يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل
بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس
يساله فكان مما ساله ان قال اني اخبرت انك اكرم الملايكة
واميلهم وامكنهم عند ملك الموت فاستشفع لي اليه ليوخر
اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يوخر الله نفسا
اذا جا اجلها وانا مكلمه فرفعه الى السما ووضعه عند مطلع
الشمس ثم اتى ملك الموت فقال لي اليك حاجة صديق
لي من بني ادم تشفع بي اليك لتوخر اجله فقال ملك
الموت ليس ذلك الي ان احببت علمته اجله فيقدم لنفسه
قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه
يموت ابدا قال وكيف ذلك قال لا اجده يموت الا عند مطلع
الشمس قال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك
تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من اجل ادريس شي فرجع
الملك فوجده ميتا • قال وهب كان يرفع لادريس من

العبادة كل يوم مثل ما يرفع لاهل الارض في زمانه فعجب منه
الملايكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته
فاذن له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم الدهر فلما
كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل معه ففعل ذلك
ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد
ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك
فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فاوحى الله
اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه في ساعة
فقال له ملك الموت ما الفايدة في سوالك قبض الروح قال
لاذوق كرب الموت وغمته فاكون اشد استعدادا له ثم قال له
ادريس ان لي اليك حاجة قال وما هي قال ترفعني الى السما
لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب
من النار قال له لي اليك حاجة قال تسال ما لكا حتى يفتح
ابوابها فاردها ففعل فقال اريتني النار فارني الجنة فذهب
الى الجنة ففتح له ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك
الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج
منها فبعث الله ملكا حكما بينهما قال له الملك ما لك لا
تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذايقة الموت وانا
ذقته وقال وان منكم الا واردها وانا وردتها وقال وما هم
منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله الى ملك الموت
باذني دخل الجنة وبامري لا يخرج فهو حي هناك فذلك
قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السما
ام ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا اربعة
من الانبيا في الاحيا اثنان في الارض وهما الخضر والياس
واثنان في السما وهما عيسى وادريس • قوله عز وجل **اوليك**
الذين انعم الله عليهم من النبيين اوليك اشارة الى المذكورين
في هذه السورة انعم الله عليهم من النبوة وغيرها مما تقدم
وصفه **من ذرية ادم** يعني ادريس ونوحا **وممن حملنا مع نوح**
اي من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه
من ولد سام بن نوح **ومن ذرية ابراهيم** يعني اسماعيل واسحق
ويعقوب **واسرايل** اي ومن ذرية اسرايل وهو يعقوب وهم
موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فرتب الله تعالى احوال
الانبيا الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما

شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى **وممن هدينا واجتبينا**
اى هولا ممن ارشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام
واجتبينا على الانام **اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا**
اي جمع ساجد **وبكيا** جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبيا عليهم
السلام كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا
وخوفا وحذرا والمراد من الايات ما خصهم به من الكتب
المنزلة عليهم وقيل المراد بالايات ذكر الجنة والنار والوعد
والوعيد ففيه استحباب البكا وخشوع القلب عند سماع القران
فصل وسجدة سورة مريم من عزايم سجود القران
فيسن للقارى والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل
يستحب لمن قرا اية فسجد ان يدعوا بما يناسب تلك السجدة فان
قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين
لك وان قرا سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم
عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجد
سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك
المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك
قوله تعالى **فخلف من بعدهم** اي من بعد النبيين المذكورين
خلف اى قوم سوء اراد بهم اليهود ومن لحقهم وتابعهم وقيل هم
في هذه الامة **اضاعوا الصلاة** اى تركوا الصلاة المفروضة
وقيل اخروها عن وقتها وهو ان لا يصلي الظهر حتى ياتي العصر
ولا العصر حتى تغرب الشمس **واتبعوا الشهوات** اى اثروا الشهوات
شهوات انفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب
الخمر وقيل هولا قوم يظهرون في اخر الزمان ينزوا بعضهم على
بعض في الاسواق والازقة **فسوف يلقون غيا** قال ابن عباس
الغي واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد للزاني
المصر عليه والشارب الخمر المدمن عليه ولاكل الربا الذي لا
ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في
جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في
جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بير يسمى البهيم كلما خبت
جهنم فتح الله تلك البير فتستعر بها وقيل معنى غيا خسرانا وقيل
هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع
والملابسة مع الروية **الا من تاب وامن وعمل صالحا** يعني الا
من تاب من التقصير في الصلاة والمعاصي وامن اى من الكفر وعمل

صالحا

صالحا بطاعة الله تعالى **فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا**
اى لا ينقصون شيا ثم وصف الجنة فقال تعالى **جنات عدن** اى
بساتين اقامة وصفها بخلاف جنات بساتين الدنيا فانها لا
تدوم **التي وعد الرحمن عباده بالغيب** اى انهم يروها فهي
غايبة عنهم وهم غايبون عنها **انه كان وعده ماتيا** اى اتيا وقيل
معنى وعده موعوده وهو الجنة ماتيا اى تاتيه اولياوه واهل
طاعته **لا يسمعون فيها لغوا** اى باطلا وفحشا وفضولا من الكلام
الا سلاما اى بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير
لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها
ما يولمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم
الملائكة عليهم **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** قال اهل التفسير
ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى تعرف بهما البكرة والعشي
بل هم في نور ابدا ولكن يوتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار
لعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب
ووقت الليل بارخا الحجب وقيل المراد منه رفاهة العيش
وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب
لا تعرف افضل من الرزق الذي يوتى به بالبكرة والعشي فوصف
الله الجنة بذلك **تلك الجنة التي نورث من عبادنا** اى نعطي
وننزل وقيل يورث عباده المومنين المساكن التي كانت لاهل
النار لو امنوا **من كان تقيا** اى المتقين من عباده ٥ قوله
عز وجل **وما نتنزل الا بامر ربك** عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا
فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
الاية قال فكان هذا جواب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس
جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سالوه عن الروح واصحاب
الكهف وذو القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله حتى
شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك
فقال له جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت
نزلت واذا احتبست احتبست فانزل الله وما نتنزل الا بامر
ربك وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى
وقوله **له ما بين ايدينا وما خلفنا** اى له علم ما بين ايدينا
وما خلفنا اى هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل

وقيل معناه له ما بين ايدينا من الاخرة والثواب والعقاب
وما خلفنا اى ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اى من هذا
الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين ذلك هو ما بين النفختين
وهو مقدار اربعين سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقى من الدنيا
وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وما كان
ربك نسيا اى ناسيا اى ما نسيك ربك وما تركك رب السموات
والارض وما بينهما اى من يكون ذلك لا يكون عليه النسيان
لانه لا بد ان يدبر احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل العبد
خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله عز وجل
فاعبده واصطبر لعبادته اى اصبر على امره ونهيه هل تعلم
له سميا قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا تسمى الله غيره
قوله تعالى ويقول الانسان اى جنس الانسان فالمراد به
الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو ابى بن خلف الجمحى وكان
منكرا للبعث ائذا ما مت لسوف اخرج حيا قال له استهزاء
وتكذيبا للبعث قال الله تعالى اولا يذكر الانسان اى يتذكر
ويتفكر يعنى منكرى البعث انا خلقناه من قبل ولم يك شيا
والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد فى بدو خلقه فيستدل به على الاعادة
قال بعض العلما لو اجتمعت كل الخلايق على ايراد حجة فى البعث
على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا
اهون من الايجاد اولا ثم اقسم بنفسه فقال تعالى فوربك وفيه تشريف
للنبى صلى الله عليه وسلم لنحشرنهم اى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين
المنكرين للبعث والشياطين اى مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر
مع شيطان فى سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال ابن
عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان
البارك على ركبتيه صورته صورة ذليل فان قلت هذا المعنى
حصل للكل بدليل قوله وترى كل امة جاثية قلت وصفوا
بالجثو على العادة المعهودة فى مواقف المقالات والمناقلات وذلك
لما كان فيه من القلق لما يدهمهم من شدة الامور التى لا يطيقون
معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم ثم لننزعن من كل
شيعة اى من كل امة واهل دين من الكفار ايهم اشد على الرحمن
عتيا قال ابن عباس يعنى جراة وقيل فجورا وتمردا وقيل قايدهم
ورئيسهم فى الشرك والمعنى انه يقدم فى ادخال النار الاعتى فالاعتى
ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفى بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا

حول

حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان اشد
منهم تمردا فى كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل
يجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره فى الضلال وفايدة
هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب
فلذلك قال فى جهنم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
ولا يقال اولى الا مع اشتراك القوم فى العذاب وقيل معنى الاية انهم
احق بدخول النار قوله عز وجل وان منكم الا واردها اى وما
منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر اى والله ما منكم من احد الا واردها
والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود هنا وفيما
تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون
معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر
والفاجر ثم ننجى الذين اتقوا منها يدل عليه ما روى ان نافع بن الازرق
روى عن ابن عباس فى الورود فقال ابن عباس هو الدخول
وقال نافع ليس الورود الدخول فقرا ابن عباس انهم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هولاء ام لا ثم قال
يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجنى الله منها وما
ارى ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المومنين النار
يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة
والسرور لان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان
قلت كيف يرفع عن المومنين حر النار وعذابها قلت
يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المومنون ويحتمل ان الله تعالى
يجعل الاجزا الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزا الملاصقة
لابدان المومنين تكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت فى حق
ابراهيم عليه السلام وكما ان الملايكة الموكلين لا يجدون المها
فان قلت اذا لم يكن على المومنين عذاب فما فايدة دخولهم
النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا
اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث
يرون المومنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم شاهدوا
العذاب الذى على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم
الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار
مومن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود
الحضور والروية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ما مدين اراد به

المحنون وقال عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها
وروى عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يعني القيمة والكنا
راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة فانهم جميعا يدخلون
النار ثم يخرج الله منها اهل النار الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي
الذين اتقوا اي الشرك وهم المومنون والنجاة انما تكون مما دخلت
فيه يدل عليه ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد
فتمسه النار الا تحلة القسم • وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم
اخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها
م عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شا الله تعالى من اصحاب
الشجرة احد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها
فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم يعدنا ربنا ان نرد
النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة • وفي الحديث
تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي • وروى عن
مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين
فقد وردها • وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار
ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فا
بردوها بالما • قوله فيح جهنم اي وهجها وحرها وقوله تعالى كان
على ربك حتما مقضيا اي كان ورودكم جهنم لازما قضاه الله تعالى
عليكم واوجبه ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك ونذر الظالمين فيها
جثيا اي جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الاية
دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في
النار بدليل ان الله تعالى بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من
ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار ابدا
واجيب عنه بان المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله
لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك من امن بالله ورسوله ان يقال
انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه
متق لان المتقي جزء من المتقي عن الشرك ومن صدق عليه المركب
صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك
وجب ان يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا

فصارت

فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلايل على فساد
قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت
احاديث تدل على اخراج المومن الموحد من النار خ عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا
الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا
الله وفي قلبه وزن برة من خير • ويخرج من النار من قال لا اله الا الله
وفي قلبه وزن ذرة من خير • وفي رواية من ايمان ق عن ابي هريرة
ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تمارون
في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل
تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم
ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيمة فيقول من كان يعبد شيا فليتبع
فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت
وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون
هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم الله فيقول
انا ربكم فيقولون انت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم
فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام
الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان
هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان
غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق
بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا اراد الله رحمة من اراد من
اهل النار امر الله الملايكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم
ويعرفونهم باثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اثر السجود
فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ما الحياة فينبتون
كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضا بين العباد ويبقى
رجل بين الجنة والنار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة يقبل بوجهه
قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها
واحرقني ذكاوها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسال غير
ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شا من عهد وميثاق فيصرف
الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة راى بهجتها سكت ما شا
الله تعالى ان يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول
الله اليس قد اعطيت المواثيق والعهود ان لا تسال غير الذي كنت
سالت فيقول يا رب لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت ان
اعطيت ذلك ان لا تسال غيره فيقول وعزتك لا اسال غير ذلك

فيعطي ربه ما شا من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ
بابها راى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شا الله
ان يسكت فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى
ويحك يا ابن ادم ما اغدرك اليس قد اعطيت العهد والميثاق
ان لا تسال غير الذي اعطيت فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك
فيضحك الله عز وجل منه ثم يوذن له في دخول الجنة فيقول تمن
من كذا وكذا اقبل يذكره به حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك
ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي هريرة لم احفظ من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال
ابو سعيد رضي الله عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة امثاله
وفي رواية للبخاري قال فياتيهم الله في الصورة في غير الصورة
التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا
حتى ياتينا ربنا فاذا اتانا عرفناه فياتيهم الله في الصورة التي
يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه **قلت**
اما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الروية فسياتي في
تفسير سورة نون والقيمة وتتكلم ههنا على شرح غريب الفاظه **قوله**
مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من اجود مراعي
الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال اوبقته الذنوب اي اهلكته
والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى ان تقطعه كلاليب
الصراط حتى يقع في النار **قوله** وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل هو
ان تذهب النار الجلد وتبدي العظم • قوله كما تنبت الحبة في حميل
السيل الحبة بكسر الحا وهي البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد
وما يلقيه الما على شاطيه • قوله قشبني ريحها اي اذاني والقشب
السم فكانه قال قد سممني ريحها • قوله واحرقني ذكاوها اي اشتعا
لها ولهبها • قوله راى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة
ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لاعلم اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل
يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فياتيها
فيخيل اليه انها ملاى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاى
فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فياتيها فيخيل اليه
انها ملاى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل
الدنيا وعشرة امثالها وان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول
اتسخر بي وانت الملك فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة
منزلة **قوله** حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل هي اخر
الانياب الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم
تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال
فيرش عليهم اهل الجنة من الما فينبتون كما ينبت الغثا في
حميل السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثا كلما جا به السيل
فدلت الاية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الاية الثانية
والاحاديث ان الله تعالى اخرج منها المتقين وجميع الموحدين
وترك فيها الظالمين وهم المشركون • قوله عز وجل **واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات** اي دلالات واضحات **قال الذين كفروا**
يعني النضر بن الحارث ودونه من كفار قريش **للذين امنوا**
يعني فقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة
وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون
شعورهم ويدهنون روسهم ويلبسون افخر ثيابهم **اي الفريقين
خير مقاما** اي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة **واحسن نديا**
اي مجلسه فاجابهم الله تعالى بقوله **وكم اهلكنا قبلهم من
قرن هم احسن اثاثا** اي متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا
ولباسا **وريا** اي منظرا من الروية **قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا** هذا امر بمعنى الخبر معناه ندعه في طغيانه
ونمهله في كفره **حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب** اي الاسر والقتل
في الدنيا **واما الساعة** يعني القيمة فيدخلون النار **فسيعلمون** اي
عند ذلك **من هو شر مكانا** اي منزلا **واضعف جندا** اي اقل ناصرا
والمعنى فسيعلمون ايهم خير اهم في النار ام المومنون وهم في الجنة
وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا •
قوله عز وجل **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** اي ايمانا وايقانا
على انفسهم **والباقيات الصالحات** اي الاذكار والاعمال الصالحة التي
تبقى لصاحبها **خير عند ربك ثوابا وخير مردا** اي عاقبة ومرجعا
قوله تعالى **افرايت الذي كفر باياتنا** الاية **ق** عن خباب بن الارت
قال كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وايل السهمي دين
فاتيته اتقاضاه وفي رواية فعملت للعاصي بن وايل سيفا فجيته اتقاضاه
فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر حتى يميتك الله ثم
تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى اموت

وابعث ساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذى كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله فردا الفتين الحداد ثم رد
عليهم بقوله اطلع الغيب قال ابن عباس انظر فى اللوح المحفوظ
وقيل اعلم علم الغيب حتى يعلم اهو فى الجنة ام لا ام اتخذ عند الرحمن
عهدا يعنى قال لا اله الا الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل
عهد اليه انه يدخله الجنة كلا يعنى رد عليه لم يفعل ذلك سنكتب
ما يقول اى سنحفظ عليه ما يقول فيجازيه به فى الاخرة وقيل
يامر الملايكة حتى يكتبوا اما يقول ونمد له من العذاب مدا
اى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه
ما يقول معناه اي ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه
وابطال ملكه وقيل نزول ما عنده من مال وولد فيعود الارث
الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فردا فذلك قوله ويأتينا يوم
القيمة فردا بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يعتذر فى الاخرة بمال
وولد قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة يعنى مشركى قريش
اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا اى منعة ليكونوا
شفعا ويمنعونهم من العذاب كلا اى ليس الامر كما زعموا سيكفرون
بعبادتهم يعنى يجحدون الاصنام والالهة التي كانوا يعبدونها
عبادة المشركين ويتبرؤن منهم ويكونون عليهم ضدا اى اعوانا عليهم
يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداءهم وكانوا اولياءهم فى الدنيا
قوله عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اى
سلطناهم عليهم تؤزهم ازا اى تزعجهم ازعاجا من الطاعات الى
المعصية والمعنى تحثهم وتحركهم على المعاصي تحريكا شديدا وفى
الاية دليل على ان الله مدبر لجميع الكاينات فلا تعجل عليهم اي
لا تعجل بطلب عقوبتهم انما نعد لهم عدا يعنى الليالى والايام
والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسونها فى الدنيا الى
الاجل الذي اجل لهم بعذابهم قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا اى اذكر لهم يا محمد الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا
بطاعته الى جنته جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة
على الابل وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه ما يحشرون والله
على ارجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجايب سروجها
يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت ونسوق المجرمين
اى الكافرين الى جهنم وردا اي مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم
من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش

وقيل

وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق
الى الماء عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاث طرايق راغبين وراهبين
واثنان على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار
تقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث
امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة
اصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قيل
يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم يا رسول الله قال الذي
امشاهم على اقدامهم قادر يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون
بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي قوله عز وجل
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى لا اله
الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا من
قال لا اله الا الله اى لا يشفع الا المؤمنين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملايكة بنات الله من العرب
لقد جئتم شيئا ادا قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا
عظيما تكاد السموات يتفطرن منه من الانفطار وهو الانشقاق
وتنشق الارض اى تخسف بهم وتخر الجبال هدا اي تسقط وتنطبق
عليهم ان دعوا اي من اجل ان دعوا للرحمن ولدا فان قلت
ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن
اين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات قلت فيه وجهان
احدهما ان الله تعالى يقول للشىء كن فيكون كدت افعل كذا بالسموات
والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه
بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة • الثاني ان يكون استعظاما
للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين وهدمها
لاركانه وقواعده • قال ابن عباس رضى الله عنه فزعت السموات
والارض والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين وكادت ان تزول
وغضبت الملايكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولدا ثم نزه
الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى وما ينبغى للرحمن
ان يتخذ ولدا اى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد
لا بد ان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد
انما يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سروره به واستعانة وذكر
جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ان كل من فى السموات

والارض الا اتى الرحمن عبدا اي اتيه يوم القيمة عبدا ذليلا خاضعا
والمعني ان الخلايق كلهم عبيده لقد احصاهم وعدهم عدا اي
عد انفاسهم وايامهم واثارهم فلا يخفى عليه شى من امورهم وكلهم
تحت تدبيره وقهره وقدرته وكلهم اتيه يوم القيمة فردا اى وحيدا
ليس معه من احوال الدنيا شى قوله عز وجل ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اى محبة قيل يحبهم الله
ويحببهم الى عباده المومنين ق عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا دعى جبريل
عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادى
جبريل فى اهل السما ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما
ثم يوضع له القبول فى الارض واذا ابغض الله عبدا دعى جبريل
عليه السلام فيقول انى ابغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له
البغضا فى الارض قال هرم بن حسان ما اقبل عبد بقلبه على الله
عز وجل الا اقبل الله بقلوب المومنين اليه حتى يرزقه مودتهم
وقال كعب مكتوب فى التورية لا محبة لاحد فى الارض حتى يكون
ابتداوها من الله ينزلها على اهل السما ثم على اهل الارض وتصديق
ذلك فى القران سيجعل لهم الرحمن ودا قوله تعالى فانما يسرناه
اي سهلنا القران بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعنى المومنين
وتنذر به اي بالقران قوما لدا اي شدادا فى الخصومة وقيل صما
عن الحق وقيل الالد الظالم الذى لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى
الباطل وكم اهلكنا قبلهم من قرن ختم الله هذه السورة بموعظة
بليغة لانهم اذا علموا وايقنوا انه لابد من زوال الدنيا بالموت
خافوا ذلك العاقبة وخافوا سوء العاقبة فى الاخرة فكانوا الى
الحذر من المعاصى اقرب لذلك فقال تعالى هل تحس منهم اي هل
ترى وقيل هل تجد منهم اي من القرون من احد او تسمع لهم ركزا
اى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر والله اعلم

• تفسير سورة طه عليه السلام وهى مكية •

وهى مائة واربعة وقيل خمس وثلاثون اية والف وستمائة وواحد
واربعون كلمة وخمسة الاف ومائتان واثنان واربعون حرفا • عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التى
ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح
موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش
واعطيت المفصل نافلة النافلة الزايده بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طه قيل هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو اسم
من اسما الله فالطا افتتاح اسمه طاهر والها افتتاح اسمه هادى
وقيل معناه يا رجل والمراد به الانسان وهو النبى صلى الله عليه وسلم
وكذلك يا انسان • وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا
يكون قد اتفقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو
يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبايل العرب • وقيل معناه
طئ الارض بقدمك يريد به التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح
بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل
الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى • وقيل لما راى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا
ما انزل عليك القران يا محمد الا لشقايك فنزلت ما انزلنا عليك
القران لتشقى اى لتتعنى وتتعب الا تذكرة لمن يخشى اى لكن
انزلناه عظة لمن يخشى واخص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون
بها تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى اى من الله الذي
خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى لا يقدر على خلقها
فى عظمها وعلوها الا الله تعالى الرحمن على العرش استوى
تقدم الكلام عليه فى سورة الاعراف مستوفى له ما فى السموات
وما فى الارض وما بينهما يعنى الهوى وما تحت الثرى اي انه ملك
لجميع ما فى الاربعة اقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه
ما وارى الثرى من شى • وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر
الثور والثور على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر
على صخرة خضرا خضرت السما منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى
فى قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم
ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه اذا
جعل الله البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا
وقعت فى جوفه يبست قوله تعالى وان تجهر بالقول اى تعلن به
فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما تسر فى نفسك واخفى
من السر ما يلقيه الله فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به
نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما
اسررت به اليوم وما تسر به غدا • وعنه ان السر ما اسر به ابن ادم
فى نفسه واخفى ما عليه مما هو فاعله قبل ان يعمله وقيل السر هو
العمل الذى يسر من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم

الله تعالى اسرار العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره
وقيل مقصود الاية زجر المكلف عن القبايح ظاهرة كانت او باطنة
والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا الوجه
ينبغي ان يحمل السر والاخفا على ما فيه ثواب او عقاب فالسر هو
الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفا هو
الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى **الله لا اله
الا هو له الاسما الحسنى** تانيث الاحسن والذي فضلت به اسماوه
في الحسن ساير الاسما دلالتها على معاني التقديس والتمجيد
والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله
تعالى **وهل اتاك حديث موسى** اي وقد اتاك لما تقدم ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام
لياتس به في تحمل اعبا النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على
مقاسات الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود
اذ راى نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا في الرجوع يريد ان
يرجع من مدين الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن له فخرج
باهله وماله وكانت ايام الشتا فاخذ على غير الطريق مخافة
ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا يدري الليلا تضع ام
نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فالجاه المسير الى جانب
الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة
البرد لما اراد الله من كرامته فاخذ امراته الطلق فاخذ زنده فجعل
يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب
الطور **فقال لاهله امكثوا** اي اقيموا **اني انست نارا** يعني ابصرت
نارا **لعلي اتيكم منها بقبس** اي شعلة من نار في طرف عود **او اجد
على النار هدى** اي اجد عند النار من يدلني على الطريق **فلما اتاها**
اي اتى النار راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها اطافت لها نارا
بيضا تتقد كاضوا ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجر ولا
خضرة الشجرة تغير ضوء النار وقيل كانت الشجرة سمرة خضرا وقيل
كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة
العناب روي ذلك ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي
راه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام
حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب تبارك وتعالى وقيل
هي النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى يدل عليه ما روي
عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه

واخاه

النار

النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
اخرجه مسلم قيل ان موسى اخذ شيا من الحشيش اليابس وقصد
الشجرة فكان كلما دنا نات منه واذا نای دنت منه فوقف متحيرا
وسمع تسبيح الملايكة والقيت عليه السكينة **نودي يا موسى
اني انا ربك** قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب
سريعا ولا يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري
مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك
واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله فايقن به وقيل
انه سمع بكل اجزايه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقوله
فاخلع نعليك كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا
في قوله اخلع نعليك قال كانا من جلد حمار ميت وروي غير
مدبوغ وانما يخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل امره بخلعهما
ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة فينال بركتها لانها قدست
مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من ورا الوادي **انك بالوادي
المقدس** اي المطهر **طوى** اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى
واد مستدير عميق مثل المطوي في استدارته **وانا اخترتك** اي
اصطفيتك برسالاتي وبكلامي **فاستمع لما يوحى** فيه نهاية الجلال
والهيبة له كانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتاهب له **انني انا
الله لا اله الا انا فاعبدني** ولا تعبد غيري **واقم الصلاة لذكري** اي
لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص
ذكري وطلب رحمتي ولا ترايي بها ولا تقصد بها غرضا اخر وقيل
معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها و عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها
لا كفارة لها الا ذلك وتلى قتادة واقم الصلاة لذكري وفي رواية
اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان
الله عز وجل يقول واقم الصلاة لذكري **ان الساعة اتية اكاد
اخفيها** قال اكثر المفسرين اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها
مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في
الكتمان للشي يقولون كتمت سرك في نفسي اي اخفيته غاية الاخفا
والله تعالى لا يخفى عليه شي والمعنى في اخفايها التهويل والتخويف
لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها في كل وقت
وكذلك المعنى في اخفا وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف
وقت موته وانقضا اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك

الوقت يتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف
وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لايزال على قدم الخوف
والوجل فيترك المعاصي او يتوب عنها في كل وقت مخافة معاجلة
الاجل قوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** اي بما تعمل من خير وشر
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اي فلا يصرفنك عن الايمان
بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها **واتبع هواه** اي مراده وخالف
امر الله **فتردى** اي فتهلك قوله عز وجل **وما تلك بيمينك**
يا موسى سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصى
حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة **قال هي عصاي** قال
كان لها شعبتان في اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة **اتوكا**
عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت وعند الوثبة **واهش**
بها على غنمي اي اضرب الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه
الغنم **ولي فيها مآرب اخرى** اي حاجة ومنافع اخرى واراد
بالمآرب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها
الحبل ويستقي بها الما من البير ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع
ويستظل بها اذا قعد • وروي عن ابن عباس ان موسى كان يحمل
عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض
فتخرج له ما يوكل يومه ويركزها فتخرج الما فاذا رفعها ذهب الما
فكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصن تلك الشجرة واورقت
واثمرت واذا اراد الاستقاء من البير ادلاها فطالت على طول البير
شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضي بالليل كالسراج واذا ظهر
له عدو كانت تحارب وتناضل عنه قال الله تعالى **قال القها يا موسى**
اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول
ارفضها **فالقاها** اي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه
نظرة **فاذا هي حية** صفرا من اعظم ما يكون من الحيات **تسعى** اي
تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع اخر كانها جان وهي الحية
الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر كانها ثعبان وهو اكبر
ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير
والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتدا حالها فانها كانت حية
على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو
انتها حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال
محمد بن اسحاق نظر موسى فاذا العصا حية من اعظم ما يكون وصارت
شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها

يتقدان

يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها
وتقتصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لاسنانها صريفا عظيما
فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فاستحيا منه ثم
نادي يا موسي اقبل ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف **قال**
خذها اي بيمينك **ولا تخف** قيل كان خوفه لما عرف ما لقي ادم من
الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ طمانينة نفسه وذهب الخوف
عنه اذا ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها **سنعيدها سيرتها**
الاولى اي الى هيئتها فنردها عصى كما كانت وقيل كان على موسى
مدرعة صوف فدخلها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف
طرف المدرعة على يده فامره الله تعالى ان يكشف يده فكشفها وذكر
بعضهم انه لما لف كم المدرعة قالت له تلك ارايت لو امر الله بما
تحاذره اكانت المدرعة تغني عنك شيا قال لا ولكن ضعيف من
ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي
عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا
توكا • قال المفسرون اراد الله ان يري موسى ما اعطاه من الاية
التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها فرعون
قوله تعالى **واضمم يدك الى جناحك** اي الى ابطك وقيل تحت عضدك
تخرج بيضا اي نيرة مشرقة **من غير سوء** اي من غير عيب والسوء
ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضي بالليل
والنهار كضوء الشمس والقمر **اية اخرى** اي دلالة اخري على صدقك
سوي العصا **لنريك من اياتنا الكبرى** قال ابن عباس كانت يد موسى
اكبر اياته قوله تعالى **اذهب الى فرعون انه طغى** اي جاوز الحد في
العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا
الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى وقال
وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي
وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البسك جنة من
سلطاني تستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف من
خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم
بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة
جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الي
عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان
ناصيته بيدي ولا يتنفس الا بعلمي قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك وقال
له اجب ربك **قال** يعني موسى **رب اشرح لي صدري** اي وسع للحق

قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف
فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما
كلف من مقاومة فرعون وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه
للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم
ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري
اى سهل على ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل عقدة
من لساني وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره
فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامراته اسية ان هذا
عدوى واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبى لا يعقل وقيل ان ام
موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشا فى حجره وحجر امراته يربيانه
واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب اذ
رفعه فضرب به راس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم
بقتله فقالت اسية ايها الملك انه صبى لا يعقل جربه ان شيت
فجات بطستين فى احدهما جمر وفى الاخر جوهر فوضعهما بين يدى
موسى فاراد ان ياخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر
فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة يفقهوا
قولى اي احلل العقدة كى يفقهوا قولى واجعل لي وزيرا من اهلي اي
معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك
ثم بين من هو فقال هارون اخى وكان هارون اكبر من موسى وافصح
لسانا واجمل واوسم وكان ابيض اللون وكان موسى ادمى اقنى جعدا
اشدد به ازرى اي اقوي به ظهرى واشركه في امرى اى فى امر النبوة
وتبليغ الرسالة كى نسبحك كثيرا اى نصلي لك كثيرا ونذكرك كثيرا
اى نحمدك ونثنى عليك بما اوليتنا من جميل نعمك انك كنت بنا
بصيرا اى خبيرا عليما قال الله تعالى قد اوتيت سولك يا موسى
اي اعطيت جميع ما سالته ولقد مننا عليك مرة اخرى اى قبل
هذه المرة ثم بين ذلك المنة بقوله تعالى اذ اوحينا الى امك وحى
الهام ما يوحى اى ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال
ان اقذفيه فى التابوت اي الهمناها ان اجعليه فى التابوت فاقذفيه
فى اليم يعنى نهر النيل فليلقه اليم بالساحل الساحل يعنى شاطى البحر
ياخذه عدو لي وعدو له يعنى فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا
ووضعت فيه موسى وتترت راسه وشقوقه ثم القته فى النيل وكان
يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة
مع امراته اسية اذا بتابوت يجى به الما فامر الغلمان والجوارى باخراجه

فاخرجوه

صغير

فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا بصبى من اصبح الناس وجها فلما راه فرعون
احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فعند ذلك قال الله تعالى والقيت
عليك محبة منى قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما راه
احد الا احبه لملاحة كانت فى عينى موسى ولتصنع على عينى لتربى
ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه
اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشى اختك واسمها مريم متعرفة خبره
فتقول هل ادلكم على من يكفله اى على امراة ترضعه وتضمه اليها
وذلك انه كان لا يقبل ثدى امراة فلما قالت لهم اخته ذلك
قالوا نعم فجات بالام فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك الى
امك كى تقر عينها اى بلقايك وبرويتك ولا تحزن اى وليذهب
عنها الحزن وقتلت نفسا قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا
قيل كان عمره اثنى عشر سنة فنجيناك من الغم اى من غم القتل
وكربه وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك اختبارا
وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة
بعد محنة وخلصه الله تعالى منها اولها ان امه حملته فى السنة
التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاوه فى البحر فى التابوت
ثم منعه من الرضاع الامن ثدى امه ثم اخذه بلحية فرعون
حين هم بقتله ثم تناول الجمر بدل الجوهر ثم قتل القبطى وخروجه
الى مدين خايفا فلبثت اى فمكثت سنين فى اهل مدين بلد
شعيب على ثمانية مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب
لبث موسى عند شعيب ثمان وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى
الغنم مهر زوجته صفيرا ابنة شعيب وثمانية عشر اقام عنده بعد
ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنى عشر سنة هاربا ثم جيت
على قدر يا موسى اى جيت على القدر الذى قدرت ان تجى فيه
قيل على راس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبيا فيه
واصطنعتك لنفسى اى اخترتك واصطفيتك لوحيي
ورسالتي لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه باداء
الرسالة بتصرف على ارادة الله تعالى ومحبته وقيل معناه اخترتك
لامري وجعلتك القايم بحجتى المخاطب بينى وبين خلقى كانى
الذى اقمت عليهم الحجة خاطبتهم اذهب انت واخوك باياتى
اى بدلايلى وقال ابن عباس يعنى الايات التسع التى بعث بها
موسى ولا تنيا اى لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا فى ذكرى اي
لا تقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة

شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اى داريا ه
وارفقا به قال ابن عباس فى قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا العباس
وقيل يا ابا الوليد وقيل ارادبا لقول اللين هل لك الى ان تزكى
الاية وقيل امرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى وقيل
عدا على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا
بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته
واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه
وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما اخبره بالذي
دعاه هرون موسى اليه وقال اردت ان اقبل منه فقال له
هامان اري ذلك منك عقلا وراءيا انت رب تريد ان تكون
مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقلبه على رايه وكان
هارون بمصر فامر الله موسى ان ياتى هرون فاوحى الله الى
هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما
اوحى الله اليه وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اى يتعظ
ويخاف فيسلم • فان قلت كيف قال لعله يتذكر وقد
سبق فى علمه انه لا يتذكر ولا يسلم • قلت معناه اذهبا
على رجا منكما وطمع وقضا الله وراء امركما • وقيل هو الزام
الحجة وقطع المعذرة كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقيل هو
ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر ويخشى اي
خاش اذا راي بري والطافى على من خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية
وقيل لعل من الله واجب وقد تذكر وخشى حين لم تنفعه الذكرى
والخشية وذلك حين الجمه الغرق وقرا رجل عند يحيى بن معاذ
الرازى فقولا له قولا لينا الاية فبكى يحيى وقال الهى هذا رفقك
بمن يقول انا اله فكيف رفقك بمن يقول انت الله لا اله قالا يعنى
موسى وهارون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس
يعجل علينا بالقتل والعقوبة او ان يطغى اى يجاوز الحد فى الاساءة
الينا قال الله تعالى لا تخافا اننى معكما اسمع وارى قال ابن عباس
اسمع دعاكما فاجيبه واري ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما
فلا تهتما فاتياه فقولا انا رسولا ربك اى ارسلنا اليك ربك
فارسل معنا بنى اسرايل اى ارحل عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا
تعذبهم اى لا تتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال
الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قطع الولدان وغير ذلك قد

قد جئناك باية من ربك قال فرعون وما هى فاخرج موسى يده
لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بحجة وبرهان
يدل على صدقنا على ما دعيناه من الرسالة والسلام على من
اتبع الهدى ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من
العذاب من اسلم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
اى انما يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه قال يعنى
فرعون فمن ربكما يا موسى اى فمن الهكما الذى ارسلكما قال ربنا
الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى اى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون
به وقيل اعطى كل شئ صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شئ صورته فخلق
اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر
والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح
وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المراة والبعير الناقة والفرس
الرمكة وهى الحجرة والحمار الاتان ثم هدى اى الهمه كيف ياتى
الذكر الانثى قال يعنى فرعون فما بال القرون الاولى اى فما
حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها
كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك
لموسى حين خوفهم لمصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون
فما بال القرون الاولى قال يعنى موسى علمها عند ربى اى اعمالهم
محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله
عز وجل لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون
وقومه فى كتاب يعنى اللوح المحفوظ لا يضل ربى اى لا يخطئ وقيل
لا يغيب عنه شئ ولا ينسى اى ما تذكر وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم
حتى يجزيهم بها الذى جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وقيل
مهدها لكم وسلك لكم فيها سبلا اى ادخل لاجلكم فى الارض طرقا
وسهلها لكم لتسلكوها وانزل من السماء ماء يعنى المطر ثم الاخبار
عن موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا به اى بذلك الماء ازواجا اى
اصنافا من نبات شتى اى مختلفة الالوان والطعوم والمنافع
منها ما للناس ومنها ما للدواب كلوا وارعوا انعامكم اى اخرجنا
اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعى ان فى ذلك اى الذى
ذكرت لايات لاولى النهى اى لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون
عن ما حرم الله عليهم منها خلقناكم اى من الارض خلقنا ادم وقيل
ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره على
النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة ومنها نعيدكم اى عند

الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة اخرى اى يوم القيمة للبعث والحساب
قوله عز وجل ولقد اريناه اى فرعون اياتنا كلها يعنى الايات التسع
التى اعطاها الله موسى فكذب وابى يعنى فرعون وزعم انها سحر وابى اى
ان يسلم قال يعنى فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا يعنى مصر
بسحرك ياموسى اى تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك فيها
وتخرجنا منها فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا
اى اضرب اجلا وميقاتا لا نخلفه اى لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا
سوى اى مكانا عدلا قال ابن عباس يستوى مسافة الفريقين
اليه وقيل معناه سوى هذا المكان قال يعنى موسى موعدكم يوم
الزينة قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل
هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشورا وان يحشر الناس ضحى
اى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة فتولى فرعون
فجمع يعنى فرعون كيده يعنى مكره وسحره وحيلته ثم اتى يوم الميعاد
قال لهم موسى يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين
ساحرا مع كل ساحر حبل وعصى وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا
اثنى عشر الفا ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
اى يهلككم ويستاصلكم وقد خاب من افترى اى خسر من ادعى مع
الله الها اخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى قوله تعالى
فتنازعوا امرهم اى تناظروا وتشاوروا يعنى السحرة فى امر موسى
سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل لما قال لهم
موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول
ساحر واسروا النجوى اى المناجاة قالوا قال بعضهم لبعض سرا
ان هذين لساحران يعنى موسى وهارون يريدان ان يخرجاكم من
ارضكم يعنى من مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قال ابن
عباس يعنى بسيرة قومكم واشرافكم وقيل يصرفا وجوه الناس عنكم
وقيل اراد اهل طريقتهم المثلى وهم بنوا اسرايل يعنى يريدان ان
يذهبا بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذى انتم
عليه فاجمعوا كيدكم اى لا تدعوا شيا من كيدكم الا جئتم به وقيل
معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين ولا تختلفوا فيختل امركم ثم
ايتوا صفا اى جميعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه
ثم ايتوا المكان الموعود به وقد افلح اليوم من استعلى اى فاز
من غلب قالوا يعنى السحرة ياموسى اما ان تلقى اى عصاك
واما ان نكون اول من القى اى عصاه قال يعنى موسى بل القوا

يعنى انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قيل انهم لما القوا الحبال والعصى
اخذوا اعين الناس فراى موسى كان الارض امتلات حيات وكانت
قد اخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورا وها انها تسعى فاوجس اى
اضمر وقيل وجد فى نفسه خيفة موسى قيل هو طبع البشرية وذلك
انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر
فيشكوا فى امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف اى قال الله تعالى لا تخف
انك انت الاعلى اى الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر
والق ما فى يمينك اى عصاك والمعنى لا يخيفنك بكثرة حبالهم
وعصيهم فان فى يمينك شيا اعظم منها كلها تلقف اى تلتقم وتبتلع
ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر اى حيلة ساحر ولا يفلح الساحر
حيث اتى اى من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان فالقى
السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى قال صاحب الكشاف
سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود
ثم القوا رؤسهم للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وقيل
انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل لما سجدوا اراهم الله
عز وجل فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة قال يعنى
فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم اى لرئيسكم وعظيمكم يعنى
انه اسحركم واعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم الذى علمكم السحر فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اى اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى
ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى على جذوع النخل ولتعلمن اينا
اشد عذابا وابقى اى على ايمانكم به انا ورب موسى على ترك الايمان
به وابقى اى اقدم قالوا يعنى السحرة لن نؤثرك اى لن نختارك على
ما جانا من البينات يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد
والعصى وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا
وعصينا لما سجدوا وراوا الجنة والنار وراوا منازلهم فى الجنة
فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جانا من البينات والذى
فطرنا قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على ما جانا من البينات
الله الذى فطرنا فاقض ما انت قاض اى فاصنع ما انت صانع
انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى انما امرك وسلطانك فى الدنيا
وسيزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاوا مختارين
غير مكرهين قلت كان فرعون اكرههم فى الابتدا على

تعلمهم السحر لكي لا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين
اثنين من القبط وسبعين من بني اسرايل وكان فرعون اكره الذين
من بني اسرايل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون ارنا موسي
اذ هو نام فاراهم موسى نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا
ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فاكرههم عليه
ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر **والله خير وابقى**
اي خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك اي اطيع وابقى
عذابا ان عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا
وابقى **انه من يات ربه مجرما** قيل هذا ابتدا كلام من الله تعالى
وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك **فان له**
جهنم لا يموت فيها فيستريح **ولا يحيى** حياة ينتفع بها **ومن ياته**
مومنا اي مات على الايمان **قد عمل الصالحات فاوليك لهم**
الدرجات العلى اي الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله
جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا
من تزكى اي تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا اله
الا الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون
النجم الطالع في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذي
قوله وانعما يقال احسن فلان الى فلان وانعما اي افضل وزاد
في الاحسان والمعنى انهما منهم وزادا وتناهيا الى غايته قوله
تعالى **ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي** اي اسر بهم ليلا
من ارض مصر **فاضرب لهم طريقا** اي اجعل لهم طريقا **في البحر** بالضرب
بالعصا **يبسا** اي يابسا ليس فيه ما ولا طين وذلك ان الله
تعالى ايبس لهم الطريق في البحر **لا تخاف دركا ولا تخشى** قيل معناه
لا تخاف ان يدركك فرعون من ورايك ولا تخشى ان يغرقك البحر
امامك **فاتبعهم** اي فلحقهم **فرعون بجنوده فغشيهم** اي اصابهم **من**
اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم
كنهه الا الله تعالى فغرقهم فغرق فرعون وجنوده ونجى موسى
وقومه **واضل فرعون قومه وما هدى** اي وما ارشدهم وهو
تكذيب لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقوله
عزوجل **يا بني اسرايل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب**
الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله النعمة في
نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسي من المناجاة بجانب

الطور وكتب التوراة في الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت
بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم
وشريعتهم وفيما افاض الله عليهم من ساير نعمه وارزاقه **كلوا من**
طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس لا تظلموا وقيل
لا تكفروا النعمة فتكونوا كافرين اي طاغين وقيل لا تنفقوا بنعمتي على
المعاصي وقيل لا تدخروا **فيحل عليكم غضبي** اي يجب عليكم غضبي
ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار
واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس تاب عن الشرك **وامن** اي وحد
الله وصدقه **وعمل صالحا** اي ادى الفرايض **ثم اهتدي** قال ابن
عباس علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات
عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة **قوله**
عزوجل **وما اعجلك** اي وما حملك على العجلة **عن قومك يا**
موسي وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا
معه الى الطور لياخذوا التورية فسار بهم ثم عجل موسى من
بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل
فقال الله له وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه **قال**
هم اولا على اثري اي هم بالقرب مني على اثري من بعدي فان قلت
لم يطابق السوال الجواب فانه ساله عن سبب العجلة فعدل عن
الجواب فقال هم اولاء على اثري قلت كان لموسى بسط
العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد
منه الا تقدم يسير ثم اعقبه بجواب السوال فقال **وعجلت اليك**
رب لترضى اي لتزداد رضى **قال فانا قد فتنا قومك** اي فانا ابتلينا
الذين خلفتهم مع هارون وكانوا مع هارون ستماية الف فافتتنوا
بالعجل غير اثني عشر الفا **من بعدك** اي من بعد انطلاقك الى الجبل
واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل
اضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع
المنشات تضاف الى منشيها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل
هو الله تعالى وذلك قوله هاهنا • قيل كان السامري من عظما بني
اسرايل من قبيلة يقال لها السامرة • وقيل كان من القبط وكان
جارا لموسى وامن به • وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر
وكان من قوم يعبدون البقر **فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا**
اى حزينا جزعا **قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا** اي صدقا
اي يعطيكم التورية **افطال عليكم العهد** اي مدة مفارقتي اياكم

ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اى اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي يعنى ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اى ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع فى الفتنة لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اى حملنا مع انفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الاثام اى حملنا اثاما وذلك ان بنى اسرايل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها ه وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر • وقيل ان الله لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذها بنوا اسرايل فكانت غنيمة ولم تكن الغنايم تحل لهم فقذفناها اى القيناها • قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رايه فيها وقيل ان هارون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك القى السامري اي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هارون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها • وقيل ان هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال هارون اللهم اعطه ما سالك على ما فى نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل فى فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هارون فذلك قوله تعالى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا هل كان الجسد حيا ام لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صوره صورة على شكل العجل ه وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل • الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا الهكم واله موسى يعنى قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيا قط مثله فنسي قيل هو اخبار عن قول السامري اى ان موسى نسي الهه وتركه ها هنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه فى طريق اخر فاخطا الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكانه اخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شى ولا يحل فيه شى ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا

دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا هذا توبيخ لهم اذا عبد وانما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنوا اسرايل قوله عز وجل ولقد قال لهم هارون من قبل اي من قبل رجوع موسى يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن فاتبعوني اى على ديني فى عبادة الله واطيعوا امرى اى فى ترك عبادة العجل اعلم ان هارون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعى الى معرفة الله بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرايع بقوله واطيعوا امري وهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود قالوا لن نبرح اى لن نزال عليه اى على عبادة العجل عاكفين اى مقيمين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم هارون ومعه اثنى عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله قال له يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اى اشركوا الا تتبعني اى تتبع امري ووصيتي وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على امرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امرى اى خالفت امرى قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اى بشعر راسى وكان قد اخذ ذوابته انى خشيت اى لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا ان تقول اى فتقول فرقت بين بنى اسرايل اى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرايل ولم ترقب قولى اى لم تحفظ وصيتي لك اخلفني فى قومى واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري قال فما خطبك اى فما امرك وشانك وما الذى حملك على ما صنعت يا سامري قال يعنى السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من

اثر الرسول اى من تراب حافر فرس جبريل فنبذتها اى فقذفتها
فى فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامرى جبريل وراه
من بين سائر الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما
ان امه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى
كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما
قضى الله على يديه من الفتنة • الوجه الثانى انه لما نزل جبريل
الى موسى ليذهب به الى الطور فراه السامرى من بين سائر الناس
فلما راه قال ان لهذا لشانا فقبض القبضة من اصل تربة موطيه
فلما سأله موسى قال فقبضت قبضة من اثر الرسول اليك يوم
جائك للميعاد • وقيل راه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها
فى عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله
وكذلك سولت اى زينت لى نفسى وقيل انه من السوال والمعنى
انه لم يدعنى الى ما فعل غيرى واتبعت فيه هواى قال يعنى
موسى للسامرى فاذهب فان لك فى الحياة اى ما دمت حيا
ان تقول لا مساس اى لا تخالط احدا فعوقب فى الدنيا بعقوبة
لا شىء اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان لا
يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته
ومواجهته وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك فصار السامرى
يهيم فى البرارى البرية مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا
يمسه احد وقيل كان اذا مس احدا او مسه احد حما جميعا فتحامى
من الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى بقاياهم اليوم يقولون
ذلك وان لك اى سامرى موعدا اى يعذابك فى الاخرة لن
تخلفه قرئ بكسر اللام معناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه
بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح اى لن نكذبه ولن يخلفك
الله بل يكافيك على فعلك وانظر الى الهك اى الذى تزعم
الذى ظلت عليه عاكفا اى دمت عليه مقيما تعبده لنحرقنه اى
بالنار ثم لننسفنه اى لنذرينه فى اليم اى فى البحر نسفا روى ان
موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه فى النار ثم ذراه فى
البحر وقيل معناه لنحرقنه اى لنبردنه فعلى هذا التاويل لم ينقلب
لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار
لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان
يمكن نسفها فى البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب
اليه السامرى رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبنى اسرائيل

انما الهكم الله اى المستحق للعبادة والتعظيم الذى لا اله الا هو وسع كل
شىء علما اى وسع علمه كل شىء وقيل يعلم من يعبده • قوله عز وجل كذلك
نقص عليك من انباء يعنى من اخبار ما قد سبق يعنى الامم الخالية
وقيل ما سبق من الامور وقد اتيناك من لدنا ذكرا وهو القران من
اعرض عنه اى عن القران ولم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم
القيامة وزرا اى حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه اى مقيمين فى
عذاب الوزر وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس ما حملوا على انفسهم
من الاثم يوم ينفخ فى الصور قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر
والمراد بهذه النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ونحشر المجرمين يومئذ
زرقا اى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل
عطاشا يتخافتون اى يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية ان
لبثتم اى مكثتم فى الدنيا الا عشرا اى عشر ليال وقيل فى القبور
وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب
رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا وقال
الله تعالى نحن اعلم بما يقولون اى يتشاورون بينهم اذ يقول امثلهم
طريقة اى اوفاهم عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما فى ذلك
فى اعينهم فى جنب ما استقبلهم من اهوال يوم القيمة وقيل نسوا
مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله تعالى ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربى نسفا قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف تكون الجبال يوم القيامة
فانزل الله هذه الاية والنسف هو القلع اى يقلعها من اصولها
ويجعلها هباء منثورا فيذرها قاعا صفصفا اى يدع اماكن
الجبال من الارض قاعا اى ارضا ملسا لا نبات فيها لا ترى فيها
عوجا ولا امتا اى لا انخفاضا ولا ارتفاعا اى لا ترى واديا ولا رابية
يومئذ يتبعون الداعى اى صوت الداعى الذى يدعوهم الى موقف
القيمة وهو اسرافيل وذلك انه ينفخ الصور فى فيه ويقف على
صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة
والشعور واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج له
اى لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه
سراعا وخشعت الاصوات للرحمن اى سكنت وذلت وصفت والمراد
به اصحاب الاصوات من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت
الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد
بالهمس صوت الاقدام وهى الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ

لا تنفع الشفاعة لاحد من الناس **الا من اذن له الرحمن** اى الا من
اذن له ان يشفع **ورضي له قولا** قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله
وفيه دليل على انه لا يشفع غير المومن وقيل ان درجة الشافع درجة
عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يوذن له فيها وكان عند الله مرضيا **يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم** قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون
الداعي اى يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا
وقيل الضمير يرجع الا من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع
الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين
ايديهم الشافعين وما خلفهم **ولا يحيطون به علما** قيل الكناية
ترجع الى ما اى هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه
والمعنى ان العباد لا يحيطون ما بين ايديهم وما خلفهم علما وقيل
الكناية راجعة الى الله وقيل اى ولا يحيطون بالله علما **وعنت
الوجوه** اى ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر
لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد بها المكلفين لان عنت من
صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر
لان الخضوع بها يبين وفيها يظهر وقوله تعالى **للحي القيوم** تقدم
تفسيره **وقد خاب من حمل ظلما** قال ابن عباس خسر من اشرك
بالله **ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا
هضما** قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سياته ولا ينقص
من حسناته وقيل لم يواخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل عنه حسنة
عملها قوله تعالى **وكذلك انزلناه** اى بينا في هذه السورة هذه
الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله كذلك **قرانا عربيا**
اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه
عن كلام البشر **وصرفنا فيه من الوعيد** الذي كررنا وفصلنا القول
فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرايض والمحارم لان
الوعيد فيما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الاحكام فلذلك
قال الله تعالى **لعلهم يتقون** اى يجتنبون الشرك والمحارم وترك
الواجبات **او يحدث لهم ذكرا** اى انما انزلنا القران اى ليصيروا
متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم ذكرا يرغبهم في الطاعات
وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القران عبرة وعظة فيعتبرون
ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة قوله تعالى **فتعالى الله
الملك الحق** اى جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون
والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده

وقيل

وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس
بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به منه **ولا تعجل بالقران** اراد النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران يبادر فيقرا
معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات
والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقران
اى ولا تعجل بقراته **من قبل ان يقضى اليك وحيه** اى من قبل
ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقريه اصحابك ولا
تمله عليهم حتى يتبين لك معناه **وقل رب زدني علما** فيه التواضع
والشكر لله والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شي علما
وحكمة قيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة
في شي الا في العلم • وقيل كان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية يقول
اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله عز وجل **ولقد عهدنا
الي ادم** يعني امرناه واوصينا اليه ان لا ياكل من الشجرة **من قبل**
اى من قبل هولا الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان وهم الذين
ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون **فنسي** اى فترك ما
عهدنا اليه من الاحتراز عن اكل هذه الشجرة واكل منها وقيل اراد
النسيان الذي هو ضد الذكر **ولم نجد له عزما** اى صبرا عما
نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما
حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل
معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح
اقرب • قوله عز وجل **واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس ابى** ان يسجد **فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك**
اى حوى وسبب العداوة ما راى من اثار نعمة الله على ادم فحسده
فصار عدوا له **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** اسند الخروج اليه
وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته وفعل ادم ما يترتب
عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك
من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن
والخبز قيل اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق
عن جبينه فكان ذلك شقاه • فان قلت اسند الشقا الى
ادم دون حوى قلت فيه وجهان احدهما انه في ضمن شقا الرجل
شقا اهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم • الثاني اريد
بالشقا التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة لان
الرجل هو الساعي على زوجته **ان لك الا تجوع فيها** اى في الجنة **ولا**

تعرى وانك لا تظمأ فيها اى تعطش ولا تضحى اى تبرز للشمس ه
فيؤذيك حرها لانه ليس فى الجنة شمس واهلها فى ظل ممدود والمعنى
ان الشبع والرى والكسوة والكن هى التى يدور عليها كفاف الانسان
فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء فى الجنة وانه مكفى لا يحتاج الى
كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا **فوسوس
اليه الشيطان** اى انهى اليه الوسوسة واسر اليه ثم بين تلك ه
الوسوسة ما هى **قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد** اى على الشجرة
التى ان اكلت منها بقيت مخلدا **وملك لا يبلى** اى لا يبيد ولا يفنى رغبة
فى دوام الراحة فكان الشىء اذا رغب الله فيه ادم رغبه ابليس فيه
الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس
وقفه على الاقدام عليها وادم مع كمال علمه بان الله هو خالقه وربه
ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد
المخالفة ومن تامل هذا الشر عرف انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع
منه وقوله تعالى **فاكلا منها** يعنى اكل ادم وحوى من الشجرة **فبدت
لهما سوآتهما** اى عريا من الثوب الذى كان عليهما حتى بدت من
وجههما وظهرت عوراتهما **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**
اى يلزقان بسوآتهما من ورق التين **وعصى ادم ربه** اى باكل الشجرة
فغوى اى فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل
حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من
العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال
عصى ادم ولا يجوز ان يقال ادم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل
المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى
يعاود ذلك مرارا واعتاده **ق** عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج ادم وموسى فقال موسى
يا ادم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له ادم انت يا موسى
اصطفاك الله بكلامه وخط لك التورية بيده اتلومنى على
امر قدره الله تعالى على قبل ان يخلقنى باربعين عاما فحج ادم موسى
وفى رواية لمسلم قال ادم بكم وجدت الله كتب التورية قبل ان اخلق
قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى
قال نعم قال فهل تلومنى على امر عملت عمله كتب الله على ان اعمله
قبل ان يخلقنى باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحج ادم موسى الكلام على معنى الحديث وشرحه **قوله** احتج ادم
وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اى

جادلته فغلبته قال ابو سليمان الخطابى قد يحسب كثير من الناس
ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر
للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج ادم موسى من هذا
الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون
من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منها وخلق لها
خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضا
فى هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقى عليهم من وراء
علم الله فيهم افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم
اياها عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم
بها والملامة تلحقهم عليها وجماع القول فى هذا انهما امران لا
ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر
بمنزلة البنا فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البنا ونقضه
وانما موضع الحجة لازم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من ادم
انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه
وان يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى
الارض التى خلق لها واعتاد الى ادم بالحجة على هذا المعنى ودفع
لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومنى على امر قد قدره الله
على من قبل ان يخلقنى

فصل

فى بيان عصمة الانبياء وما
قيل فى ذلك قال الامام فخر الدين الرازى اختلف الناس فى عصمة
الانبياء وضبط القول فيه يرجع الى اقسام اربعة • احدها ما يقع
فى باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير
جائز عليهم • الثانى وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت
الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف والا لارتفع
الوثوق بالادا واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا
ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز
عنه غير ممكن • الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز
خطاؤهم فيه على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل السهو •
الرابع ما يقع فى افعالهم فقد اختلف الامة فيه على خمسة اقوال
احدها قول من جوز عليهم من الكبائر • الثانى قول من منع من
الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول اكثر المعتزلة
الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة
التاويل وهو قول الجبائى • الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على
جهة السهو والخطا • الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة

لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التاويل وهو
قول الشيعة • واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة اقوال
احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة
وهو قول الشيعة • الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت
بلوغهم وهم اكثر المعتزلة • الثالث قول من ذهب الى ان ذلك
لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي الهذيل وابو علي
من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر منهم ذنب
لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه
احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من احد الامة
وذلك غير جائز لان درجة الانبيا في غاية الرفعة والشرف
الثاني لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان اقل
حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة
والرسالة هو انه يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا فانه
يوم القيمة شاهدا على الكل • الثالث لو صدر من النبي ذنب
وجب الاقتدا به فيه وذلك محال • الرابع ثبت ببديهة العقل
انه لا شي اقبح ممن رفع الله درجته وايتمنه على وحيه وجعله
خليفته في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم
عليه ويفعله ترجيحا لغرضه • واجمعت الامة على ان الانبيا
كانوا يامرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت
قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس
قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم
فيتناول الكل ويدل عليه فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت ان
الانبيا كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور
الذنب عنهم • السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال
ابراهيم وال عمران على العالمين • وقال في حق موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي • وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الايات
التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفا والخيرة وذلك ينافي
صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه • قال واما المخالف
فقد تمسك بايات منها قصة ادم هذه والجواب عنها ان نقول

ان

ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة
فذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان ادم حال ما صدرت عنه هذه
الاشيا ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله
قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض واما
قصة ادم وقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا وقد
اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي
ولم نجد له عزما اي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه
وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس
له ما عاهده الله اليه وقيل لم يتقصد اني لكما لمن الناصحين وتوهم
ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك
قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة • وقيل بل اكل من الشجرة
متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن
شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من
ترك التحفظ لا من المخالفة • وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها
نهي تحريم **فان قلت** اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي
فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القران
والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر
من لا شي عليه **قلت** ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وقوة بطشه فلا يحملهم على
الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به
غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم
واتوها على وجه التاويل والسهو وتزيدوا من امور الدنيا
المباحة فاخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذة
بها فهم خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى على منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم
ومعاصيهم كان هذا ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم
كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى تحلي
احوالهم كالسيات وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شا
الله تعالى والله اعلم • قوله عز وجل **ثم اجتباه ربه** اي اختاره واصطفاه
فتاب عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة **وهدى** اي هداه لرشده
حتى رجع الى الندم والاستغفار **قال اهبطا منها جميعا** قيل الخطاب
لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاحتمال

كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لادم وحوى لانهم اصل
البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع بعضكم لبعض عدو وفي
نونية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعدا الناس ويحتمل
ان يكون بعض الفريقين لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى اي
كتاب ورسول فمن اتبع هداى اى الكتاب والرسول فلا يضل ولا
يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من
الضلالة ووقاه الله يوم القيمة سوء الحساب وذلك فان الله
يقول فمن اتبع هداى فلا يضل اى في الدنيا ولا يشقى اى في
الاخرة ومن اعرض عن ذكرى يعني القران فلم يومن به ولم يتبعه
فان له معيشة ضنكا روى عن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد
الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد هو يضغط في
القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتقا م
عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل
هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب
الخبيث وقال ابن عباس الشقا وعنه قال كلما اعطى العبد قل او
كثر فلم يتقه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما
اعرضوا عن الحق وكانوا اولى سعة من الدنيا مكثرين وكانت
معيشتهم ضنكا وذلك يرون ان الله تعالى ليس بمخلف لهم فاشتد
عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل بسلب القناعة
حتى لا يشبع ونحشره يوم القيامة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقيل
اعمى عن الحجة قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اى بصير
العين وبصير الحجة قال كذلك اى كما اتتك اياتنا فنسيتها اي
فتركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اى تترك في النار
وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب وكذلك نجزى
من اسرف اي كما جزينا من اعرض عن القران اى كذلك نجزى من
اسرف اى الشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد
اى مما يعذبهم به في الدنيا والقبر وابقى اى ادوم قوله تعالى افلم
يهد لهم اى يبين القران لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك
ان قريشا كانوا يسافروا الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب
الحجر وهو ثمود وقريات قوم لوط ان في ذلك لايات لاولى النهى اى لذوى
العقول ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى تقديره
ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو القيمة لكان العذاب

اى ولولا كلمة سبقت
بتاخير العذاب عنهم

لارضا

لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما
يقولون نسختها اية السيف وسبح بحمد ربك اي فصل بامر ربك قبل
طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها اي صلاة العصر ومن اناء
الليل اي ومن ساعاته فسبح يعني فصل المغرب والعشا قال ابن عباس
يريد اول الليل واطراف النهار يعني صلاة الظهر سمى وقت الظهر
اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء
وطرف النصف الثاني ابتداء لعلك ترضى اى ترضى ثوابه في المعاد
وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرى ترضى بضم التا نعطى ثوابه
وقيل يرضاك ربك ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون
ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا
تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون
بالتخفيف بتخفيف الميم من الضيم الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم
بعضكم بعضا في رؤيته روى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام
اى لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما
ترون القمر كاف التشبيه للرؤية لا للمرئي وهو فعل الرائي ومعناه
ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر
لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل ولا تمدن عينيك
قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني
الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته
فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعني او
اسلفني لقضيته واني لامين في السما امين في الارض اذهب بدرعي
الحديد اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك اى لا تنظر نظرا
تكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا وتمنيا له الى ما متعنا
به اى اعطينا ازواجا اى اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي
زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه اى لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد
لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك اى في المعاد في
الجنة خير وابقى اى ادوم وقال ابي بن كعب من لم يتعز بعزاء الله
تقطعت نفسه حسرات ومن اتبع بصره ما في ايدي الناس تطل
حزنه ومن ظن ان نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه قل عمله

وحضر عند ابد قوله تعالى وَامُر اهلك اى قومك وقيل من كان على
دينك بالصلاة اى بالمحافظة عليها وَاصطبر عليها اى اصبر
على الصلاة فانها تنهى عن الفحشا والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا
فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول لانسالك رزقا
اى لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل
نكلفك عملا نحن نرزقك اى بل نحن نرزقك وترزق اهلك
والعاقبة للتقوى اى الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن
عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني • وفى بعض المسانيد
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضرا امرهم بالصلاة
وتلى هذه الاية قوله تعالى وَقالوا يعنى المشركين لولا ياتينا باية
من ربه اى بالاية المقترحة فانه كان قد اتاهم بايات كثيرة اولم
تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى اى بيان ما فيها وهو القران لانه
اقوى دلالة واوضح اية وقيل بمعنى ما فى الصحف التورية والانجيل
وغيرهما من اخبار الامم لانهم اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يؤمنوا
بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان اتتهم الاية ان يكون
حالهم كحال اوليك • وقيل بينة ما فى الصحف الاولى هى البشارة
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله اى من قبل ارسال الرسل وانزال القران لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا اى لقالوا يوم القيامة لولا ارسلت الينا رسولا
يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب والهوان
والافتضاح قل كل متربص اى منتظر دواير الزمان وذلك ان
المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال
الله فتربصوا اى فانتظروا فستعلمون اى اذا جا امر الله وقامت
القيمة من اصحاب الصراط السوي اى المستقيم ومن اهتدى
اى من الضلالة نحن ام انتم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسراركتابه

• تفسير سورة الانبيا عليهم الصلوة والسلام •

وهى مكية وعدد اياتها ماية واثنتى عشرة اية والف وماية وثمان
وستون كلمة واربعة الاف وثمان ماية وتسعون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقترب
للناس حسابهم اى وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيمة
نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من
المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التاهب له والمراد بالناس
المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من

باب اطلاق اسم الجنس على بعضه وهم فى غفلة معرضون اى عن
التاهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون
فى عاقبتهم مع اقتضا عقولهم انه لا بد من جزا المحسن والمسى ثم اذا
نبهوا عن سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث يعنى ما يحدث الله من تنزيل
شى من القران يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر
بعد الامر وينزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة فى وقت
الحاجة لبيان الاحكام وغيره من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث
ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ
سوى ما فى القران واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحى يوحى الا استمعوه وهم يلعبون اى لاعبين
لا يعتبرون ولا يتعظون لاهية قلوبهم اى ساهية معرضة غافلة
عن ذكر الله وَاسروا النجوى الذين ظلموا اى بالغوا فى اخفا التناجى
وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذى تناجوا فيه فقال تعالى مخبرا
عنهم هل هذا الا بشر مثلكم يعنى انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا
ارسال الملايكة والاولى ارسال البشر لان الانسان الى القبول
ومن استكانته اقرب افتاتون السحر اى تحضرون السحر وتقبلونه وانتم
تبصرون اى تعلمون انه سحر قل لهم يا محمد ربى يعلم القول فى السما
والارض اى لا يخفى عليه شى وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم
قوله عز وجل بل قالوا اضغاث احلام اى اباطيل واهاويل
راوها فى النوم بل افتراه اى اختلقه بل هو شاعر وذلك ان المشركين
اقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال
بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو
شاعر وما جاكم شعر فلياتنا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم باية
اى انه صادق كما ارسل الاولون اى من الرسل بالايات قال الله
تعالى مجيبا لهم ما امنت قبلهم اى قبل مشركى مكة من قرية اى
من اهل قرية اتتهم الايات اهلكناها اى بالتكذيب افهم يومنون
اى ان جاتهم اية والمعنى اوليك لم يومنوا بالايات لما جاتهم افيومن
هولا قوله تعالى وَما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذا جواب
لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل الملايكة الى الاولين
انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك فاسالوا اهل الذكر يعنى اهل
التوراة والانجيل يريد علما اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل
كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر المشركين بمسالة

اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم من تصديق من امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القران اى فاسالوا المومنين
العالمين من اهل القران ان كنتم لا تعلمون قوله عز وجل
وما جعلناهم اى الرسل جسدا لا ياكلون الطعام هذا رد لقولهم
ما لهذا الرسول ياكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملايكة بل جعلناهم
بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين اى فى الدنيا بل يموتون
كغيرهم ثم صدقناهم الوعد اى الذى وعدناهم باهلاك اعدايهم
فانجيناهم ومن نشا اى المومنين الذين صدقوهم واهلكنا المسرفين
اى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل لقد
انزلنا اليكم اى يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم اى شرفكم وفخركم وهو
شرف لمن امن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون
اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد
والوعيد افلا تعقلون فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم
العقل قوله تعالى وكم قصمنا اى اهلكنا من قرية كانت ظالمة
اى كافرة والمراد اهل القرية وانشانا بعدها اى احدثنا بعد
هلاك اهلها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اى عذابنا بحاسة
البصر اذا هم منها يركضون اى يسرعون هاربين من قريتهم لما
راوا مقدمة العذاب لا تركضوا اى قيل لهم لا تهربوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم تسالون قال ابن
عباس عن قتل نبيكم نزلت هذه الاية فى اهل حضورا قرية باليمن
فكان اهلها عرب فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم اليه فكذبوه
وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فقتلهم وسباهم فلما استحر فيهم
القتل هربوا فقالت الملايكة لهم استهزا لا تركضوا اى لا تهربوا
وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسالون شيا من دنياكم فى
فتعطون من شيتم فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بخت نصر واخذتهم
السيوف ونادى منادى من جو السما يا ثارات الانبيا فلما راوا
ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
اى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين
عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم
الندم فما زالت تلك دعواهم اى تلك الكلمة وهى قولهم يا
ويلنا حتى جعلناهم حصيدا اى بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين
اى ميتين قوله عز وجل وما خلقنا السما والارض وما بينهما
لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع

وما بينهما من العجايب للعب واللهو وانما سويناهما لفوايد منها
التفكر فى خلقهما وما بينهما من العجايب والمنافع التى لا تعد ولا
تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا قال ابن عباس اللهو المراة وعنه انه
الولد لاتخذناه من لدنا اى من عندنا من الحور العين لا من عندكم
من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جايزا فى صفتنا لم نتخذه
بحيث يظهر لكم ونستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان
النصارى لما قالوا فى المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بقوله
لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونون
عنده لا عند غيره ان كنا فاعلين اى ما كنا فاعلين وقيل وما كنا
ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية بل اى دع ذلك الذى
قالوه فانه كذب وباطل نقذف اى نرمى ونسلط بالحق اى بالايمان
على الباطل اى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل
قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه اى فيهلكه فاذا هو زاهق اى
ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب
ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر
الكفار مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وله
من فى السموات والارض اى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم
عليهم باصناف النعم ومن عنده يعنى الملايكة وانما خص الملايكة
وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات لكرامتهم ومزيد
الاعتنا بهم لا يستكبرون عن عبادته اى لا يانفون ولا يتعظمون
عنها ولا يستحسرون اى لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن
العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا
يفترون اى لا يضعفون ولا يسامون وذلك ان تسبيحهم متصل
دايم فى جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة لفراغ او شغل اخر قال كعب
الاحبار التسبيح لهم كالتنفس لبنى ادم ام اتخذوا الهة من الارض
يعنى الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهو من
الارض هم ينشرون اى يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من
يقدر على الاحيا والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو
الله عز وجل لو كان فيهما اى فى السما والارض الهة الا الله اى غير
الله لفسدتا اى لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الالهة
لان كل امر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر النظام وقال الامام فخر
الدين الرازى قال المتكلمون القول بوجود الالهين يفضى الى المحال
فوجب ان يكون القول بوجود الالهين محالا انما قلنا انه يفضى الى

المحال لانا لو فرضنا وجود الالهين فلابد وان يكون كل واحد منهما
قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا
على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد
الاخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين
الضدين او لا يقع واحد منهما فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود
مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معًا او وجدا معًا وذلك محال
او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لوجهين احدهما
انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون
احدهما اقدر من الاخر بل ولابد وان يستويا في القدرة واذا
استويا في القدرة والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما
انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي وقع مراده يكون
عاجزا والعجز نقص وهو على الله محال ولو فرضنا الالهين لكان
كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع قادرين
مقدورين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل
الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان واحد منهما مستقلا بالايجاد
بالفعل لكونه مع هذا واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا
لكنه حاصل معهما جميعًا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما
معًا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد فنقول
القول بوجود الالهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد
منهما واذا كان ذلك وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع
الفساد قطعًا او نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا
فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد
لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال واذا اختلفا فاما ان يقع المرادان
او لا يقع واحد منهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد
لازم على كل التقديرات ٭ واعلم انك اذا وقفت على حقيقة
هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من
المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما
الدلايل السمعية على الوحدانية فكثير في القرآن ٭ واعلم ان
كل من طعن في دلالة التمانع فسر الاية بان المراد لو كان في السما
والارض الهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها
جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم فساد العالم قالوا وهذا
اولى لانه تعالى حكى عنهم ام لهم الهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر
الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به واما قوله

فسبحان الله رب العرش عما يصفون فنفيه تنزيه الله سبحانه وتعالى
عما يصفه به المشركون من الشرك والولد لا يسأل عما يفعل اي لا يسال
الله عما يفعله ويقضيه في خلقه وهم يسئلون اي والناس يسئلون
عن اعمالهم والمعنى انه لا يسال عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال
وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق
يسالون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيمة لم فعلتم كذا لانهم عبيد
يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول
لشيء فعله لم فعلته قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه الهة لما
ابطل الله تعالى ان يكون الهة سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الالهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة
وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على ذلك
ثم قال تعالى مستانفا هذا يعني القرآن ذكر من معي اي فيه خبر
من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيمة وما لهم من الثواب
على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر اي خبر من قبلي اي من
الامم السالفة وما فعل بهم في الاخرة وقال ابن عباس ذكر من معي
القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن
والتوراة والانجيل وساير الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا
او كان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون قوله
عز وجل وما ارسلنا قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون اي فوحدون وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم
بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اي عن
التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو قوله
تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد اي هم عباد يعني الملائكة
مكرمون اي اكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه اي لا يتقدمونه
بالقول اي لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم بامره يعملون والمعنى
انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما عملوا
وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا
يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس اي لمن قال لا اله الا الله وقيل
الا لمن رضي الله عنه وهم من خشيته مشفقون اي خايفون وجلون
لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عنى به ابليس حيث
دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون
الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواصفين الالهية

ذا العبادة في غير موضعها **قوله عز وجل** اولم ير الذين كفروا اي
الم يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال ابن عباس
كانتا شيا واحدا ملتزقين ففتقناهما اى فصلنا بينهما بالهوا قال
كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا
توسطها ففتحها بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة
ففتحها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السما رتقا
لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات
وجعلنا من الما كل شي حي اى واحيينا بالما الذى ينزل من السما
كل شي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب الحياة
لكل شي وقال المفسرون معناه ان كل شي مخلوق من الما وقيل يعني
النطفة **فان قلت** قد خلق الله بعض ما هو حي من غير
الما كادم وعيسى والملايكة والجان **قلت** خرج اللفظ مخرج
الاغلب والاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الما او
بقاوه حي بالما افلا يومنون اى افلا يصدقون وجعلنا في الارض
رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اى لئلا تميد بكم قيل ان
الارض بسطت على الما فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الما
فارساها الله واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اى في الرواسي فجاجا
اى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين سبلا هو
تفسير الفجاج لعلهم يهتدون اى الى مقاصدهم وجعلنا السما
سقفا محفوظا اى من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين
بالشهب وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون اى عما خلق الله
فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها
ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة
القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذى خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح
في الما وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر
عنها فعل العقلا وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذى
يضمها وهو في كلام العرب كل شي مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك
طاحونة كهيئة فلكة المغزل يريد ان الذى يجرى فيه النجوم مستدير
كاستدارة الرحى وقيل الفلك السما الذى فيه ذلك الكوكب فكل
كوكب يجرى في السما الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السما
وقيل الفلك موج مكفوف دون السما تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم
وقال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير

حي نموم

قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة
صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه
بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية **قوله عز وجل** وما جعلنا
لبشر من قبلك يعني الدوام والبقا في الدنيا افاين مت فهم الخالدون
نزلت هذه الاية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته
فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في
الدنيا بشرا لا انت ولا هم فان مت انت فيبقى هولا وفي معناه قول
القايل • فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا •
كل نفس ذايقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي
ولا اعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت
والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والالام العظيمة قبل
حلوله ونبلوكم اي نختبركم بالشر والخير اى بالشدة والرخا والصحة
والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة اى
ابتلا لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا
ترجعون اى للحساب والجزا **قوله عز وجل** واذا راك الذين
كفروا ان اي ما يتخذونك الا هزوا اى سخريا قيل نزلت في ابي جهل
مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي ابن عبد مناف
اهذا الذى يذكر الهتكم اى يقول بعضهم لبعض هذا الذى يعيب
الهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن
هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة
وهو مسيلمة قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته
وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في راس ادم
وعينيه نظر الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث
بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه
لان خلقه كان بعد كل شي في اخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه
قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح راسه فقال يارب استعجل بخلقي
قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه
لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا طورا بعد
طور • وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين قال الشاعر
• والنبع في الصخرة الصما منبتة • والنخل ينبت بين الما والعجل •
اى بين الما والطين • وقيل اراد بالانسان النوع الانساني يدل
عليه قوله ساريكم اياتي فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا
يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحارث ومعنى ساريكم

فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب
قبل ان يبلغ الروح رجليه عجلا الى
ثمار الجنة

ایاتی ای مواعیدی فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم یوم
بدر وقیل کانوا یستعجلون القیمة فلذلک قال الله تعالی ویقولون
یعنی المشرکین متی هذا الوعد ان کنتم صادقین وهذا هو
الاستعجال المذموم المذکور علی سبیل الاستهزا فبین الله تعالی
انهم یقولون ذلک لجهلهم وغفلتهم ثم بین ما لهولا المستهزیین
فقال تعالی لو یعلم الذین کفروا حین لا یکفون ای لا یدفعون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم قیل السیاط ولا هم ینصرون ای لا
یمنعون من العذاب والمعنی لو علموا لما اقاموا علی کفرهم ولما
استعجلوا بالعذاب ولما قالوا هذا الوعد ان کنتم صادقین
بل تاتیهم یعنی الساعة بغتة ای فجاة فتبهتهم ای تحیرهم فلا
یستطیعون ردها ای صرفها ودفعها عنهم ولا هم ینظرون
ای لا یمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزی برسل من قبلک
ای یا محمد کما استهزا بک قومک فحاق ای نزل واحاط بالذین
سخروا منهم ما کانوا به یستهزون ای عقوبة استهزایهم وفیه تسلیة
للنبی صلی الله علیه وسلم ای فکذلک یحیق بهولا وبال استهزایهم
قوله تعالی قل من یکلوکم ای یحفظکم باللیل اذا نمتم والنهار ای
اذا انصرفتم فی معایشکم من الرحمن قال ابن عباس معناه من
یمنعکم من عذاب الرحمن بل هم عن ذکر ربهم ای عن القران
ومواعظه معرضون ای لا یتاملون فی شی منها ام لهم الهة تمنعهم
من دوننا معناه الهم الهة تمنعهم من دوننا ثم وصف الهتهم ٥
بالضعف لا یستطیعون نصر انفسهم ای لا یقدرون علی نصر انفسهم
فکیف ینصرون من عبدهم ولا هم منا یصحبون قال ابن عباس یمنعون
وقیل یجاوزون وقیل یجاوزون وقیل یحفظون وقیل معناه لا یصحبون
من الله بخیر بل متعنا هولا یعنی الکفار واباهم ای فی الدنیا
بان انعمنا علیهم وامهلناهم حتی طال علیهم العمر ای امتد بهم
الزمان فاغتروا افلا یرون یعنی هولا المشرکین انا ناتی الارض
ننقصها من اطرافها یعنی ما ننقص من اطراف المشرکین ونزید فی
اطراف المومنین یرید بذلک ظهور النبی صلی الله علیه وسلم
وفتحه دیار الشرک ارضا فارضا وقریة فقریة والمعنی افلا یری
هولا المشرکون بالله المستعجلون بالعذاب اثار قدرتنا فی اتیان
الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقری
مما حول مکة وندخلها فی ملک محمد صلی الله علیه وسلم ونمیت
روسا المشرکین المتنعمین بالدنیا اما کان لهم عبرة فی ذلک فیومنوا

بمحمد

بمحمد صلی الله علیه وسلم ویعلموا انهم لا یقدرون علی الامتناع منا
وارادتنا فیهم ثم قال افهم الغالبون استفهام بمعنی التقریع معناه
بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل یا محمد انما انذرکم بالوحی ای
اخوفکم بالقران ولا یسمع الصم الدعا اذا ما ینذرون ای یخوفون
ولین مستهم ای اصابتهم نفحة من عذاب ربک قال ابن عباس طرف
وقیل شی قلیل لیقولن یا ویلنا انا کنا ظالمین دعوا علی انفسهم
بالویل بعد ما اقروا بالظلم والشرک قوله عز وجل ونضع
الموازین القسط ای ذوات العدل وصفها بذلک لان المیزان
قد یکون مستقیما وقد یکون بخلافه فبین ان تلک الموازین تجری
علی حد العدل ومعنی وضعها احضارها لیوم القیمة ای لاهل
یوم القیمة قیل المراد بالمیزان العدل والقسط بینهم فی الاعمال
فمن احاطت حسناته بسیاته فاز ونجی وبالعکس والصحیح الذی
علیه ایمة السلف ان الله سبحانه وتعالی یضع الموازین الحقیقیة
ویزن بها اعمال العباد • وقال الحسن هو میزان له کفتان
ولسان • وروی ان داود علیه السلام سال ربه عز وجل ان
یریه المیزان فاراه کل کفة ما بین المشرق والمغرب فلما راه غشی
علیه ثم افاق فقال الهی من الذی یقدر ان یملا کفته حسنات
قال یا داود انی اذا رضیت عن عبدی ملاتها بتمرة فعلی هذا
ففی کیفیة وزن الاعمال مع انها اعراض طریقان احدهما ان توزن
صحایف الاعمال فتوضع صحایف الحسنات فی کفة وصحایف السیات
فی کفة والثانی ان یجعل فی کفة الحسنات جواهر بیض مشرقة وفی
کفة السیات جواهر سود مظلمة فان قلت کیف یصنع بقوله
ولا نقیم لهم یوم القیامة وزنا قلت هذه فی حق الکفار لانه
لیس لهم اعمال توزن مع الکفر وقوله فلا تظلم نفس شیا ای لا تبخس
مما لها وما علیها من خیر وشر وان کان مثقال حبة من خردل اتینا
بها معناه انه لا ینقص من احسان محسن ولا یزاد فی اساة مسی واراد
بالحبة الجزء الیسیر من الخردلة ومعنی اتینا بها ای احضرناها للمجازی
بها • عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلی الله علیه وسلم
قال ان الله سیخلص رجلا من امتی علی روس الخلایق یوم القیمة فینشر
له تسعة وتسعین سجلا کل سجل مد البصر ثم یقول اتنکر من هذا
شیا اظلمتک کتبتی الحافظون فیقول لا یا رب فیقول الله تعالی بلی
ان لک عندنا حسنة فانه لا ظلم علیک الیوم فیخرج له بطاقة فیها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله

التوبیخ

فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه الترمذي
السجل الكتاب الكبير واصله من السجل لانه يجمع احكاما والبطاقة
ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة
قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال تتجسد جواهر
فتوزن والله اعلم قوله تعالى وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس
معناه بنا عالمين حافظين لان من حسب شيا فقد علمه وحفظه
والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن
ان يشتبه عليه شي في القدرة بحيث لا يعجز عن شي فحقيق بالعاقل
ان يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلي انه روي في المنام
فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا
وكذا كل مالك بالمماليك يرفق

قوله عز وجل ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان يعني
الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التورية وقيل الفرقان
النصر على الاعدا فعلى هذا يكون وضيا يعني التوراة ومن قال
التوراة جعل الواو زايدة في وضيا والمعنى اتينا موسى التوراة
ضيا وذكرى للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه
الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه
في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس وهم من الساعة مشفقون
اي خايفون وهذا ذكر مبارك انزلناه اي كما اتينا موسى التوراة
فكذلك انزلنا الفرقان ذكر مبارك لمن آمن به مبارك يتبرك
به ويطلب منه الخير افانتم له منكرون اي جاحدون قوله
تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده اي صلاحه وهداه من قبل اي
من قبل موسى وهارون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج
من السرب وهو صغير وكنا به عالمين اي انه من اهل الهداية
والنبوة اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل يعني الصور
والاصنام التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها قالوا
وجدنا اباءنا لها عابدين اي فاقتدينا بهم قال يعني ابراهيم
لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين اي في خطا بين بعبادتكم اياها
قالوا اجيتنا بالحق اي بالصدق ام انت من اللاعبين يعنون
اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب قال بل ربكم رب السموات

والارض

والارض الذي فطرهن اي خلقهن وانا على ذلكم من الشاهدين اي على
انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل على انه خالق السموات والارض
وتالله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن بها بعد ان تولوا مدبرين
اي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه
ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فافشاه عليه وهو القايل
انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا
اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فيسجدون لها ثم يرجعون
الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو
خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما
كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي
فتركوه ومضوا فنادى في اخرهم وقد بقي ضعفا الناس تالله
لاكيدن اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة
وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه اصغر
منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل منهم الذي يليه اصغر
منه كذلك الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي
الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد تركت الالهة عليه اكلنا منه فلما
نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على
طريق الاستهزا الا تاكلون فلم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ
عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا
الصنم الاعظم علق الفاس في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى
فجعلهم جذاذا اي كسرا وقطعا الا كبيرا لهم اي تركه ولم يكسره
ووضع الفاس في عنقه وقيل ربطه على يده وكانت اثنان
وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من
حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير
من الذهب مكلل بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله
لعلهم اليه يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما
يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم
يرجعون الى الصنم فيسالونه ما لهولا مكسرين وانت صحيح والفاس
في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت الهتهم راوا اصنامهم
مكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي في تكسيرها
واجترايه عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يسبهم ويعيبهم يقال
له ابراهيم اي هو الذي نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار
واشراف قومه قالوا فاتوا به على اعين الناس اي جيئوا به ظاهرا

بمراى من الناس قاله نمرود **لعلهم يشهدون** اى عليه بانه الذى فعل ذلك كرهوا ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به **قالوا** له **ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال** يعنى ابراهيم **بل فعله كبيرهم هذا** غضب ان تعبدون هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله **فاسالوهم ان كانوا ينطقون** اى حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه انا فعلت ذلك **ق** عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله قوله انى سقيم ۰ وقوله كبيرهم هذا ۰ وقوله لسارة هذه اختى لفظ الترمذى قوله قيل فى قوله انى سقيم اى ساسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقوله وقوله لسارة هذه اختى اى فى الدين والايمان قال الله انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب **فان قلت** قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته **قلت** انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التاويلات لنفى الكذب من ابراهيم والاولى هو الاول للحديث فيه ويجوز ان يكون الله اذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا ۰ **قال** الامام فخر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع انه جاز ان يكذب لمصلحة وياذن الله تعالى فيه فليجر هذا الاحتمال فى كل ما اخبر الانبيا عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله **فرجعوا الى انفسهم** اى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم **فقالوا** ما نراه الا كما قال **انكم انتم الظالمون** يعنى بعبادتكم من لا يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة

فاسالوها

فاسالوها **ثم نكسوا على رؤسهم** قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم والقول الاول وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا على روسهم اى ردوا الى الكفر وقالوا **لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** اى فكيف نسالهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم **قال** لهم **افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا** اى ان عبدتموه **ولا يضركم** اى ان تركتم عبادته **اف لكم** اى تبا لكم **ولما تعبدون من دون الله** والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم **افلا تعقلون** اى اليس لكم عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب **قالوا حرقوه وانصروا الهتكم** اى انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن عليها **ان كنتم فاعلين** اى ناصرين الهتكم قال ابن عمر الذى قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقيل قاله نمرود ابن كنعان بن سنجاريب بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح ۰ **ذكر القصة فى ذلك** فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تنذر فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المراة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشرا الحطب والقايه فيه فلما جمعوا ما ارادوا اشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة حرها ووهجها وحرها واوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاءهم وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على راس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى ارضك احد يعبدك غيره فاذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وانا الاله ليس له اله غيرى فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينه وبينى فلما ارادوا القاه فى النار اتاه خازن المياه وقال له

ان اردت اخماد النار واتاه خازن الهوا وقال ان شيت اطيرت النار
في الهوا فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروى
عن ابي بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله
الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في
المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة
قال اما اليك فلا • قال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم
حسبي من سوالي علمه بحالي خ عن ابن عباس في قوله وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها
محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
قال كعب الاحبار جعل كل شي يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان
ينفخ في النار ق عن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
بقتل الاوزاغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على ابراهيم **قلنا** اي
قال الله عز وجل **يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم** قال ابن
عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفي الاثار انه لم
يبق يوميذ نار في الارض الا طفيت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار
في العالم ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت
الملايكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ما عذب
وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا
وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قال المنهال
ابن عمرو قال ابراهيم ما كنت ايام قط انعم مني من الايام التي كنت في
النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى
جنب ابراهيم يونسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من
حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد
معه يحدثه • وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان
النار لا تضر احبابي ثم نظر ابراهيم واشرف على ابراهيم من صرح له
فراه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق
الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال
بينك وبين ما ارى يا ابراهيم ان تستطيع ان تخرج منها قال نعم
قال هل تخشى ان اقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام
ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من
الذي رايته معك مثلك في صورتك قاعد الى جنبك قال ذلك
ملك الظل ارسله الي ربي ليونسني فيها فقال نمروذ يا ابراهيم اني
مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين

ابيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له اربعة الاف بقرة قال له ابراهيم
اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى
ديني فقال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها
نمروذ وكف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل منه قوله
عز وجل **وارادوا به كيدا** اي ارادوا ان يكيدوه **فجعلناهم الاخسرين**
قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل
ان الله ارسل على نمروذ وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته قوله تعالى **ونجيناه
ولوطا** يعني من نمروذ وقومه **الى الارض التي باركنا فيها للعالمين**
يعني الى ارض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار
والانهار قال ابي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما
من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس
وقيل ان اكثر الانبياء منها • عن ابي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله
المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من
عباده • عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم
مهاجر ابراهيم اخرجه ابو داود اراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام
يرغب في المقام بها • عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله
قال لان الملايكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذي • عن بهز
ابن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين تامرني قال
ونحى بيده نحو الشام اخرجه الترمذي • قال محمد بن اسحق استجاب
لابراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار بردا
وسلاما على خوف من فرعون وملايهم وامنت به سارة بنت هاران
الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران
وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناحور فثلاثتهم اولاد تارخ
وهو ازر فخرج ابراهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه
لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه
حتى نزل حران فمكث بها ما شا الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر
ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين وترك لوط
بالموتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها

هنا......

وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي
باركنا فيها للعالمين • قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
اى عطية من عطاء الله وقال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان
الله تعالى اعطى ابراهيم اسحاق بدعائه حيث قال رب هب لي من
الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد وكلا جعلنا صالحين
يعني ابراهيم واسحق ويعقوب وجعلناهم ائمة اى يهتدى بهم
في الخير يهدون بامرنا اى يدعون الناس الى ديننا بامرنا واوحينا
اليهم فعل الخيرات اى العمل بالشرايع واقام الصلاة يعني المحافظة
عليها وايتاء الزكاة فيه ان الصلاة افضل العبادات البدنية ومجموعها
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين اى ه
موحدين قوله عز وجل ولوطا اتيناه حكما اى الفصل بين
الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنبوة وعلما ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبايث يعني قرية سدوم واراد اهلها واراد
بالخبايث اتيان الذكور في ادبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم
مع اشيا اخر كانوا يعملون من المنكرات انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل انه الثواب انه
من الصالحين يعني الانبيا قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اى
من قبل ابراهيم ولوط فاستجبنا له اي اجبنا دعاه فنجيناه واهله
من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل
انه كان اطول الانبيا عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم ونصرناه
اى منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا من ان يصلوا اليه بسوء
وقيل من بمعنى على انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين قوله
عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث قال ابن عباس
واكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا
وهو اشبه بالعرف اذ نفشت فيه غنم القوم اى دخلته ليلا فافسدته
وكانت بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين اى كان ذلك بعلمنا ومرأى
منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان اقل الجمع اثنان لقوله
وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين
دخلا على داود احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال
صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي فوقعت فيه فافسدته
فلم تبق منه شيئا فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان
فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت
بغير هذا وروى انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود

ندعاه

ندعاه وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما
اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث
ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب
الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئة يوم اكل دفع الى صاحبه
واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك
فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك احد عشر سنة وحكم الاسلام في هذه
المسالة ان ما افسدت الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا
ضمان على ربها وما افسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس
ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد
بالليل الى المراح • ويدل على هذه المسالة ما روى حرام بن سعد
ابن محيصة ان ناقة البراء بن عازب دخلت حايطا لرجل من الانصار
فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل
الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية
وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابو داود
مرسلا • وذهب اصحاب الراي الى ان المالك اذا لم يكن مع ماشيته
فلا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان او نهارا قوله تعالى ففهمناها
سليمان اى الهمناه وعلمناه حكم القضية وكلا يعني داود وسليمان
اتينا حكما وعلما اي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن
لولا هذه الاية لرايت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه
واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلما في ان حكم داود كان باجتهاد
ام بنص وكذلك حكم سليمان • فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال
ويجوز الاجتهاد للانبيا ليدركوا ثواب المجتهدين والعلما لهم
الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة وان اخطاوا
فلا اثم عليهم ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم باجتهاد فاصاب فله اجران
واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وقال قوم ان داود وسليمان
حكما بالوحي وكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول
لا يجوز للانبيا الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحي ه
واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الاية
وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطا وهو قول اصحاب
الراي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف
اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان
كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى • وقوله عليه السلام اذا اجتهد

فاخطا فله اجر لم يرد به انه يوجر على الخطا بل يوجر على اجتهاده
في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في الخطا عنه موضوع اذا
لم يال جهده ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قدر الضرر في
الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك
الضرر في الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه واما
سليمان فان اجتهاده ادي الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول
والزوايد بالزوايد فاما مقابلته بالزوايد فغير جايز ولعل منافع
الغنم في تلك السنة كان موازنة لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام
داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن ابي هريرة انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كانت امراتان معهما ابناهما جا الذيب
فذهب بابن احديهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك
وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به
للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ايتوني
بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو
ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى **وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن والطير** اى يسبحن مع داود اذا سبح قال
ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه
بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى
وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في
التسبيح ويستفاق اليه **وكنا فاعلين** يعني ما ذكر من التفهيم وايتا
الحكم والتسخير **وعلمناه صنعة لبوس لكم** اي صنعة الدروع التى
تلبس في الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها واتخذها خلفا
داود وكانت من قبل صفايح قالوا ان الله الان له الحديد لداود
فكان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة
وهو قوله **ليحصنكم** اى يمنعكم **من باسكم** اى حرب عدوكم وقيل من
وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله **فهل انتم شاكرون** اى يقول
ذلك لداود واهل بيته **قوله عز وجل ولسليمان الريح** اي
وسخرنا لسليمان الريح وهى جسم متحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض
عليه يظهر بالحس بحركته ويخفى على البصر بلطفه **عاصفة** اي
شديدة الهبوب **فان قلت** قد وصفها بالرخا وهى الريح
اللينة **قلت** كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت
وان ارادت ان تلين لانت **تجري بامره الى الارض التى باركنا فيها** يعني
الشام وذلك انها كانت تجرى بسليمان واصحابه الى حيث يشاء

الدهم

سليمان

سليمان ثم يعود الى منزله بالشام **وكنا بكل شىء عليم** اى بصحة التدبير
فيه وعلمنا انما يعطي سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع
لديه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت
عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرا
غزا قيل ما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك
الا اتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد الغزوا مر بعسكره
فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب
واله الحرب فاذا حمل عليه ما يريد امر العاصف من الجن الريح فدخلت
تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخا فمر به
شهرا في روحته وشهرا في غدوه الى حيث اراد وكان يمر بعسكره الريح
الرخا بالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا توذي طايرا قال
وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض
صحابة سليمان اما من الانس او الجن نحن نزلناه وما بنيناه وجدناه
مبنيا غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه ان شا الله
فبايتون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا
فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب
في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب
وفضة يقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة
وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير
باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة
شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان
الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الخيل فابدله الله
مكانها خيرا منها واسرع الريح تجرى بامره كيف شا فكان يغدو
من ايليا فيقيل باصطخر ثم تروح منها فيكون رواحها بكابل
وروي ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا
بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدوا على مسيرة شهر
ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة على مطلع الشمس على ساحل
البحر حتى اتى ارض القندهار وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها
حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الي
الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه
الى العراق فبنوها له بالصفايح والعمد والرخام الاصفر والابيض
وفي ذلك يقول ———— النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له ◦ قم في البرية فاحددها عن الفند

• وجيش الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •

قوله عز وجل ومن الشياطين اي وسخرنا لداود الشياطين من
يغوصون له اي يدخلون تحت الما فيخرجون من قعر البحر الجواهر
ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو اختراع الصنايع
العجيبة كما قال يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية
ويتجاوزون في ذلك اعمال المدن والقصور ومن الصناعات
كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغيره ذلك وكنا لهم حافظين
اي حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عمل
وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل افسدوه
وخربوه قيل ان سليمان كان اذا ابعث شيطانا مع انسان ليعمل
له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر
لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اي
دعا ربه

ذكر قصة ايوب عليه السلام

قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص
ابن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من
ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه وبسط له
الدنيا وكانت له البثنية من ارض البلقا من اعمال حوران من
ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله
من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل افضل منه
في العدة والكثرة وكان له خمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد
لكل عبد امراة وولد ومال ويحمل الة كل فدان اتان لكل اتان من
الولد اثنان او ثلاثة او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى
قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونسا وكان برا تقيا رحيما
بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ
ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مودبا لحق الله قد امتنع من
عدو الله ابليس ان يصيب منه شيا يصيب من اهل الغنا من
الغرة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو اهله من امر الدنيا
وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن
يقال له اليفن وقيل نفير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلود
والاخر صافن وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شي من السموات
وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من
استراق السمع وسمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلاة على ايوب

وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغي فصعد
سريعا حتى وقف من السما حيث كان يقف وقال الهي نظرت في امر
عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك
ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك
ولخرج من طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله
فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن
ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على
مال ايوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها
الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا
شيت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شي اتي عليه قال ابليس
اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت روسها ورعت
فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق
الابل ورعاها حتى اتى على اخرها ثم جا عدو الله ابليس في صورة
قيمه عليها على قعود الى ايوب فوجده قايما يصلي فقال يا ايوب
اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب
الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها وهي مال الله اعارنيها وهو اولى
بها اذا شا تركها واذا شا نزعها وقديما كنت وطنت نفسي ومالي
على الفنا قال ابليس فان ربك ارسل عليها نارا من السما فاحترقت
فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها • منهم من يقول ما كان ايوب
يعبد شيا وما كان الا في غرور • ومنهم من يقول لو كان اله ايوب
يقدر على ان يصنع شيا لمنع وليه • ومنهم من يقول بل هو الذي
فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه قال ايوب الحمد لله
حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا
اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك ان
تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما
اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك
الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرج فرجع ابليس الى
اصحابه خاسيا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال
عفريت عندي من القوة ما اذا صحت صيحة لا يسمعه ذو روح الا
خرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاها فانطلق حتى توسطها
ثم صاح صيحة فجثمت امواتا من عند اخرها ومات رعاها فجاء
ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فوجده يصلي فقال له مثل
القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه

فقال ما ءاعندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت
عندي من القوة ما اذا تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شي تاتي عليه
قال فات الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح
عاصف فنسفت كل شي من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جا ابليس متمثلا
بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قايم يصلى فقال له مثل قوله الاول
فرد عليه ابليس مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا
حتى مر على اخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واحسن
الثنا عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه بالصبر على البلا حتى
لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشي
صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي ان
ايوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت
مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها الرجال قال الله
عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى
اتى بني ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى
تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب
والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه فصاروا منكسين
وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح
مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف
عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على روسهم تسيل دماوهم وادمغتهم
ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاوهم لتقطع قلبك
عليهم فلم يزل يقول هذا او نحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة
من التراب فوضعها على راسه وقال ياليت امي لم تلدني فاغتنم
ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا
به ثم لم يلبث ايوب ان فا وابصر واستغفر فصعد قرناوه من الملايكة
بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسيا
ذليلا وقال الهي انما هون على ايوب المال والولد انه يرى انك
ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي
على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده
ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم
به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة
للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلا نزل بهم ليتاسوا به في
الصبر ورجا الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجده
ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل راسه وجهه

فنفخ

فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل
مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها
ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة
فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه
اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه
خلق الله كلهم غير امراته وهي رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن
يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما راى
الثلاثة من اصحابه وهم يفن وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به
اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طالت به انطلقوا
اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت
به قال وحضره معهم فتى حدث السن قد امن به وصدقه فقال
لهم الفتى انكم تكلمتم ايها الكهول وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم
ولكن تركتم من القول ما هو احسن من الذي قلتم ومن الراي
اصوب من الذي رايتم ومن الراي اجمل من الذي اتيتم وقد كان
لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي وصفتم فهل تدرون
ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الذي عبتم
واتهمتم الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض
يومكم هذا ثم لم تعلموا او لم يطلعكم الله انه سخط شيا من امره منذ
اتاه الله ما اتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيا من امره منذ
اتاه الله ما اتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيا من الكرامة
التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول ما
صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلا هو الذي ازرى به عندكم
ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله يبتلي المومنين والصديقين
والشهدا والصالحين وليس بلاوه لاوليك دليل على سخطه عليهم ولا
لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله
بهذه المنزلة الا انه اخ احببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل
بالحليم ان يعذل اخاه عند البلا ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه
بما لا يفعل وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له
ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحليم ولا رشيد من
جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر
الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم
الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحا البلغا النبلا الالبا
العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت

استبتواج

جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واجلالا
فاذا استفاقوا من ذلك واستقفوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون
انفسهم من الظالمين والخطاء الخاطئين وانهم لهم الابرار برا امع
المقصرين المفرطين ولانهم الاكياس الاقويا فقال ايوب عليه
السلام ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير
فاذا انبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون
الحكمة من قبل السن والسنين ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد
حكيما في الصبي لم يسقط منزلته عند الحكما وهم يريدون من
الله سبحانه وتعالى نور الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلاثة
وقال انتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان
تضربوا كيف فلو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني
وقربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله ويرضى عني وانكم قد
اعجبتم لنفسكم ثم تصدقتم لو وجدتم لكم عيوبا قد سترها بالعافية
الذي البسكم وقد كنتم فيما خلى توقروني وانا مسموع كلامي
معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي راى
ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد علي من مصيبتي ثم اعرض عنهم
ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يارب
لاي شي خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني ياليتني عرفت الذنب
الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني
لو كنت امتني فالحقتني باباي فالموت كان اجمل بي الم اكن
للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي
انا عبدك ان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك عقوبتي
جعلتني للبلا غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلا ما لو
سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي فان قضاك
هو الذي اذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو
ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملء فمي فادلي
بعذري واتكلم ببراتي واخاصم عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند
ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا
اسمعه فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه
انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله يقول ها انا قد دنوت منك ولم
ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراتك وخاصم عن نفسك
واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي
ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب امرا ما تبلغ بمثله

توبتك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت
معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شي وضعت
اكنافها ابطاعتك حمل الما الارض ام بحكمتك كانت الارض للماء غطا اين
كنت مني يوم رفعت السما سقفا في الهوا لا تعلق بسبب من فوقها
ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها او تسير
نجومها او تختلف بامرك ليلها ونهارها • اين كنت مني يوم انبعت
الانهار وسكرت البحار بسلطانك • حبس امواج البحار على حدودها
ام بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها • اين كنت مني يوم
صببت الما على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على اي
شي ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع يطيق حملها
ام هل تدري من اي شي انشات السحاب • ام هل تدري من اي شي
انشات السحاب • ام هل تدري اين حراثة الثلج • ام اين جبال
البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة
الريح وباي لغة تتكلم الاشجار • ومن جعل العقول في اجواف الرجال
وشق الاسماع والابصار • ومن ذلت الملايكة لملكه وقهر الجبارين
بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على اثار قدرته
ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شاني وكل لساني وعقلي ورايي وضعفت
قوتي عن هذا الامر الذي تعرض علي الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت
صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شيت
عملت ولا يعجزك شي ولا يخفى عليك خافية • الهي اوثقتني البلايا
فتكلمت ولم املك فكان البلا هو الذي انطقني ليت الارض
انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشي يسخطك ربي وليتني مت
بغمي في اشد بلاي قبل ذلك • انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني
وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت
يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي اعوذ
بك اليوم منك واستجيرك من جهد البلا فاجرني واستغثت بك
من عقابك فاغثني • واستعينك على امرك فاعني • واتوكل عليك
فاكفني واعتصم بك فاعصمني • واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشي
تكرهه مني قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي
فقد غفرت لك ورددت عليك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك
اية وتكون عبرة لاهل البلايا وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب فيه شفاوك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر
لهم فانهم قد عصوني فيك • روي عن انس يرفعه ان ايوب لبث ببلايه

ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم تزد يوما وقال كعب
سبع سنين وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا
على كناسة لبني اسرايل سبع سنين واشهر يختلف فيه الدواب لا يقربه
احد غير رحمة صبرت معه تصدق وتاتيه بطعام وتحمد الله معه
اذا حمد ايوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله تعالى والصبر على بلايه
فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا
اليه قالوا ما حزنك قال اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا
ولا ولدا ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة
ملقاة على كناسة لا يقربه الا امراته فاستغثت بكم لتعينوني
عليه فقالوا له فاين مكرك الذي اهلكت به من مضى قال بطل
ذلك كله في ايوب فاشيروا علي قال من اين اتيت ادم حين
اخرجته من الجنة قال من قبل امراته قالوا فشانك بايوب من
قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها
قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امراة ايوب وهي تصدق
فتمثل لها في صورة رجل وقال لها اين بعلك يا امة الله قالت
هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع
ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم
والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك
لا ينقطع عنهم ابدا فصرخت فعلم انه قد جزعت فاتاها بسخلة
وقال ليذبح لي هذا ايوب ويبرا فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك
ربك اين المال واين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين
جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو
الله فنفخ فيك ويلك ارايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة
من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة
قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما
انصفت لتصبرن في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة
والله لئن شفاني الله لاجلدنك ماية جلدة امرتيني ان اذبح لغير
الله طعامك وشرابك الذي اتيتيني به حرام ان اذوق شيا مما
تاتيني به بعد اذ قلت لي هذا اغربي عني فلا اراك فطردها فذهبت
فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا
لله وقال يا رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع
راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت
عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودايه شي ظاهر الا سقط

وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين
اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة
قال فجعل يلتفت فلا يرى شيا مما كان من اهل ومال الا وقد اضعفه
الله حتى والله ذكر لنا ان الما الذي اغتسل منه تطاير على صدره
جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك
قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان
مشرف ثم ان امراته قالت ارايتك ان كان طردني الى من اكله ادعه
يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا
الكناسة ترات ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد
تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين
ايوب عليه السلام وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسال له عن
ايوب فدعاها وقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت
ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا ادري اضاع ام
ما فعل فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال فهل
تعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى علي احد راه ثم جعلت تنظر
اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا
قال فاني انا ايوب الذي امرتيني ان اذبح لابليس واني اطعت الله
وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين قال وهب لبث
ايوب في البلا ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه
شيا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والجسم
والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبها فقال لها انت
صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت
لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت
لانه عبد اله السما وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت
عليك وعليه كلما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم اراها
اياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه • وفي بعض الكتب ان ابليس
قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي
زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال
لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان الله عافاه
ليضربنها ماية جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس
في سجود حرمتي له ودعايه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله رحم رحمة
امراة ايوب بصبرها على البلا وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب
وامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على ماية عود صغار فيضربها به ضربة

واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه
فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى
ظهرت له ثلاثة اشيا احدها ما قيل له في حقه لو كان لك عند
الله منزلة ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم
تجد ما تطعمه فباعت ذوايبها واتت بطعام والثالث قول ابليس
اني اداويه انه قيل له بعد ما عوفي ما كان اشد عليك في بلايك
قال شماتة الاعداء **فان قلت** كيف سماه الله صابرا وقد
اظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الضر والشيطان بنصب وعذاب
قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعا بدليل قوله فاستجبنا
له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب
انما اشكوا بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من اظهر
الشكوى الى الناس وهو راض بقضا الله تعالى لا يكون ذلك جزعا
كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا
وقال لعايشة حين قالت واراساه قال بل انا واراساه وقوله
تعالى **فاستجبنا له** اي اجبنا دعاه **فكشفنا ما به من ضر** وذلك
انه قال اركض برجلك فركض فنبعت عين ما فامره ان يغتسل
منها ففعل فذهب كل دا كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة
فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبع عين ما بارد
فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل دا كان بباطنه فصار
كاصح ما كان **واتيناه اهله ومثلهم معهم** قال ابن مسعود وابن
عباس واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم
الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القران وعن ابن عباس ان
الله رد الى المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا كان له
سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه كان له اندران
اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما
على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق
حتى فاضا وروي ان الله بعث اليه ملكا ويقول لك ان ربك
يقريك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله
عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره
فقال له الملك اما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من
بركات ربي ولا اشبع من بركته خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد

من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه الم اكن اغنيتك عما ترى
قال بلى يارب ولكن لا غنا لي عن بركتك وقيل يا نبي الله ايوب مثل اهله
الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك في الاخرة فان شيت
عجلناهم لك في الدنيا وان شيت كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم
في الدنيا فقال بل يكونون لي في الاخرة واوتى مثلهم في الدنيا
فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم في
الدنيا واراد بالاهل الاول **رحمة من عندنا** اي نعمة **وذكرى للعابدين**
اي عظة وعبرة لهم **قوله عز وجل واسمعيل** هو ابن ابراهيم صلى
الله عليه وسلم **وادريس** هو اخنوخ **وذا الكفل كل من الصابرين**
اي على امر الله لما ذكر الله ايوب وصبره على البلا اتبعه بذكر
هولا الانبيا لانهم صبروا على المحن والشدايد والعبادة ايضا اما
اسمعيل صلى الله عليه وسلم صبر على الانقياد للذبح واما ادريس فقد
تقدم قصته واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل انه كان نبيا من بني

الانبياء

اسرايل وكان ملكا اوحى الله اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك
على بني اسرايل فمن تكفل انه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر
ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام
شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونباه
فسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا على
الناس يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من
يتقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب
فقام رجل تزدريه العين فقال انا فاستخلفه فرده ذلك اليوم
وقال مثلها في الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا
فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه
للقايلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب
فقال من هذا فقال هذا شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال
ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل
يطول حتى ذهب القايلة فقال اذا رحت فاتني حتى اخذ حقك
فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام
يتبعه فلم يجده فلما كان من الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره
فلم يره فلما رجع الى القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال
من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال الم اقل اذا قعدت فاتني
قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك
واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست فاتني فاتته القايلة

فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم
الثالث قال لبعض اهله لا تدع احدا يقرب هذا الباب حتى
انام فانه قد شق علي النعاس فلما كان تلك الساعة نام جا فلم
ياذن له الرجل فلما اعياه نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا
هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم
امرك قال اما من قبلي فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب
فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام
والخصوم بيابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتني
وفعلت ما فعلت لا غضبنك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لانه
تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس
وقيل زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا **وادخلناهم في
رحمتنا** يعني ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من
الثواب **انهم من الصالحين** **قوله عز وجل** **وذا النون** ابن
متى اي واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه اياه
وهو يونس بن متى **اذ ذهب مغاضبا** قال ابن عباس في رواية
عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى
منهم تسعة اسباط ونصف وبقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله
الى شعيا النبي ان سر الى حزقيا الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا
فاني القي في قلوب اوليك حتى يرسلوا معه من بني اسرايل فقال له
فمن ترى وكان في مملكته خمسة انبيا قال يونس فانه قوي امين
فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله
باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهاهنا غيري انبيا
اقويا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك ولقومه فاتى بحر
الروم فركبه وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم
العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه
الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذا
عنهم فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية
لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من
جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم ياتهم العذاب للميعاد
فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل يونس فقال انطلق الى اهل
نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك ه
فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا
صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها

هوم

تفسخ

تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من بين يديه وخرج هاربا
منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم فقال لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت
وقوله **فظن ان لن نقدر عليه** اي ان لن نقضي عليه العقوبة قال
ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس
وقيل معناه افظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه • وقيل لما انطلق
يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه
وكان له سلف عبادة فابى الله ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن
الحوت فمكث فيه اربعين ما بين يوم وليلة • وقيل سبعة ايام
وقيل ثلاثة • وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض
السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت **فنادى في
الظلمات** اي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت **ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين** اي حيث عصيتك وما
صنعت من شي فلم اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت
برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت
ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى
مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال
في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا التسبيح فقالوا يا ربنا نسمع
صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان
مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت
فقالوا العبد الصالح الذي يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل
صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه فذلك قوله
فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من تلك الظلمات **وكذلك ننجي
المؤمنين** اي من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا • فان قلت
قد تمسك بمواضع من هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من
الانبيا منها قوله اذ ذهب مغاضبا • ومنها فظن ان لن نقدر
عليه • ومنها قوله اني كنت من الظالمين • **قلت** اما الجواب
الكلي فقد اختلف في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا
فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن
الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت
قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغاير قبل النبوة ومنعها
بعد النبوة وهو الصحيح • واما **الجواب** التفصيلي فقوله

اذ ذهب مغاضبا فحمله انه لقومه او للملك اولى بحال الانبيا
عليهم السلام واما قوله فظن ان لن نقدر عليه تقدم معناه
اى لن نضيق عليه وذلك انه يونس ظن انه مخير ان شا اقام
وان شا خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه فى اختياره وقيل
هو من القدر واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع
الشى فى غير موضعه وهذا اعتراض عند بعضهم بذنبه اما ان
يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لغضبه عما حمله او
لدعائه بالعذاب على قومه وفى هذه الاشيا ترك الافضل
مع القدرة على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته
قبل هذه الواقعة بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق الى الفلك المشحون وعلى هذا يكون الجواب عن هذه
الواقعة ما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز وجل
وزكريا اذ نادى ربه اى دعا ربه فقال رب لا تذرنى فردا اى
وحيدا لا ولد لى يساعدنى وارزقنى وارثا وانت خير الوارثين
وهو ثنا على الله عز وجل بانه الباقى بعد فنا الخلق فانه الوارث
لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير
الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى اى ولدا واصلحنا له
زوجه اى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة
الخلق فاصلحها الله له بان رزقها حسن الخلق انهم كانوا
يسارعون فى الخيرات يعنى الانبيا المذكورين فى هذه السورة
وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة فى الخيرات من اكبر ما
يمتدح به المرء لانه يدل على حرص عظيم فى طاعة الله عز وجل
ويدعوننا رغبا ورهبا يعنى انهم اتيهوا الى فعل الطاعات
امرين احدهما الفزع الى الله تعالى لمكان الرغبة فى ثوابه
والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله وكانوا لنا
خاشعين وهو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر
الذى لا ينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم قوله تعالى
والتى احصنت فرجها يعنى احصانا كليا من الحلال والحرام
جميعا كما قالت لم يمسسنى بشر ولم اك بغيا وهى مريم بنت
عمران فنفخنا فيها من روحنا اى امرنا جبريل حتى نفخ فى جيب
درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها واضاف الروح اليه
تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله وجعلناها وابنها اية
للعالمين اى دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير اب

فان قلت هما ايتان فكيف قال اية قلت معنى الكلام
وجعلنا شانهما وامرهما اية واحدة لان ولادتها اياه من غير اب اية
قوله تعالى ان هذه امتكم اى ملتكم ودينكم امة واحدة اى دينا واحدا
وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة
التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة واحدة لاجتماع اهلها
على مقصد واحد وانا ربكم فاعبدون اى لا دين سوى دينى ولا رب لكم
غيرى فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم اى اختلفوا فى الدين فصاروا
فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من بعض كل الينا
راجعون فيجزيهم باعمالهم فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران
لسعيه اى لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه وانا له
كاتبون اى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة ومعنى
الكفران ترك المجازاة قوله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون قال ابن عباس وحرام على اهل قرية اهلكناها ان يرجعوا
بعد الهلاك وقيل معناه انه واجب على قرية اهلكناهم انهم لا يرجعون
الى الدنيا وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان تقبل
اعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه ابتداء عن ياجوج وماجوج وهما
قبيلتان يقال انهم تسعة اعشار بنى ادم وهم من كل حدب ينسلون
اى يسرعون النزول من الاكام والقلاع وفى هذه الكناية وجهان احدهما
ان المراد بهم ياجوج وماجوج وهو الاصح بدليل ما روى عن النواس
ابن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة
فخفض فيه ورفع حتى ظنناه انه فى طايفة النخل فلما رحنا اليه عرفنا
ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة
فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طايفة النخل فقال غير الدجال
اخوفنى عليكم ان خرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست
فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط
عينه طافية كانى اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرا
عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث
يمينا وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه
فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير
ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذى كسنة ايكفينا
فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه
فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتى على القوم فيدعوهم

فيؤمنون به ويستجيبون له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت
فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده
خواصر ثم ياتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم
فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شي من اموالهم ويمر بالخربة فيقول
لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا
ممتليا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم
يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث
الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضا شرقي
دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا
راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر يجد
ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى
يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم
الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو
كذلك اذ اوحى الله الى عيسى بن مريم اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان
لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج
وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوايلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما
فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ما ويحصر نبي الله عيسى
واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من ماية دينار لاحدكم
اليوم فيرغب نبي الله واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف في
رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى
واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاه زهمهم
ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا
كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث ما شا الله ثم يرسل الله مطرا
لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة
ثم يقال للارض انبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة
من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة
من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة
من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك
اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مومن
ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة
اخرجه مسلم **شرح غريب الفاظه** قوله حتى ظنناه في طايفة
النخل اي ناحية النخل وجانبه والطايفة القطعة من الشي وقوله
خفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره

وقيل

وقيل انه خفض في امره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من
امره قوله انه شاب قطط اي جعد الشعر وقوله طافية اي خارجة عن
حدها قوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين
والتخلل الدخول في الشي قوله فعاث اي افسد قوله فاقدروا له
قدره اي قدروا قدر يوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه كل يوم بقدر
ساعاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم اي مواشيهم وقوله فيصبحون
ممحلين اي متحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعا[سيب]
النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورييسها قوله فيقطعه جزلتين
رمية الغرض اي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله
بين مهرودتين روي بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين
وقيل المهرود الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد ان
يقاتلهم اي لا قدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في انوف
الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم ريحهم المنتنة
قوله كالزلفة اي كالمراة وجمعها زلف ويروى بالقاف واراد به استواها
ونظافتها قوله تاكل العصابة اي الجماعة قيل يبلغون اربعين
وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الرا اللبن واللقحة
الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة
وقوله يتهارجون اي يختلفون والتهارج الاختلاف واصله القتل
الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون
قيل جميع الخلايق يعني انهم يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب
م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم
علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن
تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج وماجوج
وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله عز وجل
واقترب الوعد الحق اي القيامة قال حذيفة لو ان رجلا اقتنى فلوا
بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر
فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا قيل معنى الاية ان القيمة
اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف
من هول ذلك اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا
يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كاين بل كنا ظالمين
اي وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل انكم الخطاب

للمشركين وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم
اى حطبها ووقودها وقيل يرمون بهم في النار كما يرى بالحصبا
واصل الحصب الرمى انتم لها واردون اى فيها داخلون لو كان هولا
يعني الاصنام الهة اى على الحقيقة ما وردوها اى ما دخل
الاصنام النار وعابدوها وكل فيها خالدون يعني العابدين
والمعبودين لهم فيها زفير قيل الزفير هو ان يملا الرجل صدره غما
ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب وهم فيها لا يسمعون
قال ابن مسعود في هذه الاية اذا بقى في النار من يخلد فيها جعلوا في
توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى ثم
عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيا ولا يرى ان في النار احد
يعذب غيره قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال
العلما ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة
والعدة الجميلة بالجنة اوليك عنها اى عن النار مبعدون قيل
الاية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال اكثر المفسرين
عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طايع ولعبادة من
يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد
وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثماية وستون صنما
فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
افحمه ثم تلى عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم
لها واردون الايات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى
السهمى فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى انت قلت
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست
اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون
الملايكة فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان
فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا
والمسيح والملايكة اوليك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما
ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من
الاية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم ولو اراد به الملايكة والناس لقال انكم ومن تعبدون
من دون الله لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل لا يسمعون حسيسها
يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة وهم فيما

اشتهت

اشتهت انفسهم اى من النعيم والكرامة خالدون اى مقيمون قوله
تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة
وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا اهل النار خلود بلا موت وقيل
هو ان تطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه
وتتلقاهم الملايكة اي تستقبلهم الملايكة على ابواب الجنة يهنونهم
ويقولون هذا يومكم الذى كنتم توعدون اى فى الدنيا قوله عز وجل
يوم نطوى السما كطى السجل للكتاب قال ابن عباس السجل الصحيفة
والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد
النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى
نطوى السما كما يطوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير
لا يحزنهم الفزع الاكبر فى ذلك اليوم كما بدانا اول خلق نعيده
اى كما بدانا هم فى بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيده يوم القيمة
ق عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول
خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث
بعد الموت قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قيل
الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبيا والذكر هو ام الكتاب الذي
عنده ومن ذلك الكتاب نسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر
اى ما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التورية والذكر
الكتب المنزلة من بعد التورية وقيل الزبور كتاب داود والذكر
هو القران وبعد هنا بمعنى قبل ان الارض يرثها عبادي الصالحون
يعني ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله
تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الانبيا ان الجنة يرثها من كان
صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان اراضى
الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز
المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان
فيها ان فى هذا اي فى القران لبلاغا اى وصولا الى البغية يعني
من اتبع القران وعمل بما فيه وصل الى ما يرجوا من الثواب وقيل
البلاغ الكفاية اى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعظ البالغة والقران زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى
لقوم عابدين اي مومنين يعبدون الله تعالى وقيل هم امة محمد
صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال
ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون قوله عز وجل

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية
وضلالة واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مدتهم
وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى النور والثواب
فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام
وميز الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قيل يعني المومنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في
حق من آمن ومن لم يومن فمن امن فهو رحمة له في الدنيا والاخرة
ومن لم يومن فهو رحمة له في الدنيا بتاخير العذاب عنه ورفع
المسخ والخسف والاستيصال • وقال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة
مهداة **قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون**
اي منقادون لما يوحى اليه من اخلاص الالهية والتوحيد لله
والمراد بهذا الاستفهام الامر اي اسلموا **فان تولوا** اي اعرضوا ولم
يسلموا **فقل اذنتكم** اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا **على سواء**
اي انذارا بينا نستوي في علمه لا استبد انا به دونكم فتتاهبوا
لما يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به
وقيل معناه لتستووا في الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم
من التوحيد وغيره **وان ادري** اي وما اعلم **اقريب ام بعيد ما توعدون**
يعني القيمة لا يعلمه الا الله **انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**
اي لا يغيب عن علمه شي منكم في علانيتكم وسركم **وان ادري لعله
فتنة لكم** اي لعل تاخير العذاب عنكم اختبارا لكم ليرى كيف
صنيعكم وهو اعلم **ومتاع الى حين** اي تتمتعون الى انقضا اجالكم
قل رب احكم اي افصل بيني وبين من كذبني **بالحق** اي بالعذاب
كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل
بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم والله يحكم
بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي من الشرك والكفر
والكذب والاباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا لي رب احكم
بالحق وقل متوعدا الكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحج وهي مكية

غير ست ايات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط
الحميد وهي ثمان وسبعون اية والف ومايتان واحدى وتسعون
كلمة وخمسة الاف وخمسة وسبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**

قوله

قوله عز وجل **يا ايها الناس اتقوا ربكم** اي احذروا عقابه واعملوا
بطاعته **ان زلزلة الساعة شيء عظيم** الزلزلة شدة الحركة على الحال
الهايلة ووصفها بالعظم ولا شيء اعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من
اشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها
فتكون معها **يوم ترونها** يعني الساعة وقيل الزلزلة **تذهل** قال
قال ابن عباس تشتغل وقيل تنسى **كل مرضعة عما ارضعت** اي كل
امراة معها ولد ترضعه **وتضع كل ذات حمل حملها** اي تسقط من
هول ذلك اليوم قال الحسن تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام
وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة
في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة
في القيمة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته
كما تقول هذا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته **وترى الناس
سكارى** على التشبيه **وما هم بسكارى** على التحقيق ولكن ما رهقهم
من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وازال تمييزهم وقيل
سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب **ولكن عذاب الله
شديد** ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك وسعديك
زاد في رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله يامرك
ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال رب وما بعث النار قال
من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحوامل حملها
ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في
رواية قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم
واحد ثم انتم في الناس كالشعرة السودا في جنب الثور الابيض او
كالشعرة البيضا في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في
ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث
اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي
حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني
المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي
حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم فلم ير اكثر
باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم
يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس بين باك وجالس حزين متفكر فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم
قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث بعث النار وذكر نحو حديث
ابي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من امتي عشر سبعون الفا الجنة
بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون
الفا قوله عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدل وكان يقول الملايكة بنات
الله والقران اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحيا من صار ترابا
ويتبع اي في جداله في الله بغير علم كل شيطان مريد اي المتمرد
المستمر في الشر وفيه وجهان احدهما انهم شياطين وهم روسا الكفر
الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده كتب
عليه اي قضي على الشيطان انه من تولاه اي اتبعه فانه يعني
الشيطان يضله اي يضل من تولاه عن طريق الجنة ويهديه الى
عذاب السعير وفي الاية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه
من يقبل منه فهو في ضلال ثم الزم الحجة منكري البعث فقال
يا ايها الناس ان كنتم في ريب اي شك من البعث اي بعد الموت
فانا خلقناكم من تراب يعني اباكم ادم الذي هو اصل النسل ثم من
نطفة يعني ذريته من المني واصلها الما القليل ثم من علقة
اي من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ثم
من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة قال
ابن عباس اي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير
مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تاتي به المراة
لوقته وغير مخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى
قسمين احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني هو
الناقص عن هذه الاحوال كلها روى عن علقمة بن مسعود موقوفا
عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه وقال
اي رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم
دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى
اشقي ام سعيد ما الاجل وما العمل وما الرزق باي ارض تموت
فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيه كل ذلك فيذهب فيجدها
في ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى ياتي على اخر صفته والذي
اخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه
اربعون يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك

ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ
فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما
يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها قوله
تعالى لنبين لكم اي كمال قدرتنا على الاعادة وقيل لنبين لكم ما
تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين
لكم ان تغيير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان
القادر على هذه الاشيا كيف يكون عاجزا عن الاعادة ونقر في
الارحام ما نشاء اي لا يسقطه ولا يمجه الى اجل مسمى اي الى وقت
خروجها من الرحم تام الخلقة ثم نخرجكم اي وقت الولادة طفلا اي
صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ثم لتبلغوا
اشدكم اي كمال القوة والعقل والتمييز ومنكم من يتوفى اي قبل
بلوغ الكبر ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي الهرم والخوف فيصير كما
كان في اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر
دليلا اخر على البعث فقال تعالى وترى الارض هامدة اي يابسة لا
نبات فيها فاذا انزلنا عليها الما يعني المطر اهتزت اي تحركت
بالنبات وربت اي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات
وانبتت هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت فاضيف الى الارض توسعا
من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن نضر والبهيج هو المبهج
وهو الشي المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين
رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ذلك اي لتعلموا بان الله
هو الحق وان حدوث هذه الاشيا بوجود الصانع وانه يحيي الموتى
انه لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات
وان الله على كل شي قدير اي من كان لذلك قادر على جميع الممكنات
وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي
ذكر ما ذكر من الدلايل ان الساعة اتية لا شك فيها وانها حق وان
البعث بعد الموت حق قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم يعني النضر بن الحارث ولا هدى اي ليس معه من الله بيان
ولا رشاد ولا كتاب منير اي ولا كتاب من الله له نور ثاني عطفه اي
لاوي جنبه وعنقه مستجبرا متبخترا متكبرا معرضا عما يدعى اليه من الحق
تكبرا ليضل عن سبيل الله اي عن دين الحق له في الدنيا خزي اي
عذاب وهوان وهو انه قتل يوم بدر صبرا عقبة بن ابي معيط ونذيقه

يوم القيمة عذاب الحريق ذلك اى يقال له ذلك بما قدمت يداك
وان الله ليس بظلام للعبيد اي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى
على اي وجه تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل
ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية نزلت في قوم من الاعراب
كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم
المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امراته
غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان
له وان اصابه مرض وولدت امراته جارية ولم تلد فرسه مهرا
وقل ماله فقال ما اصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا
فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله ومن الناس
من يعبد الله على حرف اى على شك واصله من حرف الشي وهو
طرفه الذى هو القايم عليه نحو حرف الجبل والحايط الذى غير
مستقل فقيل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه
لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق
واضطراب في دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبدوا الله بالشكر
على السرا والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق
يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير اى صحة في جسمه
وسعة في معيشته اطمان به اى رضي به وسكن اليه وان اصابته
فتنة اي بلا في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه
اى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه من الكفر خسر
الدنيا والاخرة اى خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله
مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والاخرة بذهاب الدين
والخلود في النار ذلك هو الخسران المبين اى الظاهر يدعوا من دون
الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه اى ان اطاعه
وعبده ذلك هو الضلال البعيد اى عن الحق والرشد يدعوا لمن
ضره اقرب من نفعه فان قلت قد قال في الاية الاولى
يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في هذه الاية لمن
ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت
حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الاولى ما
لا يضره اى لا يضره ترك عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن
عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان
الله سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله
وضلاله انه يستشفع به حين يستشفع به وقيل الاية في الروسا وهم

الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا وحجة
هذا القول ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضر
ولا تنفع وهذه الاية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان
المذكور في هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الروسا بدليل قوله
لبئس المولى ولبئس العشير اى الناصر والصاحب المعاشر قوله
عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد اي باوليايه واهل
طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى من
كان يظن ان لن ينصره الله يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في
الدنيا اى باعلا كلمته واظهار دينه والاخرة اي وفي الاخرة باعلا
درجته والانتقام ممن كذبه فليمدد بسبب اى بحبل الى السما اى
سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد حبلا في سقف
بيته فليختنق به الى ان يموت ثم ليقطع اى الحبل بعد الاختناق
وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده
اى صنيعه وحيلته ما يغيظ اى فليختنق غيظا وليس هذا على
سبيل الحتم لانه على سبيل لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق
ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا ه وقيل المراد بالسما السما المعروفة
والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيد في امره ليقطعه
عنه فليقطعه من اصله فان اصله في السما فليطلب سببا يصل
به الى السما ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذى
ياتيه فلينظر هل يتهيا له الوصول الى السما بحيلة وهو يقدر على
اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه
عديم الفايدة وفي الاية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه
روى ان الاية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف قالوا لا يمكننا
ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا
وبين اليهود فلا يميروننا ولا يؤوننا ه وقيل النصر معناه الرزق
ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا
تقول العرب من ينصرني نصره الله اى من يعطيني اعطاه الله وكذلك
انزلناه يعني القران ايات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابيين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام

وخمسة للشيطان وهو مساعد الاسلام ان الله يفصل بينهم اي يحكم
بينهم يوم القيمة وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا
يجازيهم جزا واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد ان الله
على كل شي شهيد اي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في
ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه
الاية في تفسير سورة البقرة **قوله عز وجل** الم تر اي الم تعلم
وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل سجود هذه
الاشيا تحول ظلالها وقيل ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا
حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع
الى مطلعه • وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو
مطيع لله تعالى خاشع ويسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح
وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة
لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة
اشبهت بطاوعتها افعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع
دونه **فان قلت** هذا التاويل يبطله قوله وكثير من الناس
فان السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير
من الناس يكون تخصيصا من غير فايدة **قلت** المعنى
الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر
وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد
بظاهره واما المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل
الفرق حصل التخصيص بالذكر • وقيل معنى الاية ولله يسجد من
في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون
السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة
فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ
عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس **قلت**
لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا
من الناس لا يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم
وكثير حق عليه العذاب وهم الكفار اي حق عليهم العذاب
بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود يسجد
ظلالهم لله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم اي من يذله
الله فلا يكرمه احد ان الله يفعل ما يشا اي يكرم الله بالسعادة
من يشا ويهين بالشقاوة من يشا وقيل هو الذي يصح منه

الاكرام

الاكرام والهوان يوم القيمة بالثواب والعقاب **فصل**
هذه السجدة من عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان
يسجد عند تلاوتها او سماع تلاوتها **قوله عز وجل** هذان
خصمان اختصموا في ربهم اي جادلوا في دينه وامره واختلفوا في
هذين الخصمين نروي عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما
ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين
برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة بن وشيبة
ابن ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين خ عن علي
ابن ابي طالب قال انا اول من يجثوا للخصومة بين يدي الرحمن
يوم القيمة قال قيس بن عباد فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا
في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن
الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
قال محمد بن اسحاق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية
من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفرا
وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار فقالوا
حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا
اكفانا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة
ابن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا
منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة
وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد
ابن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف
عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر علي وحمزة
باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد
قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الست شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان ابو
طالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول

• ونسلمه حتى نصرع حوله • ونذهل عن ابنائنا والحلايل •

وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في المسلمين واهل الكتاب قال
اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال
المسلمون نحن احق بالله امنا بالله وبنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وبكتابكم وما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم
حسدا فهذا خصومتهم في ربهم وقيل هم المومنون والكافرون

من اى ملة كانوا اذ المؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان
الجنة والنار وعن ابي هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم
تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
وقالت الجنة فمالى لا يدخلني الا ضعفا المسلمين وسقطهم زاد
في رواية وغراتهم فقال الله تعالى للجنة انت رحمتى ارحم بك
من اشا من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك
من اشا من عبادي ولكل واحد منكما ملوها فاما النار فلا
تمتلي حتى يضع الله رجله فيقول قط قط قط فهنالك تمتلى
ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم ربك احدا واما الجنة فان
الله ينشا لها خلقا وللبخارى اختصمت الجنة والنار وهذا
القول ضعيف والاقوال الاول اولى لان حمل الكلام على ظاهره
اولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو اهل
الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين اهل طاعته واهل
معصيته وذكرها للخصمين فقال تعالى فالذين كفروا قطعت
لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب
وليس من الانية شى اذا احمى اشد حرا منه وسمى باسم الثياب لانها
تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل تكسى اهل النار مقطعات من
نار يصب من فوق روسهم الحميم اى الما الحار الذى انتهت حرارته
يصهر به اي يذاب بالحميم الذى يصب من فوق روسهم ما فى بطونهم
من الشحوم والاحشا والجلود عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الحميم ليصب من فوق روسهم فينفذ حتى
يخلص الى جوفه فيسلب ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو
الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ولهم
مقامع من حديد اى سياط من حديد وهى الجرز من الحديد
وفى الخبر لو وضع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان
ما قلوه من الارض كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اى كلما حاولوا
الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى ياخذ بانفاسهم
اعيدوا فيها اى ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم
فتلقيهم الى اعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية
بمقامع الحديد فيهوون سبعين خريفا وذوقوا عذاب الحريق
اى تقول لهم الملايكة ذلك الحريق بمعنى المحرق وهذا وصف
حال اهل الخصمين وهم الكفار وقال الله تعالى فى وصف الخصم
الاخر ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى

من

من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم
فيها حرير وهو الابريسم الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا عن
معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى
الجنة بحر الما وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد
ذلك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ق عن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما
وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين
ان ينظروا الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه فى جنة عدن عن ابى
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان
ادنى لولوة منها لتضى ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الاخرة قوله تعالى
وهدوا من الهداية اى ارشدوا الى الطيب من القول قال ابن
عباس هى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر
والحمد لله وسبحان الله وقيل اى القران وقيل هو قول اهل الجنة
الحمد لله الذى صدقنا وعده وهدوا الى صراط الحميد اى الى دين
الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود فى افعاله قوله عز وجل
ان الذين كفروا اى باجابة محمد صلى الله عليه وسلم ويصدون عن
سبيل الله اى بالمنع من الهجرة والجهاد والمسجد الحرام اى ويصدون
عن المسجد الحرام الذى جعلناه للناس اى قبلة لصلاتهم ونسكا
ومتعبدا سوا العاكف اى المقيم فيه قال بعضهم ويدخل فيه
الغريب اذا جاور واقام به ولزم التعبد فيه والبادي اى
الطارى المنتاب اليه من غيره واختلفوا فى معنى الاية فقيل
سوا العاكف فيه والبادي فى تعظيم حرمته وقضا النسك به
واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد
الحرام ومعنى التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الطواف فيه
والصلاة به وعن جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
يا بنى عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف هذا البيت وصلى بابه
شيا من ليل او نهار اخرجه الترمذى وابو داود والنسائى وقيل
المراد جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سوا فى النزول
به ليس احدهما احق بالمنزل من الاخر غير انه لا يزعج احدا اذا كان
قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن
زيد قالوا هما سوا فى البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط

كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة باحق بمنزله
منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم
فعلى هذا لا يجوز القول ببيع دور مكة واجارتها قالوا ان ارض
مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو العاكف والبادي فلما
استويا ثبت سبيله سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة ه
قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى
الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس
وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك
بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اضاف الديار
الى مالكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق
بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن فنسب الديار
اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن باربعة
الاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله عز
وجل ومن يرد فيه اي في المسجد الحرام بالحاد بظلم قيل الالحاد
هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء كان منهيا عنه من قول
او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام وارتكاب
شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس
هو ان تقتل فيه من لا يقتلك او تظلم فيه من لا يظلمك وقال
مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل
احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن امية ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام بالحرم الحاد
فيه اخرجه ابو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن
يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال لو ان رجلا هم
بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة
وهو بعدن ابين او ببلد اخر اذاقه الله من عذاب اليم قال السدي الا ان يتوب
وروي عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر
في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال
كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله
تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت قال ابن عباس جعلنا وقيل
وطانا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن
الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر اين
يبني فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت من الاساس
وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها راس يتكلم

يا ابراهيم ابن على قدري فبنى عليه ان لا تشرك بي شيا اي عهدنا الى
ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي اي من الشرك والاوثان
والاقذار للطائفين اي الذين يطوفون بالبيت والقائمين اي المقيمين
به والركع السجود اي المصلين قوله عز وجل واذن اي اعلم وناد
والاذان في اللغة الاعلام في الناس قال ابن عباس اراد بالناس اهل
القبلة بالحج فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله
عليك الاذان وعلي الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول
الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا
وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج
الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الاباء وارحام
الامهات لبيك اللهم لبيك ه قال ابن عباس فاول من اجابه
اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا ه وروي ان ابراهيم صعد ابا قبيس
ونادى وزعم الحسن ان المامور بالتاذين هو محمد صلى الله عليه وسلم
امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع م عن ابي هريرة قال قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج
فحجوا ياتوك رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل وعلى كل ضامر
اي ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدا بذكر المشاة تشريفا
لهم ياتين اي جماعة الابل من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد من
الى مكة حاجا فكانه قد اتى ابراهيم لانه مجيب نداه قوله تعالى
ليشهدوا منافع لهم قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال
ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من امر الدنيا والاخرة
ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجة في قول
اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على علمها من اجل وقت الحج
في اخرها ه وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل
انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده على ما رزقهم من بهيمة الانعام
يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه
دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وايام التشريق لان التسمية
على بهيمة الانعام نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام فكلوا منها
امر اباحة ليس بواجب وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من
لحوم هداياهم شيا فامر الله بمخالفتهم ه اتفق العلماء على ان الهدي
اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحية التطوع
لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن
من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما غبر
واشركه في بدنه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت
فاكل من لحمها وشرب من مرقها اخرجه مسلم قوله ما غبر اي ما بقي
قوله ببضعة اي بقطعة واختلف العلما في الهدي الواجب بالشرع
مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزا
الصيد هل يجوز للمهدي ان ياكل منه شيا قال الشافعي لا ياكل منه
شيا وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر ٥ وقال ابن عمر لا ياكل من
جزا الصيد والنذر وياكل مما سوي ذلك وبه قال احمد واسحق
وقال مالك ياكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا
من فدية الاذي وجزا الصيد والمنذور ٥ وعند اصحاب الراي انه
ياكل من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما وقوله
تعالى واطعموا البائس الفقير يعني الزمن الذي لا شي له قوله
تعالى ثم ليقضوا تفثهم اي ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد منه
الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقص ٥
الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث اغبر اذا لم
يزل هذه الاوساخ ٥ وقال ابن عمر وابن عباس قضا التفث مناسك
الحج كلها وليوفوا نذورهم اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان
من شي يكون في الحج اي ليتموها بقضايها وقيل المراد منه الوفا بما
نذر وهو على ظاهره ٥ وقيل المراد به الخروج عما وجب عليه نذره
او لم ينذره وليطوفوا بالبيت العتيق اراد به طواف الواجب وهو
طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة
طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل
ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف
سنة لا شي على من تركه ق عن عايشة ان اول شي بدا به حين قدم
النبي صلى الله عليه وسلم انه توضا ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج ابو بكر
وعمر مثله ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى اربعا زاد في رواية يصلي ركعتين
يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ ابي
داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج او العمرة
اول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة اشواط ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين
والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي
والحلق ق عن عايشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما
اراني الا حابستكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت

يوم النحر قيل نعم قال فانفري قوله عقرا حلقا معناه عقرها الله اي
اصابها بالعقر وبوجع في حلقها ٥ وقيل معناه مشومة موذية ولم
يرد بها الدعا عليها وانما هو شي يجري على السنة العرب كقولهم لا ام
لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف
الافاضة لا يجوز له ان ينفر للطواف الثالث طواف الوداع لا رخصة
لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف
سبعا فمن تركه فعليه دم الا المراة الحايض فانه يجوز لها تركه ٥
للحديث المتقدم ولما روي ابن عباس قال امر الناس ان يكون اخر
عهدهم بالبيت الا انه خفف للمراة الحايض متفق عليه والرمل
سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع
وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان
الله اعتقه من ايدي الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر
عليه جبار قط ٥ وقيل لانه اول بيت وضع للناس وقيل لان الله
اعتقه من الغرق فانه رفع ايام الطوفان ٥ وقيل لانه لم يملك
قوله عز وجل ذلك اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج
ومن يعظم حرمات الله اي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها
ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة
ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه ٥ وقيل الحرمات هنا
مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها ٥ وقيل الحرمات هنا
البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم
العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه
اي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الاخرة واحلت لكم الانعام
اي ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم
اي تحريمه وهو قوله في سورة المايدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية
فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس
وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم التلوث
بالنجاسات واجتنبوا قول الزور اي الكذب والبهتان وقال
ابن مسعود شهادة الزور ٥ وروى عن ايمن بن خريم قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة
الزور اشراكا بالله ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتنبوا
الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال
قد اختلفوا في روايته ولا يعرف لايمن سماعا من النبي صلى الله عليه
وسلم واخرجه ابو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين

في تلبيتهم لبيك لاشريك له الاشريك هو لك تملكه وما ملك قوله
تعالى **حنفا لله** اى مخلصين له **غير مشركين به** فدل ذلك على ان المكلف
ينوي بما ياتيه من العبادة الاخلاص بها لاغيره وقيل كانوا في الشرك
يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفا فنزلت
حنفا لله غير مشركين به اى حجاجا لله مسلمين موحدين ومن اشرك
لايكون حنيفا **ومن يشرك بالله فكانما خر** اى سقط **من السما** الى الارض
فتخطفه الطير اى تستلبه وتذهب به **او تهوي به الريح** اى تميل وتذهب
في مكان سحيق اى بعيد ومعنى الاية ان بعد من اشرك بالله من الحق
والايمان كبعد من سقط من السما فذهبت به الطير او هوت به الريح
فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء
لانه لايملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لامحالة
اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الاية
من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراه هلاك لان صورة
حاله تصور حال من خر من السما فاختطفته الطير فتفرقت اجزاوه
في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة
وقيل شبه الايمان بالسما في علوه والذى ترك الايمان بالساقط من
السما والاهوا التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشياطين الذى
تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض
المهاوى المتلفة **قوله عز وجل** **ذلك** يعني الذى ذكر من اجتناب
الرجس وقول الزور **ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب**
وتعظيم شعاير الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعاير البدن
والهدي واصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها انها هدي
وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعاير الله اعلام دينه
وتعظيمها من تقوى القلوب **لكم فيها** اى في البدن **منافع** قيل هو تسميتها
الهدي وفي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها **الى اجل
مسمى** اى الى ان يسميها ويحبسها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شي
من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن
عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجادها وتسميتها هديا
بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعني الى
ان تنحروها وهو قول عطا واختلف العلما في ركوب الهدى فقال مالك
والشافعي واحمد واسحاق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها
لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق
بدنة فقال اركبها فقال يرسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك في

الثانية او الثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب
لبنها بعدما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب الراى لايركبها الا ان
يضطر اليه وقيل اراد بالشعاير المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع
اى بالتجارة والاسواق الى اجل مسمى اى الى الخروج من مكة وقيل لكم
فيها منافع اى بالاجر والثواب في قضا المناسك الى انقضا ايام الحج •
ثم محلها الى البيت العتيق اى منحرها عند البيت العتيق ويريد
جميع ارض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم
ومن قال الشعاير المناسك قال معنى ثم محلها اي محل الناس من
احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة قوله تعالى
ولكل امة اى جماعة مومنة سلفت قبلكم **جعلنا منسكا** قرى بكسر
السين اى مذبحا وهو موضع القربان ومنسكا بفتح السين وهو اراقة
الدم وذبح القرابين **ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام** اى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لاتتكلم وقيد بالانعام
لان ما سواها لايجوز ذبحه في القرابين وان جاز اكله **قوله عز
وجل** **فالهكم اله واحد** اى سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم
اله واحد **فله اسلموا** اى اخلصوا وانقادوا واطيعوا **وبشر المخبتين**
قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين
الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لايظلمون واذا ظلموا لاينتصرون ثم
وصفهم فقال تعالى **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** اى خافت من
عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى **والصابرين على
ما اصابهم** اى من البلا والمرض والمصايب ونحو ذلك مما كان من الله
تعالى وما كان من غير الله فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه
والمقيمي الصلاة اى في اوقاتها والمحافظة عليها **ومما رزقناهم
ينفقون** اى يتصدقون قوله تعالى **والبدن** جمع بدنة سميت بدنة
لعظمها وضخامتها ويريد الابل الضخام الاجسام والبقر ولايسمى الغنم
بقرة لصغرها **جعلناها لكم من شعاير الله** اى من اعلام دينه وقيل
لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك انها هدي
لكم فيها خير اى نفع في الدنيا وثواب في العقبى **فاذكروا اسم الله
عليها صواف** اى عند نحرها صواف اى قياما على ثلاث قوايم قد
صفت رجليها ويدها اليمنى واخرى معقولة فينحرها كذلك **ق**
عن زياد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنة ينحرها
قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم **فاذا وجبت**

جنوبها اي سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض فكلوا منها امر
اباحة واطعموا القانع والمعتر قيل القانع الجالس في بيته المتعفف
يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر هو الذي يسال ٠ وعن ابن عباس
القانع الذى لا يتعرض ولا يسال ٠ وقيل القانع هو الذي يسال والمعتر
هو الذى يتعرض ولا يسال والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض
ولا يسال ٠ وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا يكون
له ذبيحة يجي الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم كذلك اى مثل ما
وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم اى لتتمكنوا من نحرها لعلكم
تشكرون اى انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة
بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها اى لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم اى ولكن يرفع اليه الاعمال الصالحة
والاخلاص وهو ما اريد به وجه الله كذلك سخرها لكم يعني البدن
لتكبروا الله على ما هداكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه
وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا الله والحمد لله على ما اولانا
وبشر المحسنين قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدفع
عن الذين امنوا اي يدفع غايلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم
منهم وينصرهم عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اى خوان في امانة
الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا
نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان
كفور قوله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اي اذن الله
لهم بالجهاد ويقاتلون المشركين قال المفسرون كانوا مشركوا اهل مكة
يوذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون
من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بقتال حتى هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وهي اول اية اذن الله
فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين
من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فاذن الله لهم في قتال
الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا اى بسبب ما ظلموا ٥
واعتدوا عليهم بالايذا وان الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله
بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني انهم اخرجوا بغير موجب

سوي

سوى التوحيد الذى ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين
لا موجب الاخراج ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اى بالجهاد
واقامة الحدود لهدمت صوامع اى معابد الرهبان المتخذة في الصحرا
وبيع وهى معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابيين
والبيع للنصارى وصلوات يعني كنايس اليهود ويسمونها بالعبرانية
صلوات ومساجد يعني مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني
في المساجد ومعنى الاية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم
في شريعة كل نبي مكان صلواتهم لهدم في زمن موسى الكنايس وفي
زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم
المساجد ولينصرن الله من ينصره اى ينصر دينه ان الله لقوى
اي على من ينصر دينه عزيز اى لا يضام ولا يمنع مما يريده ٥ قوله
عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اى نصرناهم على عدوهم
حتى تمكنوا في بلادهم اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم
جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرين وهو الاصح وهو قوله الذين
ان مكناهم صفة من تقدم ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من
ديارهم وهم المهاجرون ولله عاقبة الامور اى اخر امور الخلق
مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فيصير
الامور اليه بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك فيه تسلية
وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبوك قومك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط
واصحاب مدين وكذب موسى فان قلت لم قال وكذب موسى
ولم يقل قوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه
قومه وهم بنوا اسرايل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه
قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم ومثلهم قال وكذب موسى ايضا
مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين
اى امهلتهم واخرت العقوبة عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف
كان نكير اى انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب ٥
والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله
تعالى فكاين من قرية اهلكناها وقرى اهلكناها على التعظيم وهي
ظالمة اى واهلها ظالمون فهي خاوية اى ساقطة على عروشها
اي على سقوطها وبير معطلة اى متروكة مخلاة عن اهلها وقصر
مشيد اى رفيع طويل وقيل مجصص وقيل ان البير المعطلة والقصر

المشيد باليمن فاما القصر فعلى قلة جبل والبير في سفحه ولكل واحد
منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البير والقصر خاليين
وقيل ان هذه البير كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور وذلك
ان اربعة الاف نفر ممن امن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب
اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان
حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضورا وقعدوا على هذه
البير وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا
الاصنام وكفروا فارسل الله عليهم تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن
صفوان وكان حمالا بينهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت
بيرهم وخرب قصرهم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار
مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية فتكون لهم
قلوب يعقلون بها اى يعلمون بها او اذان يسمعون بها يعني ما
يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبروا بها او اذان يسمعون
بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى ان
عمى القلب هو الضار في امر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة
ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت
في النضر بن الحرث ولن يخلف الله وعده اى انه انجز ذلك يوم بدر وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس يعني يوما
من ايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من
ايام الاخرة يدل عليه ما روى عن ابى سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور
التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك
مقدار خمسماية سنة اخرجه ابو داود بزيادة فيه وطهروا واخرج الترمذي
نحوه وفي معنى الاية انهم يستعجلونا بالعذاب وان يوما من ايام
عذابهم في الاخرة كالف سنة • وقيل ان يوما من ايام العذاب في الثقل
والاستطالة كالف سنة فكيف يستعجلوه • وقيل معناه ان يوما
عنده والف سنة في الامهال سوا لانه قادر متى شا اخذهم لا يفوته
شي بالتاخير فيستوى في قدرته وقوع ما يستعجلوه من العذاب
وتاخيره وهذا معنى قول ابن عباس وكاين من قرية امليت لها
اي امهلتها وهي ظالمة اى مع استمرار اهلها على الظلم ثم اخذتها اي
انزلت بهم العذاب والى المصير يعني مصيرهم الى الاخرة ففيه وعيد
وتهديد • قوله عز وجل قل يايها الناس انما انا لكم نذير مبين امر الله
رسوله ان يديم لهم الخوف والانذار وان يقول لهم انما بعثت منذر فالذين

امنوا

امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الرسول صلى الله
عليه وسلم بان يقول انما انا نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعد من امن
ووعد من عصى فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة اي
ستر لصغاير ذنوبهم وقيل للكباير ايضا مع التوبة ورزق كريم اي لا
ينقطع ابدا وقيل هو الجنة والذين سعوا في اياتنا معجزين اى عملوا في
ابطال اياتنا معجزين اى مثبطين الناس عن الايمان وقرى معاجزين
اى معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا
ويفوتوننا فلا يقدر عليهم بزعمهم انه لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار
اوليك اصحاب الجحيم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس وغيره
من المفسرين لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق
عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه ان
ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان
يوما في مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقراها رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة
الاخرى القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به في نفسه ويتمناه تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراته فقرا السورة كلها وسجد في اخرها
وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في
المسجد مومن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن
العاص فانهما اخذا حفنة من البطحا ورفعاها الى جبهتهما وسجدا
عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش
وقد سرهم ما سمعوا من ذكر الهتهم ويقولون قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر
وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع
لنا عنده اذ جعل لنا محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس
ما لم اتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا
وخاف من الله تعالى خوفا كثيرا فانزل الله هذه الاية يعزيه وكان
به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وبلغهم سجود قريش • وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع
اكثرهم الى عشايرهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان
الذي كانوا تحدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد
منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الاية قالت قريش ندم محمد

على ما ذكر من منزلة الهتنا عند الله فغيره لك وكان الحرفان اللذان
القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع في فم
كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم قال الله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي ياتيه
جبريل بالوحي عيانا ولا نبي والنبي هو الذي تكون نبوته الهاما او
مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى اي احب شيا
واشتهاه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به القى الشيطان في امنيته
اي في مراده • وقال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان في حديثه
ووجد اليه سبيلا • والمعنى ما من نبي الا تمنى ان يومن قومه ولم يتمنى
ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ ما يلقي الشيطان
وقال اكثر المفسرين معنى تمنى قرا وتلى كتاب الله القى الشيطان في
امنيته اي في تلاوته • وقال حسان في عثمان حين قتل •

تمنى كتاب الله اول ليلة • واخرها لاقى حمام المقادر •

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه واجتمعت الامة
فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شي منها بخلاف
ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق
عن الهوى وقال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم
في التلاوة وهو معصوم منه **قلت** ذكر العلما على هذا الاشكال
اجوبة احدها توهين اصل هذه القصة وذلك انه لم يروها احد من
اهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصل وانما رواها
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح
وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها
وانقطاع سندها واختلاف الفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان في الصلاة واخر يقول قراها وهو في نادي قومه واخر
يقول قراها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى
ذلك على لسانه واخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى
الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال
ما هكذا اقراتك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذي جا في الصحيح
من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم
فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى
او تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا
اخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه
البخاري فهذا الذي جا في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر تلك الالفاظ ولا قراها • والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في
هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه
القصة • **الجواب** الثاني وهو من حيث المعنى وهو ان الحجة قد
قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح اله غير
الله وان يتسور عليه الشيطان ويشبه القران حتى يجعل فيه ما ليس
منه ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين • **الجواب** الثالث في تسليم وقوع هذه القصة
وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا يرتل
القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا كما صح عنه في قراته صلى الله
عليه وسلم فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك السكتات فدس
فيها ما اختلقه من تلك الكلمات حاكيا بصوت النبي صلى الله
عليه وسلم فسمعها من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح
ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم
الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عز
وجل • **الجواب** الرابع في تحقيق تفسيره وقد تقدم ان التمنى
يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون
معنى قوله الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور
ولا يبعد انه اذا قوى التمنى اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال
الظاهرة وعلى الثاني هو تفسير التمنى بالتلاوة فيكون معنى
قوله الا اذا تمنى اي تلى وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو في اسقاط اية او ايات او كلمة او نحو ذلك فلكنه لا
يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به في الوقت والحين كما
صح في الحديث لقد اذكرني كذا كذا اية كنت انسيتها من سورة كذا
وحاصل هذا ان الغرض من هذه الاية ان الانبيا والرسل وان
عصمهم الله عن الخطا في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم
بل حالهم في جواز ذلك كحال ساير البشر والله سبحانه وتعالى
اعلم وقوله عز وجل فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه
ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والله عليم حكيم قوله عز وجل ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة اي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشا

للذين في قلوبهم مرض اى في شك ونفاق والقاسية قلوبهم
اى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون وان الظالمين لفى
شقاق بعيد اى في خلاف شديد وليعلم الذين اوتوا العلم اى
التوحيد والقران والتصديق بنسخ الله ما يشا انه الحق من ربك
اى الذى احكم الله من ايات القران هو الحق من ربك فيؤمنوا به
اى يعتقدوا انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم اى تسكن
اليه وان الله لهادى الذين امنوا الى صراط مستقيم اى الى طريق
قويم وهو الاسلام قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه اى في شك من القران وقيل هو من الدين الذى هو صراط مستقيم
حتى تاتيهم الساعة بغتة اى فجاة وقيل اراد بالساعة الموت
او ياتيهم عذاب يوم عقيم اى عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيمة
وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير
كالريح العقيم لا ياتي بخير وقيل لانه لا مثل له لعظم امره لقتال
الملايكة فيه الملك يومئذ لله يعني يوم القيمة لله وحده من غير
منازع ولا مشارك يحكم اى يفصل بينهم ثم بين ذلك الحكم فقال
تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى
والذين هاجروا في سبيل الله اى فارقوا اوطانهم وعشايرهم في طاعة
الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا
اى لا ينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وان الله لهو خير الرازقين فان قلت الرازق في
الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله
لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز
كقولهم رزق السلطان الجند اى اعطاهم ارزاقهم وان الرازق
في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطي من الرزق
ما لا يقدر عليه غيره ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني الجنة
يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه وان الله لعليم اى بنياتهم حليم
عنهم قوله عز وجل ذلك اى الامر ذلك الذى قصصناه عليكم
ومن عاقب بمثل ما عوقب به اى جازى الظالم بمثل ما ظلمه وقيل
يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بغي عليه اى ظلم باخراجه من منزله
يعني ما اتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى احوجهم الى مفارقة
اوطانهم نزلت في قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين
بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا عن القتال

من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت
المسلمون لهم فنصرهم الله عليهم فذلك قوله لينصرنه الله ان الله
لعفو اى عن مساوى المومنين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك بان الله
اى ذلك النصر بانه القادر على ما يشا فمن قدرته يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل في معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل
ظلمة الليل مكان ضيا النهار وذلك بغيبوبة الشمس القول الثاني هو
ما يزيد من احدهما ينقص من الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا
الله تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق في قوله وفعله
ودينه حق وعبادته حق وان ما يدعون من دونه اى المشركين هو الباطل
يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلي اى العالي
على كل شي الكبير اى العظيم في قدرته وسلطانه قوله عز وجل الم
تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة اى بالنبات ان الله
لطيف اى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان خبير
اى بما في قلوب العباد اذا تاخر المطر عنهم له ما في السموات وما في
الارض اى عبيدا وملكا وان الله لهو الغني الحميد يعني الغني عن عباده
الحميد في افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اى الدواب التي تركب في
البر والفلك اى وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره اى سخر لها الما والرياح
ولولا ذلك لما جرت ويمسك السما ان تقع اى لكيلا تسقط على الارض الا
باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم اى انه انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع
الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم
بكم وهو الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم اى انشاكم ولم تكونوا شيا ثم
يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم اى يوم البعث للثواب والعقاب
ان الانسان لكفور اى لجحود لنعم الله عز وجل قوله عز وجل لكل امة
جعلنا منسكا قال ابن عباس شريعة هم ناسكوه عاملون بها وعنه
انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة
فلا ينازعنك في الامر اى في امر الذبايح نزلت في بديل بن ورقا
وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ما لكم تاكلون مما تقتلون بايديكم ولا تاكلون مما قتله الله وقيل
معناه لا تنازعهم انت وان جادلوك اى خاصموك في امر الذبح وغيره
فقل الله اعلم بما تعملون اى من التكذيب الله يحكم بينكم يوم القيمة
فيما كنتم فيه تختلفون اى تعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم
يوم القيمة مترددا بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد والى
قوله عز وجل الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه

وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم

الامة ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب اي في اللوح
المحفوظ ان ذلك اي علمه بجميعه على الله يسير وقيل ان كتبة الحوادث
مع انها من الغيب على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل
به سلطانا اي حجة ظاهرة من دليل سمعي وما ليس لهم به علم اي انهم
فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي وما للظالمين اي
المشركين من نصير اي مانع يمنعهم من العذاب واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات اي القران وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين
الحلال والحرام تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار والكراهية
يتبين ذلك في وجوههم يكادون يسطون اي يقعون ويبسطون
اليهم ايديهم بالسوء وقيل يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا
اي محمد واصحابه من شدة الغيظ قل لهم يا محمد افانبئكم بشر من ذلكم
اي بشر لكم واكره اليكم من هذا القران الذي تسمعون النار اي هي النار
وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير قوله تعالى يا ايها الناس ضرب
مثل **فان قلت** الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت
لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان
كذلك مثلا وقال صاحب الكشاف قد سميت الصفة او القصة
الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض
الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة فاستمعوا له
اي تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تعقل وتدبر لا ينفع ومعنى
الاية جعل لي شبيه وشبه بي الاوثان اي جعل المشركون الاصنام
شركاي يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى ان الذين تدعون
من دون الله يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا اي واحدا في صغره وضعفه
وقلته لانها لا تقدر على ذلك ولو اجتمعوا له اي لخلقته والمعنى
هذه الاصنام ولو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها
وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وان يسلبهم الذباب
شيا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران
فاذا جفت جاء الذباب فاستلبت منه وقيل كانوا يضعون الطعام
بين ايدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه ضعف الطالب
والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من
الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم
والمطلوب الذباب اي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل
الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ما قدروا الله حق قدره
اي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته

حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله لقوي لا
يقهر عزيز لا يغلب قوله عز وجل الله يصطفي من الملائكة رسلا
اي يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وغيرهم ومن الناس اي ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى
وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله عليهم اجمعين نزلت
حين قال المشركون أانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله ان الاختيار
اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ان الله سميع اي لاقوالهم بصير
اي لافعالهم لا يخفى عليه خافية وهو قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم
قال ابن عباس ما قدموا وما خلفهم اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا
وما هم عاملوه وقيل يعلم ما بين ايدي ملائكته ورسله قبل ان يخلقهم
ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم والى الله ترجع الامور قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع
والسجود واعبدوا ربكم اي وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة وافعلوا
الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل
الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لامر الله
والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه
البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر
لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

فصل في احكام سجود التلاوة

لم يختلف العلماء في السجدة الاولى
من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي
وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابي الدرداء وابي موسى انهم قالوا
في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق يدل
عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افي الحج سجدتان
قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما اخرجه الترمذي وابو داود وعن
عمر بن الخطاب انه قرا سورة الحج فسجد فيها سجدتين قال ان هذه
السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطا ٥ وذهب
قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو
قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري
وابو حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك على
انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة ٥ واختلف العلماء في عدد سجود التلاوة
فذهب الشافعي واحمد واكثر اهل العلم الى انها اربع عشرة سجدة لكن
الشافعي قال في الحج سجدتان واسقط سجدة ص وقال ابو حنيفة في الحج
سجدة واثبت سجدة ص وبه قال احمد في احدى الروايتين عنه فعنده

ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن علي وابي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القران احدى عشرة سجدة اخرجه ابو داود وقال اسناده واه • ودليل من قال في القران خمس عشرة سجدة في القران منها ثلاث عشرة في المفصل وفي سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود وصح من حديث ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا واذا السما انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقاري والمستمع وبه قال الشافعي • وقال ابو حنيفة هو واجب

قوله عز وجل وجاهدوا في الله حق جهاده اي جاهدوا في سبيل الله اعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس وعنه انه قال لا تخافوا في الله لومة لايم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لايم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته • وقيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم • وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجه في الصحيحين من حديث ابي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس هو اجتباكم اي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاي رتبة اعلى من هذا واي سعادة فوق هذا وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وشدة وهو ان المومن لا يبتلى بشي من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصايب وغير ذلك ليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الما واكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله على عباده قيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهن احدا غيرهم جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من

حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرايل من الاصار التي كانت عليهم ومنعها الله عن هذه الامة ملة ابيكم ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت** لم يكن ابراهيم ابا للامة كلها فكيف سماه ابا في قوله ملة ابيكم **قلت** ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فمعناه ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وازواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد وفي قوله هو سماكم المسلمين من قبل قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القران • القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله دعاه فينا وفي هذا اي وفي القران سماكم المسلمين ليكون الرسول شهيدا عليكم يعني يوم القيامة ان قد بلغكم وتكونوا انتم شهدا على الناس يعني تشهدوا يوم القيمة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله اي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل ما يكره • وقيل معناه ادعوا الله ان يثبتكم على دينه • وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة هو مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير اي الناصر لكم • والله سبحانه وتعالى اعلم باسرار كتابه

• تفسير سورة المومنون وهي مكية •

وهي مائة وثمان عشرة اية والف وثمان مائة واربعون كلمة واربعة الاف وثمان مائة حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرا قد افلح المومنون الى عشر ايات من اولها وقال من اقام هذه العشر ايات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي • قوله عز وجل قد افلح المومنون قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقا والنجا الذين هم في صلاتهم خاشعون قال ابن عباس مخبتون اذلا

وقيل خايفون متواضعون وقيل الخشوع من افعال القلب
كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك
الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين افعال القلب
والجوارح وهو الاولى والخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع
في جميع جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فهو نهاية
الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شي سوى التعظيم
واما ما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع
سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله
ق عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من
صلاة العبد الاختلاس الاختطاف • عن ابي داود عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت
فاذا التفت انصرف • وفي رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنساي
وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السما خ عن انس بن مالك قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الى السما
في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهين عن ذلك او لتخطفن
ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرفعون ابصارهم الى السما في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم
خاشعون رفعوا بابصارهم الى موضع السجود • وقيل الخشوع ان لا
يعبث في جسده في الصلاة • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راي
رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا الرجل له
خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند • عن ابي ذر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصا فان الرحمة
تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنساي وقيل الخشوع جمع
الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري الله على لسانه من
القراة والذكر • قوله عز وجل والذين هم عن اللغو معرضون
قال ابن عباس عن الشرك وقيل المعاصي وقيل كل باطل ولهو وما لا
يهمه من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب
والذين هم للزكاة فاعلون اي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن
التادية بالفعل لانه فعل وقيل الزكاة ههنا هو العمل الصالح والاول
اولى والذين هم لفروجهم حافظون الفروج اسم لسوءة الرجل والمراة
وحفظه التعفف عن الحرام الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم على
بمعنى من يعني الاما والجواري والاية في الرجال خاصة لان المراة لا

يجوز

يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها فانهم غير ملومين يعني يحفظ فرجه
الا على امته فانه لا يلام على ذلك وانما يلام فيما اذا كان على وجه يخالف
الشرع دون الاتيان في غير الماتي في حال الحيض والنفاس فانه محظور
فلا يجوز ومن فعله فهو ملوم فمن ابتغى وراء ذلك اي التمس وطلب
سوى الازواج والولايد وهو الجوار المملوكة فاوليك هم العادون
اي الظالمون المجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمنا
باليد حرام وهو قول العلما سيل عطا عنه فقال مكروه سمعت ان قوما
يحشرون وايديهم حبالا واظن انهم هولا • وقال سعيد بن جبير عذب
الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم قوله تعالى والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون اي حافظون يحفظون ما ايتمنوا عليه والعقود
الذي عاهدوا الناس عليه يقومون والوفا بها والامانة تختلف
فيها ما يكون بين العبد وبين الله عز وجل كالصلاة والصوم وغسل
الجنابة وساير العبادات التي اوجبها الله على العبد فيجب الوفا
بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودايع والصنايع ونحو ذلك
فيجب الوفا بها ايضا والذين هم على صلواتهم يحافظون اي يداومون
ويراعون اوقاتها وتمام اركانها وركوعها وسجودها وساير شروطها
فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة اولا واخرا قلت
هما كونان مختلفان فليس بتكرير وصفهم اولا بالخشوع في الصلاة واخرا
بالمحافظة عليها قوله تعالى اوليك يعني اهل هذه الصفة هم
الوارثون يعني يورثون منازل اهل النار من الجنة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان
منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث منزله
اهل الجنة وذلك قوله هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى
الوراثة هو ان يوول امرهم الى الجنة وينالونها كما يوول الميراث الى
الوارث قوله تعالى الذين يرثون الفردوس هو اعلى الجنة • عن عبادة
ابن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة ماية
درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السما والارض والفردوس اعلا
درجة تتفجر انهار الجنة الاربعة منها ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم
الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي هم فيها خالدون يعني لا يخرجون
منها ولا يموتون • قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان يعني ولد ادم لان
الانسان اسم جنس من سلالة من طين قال ابن عباس السلالة صفوة
الما وقيل المعنى النطفة لان النطفة لان النطفة تسل من الظهر من طين
يعني من طين بني ادم لان السلالة تتولدت من طين خلق منه ادم وقيل

المراد منه بالانسان هو ادم وقوله من سلالة اي نسل من كل تربة
ثم جعلناه نطفة يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة في قرار مكين
اى في حرز وهو الرحم مكن وهي لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة
ثم خلقنا النطفة علقة اى صيرنا النطفة نطفة دم جامد فخلقنا
العلقة مضغة اي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وذلك اللحم يستر العظم فجعله
كالكسوة وقيل بين كل خلق وخلق اربعون يوما ثم انشاناه خلقا
اخر اى مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل
جعله حيوانا بعد ما كان جمادا ناطقا وكان ابكما وسميعا وكان
اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره عجايب صنعه وغرايب
فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة
من الاستهلال الى الرضاع الى القعود الى القيام الى المشي الى الفطام
الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها
فتبارك الله احسن الخالقين اى استحق التعظيم والثنا بانه لم يزل
ولا يزال احسن الخالقين المصورين والمقدرين فان قلت
كيف الجمع بين هذه الاية وبين قول الله تعالى خالق كل شي وقوله
هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع
ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر
ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري معناه انت
تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى
الاية الله احسن المقدرين وجواب اخر وهو ان عيسى عليه السلام
خلق طيرا وسمى نفسه خالق بقوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
فقال تبارك احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون اى بعد ما
ذكر من تمام الخلق تموتون اى عند انقضا اجالكم ثم انكم يوم القيمة
تبعثون معناه اى للحساب والجزا قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرايق اى سبع سموات طرايق لان بعضها فوق بعض وقيل
انها طرايق الى الصعود والهبوط وما كنا عن الخلق غافلين اي
بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السما عليهم فتهلكهم وقيل معناه
بنينا فوقهم سما اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم
بغير امر ونهي وقيل معناه انا خلقنا السما فوقهم لننزل عليهم
الارزاق والبركات ۝ وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين اى عن
اعمالهم واقوالهم وضمايرهم لا يخفى علينا خافية وانزلنا من السما ما
بقدر اى بعلم الله ومن حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم

في الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة فاسكناه في الارض يعني ما
يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينفع الناس في الصيف عن انقطاع
المطر وقيل اسكناه في الارض ثم اخرجناه منها ينابيع كالعيون والابار
فكل ما في الارض من السما وانا على ذهاب به لقادرون وصح من حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سيحان وجيحان
والفرات والنيل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ان
الله انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات
والنيل انزلهم الله من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة
من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في
الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك وانزلنا من السما ما بقدر
فاسكناه في الارض واذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل
الله جبريل فرفع القران من الارض والعلم كله والحجر الاسود من
ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار
الخمسة فيرفع ذلك كله الى السما فذلك قوله وانا على ذهاب به
لقادرون فاذا رفعت هذه الاشيا كلها من الارض فقد اهلها خير
الدين والدنيا روى هذا الحديث في تفسيره البغوي قال روي هذا
الحديث الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد
ابن سابق السكندري عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة
عن ابن عباس ثم ذكر ما انبت بالما فقال تعالى فانشانا لكم به يعني
بالما جنات اى بساتين من نخيل واعناب انما افردهما لكثرة منافعهما
فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا لكم
فيها اى في الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون اي شتا وصيفا وشجرة
اي وانشانا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سينا اى من جبل
مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشة وقيل
هو بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه
اشجار مثمرة يسمى سينا وسينين وقيل هو من السنا وهو الارتفاع
الذي نودي فيه موسى بين مصر والشام وايليا وقيل هو جبل
فلسطين وقيل سينا اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها
عنده وقيل هو اسم المكان تنبت بالدهن اى يثمر الدهن وهو الزيتون
وصبغ للاكلين يعني الصبغ الادام الذي به يكون مع الخبز ويصبغ به
جعل الله فيه هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو
الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشا وقيل ان شجرة
الزيتون تبقى في الارض نحو ثلاثة الاف سنة ۝ قوله عز وجل وان

لكم في الانعام لعبرة اى اية تعتبرون بها نسقيكم مما في بطونها
اى من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع
من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليبين فيهما منهما شئ مستحيل الى
الطهارة والى طعم موافق الشهوة والطبع ويصير غذا وقد تقدم
بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة
ومنها تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون
بها بعد الذبح للاكل وعليها اي وعلى الابل وعلى الفلك تحملون
اى على الابل في المسير وعلى السفن في البحر قوله تعالى ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي
ما لكم معبود سواه افلا تتقون افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم
غيره فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم ادمي
مثلكم مشارك لكم في جميع الامور يريد ان يتفضل عليكم اى لانه
يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع ولو شا الله
لانزل ملايكة يعني بابلاغ الوحي ما سمعنا بهذا اى الذى تدعونا اليه
في اباينا الاولين ان هو الا رجل به جنة اى جنون فتربصوا به
حتى حين اى الموت فتستريحوا منه قال رب انصرني بما كذبون
اي اعني باهلاكهم بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا اى بمراى منا قاله ابن عباس وقيل بحفظنا وبعلمنا لئلا
يتعرض عليه ولا يفسد عمله ووحينا قيل ان جبريل علمه عمل السفينة
ووصف له كيفية اتخاذها فاذا جا امرنا اى عذابنا وفار التنور
قيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت التنور يفور
منه الما وقيل التنور الذى يخبز فيه وكان من حجارة فاسلك اي
فادخل فيها اى في السفينة من كل زوجين اثنين اى من كل
حيوان ذكرا وانثى واهلك اي وسائر من امن بك الا من سبق
عليه القول اى وجب عليه العذاب منهم يعني الكتاب وقيل اراد
باهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون قوله عز وجل فاذا
استويت اي اعتدلت انت ومن معك على الفلك اى في السفينة
فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين اى الكافرين
وقل رب انزلني منزلا مباركا قيل موضع النزول وهو السفينة
عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد
بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجا وانت خير
المنزلين معناه انه قد يكون الانزال من الله تحسن ان يقول

وانت

وانت خير المنزلين لان يحفظ من انزله ويكلاه في سائر احواله ويدفع
عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك ان في ذلك
اى الذى ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعدا الله وان كنا
اى وما كنا لمبتلين اى الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه
وتذكيره لينظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم قوله تعالى
ثم انشانا من بعدهم اى من بعد اهلاكهم قرنا اخرين يعني عادا فارسلنا
فيهم رسولا منهم يعني هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول
صالح والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
اى هذه الطريقة التى انتم عليها مخافة العذاب وقال الملا الذين
كفروا وكذبوا بلقا الاخرة اى بالمصير اليها واترفناهم اى نعمناهم
ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون
منه ويشرب مما تشربون اى من مشروبكم ولين اطعتم بشرا مثلكم
انكم اذا لخاسرون اى لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم احيا هيهات هيهات قال
ابن عباس اى بعيد بعيد لما توعدون استبعد القوم بعثهم بعد
الموت اغفالا منهم للتفكر في بدء امرهم وقدرة الله على ايجادهم
واراد بهذا الاستبعاد انه لا يكون ابدا ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيى قيل يعني نحيى ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل
يموت الابا ويحيى الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم وما نحن
بمبعوثين اى بعد الموت ان هو يعني رسولهم الا رجل افترى على
الله كذبا وما نحن له بمومنين اى بمصدقين بالبعث بعد الموت
قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين اي
ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق
يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم
وقيل اراد بالصيحة الهلاك فجعلناهم غثاء هو ما يحمله السيل
من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكوا فيبسوا يبس
الغثاء من نبات الارض فبعدا اى الزمنا بعدا من الرحمة للقوم
الظالمين قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين
اى اقواما اخرين ما تسبق من امة اجلها اى وقت هلاكها وما
يستاخرون اى عن وقت هلاكهم ثم ارسلنا رسلنا تترا اى مترادفين
يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمن طويل
كلما جا امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا اى بالهلاك
فاهلكنا بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اى سمرا وقصصا

يتحدث من بعدهم بامرهم وشانهم فبعدا لقوم لا يومنون قوله تعالى
ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين اى بحجة
بينة كالعصا واليد وغيرهما الى فرعون وملايه فاستكبروا اى
تعظموا عن الايمان وكانوا قوما عالين اى متكبرين قاهرين غيرهم
بالظلم فقالوا اى فرعون وقومه انومن لبشرين مثلنا يعنون موسى
وهارون وقومهما لنا عابدون اى مطيعون متذللون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين اى بالغرق ولقد اتينا موسى الكتاب يعنى التورية
لعلهم يهتدون اى لكى يهتدى به قومه قوله عز وجل وجعلنا
ابن مريم وامه اية اى دلالة على قدرتنا لان خلقه من غير ذكر
والنطفة فى المهد فان قلت لم قال اية ولم يقل ايتين
قلت معناه جعلنا شانهما اية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك
مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الاية فكانت اية واحدة
واويناهما الى ربوة الى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة
وقيل ارض فلسطين • وقال ابن عباس هى بيت المقدس • قال كعب
بيت المقدس اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا • وقيل هى مصر
وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها وقوله ذات قرار اى منبسطة
واسعة يستقر عليها ساكنوها ومعين اى الما الجارى الذى تراه
العيون • قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد
بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد به عيسى عليه السلام
وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال واعملوا صالحا اى
استقيموا على ما يوجبه الشرع انى بما تعملون عليم فيه تحذير من مخالفة
ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شانهم كذلك فبان يكون تحذيرا
لغيرهم اولى • لما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر
به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات • وقال يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث
اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك اخرجه مسلم • قوله عز وجل
وان هذه امتكم اى ملتكم وشريعتكم التى انتم عليها امة واحدة اى
ملة واحدة وهى الاسلام وانا ربكم فاتقون اى فاحذرون وقيل معناه
امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون •
فتقطعوا اى تفرقوا فصاروا فرقا يهود ونصارى ومجوسا وغير ذلك
من الاديان المختلفة امرهم اى دينهم بينهم زبرا اى فرقا وقطعا مختلفة

وقيل معنى زبرا اى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا
بما سواه من الكتب كل حزب بما لديهم فرحون اى هم مسرورون معجبون
بما عندهم من الدين فذرهم الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى غمرتهم
قال ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم حتى حين
الى ان يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اى ما نعطيهم
ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا نسارع لهم فى
الخيرات اى نجعل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم
لمرضاتنا عنهم بل لا يشعرون اى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر
المسارعين فى الخيرات فقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون اى خايفون والمعنى ان المومنين بما هم عليه من خشية الله
خايفون من عقابه • قال الحسن البصرى المومن جمع احسانا وخشية
والمنافق جمع اساة وامنا والذين هم بايات ربهم يومنون اى
يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا اى يعطون
ما اعطوا من الزكوات والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من
اعمال البر وقلوبهم وجلة اى خايفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله
وان اعمالهم لا تقبل منهم انهم الى ربهم راجعون اى انهم يوقنون انهم
الى الله صايرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها
وخافوا ان ترد عليهم • عن عايشة قالت قلت يا رسول الله والذين
يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال
لا يا بنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون
ان لا يقبل منهم اوليك يسارعون فى الخيرات اخرجه الترمذى وقوله
اوليك يسارعون فى الخيرات اى يبادرون الى الاعمال الصالحة وهم
لها سابقون اى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة
وقيل سبقوا الامم الى الخيرات • قوله عز وجل ولا نكلف نفسا الا وسعها
اى طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم
يستطع الصوم فليفطر وليقض ولدينا كتاب هو اللوح المحفوظ
ينطق بالحق اى يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل فى اللوح
المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب اعمال العباد والتى
تكتبها الحفظة وهم لا يظلمون اى لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على
سياتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى بل قلوبهم فى غمرة اى غفلة وجهالة
من هذا اى القران ولهم اعمال اى للكفار اعمال خبيثة من المعاصى
والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك يعنى من دون اعمال المومنين
التى ذكرها الله فى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون هم يعنى

الكفار لها اى لتلك الاعمال الخبيثة عاملون اى لابد لهم من ان
يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبقت لهم في الازل من الشقوة حتى
اذا اخذنا مترفيهم اى روساهم واغنياهم بالعذاب قال ابن عباس
هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف اذا هم
يجارون اى يضجون ويستغيثون ويجزعون لا تجاروا اليوم اى لا تضجوا
انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم قد كانت
اياتي تتلى عليكم يعني القران فكنتم على اعقابكم تنكصون اى ترجعون
القهقرى وتتاخرون عن الايمان مستكبرين به قال ابن عباس اي
بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور اي متعظمين بالبيت وذلك
انهم كانوا يقولون نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا
احد ولا نخاف احدا فيامنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل
مستكبرين به اى بالقران فلم يؤمنوا به والقول الاول اظهر سامرا
يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم وتسميته
سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم
وهو قوله تهجرون من الاهجار وهو الافحاش في القول • وقيل معنى
تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقران
وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اي تهذون وتقولون ما لا تعلمون
افلم يدبروا القول يعني يتدبروا ما جاءهم من القران فيعتبروا بما فيه
من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين يعني فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم
فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم ام لم يعرفوا رسولهم فهم له
منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا
وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاه بالعهود وهذا على
سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة
ام يقولون به جنة اى جنون وليس هو كذلك بل جاءهم بالحق اي
بالصدق والقول الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل واكثرهم
للحق كارهون قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم قيل الحق هو الله
تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل ولو سمى لنفسه شريكا
وولدا كما يقولون • وقيل الحق هو القران اى لو نزل بما يحبون وما
يعتقدون لفسدت السموات والارض ومن فيهن اى لفسد العالم
بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القران

فهم

فهم عن ذكرهم اي شرفهم معرضون ام تسالهم اى على ما جئتهم به خرجا
اي اجرا وجعلا فخراج ربك خير اى ما يعطيك الله من رزقه وثوابه
خير وهو خير الرازقين تقدم تفسيره وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
اى الى دين الاسلام وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط اي
عن دين الحق لناكبون اى لعادلون عنه ومائلون ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر اي وجدوبة للجوا اي لتمادوا في طغيانهم
يعمهون اى لم ينزعوا عنه ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف
فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى
فقال انهم قد اكلوا العلهز والعظام وشكا اليه الضر فادع الله ان
يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الاية
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون اى ما خضعوا وما ذلوا لربهم وما
يتضرعون اى لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو
الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون اى ايسون من كل
خير قوله عز وجل وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة
اى لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون اى لم تشكروا
هذه النعم وهو الذي ذراكم في الارض اى خلقكم واليه تحشرون اي
تبعثون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي
تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين
يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض افلا تعقلون اى ما ترون
من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون اى كذبوا كما كذب
الاولون وقيل معناه انكروا البعث مثل ما انكر الاولون مع وضوح الادلة
قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اى لمحشورون
قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب لقد وعدنا اي نحن واباؤنا
هذا من قبل اى وعد اباؤنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة
ان هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله تعالى قل اي
يا محمد لاهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون اي
خالقها ومالكها سيقولون لله اى لابد لهم من ذلك لانهم يقرون انها
مخلوقة لله قل لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون اي فتعلمون ان من قدر
على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون

اى عبادة غيره وقيل معناه افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت
كل شي اى ملك كل شي وهو يجير اى يؤمن من يشا ولا يجار عليه اي
لا يؤمن من اخافه الله وقيل يمنع من يشا من السو ولا يمنع منه من اراده
بسوء ان كنتم تعلمون اى فاجيبوا سيقولون الله قل فانى تسحرون
اى فانى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق
باطلا بل اتيناهم بالحق اى بالصدق وانهم لكاذبون اى فيما يدعونه
من الشرك والولد ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اى من
شريك اذا لذهب كل اله بما خلق اى لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه
الذى خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله
الاخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو ولعلى بعضهم على بعض اى طلب
بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك
فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شي ويقدر على كل شي ثم نزه
نفسه تعالى فقال سبحان الله عما يصفون اى من اثبات الولد والشريك
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اى تعظم من ان يوصف
بما لا يليق به **قوله عز وجل** قل رب اما تريني ما يوعدون اي
ما وعدتهم من العذاب رب اى يارب فلا تجعلني في القوم الظالمين
اى لا تهلكني بهلاكهم وانا على ان نريك ما نعدهم اى من العذاب
لقادرون قوله عز وجل ادفع بالتي هي احسن اى بالخلة التي هي احسن
وهى الصفح والاعراض والصبر السيئة يعني اذاهم امر بالصبر على اذى
المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها باية السيف نحن اعلم بما
يصفون اى يكذبون ويقولون من الشرك • قوله عز وجل وقل رب
اعوذ بك اى امتنع واعتصم بك من همزات الشياطين قال ابن
عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغوا
الى المعاصي واعوذ بك رب ان يحضرون اى في شي من اموري وانما ذكر
الحضور لان الشيطان اذا حضر يوسوس له • عن جبير بن مطعم انه راي
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي
قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا
ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر
ونفخه الكبر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقد جا تفسير هذه الالفاظ
في متن الحديث ونزيده ايضاحا • قوله نفثه الشعر لان الشعر يخرج
من القلب فيتلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق • قوله ونفخه
الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ
وقوله وهمزه الموتة والموتة الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم اخبر

الله عز وجل هولا الكفار الذين ينكرون البعث يسالون الرجعة الى
الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال
رب ارجعون قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون
الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم • وقيل هذا خطاب مع الملايكة
الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله
اولا ثم رجع الى مسالة الملايكة الرجوع الى الدنيا • وقيل ذكر الرب
للقسم فكانه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت اى ضيعت وقيل تركت وخلفت من التركة والمعنى اقول
لا اله الا الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية
قال قتادة ما تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرا عمل
بما تمناه الكافر اذا راى العذاب كلا كلمة ردع وزجر لا يرجع اليها
انها يعني سواله الرجعة كلمة هو قايلها اى لا ينالها ومن وراءهم
برزخ اى امامهم ومن بين ايديهم حاجز الى يوم يبعثون معناه
انه بينهم وبين الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس
المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم انه لا
رجعة يوم البعث الا الى الاخرة قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا
انساب بينهم قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض
يتسالون • وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يوخذ بيد
العبد والامة يوم القيمة فينصب على روس الاولين والاخرين
ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليات
الى حقه فيفرح المرء ان يكون له حق على والده او زوجته واخيه
فياخذ منه ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون
وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم
اي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا
ولا يتسالون سوال تواصل كما كانوا يتسالون في الدنيا من انت
ومن اى قبيلة انت ولم يرد ان الانساب تنقطع **فان قلت**
قد قال هاهنا ولا يتسالون وقال في موضع اخر واقبل بعضهم
على بعض يتسالون **قلت** قال ابن عباس ان للقيمة احوالا
ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التسال
فلا يتسالون وفي موطن يفيقون افاقة فيتسالون • قوله عز وجل
فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاوليك

الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح اى تسفع وقيل تحرق وجوههم
النار وهم فيها كالحون اى عابسون وقيل بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم
كالنار المتسوط على النار ٥ عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى
تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ٥ قوله تعالى الم تكن اياتي
تتلى عليكم يعني قوارع القران وزواجره تخوفون بها فكنتم بها
تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اى التي كتبت علينا فلم
نهتد وكنا قوما ضالين اي عن الهدي ربنا اخرجنا منها اى من
النار فان عدنا اى لما تنكره فانا ظالمون قال اخسئوا فيها اي
ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسا ولا تكلمون اى في رفع
العذاب فاني لا ارفعه عنكم فعند ذلك آيس المساكين من الفرج
قال الحسن هو اخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك
ما هو الا الزفير والشهيق وعوا كعوا الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
وروي عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم
اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول
انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير ٥
والشهيق ذكره البغوي بغير سند واخرج الترمذي بمعناه عن ابي
الدردا قوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة اى سكتوا ولم يتكلموا
بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم
واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم انه كان فريق
من عبادي يعني المؤمنين يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اى تسخرون منهم وتستهزؤن
بهم حتى انسوكم ذكري اى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وكنتم منهم
تضحكون نزلت في كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وبلال وصهيب وخباب
ثم قال الله اني جزيتهم اليوم بما صبروا اى على اذاكم واستهزائكم
في الدنيا انهم هم الفايزون اي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال
يعني الله للكفار يوم البعث كم لبثتم في الارض اى في الدنيا
وفي القبور عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم معناه انهم
نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب فسئل

العادين يعني الملايكة الذين يحفظون اعمال بني آدم ويحصونها
عليهم قال ان لبثتم اى ما لبثتم في الدنيا الا قليلا سماه قليلا لان
الواحد وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث
في الاخرة لو انكم كنتم تعلمون اى قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل
افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث
معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهايم لا ثواب لها ولا عقاب
وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله عز وجل وانكم الينا لا
ترجعون اى في دار الاخرة للجزاء ٥ روى البغوي بسنده عن حنش
ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في اذنه افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذا رقيت في اذنه فاخبره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا
قرا هذا على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون
فقال عز وجل فتعالى الله الملك الحق اى هو التام الملك الجامع
لاصناف المملوكات لا اله الا هو رب العرش الكريم اى الحسن وقيل
الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات ومن
يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اى لا حجة ولا بينة له به اذ لا
يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى
الشرك فانما حسابه اي جزاؤه عند ربه اى هو يجازيه بعمله انه
لا يفلح الكافرون اى لا يسعد من جحد وكذب وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين

تفسير سورة النور ٥

وهي مدنية وهي اثنان وقيل اربع وستون اية ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ قوله عز وجل سورة
انزلناها وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام والزمناكم
العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود ٥ وقيل اوجبناها
عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وانزلنا فيها ايات بينات
اى واضحات لعلكم تذكرون اى تتعظون قوله تعالى الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الزنا هو من الكباير
وموجب للحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا
والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان
في الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا
ينتصف وقوله فاجلدوا اى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده
ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اى الزانية والزاني مائة

جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي
وقال ابو حنيفة التغريب الى راى الامام • وقال مالك يجلد الرجل
ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم
ولا تاخذكم بهما رافة اى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها
وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي
وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول
سعيد بن المسيب والحسن • قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية
ويخفف في حد الشرب • وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك
في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب **في دين الله** اى في
حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد
ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال
يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت **ان كنتم تومنون**
بالله واليوم الاخر معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جا امر الله
وقيل هو من باب التهييج والتهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه
ان كنتم تومنون فلا تتركوا اقامة الحدود **وليشهد** اى وليحضر
عذابهما اى حدهما اذا اقيم عليهما **طايفة** اى نفر **من المومنين**
قيل اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان • وقيل ثلاثة • وقيل
اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل **الزاني لا ينكح الا زانية**
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين
اختلف العلما في معنى الاية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة
وفيهم فقرا لا مال لهم ولا عشاير وفي المدينة نسا بغايا من اخصب
اهل المدينة فرغب ناس من فقرا المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية
فحرم على المومنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا
قول مجاهد وعطا • وقال عكرمة نزلت في نساكن بمكة والمدينة لهن
رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابي السايب
المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها ماكلة فاراد ناس
من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستاذن رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه
فانزل الله عز وجل هذه الاية • وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان يحمل
الاسارى من مكة حتى ياتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها
عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى

نفسها

نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى اسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرد شيا فنزلت الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي
والنساى وابو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هولا كان التحريم
خاصا في حق اوليك دون ساير الناس • وقال قوم المراد من النكاح هو
الجماع ومعنى الاية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا تزني
الا بزان او مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك • ورواية عن
ابن عباس قال يزيد بن هارون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان
جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول
اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان • وقال سعيد بن المسيب وجماعة
ان حكم الاية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الاية ثم نسخت
بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم •
واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا تمنع يد لامس قال
طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره
فامسكها اذا وروى هذا الحديث ابو داود والنساى عن ابن عباس
قال النساى رفعه احد الرواة عن ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال
وهذا الحديث ليس بثابت • وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا
وامراة في حد زنا وحرص على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى
الاية ان الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصوالح من النسا وانما يرغب
في نكاح فاجرة خبيثة مثلها او مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب
في نكاح الصلحا من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث
مثلها او مشرك وحرم ذلك على المومنين اى صرف الرغبة بالكلية
الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفايف فهذا محرم
على المومنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزويج بالزانية قوله
تعالى **والذين يرمون** اى يقذفون بالزنا **المحصنات** يعني المسلمات
الحراير العفايف **ثم لم ياتوا باربعة شهدا** اى يشهدون على الزنا
فاجلدوهم ثمانين جلدة بيان حكم الاية وذلك ان من قذف محصنا
او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية او زنيت فيجب عليه
جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد اربعين وان
كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرايط الاحصان

حمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى
لو زنا في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه
قاذف فلاحد عليه فان اقر المقذوف عليه على نفسه بالزنا واقام
القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف
لان الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات
مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر او يا خبيث او يا مواجر وقال
امراتي لا ترد يد لامس وهذا ونحوه لا يكون قذفا الا ان يريد ذلك
واما التعريض مثل ان يقول اما انا فما زنيت او ليس امراتي زانية
فليس بقذف عند الشافعي وابي حنيفة • وقال مالك يجب
فيه الحد وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله
تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفسق لا يقع الا على
صاحب كبيرة الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله
غفور رحيم اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة
وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس
القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة
قبلت شهادته سوا تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله
تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة
والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق
يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد
وعطا وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي
وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي
وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان
تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون
وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي قالوا بنفس القذف
لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه
حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها في احسن حاليه
وتقبلونها في شر حاليه • وذهب الشافعي الى ان حد القذف
يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على
انه لا يسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط
كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة • فان قلت
اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا • قلت
معنى ابدا ما دام مصرا على القذف لان ابد كل انسان مدته على

ما يليق به كما لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد بذلك ما دام على كفره
فاذا اسلم قبلت شهادته • قوله عز وجل والذين يرمون
اي يقذفون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء اي يشهدون على صحة ما
قالوا الا انفسهم اي غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين سبب نزول هذه الاية ما روي عن سهل
ابن سعد الساعدي ان عويمر العجلاني جا الى عاصم بن عدي فقال
لعاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا يقتله فيقتلونه ام
كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال
عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاءه عويمر فقال
له يا عاصم ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم
لعويمر لم تاتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسالة
التي سالت عنها فقال عويمر والله لا انتهي حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسط الناس فقال يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا
ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها قال سهل
فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها
فطلقها ثلاثا قبل ان يامره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه في
الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا
ان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا
احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا
احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب
الى امه قوله اي اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها •
وقوله خدلج الساقين اي ممتلي الساقين غليظهما • وقوله كانه
وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض واراد بها في
الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف
امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سمحا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احد
على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم

يقول البينة والاحد في ظهرك فقال هلال بن امية والذي بعثك
بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل
عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان
كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما
فجا فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول
الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما
كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة • قال ابن عباس
فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير
اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به
اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن
سحما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من
كتاب الله لكان لي ولها شان • وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس
قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة
لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجها اهيجه حتى
اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتى يفرغ حاجته
ويذهب وان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم
قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة
له واجترا رجل منا ان يتزوجها قال سعد يا رسول الله بابي انت وامي
والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبر
الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يابي الا ذلك فقال
صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا ابن عم له يقال
له هلال بن امية من حديقة له فراى رجلا مع امراته يزني بها
فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت الى اهلي
عشا فوجدت مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك
في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك
مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجو
ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه
قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال
وتبطل شهادته فانهم لذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
ان يامر بضربه اذ انزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين

عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون ازواجهم
الى اخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال
فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال كنت ارجو ذلك من الله تعالى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب
فهل منكما تايب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقال لهلال
اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند
الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة
وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة
التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها
كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد والخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي
فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة
ووقفها اتق الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب
الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي
ثم شهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها
ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي
قيل فيه فجاءت به غلاما كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان
اميرا بمصر لا يدري من ابوه ويروى ان عويمر لما لاعن زوجته خولة
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى
العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني
لصادق ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها
واني لمن الصادقين • ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من
غيري واني لمن الصادقين • ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما
قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين • ثم قال في الخامسة
لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم
امره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومي فقامت • ثم قالت اشهد
بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين • ثم قالت في الثانية
اشهد بالله ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين • ثم قالت
في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين • ثم قالت
في الرابعة اشهد بالله ما راني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين • ثم

قالت في الخامسة غضب الله على حولة يعني نفسها ان كان من الصاد
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان
لكان لي في امرهما راي ثم قال تحينوا الولادة فان جات به اصهب
ابهج بيضرب الى السواد فهو لشريك بن سمحا وان جاب به اورق
جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن
عباس فجات به باشبه خلق لشريك بيان حكم الاية في ذلك ان
الرجل اذا قذف امراته فموجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب
الحد عليه وان كانت محصنة الرجم والتعزير وان كانت غير
محصنة غيران المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبية او اجنبيا
يقام عليه الحد الا ان ياتي باربعة شهدا يشهدون بالزنا او يقر المقذوف
بالزنا فيسقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة منزلة البينة
فان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا
يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة على صدقه فقال تعالى
فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا اقام
الزوج بينة على زناها او اعترفت عنه سقط عنه الحد واللعان
الا ان يكون هناك ولد يريد نفسه فله ان يلاعن لينفيه فاذا اراد
الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول
فلما شهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة بالزنا
وان كان قذفها برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه
الامام وان كان ولدا وحمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد وهو الحمل
لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من
الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات اللعان
من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت
الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التابيد وانتفى
عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة حد الزنا فهذه خمسة
احكام تتعلق بلعان الزوج قوله تعالى ويدروا اي يدفع عنها
العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية
ان الزوج اذا لاعن وجب على المراة حد الزنا فاذا ارادت اسقاطه
عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربعة
شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة
على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق
بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج

قين

بينة

بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند اصحاب الراي لا حد على من قذف
زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن
الزوج وامتنعت المراة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين
اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه
لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة وعند ابي
حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا
بلعان الزوجين جميعا وقضا القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند
الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتى لو كذب الزوج
نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع
تابيد التحريم ۔ وعند ابي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب
نفسه جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم
وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من
صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول
سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك
والثوري والشافعي واكثر اهل العلم ۔ وقال الزهري والاوزاعي
واصحاب الراي لا يجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين
فان كان احد الزوجين رقيقا او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان
بينهما وظاهر القران حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال
والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره
ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نايبه ويغلظ اللعان باربعة اشيا
بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس
اما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشي منها واما المكان فهو
ان يلاعن في اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان
بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي ساير البلاد في الجامع
عند المنبر واما الزمان فهو ان يكون بعد العصر ۔ واما الجمع فاقله
اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز
وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته اي لعاجلكم بالعقوبة ولكن ستر عليكم ودفع عنكم الحد
باللعان وان الله تواب اي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم
اي فيما فرض من الحدود ۔ قوله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصبة
منكم الايات سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير
وسعيد بن المسيب وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن
عتبة قال ابن مسعود عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين

قال لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طايفة من حديثها وبعضهم
كان اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل
رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عايشة وبعض حديثهم يصدق
بعضا قالوا قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايهن خرج سهمها خرج
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فاقرع بيننا في غزوة
غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل في هودج وانزل فيه فسرنا حتى فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة
قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حتى اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت
الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاوه
قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه
على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النسا
اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من
الطعام ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية
حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر
الجيش فجيت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي
كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا جالسة في
منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني
قد عرس من ورا الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى سواد انسان
نايم فاتاني فعرفني حين راني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت
باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلمني بكلمة ولا
سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطي على
يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد
ما نزلوا معرسين وفي رواية موعرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من
هلك في شاني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول
فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب
الافك ولا اشعر بشي من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي
صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم
ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر
حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج
الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب

الاول في التبرز قبل الغايط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا
فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وامها
بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن
المطلب حتى فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت
تعس مسطح فقالت لها بيس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت
يا هنتاه اولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل
الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي
ابوي وانا اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه ماذا يتحدث الناس
به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امراة قط
وضية عند رجل يحبها ولها ضراير الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان
الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى
اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد
حين استلبث الوحي ليستشيرهما في فراق اهله فاما اسامة فاشار
عليه بما يعلم من براءة اهله والذي يعلم به من نفسه من الود فقال اسامة
هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال
يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنسا سواها كثيرة وسل الجارية
تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة
هل رايت فيها شيا يريبك فقالت بريرة لا والذي بعثك بالحق ان
رايت منها امرا اغمصه اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين
اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في
اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت
عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ
حد بني عبد الاشهل فقال انا والله يا رسول الله اعذرك منه ان كان من
الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا به
امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت
عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن
معاذ كذبت لعمري والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن
حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت

وَوالله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان
الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى
سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم
فاصبح عندي ابوى وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكا
فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت
امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك
اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس ولم يجلس عندي
من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني
بشى قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال
اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريية
فسيبريك الله وان كنت المت بذنب فاستغفري الله وتوبي
اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما
احس منه قطرة وقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما قال قال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت لامي اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا
جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت والله علمت انكم
سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن
قلت لكم اني بريية والله يعلم اني منه بريية فلم تصدقوني فوالله ما اجد
لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على
ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم
اني بريية وان الله تعالى سيبرئني ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل
في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي احقر من ان يتكلم الله في شاني
بامر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في النوم رويا يبريني الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد
من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من
البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل
الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لي يا عايشة احمدي الله وفي
رواية ابشري يا عايشة اما والله فقد براك الله فقالت امي قومي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا اقوم ولا احمد الا الله

الذي براني فانزل الله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم
العشر ايات فلما انزل الله تعالى هذا في براتي بالافك قال ابو بكر
الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره وقال
والله لا انفق على مسطح شيا ابدا بعدما قال لعايشة فانزل الله ولا
ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر
الصديق بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي
كان يجري عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت عايشة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن امري فقال
يا زينب ما علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله
ما علمت عليها الا خيرا قالت عايشة وهي التي تساميني من ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة
تحارب لها حتى هلكت فيمن هلك من اصحاب الافك • قال ابن
شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هولا الرهط • زاد في رواية
قالت عايشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله
فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف انثى قالت ثم قتل في سبيل
الله بعد هذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين زاد
البخاري في رواية عن عروة عن عايشة والذي تولى كبره منهم هو
عبد الله بن ابي بن سلول وقال عروة لم يسم لي من اهل الافك ايضا
الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين
لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى • قال عروة وكانت
عايشة تكره ان يسب عندها حسان بن ثابت وتقول انه الذي
قال • فان ابي ووالدي وعرضي • لعرض محمد منكم وقا •
اخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عايشة وعندها حسان
ينشدها شعرا يشبب من ابيات فقال •

• حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •

فقالت عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم
تاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره
منهم له عذاب عظيم • قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه
كان ينافح ويهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

شرح

غريب الفاظ هذا الحديث • قوله وكلهم حدثني طايفة اي قطعة
حديثها وكان اوعى اي احفظ لها • قوله اذن اي اعلم بالرحيل
قولها فقد عقد لي من جزع اظفار وهو نوع من الجزع وهو الخرز
اليماني المعروف • قولها لم يهبلن اي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن

قولها انما ياكلن العلقة هي بضم العين اى البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق • قولها ليس بها منهم داع ولا مجيب اى ليس بها احد لا من يدعو ولا من يجيب ولا من يرد جوابا • قولها فيممت اي قصدت • قولها عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في اخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله • قولها باسترجاعه وهو قول القايل انا لله وانا اليه راجعون • قولها خمرت وجهي بجلبابي اى غطيت وجهي بجلبابي اى ازاري • قولها موغرين في نحو الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذلك نحو الظهيرة اى اوله والناس ينيضون اى يخوضون ويتحدثون • قولها وهو يريبني يقال رابني يريبني اذا شككت فيه • قولها ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اى الرفق بها واللطف في الافعال الرفق في الاقوال لين الكلام • قولها حتى نقهت اي افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غايط وبول واصله المكان الخالي والمرط كسا من صوف اذخز • قولها تعس مسطح اى عثر وفي الدعا على الانسان اى سقط بوجهه • قولها يا هنتاه يا بلها كانت تنسبها الى البله وقلة المعرفة • قولها لا يرقا لي دمع اى لا ينقطع وقول بريرة ان رايت بمعنى النفي اى ما رايت منها امرا اغمصه بالصاد المهملة اي اعيبه والداجن الشاة التي تالف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني ان كافيته على سوء صنيعه ان عاقبت او عاقبت فلا تلوموني على ذلك • قوله وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه اي من قبيلة ولكنه احتملته الحمية اي حمله الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة • قولها تساور الحيان اى ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة • قولها فلم يزل يخفضهم اى يهون عليهم ويسكن • قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت قيل من اللمم وهو صغار الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل • قولها قلص دمعي اى انقطع جريانه قولها ما رام اى ما برح والبرحا الشدة والكرب والجمان الذرة وجمعها جمان فسري عنه اى كشف عنه • وقوله زينب احمي سمعي وبصري اى امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع ولم ابصر • وقولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والعلية فعصمها الله من الوقوع في الشر بالورع • وقوله الرجل ما كشفت كنف انثى قوله ويبوسنه اى ليستخرجه بالبحث عنه والاستقصا فيه وقول حسان بن ثابت حصان بفتح الحا يقال امراة حصان اي

متعففة حبيبة رزان اى ثابتة ما تزل بها ولا تتهم بريبة اى بامر يريب الناس وتصبح غرثى اى جايعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عايشة في حسان انه كان ينافح اى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله • واما تفسير قوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم اى بالكذب والافك سوء الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عايشة كانت تستحق الثنا والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجا بالافك عصبة اى جماعة منكم اي عبد الله بن ابي بن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله • فان قلت عبد الله ابن ابي بن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم • قلت كان ينتسب الى الايمان من الظاهر • وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا من المومنين المخلصين لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك الخطاب لعايشة وصفوان وقيل لعايشة ولابويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله ياجر على ذلك ويظهر براتكم ويشهد بكذب العصبة واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لهم لكل امرئ منهم اي من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الاثم اى جزا ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم اى تحمل معظمه وبدا بالخوض فيه وقام باشاعته وهو عبد الله بن ابي بن سلول منهم من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب النار في الاخرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اى الحديث الكذب وقول اهل الافك ظن المومنون والمومنات بانفسهم اى باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المومنين اذ اسمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمومنين وقالوا هذا افك مبين اى كذب بين لا حقيقة له لولا اى هلا جاوا عليه اى على ما زعموا باربعة شهدا اى يشهدون بذلك فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله اي في حكم الله هم الكاذبون وهذا من باب الزواجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا بالشهدا ومن كذب فهو عند الله كاذب سوا اتى بالشهدا او لم يات قلت قيل هذا في حق الذين

رموا عايشة خاصة ومعناه فاوليك هم الكاذبون في غيبي وعلمي
وقيل معناه فاوليك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب
زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يات بالشهود يجب زجره قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم
فيه عذاب عظيم معناه لولا اني قضيت ان الفضل عليكم في الدنيا
بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة
بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث
الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تاخير العذاب وقبول
التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم من بعض
وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه
تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم
اي من غير ان نقلوا انه حق وتحسبونه هينا اي وتظنون انه سهل
لا اثم فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما
يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا قيل هو للتعجب وقيل هو
للتنزيه بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روي ان ام
ايوب قالت لابي ايوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عايشة
فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله
يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات اي في الامر والنهي والله
عليم اي بامر عايشة وصفوان حكيم اي حكم براءتها قوله عز وجل
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي يظهر الزنا ويذيع في الذين
امنوا وقيل الاية مخصوصة بمن قذف عايشة وصفوان والمراد بالذين
امنوا عايشة وصفوان وقيل الاية على العموم فكل من احب ان تشيع
الفاحشة او تظهر على احد فهو داخل في حكم هذه الاية والمراد بالذين
امنوا جميع المومنين لهم عذاب اليم في الدنيا الحد والذم على فعله
والاخرة اي وفي الاخرة لهم النار والله يعلم اي كذبهم وبراءة عايشة وما
خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما في قلب
من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك
ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة
قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة وان الله رءوف
رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
اي اثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا
والمنكر اي بالقبايح من الاقوال والافعال وكل ما يكره الله عز وجل والاية

عامة

عامة في حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي ما طهر ولا صلح والاية عند بعض
المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة
ما صلح منكم احد • وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما
طهر من هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس
قال معناه ما قبل التوبة من احد منكم ابدا ولكن الله يزكي اي يطهر
من يشا من الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع اي لاقوالهم عليم اي
بما في قلوبهم • قوله عز وجل ولا ياتل اي ولا يحلف من الالية وهي
القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني الغنى يعني ابو بكر الصديق
ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني
مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق حلف
ابو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الاية وليعفوا وليصفحوا
عن خوض مسطح في امر عايشة الا تحبون يخاطب ابا بكر ان يغفر الله لكم
والله غفور رحيم فلما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ابي بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بنفقته التي
كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها عنه ابدا وفي الاية دليل على
فضل ابي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الاية ذكره الله تعالى
في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولوا الفضل وقوله الا
تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شانه ومرتبته ومنها انه
احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا
من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا
وليصفحوا فدل ان ابا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في جميع الاخلاق وفي الاية دليل على ان من حلف على يمين فراى
غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح
من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن
يمينه • قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اي العفايف الغافلات
اي عن الفواحش وعن الفاحشة ان لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك
كانت عايشة رضي الله عنها المومنات ثم وصفها بالمومنات لعنوا اي
عذبوا في الدنيا بالحد والاخرة اي في الاخرة بالنار ولهم عذاب عظيم
وهذا في حق عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وروي عن حصيف قال
قلت لسعيد بن جبير من قذف مومنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة
قال ذاك لعايشة خاصة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون

سائر المؤمنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة مؤمنة فقد جعل الله
له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهولا توبة
ولم يجعل لاوليك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا للاية يوم تشهد عليهم
السنتهم هذا قبل ان يختم على افواههم وايديهم وارجلهم يروى انه
يختم على الافواه فتتكلم الايدى والارجل بما عملت في الدنيا وهو
قوله بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اى جزاوهم
الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق المبين
اى الموجود الظاهر الذى بقدرته وجود كل شى وقيل معناه يبين
لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان
عبد الله بن ابي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيمة
ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين
قال اكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من
الناس ومثله والخبيثون اى من الناس للخبيثات من القول
والطيبات اي من القول ومعنى الاية ان الخبيث من القول قالت
لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب
من الناس وعايشة لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف
اليها طيب القول من الثنا والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم
بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنسا وهذا ذم للذين قذفوا
عايشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنسا
وهذا مدح للذين برّوها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الاية الخبيثات
من النسا امثال عبد الله بن ابي المنافق والشاكين في الدين والطيبات
من النسا للطيبين والطيبون للطيبات يريد عايشة طيبها الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوليك مبرون يعني عايشة وصفوان
ذكرهما بلفظ الجمع منزهون مما يقولون يعني اصحاب الافك لهم مغفرة
يعني عفو لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة وروي ان عايشة كانت
تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها • منها ان جبريل عليه
السلام اتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروي
انه اتى بصورتها في راحته • ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها
وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف
ونزلت براتها من السما • وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما
وكان مسروق اذا حدث عن عايشة يقول حدثتني الصديقة بنت

الصديق

الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة من السما قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
اى تستاذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا ويقول تستانسوا
خطا من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القران ثبت بالتواتر والاستيناس
في اللغة الاستيذان وقيل الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر
هل في البيت انسان فيوذنه اى داخل • وقيل هو من انست اي
ابصرت • وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او يتنحنح حتى يعرف اهل البيت
وتسلموا على اهلها بيان حكم الاية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد
الاستيذان والسلام واختلفوا في ايهما يقدم فقيل يقدم الاستيذان
فيقول اادخل سلام عليكم كما في الاية من تقديم الاستيذان قبل
السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم ادخل
وتقدير الاية حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وكذا هو في مصحف
ابن مسعود • وروى عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع
فقل السلام عليكم اادخل اخرجه ابو داود والترمذي • وعن ربعي
ابن حراش قال جا رجل من بني عامر فاستاذن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو في البيت فقال الج فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل
السلام عليكم اادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال السلام عليكم اادخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخرجه ابو داود ق عن ابى سعيد وابي بن كعب وابى موسى قال
ابو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جا ابو موسى كانه مذعور
فقال استاذنت على عمر ثلاثا فلم يوذن فرجعت وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع
قال والله لتقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه من النبي صلى الله عليه
وسلم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا اصغر القوم فكنت اصغر
القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك
قال الحسن الاول اعلام والثاني موامرة والثالث استيذان بالرجوع
عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى
باب قوم لم يستقبل الباب من تلقا وجهه ولكن من تلقا ركنه الايمن
او الايسر ويقول السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن
عليها حينيذ يوميذ ستور اخرجه ابو داود • وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجا مع الرسول فان ذلك

له اذن اخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا
قدم الاستيذان ثم يسلم ه وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة يستاذن
على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطا بن يسار ان رجلا
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استاذن على امي فقال
نعم فقال الرجل اني معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم استاذن عليها فقال الرجل اني خادمها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها اخرجه
مالك في الموطا مرسلا وقوله تعالى **ذلكم خير لكم** اي فعل الاستيذان
خير لكم واولى بكم من التهجم بغير اذن **لعلكم تذكرون** اي هذه الاداب
فتعملوا بها قوله عز وجل **فان لم تجدوا فيها** اي في البيوت **احدا**
اي يأذن لكم في دخولها **فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم** اي في الدخول **وان
قيل لكم ارجعوا فارجعوا** يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول
الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما **هو ازكى
لكم** اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم فان للناس احوالا وحاجات يكرهون
الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستاذن وقعد
على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس ياتي دور الانصار لطلب
الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا
خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخبرتني
بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب
فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا **ق** عن سهل بن سعد قال
اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى
الله عليه وسلم مدرى يرجل به وفي رواية يحك به راسه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به في
عينك انما جعل الاذن من اجل البصر **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل
لهم ان يفقؤوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرأ اطلع عليك
بغير اذن فحذفته ففقات عينه ما كان عليك حرج وقال مرة اخرى
جناح **والله بما تعملون عليم** اي من الدخول بالاذن ولما نزلت اية
الاستيذان قالوا كيف بالبيوت الذي بين مكة والمدينة والشام
على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى **ليس عليكم جناح
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة** اي بغير استيذان **فيها
متاع لكم** اي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل
المبنية للسابلة ليأووا اليها ويأووا امتعتهم فيها فيجوز دخولها

بغير

بغير استيذان والمنفعة النزول بها واتقا الحر والبرد وايوا الامتعة
بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشرا
وهو منفعتها فليس فيها استيذان وقيل هي جميع البيوت التي لا
ساكن فيها لان الاستيذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم
يخف ذلك جاز له الدخول بغير استيذان **والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون** قوله تعالى **قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم** اي عما لا يحل
النظر اليه قيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض
لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر وانما امروا ان يغضوا عن نظرة
الفجاة عما لا يحل النظر اليه **م** عن جرير قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن نظرة الفجاة قال اصرف بصرك ه عن بريدة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان
لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذي **م** عن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر
الرجل الى عورة الرجل ولا المراة الى عورة المراة ولا يفضي الرجل الى
الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد وقوله تعالى
ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل قال ابو العالية كل ما في القران من حفظ
الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع
بصر الغير عليه **فان قلت** كيف ادخل من على غض البصر دون
حفظ الفرج **قلت** فيه دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى
ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن
واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والاجنبية
يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفروج
فضيق وكفاك ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا
ما استثني منه **فان قلت** كيف قدم غض البصر على حفظ
الفرج **قلت** لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه
اشد ولا يكاد احد يقدر على الاحتراس منه **ذلك ازكى لهم** اي غض
البصر وحفظ الفرج **ان الله خبير بما يصنعون** اي انه خبير باحوالهم وافعالهم
وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله
عز وجل **وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن**
اي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه
وذلك بعدما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا
منه فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصر ولا يعرفنا فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم افعمياوان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذي
وابو داوده وقوله تعالى ولا يبدين اى لا يظهرن زينتهن اى لغير
محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار
في المعصم والقرط في الاذن والقلايد في العنق فلا يجوز للمراة
اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة مواضعها
من البدن الا ما ظهر منها اى من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك
والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن
عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة
يجوز للرجل الاجنبي النظر اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من
الضروريات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيا من ذلك غض
البصر وانما رخص في هذا القدر للمراة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة
وتومر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة وليضربن بخمرهن اى
ليلقين بمقانعهن على جيوبهن اى موضع الجيب وهي النحر والصدر
اى ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن واقرطهن وصدورهن خ عن
عايشة قالت يرحم الله نسا المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كسا من صوف
او خز او كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعني
الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه
والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا
لازواجهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او
اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز لهولاء ان ينظروا الى
الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز
للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها
او نسايهن اى المومنات من اهل دينهن اراد به انه يجوز للمراة ان تنظر
الى بدن المراة الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمراة المومنة ان تتجرد
من ثيابها عند الذمية او الكافرة لان الله تعالى قال او نسايهن والذمية
والكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد
من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح ان
يمنع نسا اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز
ان تنكشف للمراة المسلمة لانها من جملة النسا او ما ملكت ايمانهن قيل
هو عبد المراة فيجوز لها الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى
مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران يروى ذلك
عن عايشة وام سلمة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة

بعبد

بعبد قد وهبه وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها
واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو
كالاجنبي منها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الاية الاما
دون العبيد او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرئ غير بنصب
الراء وقيل هو بمعنى الاستثنا ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا
الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا الاربة وقرئ غير
بالجر على نعت التابعين والاربة الحاجة والمراد بالتابعين غير اولي
الاربة منهم هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا فضل طعامهم لا همة لهم
الا ذلك ولا حاجة لهم في النسا وقال ابن عباس هو الاحمق العنين
وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث عن عايشة
رضي الله تعالى عنها قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير الاربة فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسايه وهو ينعت امراة قال اذا
اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ارى هذا يعرف ما هنا لا يدخلن عليكن فحجبوه زاد ابو
داود في رواية واخرجوه الى البيدا يدخل كل جمعة فيستطعم قوله
اقبلت باربع اى ان لها في بطنها اربع عكن فهي تقبل اذا اقبلت بها
واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها ه
بالسمن او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا اى لم يكشفوا
عن عورات النسا للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يبلغوا حد الشهوة
وقيل الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما
يخفين من زينتهن قيل كانت المراة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع
صوت خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة
النسا اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له في مشاهدتهن
وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به
على الذي لاجله نهى عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره وتوبوا
الى الله جميعا اى من التقصير الواقع في امره ونهيه وراجعوا
طاعته فيما امركم به ونهاكم من الاداب المذكورة في هذه السورة وقيل
ان اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها
وان ضبط نفسه واجتهد ولا ينفك عن تقصير يقع منه فكذلك وصى
المومنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا
فذلك قوله تعالى ايها المومنون لعلكم تفلحون م عن الاغر عن

مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى ماية مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفرلى وتب على انك انت التواب الغفور ماية مرة اخرجه عبد الرحمن ابن حميد المكى ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة م عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل **وانكحوا الايامى منكم** جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسايكم **والصالحين من عبادكم** اى من عبيدكم **وامايكم** بيان الاية الامر المذكور فى الاية امر ندب واستحبا لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو هو رض الانثيين نوع من الخصا شبه الصوم فى قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل • عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم اخرجه ابو داود والنساى م عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة افضل له من النكاح عند الشافعى وعند اصحاب الراى النكاح افضل • قال الشافعى قد ذكر الله عبدا اكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لا ياتى النسا وذكر القواعد من النسا ولم يندبهن الى النكاح وفى الاية دليل على ان تزويجه الايامى الى الاوليا لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاما الى السادات وهو قول اكثر اهل العلم من الصحابة ومن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابى هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعى وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاوزاعى وعبد الله بن المبارك والشافعى واحمد واسحاق وجوز اصحاب الراى للمراة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت

ي •

المراة دنية يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ما روى عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولى اخرجه ابو داود والترمذى ولهما عن عايشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان استجروا فالسلطان ولى من لا ولى له وقوله تعالى **ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** قيل الغنى هاهنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من فضله سعته **والله واسع** اى انه ذو الافضال والجود **عليم** اى بما يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا** اى ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة **حتى يغنيهم الله من فضله** اى يوسع عليهم من رزقه **والذين يبتغون الكتاب** اى يطلبون المكاتبة **مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم** سبب نزول هذه الاية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكاتبه حويطب على ماية دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين فى الحرب • بيان حكم الاية وكيفية المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا وكذا من المال ويسمى مالا معلوما تودى ذلك فى نجمين او فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد احق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل فى يده من المال فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما فى يده من المال فهو لسيده • لما روى عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما دام بقى عليه درهم اخرجه ابو داود • وذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذى علم فيه خيرا اذا سال العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته وان سال على اقل من قيمته لا يجب وهو قول عطا وعمرو بن دينار • لما روى ان ابن سيرين سال انس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه

عمر فقال له عمر كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلى فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا فكاتبه • وذهب اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب
ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا
بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال عليه الى اجل حتى
يوديه على مهل فيحصل المقصود • وجوز ابو حنيفة الكتابة الى نجم
واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا
فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا
وروي ان عبد السلمان الفارسي قال له كاتبني قال الك مال
قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو اراد
به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعي
اظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمتنع
من المكاتبة اذا كان هكذا • وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد
الادا والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله اخرجه الترمذي
والنسائي • وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا بالغا فاما
الصبي والمجنون فلا يصح كتابتهما لان الابتغا منهما لا يصح وجوز
ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق • وقوله تعالى وآتوهم من مال
الله الذي آتاكم قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط
عن مكاتبه من مال الكتابة شيا وهو قول عثمان وعلي والزبير ٥
وجماعة وبه قال الشافعي • ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط
الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا • وقال ابن عباس يحط
الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ما شا
وبه قال الشافعي • قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على
خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من اخر كتابته خمسة الاف درهم
اخرجه مالك في الموطا • وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب
مكاتبه لم يضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه
صدقته ويضع عنه من اخر كتابته ما احب وقال بعضهم هو امر
استحباب والوجوب اظهر • وقيل اراد بقوله وآتوهم من مال الله
اي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات
وهو قوله وفي الرقاب اراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن
اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم • واختلف العلما فيما
اذا مات المكاتب قبل ادا النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا
وترتفع الكتابة سوا ترك مالا او لم يترك وهو قول عمر وابن

عمرو وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة
واليه ذهب الشافعي واحمد • وقال قوم ان ترك وفا ما بقي عليه من
مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول
عطا وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي
ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالادا
وقد وجد ويتبعه اولاده واكتسابه كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة
الصحيحة لا يملك الولي فسخها ما لم يعجز الكاتب عن ادا النجوم وقوله
تعالى ولا تكرهوا فتياتكم اي امايكم على البغا اي الزنا ان اردن
تحصنا الاية م عن جابر قال كان عبد الله بن ابي بن سلول يقول
لجارية له اذهبي فابغينا شيا قال فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على
البغا ان اردن تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية لعبد الله بن ابي يقال
لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة كان يريدهما على الزنا فشكتا
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم
على البغا الى قوله غفور رحيم • قال المفسرون نزلت في عبد الله بن ابي بن
سلول المنافق كان له جاريتان مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على
الزنا لضريبة ياخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية ٥
يواجرون اماءهم فلما جا الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر
الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه
وان يك شرا فقد ان لنا ان ندعه فانزل الله هذه الاية • وروي ان
احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما
ارجعا فازنيا فقالت والله لا نفعل قد جا الاسلام وحرم الزنا
فاتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه
الاية واختلف العلما في معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها
ان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الاية فخرج
النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه • الثاني انما شرط ارادة
التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد
المراة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا • الثالث أن إن بمعنى اذا
اي اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم
يردن تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين
القول الرابع ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديرها وانكحوا الايامى
منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغا لتبتغوا اي
لتطلبوا عرض الحياة الدنيا اي من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع
اولادهن ومن يكرههن يعني على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور

رحيم يعني للمكرهات والوزر على المكره وقال الحسن اذا قرا هذه الاية
قال لهن والله لهن والله • قوله تعالى **ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات**
اى من الحلال والحرام **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** اى شبها من حالكم
بحالهم ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم
من المكذبين • قوله عز وجل **الله نور السموات والارض** قال ابن
عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون
وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون • وقيل معناه الله نور السموات
والارض نور السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا • وقيل معناه
مزين السموات والارض زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين
الارض بالانبيا والعلما والمومنين • ويقال زين الارض بالنبات والاشجار
وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح
كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليله • فقد سار عنها نورها وجمالها

مثل نوره اى مثل نور الله عز وجل فى قلب المومن وهو النور الذى
يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذى اعطى المومن وقيل الكناية
عايدة الى المومن اى مثل نور قلب المومن • وقيل اراد بالنور القران
وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا
واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا **كمشكاة** هى الكوة التى
لا منفذ لها وقيل هى بلغة الحبشة **فيها مصباح** اى سراج واصله من
الضوء **المصباح فى زجاجة** يعنى القنديل وانما ذكر الزجاجة لان
النور وضوء النار فيها ابين من كل شى وضوؤه يزيد فى الزجاج ثم وصف
الزجاجة فقال تعالى **الزجاجة كانها كوكب دري** من دراء الكوكب
اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره فى ذلك الحال والوقت وقيل هو
من دراء النجم اذا طلع وارتفع وقيل درى اى شديد الانارة نسب الى
الدر فى صفايه كما يفضل الدر على ساير اللولو وقيل الكوكب الدرى
احد الكواكب الخمسة السيارة التى هى زحل والمريخ والمشترى والزهرة
وعطارد وقيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما
يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب **توقد** اى اتقد المصباح **من شجرة
مباركة زيتونة** اى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع
كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو اصفا الادهان
واضواها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به
زيتون الشام لانها هى الارض المباركة وهى شجرة لا يسقط ورقها
عن اسيد بن ثابت او ابى اسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه
الترمذى وقوله **لا شرقية ولا غربية** اى ليست شرقية وحدها لا يصيبها
الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا
طلعت بل مضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها
وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون
زيتها اضوء وهذا معنى قول ابن عباس • وقيل معناه انها ليست فى
مقناة لا تصيبها الشمس ولا فى مضحاة لا يصيبها الظل فهى لا يضرها
شمس ولا ظل • وقيل معناه انها معتدلة ليست فى شرق يضرها الحر
ولا فى غرب يضرها البرد • وقيل معناه هى شامية لان الشام وسط
الارض لا شرقى ولا غربي • وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا
لو كانت فى الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه
الله لنوره **يكاد زيتها يضيء** اى من صفايه **ولو لم تمسسه نار** اى قبل
ان تمسه النار **نور على نور** اى نور المصباح على نور الزجاجة فصل
فى بيان التمثيل المذكور فى الاية اختلف اهل العلم فى معنى هذا التمثيل
فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت فى الظهور
والجلال الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التى فيها
زجاجة صافية وفى تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية
فى الصفا والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا فى صفايه صلح
ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرنى عن قوله
تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله
عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح توقد من شجرة
مباركة هى شجرة النبوة فكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين
للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضي ولو لم تمسسه
نار وروي عن ابن عمر فى هذه الاية قال المشكاة جوف محمد صلى الله
عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح الذى جعله الله تعالى فيه
لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصرانى توقد من شجرة مباركة ابراهيم
نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن كعب القرظى المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد
صلى الله عليهم اجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا منيرا • تمامه في الاية ••• وقال ... ... (ينظر)

تطهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور من نسل نبي نور محمد صلى
الله عليه وسلم على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المومن
قال كعب الاحبار هذا مثل المومن فهذا المشكاة نفسه والزجاجة
قلبه والمصباح ما جعل الله فيه من الايمان والقران توقد من شجرة
مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة قد التفت بها
الشجرة فهي خضرا ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت
فكذلك المؤمن قد احترس ان يصيبه شي من الفتن فهو بين اربع
خصال ان اعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد
زيتها يضي اى يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته
اياه نور على نور قال ان المومن يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله
نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال
ابن عباس هذا مثل ضربه الله لنور الله وهداه في قلب المومن يكاد
الزيت الصافي يضي قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوا
على ضوئه فكذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه
العلم فاذا جا العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور يعني ايمان
على ايمان المومن وعمله وقيل نور الايمان ونور القران وقيل هذا
مثل القران فالمصباح هو القران كما يستضا بالمصباح فكذلك
يهتدى بالقران والزجاجة قلب المومن والمشكاة فهو لسانه
والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد حجة القران تصح وان لم
يقرا نور على نور يعني القران نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام
لهم من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا
على نور قوله تعالى **يهدى الله لنوره من يشا** قال ابن عباس لدين
الاسلام وهو نور البصيرة **ويضرب الله الامثال للناس** اى يبين
الله الامثال للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك
والله بكل شي عليم قوله عز وجل **في بيوت** اى المصباح يوقد في بيوت
والمراد بالبيوت جميع المساجد وقال ابن عباس المساجد بيوت
الله في الارض تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض وقيل المراد
بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم ۵
واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد
المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا اسس
على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا **اذن الله
ان ترفع** اى تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر
من النجاسة والانذار **ويذكر فيها اسمه** قال ابن عباس يتلى فيها

كتابه

كتابه **يسبح له فيها** اى يصلى له فيها **بالغدو والاصال** اى بالغداة
والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلاة المفروضة والعشاين لان
اسم الاصال يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر عن
ابي موسى الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين
دخل الجنة واراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال
ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته
متطهر الى صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى
المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا ذلك كان اجره كاجر المقيم وصلاة
على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين اخرجه ابو داود **رجال**
قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النسا ليس عليهن ۵
حضور المساجد لجمعة ولا جماعة **لا تلهيهم تجارة** اي لا تشغلهم تجارة
وقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل به الانسان به عن الصلوات
والطاعات واراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة يقع على البيع
والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما
باعه الرجل على يديه **ولا بيع** اى ولا يشغلهم بيع **عن ذكر الله** اى حضور
المساجد لاقامة الصلوات **واقام الصلاة** يعني اقامة الصلاة في
وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى
سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا
حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الاية رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة **وايتا الزكاة** يعني
المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت ادا الزكاة لم يحبسوها •
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يعني ان هولا الرجال
وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خايفون
لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته وقيل ان القلوب تضطرب من
الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب عما كانت عليه في الدنيا
من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب
القلوب بين الخوف والرجا فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب
الابصار من هول ذلك اليوم من اى ناحية يوخذ بهم امن ذات اليمين
ام ذات الشمال ومن اين كتبهم يوتون امن قبل اليمين امن قبل الشمال
وقيل يتقلب القلب في الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج
ويتقلب البصر فيشخص الاعمى من هول الامر وشدته **ليجزيهم الله احسن
ما عملوا** يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة ليجزيهم
الله على احسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات

فرضها ونقلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوى اعمالهم
بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم باحسن اعمالهم
ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشا
بغير حساب فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة
احسانه وفضله قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
لما ضرب مثلا لحال المومن وانه في الدنيا والاخرة في نور وانه فايز
بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو
شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من يراه ما
فاذا قرب منه انفش فلم ير شيا والبقيعة القاع وهو المنبسط من
الارض وقد يكون السراب يحسبه اي يتوهمه الظمان اي العطشان ما
حتى اذا جاءه اي جا ما قدر انه ما وقيل جا الى موضع السراب لم يجده
شيا اي لم يجد ما قدر وظنه ووجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر
من اعمال البر وهو يعتقد ان لها ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا
وافى عرصة القيمة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب
العظيم والعذاب الاليم عظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله
بحال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الما فاذا اشاهد السراب
في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيا فكذلك حال الكافر
يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه شيا ولا
نفعه ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله
فوفاه حسابه اي جزا عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم
بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة واحد ثم ضرب للكفار مثلا
اخر فقال تعالى او كظلمات اعلم الله سبحانه وتعالى ان اعمال الكفار
ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات
وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات في بحر
لجي اي عميق كثير الما ولجة البحر معظمه يغشاه اي يعلوه موج من
فوقه موج اي متراكم من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معناه
ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الما فاذا ترادفت
الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة
النهاية القصوى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها
لشدة الظلمة وقيل معناه لم يراها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد
من اقرب شي يراها الانسان فقال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان
الله ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة
السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة

القول

ملينة

القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه
من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال
ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة
ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيمة في النار
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله
له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل
نزلت هذه الاية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجا
ولبس المسوح فلما جا الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة
في حق جميع الكفار قوله عز وجل الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات اي باسطات اجنحتها في الهوا قيل خص
الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السما والارض فتكون
خارجة عن حكم من في السموات والارض كل قد علم صلاته وتسبيحه
قيل الصلاة لبني ادم والتسبيح لساير الخلق وقيل ان ضرب اجنحة
الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله
صلاته وتسبيحه • وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة
نفسه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض اي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنده نشات
ومنه بدات فهو واجد الوجود • وقيل معناه ان خزاين المطر والرزق
بيده لا يملكها احد سواه والى الله المصير اي والى الله مرجع العباد
بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله يزجي اي يسوق سحابا بامره
الى حيث يشا من ارضه وبلاده ثم يولف بينه اي يجمع بين قطع السحاب
المتفرقة بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه
فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه
وهو مخارج القطر وينزل من السما من جبال فيها من برد قيل معناه
وينزل من جبال من السما تلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر
الله ان في السما جبالا من برد • وقيل معناه وينزل من السما مقدار
جبال في الكثرة من برد **فان قلت** ما الفرق بين من الاولى
والثانية والثالثة **قلت** من الاولى لابتدا الغاية لان ابتدا
الانزال من السما والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك
الجبال التي في السما والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس
البرد فيصيب به اي بالبرد من يشا فيهلكه وامواله ويصرفه
عمن يشا اي فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب
بالابصار اي من شدة ضوئه وبريقه يقلب الله الليل والنهار اي
يصرفهما اي اختلافهما وتعاقبهما فياتي بالليل ويذهب بالنهار ق

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب
الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل
لا ابدا اصابنا الدهر وتذمه في اشعارهم فقيل لهم لا تسبوا
الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر معروف يتبع فنيه
النايبات كما يتبع بكم • وقوله تعالى ان في ذلك اي الذي ذكرت من
هذه الاشيا لعبرة لاولي الابصار اي دلالة لاهل العقول والبصاير
على قدرة الله وتوحيد قوله عز وجل والله خلق كل دابة من ما
اي من نطفة واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملايكة
والجن لانا لا نشاهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الما وذلك ان
الله تعالى خلق ما جعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملايكة ٥
وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه ادم
فمنهم من يمشي على بطنه اي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك
ومنهم من يمشي على رجلين يعني مثل ابن ادم والطير ومنهم من يمشي
على اربع يعني كالبهايم والسباع فان قلت كيف قال خلق
كل دابة من ما مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت
ذلك المخلوق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شي وذلك الشي اصله
من الما فان قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب
اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولى
فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوق قلت
قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير الة المشي وهي الارجل
والقوايم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على اربع فان قلت
لم اقتصر على ذكر الاربع وفي الحيوانات ما يمشي على اكثر من اربع ٥
كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له اربع واربعون رجلا ونحو ذلك
قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان
هذه الحيوانات اعتمادها على اربع في المشي والباقي تبع لها يخلق
الله ما يشا اي مما لا يعقل ولا يعلم ان الله على كل شي قدير اي هو القادر
على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشا كما يشا لا يمنعه مانع
ولا يدافع لقد انزلنا ايات مبينات يعني القران فهو المبين الهدى
والاحكام والحلال والحرام والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
يعني الى دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته قوله
تعالى ويقولون يعني المنافقين امنا بالله وبالرسول واطعنا اي
يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن
طاعة الله ورسوله من بعد ذلك اي من بعد قولهم امنا ويدعوا الى

ثم من غير نطفة فان استعمل
في غير العقلاء قلت

غير

غير حكم الله قال الله تعالى وما اولئك بالمومنين نزلت هذه الاية
في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في ارض فقال اليهودي
نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق الى كعب بن الاشرف
فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الاية واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اي الرسول يحكم بحكم الله بينهم اذا فريق منهم معرضون
يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين
اي مطيعين منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه
لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا افي قلوبهم مرض اي
كفر ونفاق ام ارتابوا اي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى
هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يظلم بل اولئك
هم الظالمون اي لانفسهم باعراضهم عن الحق قوله عز وجل انما كان
قول المومنين اذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم
هذا تعليم ادب الشرع على معنى ان المومنين كذا ينبغي ان يكونوا وهو
ان يقولوا سمعنا اي الدعا واطعنا اي بالاجابة واولئك اي من
هذه صفته هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس
فيما ساه وسره ويخش الله اي على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما
بعد فاولئك هم الفايزون اي الناجون قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيا لين
امرتهم ليخرجن وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لين خرجت خرجنا وان اقمت
اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما ترك بيان كراهتهم لحكم
الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو امرتنا ان نخرج
من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال
الله تعالى قل لهم لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدا فقال
طاعة معروفة اي هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب
وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون
وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان
لا يوافقها الفعل ان الله خبير بما تعملون اي من طاعتكم بالقول
ومخالفتكم بالفعل قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني بقلوبكم
وصدق نياتكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فانما
عليه اي على الرسول ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة
وعليكم ما حملتم اي كلفتم من الاجابة والطاعة وان تطيعوه تهتدوا
اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين

اى التبليغ الواضح البين قوله عز وجل وَعَدَ اللهُ الذين منكم آمنوا
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض قيل مكث النبى صلى الله عليه
وسلم بمكة بعد الوحى عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى
الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة
وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احدهم سلاحه فقال
رجل منهم ما ياتى علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه
الاية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم
ليجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم
اى كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبيا وكما استخلف بنى
اسرايل واهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم
وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم اى اختار لهم قال ابن عباس
يوسع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على ساير الاديان
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى اى آمنين لا يشركون بى
شيا فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم بعد الخوف
امنا وبسطا فى الارض خ عن عدى بن حاتم قال بينا انا عند النبى
صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكى اليه قطع السبيل فقال يا عدى
هل رايت الحيرة قلت لم ارها ولقد انبيت عنها قال فان طالت بك
حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف
احدا الا الله قلت فيما بينى وبين نفسى فاين دعار طى الذين قد
سعروا البلاد ولين طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت
كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولين طالت بك حياة لترين الرجل
يخرج ملا كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا
يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيمة وليس بينه وبينه ترجمان
يترجم له فليقولن الم ابعث اليكم رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب
الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى
الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدى سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق
تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرايت الظعينة ترحل من الحيرة حتى
تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن
هرمز ولين طالت بكم حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه
وسلم يخرج الرجل ملا كفه ذهبا وفى الاية دليل على صحة خلافة ابى
بكر الصديق والخلفا الراشدين بعده لان فى ايامهم كانت الفتوحات
العظيمة ونفقت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين

وظهور

وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابى
بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنى عشرة وعلى
ستة قال على قلت لحماد القايل لسعيد امسك سفينة قال نعم
اخرجه ابو داود والترمذى بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد
هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابى بكر
كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة
اشهر وخلافة عثمان اثنى عشر سنة كما ذكر فى الحديث وخلافة على
اربع سنين وتسعة اشهر ولهذا جا فى بعض الروايات الحديث
وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة
خلافة الايمة الاربعة تسعة وعشرون سنة وستة اشهر وكملت
ثلاثين بخلافة الحسن وكانت ستة اشهر فلترك الحمد ثم نزل عنها
والله تعالى اعلم وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اراد به كفران النعمة
ولم يرد الكفر بالله فاولئك هم الفاسقون اى العاصون قال
اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وجحدها الذين قتلوا عثمان
فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون
بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخى عبد الله قال لما اريد قتل عثمان
جا عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جا بك قال جيت فى نصرك
قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارج خير لى منك داخل
فخرج عبد الله الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان
الملايكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه
لتطردن جيرانكم الملايكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا
تغمدن الى يوم القيمة قالوا اقتلوا اليهودى وقتلوا عثمان اخرجه
الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى فما قتل نبى قط الا قتل به
سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى
واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون
اى افعلوا هذه الاشيا على رجا الرحمة لا تحسبن الذين كفروا
معجزين اى فايتين عنا فى الارض وماواهم النار ولبيس المصير
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من
الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة
ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رويته عند ذلك فانزل الله

هذه الاية وقيل نزلت في اسما بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل
في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان
خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرهها فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم اللام لام الامر
وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على
الوجوب وهو الاولى الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاماء
والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين
لم يظهروا على عورات النسا بل المراد الذين عرفوا امر النساء له
ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق
العلما على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة
سنة ولم يحتلم وقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة
سنة ويتكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وابو يوسف
ومحمد واحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجري
عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلاث مرات اي ليستاذنوا في ثلاث
اوقات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
اي وقت المقيل ومن بعد صلاة العشا وانما خص هذه الثلاثة
اوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدوا من
الانسان ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم
بالاستيذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستاذن
في جميع الاوقات ثلاث عورات لكم سميت هذه الاوقات عورات
لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدوا عورته ليس عليكم ولا عليهم
يعني العبيد والخدم والصبيان جناح اي حرج في الدخول
عليكم بغير استيذان بعدهن اي بعد هذه الاوقات الثلاثة
طوافون عليكم اي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون
في اشغالكم بغير اذن بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على بعض
كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم اختلف العلما في
حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن
المسيب روى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن العباس
كيف ترى في هذه الاية التي امرنا بها ولا يعمل بها احد قول الله عز
وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية
فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان
الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد
او يتيم الرجل والرجل على اهله فامرهم الله تعالى بالاستيذان في

تلك

تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك بعد
اخرجه ابو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فيه ان ذلك اغنى عن
الاستيذان في تلك العورات • وذهب قوم الى انها غير منسوخة
وروى سفين عن موسى بن ابي عايشة قال سالت الشعبي عن هذه
الاية ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هي ام لا قال لا
والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال
سعيد بن جبير في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت
ولكنها مما تهاون الناس بها • قيل ثلاث ايات ترك الناس العمل
بهن هذه الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس يقولون
اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية وقوله عز وجل
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا
فليستاذنوا اي يستاذنوا في جميع الاوقات في الدخول كما استاذن
الذين من قبلهم اي الاحرار الكبار كذلك يبين الله لكم اياته اي
دلالته وقيل احكامه والله عليم اي باامور خلقه حكيم بما دبرهم وشرع
قال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما نزلت الاية
في ذلك وسئل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته قال نعم ان لم
تفعل رايت منها ما تكره قوله عز وجل والقواعد من النساء
يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن
اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجز
اللواتي اذا راهن الازواج استقذرهن فاما من كانت فيهن بقية
جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الاية فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن اي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهم الجلباب
والردا الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا
يجوز وضعه غير متبرجات بزينة اي من غير ان يردن لوضع الجلباب
والردا اظهار زينتهن والتبرج اي فلا يلقين الجلباب والردا او الاظهار
هو ان تظهر المراة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان يستعففن
اي فلا يلقين الجلباب والردا خير لهن والله سميع عليم قوله
عز وجل ليس على الاعمى حرج اختلف العلما في هذه الاية فقال
ابن عباس لما انزل الله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا
الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل المال بالباطل
والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس
ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلم

يستنون من الطعام حمية فانزل الله هذه الاية فعلى هذا التاويل
يكون على بمعنى في ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم جناح في مواكلة
الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى
يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم
ويقال للاعمى ربما اكل اكثر من ذلك ويقال للاعرج ربما جلس مكان
اثنين فنزلت هذه الاية ٭ وقيل نزلت ترخيصا لهولاء في الاكل من بيوت
من سماهم الله في باقي الاية وذلك ان هولاء كانوا يدخلون على رجل
لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شي ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت
امه او بعض من سمى الله فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون
ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الاية وقيل كان المسلمون
اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا
لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا
ندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقيل
نزلت رخصة لهولاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند
قوله **ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** وقوله تعالى **ولا على انفسكم**
كلام مستانف قيل لما نزلت ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل
لاحدنا ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم **ان تاكلوا من**
بيوتكم اى لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموال عيالكم
وبيوت ازواجكم لان بيت المراة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم
نسب بيوت الاولاد الى الاباء كما جاء في الحديث انت ومالك لابيك
او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه معناه قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل
وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمرة ضيعته
ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل هو يعني بيوت عبيدكم
ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزاين ويجوز
ان يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملكت الرجل المفتاح فهو خازن
فلا باس ان ياكل الشي اليسير وقيل اوما ملكتم مفاتحه اي ما خزنتموه
عندكم وما ملكتموه **او صديقكم** الصديق هو الذي صدقك في المودة قال
ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا
فساله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل
الله هذه الاية والمعنى **ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا**

من منازل هولاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا
ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني ليث بن عمرو
وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده حتى يجد ضيفا ياكل معه
فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما
كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا
امسى ولم يجد احدا اكل ٭ وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير
من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح
اى اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقيل
نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم
فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاوا جميعا اى مجتمعين او اشتاتا متفرقين
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض هذا
في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا
دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت
بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
على اهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملايكة ترد عليه
وعن ابن عباس في قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا
دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **تحية من**
عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة
والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر **كذلك يبين الله لكم الايات**
لعلكم تعقلون معناه اي عن الله امره ونهيه واراد به قوله عز وجل **انما**
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اى مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم **على امر جامع** اى يجمعهم من حرب حضرت او صلاة
او جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل **لم يذهبوا** اى يتفرقوا
عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له **حتى يستاذنوه** قال المفسرون كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل
ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن
شا منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل
العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا
يرجعون عنه الا باذن فاذا استاذن فللامام ان شا اذن له وان
شا لم ياذن له وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من القيام فاذا حدث
سبب يمنعه من القيام بان يكون في المسجد فتحيض امراة منهم او
يجنب رجل منهم او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان **ان الذين**

يستاذنوك اوليك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك
لبعض شانهم اي امرهم فاذن لمن شيت منهم اى فى الانصراف والمعنى
ان شيت فاذن وان شيت فلا تاذن واستغفر لهم الله اى ان رايت
لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة ان الله غفور رحيم قوله تعالى لا تجعلوا
دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا قال ابن عباس يقول احذروا
دعا الرسول اذا اسخطتموه فان دعاه موجب لبس كدعا غيره • وقيل
معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن
فخموه وعظموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا اى يستتر بعضهم ببعض
ويروغ اى يخرجون منكم فى خفية فيذهب قيل كان هذا فى حفر الخندق
فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين
وقال ابن عباس لواذا اى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين
كانوا يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى
صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد
فى استتار وقد يعلم فيه التهديد بالمجازاة فليحذر الذين يخالفون
عن امره اى يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه ان تصيبهم
اى لئلا يصيبهم فتنة اى بلا فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اى
وجيع فى الاخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى الا ان لله ما فى السموات
والارض اي ملكا وعبيدا قد يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق
ويوم يرجعون اليه يعنى يوم البعث فينبيهم بما عملوا اى من الخير
والشر والله بكل شى عليم عن عايشة رضى الله تعالى عنها قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النسا الغرف ولا تعلموهن
الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبد الله بن البيع فى
صحيحه والله سبحانه وتعالى اعلم باسرار كتابه •

تفسير سورة الفرقان وهى مكية

وهى سبعة وسبعون اية وثمان ماية وتسعون كلمة وثلاثة الاف
وسبعماية وثلاثة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل تبارك تفاعل من البركة كان معناه جا بكل بركة
وخير وقيل معناه تعظم الذي نزل الفرقان اى القران سماه فرقانا
لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا فى اوقات
كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق على عبده يعنى
محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين اى للانس والجن نذيرا
قيل هو القران وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى له ملك

السموات

السموات والارض اي هو المتصرف فيها كيف يشا ولم يتخذ ولدا اي هو المفرد
فى وحدانيته وفيه رد على النصارى ولم يكن له شريك في الملك
اي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الوثنية وعباد الاصنام وخلق
كل شي معناه اى مما يطلق عليه صفة المخلوقات فقدره تقديرا يعنى
سواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شى
تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى
واتخذوا يعنى عبدة الاوثان من دونه الهة يعنى الاصنام لا يخلقون
شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اى دفع ضر ولا
جر نفع ولا يملكون موتا يعنى اماتة ولا حياة اى احيا ولا نشورا
اى بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا يعنى النضر بن الحارث
واصحابه ان هذا اي القران الا افك اى كذب افتراه اى اختلقه
محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه قوم اخرون قيل يعنى اليهود
وقيل عبيد بن الحضر الكاهن الحبشى وقيل جبر ويسار وعداس بن
عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا ياخذ
منهم فقال الله تعالى فقد جاوا اي قايل هذه المقالة ظلما وزورا اي
بظلم وزور وهو نسبتهم كلام الله الى الافك والافترا وقالوا اساطير
الاولين اكتتبها يعنى النضر بن الحارث كان يقول ان هذا القران
ليس من الله انما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار
ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس
وطلب ان يكتب له لانه كان لا يكتب ولا يقرا فهى تملى عليه اى تقرا
عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا يعنى غدوة وعشيا قوله
تعالى ردا عليهم قل يا محمد انزله يعنى القران الذى يعلم السر اي الغيب
فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما يعنى لولا ذلك لعاجلكم
بعذابه وقالوا ما لهذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
ياكل الطعام اي كما ناكل نحن ويمشى فى الاسواق اى يلتمس المعاش كما
نمشى نحن واذا كان كذلك فمن اين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز
عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك
لا ياكل لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد
لان اكله الطعام لكونه ادميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق
لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن سخابا فى الاسواق ۵
وليس شى من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك لولا
انزل اليه ملك معناه اى يصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا
اي داعيا او يلقى اليه كنز اى ينزل عليه كنز من السما ينفعه فلا يحتاج

الى التصرف في طلب المعاش او تكون له جنة اي بستان ياكل منها
اي هو فلا اقل من ذلك وان لم يكن له كنز وقال الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا اي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر اي يا محمد
كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه التي لا فايدة لها فقالوا
مسحور محتاج فضلوا اي عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى
ومخرجا عن الضلالة قوله تعالى تبارك الذي ان شا جعل لك
خيرا من ذلك اي من الذي قالوا وافضل من البستان الذي ذكروا
وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش
ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك
قصورا اي بيوتا مشيدة عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا قلت لا يا رب
ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شيت لسارت معي
جبال مكة ذهبا جاني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة فقال يا
محمد ان ربك يقريك السلام ويقول ان شيت نبيا عبدا وان شيت
نبيا ملكا فنظرت الى جبريل واشار الى ان ضع نفسك فقلت نبيا
عبدا فقالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل
متكيا يقول اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ذكر
هذين الحديثين البغوي بسنده قوله تعالى بل كذبوا بالساعة
اي القيمة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي نارا مسعرة
اذا راتهم من مكان بعيد قيل من مسيرة عام وقيل مسيرة ماية
عام فان قلت كيف يتصور الرويا من النار وهو قوله
تعالى اذا راتهم من مكان بعيد قلت يجوز ان يخلق الله لها
حياة وعقلا وروية وقيل معناه راتهم زبانيتها سمعوا لها
تغيظا اي غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب وزفيرا
اي صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه
راوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر •
ورايت زوجك في الوغا • متقلدا سيفا ورمحا •
اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب
والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيمة زفرة فلا
يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه واذا القوا منها
مكانا ضيقا قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الرمح في الزج

مقرنين اي مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل
مقرونين مع الشياطين في السلاسل دعوا هنالك ثبورا معناه قال
ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث ان اول من يكسى حلة من النار
ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو
يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا
ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل
معناه هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة
قوله عز وجل قل اذلك خير اي الذي ذكرت من صفة النار واهلها
ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا اي ثوابا
ومرجعا لهم قال تعالى لهم فيها ما يشاؤن اي ان جميع المرادات
لا تحصل الا في الجنة لا في غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان
شيا ولا يحصل في الجنة كما انه يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة
قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل كل واحد
من اهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات
الى غيره خالدين اي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دايما اذ
لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وانشد في المعنى فقال •
• اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا •
كان على ربك وعدا مسيولا اي مطلوبا وذلك ان المؤمنين سالوا
ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقالوا ربنا اتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطا الله المومنين
جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومسالتهم اياه ذلك
الوعد وقيل الطلبة من الملايكة للمومنين وذلك قولهم ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم • قوله تعالى ويوم يحشرهم
وما يعبدون من دون الله يعني من الملايكة والانس والجن
مثل عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم يخاطبهم فيقول اانتم
اضللتم عبادي هولا ام هم ضلوا السبيل اي اخطاوا الطريق
قالوا يعني المعبودين سبحانك نزهوا الله من ان يكون معه الهة ٥
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا يعني ما كان ينبغي لنا
ان نوالي اعداك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا
ان نامرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ولكن متعتهم
واباهم اي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا حتى نسوا الذكر
معناه اي تركوا المواعظ والايمان بالقران وقيل تركوا ذكرك وغفلوا

عنه وكانوا قوما بورا معناه اى هلكى اى غلب عليهم الشقا والخذلان
فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اى كذبوكم المعبودون بما تقولون
اى انهم الهة فما يستطيعون اي الالهة صرفا اى صرف العذاب عن
انفسهم ولا نصرا وقيل لا ينصركم ايها العابدون بدفع العذاب عنكم
ومن يظلم منكم اى يشرك نذقه عذابا كبيرا قوله عز وجل وما
ارسلنا قبلك اي يا محمد من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق انزل
الله عز وجل هذه الاية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى
على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما انا الا رسول وما كنت بدعا
من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اى بلية قال ابن عباس اى جعلت بعضكم
بلا لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعون
انتم الهدى وقيل نزلت في ابتلا الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف
اذا اراد ان يسلم راي الوضيع قد اسلم قبله انف وقال اسلم بعده
فيكون له السابقة والفضل علي فيكون فيقيم على كفره ويمتنع من
الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض • وقيل نزلت في ابي جهل
والوليد بن عقبة والعاص بن وايل السهمي والنضر بن الحارث
وذلك انهم راوا ابا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا
وعامر بن فهيرة ودونهم قد اسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هولا
وقيل نزلت في ابتلا فقرا المسلمين بالمستهزين من قريش كانوا يقولون
انظروا الى هولاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا
واراذلنا فقال الله تعالى لهولا المومنين اتصبرون اى على هذه
الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير
يقول ما لي لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة
الوضيع وكان ربك بصيرا اى بمن صبر وبمن جزع ق عن ابي هريرة
يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل
عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ
البخاري ولمسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو
فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله تعالى وقال الذين
لا يرجون لقانا اى لا يخافون البعث والرجا بمعنى الخوف لغة
تهامة لولا انزل علينا الملايكة فتخبرنا ان محمدا صادق او نرى ربنا
فيخبرنا بذلك لقد استكبروا اى تعظموا في انفسهم بهذه المقالة وعتوا

عتوا اي طغوا وقيل عتوا في القول وهو اشد الكفر والفحش وعتوهم
طلبهم روية الله حتى يومنوا به قوله تعالى كبيرا يوم يرون الملايكة
اى عند الموت وقيل يوم القيمة لا بشرى يوميذ للمجرمين وذلك ان
الملايكة يبشرون المومنين يوم القيمة ويقولون للكفار لا بشرى
لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المومن ويقولون حجرا محجورا
قال ابن عباس تقول الملايكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال
لا اله الا الله محمد رسول الله • وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول
لهم الملايكة حرام محرم عليكم ان تكون لكم البشرى • وقيل هذا قول
الكفار للملايكة وذلك ان العرب كانت اذا نزل بهم شدة وراوا ما
يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملايكة
قوله عز وجل • وقدمنا الى ما عملوا من عمل يعني من اعمال البر التي
عملوها في حال الكفر فجعلناه هبا منثورا اى باطلا لا ثواب لهم لانهم
لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا
فهو رد والهبا هو ما يرى في الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها
فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس
هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو
ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار • قوله تعالى
اصحاب الجنة يوميذ اى يوم القيمة خير مستقرا اى من هولا المشركين
المستكبرين واحسن مقيلا اى موضع القايلة حتى يسكنوا مساكنهم
في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة الاستراحة
نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن
مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في
اوله ويروى ان يوم القيمة يقصر على المومنين حتى يكون كما بين العصر
الى غروب الشمس • قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام اى عن الغمام
وهو غمام ابيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم ونزل
الملايكة تنزيلا قال ابن عباس تشقق السما الدنيا فينزل اهلها وهم
اكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تنشق الثانية فينزل اهلها وهم
اكثر ممن في السما الدنيا من الجن والانس ثم كذلك حتى تنشق السما
السابعة واهل كل سما يزيدون على اهل السما التي تليها ثم تنزل
الكروبيون ثم حملة العرش الملك يوميذ الحق للرحمن اى الملك
الذي هو حقا ملك الرحمن يوم القيمة قال ابن عباس يريد ان يوم
القيمة لا ملك يقضي غيره وكان يوما على الكافرين عسيرا اى شديدا

وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسير وجاء في الحديث انه
يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاه مكتوبة
صلاها في الدنيا قوله تعالى **ويوم يعض الظالم على يديه** اراد بالظالم
عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما
ودعى اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم
فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعى الناس اليه ودعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول
الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي
ابن خلف فلما اخبر ابي بن خلف قال له يا عقبة صبات قال لا والله
ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل معي طعامي الا ان اشهد
له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال
ما الذي ارضى عنك ابدا الا ان تاتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك
عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا اراك خارجا من مكة الا
علوت راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف
فقتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وقيل لما بزق عقبة في
وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه
فكان اثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابي معيط خليل
امية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان
تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعني
عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه
اي ندما واسفا على ما فرط في جنب الله واوبق نفسه بالمعصية
والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطا ياكل
يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم ياكلهما هكذا كلما نبتت يده
اكلها على ما فعل تحسرا وندامة **يقول يا ليتني اتخذت** اي في الدنيا
مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا واتخذت معه طريقا
الى الهداية **يا ويلتى** دعى على نفسه بالويل **ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا** قيل يعني ابي بن خلف **لقد اضلني عن الذكر** اي عن الايمان
والقران **بعد اذ جاءني** يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم
وكان الشيطان وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن
والانس **للانسان خذولا** يتركه ويتبرا منه عند نزول البلاء
والعذاب وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على

معصية الله **ق** عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك اما ان
يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير
اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين
خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي ولهما
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تصاحب الا مومنا ولا ياكل طعامك الا تقي **قوله عز وجل**
وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم **يا رب ان
قومي اتخذوا هذا القران مهجورا** اي متروكا واعرضوا عنه ولم
يومنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيئ من
القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم
يشكوا قومه الى الله عز وجل يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران
مهجورا فعزاه الله تعالى فقال **وكذلك جعلنا** اي وكما جعلت لك
اعداء من مشركي مكة وهم قومه كذلك جعلنا **لكل نبي عدوا من
المجرمين** اي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك
قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر انت كما صبروا فاني ناصرك
وهاديك وهو قوله تعالى **وكفى بربك هاديا ونصيرا** قوله تعالى
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اي كما
انزلت التوراة والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم
اجمعين قال الله تعالى **كذلك** فعلنا ذلك **لنثبت به فؤادك**
اي انزلناه مفرقا لتقوي به قلبك فتحفظه وتعيه فان الكتب
المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤن وانزلنا القران على
نبي امي لا يقرا ولا يكتب ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه
ما هو جواب لمن سال عن امور تحدث منها في اوقات مختلفة
ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على
العامل به **ورتلناه ترتيلا** قال ابن عباس وبيناه بيانا والترتيل
التبيين في ترتيل وتثبيت وقيل فرقناه تفريقا اية بعد اية
ولا ياتونك يعني يا محمد هولاء المشركين **بمثل** اي يضربونه لك في ابطال
امرك **الا جئناك بالحق** اي بما نرد به ما جاؤا به من المثل ونبطله
فسمى ما يردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا **واحسن
تفسيرا** اي احسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهولاء المشركين فقال
تعالى **الذين** اي الذين **يحشرون على وجوههم** اي يساقون ويجرون

على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل يعني منزلا ومصيرا
واضل سبيلا اى اخطا طريقا قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا اى معينا وظهيرا فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط فدمرناهم تدميرا
اى اضمارا اى فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اى اهلكناهم هلاكا وقوم
نوح لما كذبوا الرسل اى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب
جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس
اية اى عبرة لمن بعدهم واعتدنا للظالمين فى الاخرة عذابا اليما
اى سوى ما حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا وعادا وثمودا واصحاب
الرس اى اهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس قال وهب بن منبه
كانوا اهل بير الرس نزولا عليها وكانوا اصحاب مواشى يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى
طغيانهم واوذي شعيبا فبينما هم حول البير فى منازلهم انهارت
البير وخسف بهم وبديارهم وربائهم وقيل الرس بفلج اليمامة قتلوا
نبيهم فاهلكهم الله • وقال سعيد بن جبير كان نبي يقال له حنظلة بن
صفوان فقتلوه فاهلكهم الله • وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس • وقيل هم اصحاب
الاخدود والرس الاخدود وقرونا بين ذلك كثيرا اى واهلكنا قرونا
كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له الامثال اى الاشباه
فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وكلا تبرنا تتبيرا
اى اهلكناهم اهلاكا • قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التى امطرت
مطر السوء يعني الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى
اهلك الله منها اربعا وبقيت واحدة وهى صغر وكان اهلها لا
يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا يرونها يعني اذا مروا بهم فى اسفارهم
فيعتبروا ويتعظوا لان مداين قوم لوط كانت على طريقهم عند
ممرهم الى الشام بل كانوا لا يرجون نشورا اى لا يخافون بعثا قوله
تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا نزلت فى ابى جهل كان اذا
مر مع اصحابه قال مستهزءا اهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد
ليضلنا اى قد قارب ان يضلنا عن عبادة الهتنا لولا ان صبرنا
عليها اى على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف
يعلمون حين يرون العذاب اى فى الاخرة عيانا من اضل سبيلا اى
اخطا طريقا ارايت من اتخذ الهه هواه وذلك ان الرجل من المشركين
كان يعبد حجرا اذا راى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن منه وعبده

قال ابن عباس ارايت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده
ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبده افانت تكون عليه وكيلا
اى حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله
والمعنى لست كذلك • وقال الكلبي نسختها اية القتال ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون اى ما يقول سماع طالب الافهام او يعقلون اى ما
يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التى تقدمت
لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه
فكانهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم فقال تعالى ان هم
اى ما هم الا كالانعام اى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم
على التدبر والتفكر ثم قال تعالى بل هم اضل سبيلا لان البهائم تهتدى
لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها التى تعاهدها وهولا الكفار
لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان
الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك قوله تعالى الم تر
الى ربك كيف مد الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله
ممدودا لانه ظل لا شمس معه ولو شاء لجعله ساكنا اى دايما ثابتا لا يزول
ولا تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يعني دلالتها عليه
انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة
والاشيا تعرف باضدادها ثم قبضناه يعني الظل الينا قبضا يسيرا اى
الشمس التى تاتى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع
الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا خفيا
وهو الذى جعل لكم الليل لباسا اى سترا تستترون به والمعنى ان
ظلمة الليل تغشى كل شى كاللباس الذى يشتمل على لابسه والنوم
سباتا اى راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم وجعل النهار نشورا اى
يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال وهو
الذى ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر وانزلنا من
السماء ماء طهورا اى الطهور هو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره فهو
اسم لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى
البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذى
والنسائي واراد به المطهر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث
والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء • وذهب اصحاب الراى الى

مرة •

ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمايعات الطاهرة
مثل الخل والريق ونحوهما ولو جوز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة
الحدث بها • وذهب بعضهم الى ان الطهور ما تكرر منه التطهير وهو

قول مالك حتى جوزوا الوضوء بالما اذا توضا به مرة وان وقع في
الماشي غير طعمه او لونه او ريحه هل يزول طهوريته نظر ان كان
الواقع شي لا يمكن صون الما عنه كالطين والتراب واوراق الاشجار
فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع
فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الما برايحته يجوز
الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيا يمكن صون
الما عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا
يجوز الوضوء به وان لم يتغير احد اوصافه نظر ان كان الواقع شيا
طاهرا لا يزول طهوريته يجوز الوضوء به سوا كان الما قليلا او
كثيرا وان كان الواقع شيا نجسا نظر فيه فان كان الما اقل من قلتين
نجس الما وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به
والقلتان خمسماية رطل بالبغدادي يدل عليه ما روي عن ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الما يكون في الفلاة
يرده من السباع والدواب في الفلاة فقال اذا كان الما قلتين
لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود والترمذي وهذا قول الشافعي
واحمد واسحاق وجماعة من اهل الحديث ان الما اذا بلغ هذا الحد
لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير احد اوصافه ٭ وذهب
جماعة الى ان الما القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير
طعمه او لونه او ريحه وهذا قول الحسن وعطا والنخعي والزهري
واحتجوا بما روي عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله
انه يستقى لك من بير بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق
الحيض وعذر النسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الما
طهور لا ينجسه شي وفي رواية قال قلت يا رسول الله انتوضا من
بير بضاعة وهي بير يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الما طهور لا ينجسه شي وقوله تعالى
لنحيي به اي بالمطر **بلدة ميتا** قيل اراد به موضع البلدة **ونسقيه**
مما خلقنا اي نسقي من ذلك الما **انعاما واناسي كثيرا** اي بشرا كثيرا
والاناسي جمع اناس وقيل جمع انسان ٭ قوله عز وجل **ولقد صرفناه**
بينهم يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد اخرى وقال ابن عباس ما عام
بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرى هذه الاية وهكذا
كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسما تمطر فيها
يصرفه الله حيث يشا ٭ وروي عن ابن مسعود يرفعه قال ليس
من سنة بامطر من سنة اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها

في هذه السما الدنيا من هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم
ورزق معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا
عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد
من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف
راجع الى الريح **ليذكروا** اي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى **فابى**
اكثر الناس الا كفورا اي جحودا وكفرهم هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا
بنوء كذا **ق** عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما من الليل فلما
انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله
ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال
مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكواكب واما
من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكواكب قوله
تعالى **ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا** اي رسولا ينذرهم بعثناك
الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما
اعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة **فلا تطع الكافرين**
فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم **وجاهدهم به** اي
بالقران **جهادا كبيرا** اي شديدا قوله تعالى **وهو الذي مرج البحرين**
اي خلطهما وافاض احدهما على الاخر وقيل ارسلهما في مجاريهما **هذا**
عذب فرات اي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة **وهذا ملح اجاج**
اي شديد الملوحة وقيل مر **وجعل بينهما برزخا** اي حاجزا بقدرته
فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب **وحجرا محجورا** اي سترا
ممنوعا فلا يبغي احدهما على الاخر ولا يفسد الملح العذب قوله
تعالى **وهو الذي خلق من الما بشرا** اي من النطفة بشرا **فجعله**
نسبا وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه
والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها
وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو
النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا
وجمعها في قوله حرمت عليكم امهاتكم الاية وقد تقدم تفسير ذلك ٭
وبيانه في سورة النسا **وكان ربك قديرا** على ما اراد حيث خلق
من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى **ويعبدون من**
دون الله يعني هولا المشركين **ما لا ينفعهم** اي ان عبدوه **ولا يضرهم**
اي ان تركوه **وكان الكافر على ربه ظهيرا** اي معينا اعانة الشيطان
على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة الشيطان وقيل معنى

ظهيرا معيناه لبلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك
ولم تلتفت اليه وقيل اراد بالكافر ابا جهل والاصح انه عام في كل كافر
وقوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي بالثواب على الايمان
والطاعة ونذيرا منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية قل يا محمد
ما اسالكم عليه اي على تبليغ الوحي من اجر اي فتقولون انما يطلب
محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه الا من شاء ان يتخذ الي ربه
سبيلا معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى
هذا يكون المعنى لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن امنع من انفاق المال
الا في طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته قوله عز
وجل وتوكل على الحي الذي لا يموت معناه انه سبحانه وتعالى امر
نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره ان
يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل
على حي يموت انقطع توكل من توكل عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى
فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة وسبح
بحمده اي صلى له شكرا على نعمه وقيل معناه وقل سبحان الله والحمد لله
وكفى به بذنوب عباده خبيرا يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده
فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم
قادر على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على مخالفة
امري كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة به قوله عز وجل
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش الرحمن فاسال به خبيرا اي فاسال الخبير بذلك يعني
بما ذكر من خلق السموات والارض والاستوا على العرش وقيل معناه
ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسال
عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اي ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة
يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة انسجد لما تامرنا
انت يا محمد وزادهم اي قول القايل اسجدوا للرحمن نفورا اي عن الايمان
والسجود فصل وهذه السجدة من عزايم السجود فيسن للقارى
والسامع ان يسجد عند سماعها وقراتها قوله تعالى تبارك الذي
جعل في السما بروجا قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها
وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنى عشر
التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس

والجدي

والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية
لانها للكواكب كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا يعني الشمس وقمرا
منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس معناه
خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما
قضاه في الاخر قال شقيق جا رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني صلاة
الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا
لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف احدهما صاحبه
اذا ذهب هذا جا هذا انهما يتعاقبان في الضيا والظلمة والزيادة
والنقصان لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا يعني شكر
نعمة ربه عليه فيهما قوله عز وجل وعباد الرحمن قيل هذه الاضافة
للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله الذين يمشون على
الارض هونا يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين
ولا متكبرين بل علما حكما اصحاب وقار وعفة واذا خاطبهم الجاهلون
يعني السفها بما يكرهونه قالوا سلاما اي سدادا من القول يسلمون
فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام
المعروف وقيل هذا قبل ان يومروا بالقتال ثم نسختها اية القتال ويروى
عن الحسن انه كان اذا قرا هذه الاية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا
قرا والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال هذا وصف ليلهم والمعنى
يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم
قال ابن عباس من صلى بعد العشا الاخرة ركعتين او اكثر فقد بات
لله ساجدا وقايما م عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة كان كقيام نصف
الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة قوله تعالى والذين
يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي ملحا
دايما لازما غير مفارق من عذاب الكفار وقال محمد بن كعب القرظي
سال الله الكفار عن نعمته فلم يودوها فاغرمهم فبقوا في النار وقيل كل
غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدايم
انها يعني جهنم ساءت بيست مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قيل الاسراف النفقة في معصية
الله وان قلت والاقتار منع حق الله وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف
مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير
عما لا بد منه وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول

الناس فذا سرف وكان بين ذلك قواما اى موضع قصد اوسطا بين
الاسراف والاقتار حسنة بين السيئين وقيل هذه الاية فى صفة اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون
ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم
على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستروا به العورة ويقيهم من الحر
والبرد قال عمر بن الخطاب كفى شرفا لا يشتهى شيا الا اشتراه فاكله
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ق عن ابن عباس ان ناسا من
اهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما
عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس
التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل قل يا عبادى الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ق عن ابن مسعود قال قال رجل
يا رسول الله اى الذنب اكبر عند الله قال ان تدعوا لله ندا وهو
خلقك قال ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال
ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك فانزل الله تصديقه والذين
لا يدعون مع الله الها اخر الاية ولا يقتلون النفس التى حرم الله
الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ومعنى الاية ومن
يفعل شيا من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم
وقيل عقوبة وقيل الاثام واد فى جهنم • ويروى فى الحديث ان الغى
والاثام بيرين فى جهنم يسيل فيهما صديد اهل النار يضاعف له
العذاب يوم القيامة وقيل سبب تضعيف العذاب ان المشرك
اذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه
ومعصيته ويخلد فيه مهانا اى ذليلا قوله تعالى الا من تاب
عن ذنبه وامن بربه وعمل عملا صالحا اى فيما بينه وبين ربه وروى
عن ابن عباس قال قراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنين والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما
رايت النبى صلى الله عليه وسلم قط فرح بشى مثل ما فرح بها وفرحه
بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله
غفورا رحيما قال ابن عباس يبدلهم الله بقبايح اعمالهم فى الشرك
محاسن الاعمال فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين
قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا • وقيل يبدل الله سياتهم
حسنات التى عملوها فى الاسلام حسنات يوم القيمة م عن ابى ذر

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم اخر رجل يخرج من
النار رجل يوتى به يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه
وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم
كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه
ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب
قد عملت اشيا لا اراها هنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله يمحو بالندم جميع
السيات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب وعمل صالحا
قيل هذا فى التوبة من غير ما سبق ذكره فى الاية الاولى من القتل
والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعنى ادى الفرايض
ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله اى يعود اليه بعد الموت
متابا اى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالاية الاولى وهو
قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانى رجوع الى الله للجزا
والمكافاة وقيل هذه الاية ايضا فى التوبة عن جميع السيات ومعناه
من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر
بمعنى الامر اى تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى
الله تعالى قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور يعنى الشرك
وقيل هى شهادة الزور ق عن ابى بكرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انبيكم باكبر الكباير قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك
بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس فقال الا وقول الزور
وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت • وكان عمر بن
الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به
فى الاسواق • وقيل لا يشهدون الزور يعنى اعيادا المشركين وقيل
الكذب وقيل النوح وقيل يساعد اهل الباطل • وقيل الزور اللهو
واللعب والغنا • قال ابن مسعود والغنا ينبت النفاق فى القلب
كما ينبت الما الزرع واصل الزور حقيقة تحسين الشى ووصفه بخلاف
صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق واذا مروا باللغو مروا
كراما وهو كل ما يجتنب ان يلقى ويترك مروا كراما يعنى سمعوا
من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون
الاية منسوخة باية القتال وقيل اللغو المعاصى كلها والمعنى اذا
مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما اى مسرعين معرضين وهو
ان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السية والذين اذا
ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قيل معناه انه

ليس فيه نفي نفي الخرور انما هو اثبات له ونفي الصمم والعمى
اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها باذان واعية وقبلوا على الذكر
بها بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا اى لم يسقطوا اولم
يقعوا عليها صما وعميانا كانهم باذانهم صم ولاعينهم عمي بل يسمعون
ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه **قوله عز
وجل** وَالذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة
اعين اى ابرارا اتقيا مما لحين فيقروا اعيننا بذلك قيل ليس شى
اقر لعين المومن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل
فيطمع ان يجعلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل
ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين
عند الغم ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند
الحزن حار • وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه
فتقر عينه به عن النظر الى غيره واجعلنا للمتقين اماما اى ايمة
يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدى بالمتقين ويقتدي بنا
المتقون • وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هدى وقيل معناه انهم سالوا
الله ان يبلغهم في الطاعات المبلغ الذى يشار اليهم ويقتدى بهم
قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب
فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا
مقتدين موتمين بهم اوليك يجزون اى يثابون الغرفة الدرجة
العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدرجات الزبرجد
واللولو والياقوت بما صبروا اى على طاعة الله واوامره وعلى
اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية
اى ملكا وقيل بقاء دايما وسلاما اى يسلم بعضهم على بعض ويرسل
الرب اليهم بالسلام وقيل سلاما اى سلامة من الافات قوله تعالى
خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اى موضع قرار واقامة
قوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي اى ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم
وعدمكم سوا وقيل معناه اى وزن ومقدار لكم عنده لولا دعاوكم
اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا دعاوكم
اياكم الى الايمان واذا امنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبو
بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته
وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبو اى ما يبالى بمغفرتكم
ربي لولا دعاوكم معه الهة وقيل معناه ما خلقتكم ولى اليكم حاجة
الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفرون فاغفر لكم فقد كذبتم

ايها

ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعنى ان الله دعاكم الى توحيده
وعبادته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم الرسول
ولم تجيبوه الى الايمان فسوف يكون لزاما هذا تهديد لهم اى يكون
تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى
يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله
وقيل معناه عذابا دايما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم
بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول
عبد الله بن مسعود وابي بن كعب يعنى انهم قتلوا يوم بدر واتصل
بهم عذاب الاخرة لازما لهم ق عن عبد الله بن مسعود قال خمس
قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والله تعالى اعلم

• تفسير سورة الشعرا مكية •

الا اربع ايات من اخر السورة من قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون
وهي مايتان وسبع وعشرون اية • والف ومايتان وتسع وسبعون
كلمة وخمسة الاف وخمس ماية واربعون حرفا • وروي عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين من
الواح موسى عليه الصلاة والسلام • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل طسم قال ابن عباس طسم عجزت العلما عن علم
تفسيرها وفي رواية اخرى عنه انه قسم وهو من اسما الله تعالى
وقيل اسم من اسما القران وقيل اسم السورة وقيل اقسم بطوله وسنايه
وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات الكتاب المبين قيل
لما كان القران فيه دلايل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع فثبت بذلك ان ايات
القران كافية مبينة لجميع الاحكام لعلك باخع اى قاتل نفسك
الا يكونوا مومنين اى ان لم يومنوا وذلك حين كذبه اهل مكة
فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية
ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
اى لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون منها فلا يلوى احدهم عنقه
الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل لو شا الله لاراهم امرا من امره
لا يعمل احدهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجى خاضعين
خبرا عن الاعناق قلت لبيان موضع الخضوع الذى هو للعقلا وقيل
خاضعين وقيل اعناق الناس روساوهم ومقدموهم اى فظلت
كبراوهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جاء
عنق من الناس اى جماعة قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن

اي وعظ وتذكير **محدث** اي محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما
نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو احدث من الاول **الا كانوا عنه معرضين**
اي عن الايمان به **فقد كذبوا فسيأتيهم** اي فسوف يأتيهم **انباء** اي
اخبار وعواقب **ما كانوا به يستهزئون اولم يروا الى الارض** يعني
المشركين **كم انبتنا فيها** اي بعد ان لم يكن فيها نبات **من كل زوج
كريم** اي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس
والانعام قال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم
ومن دخل النار فهو لئيم **ان في ذلك** اي الذي ذكرته **لآية** تدل على
انه واحد اي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل •
• وفي كل شيء له آية • تدل على انه واحد •
وما كان اكثرهم مؤمنين اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يؤمنون
ولا يصدقون **وان ربك لهو العزيز** اي المنتقم من اعدائه **الرحيم**
ذو الرحمة لاوليائه قوله تعالى **واذ نادى** اي واذكر يا محمد اذ نادى
ربك موسى اي حين رأى الشجرة والنار **ان ائت القوم الظالمين** يعني
الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم
وسومهم سوء العذاب **قوم فرعون** يعني القبط **الا يتقون** اي يصرفون
عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به **قال** يعني موسى **رب
اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري** اي بتكذيبهم
اياي **ولا ينطلق لساني** اي للعقدة التي كانت على لسانه **فارسل
الى هارون** ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة **ولهم علي ذنب**
اي دعوى ذنب وهو قتل القبطي **فاخاف ان يقتلون** اي به **قال** الله
تعالى **كلا** اي لن يقتلوك **فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون** اي
سامعون ما تقولون وما يقال لكم **فان قلت** كيف ذكرهم
بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان **قلت** اجراهما مجرى الجماعة
وهو جائز في لغة العرب **فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب
العالمين فان قلت** هلا ثنى الرسول كما في قوله فأتياه
فقولا انا رسولا ربك العالمين **قلت** الرسول قد يكون
بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من
تثنية وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف
به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذو رسالة كما قال كثير •
• لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول •
اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما في الرسالة والشريعة والاخوة
صارا كأنهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين **ان**

ارسل

ارسل معنا بني اسرائيل اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين
ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في
ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثين الفا فانطلق موسى برسالة ربه
عز وجل الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع
الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكتل معلق في راس العصا
وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هارون بان الله عز وجل قد ارسلني
الى فرعون وارسل اليك حتى ندعوا فرعون الى الله عز وجل فخرجت
امهما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت
اليه قتلك فلم يمتنع بقولها وذهب الى باب فرعون وذلك بالليل
فدق الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال موسى انا رسول
رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم
انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا
جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال
لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن
له لعلنا نضحك عليه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف
فرعون موسى لانه نشأ في بيته فقال له **الم نربك فينا وليدا** اي صبيا
ولبثت فينا من عمرك سنين اي ثلاثين سنة **وفعلت فعلتك
التي فعلت** يعني قتلت القبطي **وانت من الكافرين** قال اكثر
المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا وكافيتنا
ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذه رواية عن ابن عباس وقيل
ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبيا
لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون
والهته **قال** يعني موسى **فعلتها اذا وانا من الضالين** اي من
الجاهلين بان ذلك يؤدي الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التاديب
لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من
المخطئين **ففررت منكم لما خفتكم** اي الى مدين **فوهب لي ربي حكما**
يعني النبوة وقيل العلم والفهم **وجعلني من المرسلين وتلك نعمة
تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل** اي اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى
نعمة من عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل ولم
يستعبده كما استعبد بني اسرائيل ليكون معنى الآية وتلك نعمة
تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل هو على
طريق الانكار ومعنى الآية اوتلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف
الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة • •

لم انس يوم الرحيل وقفتها • وطرفها من دموعها غرق •
وقولها والركاب واقفة • تركتني هكذا وتنطلق •

اي اتتركني والمعنى اتمن على ان ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرايل بالاستعباد والمعاملات القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه فقد ذل فتعبدبني اسرايل قد احبط حسناتك ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم ارفع اليك حتى تربيني وتكفلني ولكان لي من اهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم **قال فرعون وما رب العالمين** يقول اي شي رب العالمين الذي يزعم انك رسوله ان يستوصفه الهه الذي ارسله اليه وهو سوال عن جنس الشي والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله واثار قدرته التي يعجز الخلايق عن الاتيان بمثله **قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين** انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السوال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني اي كما توقنون هذه الاشيا التي تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها واوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون في جواب موسى **قال لمن حوله** اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية رجل عليهم الاسورة **الا تستمعون** وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انما طلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله واثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان **قال ربكم ورب ابايكم الاولين** يعني ان موسى ذكر ما هو اقرب اليهم فقال ربكم يعني انه خالقكم وخالق ابايكم الاولين **قال** يعني فرعون **ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون** يعني المقصود من السوال طلب الماهية وهو يجيب بالاثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب عنه ويتكلم بكلام لا يقبله ولا يعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون** فعدل الى طريق ثالث اوضح من الثاني ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرت **قال** فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق **لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين**

قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان يهوي فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه **قال** له موسى حين توعده بالسجن **اولو جيتك بشي مبين** اي باية بينة والمعنى اتفعل ذلك ان جيتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان **قال** يعني فرعون **فات به** اي انا لن اسجنك حينيذ **ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** قيل انها لما صارت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها موسى فعادت عصى كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم واراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله **ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين** يعني موسى فعند ذلك **قال** فرعون **للملا حوله ان هذا لساحر** يعني موسى **عليم** وكان زمان السحر فلهذا اروج فرعون هذا القول على قومه ثم قال **يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره** قال هذا القول على سبيل التنفير ليلا يقبلوا قول موسى **فماذا تامرون** يعني ما رايكم فيه وما الذي اعمله فعند ذلك **قالوا ارجه واخاه** اي اخره واخاه **وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم** قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في امره ولكن اخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة قوله تعالى **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم** يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز **وقيل للناس هل انتم مجتمعون** اي لتنظروا اما يفعل الفريقان ولمن تكون له الغلبة **لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين** لموسى وقيل اراد بالسحرة موسى وهارون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزا **فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين** طلبوا من فرعون ذلك الجزا وهو ما يبذل المال او الجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله **قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون** اي بعظمة فرعون **انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون** اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصى موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى فاذا هي كما كانت اول مرة **فالقي السحرة ساجدين** قيل انهم لما راوا ما جا وحد السحر علموا انه

ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهارون وانما قالوا رب موسى وهارون لان
فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله قال امنتم له قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد
مطلق وتهديد شديد قال ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لاضير انا
الى ربنا منقلبون اي لاضرر علينا فيما ينالنا من الدنيا لانا
ننقلب ونصير الى ربنا في الاخرة مومنين منقلبين مومّلين غفرانه
وهو قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر
ان اي لان كنا اول المومنين اي من اهل زماننا وقيل اول المومنين
اي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع ۝ قوله عز وجل واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه ليخلوا
بينكم وبين الخروج قيل اوحى الله الى موسى ان اجمع بني اسرايل كل اهل
اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا بدمائها على
ابوابكم فاني سامر الملايكة فتقتل ابكار ال فرعون من انفسهم واموالهم
ان لايدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم
ثم اسر بعبادي حتى تنتهي البحر فياتيك امري ففعل ذلك موسى ثم
ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا
منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون
ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا من انفسنا واخذوا
اموالنا فارسل فرعون في المداين حاشرين قيل الشرط يحشرون الجيش
قيل كانت المداين الف مدينة واثني عشر الف قرية وارسل فرعون في
اثر موسى وقومه بالف الف وخمسماية الف وخرج فرعون في الكرسي
العظيم في ماية الف ملك مسومين مع كل ملك الف فلذلك قال
ان هولا لشرذمة قليلون قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين
قللهم فرعون ستماية الف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين
سنة وقال ابن مسعود كانت ستماية الف وسبعين الفا ولا يحصى عدد
اصحاب فرعون وانهم لنا لغايظون الغيظ الغضب يعني انهم اغضبونا
بمخالفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها
وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون اي خايفون من
شرهم وقرئ حاذرون اي ذو قوة واداة سالون السلاح وقيل الحاذر
الذي يحذرك الان والحذر الذي لاتلقاه الا خايفا فاخرجناهم من
جنات وعيون قيل كانت البساتين ممتدة حافتي النيل فيها عيون

وانهار وكنوز يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها
كنوزا لانه لم يود حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يود حق الله منه فهو
كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمان ماية الف غلام كل غلام
على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى ومقام
كريم اي مجلس حسن قيل اراد مجالس الامرا والروسا التي كانت لهم
وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثماية كرسي من ذهب
يجلس عليها الاشراف من قومه والامرا وعليهم اقبية الديباج مخوصة
بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون
واموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك اي كما وصفنا واورثناها بني
اسرايل وذلك ان الله عز وجل اورث بني اسرايل الى مصر بعد هلاك
فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال
والاماكن الحسنة فاتبعوهم مشرقين اي لحق فرعون وقومه موسى
واصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها فلما ترا الجمعان اي تقابلا
بحيث يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي سيد
ركنا فرعون وقومه ولاطاقة لنا بهم قال يعني موسى لثقته بوعد الله
اياه كلا اي لن يدركونا ان معي ربي سيهدين اي يدلني على طريق
النجاة فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي ضربه
فانشق فكان كل فرق اي قطعة من الما كالطود اي كالجبل العظيم
وقيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح وصار البحر يرمي
بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من
ورايناخلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الما لايواري
حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال ههنا
فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقحم البحر فارتسب
في الما وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا
يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وازلفنا
ثم الاخرين اي قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك
وقيل ان جبريل كان بين بني اسرايل وبين قوم فرعون يقول لبني
اسرايل ليلحق اخركم اولكم ويقول للقبط رويدا ليلحق اخركم اولكم
فكان بنو اسرايل يقولون ما راينا احسن سياقة من هذا الرجل وكان
قوم فرعون يقولون ما راينا احسن دعة من هذا الرجل وانجينا
موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين يعني انه تعالى جعل البحر
يبسا حتى خرج موسى وقومه منه واغرق فرعون وقومه وذلك لما

فقدم

تكاملوا في البحر انطبق عليهم فاغرقهم ان في ذلك لاية يعني مسا
حدث في البحر من انفلاقه اية من الايات العظام الدالة على قدرته
ومعجزة لموسى عليه السلام وما كان اكثرهم مومنين يعني اهل
مصر قيل لم يومن منهم الا اسية امراة فرعون ومن قيل هو مومن من
ال فرعون ومريم ابنة ماموسا التي دلت على قبر يوسف حين اخرجه
موسى من البحر وان ربك لهو العزيز الرحيم **قوله عز وجل**
واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اى اى
شى تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة الاصنام
ليريهم ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شى قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين اى نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل
لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اي
يسمعون دعاكم اذ تدعون او ينفعونكم يعني بالرزق او يضرون
اى ان تركتم عبادتها واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة
فلما لزمتهم الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
المعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولقد اقتدينا
باباينا في ذلك وفي الاية دليل على ابطال التقليد في الدين له
وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباوكم الاقدمون اى الاولون فانهم عدو لي اى اعدا لى وانما
وحده على ارادة الجنس **فان قلت** كيف وصف الاصنام بالعدا
وهي جمادات لا تعقل **قلت** معناه فانهم عدو لى يوم القيمة
لو عبدتم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة
الاحيا العقلا اطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من
المقلوب اراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك الا رب
العالمين اى ولكن رب العالمين فانه ربي ووليي وقيل انهم كانوا
يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل من تعبدون له
اعدا الى الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة
فقال الذى خلقني فهو يهدين الى طريق النجاة والذى هو يطعمني
ويسقين اى يرزقني ويغذيني اى بالطعام والشراب واذا مرضت
اصابني مرض اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان
المرض والشفا من الله فهو يشفين اى يبريني ويعافيني من المرض
والذى يميتني ثم يحيين اى يميتني في الدنيا ثم يحييني في الاخرة
والذى اطمع اى ارجو ان يغفر لى خطيئتي يوم الدين اى يوم الجزا
والحساب وقيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها م

عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان
في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين الكان ذلك نافعاله قال لا
ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين وهذا كله
احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه
الافعال فقال رب هب لى حكما قال ابن عباس معرفة حدود الله
واحكامه وقيل العلم والفهم والحقني بالصالحين اى بمن سلف قبلي
من الانبيا في المنزلة والدرجة العالية واجعل لى لسان صدق في
الاخرين اى ثنا حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجي
بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل اهل الاديان يتولونه ويثنون
عليه واجعلني من ورثة جنة النعيم اى ممن تعطيه جنة النعيم
لانها السعادة الكبرى واغفر لابي انه كان من الضالين قيل دعا
لابيه على رجا ان يسلم فيغفر له فلما تبين انه عدو لله تبرا منه
ولا تخزني اى ولا تفضحني يوم يبعثون وهو يوم القيمة يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اى خالص من الشك
والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها احد قال سعيد بن المسيب القلب
السليم هو الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض
وقيل القلب السليم هو الخالى من البدعة المطمين الى السنة وازلفت
الجنة اى قربت للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين اى للكافرين
وقيل لهم يعني يوم القيمة اينما كنتم تعبدون من دون الله هل
ينصرونكم اى معناه يمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون لانفسهم
فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على
بعض وقيل القوا على روسهم فيها اى في جهنم هم والغاوون يعني
الالهة والعابدون وقيل الجن والكافرون وجنود ابليس اجمعون
يعني اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته قالوا
وهم فيها يختصمون يعني العابدين والمعبودين والمعنى انهم قالوا
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم اى نعدلكم برب العالمين
فنعبدكم وما اضلنا يعني دعانا الى الضلال الا المجرمون يعني
من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين
اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم الاول وهو قابيل وهو اول
من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين يعني من يشفع
لنا كما ان للمومنين شافعين من الملايكة والانبيا ولا صديق حميم
اى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملايكة والنبيون
والمومنون والصديقون وهو الصادق في المودة مع موافقة الدين

عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في
الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول
من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد
الثعلبي قال الحسن استكثروا من الاصدقاء المومنين فان لهم
شفاعة يوم القيمة فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون
من المومنين اي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين اي مع هذه الدلائل والايات وان ربك
لهو العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته
رحيم قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين اي كذبت جماعة
قوم نوح وقيل القوم مونثة وتصغيرها قويمة فان قلت
كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت
لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب
واحدا من الانبيا فقد كذب جميعهم اذ قال لهم اخوهم نوح يعني
اخوهم في النسب لا في الدين الا تتقون اي الا تخافون فتتركوا الكفر
والمعاصي اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان معروفا عندهم
بالامانة فاتقوا الله اي بطاعته وعبادته واطيعون اي فيما امرتكم
به من الايمان والتوحيد وما اسالكم عليه من اجر اي من جعل وجزا
ان اجري اي ثوابي الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قيل
كرره ليوكد عليهم ويقروه في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى
الاول الا تتقون الله في مخالفتي وانا رسول الله ومعنى الاية الثاني
الا تتقون الله في مخالفتي وانا لست اخذ منكم اجرا قالوا انومن
لك واتبعك الارذلون اي السفلة قال ابن عباس الغافة وقيل
هم الحاكة والاساكفة قال يعني نوحا وما علمي بما كانوا يعملون
اي وما اعلم اعمالهم وصنايعهم وليس علي من دناة مكاسبهم واحوالهم
شي انما كلفت ان ادعوهم الى الله تعالى وما لي الا ظواهر امرهم
وقال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم
اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ان حسابهم الا على
ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنايعهم وما
انا بطارد المومنين اي عني وقد امنوا ان انا الا نذير مبين معناه
اي اخوف من كذبني فمن امن فهو القريب مني ومن لم يومن فهو
البعيد مني قالوا لئن لم تنته يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين
اي من المقتولين بالحجارة وهو اسوا القتل وقيل من المشتومين قال

رب ان قومي كذبون فافتح اي احكم بيني وبينهم فتحا اي حكما ونجني ومن
معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي الموقر
المملوء من الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد
انجا نوح ومن معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم
اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين اي امين على الرسالة
فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع قال ابن عباس
اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين
وقيل المكان المرتفع اية اي علامة وهي العلم تعبثون اي بمن
مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة يشرفوا
على المارة والسابلة فيسخرون منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا
بروج الحمام فانكر عليهم هود اتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون
بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا مشيدة
وحصونا مانعة وقيل ماخذ الما يعني الحياض لعلكم تخلدون
اي كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون واذا بطشتم اي واذا اخذتم
وسطوتم بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار
الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا
الله واطيعون فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم
ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه
التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم اني اخاف عليكم قال ابن عباس اي
ان عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان جوابهم قالوا سوا علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم
بكلامه واستخفافهم بما اورده من المواعظ والوعظ كلام يلين
القلب بذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين قرئ بفتح
الخا اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخا واللام عادة
الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث
ولا حساب وقولهم وما نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية
نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد فكذبوه فاهلكناهم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قوله عز وجل كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما

اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما
هاهنا امنين اى من العذاب فى جنات وعيون وزروع ونخل
طلعها هضيم اى ثمرها الذى يطلع فيها هضيم قال ابن عباس
لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت
اذا مس وقيل الهضيم هو الداخل بعضه فى بعض من النضج
والنعومة وقيل هو المدرك وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين
وقرى فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس
الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن
عباس اى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة
الذين يفسدون فى الارض اى بالمعاصي ولا يصلحون اى لا
يطيعون الله فيما امرهم قالوا انما انت من المسحرين اى من المسحور
المخدوع وعن قال ابن عباس اى من المخلوقين المعللين بالطعام
والشراب ما انت الا بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا ولست
بملك فات باية يعنى على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين
يعنى انك رسول الينا قال هذه ناقة لها شرب اى حظ من
الما ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء اى بعقر فيأخذكم
عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين اى على عقرها لما
راوا العذاب فاخذهم العذاب ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم
لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين يعنى نكاح
الرجال من بنى ادم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعنى
تتركون العضو المباح من النسوان وتميلوا الى ادبار الرجال
بل انتم قوم عادون اى معتدون مجاوزون الحلال من الحرام
قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اى من قريتنا
قال انى لعملكم من القالين اى من التاركين المبغضين رب نجني
واهلى مما يعملون اى من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا اى امراته فى الغابرين اى بقية فى المهلكين
ثم دمرنا الاخرين اى اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعنى الكبريت
والنار فسا مطر المنذرين ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذب اصحاب

الايكة

الايكة المرسلين اى الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هى اسم البلد
اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين
وارسل اليهم الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين انما كان دعوة
هولا الانبيا فيما حكى عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى
الله وطاعته والاخلاص فى العبادة والامتناع من اخذ الاجر
على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اى الناقصين
لحقوق الناس فى الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس اى بالميزان
العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض
مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعنى الخليقة
والامم المتقدمة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر
مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا اى قطعا
من السما ان كنت من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون اى من
نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الى
وما على الا الدعوة والتبليغ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وذلك انهم اصابهم حر شديد
فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون فاصابتهم
سحابة واجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحرقوا جميعا ان فى
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
وقد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهود فاغنى
عن الاعادة هنا والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل
وانه يعنى القران لتنزيل رب العالمين يعنى ان فيه من اخبار الامم
الماضية ما يدل على انه من رب العالمين نزل به الروح الامين يعنى
جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من روح وسماه امينا
لانه موتمن على وحيه لانبيايه على قلبك يعنى على قلبك حتى
تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب فى
الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وساير الاعضا
مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا ان فى الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد
كله الا وهى القلب اخرجاه فى الصحيحين ومن المعقول ان
موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب
او حزن يتغير حال ساير الاعضا فكان القلب كالرئيس لها
ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح على القولين فاذا

قصبي

بيتهم

ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف
مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى لتكون من المنذرين اى
المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا
ما فيه وانه يعني القران وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
ونعته لفي زبر الاولين اى كتب الاولين اولم يكن لهم اية يعني
اولم يكن لهولاء المنكرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله
عليه وسلم ان يعلمه يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علماء بني
اسرايل قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة
يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا
نجد في التورية نعته وصفته فكان ذلك اية على صدقه صلى الله
عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة
واسد واسيد قوله تعالى ولو نزلناه يعني القران على بعض الاعجمين
جمع اعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في
النسب ومعنى الاية لو انزلنا القران على رجل ليس بعربي اللسان
فقراه عليهم يعني القران ما كانوا به مومنين اى قالوا لا نفقه
قولك وقيل معناه لما طلبوا منه انفة من اتباع من ليس من العرب
كذلك سلكناه قال ابن عباس يعني ادخلنا الشرك والتكذيب
في قلوب المجرمين لا يومنون به اي القران حتى يروا العذاب
الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون
اى لنومن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم افبعذابنا
يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب
قالوا متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله
افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين اى الكفار
مكة في الدنيا ولا نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني
العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اى في تلك السنين
الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم
العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيا ويكونوا كانهم لم يكونوا
في نعيم قط وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اى رسل ينذرونهم
ذكرى اى تذكرة وما كنا ظالمين اى في تعذيبهم حيث قدمنا
الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين يعني المشركين كانوا يقولون
ان الشياطين يلقون القران على محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله
عليهم ذلك وما ينبغي لهم اى ينزلوا بالقران وما يستطيعون
اى ذلك ثم ان الله تعالى ذكر سبب ذلك فقال انهم عن السمع ٥

لمعزولون اى محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون الى استراق
السمع فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك
قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو
اتخذت الها غيري لعذبتك قوله عز وجل وانذر عشيرتك
الاقربين روى محمد بن اسحاق بسنده عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين فضقت
بذلك ذرعا وعرفت اني متى اباديهم بهذا الامر اري
منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد انك لا تفعل
ما تومر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل عليه رجل
شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى ابلغهم
ما امرت به ففعلت ما امرني ثم دعوتهم له فكانوا يومئذ نحو
اربعون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس
وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجيت به
فلما تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها
باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله
فاكل القوم حتى ما لهم بشي من حاجة وايم الله ان كان الرجل
الواحد لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجيتهم
بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل
الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم
يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي فان هذا
الرجل قد سبقني الى ما سمعته من القول فتفرق القوم قبل
ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ثم دعاني
بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد
جيتكم بخيري الدنيا والاخرة وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم
اليه فايكم يوازرني على امري هذا ويكون اخي ووصيي وخليفتي
فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يا رسول
الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا اخي ووصيي
وخليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون
لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيعه ق عن ابن عباس لما

نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم
على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش
حتى اجتمعوا فجعل الذى لم يستطع ان يخرج رسولا لينظر ما هو
فجا ابو لهب وقريش فقال له ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى
تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى قالوا ما جربنا عليك كذبا
قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك
ساير اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدى ابى لهب وتب
ما اغنى عنه ماله وما كسب وفى رواية قد تب وفى رواية
للبخارى لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم
المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد
الصفا فهتف يا صاحباه فقالوا من هذا اوا جتمعوا اليه وذكر
نحوه **ق** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين انزل الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر
او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغنى عنكم من الله شيا يا بنى
عبد مناف لا اغنى عنكم من الله شيا يا عباس بن عبد المطلب لا
اغنى عنك من الله شيا ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا اغنى عنك من الله شيا ويا فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلينى ما شيت من مالى لا اغنى عنك من الله
شيا **م** عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت
وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يا بنى عبد مناف انى
نذير لكم انما مثلى ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يربا
اهله فخشى ان يسبقوه فجعل يهتف يا صاحباه ومعنى الاية ان
الانسان اذا بدا بنفسه اولا وبالاقرب من اهله ثانيا لم يكن
لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع **واخفض** اي
الن **جناحك لمن اتبعك من المومنين** فان قلت ما معنى
التبعيض فى قوله من المومنين قلت لمن اتبعك من المومنين
المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المومنين بالسنتهم وهم
المنافقون **فان عصوك** اى فيما تامرهم **فقل انى برى مما
تعملون** اى من الكفر والمخالفة **وتوكل على العزيز الرحيم** التوكل
عبارة عن تفويض الرجل الى من ملك امره ويقدر على نفعه وضره
وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر اعداك بعزته الرحيم الذى
ينصرك عليهم برحمته **الذى يراك حين تقوم** الى صلاتك وقيل

براك اينما كنت وقيل يراك حين تقوم بدعايك **وتقلبك فى الساجد**ين
قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك
وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا
صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك فى
المصلين قال كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من
قدامه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل
لاترون قبلتى ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم
انى اراكم من وراء ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيك
فى اصحابك المومنين وقيل تصرفك فى احوالك كما كانت الانبيا
من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك فى اصلاب الانبيا
من نبى الى نبى حتى اخرجك فى هذه الامة **انه هو السميع العليم**
لقولك ودعايك بنيتك فى عملك **هل انبيكم** اى اخبركم **على
من تنزل الشياطين** هذا جواب لقولهم تتنزل عليه شيطان
ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى **تنزل على كل افاك** ... اي كذاب م
اثيم اى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين تسترق السمع ثم
يلقون ذلك الى اوليايهم من الانس وهو قوله **يلقون السمع** اى
ما يسمعون من الملايكة فيلقونه الى الكهنة **واكثرهم كاذبون**
لانهم يخلطون به كذبا كثيرا قوله عز وجل **والشعرا يتبعهم
الغاوون** قال اهل التفسير اراد شعرا الكفار الذين كانوا يهجون
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى
وهبيرة بن وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو
ابن عبد الله الجمحى وامية بن ابى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب
والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع
اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون النبى صلى الله
عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم
الغاوون هم الرواة الذين يروون هجا المسلمين وقيل الغاوون
هم الشياطين وقيل هم السفها الضالون وفى رواية ان رجلين
احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفها فنزلت هذه
الاية **الم تر انهم فى كل واد** اى من اودية الكلام **يهيمون** يعنى
حايرين وعن طريق الحق حايرين يخوضون وقيل يمدحون والهايم
الذاهب على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس فى كل لغو يخوضون
وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشى

ثم يذمونه لانهم لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل يعنون الكلام
والغوص على المعاني والقوافي **وانهم يقولون ما لا يفعلون** اي انهم
يكذبون في شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود الكرم ويحثون عليه
وهم لا يفعلون ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس
بادني شي صدر منهم **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لئن يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان
يمتلي شعرا ثم استثنى شعر المسلمين الذين كانوا يجيبون شعر
الكفار ويهجون وينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب
ابن مالك فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** روي
ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل
في الشعر ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد
بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم نضح النبل عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي
بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خل عنه يا عمر فلهي فيهم اسرع من نضح النبل اخرجه الترمذي
والنسائي قال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وكعب بن مالك
بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة
قتل يوم موتة وكانت عمرة القضا بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول
لان عمرة القضا سنة سبع ويوم موتة كانت سنة ثمان والله اعلم
ق عن البرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة
لحسان اهج المشركين فان جبريل معك **خ** عن عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد
يقوم عليه قايما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يويد
حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم **م** عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة

فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فارسل كعب بن مالك ثم ارسل
الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم ان ترسلوا
الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال
والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها
وان لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال
والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت
عايشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان
روح القدس لا يزال يويدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى
واستشفى قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا • رسول الله شيمته الوفاء
فان ابي ووالدتي وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي ان لم تروها • تثير النقع موعدها كداء
يبارين الاعنة مصعدات • على اكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات • تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتموا عنا اعتمرنا • وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم • يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد ارسلت عبدا • يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا • هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد • سباب او قتال او هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا • وروح القدس ليس له كفاء

فصل في مدح الشعر **خ** عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة عن ابن عباس قال جا اعرابي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان
سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابو داود **م** عن عمرو بن الشريد عن
ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل
معك من شعر امية بن ابي الصلت شي قلت نعم قال هيه فانشدته
بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كان يسلم
في شعره عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم
اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون

اشيا من امر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم اخرجه الترمذى
وقال حديث حسن صحيح وقالت عايشة الشعر كلام فمنه حسن
ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح • وقال الشعبى كان ابو بكر
يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على اشعر الثلاثة وروي
عن ابن عساكر انه كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشده فروى
انه دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومى فاستنشده القصيدة التي
قالها اولها •

• امن آل نعمى انت غاد فمبكر • غداة غد ام رايح فمهجر •

فانشده القصيدة الى اخرها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان
ابن العباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة
وقوله تعالى **وذكروا الله كثيرا** اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله
تعالى **وانتصروا من بعد ما ظلموا** اى انتصروا من المشركين لانهم
بدوا بالهجا ثم اوعد شعرا المشركين فقال **وسيعلم الذين ظلموا** اي
اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر **اي
منقلب ينقلبون** اى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن
عباس الى جهنم والسعير والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة النمل وهى مكية •

وهى ثلاث وقيل اربع وتسعون اية والف وماية وتسعون كلمة
وكلمة واربعة الاف وسبعماية وتسعة وتسعون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **طس تلك
ايات القران** اى هذه ايات القران **وكتاب مبين** اى وايات كتاب مبين
هدي وبشرى للمومنين اى هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة
الذين يقيمون الصلاة اى الخمس بشرايطها **ويوتون الزكاة** اى اذا
وجبت عليهم طيبة بها انفسهم **وهم بالاخرة هم يوقنون** يعنى ان هولا
الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة **ان الذين لا يومنون
بالاخرة زينا لهم اعمالهم** اى القبيحة حتى راوها حسنة وقيل ان
التزيين هو ان يخلق الله فى القلب العلم بما فيه من المنافع واللذات
ولا يخلق العلم بما فيه من المضار والافات **فهم يعمهون** اي يترددون
فيها متحيرين **اوليك الذين لهم سوء العذاب** اى اشده وهو
القتل والاسر **وهم فى الاخرة هم الاخسرون** اى انهم خسروا انفسهم
واهليهم وصاروا الى النار **وانك لتلقى القران** اى توتاه وتلقنه
وحيا **من لدن حكيم** اى حكم **عليم** اي عليم فان قلت ما الفرق بين
الحكمة والعلم **قلت** الحكمة هى العلم بالامور العملية فقط والعلم

اهم منه لان العلم قد يكون عملا وقد يكون نظرا والعلوم النظرية اشرف
قوله عز وجل اذ قال اى اذكر يا محمد اذ قال **موسى لاهله** اى من
مسيره من مدين الى مصر **اني انست** اى ابصرت **نارا ساتيكم منها بخبر**
اى امكثوا مكانكم ساتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ترك الطريق
او اتيكم بشهاب قبس الشهاب شعلة النار والقبس النار المقتبسة
منها وقيل القبس هو العود الذى فى احد طرفيه نار **لعلكم
تصطلون** اى تستدفون من البرد وكان فى شدة الشتا **فلما جاها
نودى ان بورك من فى النار** اى بورك على من فى النار وقيل البركة
راجعة الى موسى والملايكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى
ومن حولها وهم الملايكة الذين حول النار هذا تحية من الله عز
وجل بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى
حسبه نارا ومن فى النار هم الملايكة وذلك ان النور الذى راه
موسى كان فيه ملايكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها
لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار وقال ابن عباس
معناه بورك والمعنى بورك من فى النار ومن حولها وهم الملايكة
وموسى وروى عن ابن عباس فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس
من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى
واسمعه من جهتها كما روي انه مكتوب فى التوراة جا الله من سينا
واشرق من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيه من سينا
بعثه موسى منه ومن ساعين بعثه المسيح منه ومن جبال فاران
بعثه محمدا صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار
بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه
النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من
خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه عن كل سوء وعيب
فقال تعالى **وسبحان الله رب العالمين** ثم تعرف الى موسى بصفاته
فقال تعالى **يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم** قيل معناه انه موسى
قال من المنادي قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره
على يده من المعجزات والمعنى انه القوي القادر على ما يبعد من
الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله **والق عصاك** تقديره
فالقاها فصارت حية **فلما راها تهتز** اى تتحرك **كانها جان**
وهى الحية الصغيرة الذى يكثر اضطرابها **ولى مدبرا** اى هرب
من الخوف **ولم يعقب** اى لم يرجع ولم يلتفت قال الله عز وجل
يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدي المرسلون يريد اذا امنتهم لا يخافون

اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله
عليه وسلم انا اخشاكم لله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني
غفور رحيم قيل هو ما يصدر من الانبيا من ترك الافضل والصغيرة
وقيل ان يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي
وهي من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى اني ظلمت
نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب قال اني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له قال ابن جريج قال الله لموسى اني اخفتك لقتلك
النفس ومعنى الاية لا يخيف الله الانبيا الا بذنب يصيبه احدهم
فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التاويل يكون صحيحا
وتناهى الخبر عن الرسول عند قوله الا من ظلم ثم ابتدا الخبر عن حال
من ظلم من الناس كافة وفي الاية متروك استغنى عن ذكره بدلالة
الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور
رحيم وقيل ليس هذا الاستثنا من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم
بل هو الاستثنا من المتروك معناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف
عليهم من الظالمين وهو من الاستثنا المنقطع معناه ولكن من
ظلم من الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء
فاني غفور رحيم اي اغفر له وازيل خوفه وقيل الا هاهنا بمعنى ولا معناه
ولا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء
يعني تاب من ظلمه فاني غفور رحيم ثم انه تعالى اراه اية اخرى
فقال عز وجل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا قيل كان عليه
مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها
فاذا هي تبرق مثل شعاع الشمس او البرق من غير سوء اي غير برص
في تسع ايات اي هذه اية مع تسع ايات انت مرسل بهن فعلى هذا
تكون الايات احدى عشر العصا واليد والفلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان
في مزارعهم وقيل بمعنى من اي من تسع ايات فتكون اليد والعصا
من التسع الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين
عن الطاعة فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اي بينة واضحة يبصر
بها قالوا هذا اي الذي نراه سحر مبين اي ظاهر وجحدوا بها اي
انكروا الايات ولم يقروا انها من عند الله واستيقنتها انفسهم
اي علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوه بالسنتهم واستيقنوها
بقلوبهم وضمايرهم ظلما وعلوا اي شركا وتكبرا عن ان يومنوا بما جاء به
موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني الغرق قوله عز

وجل

وجل ولقد اتينا داود وسليمان علما اي علم القضا والسياسة
وعلم داود تسبيح الجبال والطير وعلم سليمان منطق الطير والدواب
وقالا الحمد لله الذي فضلنا اي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير
الجن والانس على كثير من عباده المومنين اراد بالكثير الذي
فضلا عليهم من لم يوت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل
عليهما كثير وفيه انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على
حسن التواضع قوله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته
وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطى
لسليمان ما اعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال
مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد
تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى وقال يعني
سليمان يا ايها الناس علمنا منطق الطير سمى صوت الطير منطقا
لحصول الفهم منه وروي عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند
سليمان فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا
للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول
قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال
اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح
هدهد فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا
يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال
انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال
اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد
بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه
يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال اتدرون ما تقول
قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح
قمري قال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انها تقول سبحان
ربي الدايم قال والغراب يدعو على العشار والحداة تقول كل
شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغا
تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي
القدوس والبازي تقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة
تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج
عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول
الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل
فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول

هذا البلبل قالوا الله ونبيه اعلم قال انه يقول اكلت نصف تمرة
فعلى الدنيا العفا وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس
انا سايلوك عن سبعة اشيا فان اخبرتنا امنا وصدقنا قال سلوا
تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها والديك
في صعيقه والضفدع في نقيقه • والحمار في نهيقه • والفرس في
صهيله • وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم • اما القنبر
فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وال محمد • والديك يقول
اذكروا الله يا غافلين • واما الضفدع فانه يقول سبحان الله
المعبود في البحار • واما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار
واما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملايكة
والروح • واما الزرزور فانه يقول اللهم اني اسالك قوت يوم
بيوم يا رازق • واما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى
فاسلم هولا اليهود وحسن اسلامهم • وروى عن جعفر الصادق عن
ابيه عن جده الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال اذا
صاح النسر قال ابن ادم عش ما شيت اخره الموت • واذا صاح العقاب
قال البعد عن الناس انس • واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغض
محمد وال محمد • واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد
العالمين كما يمد القاري • وقوله تعالى واوتينا من كل شي اي مما اوتي
الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقيل النبوة
والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين ان هذا لهو الفضل
المبين اي الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا وروي ان سليمان
اعطي مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة فملك
جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع
واعطي من هذا منطق الطير ومنطق كل شي وفي زمنه صنعت الصنايع
العجيبة وحشر اي جمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
اي الاماكن المختلفة في مسيرله فهم يوزعون اي يحبسون حتى يرد
اولهم على اخرهم وقيل كان على جنوده وزعة وهم النقبا ترد اولها
الى اخرها لا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر
سليمان ماية فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون
منها للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ
اثنى عشر الف خطوة فالبريد ثمانية واربعون الف خطوة وهو اربع
فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا
من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد

وحوله كراسي من ذهب وفضة والعلما على كراسي الفضة ومن حولهم
الناس فيقعد الانبيا على كراسي الذهب والوحوش حولهم وتظله
الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وكان له الف بيت من قوارير
على الخشب فيها ثلثماية منكوحة وسبعماية سرية فيامر
الريح العاصف فترفعه ثم يامر الرخا فتسير به واوحى الله اليه وهو
يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من
الخلايق بشي الا جات الريح واخبرتك به قوله عز وجل حتى اذا اتوا
على وادي النمل اي اشرفوا على وادي النمل روى عن كعب الاحبار
قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ
ومخابز فيها مسامير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة
من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السما والارض
واتخذ ميادين الدواب فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من
اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال سليمان هذه هجرة نبي يكون في اخر الزمان طوبى لمن امن به
وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة راى حول البيت اصناما تعبد
فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فاوحى الله اليه ما يبكيك
قال يارب ابكاني هذا نبي من انبيايك ومعه قوم من اوليايك
مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من
دونك فاوحى الله اليه لا تبكي فاني سوف املاك وجوها سجدا
وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك نبيا في اخر الزمان احب
انبيايي الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وافرض عليهم
فريضة يزفون اليك زفيف النسر الى وكرها ويحنون اليك حنين
الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان والاصنام
والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير وارض الطايف
فاتى على وادي النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو
واد يسكنه الجن وذلك النمل مواكبهم وقيل ان ذلك النمل امثال الذباب
وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير قالت نملة قيل كانت
عرجا وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمي يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم ولم تقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالادميين
فخوطبوا خطاب الادميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله فيها
عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون قال اهل التفسير علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه
جبروتية ولا ظلم ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا وطوكم ولم يشعروا بكم

فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال وكان لا يتكلم احد الا حملته
الريح حتى تلقيه في مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس
جنوده حتى دخل النمل بيوتهم **فان قلت** كيف يتصور الحطم
من سليمان وجنوده وهم فوق البساط على بطن الريح قلت
كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت النملة
لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادامت الريح تحملهم في الهوا لا
يخاف حطمهم **فتبسم ضاحكا من قولها** قيل اكثر ضحك الانبيا التبسم
ومعنى ضاحكا متبسما قيل كان اوله التبسم واخره الضحك **ق** عن
عايشة قالت ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط
ضاحكا حتى ارى لهواته انما كان يتبسم عن عبد الله بن الحرث بن جزء
قال ما رايت احدا من الناس اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخرجه الترمذي • **فان قلت** ما كان سبب ضحك سليمان
قلت شيان احدهما كما دل قولها عليه ظهور رحمته ورحمة جنوده
وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم
يفعلوا الثاني سروره بما اتاه الله مما لم يوت احدا من ادراك
سمعه ما قالت النملة وقيل ان الانسان اذا راى او سمع ما لا عهد
له تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم عليه **وقال
رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل
صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين** اي ادخلني
في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس
يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين
وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين • قوله عز وجل **وتفقد
الطير** اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب ما تقدم من الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد وكان سبب تفقده الهدهد وسواله
عنها عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان اذا انزل منزلا تظله وجنده
الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فراه خاليا
وروي عن ابن عباس انه كان دليله على الما وكان يعرف موضع الما
ويرى الما تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه من
بعده فينقر الارض فتجي الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الما
منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق
يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثوا عليه التراب
فيجي الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه قال له ابن عباس
ويحك اذا جا القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضا

والقدر

ذا القدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الما
فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الما فقال ما لي
لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه ادركه الشك
فقال **ام كان من الغايبين** اي اكان وقيل بل كان من الغايبين
ثم اوعده على غيبته فقال **لاعذبنه عذابا شديدا** قيل هو ان
ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا
من غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن
بينه وبين الفه **او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين** اي بحجة بينة
على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلما ان سليمان
لما فرغ من بنا بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز
للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم
الريح فلما وافى الحرم اقام ما شا الله ان يقيم وكان ينحر في كل يوم بطول
مقامه خمسة الاف ناقة ويذبح خمسة الاف ثور وعشرين الف شاة
وقال لمن يحضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي
صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته
مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه في الله لومة
لايم قالوا فباي دين يدين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى
لمن ادركه وامن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار
الف سنة فليبلغ الشاهد الغايب فانه سيد الانبيا وخاتم الرسل
قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو
اليمن فوافى صنعا زوالا اي وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى
ارضا حسنا تزهر خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما
نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السما لينظر
الى طول الدنيا وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا راى بستانا
لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد اخر وكان اسم هدهد سليمان
يعفور وهدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من اين اقبلت
واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال
ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير
والوحش والرياح فمن اين انت يا يعفير قال انا من هذه البلاد
قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان صاحبك ملكا
عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها
اربعماية ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة الاف مقاتل ولها
ثلثماية وزير يدبرون ملكها ولها اثني عشر الف قايد مع كل قايد اثني

عشر الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال
اخاف ان يفتقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الما قال
الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة قال
فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه
نزل على غير ما فسال عن الما الانس والجن فلم يعلموا فتفقد
الهدهد فلم يره فدعى بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد
فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب
سليمان وقال لاعذبنه الاية ثم دعى العقاب وهو اشد الطير فقال
له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهوى حتى راى
الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم ثم التفت يمينا وشمالا
فراى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم
الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك
واقدرك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب
وقال ويحك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او
ان يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر
تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك اين غبت في يومك هذا فلقد
توعدك نبي الله واخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد اوما
استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال او لياتيني بسلطان مبين
قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا الى سليمان وكان قاعدا
على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد
رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان
فلما دنى منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا
شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع
سليمان ذلك ارتعد وعفى عنه ثم قال ما الذي ابطاك عني
فقال له الهدهد ما اخبر الله عنه بقوله تعالى **فمكث غير بعيد**
معناه اي غير طويل **فقال احطت بما لم تحط به** اي علمت ما لم تعلم
وبلغت ما لم تبلغ انت ولا جنودك الهم الله الهدهد هذا الكلام
فكافح سليمان تنبيها على ان ادنى خلق الله قد احاط علما بما لم يحط به
ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشي علما ان يعلمه
من جميع جهاته حتى لا يبقى عليه معلوم **وجئتك من سبا** قيل
هو اسم البلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان وقد جا في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن سباء فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة ه

وتشام

وتشام اربعة **بنبا** اي بخبر **يقين** فقال سليمان وما ذاك فقال
اني اي الهدهد **وجدت امراة تملكهم** هي بلقيس بنت شراحيل
من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له
اربعون ولدا وهو اخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك
الاطراف كلها ليس احد منهم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم فخطب الى الجن
فزوجوه منهم امراة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله
الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن
وهم على صورة الظبا فيخلي عنهم فظهر له تلك الجن وشكره على
ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج
يتصيد فراى حيتين يقتتلان بيضا وسودا وقد ظهرت السودا
على البيضا فقتل السودا وحمل البيضا وصب عليها الما فافاقت
واطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب
جميل فخاف منه قال لا تخف انا الحية البيضا التي احييتني والاسود
الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه
المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها
فزوجته ابنته فولدت له بلقيس وجا في الحديث ان احدى ابوي
بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك وطلبت
قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وابى اخرون وملكوا عليهم رجلا
اخر يقال انه ابن اخ الملك وكان خبيثا سيئ السيرة في اهل مملكته
حتى كان يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم
يقدروا عليه فلما رات بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت
اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابتديك
بالخطبة الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفو كريم فاجمع
رجال اهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال
بلى انها قد رغبت فيّ فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه
فلما زفت اليه خرجت في اثاث كثير من خدمها وحشمها فلما
دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت راسه وانصرفت
الى منزلها من الليل فلما اصبحت ارسلت الى وزرايه واحضرتهم
وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يانف لكريمته او كرايم عشيرته
ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا
نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة
منها **خ** عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم

امراة قوله تعالى واوتيت من كل شي يعني مما تحتاج اليه الملوك
من المال والعدة ولها عرش عظيم اى سرير ضخم عال فان قلت
كيف استعظم الهدهد عرشها على ما راى من عظمة ملك سليمان
قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم
يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب
مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوايمه من
الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق
قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا
وطوله في السما ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين
وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه
ثلاثون ذراعا • قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انهم كانوا يعبدون
الشمس وهم مجوس وزين لهم الشيطان اعمالهم المزين هو الله
لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء فصدهم
عن السبيل اى عن طريق الحق الذى هو دين الاسلام فهم لا يهتدون
اي الى الصواب الا يسجدوا قرى بالتخفيف ومعناه الا يا ايها الناس
اسجدوا وهو امر من الله مستانف وقرى بالتشديد ومعناه وزين
لهم الشيطان اعمالهم لان لا يسجدوا والله الذى يخرج الخب يعني
الخفي المخبى في السموات والارض قيل خبا السموات المطر وخبا الارض
النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون والمقصود من هذا الكلام
الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة
الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اى هو المستحق للعبادة والسجود
لا غيره **فصل** وهذه السجدة من عزايم السجود ويستحب
للقارى والمستمع ان يسجد عند قراتها • فان قلت قد وصف
عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظيم فما الفرق بينهما قلت
وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك
الدنيا واما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من
السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من
كلامه قال سليمان سننظر اصدقت اى فيما اخبرت ام كنت
من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الما فاحتفروا الركايا
وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان
ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام

على

على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على واتونى مسلمين قيل لم
يزد على ما حكى الله في كتابه وكذا الانبيا كانوا يكتبون جملا لا يطيلون
ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه
وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم انما قال اليهم بلفظ الجمع
لانه جعله جواب لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فقال فالقه الى الذين هذا دينهم ثم تول عنهم اى تنح عنهم فكن
قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون اى يريدون من الجواب وقيل
تقديره الاية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اى
انصرف فاخذ الهدهد الكتاب ثم اتى به الى بلقيس وكانت بارض مارب
من اليمن على ثلاث مراحل من صنعا فوجدها نايمة مستلقية على
قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها
وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فالقى الكتاب على نحرها وقيل
حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المراة وهو لها
القادة والوزرا والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون
فرفعت بلقيس راسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب
ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع
فاذا طلعت ونظرت اليها سجدت لها فجا الهدهد فسد الكوة
بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت
تنظر فرمي بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت
قارية فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان
كان في خاتمه وعرفت ان الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها
فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد وجات هي حتى جلست
على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم الاشراف قال ابن
عباس كان مع بلقيس ماية قيل مع كل قيل ماية الف والقيل
الملك دون الملك الاعظم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثماية
وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف فلما جاوا واخذوا
مجالسهم قالت لهم بلقيس يا ايها الملا انى القى الى كتاب كريم
قيل سمته كريما لانه كان مختوما روي عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه قال ابن عباس كريم
اى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه من
سليمان وبينت المكتوب فيه فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فان قلت لم تقدم اسم سليمان على اسم الله قلت ليس هو كذلك .... بل ابتدا سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم
وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب

فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على قال ابن عباس
لا تتكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة من العلو والتكبر واتوني
مسلمين اى طايعين مومنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد
قالت يا ايها الملا افتوني في امري اى اشيروا على فيما عرض لي ما
كنت قاطعة اى قاضية فاصلة امرا حتى تشهدون اى تحضرون
قالوا يعنى الملا مجيبين لها نحن اولوا قوة اى في الجسم على القتال
واولوا باس شديد اى عند الحرب وقيل ارادوا بالقوة كثرة العدد
والباس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال ان امرتهم بذلك
ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة اى في القتال وتركه فانظرى
ماذا تامرين اى تجدين مطيعين لامرك قالت يعنى بلقيس
ان الملوك اذا دخلوا قرية اى عنوة افسدوها اى اخربوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة اى اهانوا اشرافها وكبراها كى تستقيم
لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم
تناهى الخبر عنها وصدق الله قولها فقال تعالى وكذلك يفعلون
اى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها وهو كالتاكيد لما قالت
ثم قالت واني مرسلة اليهم اى الى سليمان وقومه بهدية اى
اصانعه بها عن ملكي واختبره بها املك هو ام نبي فان كان
ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه
منا الا ان نتبعه على دينه وهو قولها فناظرة بم يرجع المرسلون
وذلك ان بلقيس كانت امراة لبيبة عاقلة قد ساست الملوك
وجربتها فاهدت وصفا ووصايف قال ابن عباس مائة وصيف
ومائة وصيفة وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسماية
غلام وخمسماية جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية
والمناطق والبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في ايديهم
اساور الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي اذانهم اقرطة
وشنوفا مرصعة بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسماية
رمكة والغلمان على خمسماية برذون على كل فرس سرج من
الذهب مرصع بالجوهر واغشية الديباج وبعثت اليه لبنات
من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
وارسلت بالمسك والعنبر والعود والابخرة وعمدت الى حقة
فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب
ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت
اليه رجالا من قومها اصحاب عقل وراى وكتبت مع المنذر

جعلت

كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصف والوصايف
واخبرنا بما في الحق قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا
وادخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس
الغلمان قالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنث
يشبه كلام النسا وامرت الجوارى ان يكلموه بكلام فيه غلظة
يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت
فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك
منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه
نبي فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل
الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا
لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار
تسع فراسخ وان يفرشوا فيه لبن الذهب والفضة وان يخلوا
قدر تلك اللبنات التي معهم وان يعملوا حول الميدان حايطا
مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اي دواب البر والبحر
احسن فقالوا يا نبي الله ما راينا احسن من دواب في البحر قال
لها كذا وكذا مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي قال
علي بها الساعة فاتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله
وقال للجن علي باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم على يمين
الميدان وعلى شماله وامر الانس والجن والشياطين والوحوش
والسباع والطير ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع
اربعة الاف كرسى على يمينه وعلى شماله وامر جميع الانس والجن
والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن
يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك
سليمان وراوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب
والفضة تقاصرت اليهم انفسهم وخبوا ما كان معهم من الهدايا
وقيل ان سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك
على طريقهم موضعا قدر ما معهم من اللبنات فلما راى الرسل
موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم
من اللبن في ذلك الموضع ولما نظروا الى الشياطين هالهم ما
راوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم وكانوا
يمرون على كراديس الجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى
سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملقا حسنا وسالهم
عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاوا فيه فاعطاه كتاب الملكة

فننظر فيه وقال ابن الحق فاتى بها فحركها فجا جبريل فاخبره بما فيها فقال
لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب قال الرسول
صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي
بثقبها وسال الجن والانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال
الشياطين فقالوا نرسل الى الارضة فلما جات الارضة اخذت شعرة
في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان
ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قالت لمن
هذه الخرزة فقالت دودة بيضا انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة
الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر قال لها
سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك
ثم ميز بين الغلمان والجواري ثم امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم
فجعلت الجارية تاخذ الما بيدها وتضرب بها الاخرى وتغسل
وجهها والغلام ياخذ الما بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية
تصب الما على باطن ساعديها والغلام على ظاهره فميز بذلك بين
الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله تعالى فقال
عز وجل **فلما جا سليمان قال اتمدونني بمال فما اتاني الله خير**
اي فما اعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك خير اي افضل
مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون معناه انكم اهل مفاخرة
ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهدا بعضكم الى بعض واما انا فلا
افرح بالدنيا وليس الدنيا من حاجتي لان الله قد اعطاني منها
ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ثم قال
للمنذر بن عمرو امير الوفد **ارجع اليهم** اي بالهدية **فلناتينهم بجنود
لا قبل** اي لا طاقة **لهم بها ولنخرجنهم منها** اي من ارض سبا **اذلة
وهم صاغرون** اي وان لم ياتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل
الكتاب لما رجع رسل بلقيس اليها من عند سليمان وبلغوها ما
قال قالت والله قد عرفت ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة فبعثت
الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما
الذي تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته في اخر
سبعة ابواب بعضها داخل بعض ثم اغلقت عليه سبعة ابواب
ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها
احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد ثم امرت مناديا
ينادي في اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني
عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة وقال

ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدى بشي حتى يكون هو يسال
عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه قال ما هذا
قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على فرسخ من سليمان
فاقبل سليمان على جنوده **قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل
ان ياتوني مسلمين** قال ابن عباس يعني طايعين وقيل مومنين
وقيل غرض سليمان في احضار عرشها ليريها قدرة الله من اظهار معجزة
دالة على نبوته وقيل اراد ان ينكره ويغيره قبل مجيها ليختبر بذلك
عقلها وقيل ان سليمان علم انها اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان
ياخذ سريرها قبل ان يعلم قدر ملكها لان قدر السرير على قدر المملكة
قال عفريت من الجن وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت
الداهية وقال وهب اسمه كوذي وقيل ذكوان وقيل
هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه **ان اتيك به
قبل ان تقوم من مقامك** اي مجلس قضايك قال ابن عباس وكان له
غداة مجلس يقضي فيه الى متسع النهار وقيل نصفه **واني عليه** اي على حمله
لقوي امين اي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد
اسرع من ذلك **قال الذي عنده علم من الكتاب** قيل هو جبريل وقيل
هو ملك ايد الله به سليمان وقيل هو اصف بن برخيا وكان صديقا
يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى وقيل هو
سليمان نفسه لانه اعلم بني اسرايل بالكتاب وكان الله قد اتاه علما وفهما
فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فاراد سليمان اظهار
معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه ياتي له من سرعة الاتيان بالعرش
ما لا يتاتى للعفريت قيل كان الدعا الذي دعا به يا ذا الجلال
والاكرام ٭ وقيل يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عايشة ٭ وروى عن
الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شي
الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها ٭ قال ابن عباس ان اصف
قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك قال فمد سليمان
عينيه ونظر نحو اليمن ودعا اصف فبعث الله الملايكة فحملوا السرير
يجرون به تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال له ما قال قال
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال انت
النبي ابن النبي وليس احد عند الله اوجه منك فان دعوت الله كان
عندك قال صدقت ففعل ذلك فجي بالعرش في الوقت **فلما راه**
يعني راي سليمان العرش **مستقرا عنده** اي محمولا اليه من مارب الى
الشام في قدر ارتداد الطرف **قال هذا من فضل ربي ليبلوني** يعني

التمكن من حصول المراد الشكر اى نعمته على ام اكفر فلا اشركها ومن
شكر فانما يشكر لنفسه اى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب
به تمام النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي
غني اى عن شكره لا يضره ذلك الكفران كريم اى بالافضال عليه لا
ينقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة قال نكروا
لها عرشها يعني غيروا سريرها الى حال تنكره اذا راته قيل هو ان يزاد
فيه او ينقص منه وقيل ان يجعل اسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر
الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر ننظر اتهتدي الى معرفة عرشها
ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك
ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها
سليمان فتفشي اليه اسرار الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت ولدا
لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساوا الثنا عليها
ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيا وان رجلها كحافر الحمار وانها
شعرا الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر
الى قدميها ببنا الصرح فلما جاءت قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه
هو قيل انها عرفت ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت
حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب ايضا
فقالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل
اشتبه عليها امر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة ابواب
مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق
الابواب ثم قال واوتينا العلم من قبلها اى من قبل الاية في الدين
وكنا مسلمين اى منقادين مطيعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله
تعالى واوتينا العلم من قبلها اى من قبل سليمان ومعناه اوتينا
العلم بالله وبقدرته على ما يشا من قبل هذه المراة وكنا مسلمين
ويكون الغرض من هذا اشكر نعمة الله عليه ان خصه بمزيد العلم ه
و للتقدم في الاسلام وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيئها
طايعة من قبل مجيئنا طايعين وكنا مسلمين لله قوله تعالى وصدها
ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد
وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون
الله وحال بينها وبينه انها كانت من قوم كافرين اخبر الله انها
كانت من قوم يعبدون الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس
قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش
واراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسالها كشفها لما اخبرته

الجنى

الجن ان رجليها كحافر حمار وهي شعرا الساقين فامر الشياطين فعملوا لها
قصرا من الزجاج الابيض كالما وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته
الما والقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع
سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به
فهمها كما فعلت في الوصفا والوصايف فلما جلس على السرير دعى
بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة اى ما
عظيما وكشفت عن ساقيها لتخوض الما الى سليمان فاذا هي احسن الناس
ساقا وقدما الا انها كانت شعرا الساقين فلما نظر سليمان ذلك
صرف بصره عنها قال انه صرح ممرد اى مملس من قوارير زجاج وليس
بما فحينيذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان
من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة قالت رب
اني ظلمت نفسي اى بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين
اى اخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته
لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل اهون
من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك
الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى
قولها اسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر
في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما
راى من كثرة شعر ساقيها فسال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى
فقالت المراة اني لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها
تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري فسال الشياطين فقالوا
نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضا فاتخذوا النورة والحمام
فكانت النورة والحمامات من يوميذ فلما تزوجها سليمان احبها
حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن
ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون
وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة
ايام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا
ذكرا قال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا
من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد
كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا
ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله قال فان كان ولا بد فزوجني
ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها
ذا تبع على اليمن ودعى زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ٥

ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال
الحول وعلم الجن موت سليمان فانقل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن
وقال باعلا صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا
ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وتنقضي ملك سليمان وملك ذى تبع
وملك بلقيس وبقي الملك لله الواحد القهار وقيل ان سليمان ملك
وهو ابن ثلاثة عشر سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله
عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي
وحده ولا تشركوا به شيا فاذا هم فريقان اى مؤمن وكافر يختصمون
اى فى الدين كل فريق يقول الحق معنا قال يعنى صالحا للفريق
المكذب يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اى بالبلاء والعقوبة قبل الحسنة
اى العافية والرحمة لولا اى هلا تستغفرون الله اى بالتوبة
اليه من الكفر لعلكم ترحمون اى لا تعذبوا فى الدنيا قالوا اطيرنا اي
تشائمنا بك وبمن معك قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل
لامساك المطر عنهم قالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شومك
وشوم اصحابك قال طائركم عند الله اى ما يصيبكم من الخير والشر
بامر الله مكتوب عليكم سمي طايرا لانه لا شي اسرع من نزول القضا
المحتوم وقال ابن عباس الشوم الذى اتاكم من عند الله بكفركم
وقيل طايركم اى عملكم عند الله سمي طايرا لسرعة صعوده الى السما
بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل
معناه تعذبون قوله تعالى وكان فى المدينة يعنى مدينة ثمود
وهى الحجر تسعة رهط يعنى من ابنا اشرافهم يفسدون فى الارض
اى بالمعاصي ولا يصلحون اى لا يطيعون وهم غواة قوم صالح
الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف قالوا تقاسموا
بالله يعنى يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم لنبيتنه
اى لنقتلنه ليلا واهله يعنى قومه الذين امنوا معه ثم لنقولن
لوليه اى لولى دمه ما شهدنا اى ما حضرنا مهلك اهله اى ما
ندري من قتله ولا هلاك اهله وانا لصادقون اى فى قولنا ما
شهدنا ذلك ومكروا مكرا اى غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح
وناقته ومكرنا مكرا اي جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب وهم
لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اى اهلكناهم
يعنى التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملايكة تلك الليلة
الى دار صالح يحرسونه فاتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم
وسيوفهم فرمتهم الملايكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملايكة

فقتلتهم

فقتلتهم واهلك الله جميع القوم بالصيحة وقومهم اجمعين فتلك
بيوتهم خاوية بما ظلموا اى بظلمهم وكفرهم ان فى ذلك لاية اي
لعبرة لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
يقال ان الناجين كانوا اربعة الاف قوله عز وجل ولوطا اذ قال
لقومه اتاتون الفاحشة اى الفعلة القبيحة وانتم تبصرون
اى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم
بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم اينكم لتاتون الرجال شهوة
من دون النسا بل انتم قوم تجهلون فان قلت اذا فسر تبصرون
بالعلم وقد قال بعده بل انتم قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت
قلت معناه تفعلون فعل الجاهلية وتعلمون انها فاحشة وقيل
تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم
اناس يتطهرون يعنى من ادبار الرجال فانجيناه واهله الا
امراته قدرناها من الغابرين اى قضينا عليها بان جعلناها
من الباقين فى العذاب وامطرنا عليهم مطرا اى الحجارة فساء
اى فبئس مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امران يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه
وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبيا والمرسلين وقال ابن
عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المومنين من السابقين
واللاحقين الله خير اما يشركون فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة
عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى الله خير لمن عبده ام الاصنام لمن
عبدها فان الله ينجي من عبده وامن به من الاهلاك والاصنام لم
تغن شيا عن عابدها عند نزول العذاب ثم ان الله تعالى ذكر انواعا
تدل على وحدانيته وكمال قدرته فالنوع الاول قوله تعالى ام من
خلق السموات والارض ذكر اعظم الاشيا المشاهدة الدالة على
عظيم قدرته والمعنى الهتكم خير ام الذي خلق السموات والارض
ثم ذكر نعمه فقال وانزل لكم من السما ما يعنى المطر فانبتنا به
حدايق اى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليها فان لم
يكن عليه حايط فليس بحديقة ذات بهجة اى ذات منظر حسن
والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها يعنى
ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول للشجرة
بان اغرسها واسقيها الا الله فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان

لكن ان تنبتوا شجرها لان انبات الحديقة المختلفة الاصناف والطعوم
والروايح تسقى بماء واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يتاتى لاحد
وان تاتى ذلك لغيره محال االه مع الله يعنى هل معه معبود
اعانه على صنعه بل يعنى ليس معه اله ولا له شريك هم قوم يعنى
كفار مكة يعدلون يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر
الى الباطل النوع الثانى قوله عز وجل امن جعل الارض قرارا اى دحاها
وسواها وقيل لا تميد باهلها وجعل خلالها اى وسطها انهارا تطرد
بالمياه وجعل لها رواسى اى جبالا ثوابت وجعل بين البحرين حاجزا
اى العذب والملح حاجزا اى مانعا لا يختلط احدهما بالاخر االه
مع الله بل اكثرهم لا يعلمون اى توحيد ربهم وقدرته وسلطانه
النوع الثالث قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه يعنى
فيكشف ضره ويكشف السوء اى الضر لانه لا يقدر على تغيير حال
الا الله من فقر الى غنا ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة
الا القادر الذى لا يعجز والقاهر الذى لا يغلب ولا ينازع ويجعلكم
خلفاء الارض اى سكانها وذلك انهم اناورثهم سكناها والتصرف
فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفا لكم وقيل جعلكم خلفا
الجن فى الارض االه مع الله قليلا ما يذكرون اى يتعظون النوع
الرابع قوله عز وجل امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر اى يهديكم
بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر
ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته اى قدام المطر االه مع
الله تعالى الله عما يشركون النوع الخامس قوله عز وجل امن
يبدؤا الخلق اى نطفا فى الارحام ثم يعيده اى بعد الموت ومن
يرزقكم من السما يعنى بالمطر والارض اى النبات االه مع الله
قل هاتوا برهانكم اى حجتكم على قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم
صادقين قوله عز وجل قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله
نزلت فى المشركين حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة
والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة وما
يشعرون ايان يبعثون يعنى ان من فى السموات وهم الملائكة ومن فى
الارض وهم بنو ادم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك
بل ادرك علمهم اى بلغ ولحق علمهم فى الاخرة هو ما جهلوه فى الدنيا وسقط
عنهم علمه وقيل بل علموا فى الاخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه
فى الدنيا وهو قوله تعالى بل هم فى شك منها اى هم اليوم فى شك من الساعة
بل هم منها عمون جمع عم وهو اعمى القلب وقيل معنى الاية ان الله اخبر عنهم

اذا

اذا بعثوا يوم القيمة يستوى علمهم فى الاخرة وما وعدوا فيها من الثواب
والعقاب وان كانت علومهم مختلفة فى الدنيا قوله تعالى وقال الذين
كفروا اى مشركوا مكة ايذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون اى من قبورنا
احيا لقد وعدنا هذا سمعناه اى هذا البعث نحن واباؤنا هذا من قبل
اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشى ان هذا اى ما هذا
الا اساطير الاولين اى احاديثهم واكاذيبهم التى كتبوها قل سيروا
فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم اى
بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا تكن فى ضيق مما يمكرون نزلت
فى المستهزين الذين اقتسموا عقاب مكة ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف اى دنا وقرب لكم وقيل
معناه ردفكم بعض الذين تستعجلون اى من العذاب فحل بهم ذلك
يوم بدر قوله عز وجل وان ربك لذو فضل على الناس يعنى على
اهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون اى
ذلك وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اى تخفى وما يعلنون
معناه اى من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من غايبة
اى جملة غايبة من مكتوم سر خفى امر وشى غايب فى السما والارض
الا فى كتاب مبين يعنى فى اللوح المحفوظ ان هذا القران يقص على
بنى اسرايل اى يبين لهم اكثر الذى هم فيه يختلفون اى من امر الدين
وذلك ان اهل الدين اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن
بعضهم على بعض فنزل القران ببيان ما اختلفوا فيه وانه يعنى
القران لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضى بينهم اى يفصل
ويحكم بين المختلفين فى الدين يوم القيمة بحكمه اى الحق وهو
العزيز الذى لا يرد له امر العليم اى باحوالهم فلا يخفى عليه شى
منها فتوكل على الله اى فثق به انك على الحق المبين اى البين انك
لا تسمع الموتى يعنى موتى القلوب وهم الكفار ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين اى معرضين فان قلت ما معنى
مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سوا اقبل او ادبر قلت هو
تاكيد ومبالغة للاصم وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع
الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الاية
انه لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لا سبيل الى سماعه
وكالاصم الذى لا يسمع ولا يفهم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم
معناه ما انت بمرشد من اعماه الله عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان
ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم اى الا من يصدق بالقران انه

من الله هم مسلمون اى مخلصون **قوله عز وجل** وَاذا وقع القول
عليهم يعنى اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل
اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن
المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك فى اخر الزمان قبل قيام
الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض م عن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس
من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وام
العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس
من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما كانت قبل
صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا • عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان
وعصى موسى فتجلوا وجه المومن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى
ان اهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مومن ويقول هذا يا كافر اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن • وروى البغوي باسناده عن
الثعلبى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث
خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشوا ذكرها
بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تمكث زمانا طويلا
ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشوا ذكرها بالبادية
ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس يوما فى اعظم المساجد
على الله حرمة واكرمها على الله يعنى مكة المسجد الحرام لم يرعهم الا
وهى فى ناحية المسجد تدنوا وتدنوا كذا قال عمرو ما بين الركن
الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فارفض
الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت
عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى
تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب
ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه
من خلفه فتقول يا فلان الان تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه
فى وجهه فيتجاورا الناس فى ديارهم ويصطحبون فى اسفارهم
ويشتركون فى الاموال يعرف الكافر المومن فيقال للمومن يا مومن
وللكافر يا كافر وباسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال
تخرج من اعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى عليه السلام يطوف

بالبيت ومعه المسلمون ان تضطرب الارض وتنشق الصفا مما يلى المسعى
وتخرج الدابة من الصفا اول ما يبدو منها راسها ملمعة ذات وبر وريش
لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مومنا وكافرا اما
المومن فتترك وجهه كانه كوكب درى وتكتب بين عينيه مومن واما
الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سودا وتكتب بين عينيه كافر وروى
عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم فقال ان الدابة لتسمع
قرع عصاي هذه • وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس
يسيرون الى منى • وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
بيس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله
قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين
وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس ثور
وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها
صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب
كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا • وعن
عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب فتمس راسها السحاب
ورجليها فى الارض • وروى عن على قال ليس بدابة لها ذنب ولكن
لها لحية • وقال وهب وجهها وجه رجل وساير خلقها كخلق الطير
فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون وقوله
تعالى تكلمهم اي بكلام فصيح عربى فتقول هذا مومن وهذا كافر
وقيل تقول ما اخبر الله تعالى ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر
الناس عن اهل مكة انهم لم يومنوا بالقران والبعث وقرى تكلمهم
بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزى سيل ابن عباس
عن هذه الاية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المومن وتكلم
الكافر **قوله عز وجل** ويوم نحشر من كل امة فوجا اى نحشر من كل
قرن جماعة ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون اى يحبس اولهم على
اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار حتى اذا جاوا يعنى يوم القيمة
قال الله تعالى لهم اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما اى ولم تعرفوا
حق معرفتها اما ذا كنتم تعملون اى حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى
الاية اكذبتم باياتى غير عالمين بها ولم تتفكروا فى صحتها بل كنتم بها
جاهلين ووقع القول اى وجب العذاب عليهم بما ظلموا اى بما
اشركوا فهم لا ينطقون اى بحجة وقيل ان افواههم مختومة الم يروا
انا جعلنا اي انا خلقنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا اى مضيا
يبصر فيه وفى الاية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على

تقلب الضيا ظلمة والظلمة ضيا قادر على الاعادة بعد الموت ان
في ذلك لايات لقوم يومنون اى يصدقون فيعتبرون قوله
عزوجل ويوم ينفخ في الصور هو قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن
الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه
فتذهب في الاجساد فتحيى بها الاجساد ففزع اى فصعق من في
السموات ومن في الارض اى ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع
الى ان يموتوا وقيل نفخ في الصور اسرافيل ثلاث نفخات نفخة الفزع
ونفخة الصعق ونفخة القيام الى رب العالمين الا من شا الله روي
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن قوله الا من شا
الله قال هم الشهدا متقلدون اسيافهم حول العرش وقال ابن
عباس هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل يعني
جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل فلا يبقى بعد النفخة الا هولا
الاربعة ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل
فياخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي
تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدايم
بقي جبريل وميكايل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكايل فياخذ
نفس ميكايل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول سبحانك
ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي وجهك الدايم
الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله يا جبريل لا بد من موته
فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكايل
كفضل الطود العظيم على ضرب من الضراب ويروى انه يبقى مع هولا
الاربعة حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق احد الا الله
تبارك وتعالى طوى السما كطي السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار
لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور
فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم ينفخ فيه
اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى اخذ بقايمة من قوايم
العرش فلا ادري اكان ممن استثنى الله عزوجل ام رفع راسه
قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب • وقيل الذين
استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وكل اي الذين
احيوا بعد الموت اتوه اى جاوه داخرين اى صاغرين • قوله
عزوجل وترى الجبال تحسبها جامدة اى قايمة واقفة وهي تمر
مر السحاب اى تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها

وذلك

وذلك ان كل شي عظيم وكل جسم كبير وكل جمع فضاير كثير يقصر عند البشر
لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه عن حسبان النظر واقف وساير
كذلك سير الجبال يوم القيمة لا ترى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى
لعظمه صنع الله الذي اتقن كل شي يعني انه تعالى لما قدم كل هذه
الاشيا التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشيا التي
اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب انه خبير بما
يفعلون قوله تعالى من جا بالحسنة يعني بكلمة الاخلاص وهي
شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل • وقيل الحسنة
كل طاعة عملها لله تعالى فله خير منها قال ابن عباس فيها يصل الى
الخير يعني انه له من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو الثواب
والامن من العذاب اما ان يكون له خير من الايمان فلا لانه لا
شي خير من لا اله الا الله وقيل جزا الاعمال والطاعات الثواب
والجنة وجزا الايمان الاخلاص ورضوان الله والنظر اليه لقوله
ورضوان من الله اكبر • وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله
بالواحدة عشرا فضاعدا لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف
من تفضل الرب تبارك وتعالى وهم من فزع يومئذ امنون فان
قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات
ومن في الارض قلت ان الفزع الاول وهو ما لا يخلو منه احد
عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعبه وهيبته وان كان
المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الفزع الثاني فهو
الخوف من العذاب فهم امنون منه واما ما يلحق الانسان من
الرعب عند مشاهدة الاحوال فلا ينفك منه احد ومن جا
بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار عبر بالوجه عن
جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار هل تجزون الا
ما كنتم تعملون اى يقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون
في الدنيا من الشرك قوله عزوجل انما امرت يعني يقول الله
تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة يعني امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب
هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين ساير البلاد بالذكر
لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة
تعظيم لها لانها موطن نبيه ومهبط وحيه التي حرمها اى جعلها
الله حرما امنا لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيدها
ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر هو الذي حرمها لان

العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من الاصنام
وله كل شيء اى خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين لله ٥
المطيعين وان اتلوا القران اى وامرت ان اتلوا القران وقد قام صلى
الله عليه وسلم بكل ما امر به اتم قيام على ما امر به فمن اهتدى
فانما يهتدى لنفسه اى نفع اهتدايه يرجع اليه ومن ضل اى عن
الايمان واخطا طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين اى من ٥
المخوفين وما على الا البلاغ نسختها اية القتال وقل الحمد لله اى
على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار
سيريكم اياته اى الباهرة ودلايله القاهرة قيل هو يوم بدر وهي
ما اراهم من القتل والسبي وضرب الملايكة وجوههم وادبارهم
وقيل اياته فى السموات والارض وفى انفسكم فتعرفونها اى
فتعرفون الايات والدلالات وما ربك بغافل عما يعملون
فيه وعيد لهم بالجزا على اعمالهم والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة القصص وهي مكية

الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية
نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذى فرض عليك القران
لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون اية واربعماية واحدى واربعون
كلمة وخمسة الاف وثمانماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى طسم تلك ايات اشارة الى ايات السورة الكتاب المبين
قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذى انزله على نبيه صلى
الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام
والحدود والاحكام نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق
اى بالصدق لقوم يؤمنون اى يصدقون بالقران ان فرعون علا
اى تكبر وتجبر فى الارض اى ارض مصر وجعل اهلها شيعا اى فرقا
فى انواع الخدم والتسخير يستضعف طايفة منهم يعنى بنى اسرايل
يذبح ابناهم ويستحيي نساهم سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا
وضعفوا عن انفسهم انه كان من المفسدين اى بالقتل والتجبر
فى الارض ونريد ان نمن اى ننعم على الذين استضعفوا فى الارض
يعنى بنى اسرايل ونجعلهم ايمة يعنى قادة فى الخير يقتدى
بهم وقيل ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين يعنى املاك فرعون
وقومه بان يخلفوهم فى مساكنهم ونمكن لهم فى الارض اى نوطن لهم
ارض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا ونرى فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اى يخافون وذلك انهم اخبروا

ان

ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرايل وكانوا على حذر منه فاراهم
الله ما كانوا يحذرون قوله عز وجل واوحينا الى ام موسى
هو وحى الهام وذلك بان قذف فى قلبها نوحانه من نسل لاوى
ابن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة
وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكى ولا يتحرك فى حجرها فاذا خفت
عليه اى الذبح فالقيه فى اليم اى البحر ولا تخافى اى عليه من الغرق
وقيل الضيعة ولا تحزنى اى على فراقه انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين قال ابن عباس ان بنى اسرايل لما كثروا بمصر استطالوا
على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر
سلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان انجاهم الله على يد نبيه
موسى عليه السلام ذكر القصة فى ذلك قال ابن عباس ان ام
موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن
فرعون بحبالى بنى اسرايل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت
لها وقالت لها قد نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم فعالجت
قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور موسى فارتعش كل مفصل
فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جيت اليك
حين دعوتينى الا ومرادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما
وجدت حب شى مثل حبه فاحفظى ابنك فانى اراه عدونا فلما خرجت
القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاوا الى بابها ليدخلوا
الى ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة
والقته فى التنور وهو مسجور وراوا ام موسى ولم يتغير لها لون
ولم يظهر لها لبن فقالوا ما ادخل القابلة قالت هى مصافية لى
قد خلت على زايرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت
لاخته فاين الصبى قالت لا ادرى فسمعت بكا الصبى فى التنور
فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته
قال ثم ان ام موسى لما رات الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على
ابنها فقذف الله فى قلبها ان تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت فى
النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا
صغيرا فقال النجار وما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لى اخباه
فى التابوت كرهت الكذب قال ولم تقل اخشى عليه كيد فرعون فلما
اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ٥
ليخبرهم بامر موسى فلما هم بالكلام امسك الله لسانه فلم ينطق الكلام
وجعل يشير بالكلام فلم تدر الامنا ما يقول فلما اعياهم امره قال

كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد
الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامنا ليخبرهم فاتاهم
فاخذ لسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيا فاخرجوه
وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره ان لا يدل
عليه وان يكون معه فيحفظه حيث ما كان فعرف الله منه
الصدق فرد الله عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يا
رب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فامن به وصدقه
قال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع
الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله تعالى وذلك شي
ستره الله تعالى ولما اراد ان يمن به على بني اسرايل فلما كانت
السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين
ففتش النسا تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى
ولم يتغير لونها ولم ينبو بطنها فقالت القوابل لا نتعرض
لها ولا رقبت عليها ولا قابلته ولم يطلع عليه احد الا اخته
مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما خافت عليه حملت تابوتا
مطبقا ثم القته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس ه
وغيره كان يوميذ لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت
من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها
اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطبا
والسحرة فنظروا الى امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا الا من
قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيوخذ من ريقه فيلطخ
به برصها فتبرا من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة
كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون على
مجلس كان له على شفير النيل ومعه امراته اسية بنت مزاحم
واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطي البحر
مع جواريها تلاعبهن وتنضح الما على وجوههن حتى جلست
اذ اقبل النيل بالتابوت فضربته الامواج فقال فرعون ان
هذا الشي في البحر قد تعلق اتوني به فابتدروه بالسفن من كل
ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوه في فتح التابوت فلم
يقدروا عليه فدنت اسية فرات في جوف التابوت نورا لم
يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هي بصبي صغير في التابوت
واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منه

لبنا

لبنا فالقى الله محبته في قلب اسية واحبه فرعون وعطف عليه ه
واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى
ما يسيل من اشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبريت فقبلته
وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا
نظن ان ذلك المولود الذي تحذر من بني اسرايل هو هذا رمي به
في البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله فقالت اسية قرة عين لي
ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا اي نصيب منه خيرا او نتخذه
ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها
وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قال يوميذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
فقال لاسية سميه قالت نسميه موسى لانا وجدناه في الما لان
مو هو الما وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى **فالتقطه ال فرعون**
الالتقاط وجود الشي من غير طلب **ليكون لهم عدوا وحزنا** اي ه
عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطيين اي اثمين وقيل هو
الخطا ومعناه انهم لا يشعرون انه الذي يذهب ملكهم **وقالت**
امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا وهم لا يشعرون قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني
من الاعدا فغاظه ذلك وقال كيف اخطا هذا الغلام الذبح
وكانت اسية امراة فرعون من خيار النسا ومن بنات الانبيا وكانت
ام للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة
الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت امرت ان تذبح الولدان
هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتانا من
ارض اخرى وليس هو من بني اسرايل فاستحياه فرعون والقى الله
محبته عليه قال ابن عباس لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت
اسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله به ولكنه ابي للشقا الذي كتبه
الله عليه قوله تعالى **واصبح فواد ام موسى فارغا** اي خاليا من
كل شي الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي الذي اوحى
الله عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
والعهد الذي عهد اليها حين امرها ان تلقيه في اليم وجعله من
المرسلين فجا الشيطان وقال كرهت ان يقتل ولدك ليكون لك اجره
وثوابه وتوليت انت قتله والقيته في البحر واغرقته ولما اتاها
الخبر بان فرعون اصابه في النيل قالت انه وقع في يد عدوه الذي

فزعت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها
ان كادت لتبدى به اى لتصرح بانه ابنها من شدة وجدها قال
ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رات التابوت يرفعه
موجة ويحطه اخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة
شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس
يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو
ابنى وقيل كادت تبدى بالوحى الذى اوحى اليها ان يرده عليها
لولا ان ربطنا على قلبها اى بالعصمة والصبر والتثبيت لتكون
من المؤمنين اى من المصدقين بوعد الله اياها وقالت لاخته
قصيه اى اتبعى اثره حتى تعلمى خبره فبصرت به عن جنب اى عن بعد
قيل كانت تمشى جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لا تنظره وهم لا
يشعرون انها اخته وانها ترقبه وحرمنا عليه المراضع المراد به
المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان
امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من يرضعه فلما اتوا
بمرضعة لم ياخذ ثديها وهم فى طلب من يرضعه لهم من قبل اى
من قبل مجىء ام موسى وذلك لما رات اخت موسى التى ارسلتها
امه فى طلبه ذلك فقالت يعنى اخت موسى هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم اى يضمونه ويرضعونه وهى امراة قتل ولدها فاحب
شىء اليها ان تجد صغيرا ترضعه وهم له ناصحون اى لا يمنعونه ما
ينفعه فى تربيته وغذايه والنصح اخلاص العمل من شوايب
الفساد وقيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا
الغلام فدلينا على اهله قالت ما اعرفه ولكن قلت وهم للملك
ناصحون وقيل انها قالت انما قلت هذا رغبة فى سرور الملك واتصالنا
به وقيل قالوا لها من هم قالت امى قالوا ولامك ولد قالت نعم
هارون ولد فى السنة التى لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتينا بها
فانطلقت الى امها واخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما
وجد الصبى ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلا جنباه ريا
وقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى فرددناه الى
امه كى تقر عينها اى برد موسى اليها ولا تحزن اى لئلا تحزن ولتعلم
ان وعد الله حق اى برده اليها ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها
ان يرده اليها ولما بلغ اشده قيل الاشد ما بين ثمانية عشر سنة
الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة واستوى اى
بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل آتيناه

ای علم اخته موسی

حكما

حكما وعلما اى عقلا وفقها فى الدين فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث
نبيا وكذلك نجزى المحسنين قوله عز وجل ودخل المدينة
يعنى موسى والمدينة قيل هى منف من اعمال مصر وقيل هى قرية
يقال لها خانين على راس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين
شمس على حين غفلة من اهلها قيل هو نصف النهار واشتغال
الناس بالقيلولة وكان دخلها ما بين المغرب والعشاء قيل سبب دخول
المدينة فى ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب
مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وموسى غايبا فلما
جا قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى اثره فادركه المقيل بارض
منف فدخلها وليس فى طرقها احد وقيل كان لموسى شيعة من بنى
اسرايل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق
راى فراق فرعون وقومه فخالفهم فى دينهم حتى انكروا ذلك منه
وخافوه وخافهم وكان لا يدخل قريته الا خايفا مستخفيا على حين
غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصى فى صغره
فاراد فرعون قتله قالت امراته هو صغير فتركه وامر باخراجه
من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ اشده فدخل
على حين غفلة من اهلها يعنى عن ذكر اهلها موسى ونسيانهم خبره
لبعد عهدهم به وعن على انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم
ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان اى يتخاصمان ويتنازعان هذا
من شيعته يعنى من بنى اسرايل وهذا من عدوه اى من القبط وقيل
هذا مومن وهذا كافر وقيل الذى كان من شيعته هو السامرى والذى
من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فليثون وكان القبطى يريد ان يسخر
الاسرايلى لحمل الحطب قال ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد
من ال فرعون يخلص الى احد من بنى اسرايل بظلم حتى امتنعوا كل
الامتناع وكان بنو اسرايل بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم
فوجد موسى رجلين يقتتلان احدهما من بنى اسرايل والاخر من القبط
فاستغاثه الذى من شيعته يعنى الاسرايلى على الذى من عدوه
يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله ان
يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه اخذ
وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرايل وحفظه لهم ولا يعلم الناس
الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال
انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فقال دعه فقال الفرعونى
لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتى بسطة فى الخلق وشدة

فى القوة **فوكزه موسى** اى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر
وقيل الوكز الضرب باطراف الاصابع **فقضى عليه** اى قتله وفرغ من امره
فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل **قال هذا
من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين** اى بين الضلالة وقيل فى قوله
هذا الاشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا
المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه
وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعنى انه من جند
الشيطان وحزبه **قال رب انى ظلمت نفسى** اى بقتل القبطى من غير
امر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير
عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله **فاغفر لى** اى
ترك هذا المندوب وقيل يحتمل ان يكون المراد رب انى ظلمت نفسى
حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال
فاغفر لى اى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون **فغفر له** اى
فستره عن الوصول الى فرعون **انه هو الغفور الرحيم قال رب بما
انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين** معناه
انعم بالمغفرة والستر
فانا لا اكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين
وفيه دليل على ان الاسرايلى الذى اعانه موسى كان كافرا قال
ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم اى فلم يقل فلم اكن
ان شاء الله ظهيرا للمجرمين **فاصبح فى المدينة** اى التى قتل فيها
القبطى **خايفا يترقب** اى ينتظر سوا والترقب انتظار المكروه
وقيل ينتظر متى يوخذ به **فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه**
اى يستغيث به من بعد قال ابن عباس اى فرعون فقيل له ان
بنى اسرايل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن
يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من
الغد فراى ذلك الاسرايلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى
وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى قال
له موسى للاسرايلى **انك لغوى مبين** اى ظاهر الغواية قاتلت
رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم اخر وتستغيثنى عليه
فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما وذلك ان موسى اخذته
الغيرة والرقة للاسرايلى فمد يده ليبطش بالقبطى فظن الاسرايلى
انه يريد ان يبطش به لما راى من غضب موسى وسمع قوله انك
لغوى مبين **قال يا موسى اريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس**
معناه انه لم يكن علم احد من قوم فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى

حتى

حتى افشى عليه الاسرايلى ذلك فسمعه القبطى فاتى فرعون فاخبره
بذلك **ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض** اى بالقتل ظلما وقيل
الجبار هو الذى يقتل ويضرب ولا ينظر فى العواقب وقيل هو الذى
يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى **وما تريد ان تكون من المصلحين**
ولما فشى ان موسى قتل القبطى امر فرعون بقتله فخرجوا فى طلبه
وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مومن من ال فرعون
واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى **وجا رجل من
اقصى المدينة يسعى** اى يسرع فى مشيه واخذ طريقا قريبا حتى
يسبق الى موسى واخبره وانذره بما سمع **قال يا موسى ان الملاء
ياتمرون بك** اى يتشاورون فيك **ليقتلوك** وقيل يامر بعضهم
بقتلك **فاخرج** اى من المدينة **انى لك من الناصحين** اى فى الامر
بالخروج **فخرج منها** يعنى موسى **خايفا** على نفسه من ال فرعون **يترقب**
اى ينتظر الطلب هل يلحقه فياخذه ثم لجا الى الله تعالى لعلمه
انه لا ملجا الا اليه **قال رب نجنى من القوم الظالمين** اى الكافرين
قوله تعالى **ولما توجه تلقا مدين** اى قصد نحوها ماضيا اليها
قيل لانه وقع فى نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان اهل مدين من
ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم
سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج
موسى خايفا بلا ظهر ولا زاد ولا احدا ولم يكن له طعام الا ورق الشجر
ونبات الارض حتى رؤى خضرته فى بطنه وما وصل الى مدين حتى
وقع خف قدمه قال ابن عباس هو اول ابتلا من الله لموسى **قال**
يعنى موسى **عسى ربى ان يهدينى سوا السبيل** اى قصد الطريق الى
مدين وذلك لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لما دعى موسى جاءه
ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل **ولما ورد
ما مدين** هو بير كانوا يسقون منها مواشيهم **وجد عليه** اى على
الما **امة** اى جماعة **من الناس يسقون** مواشيهم **ووجد من دونهم
امراتين تذودان** اى سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة اى
يحبسان ويمنعان اغنامهما عن الما حتى يفرغ الناس ويخلو لهما
البير وقيل يكفان الغنم من ان يختلطا باغنام الناس وقيل
يمنعان اغنامهما عن ان تشذ وتذهب والقول الاول اولى لما بعده
وهو قوله **قال** يعنى موسى **ما خطبكما** اى ما شانكما لا تسقيا
مواشيكما مع الناس **قالتا لا نسقى** اى اغنامنا **حتى يصدر الرعا**
اى حتى يرجع الرعا عن الما والمعنى اننا امراتان لا نستطيع ان نزاحم

الرحال فاذا اصدروا اسقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم
في الحوض **وابونا شيخ كبير** اى لا يقدر ان يسقي مواشيه فلذلك
احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه السلام وقيل
هو يثرون بن اخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره
وقيل هو رجل ممن امن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما
ورحمهما فاقتلع صخرة من على راس بير اخرى كانت بقربهما لا يطيق
رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم الناس ونحاهم كلهم عن البير
وسقى لهما الغنم ۰ وقيل لما فرغ الرعا من السقي غطوا راس البير
بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجا موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا
واحدا ودعى فيه بالبركة وسقى الغنم فرووا فذلك قوله تعالى
فسقى لهما ثم تولى الى الظل اى عدل الى ظل شجرة فجلس في ظلها من
شدة الحر وهو جايع **فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير**
معناه اني طلبت الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس
سال الله فلقة خبز يقيم بها صلبه ۰ وعن ابن عباس قال لقد قال
موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه
ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سال الا الخبز فلما رجعتا الى ابيهما
سريعا قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا اغنامنا فقال لاحدهما
اذهبي فادعيه الي فقال الله تعالى **فجاءته احداهما تمشي على استحيا**
قيل هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفرا وقيل بل هي الصغرى واسمها
ليا وقيل صفيرا قال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النسا خراجة
ولاجة ولكن قد جات مستترة قد وضعت كم درعها استحيا على
وجهها وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافيه وقيل لانها رسول
ابيها **قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا** قيل لما سمع
موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جايعا فلم يجد بدا من
الذهاب فمشت المراة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها
فتصف ردفها فكره موسى ذلك ان يرى ذلك منها فقال لها امشي
خلفي وامالي ودليني على الطريق اذا اخطات ففعلت ذلك فلما
دخل موسى على شعيب اذ هو بالعشا مهيا فقال اجلس يا فتى
فتعشى فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست بجايع
قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من
اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا فقال
شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف

ونطعم

ونطعم الطعام فجلس موسى واكل فذلك قوله تعالى **فلما جاءه** اي موسى
وقص عليه القصص اى اخبره بامره اجمع من خبر ولادته وقتله القبطي
وقصد فرعون قتله **قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** يعني من
فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين
قالت احداهما يا ابت استاجره اى اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا
ان خير من استاجرت القوي الامين يعني ان خير من استعملت من
قوي على العمل واداء الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته
وامانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على راس البير ولا يرفعه
الا عشرة نفر وقيل اربعين رجلا واما امانته فانه قال امشي
خلفي لئلا تصف الريح بدنك **قال** شعيب عند ذلك **اني اريد**
ان انكحك اي ازوجك **احدى ابنتي هاتين** قيل زوجه الكبرى
وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صافورا وهي
التي ذهبت في طلب موسى **على ان تاجرني ثماني حجج** اى تكون لي اجيرا
ثمان سنين **فان اتممت عشرا فمن عندك** اي فان اتممت عشر سنين فذلك
تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك **وما اريد ان اشق عليك**
اي الزمك تمام العشرة الا ان تتبرع **ستجدني ان شاء الله من الصالحين**
اي في حسن الصحبة والوفا بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن
المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه
ومعونته **قال ذلك بيني وبينك** اي ما شرطت علي وما شرطت
من تزويج احداهما علي والامر بيننا على ذلك **ايما الاجلين قضيت**
اي اي الاجلين اتممت ونزعت منه الثمان او العشر **فلا عدوان علي**
اي لا ظلم علي بان اطالب باكثر منهما **والله على ما نقول وكيل** قال
ابن عباس شهيد بيني وبينك **خ** عن سعيد بن جبير قال سالني
يهودي من اهل الحيرة اى الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى
اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال
قضى اكثرهما واطيبهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اى الاجلين
قضى موسى فقل خيرهما وابرهما ۰ واذا سيلت اي المراتين تزوج
فقل الصغرى منهما وهي التي جات فقالت يا ابت استاجره فتزوج
صغراهما وقضى اوفاهما ۰ وقال وهب انكحه الكبرى وروي شداد
ابن اوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمي فرد
الله عليه بصره فقال له الله ما هذا البكا شوقا الى الجنة ام خوفا
من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الي لقاك فاوحى الله اليه

ان يكن ذلك فهنيالك لفاي ياشعيب لذلك اخدمنك موسى كليمي
ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسي
عصاة يدفع بها السباع عن غنمه وقيل كانت من اس الجنة حملها
ادم معه فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصار
من ادم الى نوح الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسي
ثم ان موسى لما قضي الاجل سلم شعيب اليه ابنته قال لها موسى
اطلبي من ابيك ان يعطينا ويجعل لنا بعض الغنم فطلبت من ابيها
ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها وقيل اراد
شعيب ان يجازي موسى على حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته
فقال اني قد وهبت لك من ولدا غنامي كل ابلق وبلقا في هذه
السنة فاوحى الله الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء
فاسق الغنم منه ففعل ذلك فما اخطات واحدة الا وضعت
حملها ما بين ابلق وبلقا فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله
الي موسى وابنته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام **قوله**
عز وجل **فلما قضى موسى الاجل** اي اتمه وفرغ منه **وسار باهله**
وقيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين اخرى ثم
استاذنه في العود الى مصر فاذن له وسار باهله اي قاصدا الى مصر
انس اي ابصر **من جانب الطور نارا** وذلك انه كان في شدة البرد
في ليلة مظلمة في البرية واخذ امراته الطلق **قال لاهله امكثوا**
اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر اي عن الطريق لانه كان قد
اخطا الطريق **او جذوة من النار** اي قطعة وشعلة من النار
وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه **لعلكم تصطلون** اي
تستدفون **فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن** يعني من
جانب الوادي الذي عن يمين موسى **في البقعة المباركة** جعلها
الله مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد
البقعة المقدسة **من الشجرة** اي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود
كانت شجرة خضرا ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق
وعن ابن عباس انها العناب **ان يا موسى اني انا الله رب العالمين**
قيل ان موسى لما راي النار في الشجرة الخضرا علم انه لا يقدر على
الجمع بين النار وخضرة الشجر الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم
هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علما ضروريا
بان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان ذلك الكلام كلام الله وقيل انه
قال لموسى كيف عرفت انه ندا الله تعالى قال اني سمعته بجميع

اجزايء

اجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزا علم بذلك انه لا يقدر
عليه احد الا الله **والق عصاك** اي فالقاها **فلما راها تهتز**
اي تتحرك **كانها جان** يعني الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة
حركتها كالحية السريعة الحركة **ولى مدبرا** اي هاربا منها **ولم يعقب**
اي لم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا بلعتها حتى ان
موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ
ولى مدبرا ولم يعقب فنودي عند ذلك **يا موسى اقبل ولا تخف**
انك من الامنين قوله تعالى **اسلك يدك** اي ادخل يدك **في جيبك**
تخرج بيضا من غير سوء اي برص والمعنى انه ادخل يده فخرجت
ولها شعاع كشعاع الشمس **واضمم اليك جناحك من الرهب**
اي من الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها
فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى قال ابن عباس امره
الله تعالى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف
عند معاينة الحية وما من خوف بعد موسى الا وضع يده على
صدره زال خوفه ۰ وقيل المراد من ضم الجناح السكون اي سكن
روعك واخفض عليك جناحك لان من شان الخايف ان يضطرب
قلبه ويرتعد بدنه ۰ وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم
اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصى ويده في كمه
فذانك يعني العصا واليد البيضا **برهانان** اي ايتان **من**
ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين
عن الحق **قال رب اني قتلت منهم نفسا** يعني القبطي **فاخاف**
ان يقتلون به **واخي هارون هو افصح مني لسانا** اي بيانا
وانما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من موضع الجمرة
في فيه **فارسله معي ردا** اي عونا **يصدقني** يعني فرعون
وقيل تصديق هارون هو ان يلخص الدلايل ويجيب عن الشبهات
ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد **اني اخاف ان يكذبون**
يعني فرعون وقومه **قال سنشد عضدك باخيك** اي سنقويك
به فكان هارون بمصر **ونجعل لكما سلطانا** اي حجة وبرهانا
فلا يصلون اليكما باياتنا اي بقتل ولا سوء **انتما** وقيل معناه
نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما **ومن اتبعكما الغالبون**
اي لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه **فلما جاءهم موسى**
باياتنا بينات اي واضحات **قالوا ما هذا الا سحر مفترى**
اي مختلق **وما سمعنا بهذا** اي بالذي تدعونا اليه **في ابائنا الاولين**

وقال موسى ربي اعلم بمن جا بالهدى من عنده اى الذى يعلم المحق من المبطل **ومن تكون له عاقبة الدار** اى العقبى المحمودة فى الدار الاخرة **انه لا يفلح الظالمون** اى الكافرون **وقال فرعون يايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى** فيه انكار لما جابه موسى من توحيد الله وعبادته **فاوقد لى ياهامان على الطين** اى اطبخ لى على الاجر قيل انه اول من اتخذ الاجر وبنى به **فاجعل لي صرحا** اى قصرا عاليا وقيل منارة قال اهل السير لما امر فرعون وزيره هامان ببنا الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسين الف بنا سوى الاتباع والاجرا وطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبنا فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى بها نحو السما فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله تعالى جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكره فقتلت منهم الف الف ووقعت قطعة منها فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق احد عمل شيا فيه الا هلك فذلك قوله تعالى **لعلى اطلع الى اله موسى** اى انظر اليه واقف على حاله **وانى لاظنه** يعنى موسى **من الكاذبين** اى فى زعمه ان للارض والخلق الها غيرى وانه ارسله **واستكبر هو وجنوده فى الارض** اى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بل بالباطل والظلم **بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون** اى للحساب والجزا **فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم** اى فالقيناهم فى البحر وهو بحر القلزم **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** يعنى حين صاروا الى الهلاك **وجعلناهم ايمة** اى قادة ورؤسا **يدعون الى النار** اى الكفر والمعاصى التى يستحقوا بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار **ويوم القيمة لا ينصرون** اى لا يمنعون من العذاب **واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة** اى خزيا وبعدا وعذابا **ويوم القيامة هم من المقبوحين** اى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون قوله تعالى **ولقد اتينا موسى الكتاب** يعنى التورية **من بعد ما اهلكنا القرون الاولى** يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى **بصاير للناس** اى ليبصروا بذلك فيهتدوا به **وهدى** اى من الضلالة لمن عمل به **ورحمة** اى لمن امن به **لعلهم**

يتذكرون

يتذكرون اى بما فيه من المواعظ **وما كنت** الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى وما كنت يا محمد **بجانب الغربى** اى بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه **اذ قضينا الى موسى الامر** اى عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون **وما كنت من الشاهدين** اى الحاضرين ذلك المقام الذى اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك **ولكنا انشانا قرونا** اى خلقنا بعد موسى امما **فتطاول عليهم العمر** اى طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا فى محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود ونسوا الوفا بها **وما كنت ثاويا** اى مقيما **فى اهل مدين** اى كمقام موسى وشعيب فيهم **تتلوا عليهم اياتنا** اى تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم **ولكنا كنا مرسلين** يعنى ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار فتقراها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها انت **وما كنت بجانب الطور** اى بناحية الجبل الذى كلم الله عليه موسى **اذ نادينا** اى يعنى موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب ارنى محمدا وامته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شيت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الابا وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة احمد ان رحمتى سبقت غضبي وعفوي سبق عقابى فقد اعطيتكم قبل ان تسالونى وقد اجبتكم قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومن جانى يوم القيمة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولى دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر **ولكن رحمة من ربك** اى رحمناك رحمة بارسالك والوحى اليك واطلاعك على الاخبار الغايبة عليك **لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك** يعنى اهل مكة **لعلهم يتذكرون** واعلم ان الله تعالى لما بين قصة اهل مكة موسى لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاث العظيمة التى اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التورية حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين اول امر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة

بهذه الاعلام احوال موسى ولما بينها الرسول ولم يكن في هذه الاحوال
حاضرا بين الله بعثه وعرفه هذه الاحوال حلصرا الدالة على نبوته
صلى الله عليه وسلم ومعجزته كانه قال في اخبارى عن هذه الاشيا
من غير حضور ولا مشاهدة دالة على نبوتك قوله تعالى **ولولا
ان تصيبهم مصيبة** اى عقوبة ونقمة **بما قدمت ايديهم** يعنى من
الكفر والمعاصى **فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك ونكون من المومنين** لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم
لعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا
ولكن بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل **فلما
جاءهم الحق من عندنا** يعنى محمد صلى الله عليه وسلم **قالوا لولا اوتى
مثل ما اوتى موسى** يعنى من الايات كالعصا واليد البيضا وقيل
اوتى كتابا جملة واحدة كما اوتى موسى التورية قال الله تعالى
اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قيل ان اليهود ارسلوا الى قريش
يسالوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتى موسى من قبل فقال
الله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل يعنى اليهود الذين
استخرجوا بهذا السوال **قالوا ساحران تظاهرا** يعنى التوراة
والقران وقيل محمد وموسى يقوى كل واحد الاخر وقرى ساحران
يعنى محمد وموسى قيل ان مشركى مكة بعثوا الى روس اليهود
بالمدينة يسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم واخبروهم ان نعته
فى كتابهم التورية فرجعوا فاخبروهم بما قالت اليهود فقالوا ساحران
تظاهرا **وقالوا انا بكل كافرون** يعنى التورية والقران وقيل محمد
وموسى **قل** يا محمد **فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما** يعنى
من التورية والقران **اتبعه** يعنى الكتاب الذى ياتوا به من عند الله
وهذا التنبيه على عجزهم من الاتيان بمثله **ان كنتم صادقين فان لم
يستجيبوا لك** اى فان لم ياتوا بما طلبت **فاعلم انما يتبعون
اهواءهم** يعنى انما ركبوا من الكفر لا حجة لهم فيه انما اثروا في اتباعهم
ما هو عليه الهوى **ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
ان الله لا يهدى القوم الظالمين** قوله عز وجل **ولقد وصلنا
لهم القول** قال ابن عباس هنا الكفار مكة بينا وقيل انزلنا ايات
القران يتبع بعضها بعضا وقيل بينا الكفار مكة بما فى القران من اخبار
الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر
الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة فى الدنيا **لعلهم يتذكرون** اى
يتعظون **الذين اتيناهم الكتاب من قبله** اى من قبل محمد صلى الله

اي هلا ارسلت

عليه

عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابى طالب فلما راوا ما
بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا اموالا فان
اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فنواسى بها المسلمين فنزلت فيهم
هذه الايات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون ، وقال ابن عباس فى
ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة
وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى بقوله **واذا يتلى عليهم**
اى القران **قالوا امنا به انه الحق من ربنا** وذلك ان ذكر النبى صلى الله
عليه وسلم كان مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل **انا كنا من قبله
مسلمين** اى من قبل القران مخلصين لله التوحيد ومومنين بمحمد صلى
الله عليه وسلم انه نبى حق **اولئك يؤتون اجرهم مرتين** يعنى
بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الاخر **بما صبروا** قيل اى على دينهم
وعلى اذى المشركين **ق** عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب
امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى
حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطاها فادبها واحسن
تاديبها وعلمها واحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران
ويدرون بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان
لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من اذى المشركين
وشتمهم بالعفو والصفح **ومما رزقناهم ينفقون** اى فى الطاعة
واذا سمعوا اللغو اى القول القبيح **اعرضوا عنه** وذلك ان
المشركين كانوا يسبون مومنى اهل الكتاب ويقولوا تبا لكم تركتم
دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم **وقالوا لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم** اى لنا ديننا ولكم دينكم **سلام عليكم** ليس المراد سلام التحية
ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم **لا نبتغى
الجاهلين** يعنى لا نحب دينكم الذى انتم عليه وقيل لا نريد ان نكون
من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يومر المسلمون بالقتال ثم نسخ
ذلك بالقتال ، قوله عز وجل **انك لا تهدى من احببت**
اى هدايته وقيل احببته لقرابته **ولكن الله يهدى من يشا**
وذلك ان الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر
للايمان **وهو اعلم بالمهتدين** اى بمن قدر له الهدى **خ** عن ابى هريرة
انك لا تهدى من احببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث راود عمه ابو طالب على الاسلام وذلك ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لابى طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله اشهد لك بها

يوم القيمة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون انه حمله على ذلك
الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد **شعر**

• ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا •
• لولا الملامة اوحذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا •

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل
الله هذه الاية **وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا**
يعني من مكة نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف ۵
وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم الذي تقوله حق
ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارض مكة
فقال الله تعالى **اولم نمكن لهم حرما امنا** وذلك ان العرب كانت
في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة
امنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يامن فيه الظبا
من الذياب والحمام من الحداة **يجبى اليه** اي يجلب ويجمع اليه ويحمل
الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن **ثمرات كل شيء رزقا من
لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون** معناه يعني اهل مكة لا يعلمون ذلك
لقوله تعالى **وكم اهلكنا من قرية** اي من اهل قرية **بطرت معيشتها**
اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا
الاصنام **فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا** قال ابن
عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا قليله
واكثرها خراب **وكنا نحن الوارثين** يعني لن يخلفهم فيها احد بعد
اهلاكهم فصارا مرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فنا الخلايق **وما
كان ربك مهلك القرى** اي الكافرة اهلها **حتى يبعث في امها
رسولا** اي في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة
الرسول لانه يبعث الى الاشراف وسكان المدن وقيل يبعث في ام
القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم
الانبيا **يتلوا عليهم اياتنا** يعني ان يودي اليهم ويبلغهم وقيل
يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا **وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون** اي مشركون • قوله عز وجل **وما اوتيتم من
شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها** اي تتمتعون بها ايام حياتكم
ثم هي الى فنا وانقضاء **وما عند الله خير وابقى** لان منافع الاخرة
خالصة من الشوايب وهي دايمة غير منقطعة ومنافع الدنيا
بالقياس كالذرة الى البحر العظيم **افلا يعقلون** ان الباقي خير
من الفاني وقيل من لم يرجح الاخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا

قال

قال الشافعي من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الى
المشتغلين بطاعة الله تعالى **افمن وعدناه وعدا حسنا** اي الجنة
فهو لاقيه معناه اي مصيبه وصاير اليه **كمن متعناه متاع
الحياة الدنيا** اي ويزول عنه عن قريب **ثم هو يوم القيمة
من المحضرين** اي النار وقيل هذا في المومن والكافر وقيل نزلت
في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في حمزة وابي جهل وقيل
في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة • قوله عز وجل **ويوم يناديهم**
فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اي في الدنيا انهم شركاي
قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهم روس
الضلالة **ربنا هولا الذين اغوينا اغويناهم** اي دعوناهم الى الغي
وهم الاتباع اغويناهم **كما غوينا** اي دعوناهم الى الغي اضللناهم كما
ضللنا **تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون** معناه يبرى بعضهم
من بعض فصاروا اعدا وقيل يعني تلكفنا **وقيل ادعوا شركاكم** اي الاصنام
تخلصكم من العذاب **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** اي لم يجيبوهم
وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون اي لو انهم كانوا يهتدون في
الدنيا ما راوا العذاب في الاخرة **ويوم يناديهم** يعني يسال الكفار
فيقول ماذا اجبتم المرسلين اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من
النبيين **فعميت عليهم** اي خفيت واشتبهت **الانبا** اي الاخبار والانها
اعذار والحجج **يومئذ** فلم يكن لهم عذر ولا حجة **فهم لا يتسالون** اي
لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسال بعضهم بعضا **فاما
من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين** اي من
السعدا الناجين وعسى من الله واجب **قوله عز وجل وربك
يخلق ما يشا ويختار** نزلت هذه الاية جوابا للمشركين حيث قالوا
لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد
ابن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث
الرسل باختيارهم لانه الملك المطلق وله ان يخص من يشا بما يشا
ولا اعتراض عليه البتة **ما كان لهم الخيرة** اي ليس لهم الاختيار
او ليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ان يختار الله ما كان هو
الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه نفسه فقال تعالى **سبحان الله وتعالى
عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون** اي يظهرون
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة اي يحمده اولياوه
في الدنيا ويحمدونه في الاخرة في الجنة **وله الحكم** اي فصل القضا بين
الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية

بالشقاوة واليه ترجعون قوله عزوجل قل يا محمد لاهل مكة ارايتم
اى اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اى دايما الى يوم القيمة
لا نهار فيه من اله غير الله ياتيكم بضياء اي نهار تطلبون فيه
المعيشة افلا تسمعون اى سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل
الله عليكم النهار سرمدا اى لا ليل فيه الى يوم القيمة من اله غير
الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون اى ما انتم عليه من
الخطا وقيل ان نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار
يتعاقبان لان المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى
التعب ليحصل ما يحتاج ولا يتم تلك الراحة والسكون له الا
بالليل فلا بد منهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة
لهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضيا ابدا فبين الله تعالى انه
القادر ليس يقدر على ذلك غيره ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
اى يتعاقبان بالظلمة والضيا لتسكنوا فيه اى في الليل ولتبتغوا
من فضله اي بالنهار ولعلكم تشكرون اى نعم الله عليها ويوم
يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون كرر ذلك الندا
للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ونزعنا اى اخرجنا وقيل
ميزنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم يشهد عليهم بان بلغهم
رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا اى للامم المكذبة لرسلهم هاتوا
برهانكم اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اى الوعيد
لله وضل عنهم ما كانوا يفترون اى يختلقون من الكذب على الله
قوله عزوجل ان قارون كان من قوم موسى قيل كان ابن عم موسى
لان قارون بن يصهر بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث
ويقال كان عم موسى ولم يكن في بني اسرايل اقرا منه في التورية ولكن
نافق كما نافق السامري فبغى عليهم قيل كان عاملا لفرعون على
بني اسرايل فظلمهم وبغى عليهم لكثرة ماله وقيل زاد في طول
ثيابه شبرا فق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلا اخرجاه في الصحيحين
وقيل بغى عليهم بالكبريا والعلو واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
جمع مفتح وهو الذى يفتح الباب وقيل مفاتحه يعني خزاينه لتنوء
بالعصبة اولي القوة معناه ليثقلهم وقيل لهم اذا حملوها
لثقلها قيل العصبة ما بين الخمسة الى الخمسة عشر وقيل الى الاربعين
وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا
اقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون اين ما ذهب يحمل معه

مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليهم جعلها
من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع
وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا اذ قال له قومه لا تفرح
لا تبطر ولا تاشر ولا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اى الاشرين البطرين
الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا
من رضي بها فاطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب
لم يفرح ولقد احسن من قال في شعره •
• اشد الغم عندى في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا •
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اى اطلب فيما اعطاك الله
من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله بما انعم عليك وتنفقه
في رضا الله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تترك ان تعمل في
الدنيا للاخرة تعني تنجوا من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان
من الدنيا الا يعمل فيها للاخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس
صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة عن عمرو
ابن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل
وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك • وصحتك
قبل سقمك • وغناك قبل فقرك • وفراغك قبل شغلك • وحياتك
قبل موتك • هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى
الله عليه وسلم واحسن كما احسن الله اليك اى احسن بطاعة
الله كما احسن الله اليك وقيل احسن الى الناس ولا تبغ اى ولا تطلب
الفساد في الارض وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين قال يعني قارون انما اوتيته على علم
عندي اي على فضل وخير علمه الله عندى فراني اهلا لذلك ففضلني
بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيميا وكان موسى يعلمه
فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم
قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يصنع
من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب امواله
وقيل كان على حسن التصرف في التجارات والزراعات وانواع
المكاسب قال الله عزوجل اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله
من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي للاموال ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون قيل معناه ان الله تعالى اذا اراد عقاب
المجرمين فلا حاجة الى سوالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسالون
سوال استعلام وانما يسالون سوال توبيخ وتقريع وقيل لا تسال

الملايكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم قوله عز وجل **تخرج على قومه**
في زينته قيل خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر
والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج
الارجوان وقيل خرج على بغلة شهبا عليها سرج من ذهب وعليها
الارجوان ومعه اربعة الاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان
ومعه ثلاثماية جارية بيضا عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على
البغال الشهب **قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل**
ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم اي من المال **وقال الذين**
اوتوا العلم اي بما وعد الله في الاخرة وقال ابن عباس يعني
الاحبار من بني اسرايل الذين تمنوا مثل ما اوتي قارون **ويلكم**
ثواب الله خير اي ما عند الله من الثواب والجزا خير **لمن امن** اي
صدق بتوحيد الله **وعمل صالحا** اي ذلك خير مما اوتي قارون في الدنيا
ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يوتي الاعمال الصالحة الا الصابرون
وقيل لا يوتي هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا
الصابرون اي على طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى
فخسفنا به وبداره الارض

ذكر قصة قارون

قال اهل العلم والسير والاخبار كان قارون اعلم بنو اسرايل بعد
موسى وهارون واقروهم للتورية واجملهم واغناهم وكان احسن
الصوت وبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى
اوحى الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا
اربعة في كل طرف خيط اخضر كلون السما يذكرون اذا نظروا الى
السما ويعلموا اني منزل كلامي فقال موسى يارب افلا تامرهم
ان يجعلوا ارديتهم كلها خضر فان بني اسرايل تحقر هذه الخيوط
فقال له ربه ياموسى ان الصغير من امري ليس بصغير فاذا لم
يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم
موسى وقال ان الله يامركم ان تفعلوا كذا وكذا في ارديتكم خيوطا
خضرا كلون السما لكي تذكروا ربكم اذا رايتموها ففعلت بنو اسرايل
ما امرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما نفعل
ذلك الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم وهذا وكان بدو
عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني اسرايل جعلت الحبور لهارون
وهي رياسة الذبح فكان بنو اسرايل ياتون بقربانهم الى هارون
فيضعه على المذبح فتنزل نار من السما فتاكله فوجد قارون
من ذلك في نفسه واتى الى موسى وقال ياموسى لك الرسالة

ولهارون

ولهارون الحبورة ولست في شي من ذلك وانا اقرا التورية لا صبر لي
على هذا فقال موسى ما انا جعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال
قارون والله لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى روسا بني
اسرايل فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها في قبته التي يتعبد
فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبحت عصا هارون
قد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون
ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا با عجب مما تصنع من السحر
واعتزل قارون من موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة
التي بينهما وهو يوذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة
لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها
صفايح الذهب وكان الملا من بني اسرايل يغدون اليه ويروحون
فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت
الزكاة على موسى اتاه قارون فصالحه على كل الف دينار عنها دينارا
وعلى كل الف درهم عنها درهم وكل الف شاة عنها شاة وكذلك
ساير الاشيا ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيا كثيرا فلم تسمح نفسه
بذلك فجمع بني اسرايل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شي فاطعتموه
وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فامرنا بما شيت
قال امركم ان تجيبوا فلانة البغي لنجعل عليكم لها جعلا على
ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرايل
ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون الف دينار والف درهم وقيل
طستا من ذهب وقيل قال لها قارون انزلك واخلطك بنساي
على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا احضر بنو اسرايل فلما كان
من الغد جمع قارون بني اسرايل ثم اتى الى موسى فقال ان بني اسرايل
ينتظرون خروجك فتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في
مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرايل من سرق قطعنا
يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست له امراة جلدناه
مائة ومن زنا وله امراة جلدناه الى ان يموت فقال قارون وان كنت
انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرايل يزعمون انك فجرت
بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق
البحر لبني اسرايل وانزل التورية الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق
فقالت في نفسها احدث توبة احسن مما اوذي رسول الله فقالت
لا والله ولكن قارون جعل لي جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى
ساجدا يبكي وقال اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله

اليه انى امرت الارض ان تطيعك فمرها بما شيت فقال موسى يا بنى
اسرايل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه
فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزله فاعتزلوا فلم يبق مع
قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم باقدامهم
وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض ثم غيبت بسريره
ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم
فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
واصحابه فى ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله
والرحم حتى قيل انه ناشده اربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى
فى ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم
فانطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما اغلظ قلبك
يستغيث بك قارون سبعين مرة فما تغثه اما وعزتى وجلالى
لو استغاث بى مرة لاغثته وفى بعض الاثار لا اجعل الارض
بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل فى
الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة واصبحت
بنو اسرايل تقول فيما بينهم انما دعى موسى على قارون ليستبد
بداره وكنوزه وامواله فدعى الله موسى حتى خسف بداره
وكنوزه وامواله الارض فذلك قوله تعالى **فما كان له من فئة**
اى جماعة **ينصرونه من دون الله** اى يمنعونه من الله **وما كان**
من المنتصرين اى الممتنعين مما نزل به من الخسف **واصبح الذين**
تمنوا مكانه بالامس اى صار اولئك الذين تمنوا ما رزق من
الاموال والزينة يندمون على ذلك التمنى **يقولون ويك**
اى الم تعلم وقيل الم تروا وقيل هى كلمة تقرير معناها الم تر الى
صنع الله واحسانه وقيل ذلك بمعنى ويلك اعلم ان الله وروى
ان وى مفصول له من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا
متندمين على ما سلف منهم وكان معنى هل اعلم ذلك واقدره
ان الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر اى يوسع لمن يشا
ويضيق على من يشا **لولا ان من الله علينا** اى بالايمان **لخسف**
بنا ويكانه لا يفلح الكافرون قوله عز وجل **تلك الدار**
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض اى استكبارا
عن الايمان وقيل علوا اى استطالة على الناس وتهاونا بهم
وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذى سلطان وعن على انها
نزلت فى اهل التواضع من الولاة واهل المقدرة **ولا فسادا** قيل

الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل اخذ اموال الناس بغير
حق وقيل العمل بالمعاصى **والعاقبة للمتقين** اى العاقبة المحمودة
لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقيل عاقبة
المتقين الجنة **من جا بالحسنة فله خير منها ومن جا بالسيئة فلا**
يجزى الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون تقدم تفسيره
قوله تعالى **ان الذى فرض عليك القران** اى انزل عليك القران
وقيل معناه اوجب عليك العمل بالقران **لرادك الى معاد** قال
ابن عباس الى مكة اخرجه البخارى عنه قال العتبى معاد الرجل
بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه
وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق
مخافة الطلب فلما امن ورجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة
والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل
عليه السلام فقال اتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله
تعالى يقول ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد وهذه
الاية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس فى
رواية اخرى لرادك الى معاد الى الموت وقيل الى القيامة وقيل
الى الجنة **قل ربى اعلم من جا بالهدى** هذا جواب لكفار مكة قالوا
للنبى صلى الله عليه وسلم انك فى ضلال مبين فقال الله تعالى
قل لهم ربى اعلم من جا بالهدى يعنى نفسه **ومن هو فى ضلال مبين**
يعنى المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين قوله عز وجل **وما كنت**
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى يوحى اليك القران **الا رحمة من**
ربك اى لكن رحمة ربك فاعطاك القران **فلا تكونن ظهيرا** اى معينا
للكافرين على دينهم وذلك حين دعوه الى دينهم ودين ابائهم
ابائه فذكره الله تعالى نعمه ونهاهم عن مظاهرتهم على ما هم عليه
ولا يصدنك عن ايات الله يعنى القران **بعد اذ انزلت اليك**
وادع الى ربك اى الى معرفته وتوحيده **ولا تكونن من المشركين**
قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد
به اهل دينه اى لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم **ولا تدع مع الله**
الها اخر معناه انه واجب على الكل الا انه خاطب به مخصوصا لاجل
التعظيم **فان قلت** النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما
من ان يدع مع الله الها اخر فما فايدة هذا النهى **قلت**
الخطاب منه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على
امورك كلها ولا تعتمد على غيره **لا اله الا هو كل شى هالك الا**

وجهه اى الاهو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الاما اريد
به وجهه لان عمل كل شى اريد به غير الله فهو هالك له الحكم اى فصل
القضا بين الخلق واليه ترجعون اى تردون فى الاخرة فيجزيكم
باعمالكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة العنكبوت مكية

وآياتها تسع وستون اية وكلماتها تسعماية وثمانون كلمة وحروفها
اربعة الاف وماية وخمسة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم احسب الناس اى ظن الناس ان يتركوا اى
بغير اختبار ولا ابتلا ان اى بان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
اى لا يبتلون فى اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم ليتبين المخلص
من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الاية فى
اناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم ان لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا
فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار
فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الايتين وقال ابن
عباس اراد بالناس الذين امنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن
ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل فى عمار كان
يعذب فى الله تعالى وقيل فى ابن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل
من المسلمين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع
وهو من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته
فانزل الله هذه الاية وقيل معناه لا يفتنون اى فى الدنيا اى
بالاوامر والنواهى وذلك ان الله عز وجل امرهم فى الابتدا بمجرد
الايمان ثم فرض عليهم الصلوات والزكاة وساير الشرايع فشق ذلك
على بعض الناس فانزل الله هذه الاية ثم عزاهم فقال تعالى
ولقد فتنا الذين من قبلهم يعنى الانبيا والمومنين فمنهم من نشر
بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنوا اسرايل بفرعون فكان يسومهم
سوء العذاب فليعلمن الله الذين صدقوا اى فى قولهم وليعلمن
الكاذبين والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الاية فليظهرن
الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل فليرين وقيل
فليميزن الله وقيل ان علم الله صفة يظهر بها كل ما هو واقع قوله
تعالى ام حسب الذين يعملون السيات يعنى الشرك ان يسبقونا
اى يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم سا ما يحكمون اى بيس ما
حكموا حين ظنوا ذلك من كان يرجوا لقاء الله قال ابن عباس من

مهجع

كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع فى ثواب الله فان
اجل الله لات يعنى ما وعد من الثواب والعقاب وقيل يوم القيمة
لكاين والمعنى ان من يخشى الله او يامله فليستعد له وليعمل
لذلك اليوم وهو السميع العليم اى يعلم ما يعلمه العباد من الطاعة
والمعصية فيثيبهم او يعاقبهم او يعفو عنهم ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه اى له ثوابه وهذا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق
لان الكريم ان وعد وفا والجهاد هو الصبر على الشدة وقد يكون فى
الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ان الله لغنى عن العالمين
اى عن اعمالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف اما البشارة لانه
اذا كان غنيا عن الاشيا فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد من عباده
لا شى عليه لاستغنايه عنه وهذا يوجب الرجا التام واما
التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه
فلا شى عليه لاستغنايه عنهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سياتهم اى لنبطلنها حتى تصير بمنزلة من لم يعملها
والتكفير اذهاب السية بالحسنة ولنجزينهم احسن الذى كانوا
يعملون اى باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم اكثر مما
عملوا قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا اى برا بهما
وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه اى يفعل بوالديه
ما يحسن نزلت هذه الاية والتى فى سورة لقمان والاحقاف فى سعد
ابن ابى وقاص وهو ابو اسحاق سعد بن مالك الزهرى وامه حمنة
بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين
الاولين وكان بارا بامه قالت له امه ما هذا الذى احدثت والله
ما اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد
الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت ليلة لم تاكل ولم تشرب
ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما اخر
وليلة فجاها يا اماه لو كانت لك ماية نفس فخرجت نفسا نفسا
ما تركت دينى فكلى ان شيت وان شيت فلا تاكلى فلما ايست منه
اكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه الاية وامر بالبر لوالديه
والاحسان اليهما وان لا يطيعهما فى الشرك فذلك قوله تعالى
وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما
وفى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه
وقال تعالى الى مرجعكم فانبيكم اى فاخبركم بما كنتم تعملون اى
بصالح اعمالكم وسييها فاجازيكم عليها والذين امنوا وعملوا

الصالحات لندخلنهم في الصالحين اى في زمرة الصالحين وهم
الانبيا والاوليا وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله تعالى
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي يعني اصابه بلا
من الناس افتتن في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله
اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة والمعنى
انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله
من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن
الدين وكفر ولين جا نصر من ربك اي دولة للمومنين ليقولن
اى هولا المنافقين للمومنين انا كنا معكم اى على عدوكم وكنا
مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاكذبهم الله تعالى فقال
اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اى من الايمان والنفاق
وليعلمن الله الذين امنوا اى صدقوا فثبتوا على الاسلام عند
البلا وليعلمن المنافقين اي بترك الاسلام عند البلا قيل
نزلت هذه الاية في اناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم
بلا من الناس او مصيبة في انفسهم فتنوا وقال ابن عباس
نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت
فيهم الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقيل هذه العشر
من اول السورة الى هنا مدنية وباقي السورة مكية وقال
الذين كفروا يعني من اهل مكة وقيل قاله ابو سفيان للذين
امنوا اى من قريش اتبعوا سبيلنا يعني ديننا وملة ابايبنا
ونحن الكفلا بكل منعة من الله تصيبكم فذلك قوله تعالى
ولنحمل خطاياكم اى اوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا
خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل وما هم بحاملين من خطاياهم
من شي اى اوزارهم والمعنى وان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم
فاكذبهم الله تعالى فقال عز وجل انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم
اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم اى اوزار
من اضلوا وصدوا عن سبيل الله واوزار انفسهم فان قلت
قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شي وقال ههنا
وليحملوا اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت
معناه انهم لا يرفعون عنهم خطية بل كل واحد يحمل خطية نفسه
ورؤسا الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب اضلال
غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيئة
كان عليه وزرها ووزر من يعملها الى يوم القيامة من بعده من

غير

غير ان ينتقص من اوزارهم شي رواه مسلم وليسألن يوم القيامة
عما كانوا يفترون اى سؤال تقريع وتوبيخ لانه تعالى عالم باعمالهم
وافترايهم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم
اى اقام فيهم يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وتوحيده الف سنة
الا خمسين عاما فان قلت ما فايدة هذا الاستثنا وهلا قال
تسعماية وخمسين سنة قلت فيه فايدتان احداهما ان الاستثنا
يدل على التحقيق وتركه وقد يظن به التقريب فهو كقول القايل
عاش فلان ماية سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال ماية سنة الا
شهرا او الا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفايدة
الثانية هي ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا واعلى مراتب
العدد الف سنة وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه
اعظم وافخم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ان الانبيا قد
ابتلوا قبله وان نوحا لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه
فصبر في الدعا ولم يومن من قومه الا قليلا فانت اولى بالصبر
لقلة مدة لبثك وكثرة من امن من امتك قال ابن عباس
بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا
خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين حتى كثر الناس فكان
عمره الفا وخمسين سنة وقيل في عمره ذلك وقوله تعالى فاخذهم
الطوفان اى فاغرقهم وهم ظالمون قال ابن عباس وهم مشركون
فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها اي
السفينة اية اى عبرة للعالمين قيل انها بقيت على الجودي مدة
مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة قوله عز وجل وابراهيم
اى وارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي
اطيعوا الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اى ما هو خير
لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون انما تعبدون من دون الله
اوثانا وتخلقون افكا اى تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما
بايديكم وتسمونها الهة ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
اى لا يقدرون ان يرزقوكم لكم رزقا فابتغوا اى فاطلبوا عند الله
الرزق فانه القادر على ذلك فاعبدوه اى وحدوه واشكروا له
لانه المنعم عليكم اليه ترجعون اى في الاخرة وان تكذبوا فقد كذب
امم من قبلكم اى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله
وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى اولم يروا قيل هذه
الايات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل ان يكون من تمام قول

ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة من قصة ابراهيم
وفي تذكر اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا يعلموا كيف يبدئ
الله الخلق اي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يعيده اي
في الاخرة وعند البعث ان ذلك على الله يسير اي الخلق الاول
والخلق الثاني قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق
اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا الخلق خلقهم ثم الله ينشئ
النشاة الاخرة اي ثم ان الله الذي خلقهم ينشيهم نشاة ثانية
بعد الموت والمعنى فكما لا يتعذر عليه احداثهم مبدا كذلك لا
يتعذر عليه انشاوهم معيدا بعد الموت ثانيا على كل شي قدير
اي من البداة والاعادة يعذب من يشا عدلا منه ويرحم من يشا
تفضلا واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا
في السما قيل معناه ولا من في السما بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل
الارض في الارض ولا اهل السما في السما وقيل معنى قوله ولا في السما
اي لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولي اي يمنعكم ولا نصير
اي ينصركم من عذابي والذين كفروا بايات الله يعني القران
ولقايه اي البعث اوليك يئسوا من رحمتي يعني الجنة واوليك
لهم عذاب اليم فهذا اخر الايات في تذكير اهل مكة ثم عاد
الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قاله
الرؤسا للاتباع اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي بان
جعلها عليه بردا وسلاما قيل ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يصدقون وقال يعني ابراهيم
لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة
الدنيا اي ثم ينقطع ولا ينفع في الاخرة وقيل معناه انكم تتوادون
على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا تتبرا الاوثان من عابديها
وتتبرا القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة وماواكم النار
يعني العابدين والمعبودين جميعا وما لكم من ناصرين اي مانعين
من عذابه فامن له لوط اي صدقه برسالته لما راى معجزاته وهو
اول من صدق ابراهيم واما في اصل التوحيد فانه كان مومنا لان
الانبيا لا يتصور منهم الكفر وقال يعني ابراهيم اني مهاجر الى ربي
الى حيث امرني ربي فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران
ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر

الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه
قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة انه هو العزيز الذي لا يغلب
والذي يمنعني من اعداي الحكيم الذي لا يامرني الا بما يصلحني
قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من
نسله واتيناه اجره في الدنيا هو الثنا الحسن فكل اهل الاديان
يتولونه ويحبونه والصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله
هذا له في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في زمرة
الصالحين قال ابن عباس مثل ادم ونوح قوله عز وجل ولوطا
اذ قال لقومه اينكم لتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة
ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها احد قبلكم ثم
فسر الفاحشة فقال اينكم لتاتون الرجال يعني انكم تقضون
الشهوة من الرجال وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا ياتون
الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل
ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النسا
وتاتون في ناديكم المنكر اي مجالسكم والنادي مجلس القوم ه
ومتحدثهم عن ام هاني بنت ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون
منهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الحذف هو رمي
الحصا بين الاصابع وقيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل
منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه
قال انا اولى به وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة
دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل
انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم • وعن عبد الله بن سلام كان يبزق
بعضهم على بعض • وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف
الاصابع بالحنا وحل الازار والصفير والحذف والرمي بالجلاهق
واللوطية فما كان جواب قومه اي لما انكر عليهم لوط ما ياتونه
من القبايح الا ان قالوا يعني استهزاء ايتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين اي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال رب انصرني
على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم قوله
عز وجل ولما جات رسلنا ابراهيم بالبشرى يعني من الله باسحاق
ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني قوم لوط
والقرية سدوم ان اهلها كانوا ظالمين قال يعني ابراهيم اشفاقا

على لوط وليعلم حاله ان فيها لوطا قالت الملائكة قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي من
الباقين في العذاب ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي ظنهم
من الانس فخاف عليهم معناه انه جاءه ما ساءه وضاق بهم ذرعا
اي عجز عن تدبير امرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف اي من قومك
ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك اي انا مهلكوهم ومنجوك واهلك
الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا اي عذابا من السماء قيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا
يفسقون ولقد تركنا منها اي من قريات لوط اية بينة اي عبرة
ظاهرة لقوم يعقلون يعني افلا يتدبرون الايات تدبير ذوي
العقول قال ابن عباس الاية البينة اثار منازلهم الخربة وقيل
هي الحجارة وقيل هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها
اوايل هذه الامة وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله
تعالى والى مدين اي وارسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم
المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى قرية مدين
واولاده وعلى القول الثاني وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر اي افعلوا فعل من
يرجوا اليوم الاخر وقيل معناه اخشوا اليوم الاخر وخافوه ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وذلك
ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
اي باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا
وقد تبين لكم يا اهل مكة من مساكنهم اي من منازلهم بالحجر واليمن
وزين لهم الشيطان اعمالهم اي عبادتهم لغير الله فصدهم عن
السبيل اي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين اي عقلاء ذوي بصاير
وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم
على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقارون
وفرعون وهامان اي اهلكنا هولاء ولقد جاءهم موسى بالبينات
اي بالدلالات الواضحات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين
اي فايتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصا وهي الحصا الصغار ومنهم من اخذته
الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه
ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله
ليظلمهم اي بالهلاك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بالاشراك قوله

عز

عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام
يرجون نفعها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوي
اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهاء لا يدفع عنها حرا ولا بردا
فكذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل
ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المومن الذي يعبد الله
مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل يبني بيتا
باجر وجص او ينحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا استقر
يتها دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت اشارة الى ضعفه فان الريح اذا
هبت عليه او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان
اوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان
لو كانوا يعلمون اي ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية
من الوهن ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء هذا توكيد
للمثل وزيادة عليه يعني ان الذين تدعون من دونه ليس بشيء
وهو العزيز الحكيم معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة
الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة من ليس
بشيء اصلا وتلك الامثال اي الاشباه يعني امثال القران التي
شبه بها احوال الكفار من هذه الامة باحوال كفار الامم السابقة
نضربها اي نبينها للناس اي لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون
يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل
روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى
الله عليه وسلم تلى هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق
اي للحق واظهار الحق ان في ذلك لاية اي دلالة للمومنين على
قدرته وتوحيده قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب
يعني القران واقم الصلاة فان قلت لم امر بهذين الشيئين
تلاوة الكتاب واقام الصلاة فقط قلت لان العبادة
المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية
وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر
فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك
يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية ممكن التكرار فلذلك

امرتهما ان الصلاة تنهى عن الفحشا اى ما قبح من الاعمال والمنكر
اى لا يعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلاة منتهى
ومزدجر عن معاصى الله فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن
المنكر لم تزده صلاته من الله الا بعدا • وقال الحسن وقتادة من
لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من
داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصى والسيات كما روى
عن انس قال كان فتى من الانصار يصلى الصلوات مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيا الا ركبه فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما
فلم يلبث الا ان تاب وحسنت حالته • وقيل معنى الاية انه ما
دام فى صلاته فانها تنهاه عن الفحشا والمنكر ومنه قوله ان
فى الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القران وفيه ضعف
لتقدم ذكر القران وعلى هذا يكون معناه ان القران ينهاه
عن الفحشا والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل للنبى صلى الله
عليه وسلم قال ان رجلا يقرا القران الليل كله فاذا اصبح سرق
قال ستنهاه قراته وفى رواية انه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلى
بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته تردعه وعلى كل حال فان
المراعى للصلاة لابد ان يكون ابعد عن الفحشا والمنكر ممن لا يراعيها
ولذكر الله اكبر اى انه افضل الطاعات عن ابى الدردا قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطا الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم
قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله اخرجه الترمذى وله عن
ابى سعيد الخدرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل
اى العبادة افضل درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله
كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازى فقال لو ضرب بسيفه الكفار
والمشركين حتى ينكسر ويختضب فى سبيل الله دما لكان الذاكرون
الله كثيرا افضل منه درجة م عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قال وما المفردون يا رسول
الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد
الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للامر والنهى
وقيل المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره خ عن
ابى هريرة وابى سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملايكة وغشيتهم
الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان
اعرابيا قال يا رسول الله اى الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا
ولسانك رطب بذكر الله • وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر
ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن
عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطا ولذكر الله اكبر اى
لن يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون اى لا يخفى عليه
شى من امركم • قوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب اى
ولا تخاصموهم الا بالتى هى احسن اى القران والدعا الى الله
باياته والتنبيه على حججه واراد به من قبل الجزية منهم الا الذين
ظلموا منهم اى ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم
بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى الاية الا الذين
ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقيل
الاية منسوخة باية السيف وقولوا اى للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم
بشى مما فى كتبكم امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم
واحد ونحن له مسلمون خ عن ابى هريرة قال كان اهل الكتاب
يقرون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام
فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالذى انزل الينا وما انزل اليكم الاية قوله عز وجل
وكذلك اى كما انزلنا اليك الكتب انزلنا اليك الكتاب فالذين
اتيناهم الكتاب يومنون به يعنى مومنى اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واصحابه ومن هولا يعنى اهل مكة من يومن به وما يجحد
باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نبى والقران حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد
المعرفة وما كنت تتلوا يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتاب
اى من قبل ما انزلنا اليك الكتاب ولا تخطه بيمينك اى ولا تكتبه
والمعنى لم تكن تقرا ولم تكتب قبل الوحى اذا لارتاب المبطلون
معناه لو كنت تكتب او تقرا قبل الوحى اليك لارتاب المشركون من اهل
مكة وقالوا انه يقراه من كتب الاولين او ينسخه منها وقيل المبطلون
هم اليهود ومعناه انهم اذا شكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذى نجد
نعته فى التورية لا يقرا ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت
بل هو ايات بينات يعنى القران فى صدور الذين اوتوا العلم
يعنى المومنين الذين حملوا القران وقال ابن عباس يعنى محمدا صلى الله

سم •

عليه وسلم ذوايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب
لانهم يجدون نعته وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون
يعني اليهود وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه ايات من ربه
اي كما انزل على الانبيا من قبل وقيل اراد بالايات معجزات الانبيا
مثل ناقة صالح ومايدة عيسى ونحو ذلك قل انما الايات عند
الله اي هو القادر على انزالها اذا شا انزلها وانما انا نذير مبين
اي انما كلفني الانذار وليس انزال الايات بيدي اولم يكفهم انا
انزلنا هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه ايات من ربه قال اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم معناه ان القران معجزة
من تقدم من الانبيا لان معجزة القران تدوم على ممر الدهور والزمان
ثابتة لا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك يعني القران
لرحمة وذكرى لقوم يومنون اي تذكيرا وعظة لمن امن به وعمل
صالحا به قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا قال ابن عباس معناه
يشهد لي اني رسوله والقران كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة
الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات
والارض اي هو المطلع على امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم لا تخفى
عليه خافية والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقيل
بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل وكفروا
بالله فان قلت من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا
العطف فايدة غير التاكيد قلت نعم فايدته انه ذكر الثاني
لبيان قبح الاول فهو كقول القايل اتقول الباطل وتترك الحق لبيان
ان الباطل قبيح اولئك هم الخاسرون اي المغبونون في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك
بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة
من السما ولولا اجل مسمى قال ابن عباس ما وعدتك اني لا اعذب
قومك ولا استاصلهم واوخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل مدة اعمارهم
لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب
وليأتينهم يعني العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون
باتيانه يستعجلونك بالعذاب اعادة تاكيد وان جهنم لمحيطة
بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها يوم يغشاهم
العذاب اي يصيبهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا
ما كنتم تعملون اي جزا ما كنتم تعملون قوله تعالى يا عبادي الذين
امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون قيل نزلت في ضعفا مسلمي

اهل

اهل الكتاب يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان
فاخرجوا منها الى ارض المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا
عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل
الله تعالى هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل معناه هاجروا
فيها اي فجاهدوا فيها قال سعيد بن جبير اذا عملوا في الارض بالمعاصي
فاهربوا فان ارضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل
فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغييره ذلك ان يهاجر الى بلد يتهيا له فيها
العبادة وقيل معناه ان ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا كل
نفس ذايقة الموت اي كل واحد ميت خوفهم بالموت ليهون عليهم
فلا يقيموا ابدا دار الشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون فنجزيكم
باعمالكم قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوينهم من
الجنة غرفا اي علالي جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نعم اجر العاملين اي لله بطاعته الذين صبروا على
الشدايد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة
الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصايب وعلى الطاعات
وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون على الله في جميع
امورهم قوله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين الذين كانوا بمكة وقد اذاهم
المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس
لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من
دابة لا تحمل رزقها اي لا تدفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيا
لغد مثل البهايم والطير الله يرزقها واياكم حيث كنتم وهو السميع
اي لاقوالكم العليم بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول النهار جياعا ضامرة
البطون وتروح اخر النهار الى اوكارها شباعا ممتلية البطون ولا
تدخر شيا قال سفين بن عيينة ليس شي من خلق الله يخبا الا الانسان
والفارة والنملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها
الناس ليس من شي يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم
به وليس شي يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه
الا وان الروح الامين نفث في روعي الروع بضم الرا وبالعين المهملة
هو القلب والعقل وبفتح الرا هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن

ابراهيم الروع اى الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطا الرزق ان تطلبوا بمعاصى الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله عز وجل **ولين سالتهم** يعنى كفار مكة **من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر** ذكر امرين احدهما اشارة الى اتحاد الذات والثانى اشارة الى اتحاد الصفات وهى الحركة فى الشمس والقمر **ليقولن الله فانى يوفكون** قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض **الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده** لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقايه وكماله بقا الخلق بالرزق فالله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان **ويقدر له** اى يضيق عليه اذا شا **ان الله بكل شى عليم** اى يعلم مقادير الحاجات ونقادير الارزاق **ولين سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله** ذكر سبب الرزق وموجد السبب وموجد المسبب فالرزق من الله تعالى **قل الحمد لله** اى على ان الفاعل لهذه الاشيا هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم **بل اكثرهم لا يعقلون** اى انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشيا قوله تعالى **وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب** اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث وفى هذا تصغير الدنيا وازدرايها ومعنى الاية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون **وان الدار الاخرة لهي الحيوان** اى الحياة الدايمة الخالدة التى لا موت فيها **لو كانوا يعلمون** فنا الدنيا وبقا الاخرة لما اثروا الفانى على الباقى قوله عز وجل **فاذا ركبوا فى الفلك** معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك وخافوا الغرق **دعوا الله مخلصين له الدين** اى تركوا الاصنام ولجوا الى الله بالدعا له **فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون** اى عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كانوا اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح القوها فى البحر وقالوا يا رب يا رب **ليكفروا بما اتيناهم** اى ليجحدوا نعمة الله فى اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد **وليتمتعوا** معناه لا فايدة لهم فى الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به

فى العاجلة ولا نصيب لهم فى الاخرة **فسوف يعلمون** يعنى عاقبة امرهم فقيه تهديد ووعيد قوله عز وجل **اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم** يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا واهل مكة امنون **افبالباطل يومنون** يعنى الشيطان والاصنام يومنون **وبنعمة الله** اى بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام **يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** اى فزعم ان له شريكا وانه منزه عن الشركا **او كذب بالحق** اى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين** معناه اما لهذا الكافر الكذاب ماوى فى جهنم قوله عز وجل **والذين جاهدوا فينا** معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا **لنهدينهم سبلنا** لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطريق المستقيمة وهى التى توصل الى رضا الله تعالى • قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى • وقال الفضل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا **وان الله لمع المحسنين** اى بالنصر والمعونة فى دنياهم وبالثواب والمغفرة فى عقباهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الروم وهى مكية

وهى ستون اية وثمان ايات وتسعة عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسماية واربع وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الم غلبت الروم فى ادنى الارض** سبب نزول هذه الاية ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريزان وبعث قيصر جيشا وامر عليهم رجلا يدعى بحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهى ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين فشق عليهم وفرح به كفار مكة • وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان

قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الايات فخرج ابو بكر
الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا
فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت
يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة بالحا
المهملة القمار والمراهنة اي اراهنك على عشرة قلايص مني
وعشرة قلايص منك فاذا ظهرت الروم على فارس غرمت واذا
ظهرت فارس على الروم غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث
سنين فجا ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك قبل
تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت
انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر وماده
في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا
فتعال ازايدك في الخطر وامدك في الاجل فاجعلها ماية قلوص
ومابة قلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف
ان يخرج من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة
فقم لي ضامنا كفيلا فكفله له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد
ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال
لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى
احد ثم رجع ابي بن خلف ومات بها من جراحته التي جرحه
النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية
وذلك على راس سبع سنين من مناحبتهم • وقيل كان يوم بدر وربطت
الروم خيولهم بالمداين وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر
ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجا به النبي صلى الله عليه
وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق
به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قاله عكرمة وغيره ان شهرما
لما غلب الروم ولم يزل يطاهم ويخرب مداينهم حتى بلغ الخليج فبينا
اخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رايت كاني
جالس على سرير كسري فبلغت كلمته الى كسري فكتب الى شهرمان اذا
اتاك كتابي فابعث لي براس اخيك فرخان فكتب اليه ايها الملك انك
لم تجد مثل فرخان ان له نكاية كنانة وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب
اليه ان في رجال فارس خلفا عنه فعجل علي براسه فراجعه فغضب
كسري ولم يجبه وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد عزلت عنكم
شهرمان واستعملت عليكم فرخان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة

وامره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له اخوه
فاعطه الصحيفة فلما دلى وصل البريد الى شهرمان وعرض عليه
كتاب كسري فلما قراه قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره الملك
واجلس عليه اخاه فرخان فرفع البريد الصحيفة الى فرخان فلما
قراها استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا
تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعى بسفط ففتحه واعطاه
ثلاث صحايف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسري وانت تريد
قتلي بكتاب واحد فرد فرخان الملك الى اخيه شهرمان فكتب الى
قيصر ملك الروم اما بعد ان لي اليك حاجة لا تحملها البريد ولا
تبلغها الصحف والقني في خمسين روميا حتى القاك في خمسين فارسيا
فاقبل قيصر في خمسماية الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه
في الطرق مخافة ان يريد ان يمكر به حتى اتاه عيونه فاخبروا انه
ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج
فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال
شهرمان ان الذين خربوا بلادك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان
كسرى حسدنا واراد ان يقتل اخي فابيت عليه ثم امر اخي بقتلي
فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد اصبتما
واشار احدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشى
فقتلا الترجمان معا بسكينتهما فادلت الروم على فارس عند ذلك
وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجا الخبر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك
فذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض يعني قرب ارض
الروم الى فارس • وقيل هي اذرعات • وقيل الاردن • وقيل الجزيرة •
وهم من بعد غلبهم اي الروم بفارس اي فارس عليهم سيغلبون
اي الروم بفارس في بضع سنين البضع ما بين الثلاثة الى التسع
وقيل ما دون العشرة لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل دولة
الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله تعالى وقضايه
وقدره ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله اي للروم على فارس ه
وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون بظهورهم على المشركين
يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ينصر من
يشا اي بيده النصر ينصر من يشا وهو العزيز الغالب الرحيم اي
بالمومنين قوله تعالى وعد الله اي وعد الله وعدا بظهور الروم على
فارس لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ان الله

لايخلف وعده ثم قال تعالى **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا**
يعني امر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون يعني يغرسون ويزرعون
ويحصدون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره
فيذكر وزنه لا يخطي وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا
بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون
باطنها ولا مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر
ولا يعلمون فناها **وهم عن الاخرة هم غافلون** اي ساهون عنها لا
يتفكرون فيها ولا يعملون بها **قوله عز وجل** **اولم يتفكروا في انفسهم**
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاقامة
الحق **واجل مسمى** اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو
يوم القيمة **وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا**
في الارض اي يسافروا فيها **فينظروا كيف كان عاقبة الذين**
من قبلهم اي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا **كانوا**
اشد منهم قوة واثاروا الارض اي حرثوها وقلبوها للزراعة
وعمروها يعني الامم الخالية **اكثر مما عمروها** يعني اهل مكة **وجاءتهم**
رسلهم بالبينات اي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله **فما كان الله ليظلمهم**
اي ينقص حقوقهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** اي يبخس حقوقهم
ثم كان عاقبة الذين اساؤا اي اساوا العمل فاستحقوا **السوء**
يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوءى اسم لجهنم ومعنى
الاية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار **ان كذبوا** اي لانهم كذبوا
وقيل معنى الاية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيات
على ان كذبوا **بايات الله وكانوا بها يستهزؤن** قوله عز وجل
الله يبدؤا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتدا ثم يعيدهم بعد
الموت احيا **ثم اليه ترجعون** اي فيجزيهم باعمالهم **ويوم تقوم**
الساعة يبلس المجرمون قيل معناه انه ييئس من كل خير وقيل
ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون **ولم يكن لهم من شركائهم**
يعني اصنامهم التي عبدوها **شفعاء** اي يشفعوا لهم **وكانوا**
بشركائهم كافرين اي جاحدين متبريين يتبراون منها وتتبراء
منهم **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** اي يتميز اهل الجنة
من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل
النار اهل النار فلا يجتمعون ابدا وهو قوله تعالى **فاما الذين**
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة اي في جنة وقيل الروضة
البستان الذي هو في غاية النضارة **يحبرون** قال ابن عباس يكرمون

وقيل

وقيل يتنعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو
السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس احد من خلق الله احسن صوتا
من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات
صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة
الا وردت وسال اباهريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم
شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة واثمارها اللولوء
والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فتجاوب بعضها بعضا
فما يسمع احد احسن منه **واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء**
الاخرة اي البعث يوم القيمة **فاولئك في العذاب محضرون**
قوله عز وجل **فسبحان الله** يعني اي فسبحوا الله ومعناه
صلوا الله **حين تمسون** اي تدخلون في المسا وهو صلاة المغرب
والعشا **وحين تصبحون** اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح
وله الحمد في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات
والارض ويصلون له **وعشيا** اي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر
وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال
نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلاة الخمس في القران قال
نعم وقرا هاتين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها
واعلم ان ما خص هذه الاوقات بالتسبيح وذلك ان افضل
الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته
الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير
ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وامره بها في
اول النهار ووسطه واخره وفي اول الليل واخره فاذا صلى العبد
ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات
وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس
في اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار
بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم
والنايم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح
والعبادة **فصل في فضل التسبيح** **عن** ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده
في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان
الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد
قال مثل ما قال او زاد عليه اخرجها الترمذي وقال فيهما حسن صحيح

ق عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا
الحديث اخرجه في صحيح البخاري م عن جويرية بنت الحارث
زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها فرجع
بعدما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت
بعد قالت نعم فقالت لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرار
لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه
ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته م عن سعد بن ابي
وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فسال سايل من
جلسائه كيف يكسب الف حسنة قال يسبح ماية تسبيحة
فيكتب له الف حسنة او يحط عنه الف خطية وفي غير رواية
مسلم ويحط بغير الف قوله عز وجل يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي اى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج
الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج
البيضة من الدجاجة وقيل يخرج المومن من الكافر ويخرج
الكافر من المؤمن ويحيي الارض بعد موتها اى بالمطر واخراج
النبات منها وكذلك تخرجون اى مثل اخراج النبات من
الارض تخرجون من القبور احيا للبعث والحساب ومن اياته
ان خلقكم من تراب اى خلق ادم وحوا وهو اصلكم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى تنبسطوا في الارض ومن اياته
ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اى من جنسكم من بني ادم
وقيل خلق حوى من ضلع ادم لتسكنوا اليها اى لتميلوا الى
الازواج وتالفوهن وجعل بينكم مودة ورحمة اى جعل بين
الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير
سابقة معرفة ولا مراقبة ولا سبب يوجب التعاطف ولا
شى احد من احدهما الى الاخر من غير رحم بينهما الا الزوجان
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اى في عظمة الله وقدرته
ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم يعني
اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد
اجناس النطق واشكاله خالف بينهما حتى لا يكاد يسمع منطقين

متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حايل لعرف كل واحد منهم
لنطقه ونغمته لا يشبه صوت احد صوت الاخر والوانكم
اى ابيض واسود واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان
وانتم بنوا رجل واحد وهو ادم والحكمة في اختلاف الاشكال
والاصوات للتعارف ليعرف كل واحد شكله وحليته وصوته
فلو اتفقت الصور والاصوات وتشاكلت لكانت ضربا واحدا
لوقع التجاهل والالتباس وتعطلت مصالح كثيرة وليعرف
صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقرابة من البعيد
فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل
على سعة القدرة وكمال العظمة ان في ذلك لايات للعالمين
اى لعموم العلم فيهم ومن اياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاوكم من فضله اى منامكم بالليل للراحة وابتغاوكم
من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون اى سماع تدبر واعتبار ومن اياته
يريكم البرق خوفا وطمعا اى للمسافر ليستعد للمطر وينزل اى
المطر للمقيم يستعد المحتاج اليه من اجل الزرع وتسوية طرق
المزارع المصانع من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اى قدرة الله وانه القادر
عليه ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره قال ابن عباس
وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ثم
اذا دعاكم دعوة من الارض قال ابن عباس من القبور اذا انتم
تخرجون اى منها وقيل معنى الاية ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم
تخرجون من الارض وله من في السموات والارض كل له قانتون
اى مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقا
والموت والبعث وان عصوا في العبادة وهو الذى يبدا
الخلق ثم يعيده اى يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث
وهو اهون عليه اى هو هين عليه وما من شى عليه بعزيز وقيل
معناه وهو ايسر عليه فان الذى يقع في عقول الناس ان الاعادة
تكون اهون من الانشا وقيل هو اهون على الخلق لانهم لم
يقومون بصيحة واحدة فيكونون اهون عليه من ان يكونوا
نطفا ثم علقا ثم مضغة الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية
عن ابن عباس وله المثل الاعلى اى الصفة العليا قال ابن
عباس ليس كمثله شى وقيل انه لا اله الا هو في السموات والارض

وهو العزيز اي في ملكه الحكيم اي في خلقه قوله عز وجل
ضرب لكم مثلا اي بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل من انفسكم
اي بين المثل فقال تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم اي عبيدكم
واماؤكم من شركاء فيما رزقناكم اي المال فانتم فيه سواء اي هل
يشارككم عبيدكم في اموالكم التي اعطيناكم تخافونهم كخيفتكم
انفسكم اي تخافون ان يشاركوكم في اموالكم ويقاسموكم كما يخاف
الحر شريكه في المال بينهما ان ينفرد فيه بامر دون شريكه وكما
يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال
ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم
تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف رضيتم
ان تكون آلهتكم التي تعبدونها شركاي وهم عبيدي كذلك
نفصل الايات اي الدلايل والبراهين والامثال لقوم يعقلون
اي ينظرون في هذه الدلايل والامثال بعقولهم بل اتبع
الذين ظلموا اي اشركوا بالله اهواءهم اي في الشرك بغير علم
جهلا مما يجب عليهم فمن يهدي من اضل الله اي عن طريق
الهدى وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم من عذاب
الله قوله عز وجل فاقم وجهك للدين اي اخلص دينك
لله عز وجل وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه الانسان
ودينه وعمله الى سيده حنيفا اي مايلا اليه مستقيما عليه
فطرة الله اي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله التي فطر
الناس عليها قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة
الدين وهو الاسلام ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا على الفطرة ثم يقول
اقرؤوا فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم
زاد البخاري فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة
اقرؤوا فطرة الله الاية ولهما في رواية قالوا يا رسول الله افرايت
من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله ما من
مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ الله
عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على
ذلك الاقرار وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان
عبد غيره قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله ولكن الاعتبار بالايمان الشرعي المامور

به

به المكتسب بالارادة والعقل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه
وينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطري فانه محكوم له بحكم ابويه
الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
اخبر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك انه قال معنى الحديث
ان كل مولود يولد على فطرته اي خلقته التي خلقه الله عليها
في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صاير في
العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل
لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين او
نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود
في مبدا الخلق على الفطرة اي على لزومها لان هذا الدين موجود
حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره
لآفة من آفات النشو والتقليد فمن سلم من تلك الآفات لم
يعتقد غيره ثم تمثل باولاد اليهود والنصارى واتباعهم
لآبائهم والميل الى اديانهم فينزلون بذلك على الفطرة والحجة
المستقيمة قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء اي كما تلد البهيمة
بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شيء • قوله هل تحسون من
جدعاء وهي المقطوعة الاذن والانف • وقوله عز وجل لا تبديل
لخلق الله اي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الاية الزموا فطرة
الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى الاية لا تبديل لخلق
الله وهو ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا
يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الاية في تحريم
اخصاء البهايم ذلك الدين القيم اي المستقيم ولكن اكثر
الناس لا يعلمون قوله عز وجل منيبين اليه اي فاقم وجهك
انت وامتك منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه
وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين اليه بالتوبة ومقبلين
اليه بالطاعة واتقوه اي ومع ذلك خافوه واقيموا الصلاة
اي داوموا على ادائها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين من
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا اي صاروا فرقا مختلفة وهم
اليهود والنصارى وقيل هم اهل البدع من هذه الامة كل
حزب بما لديهم فرحون اي راضون بما عندهم قوله تعالى واذا مس
الناس ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم منيبين اليه اي مقبلين
اليه بالدعاء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي خصب ونعمة اذا فريق منهم

جريهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم اى ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا
اى تهديد ووعيد خاطب به الكفار فسوف تعلمون اى حالكم فى هذه
الاخرة ام انزلنا عليهم سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل
كتابا فهو يتكلم اى ينطق بما كانوا به يشركون اى لشركهم ويامرهم به
واذا اذقنا الناس رحمة اى الخصب وكثرة المطر فرحوا بها اى
فرحوا وبطروا وان تصبهم سيئة اى جدب وقلة مطر وقيل خوف
وبلا بما قدمت ايديهم من السيات اذا هم يقنطون اى ييئسون
من رحمة الله وهذا خلاف وصف المومن فانه يشكر ربه عند
النعمة ويرجوه عند الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشا
ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم يومنون تقدم تفسيره قوله عز
وجل فات ذا القربى حقه اى من البر والصلة والمسكين اى
حقه وهو التصدق عليه وابن السبيل اى يطلبون ثواب الله بما
كانوا يعملون واولئك هم المفلحون قوله عز وجل وما اتيتم اى
اعطيتم من ربا ليربوا فى اموال الناس اى فى اجتلاب اموال الناس
واجتذابها قيل فى معنى الاية هو الرجل يعطى غيره العطية ليثيبه
اكثر منها فهو جايز حلال ولكن لا يثاب عليها فى القيمة وهذا
قوله فلا يربوا عند الله وكان هذا حراما على النبى خاصة لقوله
تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل
هو الرجل يعطى صديقه وقريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله
وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له
ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربوا عند الله
لانه لم يرد بعمله وجه الله وما اتيتم من زكاة اى اعطيتم من صدقة
تريدون وجه الله اى بتلك الصدقة فاولئك هم المضعفون
اى يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها فالمضعف
ذو الاضعاف من الحسنات قوله عز وجل الله الذى خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شى
سبحانه وتعالى عما يشركون تقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد
فى البر والبحر اى بسبب الشرك والمعاصى ظهر قحط المطر وقلة
النبات فى البرارى والبوادى والمفاوز والقفار والبحر قيل
المداين والقرى التى هى على المياه الجارية والعرب تسمى المصر بحرا
تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض فى
الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما يوثر فى
البر يخلوا اجواف الاصداف من اللولو وذلك لان الصدف

اى المثابون وقيل هو المضعف
ذلك خير للذين يريدون
وجه الله

اذا جا المطر تفتح على وجه الما وتفتح افواهها فما وقع فيه من المطر صار
لولوا بما كسبت ايدي الناس اى بسبب شوم ذنوبهم قال ابن
عباس الفساد فى البر قتل احد بنى ادم اخاه وفى البحر غصب الملك
الجاير السفينة وقيل كانت الارض خضرة مونقة لا ياتى ابن ادم شجرة
الا وجد عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا يصيد البقر والغنم
فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ما
البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلات
ظلما وضلالة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع
راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة ليذيقهم بعض
الذى عملوا لعلهم يرجعون اى عقوبة الذى عملوا من الذنوب
لعلهم يرجعون اى عن الكفر واعمالهم الخبيثة قل سيروا فى الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اى لتروا منازلهم ومساكنهم
خاوية كان اكثرهم مشركين اى فاهلكوا بكفرهم قوله عز وجل
فاقم وجهك للدين القيم اى لدين الاسلام من قبل ان ياتى يوم
لا مرد له من الله يوم القيمة لا يقدر احد على رده من الخلق يومئذ
يصدعون اى يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى من كفر فعليه
كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يوطيون عن
المضاجع ويسوونها فى القبور ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات
من فضله قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا اكثر من اعمالهم
انه لا يحب الكافرين فيه تهديد ووعيد لهم قوله تعالى ومن
اياته ان يرسل الرياح مبشرات اى تبشر بالمطر وليذيقكم من
رحمته اى بالمطر وهو الخصب ولتجرى الفلك اى بهذه الرياح
بامره ولتبتغوا من فضله اى لتطلبوا رزقه بالتجارة فى البحر
ولعلكم تشكرون اى هذه النعم قوله عز وجل ولقد ارسلنا
من قبلك رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات اى بالدلالات الواضحات
على صدقهم فانتقمنا من الذين اجرموا يعنى انا عذبنا الذين
كذبوهم وكان حقا علينا نصر المومنين اى مع انجائهم من
العذاب ففيه تبشير للنبى صلى الله عليه وسلم بالظفر فى العاقبة
والنصر على الاعدا عن ابى الدردا قال سمعت النبى صلى الله
عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله
ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلى هذه الاية وكان حقا
علينا نصر المومنين اخرجه الترمذى ولفظه من رد عن عرض اخيه
رد الله عن وجهه النار يوم القيمة وقال حديث حسن قوله عز وجل

الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا اي ينشره فيبسطه في السما
كيف يشا يعني مسيرة يوم او يومين او اكثر على ما يشا ويجعله
كسفا اي قطعا متفرقة فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله
اي من وسطه فاذا اصاب به اي بالودق من يشا من عباده اذا
هم يستبشرون اي يفرحون بالمطر وان كانوا اي وقد كانوا من
قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي ايسين فانظروا الى اثر
رحمة الله اي المطر والمعنى انظروا الى حسن تاثيره في الارض وهو قوله
تعالى كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان
الذي احيا الارض بعد موتها قادر على احيا الموتى وهو على كل شي
قدير ولين ارسلنا ريحا فراوه مصفرا اي الزرع بعد الخضرة
لظلوا من بعده يكفرون اي من بعد اصفرار الزرع يكفرون
اي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب
واذا ارسلت عذابا على زرعهم يجحدوا سالف نعمتي فانك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون
تقدم تفسيره قوله عز وجل الله الذي خلقكم من ضعف اي
مبدوكم ومنشاكم على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو اشارة
الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه
احوال غاية الضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة اي من بعد
ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
اي هرما وشيبة وهو تمام النقصان يخلق ما يشا اي من الضعف
والقوة والشباب والشيبة ليس ذلك من افعال الطبيعة بل
بمشية الله وقدرته وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشا
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اي يحلف المشركون
ما لبثوا اي في الدنيا غير ساعة معناه انهم استقلوا اجل الدنيا
لما عاينوا الاخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كذلك
كانوا يوفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا
في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث
والمعنى ان الله اراد ان يفضحهم فحلفوا على شي تبين لاهل الجمع
انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضا الله وقدره ثم ذكر انكاره
المومنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اي فيما كتب الله عليكم
في سابق من اللبث في القبور وقيل معنى الاية وقال الذين اوتوا

العلم

العلم في كتاب الله والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا
للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث اي في قبوركم فهذا يوم البعث
الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون اي وقوعه في
الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى فيومئذ لا تنفع
الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون اي لا تطلب منهم العتبى
والرجوع في الاخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لانها
لا تقبل منهم قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار
ولين جيتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون يعني
ما انتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد **فان قلت** ما معنى
توحيد الخطاب في قوله ولين جيتهم باية والجمع في قوله ان انتم الا
مبطلون **قلت** فيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ولين جيتهم
بكل اية جات بها الرسل ويمكن ان يقال معناه انكم كلكم ايها الرسل
مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اي توحيد
الله فاصبر ان وعد الله حق اي في نصرك واظهارك على عدوك
ولا يستخفنك اي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفنك رايك
وجهلك الذين لا يوقنون اي بالبعث والحساب والله اعلم

تفسير سورة لقمان مكية

وهي اربع وثلاثون اية وخمسماية وثمان واربعون كلمة والفان ومائة
وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة
للمحسنين اي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم الذين يقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون اوليك على
هدى من ربهم واوليك هم المفلحون قوله تعالى ومن الناس
من يشتري لهو الحديث الاية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة
وكان يتجر فياتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول
ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القران فانزل الله هذه الاية وقيل هو شرى القينات والمغنيين
ومعنى الاية ومن الناس من يشتري ذات لهو او ذا لهو الحديث
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن
حرام وفي مثل هذا انزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث

ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله
له شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالا
يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت اخرجه الترمذي
وهذا لفظه • عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا
خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا انزلت ومن الناس
من يشترى لهو الحديث الاية • وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار • وقال مكحول من اشترى جارية
ضرابة ليمسكها لغنايها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه
ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية وعن ابن
مسعود والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو
الغنا والاية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغنا والمزامير
والمعازف على القران وقال ابو الصهبا فقال ابن مسعود عن هذه
الاية فقال هو الغنا والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات
وقال ابراهيم النخعي الغنا ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب
وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل الله اى عن دين الاسلام وسماع
وسماع القران بغير علم اي يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلاله له
ان يختار حديث الباطل على حديث الحق ويتخذها هزوا اى يتخذ
ايات الله مزحا اوليك يعنى الذين هذه صفتهم لهم عذاب مهين
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اى لا يعتنى بها ولا يرفع بها
راسا كان لم يسمعها اى يشبه حاله في ذلك بحال من لم يسمعها
وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيها فبشره بعذاب
اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين
فيها وعد الله حقا يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف
الميعاد وهو العزيز الحكيم قوله عز وجل خلق السموات بغير عمد
قيل ان السما خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول المفسرين
وهي في الفضا والفضا لا نهاية له وكون السما في بعض دون بعض
ليس ذلك الا بقدرة قادر ومختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد
ترونها اى ليس هي يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول
وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان احدهما
انه راجع الى السموات اى ليس بعمد انتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه
الثاني انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقى في الارض
رواسى ان تميد بكم ليلا تتحرك بكم وبث فيها اى في الارض من كل دابة

اى

اي يسكنون فيها وانزلنا من السما ما يعني المطر وهو من انعام
الله على عباده وفضله فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل
صنف حسن هذا يعنى الذي ذكرت مما خلق الله خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه اى الهتكم التى تعبدونها بل الظالمون
في ضلال مبين قوله عز وجل ولقد اتينا لقمان الحكمة قيل
هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارح وهو ازر وقيل كان ابن اخت
ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى ادرك
داود وقيل انه كان قاضيا في بنى اسرايل واتفق العلما على انه
كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة قال كان نبيا وقال خير بين
النبوة والحكمة فاختار الحكمة • وروى انه كان نايما نصف الليل
فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك خليفة في الارض فتحكم بين
الناس فاجاب الصوت ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلا
وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان الله ان فعل بي ذلك
اعانني وعصمني فقالت الملايكة بصوت لا يراهم يا لقمان قال
ان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان
عدل فبالحري ان ينجو وان اخطا طريق الجنة ولم يكن في الدنيا
ذليل خيرا من ان يكون شريفا ومن يختار الدنيا على الاخرة تفتنه
الدنيا ولم يصب الاخرة فتعجبت الملايكة من حسن منطقه فنام
نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده
فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان يوازره داود لحكمته وقد كان
لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خطابا وقيل كان راعي غنم فروى
انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعي قال نعم
قال فما بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنيني وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين
وقيل خيار السود ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان
والنجاشي رابعهم اوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به
ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما • وقيل الحكمة المعرفة والاصابة
في الامور وقيل الحكمة شي يجعله الله في القلب ينوره كما ينور
البصر فيدرك المبصر وقوله ان اشكر لله وذلك لان المراد من
العلم العمل به والشكر عليه ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي عليه
يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ومن كفر عليه يعود وبال كفره
فان الله غني اي غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد اى هو حقيق
بان يحمد وان لم يحمده احد قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه قيل اسمه

ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله
له شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالا
يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسكت اخرجه الترمذى
وهذا لفظه • عن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاتبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا
خير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام وفى مثل هذا انزلت ومن الناس
من يشترى لهو الحديث الاية • وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه
وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمارة • وقال مكحول من اشترى جارية
ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه
ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية وعن ابن
مسعود والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو
الغنا والاية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغنا والمزامير
والمعازف على القران وقال ابو الصهبا فقال ابن مسعود عن هذه
الاية فقال هو الغنا والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات
وقال ابراهيم النخعى الغنا ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب
وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل الله اى عن دين الاسلام وسماع
وسماع القران بغير علم اي يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلاله له
ان يختار حديث الباطل على حديث الحق ويتخذها هزوا اى يتخذ
ايات الله مزحا اوليك يعنى الذين هذه صفتهم لهم عذاب مهين
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اى لا يعتنا بها ولا يرفع بها
راسا كان لم يسمعها اى يشبه حاله فى ذلك بحال من لم يسمعها
وهو سامع كان فى اذنيه وقرا اى ثقلا ولا وقر فيها فبشره بعذاب
اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين
فيها وعد الله حقا يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف
الميعاد وهو العزيز الحكيم قوله عز وجل خلق السموات بغير عمد
قيل ان السما خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول المفسرين
وهى فى الفضا والفضا لا نهاية له وكون السما فى بعض دون بعض
ليس ذلك الا بقدرة قادر ومختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد
ترونها اى ليس هى يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لا تزول
وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى وفى قوله ترونها وجهان احدهما
انه راجع الى السموات اى ليس بعمد انتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه
الثانى انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقى فى الارض
رواسى ان تميد بكم لئلا تتحرك بكم وبث فيها اى فى الارض من كل دابة

اى يسكنون فيها وانزلنا من السما ما يعنى المطر وهو من انعام
الله على عباده وفضله فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل
صنف حسن هذا يعنى الذى ذكرت مما خلق الله خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه اى الهتكم التى تعبدونها بل الظالمون
فى ضلال مبين قوله عز وجل ولقد اتينا لقمان الحكمة قيل
هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارح وهو ازر وقيل كان ابن اخت
ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى ادرك
داود وقيل انه كان قاضيا فى بنى اسرايل واتفق العلما على انه
كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة قال كان نبيا وقال خير بين
النبوة والحكمة فاختار الحكمة • وروى انه كان نايما نصف الليل
فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين
الناس فاجاب الصوت ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم اقبل البلا
وان عزم على فسمعا وطاعة فانى اعلم ان الله ان فعل بى ذلك
اعاننى وعصمنى فقالت الملايكة بصوت لا يراهم يا لقمان قال
ان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان
عدل فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ولم يكن فى الدنيا
ذليلا خيرا من ان يكون شريفا ومن يختار الدنيا على الاخرة تفتنه
الدنيا ولم يصب الاخرة فتعجبت الملايكة من حسن منطقه فنام
نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده
فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان يوازره داود لحكمته وقد كان
لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى
انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعى قال نعم
قال فما بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنينى وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين
وقيل خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان
والنجاشى رابعهم اوتى الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به
ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما • وقيل الحكمة المعرفة والاصابة
فى الامور وقيل الحكمة شى يجعله الله فى القلب ينوره كما ينور
البصر فيدرك المبصر وقوله ان اشكر لله وذلك لان المراد من
العلم العمل به والشكر عليه ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اى عليه
يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ومن كفر عليه يعود وبال كفره
فان الله غنى اى غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد اى هو حقيق
بان يحمد وان لم يحمده احد قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه قيل اسمه

النعم وقيل شكر وهو يعظه وذلك لان اعلى مراتب الانسان ان يكون
كاملا في نفسه مكملا لغيره لقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله
اشارة الى كماله وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى
التكميل لغيره وبداء بالاقرب اليه وهو ابنه وبدا الى وعظه بالاهم
وهو المنع من الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم لان المثنوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها
ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها قوله عز وجل
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن قال
ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المراة اذا حملت توالى عليها
الضعف والشغف والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف
والرضاعة ضعف وفصاله في عامين اي فطامه في سنتين ان
اشكر لي ولوالديك الى المصير لما جعل الله بفضله للوالدين
صورة التربية الظاهرة وهو الوجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر
بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال والى المصير يعني
ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والاخرة وقيل لما
امره بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الي قال
سفيان بن عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر
ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
يعني ان اطاعتهما واجبة قال النخعي فان افضى ذلك الى الاشراك
فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق ك
وصاحبهما في الدنيا معروفا اي بالمعروف وهو البر والصلة
والعشرة الجميلة واتبع سبيل من اناب الي اي اتبع دين من اقبل
الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من اناب
الي يعني ابا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم
اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن
عوف وقالوا له صدقت هذا الرجل وامنت به قال نعم انه صادق
فامنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهولاء لهم
سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر ثم الي مرجعكم فانبئكم بما
كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل وذلك ان
ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد
كيف يعلمه الله قال يا بني انها اي الخطيئة ان تك مثقال حبة من
خردل اي في الصغر فتكن اي مع صغرها في صخرة قال ابن عباس

صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها اعمال الفجار وخضرة
السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت في
الماء والماء على ظهر صفات والصفات على ظهر ملك وقيل على ظهر
ثور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السماء
فكذلك قال او في السموات او في الارض والصخرة على متن الريح
والريح على القدرة او في السموات معناه الله عالم بها قادر على
استخراجها وهو قوله او في الارض اي باستخراجها يأت بها الله
اي بمكانها ومعنى الاية هو الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها
وقيل ان هذه الكلمة اخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من
هيبتها وعظمتها فمات ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلاة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك من الاذى
ان ذلك من عزم الامور يعني اقام العبادة والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي امر الله بها
ولا تصاعر وقرئ تصعر خدك للناس قال ابن عباس لا تتكبر
فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون
بينك وبينه احنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا اسلم
عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فيكون الفقير
والغني عندك سواء ولا تمش في الارض مرحا اي خيلاء ان الله لا يحب
كل مختال في مشيه فخور اي على الناس واقصد في مشيك اي ليكن
في مشيتك قصدا بين الاسراع والتاني اما الاسراع فهو من الخيلا
واما التاني وهو ان يرى في نفسه الضعف تزهدا فكلا الطرفين
مذموم بل يكون مشيك بين السكينة والوقار واغضض اي اخفض
وقيل انقص من صوتك ان انكر اي اقبح الاصوات لصوت الحمير
لان اوله زفير واخره شهيق وهما صوت اهل النار وعن الثوري
هذه الاية قال صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل في معنى الاية هي
العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف باب
من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه
كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتني
باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه اخرى
وقال له اذبحها وائتني باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان
والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث
منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس
وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا

قوله عز وجل الم تران الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض
واسبغ اى اتم واكمل عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن عباس
النعمة الظاهرة الاسلام والقران والباطنة ما ستر عليكم من
الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضا
وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب • وقيل الظاهرة
الرزق والباطنة حسن الخلق • وقيل الظاهرة تخفيف الشرايع
والباطنة الشفاعة • وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر
على الاعدا والباطنة الامداد بالملايكة • وقيل الظاهرة
اتباع الرسول والباطنة محبته ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم نزلت في النضر بن الحرث وابي بن خلف واشباههم كانوا
يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم وفي صفاته بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه اباءنا قال الله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم
معناه فيتبعونه وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
قوله عز وجل ومن يسلم وجهه الى الله اى يخلص لله دينه له
ويفوض اليه وهو محسن اى في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى
اى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه
ويرتقي بسببه الى اعلى المراتب والغايات والى الله عاقبة الامور
اى يصير جميع الاشيا اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم
فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور اى لا يخفى عليه
سرهم وعلانيتهم قوله تعالى نمتعهم قليلا اى نمهلهم ليتمتعوا
بنعيم الدنيا الى انقضا اجالهم ثم نضطرهم اى نلجيهم ونردهم
الى عذاب غليظ الى النار في الاخرة ولين سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم
تفسيره قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قال
المفسرون لما نزلت بمكة ويسالونك عن الروح قل الروح من امر
ربي الاية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه
احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من
العلم الا قليلا اتعنينا ام قومك فقال عليه الصلاة والسلام
كلا قد عنيت قالوا الست تتلوا فيما جاءك انا اوتينا التورية
فيها علم كل شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله
قليل وقد اتاكم الله بما ان عملتم بها انتفعتم قالوا كيف تزعم

وامية

هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع
علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه الاية مدنية وقيل ان اليهود
امروا وفد قريش ان يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا
له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي
به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله تعالى ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام اى بريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة
قلم والبحر يمده اي يزيده وينصب اليه من بعده سبعة ابحر
اى مدادا والخلايق يكتبون به كلام الله ما نفدت كلمات الله
لانها لا نهاية لها ان الله عزيز حكيم قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة اى الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه
شي ان الله سميع اي لاقوالكم بصير اى لاعمالكم الم تر ان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو
الحق اي الذى هو قادر على هذه الاشيا الذى ذكر هو الحق المستحق
للعبادة وان ما يدعون من دونه الباطل انه لا يستحق العبادة
وان الله هو العلي الكبير اى في صفاته له الصفات العليا
والاسما الحسنى الكبير في ذاته لانه اكبر من كل كبير • قوله عز وجل
الم تر ان الفلك اى السفن والمراكب تجري في البحر بنعمة الله اي
ذلك من نعمة الله عليكم ليريكم من ايات الله اى من عجايب
صنايعه ان في ذلك لايات لكل صبار اى على ما امر الله شكور
لانعامه واذا غشيهم موج كالظلل اى كالجبال وقيل كالسحاب
شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها دعوا الله مخلصين له
الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله بالدعا
وترك كل ما عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجي من تلك الشدة
فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو القصد وهو قوله تعالى فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد اى عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في
البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن
ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال
عكرمة لين انجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم
ولاضعن يده في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم
وحسن اسلامه ومنهم من لم يف بما عاهد وهو المراد بقوله وما يجحد
باياتنا الا كل ختار كفور اى جحود لانعمنا عليه قوله عز وجل يا ايها
الناس اتقوا ربكم اى خافوا ربكم واخشوا اي خافوا يوما لا يجزي

اي غدار

اى لا يقضى ولا يغنى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا
وقيل معنى الاية ان الله ذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهو
الوالد والولد فنبه بالاعلا الادنى وبالادنى على الاعلا فالوالد
يجزى عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزى عن ولده لما له
من التربية وغيرها فاذا كان يوم القيمة فكل انسان يقول نفسى
نفسى ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرء تهمه
نفسه ان وعد الله حق قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما
هذا شانه وهو كاين لوعد الله به ووعده حق وقيل الاية تحقيق
لعدم الجزا يعنى لا يجزى والد عن ولده فى ذلك اليوم والقول
الاول احسن واظهر فلا تغرنكم الحياة الدنيا اى لانها فانية
ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل
بالمعاصى ويتمنى قوله عز وجل ان الله عنده علم الساعة الاية
نزلت فى الحارث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من اهل البادية
اتى النبى صلى الله عليه وسلم فساله عن الساعة ووقتها وقال
ان ارضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امراتى حبلى
فمتى تلد ولقد علمت اين ولدت فباى ارض اموت فانزل الله هذه
الاية خ عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح
الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى
الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى
ارض تموت ان الله عليم خبير معنى الاية ان الله عنده علم الساعة
فلا يدرى احد من الناس متى تقوم الساعة فى اى سنة او اى
شهر او اى يوم ليلا او نهارا وينزل الغيث فلا يعلم احد متى
ينزل الغيث ليلا او نهارا الا الله ويعلم ما فى الارحام اذكر ام
انثى احمر ام اسود تام الخلقة ام ناقص وما تدرى نفس ماذا
تكسب غدا من خير او شر وما تدرى نفس باى ارض تموت اى
ليس احد من الناس يعلم اين مضجعه من الارض فى بر او بحر فى
سهل او جبل ان الله عليم اى بهذه الاشيا وبغيرها خبير اى
بيواطن الاشيا كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط
بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك
مقرب ولا نبى مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيا من هذه فانه كفر
بالقران لانه خالفه والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

٥ تفسير سورة السجدة مكية ٥

قال عطا الا ثلاث ايات من قوله افمن كان مومنا وهى تسع وعشرون

اية وقيل ثلاثون اية وثلثماية وثمانون كلمة والف وخمسماية وثمانية
عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه اى لا شك فيه انه من رب العالمين
ام يقولون اى بل يقولون يعنى المشركين افتراه يعنى بل يقولون
يعنى المشركين افتراه يعنى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من
تلقا نفسه بل هو الحق اى القران من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك يعنى العرب كانوا امة امية لم ياتهم نذير
قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ذلك
فى الفطرة التى كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان
قلت اذا لم ياتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت قيام
الحجة بالشرايع التى لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا واما
قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم ادلة العقل
الموصلة الى ذلك فى كل زمان لعلهم يهتدون يعنى تنذرهم
راجيا اهتدايهم الله الذى خلق السموات والارض (وما بينهما) فى ستة ايام ثم
استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون
تقدم تفسيره قوله تعالى يدبر الامر اى يحكم الامر وينزل القضا
والقدر وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام من السما الى الارض
ثم يعرج اى يصعد اليه جبريل بالامر فى يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون يعنى مسافة ما بين السما والارض خمسماية
سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السما مقدار
الف سنة لو ساره احد من بنى ادم وجبريل ينزل ويصعد فى
مقدار يوم من ايام الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملايكة كلهم
اجمعون ٥ وقيل معنى الاية انه يدبر الامر من السما الى الارض مدة
ايام الدنيا ثم يعرج اليه اى يرجع الامر والتدبير اليه بعد
فنا الدنيا وانقطاع امر الامر وحكم الحاكم فى يوم كان مقداره الف
سنة وهو يوم القيمة ٥ فان قلت قد قال فى موضع اخر تعرج
الملايكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف
الجمع بينهما ٥ قلت قيل اراد بقوله خمسين الف سنة مدة
المسافة بين السما والارض الى مدة المنتهى التى هى مقام جبريل
عليه السلام يقول يسير جبريل الملايكة الذين معه من اهل
مقامه مسيرة خمسين الف سنة وعلى بعضهم بخمسين الف سنة
وهذا فى حال الكفار واما على المومنين فدون ذلك كما جا فى الحديث
انه يكون على المومن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا قال

ابراهيم التيمي لايكون على المؤمنين الا كما يكون بين الظهر والعصر
وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته ومشقته قال ابن ابي
مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس
فسأله ابن فيروز عن هذه الاية وعن مقدار خمسين الف سنة
فقال ابن عباس رضي الله عنهما ايام سماها الله تعالى لا ادري ما
هي واكره ان اقول في كتاب الله ما لا اعلم **ذلك عالم الغيب
والشهادة** يعني ذلك صنع ما ذكر من خلق السموات والارض
وهو عالم الغيب والشهادة اي ما غاب من خلقه لا يخفى عليه
خافية والشهادة يعني ما ظهر وحضر **العزيز** اي الممتنع المنتقم
من اعدائه **الرحيم** بالاولياية واهل طاعته قوله تعالى **الذي
احسن كل شيء خلقه** قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقيل علم كيف
يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على
صورة البعض وكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو
من اعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه • وقيل معناه الهم
خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه واحسنهم ذلك • وقيل معناه
احسن كل شيء خلقه **وبدا خلق الانسان من طين** يعني ادم **ثم جعل
نسله** يعني ذريته **من سلالة** اي من نطفة تتنسل من الانسان
من ماء مهين اي ضعيف **ثم سواه** اي سوى خلقه **ونفخ فيه
من روحه** اضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة
الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال **وجعل لكم**
اي خلق بعد اذ كنتم نطفا امواتا **السمع والابصار والافئدة**
قيل قدم السمع لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى قايله
ليعرفه ثم يتفكر في قلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد
السمع لان الانسان يسمع الكلام من اي جهة كان **قليلا ما تشكرون**
يعني لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحدونه قوله تعالى **وقالوا**
يعني منكري البعث **أئذا ضللنا** هلكنا **في الارض** والمعنى صرنا
ترابا **ائنا لفي خلق جديد** استفهام انكاري قال الله تعالى **بل
هم بلقاء ربهم كافرون** اي بالبعث بعد الموت **قل يتوفاكم** اي
يقبض ارواحكم حتى لا يبقى ممن كتب عليه الموت **ملك الموت**
وهو عزرائيل عليه السلام **الذي وكل بكم** انه لا يغفل عنكم واذا جاء
اجل احدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روي ان ملك الموت
جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من
غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلايق من مشارق الارض ومغاربها

وله اعوان من الملايكة ملايكة الرحمة وملايكة العذاب • وقال
ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب • وقال
مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء •
وقيل ان ملك الموت على معراج بين السما والارض فينتزع اعوانه
روح الانسان فاذا بلغ ثغره نحره قبضه ملك الموت • عن معاذ
ابن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب
وهي تتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم
في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه
بتلك الحربة وقال له الان تنزل بك سكرات الموت وقوله
ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون الى ربكم احياء فيجزيكم باعمالكم
قوله عز وجل **ولو ترى اذ المجرمون** اي المشركون **ناكسوا رؤسهم عند
ربهم** اي مطاطيوها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا **ربنا** اي
يقولون ربنا **ابصرنا** اي ما كنا به مكذبين **وسمعنا** يعني منك ما انتنا به
رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها **فارجعنا** اي فا
فارددنا الى الدنيا **نعمل صالحا انا موقنون** اي انا في الحال امنا ولكن
لا ينفع بذلك الايمان **ولو شينا لاتينا كل نفس هداها** اي رشدها
وتوفيقها للايمان **ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين** اي من كفار الانس والجن **فذوقوا** اي اذا دخلوا النار
قال لهم الخزنة فذوقوا **بما نسيتم لقاء يومكم هذا** اي تركتم الايمان به
في الدنيا **انا نسيناكم** اي تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل الناس
قطع الرجا منكم **وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** اي من الكفر
والتكذيب قوله عز وجل **انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها** اي
وعظوا بها **خروا سجدا** اي سقطوا على وجوههم ساجدين **وسبحوا
بحمد ربهم** اي صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده **وهم
لا يستكبرون** اي عن الايمان به والسجود له **ق** عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة فيسجد
ونسجد معه حتى لا يجد احد مكانا لوضع جبهته غير وقت الصلاة
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرا احدكم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتي
امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت
فلي النار فهذه من عزايم السجود فيسن للقاري والمستمع قوله
تعالى **تتجافى** اي ترتفع وتنبو **جنوبهم عن المضاجع** جمع مضجع
وهو الموضع الذي يضطجع فيه بفرش وهم المتهجدون بالليل الذين

يقيمون الصلاة وقالت الني نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب
فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة
التي تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي
رواية ابي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشا
يصلون وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وقال هي صلاة الاوابين
وروي عن ابن عباس قال ان الملايكة لتحف بالذين يصلون بين
المغرب والعشا وهي صلاة الاوابين ● وقال عطا هم الذين لا ينامون
حتى يصلون العشا الاخرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم من صلى العشا في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى
الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله اخرجه مسلم من حديث
عثمان بن عفان ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما
ولو حبوا واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول
الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

فصل

في فضل قيام الليل والحث عليه عن معاذ بن جبل قال
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة فاصبحت يوما قريبا
منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني
عن النار قال سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه
تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم
رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة
والصدقة تطفي الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرا تتجافى
جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزا بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك
براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال راس
الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك
بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فاخذ بلسانه وقال
اكفف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم فقال
ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال
على مناخرهم الا حصايد السنتهم اخرجه الترمذي ● عن ابي امامة
الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل
فانه داب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيات ومنهاة
عن الاثام ومطردة الداء عن الجسد اخرجه الترمذي عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار

عن اوطانه ولحافه من بين حبه واهله الى صلاته فيقول الله عز وجل
لملايكته انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه
واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ● ورجل غزى في
سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع
فرجع حتى اهريق دمه فيقول الله تعالى لملايكته انظروا الى عبدي
رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى اهريق دمه اخرجه الترمذي
بمعناه ● م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل
الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل ق عن عايشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تفطرت قدماه فقلت لم تصنع
هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال
افلا اكون عبدا شكورا ● عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها
اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى
بالليل والناس نيام اخرجه الترمذي خ عن الهيثم بن ابي سنان
انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه في قصة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان اخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال شعر

● وفينا رسول الله يتلو كتابه ● اذا انشق معروف من الفجر ساطع ●
● ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ● به موقنات ان ما قال واقع ●
● يبيت يجافي جنبه عن فراشه ● اذا استثقلت بالكافرين المضاجع ●

اخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن ابي هريرة في الصحيحين
غير هذا الحديث وقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا قال ابن
عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل
اراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع
قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي مما
تقر به اعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا
تفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم جزا بما كانوا يعملون
اي من الطاعات في دار الدنيا ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
واقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله تعالى افمن
كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن
عقبة بن ابي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شي فقال الوليد لعلي اسكت

فانك صبى وانا شيخ والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا
واشجع منك جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له على اسكت
فانك فاسق فانزل الله هذه الاية وقال لا يستوون اراد جنس
المومنين وجنس الفاسقين ولم يرد مومنا واحدا ولا فاسقا واحدا
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى اى التى
ياوي اليها المومنون نزلا هو ما يهيا للضيف عند نزوله بما كانوا
يعملون يعنى من الطاعات في دار الدنيا واما الذين فسقوا
فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون قوله تعالى ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اى سوء العذاب الاكبر
قال ابن عباس الادنى مصايب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود
وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين
وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم
لعلهم يرجعون اى الى الايمان يعنى من بقي منهم بعد القحط وبعد
بدر ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اى بدلايل وحدانيته
وانعامه عليه ثم اعرض عنها اى ترك الايمان بها انا من المجرمين
يعنى المشركين منتقمون معناه انه لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا
منهم منتقمون بالعذاب الاكبر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
يعنى التورية فلا تكن في مرية اى في شك من لقايه اى من لقا موسى
ليلة المعراج قاله ابن عباس ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من
رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى
البياض سبط الشعر ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات اراهن
الله اياه فلا تكن في مرية من لقايه ق عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر
وهو قايم يصلي في قبره **فان قلت** قد صح في حديث المعراج
انه راه في السما السادسة ومراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين
هذين الحديثين **قلت** يحتمل ان تكون رويته في قبره عند
الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السما وذلك طريقه الى بيت المقدس
ثم صعد الى السما السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز
وجل وهو على كل شي قدير **فان قلت** منه الصلاة في قبره وهو
ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الاخرة وليست دار عمل ولذلك
راى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبيا وهم يحجون فما الجواب

عن

عن هذا **قلت** عنه اجوبة احدها ان الانبيا كالشهدا بل هم
افضل منهم والشهدا احيا عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا
ويصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان
كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحيا في هذه الدار التي هي دار العمل الى ان
تفنى ثم يرحلوا الى دار الجزاء التي هي الجنة **الجواب** الثاني انه صلى
الله عليه وسلم راى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كيف
كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم **الجواب** الثالث ان التكليف
وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن الذكر والشكر والدعا لا يرتفع قال
الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قال
صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد
ربه في الجنة اكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد
صار حاله مثل حال الملايكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل
والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم
بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل في قوله فلا تكن
في مرية من لقايه اى من تلقي موسى كتاب الله بالرضى والقبول
وجعلناه يعنى الكتاب هدى لبني اسرايل وجعلنا منهم ايمة
اي قادة بالخير يقتدى بهم وهم الانبيا الذين كانوا في بني اسرايل وقيل
هم اتباع الانبيا يهدون بامرنا اى يدعون الناس الى طاعتنا لما
صبروا اى على دينهم وعلى البلا من عدوهم بمصر وكانوا باياتنا يوقنون
اى انها من الله تعالى ان ربك هو يفصل اى يقضي ويحكم بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون قيل هم الانبيا واممهم وقيل هم
المومنون والمشركون قوله تعالى اولم يهد لهم اى يبين لهم كيف كم
اهلكنا اى كثرة من اهلكنا من قبلهم من القرون اى الامم الخالية
يمشون في مساكنهم يعنى اهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا
ان في ذلك لايات افلا يسمعون اى ايات الله ومواعظه فيتعظون
بها قوله عز وجل اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز اى الارض
اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض باليمن
وقيل هي ابين فنخرج به اي بذلك الما زرعا تاكل منه انعامهم اي
العشب والتبن وانفسهم اى من الحبوب والاقوات افلا يبصرون
اى فيعتبرون قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين
قيل اراد يوم الفتح يوم القيمة الذى فيه الحكم والقضا بين العباد وذلك
ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه
ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح

اى القضا والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا و
مظهرنا عليكم فيقولون متى الفتح قل يوم الفتح يعنى يوم القيمة
لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اى لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم
الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون اى يمهلون ليتوبوا
ويعتذروا فاعرض عنهم قال ابن عباس نسختها اية السيف وانتظر
اى موعدى لك بالنصر عليهم انهم منتظرون اى بك حوادث الزمان
وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك ق عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا فى الفجر
يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل اتى على الانسان عن جابر ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل الكتاب وتبارك
الذى بيده الملك اخرجه الترمذى وقال طاووس تفضلان على
كل سورة فى القران بسبعين حسنة اخرجه الترمذى والله اعلم

تفسير سورة الاحزاب

مدنية وهى ثلاث وسبعون اية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة
الاف وسبعمائة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين نزلت فى ابى سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل
وابى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة
فنزلوا على عبد الله بن ابى بن سلول راس المنافقين بعد قتال
احد وقد اعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه
فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابى سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا
للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا
اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك
فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن
لى فى قتلهم فقال انى اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله
وغضبه فامر عمرا النبى صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة
فانزل الله تعالى يا ايها النبى اتق الله اى دم على التقوى وقيل
معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذى بينك وبينهم وقيل الخطاب
مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته ولا تطع الكافرين يعنى
من اهل مكة يعنى ابا سفيان وعكرمة والاعور والمنافقين يعنى
من اهل المدينة عبد الله بن ابى وعبد الله بن سعد وطعمة ان الله

كان

كان عليما اى بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما اى فيما دبره لهم واتبع ما يوحى
اليك من ربك اى من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين
ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله اى ثق بالله وكل امرك
اليه وكفى بالله وكيلا اى حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله
عز وجل ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه نزلت فى ابى معمر
جميل بن معمر الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش
ما حفظ ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لى قلبين
اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم
بدر انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه فى يده
والاخرى فى رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس فقال انهزموا
فقال له فما بال احدى نعليك واحدة فى يدك والاخرى فى رجلك
فقال ابو معمر ما شعرت الا انهما فى رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان
له قلبان لما نسى نعله فى يده • وعن ابى ظبيان قال قلنا لابن عباس
ارايت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ما عنى بذلك
قال قام نبى الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلى فخطر خطرة فقال
المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا
معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه اخرجه الترمذى
وقال حديث حسن • قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التى تحصل
للانسان فى صلاته وقيل فى معنى الاية انه لما قال الله تعالى يا ايها
النبى اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى فكانه قال ومن حقها
ان لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى
الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمتظاهر
من امراته وللمتبنى ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو اما
ان يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك فذلك يودى الى اتصاف الجملة بكونه
مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا فى حالة واحدة وهما حالتان
متنافيتان فكذلك لا يكون امراة المظاهر امه حتى تكون له امان ولا
يكون ولد واحد ابن رجلين • قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائى
تظاهرون منهن امهاتكم وصورة الظهار ان يقول الرجل لامراته
انت على كظهر امى يقول الله وما جعل نساكم اللاى تقولون لهن هذا
فى التحريم كامهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة تذكر وسياتى
الكلام عليه ان شاء الله تعالى فى سورة المجادلة قوله تعالى وما جعل
ادعياءكم يعنى الذى تتبنونه ابناءكم وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان
فى الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس

ويرث ميراثه وصار وكان صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن
شراحيل الكلبي وتبناه قبل واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب
فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت
تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امراة ابنه وهو
ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية ونسخ بها
التبني ذلكم قولكم بافواهكم اي لا حقيقة له يعني قولكم زيد
ابن محمد وادعا نسب لا حقيقة له والله يقول الحق اى قوله الحق
وهو يهدي السبيل اى يرشد الى سبيل الحق ادعوهم لابائهم
اى الذي ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة هو اقسط عند الله اى
عدل عند الله ق عن ابن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى نزل القران ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله الاية
فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم في الدين ومواليكم
اى كانوا محررين وليسوا ابنيكم اى فسموهم باسما اخوانكم في الدين
وقيل معنى مواليكم اولياكم في الدين وليس عليكم جناح فيما
اخطاتم به اى قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت
قلوبكم اي من دعاهم الى غير ابائهم بعد النهي وقيل فيما اخطاتم
به ان تدعوه لغير ابيه وهو يظن كذلك وكان الله غفورا رحيما
عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام قوله
عز وجل النبي اولى بالمومنين من انفسهم اى من بعضهم ببعض
في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته قال ابن عباس يعني اذا
دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شي كانت
طاعتهم طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم
هذا صحيح فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم
في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستاذن اباءنا وامهاتنا
فانزلت هذه الاية ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة
واقرؤوا ان شيتم النبي اولى الناس بالمومنين من انفسهم فايما مومن
ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا
فليأتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر

مقدر وقوله او ضياعا اى عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا
وان كسرت الضاد كان جمع ضايع قوله تعالى وازواجه امهاتهم
يعني هن امهات المومنين في تعظيم الحرمة وحرمة نكاحهن على التابيد
لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب
ولا يقال لبناتهن هن اخوات المومنين ولا لاخواتهن واخوانهن هن
اخوال المومنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابي
بكر وهي اخت عايشة ام المومنين ولم يقل هي خالة المومنين وقيل
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن امهات المومنين والمومنات
الرجال والنساء وقيل كن امهات الرجال دون النسا بدليل ما روى عن
مسروق ان امراة قالت لعايشة يا امه فقالت لست لك بام انما
انا ام رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث قيل كان
المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه
الاخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى بميراث
بعض وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر
وغير المهاجر في كتاب الله اى في حكم الله من المومنين الذين اخا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينهم والمهاجرين يعني ان ذوي القرابات اولى
بعضهم ببعض فنسخت هذه الاية الموارثة بين المواخاة والهجرة وصار
الموارثة بينهم في القرابة الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا يعني
الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ
التوارث بالحلف والاخا والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب
من ثلث ماله وقيل اراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان
والهجرة وقيل معناه الا ان توصوا الى قرابتكم بشي وان كانوا من غير
اهل الايمان والهجرة كان ذلك اى الذي ذكرت من اولى الارحام
بعضهم اولى ببعض في الكتاب اى في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة
مسطورا اى مكتوبا مثبتا قوله عز وجل واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم اي على الوفا بما عملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر
بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته
وينصحوا لقومهم ومنك يعني يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم خص هولاء الخمسة بالذكر بين النبيين لانهم اصحاب
الكتب والشرايع واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه
وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد الثعلبي

عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين في
الخلق واخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا شديدا على الوفا بما حملوا
من تبليغ الرسالة ليسال الصادقين عن صدقهم يعني اخذ
ميثاقهم لكي يسال الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة
والحكمة في سوالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت
من ارسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم
في قلوبهم واعد للكافرين عذابا اليما **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم وذلك حين حوصر
المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ايام الخندق
اذ جاتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير فارسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عكرمة قالت
الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي
ارسلت عليهم الصبا ق عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل
الصبا بها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه قوله تعالى
وجنودا لم تروها يعني الملايكة ولم تقاتل الملايكة يوميذ فبعث
عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب
الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت بعضها
في بعض وكثر تكبير الملايكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد
كل حي يقول يا بني فلان النجا النجا هلموا الي فاذا اجتمعوا عنده
قال النجاة النجاة فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من
الرعب وكان الله بما يعملون بصيرا

ذكر غزوة الخندق

وهي الاحزاب قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال
سنة اربع من الهجرة وروى محمد بن اسحاق عن مشايخه قال دخل
حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق
وحيي بن احطب وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوابن قيس وابو
عمار الوايلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل وهم الذين حزبوا
الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على
قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر

يهود

يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد
فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم
الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما
قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج اوليك النفر
من اليهود حتى جاوا غطفان وقيس وعيلان فاجتمعوا على ذلك
واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على
ذلك فاجابوهم وخرجت قريش وقايدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت
غطفان وقايدهم عيينة بن حصين الفزاري بن حذيفة بن بدر في بني
فزارة والحرث بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن
رخيلة بن مويدة بن طريف فيمن تابعه من قومه من اشجع فلما سمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب
الخندق على المدينة وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوميذ حر فقال يا رسول الله
انا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة اربعين
ذراعا فاحتج المهاجرين والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا
قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف
كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار
في اربعين ذراعا نحفرنا حتى اذا كنا بجب ذوناب اخرج الله من بطن
الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان
ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان
يعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يامرنا فيها امره فانا لا نحب ان
نجاوز خطه قال فرقا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضا
مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك
منها شي قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك
فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند
على شقة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من

سلمان فضربها به ضربة صدعها وبرقت منها برق اضا ما بين لابتيها
يعني المدينة حتى يكاد مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله
صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها وبرق منها برق اضا ما بين لابتيها
حتى كاد مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد سلمان ورقي فقال بابي
انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيا ما رايت مثله قط فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال ارايتم ما يقول سلمان
قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق البرق الذي رايتم
فاضا لي منها قصور الحيرة ومداين كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي
رايتم اضات منها قصور الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب
فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليهم ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق
الذي رايتم اضات لي منها قصور صنعا كانها انياب الكلاب فاخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة عليها قالوا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله
موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه ينصر من يثرب قصور الحيرة وكسرى مداين وانها
تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا
قال فنزل القران واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما
وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله قل اللهم مالك الملك الاية
ق عن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فقال
المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون
ذالك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش
الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرين فقالوا مجيبين له نحن الذين
بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا ق عن البرا قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا •
فانزلن سكينة علينا • وثبت الاقدام ان لاقينا •
والمشركون قد بغوا علينا • اذا ارادوا فتنة ابينا •

ويرفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطيه رجعنا الى
حديث ابن اسحاق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق
اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف والغابة في
عشرة الاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة ٥

واقبلت

واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب
احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا
ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق
بينه وبين القوم وامروا بالذراري والنسا فرفعوا في الاطام وخرج
عدو الله حيي بن اخطب من بني النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظي
صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قومه وعاهد على ذلك فلما سمع كعب بن اخطب اغلق دونه
حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لنا
فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم اني قد عاهدت محمدا فلست
بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفا وصدقا فقال ويحك افتح اكلمك
فقال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا على جشيشتك
ان اكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جيتك
بعز الدهر وبحر طام جيتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم
بذي نقمى الى جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا حتى
يستاصلوا محمدا ومن معه قال له كعب جيتني والله بذل الدهر وبجهام
قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شي دعني ومحمدا وما انا عليه
فاني لم ار من محمد الا صدقا ووفا فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله
في الذروة والغارب حتى سمع له على ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا
لين رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى
يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد العهد وبرى مما كان عليه
فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد
الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج
ومعهما عبد الله بن رواحة اخو بلحرث بن الخزرج وخوات بن جبير
اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ا بلغنا من هولا
القوم احق ام لا فان كان حقا فالحنوا لي لحنا اعرفه ولا تفتوا اعضاد
الناس وان كانوا على الوفا فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا
فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة
وشتموه وكان رجلا فيه حدة وقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم
فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد وسعد ومن معهما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة لغدر عضل

القارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب الرجيع خبيب
ابن عدي واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا
يا معاشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم
من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن ونجم النفاق من بعض
المنافقين حتى قال معتب بن بشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا
ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغايط ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا حتى قال اوس بن قيظي احد بني حارثة يا رسول
الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملا من رجال قومه
فاذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون عليها بضعا وعشرين
ليلة قريبا من شهر رمضان ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل
والحصى فلما اشتد البلا على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عيينة بن حصين والى الحرث بن عوف وهما قايدا غطفان
فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب
ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن
معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشي امرك
الله به لا بد لنا من العمل به ام امر تحبه فنصنعه ام شي تصنعه لنا قال
بل شي اصنعه لكم والله ما اصنع ذلك الا اني قد رايت العرب قد
رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم
شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهولاء
القوم على شرك الله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ولا
يطمعون ان ياكلوا منا ثمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام
واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم
الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة
ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش
عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة
ابن ابي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب
ومرداس اخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم
فمروا على بني كنانة فقالوا تهيئوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون
اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما راوه

قالوا

قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من
الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة
بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا
عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان نحوهم تعنق وكان
عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان
يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال يا عمرو
انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا اخذت
منه احدهما قال اجل قال له علي فاني ادعوك الى الله ورسوله والى
الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني ادعوك الى النزال قال ولم يا
ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال علي لكني والله احب ان اقتلك
فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل
على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى
اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد
ابن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن
المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال
يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون
على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه
فشانكم به فخلى بينهم وبينه قالت عايشة ام المومنين كنا يوم الخندق
في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون المدينة وكانت ام سعد
ابن معاذ في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن
معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة
وهو يقول

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل ❊ لا باس بالموت اذا حان الاجل

فقالت له الحق يا بني فقد والله اخرت قالت عايشة فقلت يا ام سعد
والله لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخفت عليه حيث اصاب
السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه
حبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال
خذها وانا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال
سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيا فابقني لها فانه
لا شي احب الي ان اجاهدهم من قوم اذوا رسولك وكذبوه واخرجوه
وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى
تقر عيني من بني قريظة وكانوا احلفاه ومواليه في الجاهلية قال محمد

ابن اسحاق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن
حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النساء والصبيان قالت
صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بني
قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم و
المسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا
ات قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن
واني والله ما امنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد
شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله
فقال يغفر الله لك يا ابنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا
بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيا احتجزت ثم
اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته
فلما فرغت منه رجعت الى الحصن قالت فقلت يا حسان انزل اليه
فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه حاجة
يا ابنت عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم
ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم
يعلموا باسلامي فامرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة
فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية ٥
فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا
صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان بن خويلد
الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود قريظة ومن اسفل منكم
يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم سفيان
ابن حرب في قريش ومن تبعه وابو الاعور عمرو بن سفيان السلمي
من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم واذ زاغت الابصار
اي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شي فلم تنظر الى
عدوها وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها حتى بلغت
الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به
عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد
خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة
فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره وتظنون بالله الظنون اي اختلف

الظنون فظن المنافقون استيصال محمد واصحابه وظن المؤمنون النصر
والظفر لهم هنالك ابتلي المؤمنون اي عند ذلك اختبر المؤمنون ٥
بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين وزلزلوا زلزالا
شديدا اي حركوا حركة شديدة واذ يقول المنافقون يعني معتب بن
قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي شك
وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي هو قول اهل
النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان
يجاوز رحله هذا والله الغرور وقوله عز وجل واذ قالت طائفة منهم
اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني يا اهل
المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها في قديم
الزمان وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة
يثرب وقال هي طابة كانه كره هذه اللفظة لما فيه من التثريب وهو
التقريع والتوبيخ لا مقام لكم اي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا
اي الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ويستاذن
فريق منهم النبي يعني بني حارثة وبني سلمة يقولون ان بيوتنا عورة
اي خالية ضايعة وهي مما يلي العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله
تعالى فقال وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا فانهم لا يخافون ذلك انما
يريدون الفرار من القتال ولو دخلت عليهم من اقطارها يعني لو دخل
هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة
وجوانبها ثم سئلوا الفتنة اي الشرك لاتوها اي لجاوها وفعلوها
ورجعوا عن الاسلام وما تلبثوا بها اي ما احتبسوا عن الفتنة الا
يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه
وما اقاموا بالمدينة بعد اعطا الكفر الا قليلا حتى يهلكوا قوله
عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة الخندق
لا يولون الادبار اي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم احد
ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله لا يعودوا
لمثلها وقيل هم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما راوا ما اعطى الله اهل
بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لين اشهدنا الله قتالا لنقاتلن
فساق الله اليهم ذلك وكان عهد الله مسئولا اي عنه في الاخرة
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يعني الذي كتب عليكم
لان من حضر اجله مات او قتل لا بد من ذلك واذا لا تمتعون اي بعد
الفرار الا قليلا اي مدة اجالكم وهي قليل قل من ذا الذي يعصمكم اي

بينكم من الله ان اراد بكم سوءا اي هزيمة او اراد بكم رحمة اي نصرا ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اى ناصرا يمنعهم قد يعلم الله المعوقين
منكم اى المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقايلين
لاخوانهم هلم الينا اي ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا
تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك وقيل هم ناس من المنافقين
كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه
الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم وابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا
الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت
اليهم ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم
ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم فانتم
اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي سلول واصحابه
على المومنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن
قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير
ما هو الا ان يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم
يزدد المومنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا وقوله تعالى ولا
ياتون الباس اى الحرب الا قليلا اى رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان
ذلك القليل لله لكان كثيرا اشحة عليكم اى بخلا بالنفقة في سبيل الله
والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم اى في رؤسهم من الخوف والجبن كالذي يغشى عليه من
الموت اى كدوران عين الذى قرب من الموت وغشيه اسبابه فانه يذهب
عقله ويشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف اي زال سلقوكم اي
اذوكم ورموكم في حالة الامن بالسنة حداد اى ذربة تفعل كفعل الحديد
قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا
السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم
القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الحرب
اجبن قوم اشحة على الخير اى يشاحون المومنين عند الغنيمة فعلى هذا
المعنى يكون المراد بالخير المال اوليك لم يومنوا اى لم يومنوا حقيقة
الايمان وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم اى التي كانوا ياتون
بها مع المسلمين قيل هو الجهاد وغيره وكان ذلك على الله يسيرا اى احباط
اعمالهم مع ان كل شي على الله يسير قوله تعالى يحسبون يعني هولا المنافقين
الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا اى لم ينصرفوا عنك
فنا لهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم وان يات الاحزاب اي يرجعوا
اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اى يتمنون

لو

لو انهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف يسالون عن انبايكم
اى عن اخباركم وما ال اليه امركم ولو كانوا فيكم يعني هولا المنافقين
ما قاتلوا الا قليلا يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم يقولون قد
قاتلنا معكم وقيل هو رمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب قوله عز
وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اى قدوة صالحة اى
اقتدوا به اقتدا حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا
عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح
وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه
فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله
قال ابن عباس يرجوا ثواب الله واليوم الاخر يعني ويخشى يوم البعث
الذى فيه الجزا وذكر الله كثيرا اى في جميع المواطن على السرا والضرا
ثم وصف حال المومنين عند لقا الاحزاب فقال تعالى ولما راى المومنون
الاحزاب صح
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله اى قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا
بوعده وصدق الله ورسوله اي فيما وعد وهو في مقابلة قول المشركين
المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله
اى اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعترفون صدق الله ورسوله
قبل الوقوع وانما اشاروا الى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل
مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان يلحقهم شدة
وبلا فلما راوا الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا اى تصديقا
لله وتسليما اى لامره قوله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه اى قاموا بما عاهدوا عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي
فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه
اى اجله فقتل على الوفا يعني حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اى بذل
جهده في الوفا بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر واحد ومنهم
من ينتظر يعني من بقي بعد هولا من المومنين ينتظرون احد الامرين
اما الشهادة او النصر على الاعدا وما بدلوا يعني عهدهم تبديلا ق
عن انس قال عمي انس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن
اول قتال قاتلت المشركين لين الله اشهدني قتال المشركين ليرين الله
ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك
مما صنع هولا يعني اصحابه وابرا اليك مما صنع هولا المشركين ثم تقدم
فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني اجد

ريحها من دون احد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال
انس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية
بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد الا اخته
ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى اخر الاية ق
عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات ولم ياكل
من اجره شيا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة وكنا اذا
غطينا بها راسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت راسه فامرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي راسه ونجعل على رجليه
شيا من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كسا ملون
من صوف وقوله منا من اينعت اي ادركت ونضجت له ثمرته وهذه
استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها اي يجتنيها ويقطعها
عن ابي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث غريب خ عن قيس بن ابي حازم قال رايت يد طلحة
شلاء وقا بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد قوله عز وجل ليجزي
الله الصادقين بصدقهم اي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفا بالعهد
ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم اي فيهديهم الى الايمان ويشرح
له صدورهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم
اي من قريش وغطفان اي لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا
خيرا اي ظفرا وكفى الله المومنين القتال اي بالملايكة والريح وكان
الله قويا عزيزا اي في انتقامه قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنوا قريظة من صياصيهم
اي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصيه وقذف في قلوبهم الرعب
اي الخوف فريقا تقتلون يعني الرجال يقال كانوا ستماية وتاسرون
فريقا يعني النسا والذراري يقال كانوا سبعماية وقيل وخمسين واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها يعني بعد قيل هي خيبر
يقال انها كانت ملكه وقيل فارس والروم وقيل هي ارض يفتح على
المسلمين الى يوم القيمة وكان الله على كل شي قديرا ذكر غزوة
بني قريظة قيل كانت في اخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول
البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة انها في سنة اربع

اي في ملكه ح

قال

قال العلما بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة
التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمو
منون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل
عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش
وهي تغسل راسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله اني
قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفى الله عنك ما وضعت الملايكة
السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الا الان من طلب القوم ويروى
انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يامرك بالمسير
الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قد قطعت اوتادهم وفتحت ابوابهم
وتركتهم في زلزال وبلبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن
ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب برايته اليهم وابتدرها
الناس وسار علي حتى دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنوا من هولا
الاخابث قال اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال
لو قد راوني لم يقولوا من ذلك شيا فلما دنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل فيكم
نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه
وسلم على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر
بكم احد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضا
عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك
جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف
الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة
نزل على بير من ابارها في ناحية اموالهم وتلاحق به الناس فاتاه
رجال بعد صلاة العشا الاخرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى
الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في قريظة فصلوا العصر بها
بعد العشا الاخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال العلما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب
وكان حيي بن اخطب دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم
قريش وغطفان وفا لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال
كعب بن اسد يا معشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض
عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا
الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه
في كتابكم فتامنوا على دياركم واموالكم وابنائكم ونسائكم فقالوا لا
نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه
فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ونخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين
بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين
محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر
فلعمري لنجدن الابناء والنساء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما في العيش
بعدهم خير قال فان ابيتم هذه فالليلة ليلة السبت وانه عسى ان
يكون محمد واصحابه قد امنونا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه
غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من
قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات
رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر قال ثم انهم بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابا لبابة بن عبد
المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره في امرنا
فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام اليه
الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا
يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني
قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات
النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال
والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله
لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله
فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطا عليه
قال اما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذا فعل فما انا بالذي اطلقه
من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابي لبابة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة فسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله اضحك
الله سنك قال تيب على ابي لبابة فقلت الا ابشره بذلك يا رسول
الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان
يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك

قال

قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو
الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه ثم قال ان
ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد وهم نفر من بني
هدل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم
القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم النبي صلى الله
عليه وسلم وخرج تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة
فلما راه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو ابى ان يدخل
مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا
اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني عثرات الكرام
ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى اين ذهب
من ارض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال
ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان في اوثق
برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون
الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع
وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن ابي
سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك
الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجده في خيمة امراة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي
الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين اصابه
السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب فلما
حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة اتاه قومه فحملوه
على حمار قد وطاوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في
مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن
فيهم فلما اكثروا عليه قال قد آن لسعد ان لا تاخذه في الله لومة
لائم فرجع بعض من كان معه الى دار بني الاشهل فنعى لهم رجال
بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه

فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم
فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد
الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم وعلى من هاهنا في الناحية
التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد اني احكم فيهم ان تقتل الرجال
وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا
فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نسا
بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة
التي هي سوقها اليوم فخندق لها خندقا ثم بعث اليهم فضربت
اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم اعدا الله ورسوله
حيي بن اخطب وكعب بن اسد راس القوم وهم ستماية او سبعماية
والمكثر لهم يقول كانوا بين الثماني ماية الى السبعماية وقد قالوا
لسعد بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال افي كل موطن لا تعقلون
الا ترون الداعي لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل
فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم واتي
حيي بن اخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه
من كل ناحية الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى
عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل
على الناس فقال ايها الناس انه لا باس بامر الله كتاب وقدر
وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس وضرب عنقه • وروي عن
عايشة قالت لم يقتل من نسا بني قريظة الا امراة واحدة قالت
والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف باسمها اين
فلانة قالت انا والله قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم
قالت حدث احدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عايشة
تقول ما انسا عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها
تقتل قال الواقدي وكان اسم المراة نباتة امراة الحكم القرظي وكانت
قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق بني
قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروي

محمد بن اسحاق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى ابا عبد الرحمن
وكان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه
فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال
يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني
اريد ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم اتى
ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان
للزبير عندي يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا اهل له
ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اهله وولده فقال هم لك فقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعطاني امراتك وولدك فهم لك فقال اهل بيت
بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فاتاه فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك فقال
اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراة صينية تتراى فيه عذارى
الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا
ميتنا اذا كررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان
يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فاني
اسالك بيدي عندك يا ثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في
العيش بعد هولا من خير فما انا بصابر لقى الاحبة فقدمه ثابت
فضربت عنقه فلما بلغ ابو بكر الصديق قوله حتى يلقى الاحبة قال
يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بني
قريظة ونساءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل
وسهمان الرجال فكان للفارس ثلاثة اسهم سهمان للفارس وللفارس
سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم فكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا
وكان اول في وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل بسبايا من سبايا
بني قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصطفى لنفسه من نسايهم ريحانة بنت
عمرو بن خنافة احد نسا بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب
فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها
وقد كان حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها
فبينما هو بين اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا
لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله
قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضى شان بني قريظة انفجر
جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما
حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي من ان اجاهدهم
من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على
رسولك شيا فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم
فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عايشة فحضره رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فو الذي نفس محمد بيده اني لاعرف
بكا عمر من بكا ابي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رحما بينهم خ عن سليمان بن صرد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الان نغزوهم
ولا يغزوننا نحن نسير اليهم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده فلا شي بعده قوله عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن اي متعة
الطلاق واسرحكن سراحا جميلا اي من غير ضرار وان كنتن تردن
الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا
عظيما سبب نزول هذه الاية ان نسا النبي صلى الله
عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيا وطلبن منه زيادة في النفقة
واذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآلا ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه
وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه ونزلت هذه
الاية ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فكنت انا استنبطت هذا الامر وانزل الله اية التخيير وكان
تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس من قريش وهي
عايشة بنت ابي بكر • وحفصة بنت عمر • وام حبيبة بنت ابي سفيان •
وام سلمة بنت ابي امية • وسودة بنت زمعة • واربع غير قرشيات

ومن زينب بنت جحش الاسدية • وميمونة بنت الحارث الهلالية •
وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية • وجويرية بنت الحارث المصطلقية
فلما نزلت اية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعايشة وكانت
احبهن اليه فخيرها اليه وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله
والدار الاخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره
عليهن فقال تعالى لا يحل لك النسا من بعد م عن جابر بن عبد الله
قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل
عمر فاستاذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
وحوله نساوه واجما ساكتا قال لاقولن شيا اضحك به النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت
اليها فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن
حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام
عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين حتى نزلت
هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن
اجرا عظيما قال فبدا بعايشة فقال يا عايشة اني اريد ان اعرض عليك
امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا
رسول الله فتلا عليها الاية قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي
بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من
نسايك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم
يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا • قوله واجما
اي مهتما والوجم الذي اسكته الهم وعلته الكآبة • وقيل الوجوم الحزن
قوله فوجات عنقها اي دققته وقوله لم يبعثني معنتا العنت
المشقة والصعوبة م عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا
يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة لما
مضت تسع وعشرون ليلة اعدهن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي عايشة فقالت بدا بي فقلت يا رسول الله اقسمت لا تدخل علينا
شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون
فصل في حكم الاية اختلف العلما في هذا الخيار هل كان
ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن •

وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق اليهن وانما
خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين
امتعكن واسرحكن وقيل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال
لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق الجواب
على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق لو اخترن انفسهن
كان طلاقا • التفريع على حكم الاية اختلف اهل العلم في حكم التخيير
فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت
زوجها لا يقع شيا وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول
عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي واصحاب
الراى الا عند اصحاب الراى يقع طلقة باينة اذا اختارت
نفسها وعند الاخرين رجعية • وقال زيد بن ثابت اذا اختارت
الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها ثلاث وهو قول
الحسن وبه قال مالك • وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها
يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة باينة واكثر
العلما على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شي ق عن مسروق
قال ما ابالي خيرت امراتي واحدة او ماية او الفا بعد ان تختارني
ولقد سالت عايشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان طلاقا وفي رواية فلم يعد ذلك شيا قوله تعالى
يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة اى بمعصية ظاهرة
قيل هو كقوله لين اشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من اتت بفاحشة
فان الله تعالى صان ازواج الانبيا عن الفاحشة وقال ابن عباس
المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق يضاعف لها العذاب
ضعفين اى مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن به
كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله
عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه
اولى بالمومنين من انفسهم فكذلك ازواجه الى غيرهن كنسبة
الحرة الى الامة وكان ذلك على الله يسيرا اى عذابها ومن يقنت
منكن لله ورسوله اى تطع الله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها
مرتين اى مثل اجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف
ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نسا العالمين
واعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة قوله عز وجل يا نسا النبي
لستن كاحد من النسا قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي
مثل قدر غيركن من النسا الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم

لدى

لدى ان اتقيتن يعني الله فاطعنيه فان الاكرم عند الله هو الاتقى
فلا تخضعن بالقول اى لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام
فيطمع الذي في قلبه مرض اى فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى
لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمراة
مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لتقطع الاطماع
فيهن وقلن قولا معروفا اى يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة
اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى
قوله عز وجل وقرن في بيوتكن اى الزمن بيوتكن وقيل هو امر
من الوقار اى كن اهل وقار وسكون ولا تبرجن قيل هو التكسر
والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال
تبرج الجاهلية الاولى قيل هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المراة
تلبس قميصا من الدرع غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه
وقيل كان ذلك زمن نمرود الجبار كانت المراة تتخذ الدرع من
اللولو فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شي غيره وتعرض
نفسها على الرجال • وقال ابن عباس الجاهلية الاولى فيما بين
نوح وادريس وكانت الف سنة وان بطنين من ولد ادم عليه
الصلاة والسلام كان احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان
رجال الجبل صباحا وفي النسا دمامة وكان النسا السهل صباحا
وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجره
نفسه وكان يخدمه واتخذ شيا مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء
بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم يستمعون
اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النسا للرجال
ويتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم
ذلك فراى النسا وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا
اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا
تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام
والجاهلية قوم يفعلون مثل فعلهم في اخر الزمان وقيل قد يذكر
الاولى وان لم يكن لها اخرى واقمن الصلاة اى الواجبة واتين
الزكاة اى المفروضة واطعن الله ورسوله اى فيما امر وفيما نهى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اى الاثم الذي نهى النسا
عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى
وقيل الرجس الشك وقيل السو اهل البيت هم نسا النبي صلى الله

عليه وسلم لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس
وتلى قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة
وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين
منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي
الله عنهم يدل عليه ما روي عن عايشة ام المومنين قالت خرج النبي
صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس
فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جا علي فادخله فيه ثم جا الحسن فادخله
فيه ثم جا الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكسا والمرحل
بالحا المنقوش صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال
عن ام سلمة قالت ان هذه الاية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وانا جالسة عند
الباب فقلت يرسول الله الست من اهل البيت فقال انك الى خير
من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكسا وقال اللهم
هولا اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح • عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول
الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وقال زيد بن ارقم اهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وال
عقيل وال عباس قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات
الله يعني القران والحكمة قيل هي السنة وقيل هي احكام القران ومواعظ
ان الله كان لطيفا اي باوليايه واهل طاعته خبيرا اي بجميع خلقه

قوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية وذلك ان ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم قلن يرسول الله ذكر الله الرجال في القران ولم
يذكر النسا بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة
فانزل الله هذه الاية عن ام عمارة الانصارية قالت اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت ما لي ارى كل شي الا الرجال وما ارى
للنسا يذكرن بشي فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب • وقيل ان ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت
بنت كعب الانصارية قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا
يذكر الرجال ولا يذكر النسا في شي من كتابه وتخشى ان لا يكون فيهن

خير فنزلت هذه الاية وروي ان اسما بنت عميس رجعت من الحبشة
مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نسا النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت هل نزل فينا شي من القران قلن لا فاتت النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يرسول الله ان النسا لفي خيبة وخسار قال
وم ذلك قالت لانهن لا يذكرون بخير كما يذكر الرجال فانزل الله ان
المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها
معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان
المسلمين والمسلمات • الثانية الايمان بما يرد به الله تعالى وهو
قوله ان المسلمين والمسلمات تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر
للباطن وهو قوله والمومنين والمومنات الثالثة الطاعة
وهو قوله والقانتين والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال
والافعال وهو قوله والصادقين والصادقات الخامسة الصبر
على ما امر الله وفيما سا وسر وهو قوله والصابرين والصابرات
السادسة الخشوع في الصلاة وهو ان لا يلتفت وقيل هو التواضع
وهو قوله والخاشعين والخاشعات السابعة الصدقة مما رزق
الله وهو قوله والمتصدقين والمتصدقات الثامنة المحافظة
على الصوم وهو قوله والصايمين والصايمات التاسعة العفة وهو
قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم حتى
يذكر الله قايما وقاعدا او مضطجعا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سبق المفردون قالوا يرسول الله وما المفردون قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات • وقال عطا بن رباح من فوض امره الى الله
فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمدا
رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمومنين والمومنات
ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله
والقانتين والقانتات • ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في
قوله والصادقين والصادقات • ومن صبر على الطاعة وعن
المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات
ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله
والخاشعين والخاشعات • ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم
فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات • ومن صام في كل شهر
ايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل
في قوله والصايمين والصايمات • ومن حفظ فرجه عما لا يحل
فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات • ومن صلى

المتلوات الجنس بجمعوتها وهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا اي لمحو ذنوبهم عظيما يعني
الجنة قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه الاية في زينب بنت
جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب على مولاه
زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا
في الجاهلية بعكاظ واعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى
الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت
انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا بنت عمتك يا رسول الله فلا ارضاه
لنفسي وكانت بيضا جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل
الله تعالى وما كان لمومن يعني عبد الله بن جحش ولا مومنة يعني
اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعني نكاح زيد لزينب ان
تكون لهم الخيرة من امرهم اي الاختيار على ما قضى الله والمعنى
ان يريد غير ما اراد الله او يمتنع مما امر الله ورسوله به ومن يعص
الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اي اخطا طريقا ظاهرا فلما
سمعت بذلك زينب واخوها رضيا وسلما وجعلت امرها بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة
وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله عز وجل
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
الاية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت
بيضا جميلة ذات خلق من اتم نسا قريش فوقعت في نفسه واعجبه
حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جا زيد
ذكرت ذلك له ففطن زيد والقي في قلبه كراهيتها في الوقت فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي
فقال ما لك ارابك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها
الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها ثم
ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه
اي بالاسلام وانعمت عليه بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه امسك

عليك

عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله فيها ولا تفارقها وتخفي
في نفسك اي تسر وتضمر في نفسك ما الله مبديه اي مظهره قيل كان
في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقال قتادة ود انه طلقها
وتخشى الناس قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم ان يقولوا
امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشاه قال عمر
وابن مسعود وعايشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن عايشة قالت لو كتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح **فصل** فان **قلت** ما ذكره في تفسير هذه
الاية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه
وسلم عندما راها وارادته طلاق زيد لها فيه اعظم الحرج وما لا
يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومن مد عينيه لما نهي عنه
من زهرة الحياة الدنيا **قلت** هذا اقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقول رآها
فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء
يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو ان يامر زيدا بامساكها وهو
يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا
الباب ما روي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان
قال سالت زين العابدين بن علي بن الحسين قالوا ما يقول الحسن
في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه قلت يقول لما جا زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك وقال امسك
عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك وكان الله
عز وجل قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما
جا زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه
الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون
من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبيا وهو مطابق
للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير
تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله
صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز
ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفا
ما اعلمه الله انها ستكون زوجته وانما اخفى ذلك استحيا ان يقول

لزيد ان الذى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى وهذا قول حسن
مرضى وكم من شى يتحفظ منه الانسان ويستحيى من اطلاع الناس
عليه وهو فى نفسه مباح متسع او حلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب
عند الله وكم وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول
واجبات يعظم اثرها فى الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج
النبى صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى وابطال سنته كما
قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على
المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم **فان قلت** فما الفايدة
فى امر النبى صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها **قلت** هو ان الله
تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن طلاقها
واخفى فى نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج
امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته • وقيل كان
فى امره بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
القول المتقدم والذى ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها او نكاحها
لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح فى حال الانبيا مع ان العبد غير
معلوم على ما يقع من قلبه من مثل هذه الاشيا وان رآها فجاة له
فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسانه
الحسن ونظره الفجاة معفو عنها ما لم يقصد فيه ما ثما لا ان الود
في وميل النفس من طبع البشر والله اعلم • وقوله امسك عليك
زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية لا اثم فيه • وقوله
والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه
الصلاة والسلام قد قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر
الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية فى عموم الاحوال فى جميع
الاشيا **قوله عز وجل** فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها اى
حاجته منها ولم يبق له ارب فيها وتقاصرت همته عنها وطابت نفسه
وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضا الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى
تحل بعد الدخول بها زوجناكها قال انس كانت زينب تفتخر على
على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجنى
الله من فوق سبع سموات وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى
صلى الله عليه وسلم تقول انى لادل عليك بثلاث ما من امراة من
نسايك تدل بهن جدى وجدك واحد وانى انكحنيك الله فى السما
وان السفير جبريل عليه السلام م عن انس قال لما انقضت عدة
زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فاذكرها على قال

فانطلق

فانطلق زيد حتى اتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت فى
صدرى حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى فقلت يا زينب ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى
او امر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القران وجا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رايتنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج
الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسايه يسلم عليهن
ويقولن يا رسول الله كيف وجدت اهلك قال فما ادرى انا اخبرته
ان قد خرجوا ام غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت
لادخل معه فالقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب ق عن انس
ما اولم النبى صلى الله عليه وسلم على شى من نسايه ما اولم على
زينب اولم بشاة وفى رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب قال
ثابت بما اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه **قوله عز وجل**
لكيلا يكون على المومنين حرج اى اثم فى ازواج ادعيائهم
جمع الداعى وهو المتبنى اذا قضوا منهن وطرا يقول زوجناك
زينب وهى امراة زيد الذى كنت تبنيته لتعلم ان زوجة المتبنى
حلال للمتبنى وان كان قد دخل المتبنى بها بخلاف امراة ابن الصلب
فانها لا تحل للاب وكان امر الله مفعولا اى قضا الله ما ضيا
وحكمه نافذا وقد قضى فى زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض له اى فيما
احل الله له من النكاح وغيره سنة الله فى الذين خلوا من قبل
سن الله سنة فى الانبيا وهو ان لا حرج عليهم فى الاقدام على ما
اباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحراير
والسراري وقد كان لداود عليه السلام ماية امراة ولسليمان سبعماية
امراة وثلثماية سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوسعة
عليه كما سن لهم ووسع عليهم وكان امر الله قدرا مقدورا اى قضا
مقضيا ان لا حرج على احد فيما احل له ثم اثنى الله تعالى على الانبيا
بقوله الذين يبلغون رسالات الله اى فرايض الله وسننه واوامره
ونواهيه الى من ارسلوا اليهم ويخشونه اى يخافونه ولا يخشون
احدا الا الله اى لا يخافون قالة الناس ولايمتهم فيما احل لهم وفرض
عليهم وكفى بالله حسيبا اى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم قوله عز وجل

ما كان محمد ابا احد من رجالكم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فانزل الله ما
كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن
ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبين ما يثبت بين الاب
وولده من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له ابنا
القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال الحسن ان ابني هذا سيد
قلت قد اخرجوا من النفي بقوله من رجالكم وهو لا لم يبلغوا مبلغ
الرجال وقيل اراد بالرجال الذين لم يلده ولكن رسول الله الكل رسول
هو ابو امته فيما يرجع الى امور التوقير والتعظيم ووجوب الشفقة
والنصيحة لهم عليه وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبوة
بعده اي ولا معه قال ابن زيد لولم اختم به النبيين لجعلت له
ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم
يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وكان الله بكل شيء عليما اي دخل في علمه
انه لا نبي بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في
اخر الزمان بعده وهو نبي قلت ان عيسى عليه السلام ممن
نبئ قبله وحين ينزل في اخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد
صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته ق عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه
واجمله الا موضع لبنة من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون
له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين
م عن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء ق عن جابر بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد
وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي وقد
سماه الله رؤوفا رحيما م عن ابي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفي وانا الماحي
ونبي التوبة ونبي الرحمة المقفي هو المولى الذاهب يعني اخر الزمان
المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي بعده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على
عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال
العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في
تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى واذكروا

الله ذكرا كثيرا بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر
والعلانية وقيل الذكر الكثير لا ينساه ابدا وسبحوه معناه اذا ذكرتموه
ينبغي لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء بكرة
واصيلا فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط
ايضا وقيل معناه صلوا له بكرة الصبح واصيلا يعني صلاة العصر
وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معناه سبحوه قولوا
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
وفي نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله
كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث
هو الذي يصلي عليكم وملائكته فالصلاة من الله رحمة ومن الملائكة
الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة
الذكر الجميل في عباده والثناء عليه قال انس لما نزلت ان الله
وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله
بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله هذه الاية ليخرجكم من الظلمات
الى النور يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من
ظلمة الكفر الى نور الايمان وكان بالمؤمنين رحيما فيه بشارة لجميع
المؤمنين واشارة الى ان قوله عليكم يصلي غير مختص بالسامعين
وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين تحيتهم يعني تحية المؤمنين يوم
يلقونه اي يرون الله يوم القيامة سلام اي يسلم الرب عليهم ويسلمهم
من جميع الافات وروي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه
سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه
عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال
ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون
من قبورهم تبشرهم واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة قوله
عز وجل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا اي للرسل بالتبليغ
وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيمة ومبشرا اي لمن امن بالجنة
ونذيرا اي لمن كذب بالنار وداعيا الى الله اي الى توحيده وطاعته
باذنه اي بامره وسراجا منيرا سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات
الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى الظلام بالليل بالسراج المنير
وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج
نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء
فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة
من السراج وانور قلت نور الشمس لا يمكن ان يؤخذ منه شيء

بخلاف نور السراج فانه يوخذ منه انوار كثيرة **وبشر المومنين بان لهم**
من الله فضلا كبيرا اي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل
هو تفضيل هذه الامة على ساير الامم **ولا تطع الكافرين والمنافقين**
ودع اذاهم قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه
وهذا منسوخ باية القتال **وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** اي حافظا
قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن**
من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن في الاية دليل على ان الطلاق
قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى
لو قال لامراة اجنبية اذا نكحتك فانت طالق او على امراة انكحها
فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر
ومعاذ وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد
ابن جبير والقاسم وطاووس والحسن وعكرمة وعطا وسليمان
ابن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال
الشافعي • وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم
النخعي واصحاب الراي • وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين
امراة وقع وان عم فلا يقع • وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال
كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول
ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن
ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن • روى عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك
ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو داود والترمذي
بمعناه خ عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه
البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح **فما لكم عليهن من عدة**
تعتدونها اي تحصونها بالاقرا والاشهر اجمع العلما على انه اذا كان
الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى ان الخلوة
توجب العدة والصداق **فمتعوهن** اي اعطوهن ما يستمتعن به
قال ابن عباس هذا اذا لم يسم لها صداقا فلها المتعة وان كان قد
فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة
هذه الاية منسوخة بقوله فلها نصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب
فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل
حال لظاهر الاية **وسرحوهن سراحا جميلا** اي خلوا سبيلهن بالمعروف
من غير اضرار بهن قوله عز وجل **يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك**

اللاتي

اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن **وما ملكت يمينك مما افاء الله**
عليك اي من السبي فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية
مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم **وبنات عمك وبنات عماتك**
يعني نساء قريش **وبنات خالك وبنات خالاتك** يعني نساء بني
زهرة **اللاتي هاجرن معك** اي الى المدينة فمن لم يهاجر منهن
لم يجز له نكاحها عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله
انا احللنا لك ازواجك الاية قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر
كنت من الطلقا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط
الهجرة في التحليل **وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد**
النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين اي احللنا
لك امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما المومنة
غير فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل يحل له الكتابية بالمهر
فذهب جماعة الى انه لا تحل له لقوله وامراة مومنة فدل ذلك على
انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصايصه صلى الله عليه وسلم
النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر
لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين والزيادة على اربع
ووجود تخيير النسا • واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة
في حق الامة فذهب اكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ النكاح او
التزويج وهو سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطا وبه قال ربيعة
ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي واهل الكوفة ينعقد بلفظ
التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى
الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم
بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين وذهب
اخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ النكاح او التزويج كما في حق ساير
الامة لقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها فكان اختصاصه في ترك
المهر لا في لفظ النكاح • واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل كان عنده امراة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم
تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده
امراة الا بعقد نكاح او بملك يمين • وقوله ان وهبت نفسها على
سبيل الشرط والجزا وقال اخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا
فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية ام
المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين

والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة ه
والزهري هي خولة بنت حكيم من بني سليم وقوله تعالى **قد علمنا ما**
فرضنا عليهم اي اوجبنا على المومنين **في ازواجهم** اي من الاحكام
وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر
وما ملكت ايمانهم اي ما اوجبنا عليهم من الاحكام في ملك اليمين
لكي لا يكون عليك حرج وهذا يرجع الى اول الاية معناه انا احللنا
لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكيلا يكون عليك
ضيق **وكان الله غفورا** اي للواقع في الحرج **رحيما** اي بالتوسعة
على عباده قوله تعالى **ترجي** اي توخر **من تشا منهن وتووي**
اليك اي تضم اليك **من تشا** قيل هي القسم بينهن وذلك ان التسوية
بينهن في القسم كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه
الاية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه
الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه
وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت اية
التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن بين من اختارت الدنيا فارقها
ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المومنين
لا ينكحن ابدا وعلى انه يووي اليه من يشا منهن ويرجي من يشا
فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن دون بعض او فضل
بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل
كيف يشا وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه
على هذا الشرط • واختلفوا في انه هل اخرج احدا منهن عن
القسم • فقال بعضهم لم يخرج بل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة
فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعايشة
وقيل اخرج بعضهن روي عن ابي رزين قال لما نزل التخيير اشفق
ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك
ما شيت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى اليه عايشة ه
وحفصة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن
ما يشا وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا
وقال الحسن تترك نكاح من شيت وتنكح من شيت من نساء
امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم
يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل تقبل من تشا من المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك فتوويها
اليك وتترك من تشا فلا تقبلها **ق** عن عروة قال كانت خولة
بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت
عايشة اما تستحي المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزل ترجي من
تشا منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك
ومن ابتغيت ممن عزلت اي طلبت ان توويه اليك امراة ممن
عزلتهن عن القسمة **فلا جناح عليك** اي لا اثم عليك فاباح الله
له ترك القسم لهن حتى انه ليوخر من يشا منهن في نوبتها ويطا من
يشا منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له
على ساير الرجال **ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن** اي ذلك
التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب
لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى **ويرضين**
بما اتيتهن اي اعطيتهن **كلهن** من تقريب في ارجا وعزل وايوا
والله يعلم ما في قلوبكم اي من امر النسا والميل الى بعضهن **وكان**
الله عليما اي بما في ضمايركم **حليما** اي عنكم قوله تعالى **لا يحل لك**
النسا من بعد اي من بعد هولا التسع اللاتي اخترنك وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله
لهن ذلك وحرم عليه النسا سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن
الاستبدال بهن قاله ابن عباس • واختلفوا هل ابيح له النسا
بعد ذلك فروي عن عايشة انها قالت ما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح • وللنساي عنها حتى احل له ان يتزوج من النسا
ما شا • وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم
وقيل لابي بن كعب لو مات نسا النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل
له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك
النسا من بعد قال انما احل له ضربا من النسا فقال تعالى يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك النسا من
بعد وقيل معنى الاية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد
المسلمات **ولا ان تبدل بهن من ازواج** اي بالمسلمات غيرهن من
الكتابيات لانه لا يكون امهات المومنين يهودية ولا نصرانية الا ما
ملكت يمينك اي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا ان
تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم
يقول الرجل للرجل انزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله

تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج اى تبادل بازواجك غيرك
بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته تحرم ذلك الا ما ملكت يمينك
اى لا باس ان تبادل بجاريتك ما شيت فاما الحراير فلا **ولو اعجبك**
حسنهن يعني ليس لك ان تطلق احدا من نسايك وتنكح بدلها
اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس الخثعمية
امراة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك **الا ما ملكت يمينك** قال
ابن عباس ملك بعد هولا مارية **وكان الله على كل شى رقيبا** اى
حافظا وفى الاية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من
النسا ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر الى ما
يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود م عن ابى هريرة ان
رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انظر اليها فان فى اعين الانصار شيا قال الحميدي يعني
الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امراة فقال لى النبي
صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه
احرى ان يدوم بينكما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **قوله**
عز وجل **يايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن**
لكم الاية قال المفسرون نزلت هذه الاية فى شان وليمة زينب بنت
جحش حين بنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم **ق** عن انس بن
مالك رضي الله عنه انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة قال فكان امهاتى يواظبني على خدمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم الناس بشان
الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل فى مبتنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه
وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي
رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبي
صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جا عتبة حجرة عايشة
وظن انهم خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب
النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الحجاب
زاد فى رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت

وارخى الستر دوني فى الحجرة وهو يقول يايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يوذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق **ق** عن
عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا
تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه
وسلم احجب نساك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من
الليالي عشا وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك
يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع
المواضع الخالية لقضا الحاجة من البول والغايط والصعيد
وجه الارض والافيح الواسع **ق** عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت
ربي فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى
فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل
على نسايك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب
واجتمع نسا النبي صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقلت عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن
عباس من انها نزلت فى ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل الطعام الى ان يدرك
ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتاذى بهم فنزلت الاية يايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يوذن لكم يعني الا ان تدعوا الى طعام فيوذن لكم فتاكلون
غير ناظرين اناه غير منتظرين نضجه ووقت ادراكه **ولكن اذا**
دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اى اكلتم الطعام **فانتشروا** اى فاخرجوا
من منزله وتفرقوا **ولا مستانسين لحديث** اى لا تطلبوا الجلوس
تستانس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام
يتحدثون فنهوا عن ذلك **ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي**
منكم اى فيستحيي من اخراجكم **والله لا يستحيي من الحق** اى لا يترك
تاديبكم وبيان الحق حيا ولما كان الحيا مما يمنع الحيي من بعض الافعال
قال لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم
وهذا ادب ادب الله العقلا وقيل بحسبك فى الثقلا ان تحملهم
واذا سالتموهن متاعا اى واذا سالتم نسا النبي صلى الله عليه
وسلم حاجة **فاسالوهن من وراء حجاب** اى من ورا ستر فبعد اية
الحجاب لم يكن احد ان ينظر الى امراة من نسا النبي صلى الله عليه
وسلم منتقبة كانت او غير منتقبة **ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن**

اى من الريب وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اى ليس لكم اذاه فى شى من
الاشيا ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت فى رجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا نكحن عايشة قيل هو طلحة بن عبد الله فاخبر الله ان ذلك
محرم وقال ان ذلكم كان عند الله عظيما اى ذنبا عظيما وهذا من اعلام
تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجابه حرمته حيا وميتا
واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغفر شكره فان من
الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله ليلا تنكح
بعده ان تبدوا شيا اى من امر نكاحهن على السنتكم او تخفوه اى فى
صدوركم فان الله كان بكل شى عليما اى يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن
اضمر نكاح عايشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال
رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت
هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الابا والابنا والاقارب يا رسول
الله ونحن ايضا نكلمهن من ورا حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح
عليهن فى ابايهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن ولا ابنا اخوانهن ولا
ابنا اخواتهن اى لا اثم عليهن فى ترك الحجاب عن هولا الاصناف من
الاقارب ولا نسايهن قيل اراد به النسا المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات
الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل هو عام فى
المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسايهن لانهن من اجناسهن
ولا ما ملكت ايمانهن اختلفوا فى عبد المراة هل يكون محرما لها ام لا
فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن وقال
قوم العبد كالاجانب والمراد من الاية الاما دون العبيد واتقين
الله اى ان تراكن احد غير هولا ان الله كان على كل شى اى من اعمال العباد
شهيدا قوله عز وجل ان الله وملايكته يصلون على النبى قال
ابن عباس اراد ان الله يرحم النبى والملايكة يدعون له وعنه ايضا
يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة الاستغفار
فصلاة الله ثناوه عليه عند ملايكته وصلاة الملايكة الدعا
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اى ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما
اى حياة بتحية الاسلام

فصل فى صفة الصلوة

على النبى صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلما على وجوب الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب فى العمر مرة وهو
الاكثر وقيل تجب فى كل صلاة فى التشهد الاخير وهو مذهب الشافعى
واحدى الروايتين عن احمد وقيل تجب كل ما ذكر واختاره الطحاوى

من

من الحنفية والحليمى من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد
سنة ق عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة فقال الا
اهدى اليك هدية ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول
الله علمنا كيف نسلم عليك وكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد ق عن
ابى حميد الساعدى قال قولوا يا رسول الله كيف نصلى عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد م عن ابى مسعود البدرى قال اتانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير
ابن سعد امرنا الله ان نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم م عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله
عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات
اخرجه الترمذى وله عن ابى طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشرى فى وجهه فقلت انا لنرى البشرى فى وجهك قال
اتانى الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلى عليك
احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وله
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى
الناس بى يوم القيمة اكثرهم على صلاة اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن غريب وله عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم البخيل الذى من ذكرت عنده فلم يصل على اخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح د عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى
الامى وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على
ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه ابو داود قوله عز وجل ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا
مهينا قال ابن عباس اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا
عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير واما النصارى

فقالوا المسيح بن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملايكة
بنات الله والاصنام شركاوه خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له
ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي بقوله لن يعيدني
كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي
فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
قال الله عز وجل يوذيني ابن ادم بسب الدهر وانا الدهر بيدي
اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة العرب
في الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم
ان الذي يصيبهم من افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر اي
انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك تنسبونه الى الدهر في
زعمكم وقيل معنى يوذون الله يلحدون في اسمايه وصفاته وقيل هم
اصحاب التصاوير ق عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا
ذرة وليخلقوا حبة او شعيرة • وقيل يوذون الله اي يوذون اوليا
الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من عادى
وليا فقد اذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب
معاصيه ذكره لك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى
منزه عن ان يلحقه اذى واما اذى الرسول فقال ابن عباس انه شج
وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون والذين
يوذون المومنين **والمومنات بغير ما اكتسبوا** اي من غير ان عملوا
ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم **فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا** وقيل انها نزلت في علي بن ابي طالب كانوا
يوذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شان عايشة وقيل نزلت في
الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النسا اذا
برزن بالليل لقضا حوايجهن فيتبعون المراة فان سكتت تبعوها
وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاما ولكن كانوا
لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة
في درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يوذون المومنين والمومنات
الاية ثم نهي الحراير ان يتشبهن بالاما فقال تعالى **يا ايها النبي قل**

لازواجك

لازواجك وبناتك ونسا المومنين يدنين اي يرخين ويغطين
عليهن من جلابيبهن جمع جلباب وهو الملاة التي تشتمل بها المراة
فوق الدرع على الخمار وقيل هو الملحفة وكلما يستتر به من كسا وغيره
قال ابن عباس امر نسا المومنين ان يغطين روسهن ووجوههن بالجلابيب
الا عينا واحدة ليعلم انهن حراير وهو قوله تعالى **ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يوذين** اي لا يتعرض لهن **وكان الله غفورا رحيما** اي لما سلف منهن
قال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال
يا لكاع اتتشبهين بالحراير القي القناع لكاع كلمة تقال لمن تستحقر به
مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس قوله
تعالى **لين لم ينته المنافقون** اي عن نفاقهم **والذين في قلوبهم مرض**
اي فجور وهم الزناة **والمرجفون في المدينة** اي بالكذب وذلك ان
ناسا منهم اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون
في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو هذا
من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا
ويفشوا الاخبار **لنغرينك بهم** اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم
ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا
اي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم
المدينة **ملعونين** اي مطرودين **اينما ثقفوا** اي وجدوا وادركوا •
اخذوا وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم على هذا الامر به **سنة الله** اي
كسنة الله **في الذين خلوا من قبل** اي في المنافقين والذين فعلوا
مثل فعل هولا ان يقتلوا حيث ما ثقفوا **ولن تجد لسنة الله تبديلا**

قوله عز وجل **يسالك الناس عن الساعة** قيل ان المشركين كانوا
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة ٥
استعجالا على سبيل الهزو وكان اليهود يسالونه عن الساعة امتحانا
لان الله تعالى عمى علم وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يجيبهم بقوله **قل انما علمها عند الله** يعني ان الله تعالى
قد استاثر به ولم يطلع عليه ملكا ولا نبيا **وما يدريك** اي شي يعلمك
امر الساعة ومتى يكون قيامها **لعل الساعة تكون قريبا** اي انها
قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين **ان الله لعن
الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا
نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار** اي تتقلب ظهرا لبطن حين يسحبون
عليها **يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول** اي في الدنيا **وقالوا
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا** يعني روسا الكفر الذين لقنوهم

الكفر وزينوه لهم **فاضلونا السبيل** يعني عن سبيل الهدى **ربنا اتهم** يعنون السادة الكبرا **ضعفين من العذاب** يعني ضعفي عذاب غيرهم **والعنهم لعنا كثيرا** اي لعنا متتابعا قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا** اي فطهره الله مما قالوا فيه **وكان عند الله وجيها** اي كريما ذا جاه وقد قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسال شيا الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره يقول ثوبي ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرايل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى الحجر اخرجه البخاري ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيا من جسده استحيا منه فاذاه من اذاه من بني اسرايل فقالوا ما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما افة وان الله اراد ان يبريه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصاة وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بني اسرايل فراوه عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فو الله ان بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية ونفخة فيها وقوله فجمح اي اسرع وقوله ثوبي حجر اي دع ثوبي يا حجر وقوله وطفق اي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح واصله اثر الجروح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولونه ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الاية ان اذاهم اياه انه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملايكة حتى مروا على بني اسرايل فعرفوا انه لم يقتله فبراه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى

بثنيها

بثنيها على راس الملا فعصمها الله وبراه موسى من ذلك واهلك قارون ق عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في الغنيمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب واثرهم في القسمة فقال رجل والله ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا** قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله **يصلح لكم اعمالكم** قال ابن عباس يتقبل حسناتكم **ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** اي ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال** الاية قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرايض التي فرضها الله تعالى على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن عباس الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودايع وقيل هي جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة فاستودعتها فالفرج امانة والاذنا امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس هي امانات الناس والوفا بالعهود فحق على كل مومن الا يغش مومنا ولا معاهدا في شي لا في قليل ولا في كثير يعرض الله هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف قال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى لان لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن

من جملتها الجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره وساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على اهلها من الملايكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلما فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن على الامانة ان لا يوديها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعني آدم قال الله عز وجل لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم فقال بين اذني وعاتقي قال الله اما اذا تحملت فسا عينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان يحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر • وقيل انما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يحمله ويستقل به فابى حمله واشفق منه وحملها الانسان على ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة • وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها • وقيل في تفسير الاية قول اخر وهو ان الله تعالى ايتمن السموات والارض والجبال على شي وايتمن ادم واولاده على شي فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له • وقوله فابين ان يحملنها اي ادين الامانة ولم تخن فيها • واما الامانة في حق بني ادم هو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرايض • وقوله وحملها الانسان اي خان فيها وعلى هذا القول حكي الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

فصل في الامانة

ق عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رايت احدهما وانا منتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القران فعلموا من القران وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل

النومة فتقبض الامانة فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شي ثم اخذ حصاة فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يودي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولقد اتى علي زمان وما ابالي ايكم بايعت لين كان مسلما ليردنه علي دينه وان كان نصرانيا او يهوديا ليردنه علي ساعيه واما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت في جذر قلوب الرجال جذر الشي اصله والوكت الشي اليسير الاثر كالنقطة في الشي من غير لونه والمجل غلظ الجلد وقد قشره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شي خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جا اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال • وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السايل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب • قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي بما خانوا الامانة ونقضوا الامانة ويتوب الله على المومنين والمومنات اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المومن فيتوب عليه اي يعود عليه بالمغفرة والرحمة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات وكان الله غفورا رحيما

والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

• تفسير سورة سبا •

وهي مكية وهي اربع وخمسون اية وثمانماية وثلاثة وثلاثون كلمة والف وخمسماية واثني عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض معناه ان كل نعمة من الله هو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا وله الحمد في الاخرة اي كما هو له في الدنيا لان

السم في الدارين كلها منه كما ان المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على
نعم الاخرة وقيل الحمد في الاخرة هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح
والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم اى الذى احكم امور الدارين الخبير
اى بكل ما كان وما يكون يعلم ما يلج في الارض اى من المطر والكنوز
والاموات وما يخرج منها اى من النبات والشجر والعيون والمعادن
والاموات اذا بعثوا وما ينزل من السما اى من المطر والثلج والبرد
وانواع البركات والملايكة وما يعرج فيها اى في السما من الملايكة
واعمال العباد وهو الرحيم الغفور اى للمفرطين في اداء ما وجب
عليهم من شكر نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة
معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطاؤا ما وعدوه من قيام
الساعة على سبيل اللهو والسخرية قل بلى وربي لتاتينكم يعني
الساعة عالم الغيب اى لا يفوت علمه شى من الخفيات واذا كان
كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها اتية لا يعزب
عنه لا يغيب عنه مثقال ذرة اى وزن ذرة في السموات ولا في الارض
ولا اصغر من ذلك اى من الذر ولا اكبر الا في كتاب مبين اى في اللوح
المحفوظ ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة
اى لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة والذين سعوا في اياتنا اى في
ابطال ادلتنا معاجزين اى يحسبون انهم يفوتوننا اولئك لهم عذاب
من رجز اليم قيل الرجز اسوا من العذاب ويرى الذين اوتوا العلم
يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم الذى انزل اليك من ربك يعني القران هو
الحق يعني انه من عند الله ويهدي يعني القران الى صراط العزيز
الحميد اى الى دين الاسلام وقال الذين كفروا يعني المنكرين للبعث
المتعجبين منه هل ندلكم اى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
ينبئكم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة
من الاعاجيب وهى انكم اذا مزقتم كل ممزق اى قطعتم كل تقطيع
وتفرقتم كل تفرق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد اى يقول انكم
تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا ترابا افترى
على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة اى جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد من
الافترا والجنون من شى وهو مبرا منهما بل الذين لا يومنون
بالاخرة يعني منكري البعث في العذاب والضلال البعيد
اى من الحق في الدنيا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من

السما والارض اى فيعلموا انهم حيث كانوا في ارضي وتحت سمائي فان
ارضي وسماى محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا قادر عليهم ان
نشا نخسف بهم الارض اى كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم
كسفا من السما اى كما فعلنا باصحاب الايكة ان في ذلك اى فيما
ترون من السما والارض لاية اى تدل على قدرته على البعث بعد
الموت لكل عبد منيب اى تايب راجع الى الله تعالى بقلبه قوله تعالى
ولقد اتينا داود منا فضلا يعني النبوة والكتاب وقيل الملك
وقيل هو جميع ما اوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به يا جبال
اوبي معه اى وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ه
ونوحي معه اذا ناح والطير اى وامرنا الطير ان تسبح معه فكان داود
اذا نادى بالتسبيح او بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت
الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور اسمعه الله
تسبيح الجبال فينشط له والنا له الحديد يعني كان الحديد في يده
كالشمع او كالعجين يعمل منه ما يشا من غير نار ولا ضرب مطرقة
قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرايل كان من
عادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا راى انسانا لا يعرفه تقدم
اليه وساله عن داود فيقول ما تقول في داود واليكم هذا فيثنون
عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة ادمي فلما راه داود
تقدم اليه على عادته وساله فقال نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع
داود عليه السلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه ياكل ويطعم
عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله تعالى ان يسبب
له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله ويتصدق
منها على الفقرا والمساكين فالان الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة
الدرع وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفايحا ويقال انه
كان يبيع كل درع باربعة الاف فياكل منها ويطعم عياله ويتصدق
منها على الفقرا والمساكين وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كان داود لا ياكل الا من عمل يده ان اعمل سابغات
اى دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم
درعا وقدر في السرد اى في ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير
في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا تثبت ولا غلاظا
فتكسر الحلق وقيل في السرد اى اجعله على القصد وقدر الحاجة
واعملوا صالحا يريد داود واله انى بما تعملون بصير قوله تعالى
ولسليمان الريح اى وسخرنا لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها

شهر معناه سير غدوه تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت ببابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان [illegible] يتغذى بالري ويتعشى بسمرقند **واسلنا له عين القطر** اى اذبنا له عين النحاس قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن كجري الما وكان بارض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد **ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه** اى بامر ربه قال ابن عباس سخر الله تعالى الجن لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم **ومن يزغ منهم** اى يعدل من الجن **عن امرنا** اى الذى امرنا به من طاعة سليمان **نذقه من عذاب السعير** قيل هذا في الاخرة وقيل في الدنيا وذلك بان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته **يعملون له ما يشاء من محاريب** اي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داود ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعده اسمه سليمان اقضى تمامه على يديه فلما توفي داود واستخلف سليمان احب تمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة بعمل فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنه وامر ببنا المدينة بالرخام والصفايح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بنا المدينة ابتدا في بنا المسجد فوجه الشياطين فرقا فمنهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر والياقوت والدر الصافي من اماكنها ومنهم من ياتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنه فاتى من ذلك بشي كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع لنحت تلك الاحجار وتصييره الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالى فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللالى واليواقيت وساير الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن على تلك الارض يوميذ بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد فكان يضي في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بني اسرايل واعلمهم انه بناه

لله

لله تعالى وان كل شي فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا وروي عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان ابن داود لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله (تعالى) عز وجل لما فرغ من بنا المسجد لا ياتيه احد لا ينهضه الا الصلاة فيه ان يخرجه من خطيته كيوم ولدته امه اخرجه النساى ويعني النساى ساله ربه ثلاثا فاعطاه اثنين وانا ارجوا ان يكون اعطاه الثالثة ذكر نحوه قوله لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على بنا سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وساير انواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنا الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر **قوله عز وجل وتماثيل** اى ويعملون له تماثيل يعني صورا من نحاس ورخام قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيره وقيل كانوا يصورون صور الملايكة والانبيا والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا انما يجوز ان يختلف فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوه مما يقدح في كل الشرايع قيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدين ذراعيهما واذا جلس اظلته النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه **وجفان كالجوابي** اى كالحياض التي يجبا فيها الما اى يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها **وقدور راسيات** اى ثابتات قيل اثافيها منها لا تتحرك ولا تنزل عن اماكنها لعظمهن ولا يبطلن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن **اعملوا آل داود شكرا** اى قلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه السلام قد جزى ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي الساعة من ليل او نهار الا وانسان من آل داود قايم يصلي **وقليل من عبادي الشكور** اى قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي **فلما قضينا عليه الموت** اى على سليمان قال العلما كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي

فمات فيها وكان سبب ذلك انه انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت
في محرابه ببيت المقدس شجرة فيقول لها ما اسمك فتقول كذا وكذا
فيقول لاي شي خلقت فتقول كذا وكذا فيومر بها فتقطع فان
كانت لغرس امر بها فغرست وان كانت لدوا كتب ذلك حتى نبتت
الخروبة فقال لها ما انت فقالت انا الخروبة قال ولاي شي نبتت
قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت
الذي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في
حايط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا
يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانسان انهم يعلمون من
الغيب شيا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب يصلي على عادته
متكيا على عصاه فمات قايما وكان للمحراب كوى من بين يديه
ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا
يعملونها في حياة سليمان وينظرون اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون
احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك
فمكثوا يدابون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصاه سليمان
فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها
بالما والطين في خرق الخشب فذلك قوله **ما دلهم على موته الا دابة**
الارض يعني الارضة **تاكل منساته** قال البخاري يعني عصاه **فلما**
خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
معناه علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
التعب والشقا مسخرين لسليمان ويظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك
ان تعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم ٥
وقيل في معنى الاية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم كانوا لا
يعلمون الغيب بانهم قد شبهوا على الانس **ذكر اهل التاريخ**
ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة
اربعين سنة وشرع في بنا بيت المقدس لاربع سنين مضين في ملكه
وهو ابن ثلاث وخمسين **قوله عز وجل** **لقد كان لسبا في مساكنهم**
اية عن فروة بن مسيك المرادي قال وانزل في سبا ما انزل قال رجل
يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض ولا امراة ولكنه
رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة فاما
الذين تشاموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا
فالازد والاشعرون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول
الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي مع زيادة

وقال

وقال حديث حسن غريب وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في
مساكنهم اي بمارب من ارض اليمن اية اي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا
ثم فسر الاية فقال تعالى **جنتان** اي هما بستانان **عن يمين وشمال** اي
عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من اتاها وشماله وقيل كان لهم
واد قد احاطت به الجنتان **كلوا** اي قيل لهم كلوا **من رزق ربكم** اي
من ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها على راسها وتمر بالجنتين
فيمتلي المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيا **واشكروا**
له اي على رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته **بلدة طيبة** اي ارض
مارب وهي سبا بلدة طيبة فسيحة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم
بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل
يمر ببلدتهم في ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهوا **ورب غفور**
اي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره قوله تعالى
فاعرضوا قال وهب ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى
الله وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما
نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان
استطاع فذلك اعراضهم **فارسلنا عليهم سيل العرم** اي الذي لا
يطاق قيل كان ماء احمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شا قيل
كان العرم السكر الذي يحبس الما وقيل العرم الوادي قال ابن
عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا
يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين
الجبلين وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه
بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها
اذا احتاجوا الى الما واذا استغنوا عنه سدوها فامرت بالباب
الاعلى ففتح فجرى ماوه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى
ثم من الباب ثم من الثالث ثم من الثاني الاسفل فلا ينفد الما حتى
يثوب الما من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا
بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب
السد من اسفله فغرق الما جناتهم واخرب ارضهم وقال وهب فيما
يزعمون ويجدون في علمهم ان يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة
بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جا زمانه وما اراد الله تعالى
بهم من التفريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمرا كبيرة الى هرة من
تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة
التي كانت عندها فتغلغلت في السد وحفرته حتى وهنته للسيل

دهم لا يعلمون بذلك فلما جا السيل وجد خللا فدخل فيه حتى اقتلع السد
وفاض الما على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فتفرقوا ومزقوا كل
ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهب ايدى سباء وتفرقوا
ايدى سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط قيل هو شجر الاراك وثمر البرير وقيل
كان نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل هو ثمر
شجرة يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش ينفرك ولا ينتفع به
واثل قيل هو الطرفا وقيل شجرة يشبه الطرفا الا انه اعظم منه وشيء
من سدر قليل هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق
ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح
لشي قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم
وهو قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الذي فعلنا بهم
جزاء كفرهم وهل يجازي الا الكفور اي هل يكافى بعمله الا الكفور لله في
نعمته قيل المومن يجزى ولا يجازى يجزي بحسناته ولا يكافى بسياته
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها اي بالما والشجر وهي قرى
الشام قرى ظاهرة اي متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها
منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون
باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كان قراهم
اربعة الاف وسبعماية قرية متصلة من سبا الى الشام وقدرنا
فيها السير اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو
والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية
ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك سيروا اي
وقلنا لهم سيروا فيها ليالي واياما اي في وقت شئتم امنين اي لا
تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسيموا الراحة ٥
وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كان جناننا ابعد مما هي
كان اجدر ان يشتهيه وطلبوا الكد والتعب في الاسفار فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات
لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فتمنوا ذلك فعجل الله لهم الاجابة
وظلموا انفسهم اي بالبطر والطغيان فجعلناهم احاديث اي عبرة لمن
بعدهم يتحدثون بامرهم وشانهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم
في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد
فاما غسان فلحقوا بالشام ومن الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة
ومن الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن

عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق خزيمة بالعراق ان في ذلك لايات
اي لعبرة ودلالات لكل صبار عن المعاصي شكور اي لله على نعمه وقيل
المومن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قوله عز وجل ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم فاتبعوه الا
فريقا من المومنين قال ابن عباس يعني المومنين كلهم لانهم لم يتبعوه
في اصل الدين وقيل هو خاص في المومنين الذين يطيعون الله و لا
يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سال النظرة فانظره الله
قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما
قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما
ظنه فيهم ٥ وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط
انما وعدهم ومناهم فاغتروا وما كان له عليهم من سلطان اي ما
كان تسليطنا اياه عليهم الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها
في شك اي لنرى ونميز المومن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور
اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب وربك على كل شي حفيظ
اي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى قل اي قل يا محمد لكفار
مكة ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دون الله والمعنى ادعوهم
ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الالهة
فقال من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
يعني من خير وشر ونفع وضر وما لهم اي للالهة فيهما اي في السموات
والارض من شرك اي شركة وما له اي لله منهم اي الالهة من ظهير
اي عون ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اي اذن الله له في
الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هولا شفعاونا عند الله
وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله في ان يشفع له حتى اذا فزع
عن قلوبهم معناه كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم الملايكة
وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله خ عن ابي هريرة
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت
الملايكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
اي الذي قال الحق وهو العلي الكبير وللترمذي اذا قضى الله في السما
امرا ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
قال الترمذي حديث حسن ٥ قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد
المطيع الصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي
سمع اهل السما صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا

يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جا فزع عن قلوبهم فيقولون
ياجبريل ماذا قال ربكم فيقول الحق فيقولون الحق الحق اخرجه ابوداود
٥ الصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض • وقيل انما يفزعون
حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
خمسماية سنة او ستماية لم تسمع الملايكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما
سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم
عند اهل السموات من اهل اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا
من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سما فيكشف
عنهم فيرفعون روسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق
يعني الوحي وهو العلي الكبير • وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون
وذلك اذا انكشف الفزع عن قلوبهم عند الموت قالت الملايكة لهم
ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به
حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير اي ذو العلو والكبريا قوله
تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض يعني المطر والنبات
قل الله يعني ان لم يقولوا رازقنا هو الله قل انت ان رازقكم هو الله
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين معناه ما نحن وانتم على
امر واحد بل احد الفريقين مهتد والاخر ضال وهذا ليس هو على
طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القايل
احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه
وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير ان
يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان •

اتهجوه ولست له بكفوٍ • فشركما لخيركما الفداء •

وقيل او بمعنى الواو ومعنى الاية انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين
قل لا تسالون عما اجرمنا اي لا تواخذون به ولا نسال عما تعملون
اي من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام الصغاير والزلات التي
لا يخلو منها مومن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا
ربنا يعني يوم القيامة ثم يفتح بيننا اي يقضي ويحكم بالحق اي
بالعدل وهو الفتاح اي القاضي العليم اي بما تقضي قل اروني اي
اعلموني الحقتم به اي بالله شركا اي الاصنام معه في العبادة هل يخلقون
او يرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق الشركا بالله
كلا كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا
يرزقون بل هو الله العزيز اي الغالب على امره الحكيم اي في تدبير

الذي

خلقه

خلقه فاني يكون له شريك في ملكه **قوله عز وجل** وما ارسلناك
الا كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربيهم وعجميهم
وقيل ارساله عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد
ق عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة
وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة في
الحديث بيان الفضايل التي خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
دون ساير الانبيا وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من
الانبيا وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس
والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه والى اهل بلده فعمت
رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها
دون ساير الانبيا وقيل في معنى كافة اي كافا يكفهم عما هم عليه
من الكفر فيكون الها للمبالغة بشيرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا
لمن كفر بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين يعني يوم القيمة قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون معناه لا يتقدمون على يوم القيمة وقيل
عن يوم الموت لا تستاخرون عنه بان يزاد في اجالكم او ينقص منه وقال
الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه يعني التوراة
والانجيل ولو ترى اي يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول معناه ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون
اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت يقول الذين استضعفوا
وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة الاشراف لولا انتم لكنا
مومنين انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله قال الذين
استكبروا اي اجابوا المتبوعين في الكفر للذين استضعفوا انحن
صددناكم اي منعناكم عن الهدى اي عن الايمان بعد اذ جاكم بل كنتم
مجرمين اي بترك الايمان وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
بل مكر الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل والنهار وهو طول السلامة
وطول الامل فيهما اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي
هو قول القادة للاتباع ان ديننا حق وان محمدا كذاب ساحر وهذا
تنبيه للكفار اذ يصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم
في الاخرة واسروا الندامة اي اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد

لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في
النار الاتباع والمتبوعين جميعا هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اي من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها اي روساوها واغنياوها انا بما
ارسلتم به كافرون وقالوا يعني المترفين والاغنيا للفقرا الذين
امنوا نحن اكثر اموالا واولادا يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن
عليه من الدين والعمل لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن
بمعذبين اي ان الله قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا
يعذبنا في الاخرة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يعني
انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدرك البسط على
رضى الله تعالى ولا التضييق على سخطه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اي انها كذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
اي بالتي تقربكم عندنا تقريبا الا اي لكن من امن وعمل صالحا
قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني فاوليك لهم جزا الضعف
بما عملوا اي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة
عشرا الى سبعماية وهم في الغرفات امنون والذين يسعون في اياتنا
اي يعملون في ابطال حجتنا معاجزين اي معاندين يحسبون انهم
يعجزوننا ويفوتوننا اوليك في العذاب محضرون قوله
عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له
وما انفقتم من شي فهو يخلفه اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف
ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او
بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما الثواب في الاخرة الذي كل خلف
دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير فهو يخلفه على
المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد
فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع
عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتاولن
وما انفقتم من شي فهو يخلفه اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف
ولا تقتير فان هذا في الاخرة ومعنى الاية ما كان من خلف فهو منه
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن ادم انفق انفق عليك
ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد
فيه الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا والاخر
يقول اللهم اعط ممسكا تلفا م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال ما نقصت صدقة من مال ولا وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا
وما تواضع احد لله الا رفعه الله وهو خير الرازقين اي خير من يعطي
ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق
مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على ايدي
من يشا وهو الرازق الحقيقي الذي لا رازق سواه قوله تعالى ويوم
يحشرهم جميعا يعني الكفار ثم يقول للملايكة اهولا اياكم كانوا يعبدون
اي في الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتبرا منهم الملايكة
من ذلك وهو قوله تعالى قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا
من دونهم اي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله
ومعادات الكفار براتهم من الرضا بعبادتهم لهم بل كانوا يعبدون
الجن اكثرهم بهم مومنون يعني الشياطين فان قلت
قد عبدوا الملايكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت
اراد ان الشياطين زينوا عبادة الملايكة فاطاعوهم في ذلك فكانت
طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه
صور الملايكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام
فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مومنون اي مصدقون الشياطين
قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا اي شفاعة ولا
ضرا اي بالعذاب يريد انهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا ما هذا الا
افك مفترى يعني القران وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا
الا سحر مبين وما اتيناهم يعني هولا المشركين من كتب يدرسونها اي
يقروونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي لم يات العرب قبلك
نبي ولا انزل عليهم كتاب وكذب الذين من قبلهم اي من الامم السالفة
رسلا وما بلغوا يعني هولا المشركين معشار اي عشر ما اتيناهم اي
اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار فكذبوا رسلي
فكيف كان نكير اي انكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب
الامم الماضية قوله عز وجل قل انما اعظكم اي امركم واوصيكم
بواحدة اي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى ان تقوموا
لله مثنى اي اثنين اثنين وفرادى اي واحدا واحدا ثم تتفكروا اي
تجتمعوا جميعا فتنظرون وتتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى الله
عليه وسلم فتعلموا ان ما بصاحبكم من جنة ومعنى الاية انما اعظكم بواحدة

ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به
القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة
فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه
وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول
فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل
بهما اتباع الهوا واما الفرد فيفكر في نفسه ايضا بعدل ونصفة هل
راينا في هذا الرجل جنونا قط او جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان
محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح من قريشا
عقلا واوزنهم حلما واحدهم ذهنا وارصنهم رايا واصدقهم قولا ٥
وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم
بذلك كفاكم ان تطالبوه باية واذا جاءها تبين انه نبي صادق
فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اي في السموات
والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدا فقال ما
بصاحبكم من جنة **ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**
قل ما سالتكم على تبليغ الرسالة **من اجر** اي جعل **فهو لكم** اي لم
اسالكم شيا **ان اجري** اي ثوابي **الا على الله وهو على كل شي شهيد**
قل ان ربي يقذف بالحق اي ياتي بالحق من السما فيقذفه في الانبيا
علام الغيوب اي خفيات الغيوب الامور **قل جا الحق** اي القران
والاسلام **وما يبدي الباطل وما يعيد** اي ذهب الباطل وزهق
(في الهامش: فيهم)
فلم يبق منه بقية يبدي شيا او يعيده وقيل الباطل هو ابليس ٥
والمعنى لا يخلق ابليس احدا ابتدا ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل
الاصنام **قل ان ضللت فانما اضل على نفسي** وذلك ان كفار مكة
كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين ابايك فقال الله
تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالتي على نفسي
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اي من القران والحكمة **انه سميع**
قريب قوله عز وجل **ولو ترى** اي يا محمد **اذ فزعوا** اي عند البعث
اي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت **فلا فوت** اي لا
يفوتوننا ولا نجاة لهم **واخذوا من مكان قريب** قيل من تحت
اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فهم
من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه • وقيل من مكان قريب
يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيدا
ومعنى الاية ولو ترى اذ فزعوا لرايت امرا يعتبر به **وقالوا امنا**
به اي حين عاينوا قيل هو عند الباس وقيل هو البعث **واني لهم**

التناوش اي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان
والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فيقال والى لهم الرد الى الدنيا
من مكان بعيد اي من الاخرة الى الدنيا **وقد كفروا به من قبل** اي بالقران
وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب واهوال
القيامة **ويقذفون بالغيب من مكان بعيد** قيل هو الظن لان علمه
غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون
محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم
انه ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث
ولا جنة ولا نار **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** يعني الايمان والتوبة
والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها **كما فعل باشياعهم** اي بنظرايهم
ومن كان على مثل حالهم من الكفار **من قبل** اي لم يقبل منهم التوبة
والايمان في وقت الياس **انهم كانوا في شك** اي من البعث ونزول
العذاب بهم **مريب** اي موقع الريبة والتهمة والله اعلم

• تفسير سورة فاطر ويقال لها سورة الملايكة

(في الهامش: ابدع)
وهي مكية وهي خمس واربعون كلمة ∴ وتسعماية وسبعون كلمة وثلاثة
الاف وماية وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقها ومبتدعها على غير مثال
سبق **جاعل الملايكة رسلا** اي الى الانبيا **اولي اجنحة** اي ذوي اجنحة
مثنى وثلاث ورباع اي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة
اجنحة وبعضهم له اربعة **يزيد في الخلق ما يشا** اي يزيد في خلق
الاجنحة ما يشا قال ابن مسعود في قوله لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح وقيل في قوله
يزيد في الخلق ما يشا هو حسن الصوت وقيل هو حسن الخلق وتمامه
وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز **ان الله على**
كل شي قدير اي مما يريد ان يخلقه قوله تعالى **ما يفتح الله للناس من**
رحمة قيل المطر وقيل من خير ورزق **فلا ممسك لها** اي لا يستطيع
احد على حبسها **وما يمسك فلا مرسل له من بعده** اي لا يقدر احد
على فتح ما امسك **وهو العزيز** اي فيما امسك **الحكيم** اي فيما ارسل **م**
عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر
كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد
منك الجد والجد الغنى والبخت لا ينفع المبخوت والغني حظه وغناه
لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك • قوله عز وجل

يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله
عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم هل من خالق غير الله اي
لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ يرزقكم من السما يعني المطر
والارض اي النبات لا اله الا هو فانى يوفكون اي من اين يقع لكم
الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وانتم مقرون بان
الله خالقكم ورازقكم وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزي
نبيه صلى الله عليه وسلم والى الله ترجع الامور اي فيجزي المكذب
من الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق يعني
وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي لا تخدعنكم بلذاتها وما
فيها عن عمل الاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
اي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين
الغرور من هو فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
اي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يامركم به من الكفر والمعاصي
انما يدعوا حزبه اي اشياعه واتباعه ليكونوا من اصحاب السعير
ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى الذين كفروا لهم عذاب
شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
قوله عز وجل افمن زين له سوء عمله قال ابن عباس نزلت
في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهوا والبدع ومنهم
الخوارج الذين يستحلون دما المسلمين وليس اصحاب الكباير من
الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم
اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله فراه حسنا وفي الاية
حذف مجازه افمن زين له سوء عمله فراى الباطل حقا كمن هداه الله
فراى الحق حقا والباطل باطلا فان الله يضل من يشا ويهدي من
يشا وقيل مجاز الاية افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا والحسرة
شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يومنوا
ان الله عليم بما يصنعون فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم
والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا اي يزعجه من مكانه وقيل
تجمعه وتجي به فسقناه اي فنسوقه الى بلد ميت فاحيينا به الارض
بعد موتها كذلك النشور اي مثل احيا الموات نشور الاموات روي
ابن الجوزي في تفسيره عن ابي رزان العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف
يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك
محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك

اية في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة قيل معناه من كان يريد ان
يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة
فليتعزز بطاعة الله وهو دعا الى طاعة من له العزة اي فليطلب العزة
من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز
فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولاوليايه المومنين اليه اي الى
الله يصعد الكلم الطيب قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى البغوي باسناده عن ابن
مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز
وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد
بهن فلا يمر بهن على جمع من الملايكة الا استغفروا لقايلهن حتى يحيي
بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد
الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفي اسناده الحجاج
ابن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه
يصعد اي يقبل الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس
اي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح ادا الفرايض
فمن ذكر الله ولم يود فرايضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني
وليس بالتحلي لكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا
وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا يرفعه العمل ذلك
بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجا
في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقيل الها
في يرفعه راجعة الى العمل الصالح اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح
فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل
الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من
الاقوال والافعال والذين يمكرون السيات اي يعملون السيات
اي الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة وقيل اصحاب الريا لهم عذاب شديد ومكر اوليك هو
يبور اي يبطل ويهلك في الاخرة قوله عز وجل والله خلقكم من
تراب يعني ادم ثم من نطفة يعني ذريته ثم جعلكم ازواجا يعني
اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم ببعض وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر اي لا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره
اي عمر اخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب
عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب

يوم كان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان
ولا ينقص الا في كتاب • قال كعب الاحبار حين حضر عمر الوفاة والله لو
دعا عمر ربه ان يوخر اجله لاخر فقيل له ان الله يقول فاذا جا اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما
قبل ذلك فيجوز ان يزاد ذلك وقرا هذه الاية الا في كتاب يعني
اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اى كتابة الاجال والاعمال على
الله هين قوله تعالى وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم وصفهما
فقال هذا عذب فرات اى طيب يكسر العطش سايغ شرابه اي
سهل في الحلق هني مري وهذا ملح اجاج اى شديد الملوحة يحرق
الحلق بملوحته وقيل هو المر ومن كل يعني من البحرين تاكلون لحما
طريا يعني السمك وتستخرجون اى من الملح دون العذب حلية تلبسونها
يعني اللولو والمرجان وقيل نسب اللولو اليهما لانه يكون في البحر المالح
عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللولو منهما وترى الفلك فيه
مواخر اى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله
اى بالتجارة ولعلكم تشكرون اى تشكرون الله على نعمته يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل
مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه يعني الاصنام
ما يملكون من قطمير اى هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التي
تكون على النواة ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا دعاكم يعني انهم
جماد ولو سمعوا اى على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم اي
ما اجابوكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم اى يتبراون
منكم ومن عبادتكم اياها ولا ينبيك مثل خبير يعني نفسه اى لا
ينبيك احد مثلي لاني عالم بالاشيا قوله تعالى يايها الناس انتم الفقرا
الى الله الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم
محتاجون الى الله فهم فقرا والله هو الغني اى عن خلقه لا يحتاج اليهم
الحميد اى المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه
ان يشا يذهبكم اى لاتخاذكم اندادا وكفركم باياته ويات بخلق جديد
اي يخلق من بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيا وما ذلك على الله
بعزيز اى بممتنع ولا تزر وازرة وزر اخرى اي ان كل نفس يوم القيمة
لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تواخذ بذنب غيرها **فان قلت**
كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
قلت هذه الاية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون
اوزار من ضلوه من الناس مع اثقال انفسهم وذلك كله من كسبهم

وان تدع مثقلة الى حملها معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل
ذنوب غيرها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى اى ولو كان المدعو ذا قرابة
كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام والابن فيقول
يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما تنذر
الذين يخشون ربهم اي يخافون ربهم بالغيب اى لم يروه والمعنى انما ينفع
انذارى الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى اي
اصلح وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه اى لها ثوابه والى الله المصير وما
يستوى الاعمى والبصير اى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى
وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المومن ولا الظلمات ولا النور وهو
الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وقال ابن عباس
الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وما يستوى الاحيا ولا الاموات
يعني المومنين والكفار وقيل العلما والجهال ان الله يسمع من يشا يعني
حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في القبور يعني الكفار شبههم
بالاموات في القبور لانهم لم يجيبوا اذا دعوا ان انت الا نذير اى ما
انت الا منذر تخوفهم بالنار انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اى بشيرا
بالثواب لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر وان من امة اى من جماعة كثيرة
فيما مضى الا خلا اى سلف فيها نذير اى نبي منذر **فان قلت**
كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير
قلت اذا كان اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا ان تندرس
وحين اندرست اثارة نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم واثار نذارته باقية الى يوم القيمة وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الدالة
على نبوتهم وبالزبر اى الصحف وبالكتاب المنير اى الواضح قيل اراد
بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر
تاكيدا ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير **قوله عز وجل** الم تر
ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعني المطر
يعني اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها
وقيل يعني الوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر
ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني الخطط والطرايق في الجبال
مختلف الوانها يعني منها ما هو ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو غرابيب
سود اى شديد السواد كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى خلق مختلف الوانه
كذلك اى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال

تعالى **انما يخشى الله من عباده العلماء** قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدره واقدره والخشوع حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية ق عن عايشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية • قولها فرخص فيه اي لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه اقوام اي تباعد عنه وكرهه قوم ق عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا • وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل اشد الناس خشية اعلمهم به • وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم **ان الله عزيز** اي في ملكه **غفور** اي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو احق ان يخشى ويتقى

قوله عز وجل **ان الذين يتلون كتاب الله** اي يداومون على قراته ويعلمون ما فيه ويعملون به **واقاموا الصلاة** اي ويقيمون الصلاة في اوقاتها **وانفقوا مما رزقناهم** اي في سبيل الله **سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور** اي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب **ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله** قال ابن عباس سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع اذن **انه غفور شكور** قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم **والذي اوحينا اليك من الكتاب** يعني القران **هو الحق مصدقا لما بين يديه** اي من الكتب **ان الله بعباده لخبير بصير** قوله تعالى **ثم اورثنا الكتاب** اي اوحينا اليك الكتاب وهو القران ثم اورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه يعني نورثه **الذين اصطفينا من عبادنا** قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على ساير الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى **فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** روي عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال في هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هولا كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب • وعن عمر بن الخطاب انه قرا هذه الاية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فقال ابو قلابة احد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده وروى بسنده • عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال ابو الدردا لين كنت صادقا لانا اسعد بك مني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا • واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرا هذه الاية الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور • وقال عقبة ابن صهبان سالت عايشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة • واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به • واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا • وقال ابن عباس السابق المومن المخلص • والمقتصد المرايي • والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها • وقيل الظالم هم اصحاب المشامة • والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم • وقيل السابق من رجحت حسناته على سياته • والمقتصد من استوت سياته وحسناته • والظالم من رجحت سياته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خير من باطنه • والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره • وقيل الظالم التالي للقران والمقتصد التالي له العالم به • والسابق القاري العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكباير • والمقتصد اصحاب الصغاير • والسابق الذي لم يصب صغيرة ولا كبيرة • وقيل الظالم الجاهل • والمقتصد المتعلم والسابق العالم • فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت

قال جعفر الصادق بدا بالظالمين اخبارا لانه لا يتقرب الا بكرمه فان الظلم لا يوثر في الاصطفا ثم ثني بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصي الرجل دخل في حيز الظالمين لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم ومعنى سابق بالخيرات اي بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى رحمة الله **باذن الله** اي بامر الله وارادته **ذلك هو الفضل الكبير** يعني ايراثهم الكتاب ثم اصطفاهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى **جنات عدن يدخلونها** يعني الاصناف الثلاثة **يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير** تقدم تفسيره **وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن** قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيات وخوف رد الطاعات وانهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم القيمة وهم هم الخبر والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن اهل الجنة كل حزن كان منها لمعاش او معاد روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن روسهم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن **ان ربنا لغفور شكور** يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال **الذي احلنا** اي انزلنا **دار المقامة** اي الاقامة **من فضله** اي لا باعمالنا **لا يمسنا فيها نصب** اي لا يصيبنا فيها عنا ولا مشقة **ولا يمسنا فيها لغوب** اي اعيا من التعب قوله تعالى **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا** اي فيستريحوا مما هم فيه **ولا يخفف عنهم من عذابها** اي من عذاب النار **كذلك يجزي كل كفور وهم يصطرخون** اي يستغيثون ويصيحون **فيها** يقولون **ربنا اخرجنا** اي من النار **نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل** اي في الدنيا من الشرك والسيات فيقول الله تعالى توبيخا لهم **اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر** هو البلوغ وقيل ثماني عشرة سنة وقيل اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله تعالى لابن ادم **خ** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرء اخر اجله حتى بلغ ستين سنة • وعنه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين

الى

الى السبعين **وجاكم النذير** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقران قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت **فذوقوا** اي يقال لهم ذوقوا العذاب **فما للظالمين من نصير** اي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه **ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور** يعني انه اذا علم ذلك وهو اخفى ما يكون فقد علم غيب كل شي في العالم قوله تعالى **هو الذي جعلكم خلايف في الارض** اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلها خلفا في ارضه وملككم منافعها ومقاليد التصريف لتشكروه بالتوحيد والطاعة **فمن كفر** اي جحد هذه النعمة وعظمها **فعليه كفره** اي وبال كفره **ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا** اي غضبا وقيل المقت اشد الغضب **ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا** اي في الاخرة **قل ارايتم شركاكم الذين تدعون من دون الله** يعني الاصنام جعلتموها شركا بزعمكم **اروني ماذا خلقوا من الارض** يعني اي جزء استبد وانفرد من الارض **ام لهم شرك في السموات** اي خلق في السموات والارض **ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه** اي على حجة وبرهان من ذلك **بل ان يعد الظالمون بعضهم** يعني الروسا **بعضا الا غرورا** يعني قولهم هولاء الاصنام شفعاونا عند الله قوله عز وجل **ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا** اي لكيلا تزولا فيمنعها من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا هدا لعظم كلمة الشرك **ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده** اي ليس يمسكهما احد سواه **انه كان حليما غفورا** اي غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا قد همتا لعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه **واقسموا بالله جهد ايمانهم** يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم وقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فاقسموا بالله لو جانا نذير لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم **لين جاءهم نذير** اي رسول **ليكونن اهدى من احدى الامم** يعني اليهود والنصارى **فلما جاءهم نذير** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **ما زادهم** مجيئه **الا نفورا** اي تباعدا عن الهدى **استكبارا في الارض** يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به **ومكر السيء** يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يحيق المكر السيء الا باهله** اي لا يحيط ولا يحل الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك

خلقة

لا تحل الا بمن اشرك فهل ينظرون اى ينتظرون الا سنت الاولين يعنى
ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار فلن تجد لسنت الله
تبديلا اى تغييرا ولن تجد لسنة الله تحويلا اى تحويل العذاب
عنهم الى غيرهم اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم معناه انهم يعتبرون من مضى وباثارهم وعلامات
هلاكهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه اى ليفوت عنه من
شى فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يواخذ الله
الناس بما كسبوا اى من الجرايم ما ترك على ظهرها اى ظهر الارض من
دابة اى من نسمة تدب عليها يريد بنى ادم وغيرهم كما اهلك من كان
فى زمن نوح بالطوفان الا من كان فى السفينة ولكن يوخرهم الى اجل
مسمى يعنى يوم القيمة فاذا جا اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا بمن
يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله تعالى اعلم بمراده

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يس عليه السلام

وهى مكية وهى ثلاث وثمانون اية وسبعمائة وعشرون كلمة وثلاثة
الاف حرف • عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل
شى قلبا وقلب القران يس ومن قرا يس يكتب له بقراتها قراة
القران عشر مرات اخرجه الترمذي • وقال حديث غريب وفى
اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقروا على موتاكم يس اخرجه ابو داود وغيره قوله عز وجل
يس قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طى
يعنى محمد وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم القران والقران الحكيم اى
ذى الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه انك لمن المرسلين
اى اقسم بالقران ان محمدا لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا
لست مرسلا على صراط مستقيم معناه وانه على صراط مستقيم وقيل
معناه انك لمن المرسلين الذين هم على صراط طريقة مستقيمة تنزيل
العزيز الرحيم اى القران تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه لتنذر
قوما ما انذر اباوهم يعنى لم ينذر اباوهم لان قريشا لم ياتهم نبي قبل
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر اباوهم من
العذاب فهم غافلون اى عن ما يراد بهم من الايمان والرشد لقد
حق القول اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يومنون فيه اشارة
الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم انهم لا يومنون بما سبق لهم من العذر

بذلك

بذلك • قوله عز وجل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نزلت فى ابى جهل
وصاحبه المخزومى وذلك ان ابا جهل حلف لين راى محمدا يصلى ليرضخن راسه
بالحجارة فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه اثبتت يده
الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر
فقال رجل من بنى مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى ليرميه
بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم
حتى نادوه فقالوا له ما صنعت قال ما رايته ولقد سمعت صوته
وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلنى فانزل
الله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا قيل هذا وجه التمثيل ولم يكن
هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك
وقيل حبسناهم عن الانفاق على سبيل بموانع كالاغلال • وقيل انها موانع
حسية منعت كما يمنع الغل • وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ما
سينزله الله لهم فى النار فهى يعنى الايدى الى الاذقان جمع ذقن وهو
اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فهم مقمحون اي رافعوا
روسهم عن غض البصر وقيل اراد بالاغلال رفعه روسهم فهم مرفوعوا
الروس برفع الاغلال لها وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج
من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم
بالظلمة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فاغشيناهم
اي فاعميناهم فهم لا يبصرون يعنى سبيل الهدى وسواء عليهم اانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يومنون يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار
انما تنذر من اتبع الذكر يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القران
فعمل بما فيه وخشى الرحمن بالغيب اي خافه فى السر والعلانية فبشره
بمغفرة واجر كريم يعنى الجنة • قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى اى
للبعث ونكتب ما قدموا اي من الاعمال من خير وشر واثارهم اى
ونكتب ما سنوا من سنة حسنة او سيئة م عن جرير بن عبد الله البجلى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة فى الاسلام حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شي
ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من
غير ان ينقص من اوزارهم شى • وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن ابى سعيد
الخدري قال كانت بنو سلمة فى ناحية المدينة فارادوا النقلة الى
قرب المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا
واثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا

اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب خ عن انس قال اراد بنوا
سلمة ان يتحولوا قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
تعرى المدينة فقال بنوا سلمة الا تحتسبون اثاركم فاقاموا قوله نعرى يعنى
تخلى المدينة فنترك عدا او صوا الفضا من الارض الخالى الذى لا يستره شى
م عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنوا سلمة ان ينتقلوا
قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انهم
يريدون ان ينتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال
بني سلمة دياركم تكتب اثاركم فقالوا ما يسرنا انا تحولنا قوله بنى سلمة
اى يا بنى سلمة وقوله دياركم اى الزموا دياركم ق عن ابى موسى الاشعرى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا فى الصلاة
ابعدهم فابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصلى مع الامام اعظم
اجرا من الذى يصلى وينام وقوله تعالى **وكل شى احصيناه** اى حفظناه
وعددناه فاثبتناه **فى امام مبين** يعنى اللوح المحفوظ **قوله عز وجل**
واضرب لهم مثلا اى صف لهم شبها مثل حالهم من قصة **اصحاب القرية**
يعنى انطاكية **اذ جاءها المرسلون** يعنى رسل عيسى عليه السلام ٥

ذكر القصة فى ذلك

قال العلما باخبار الانبيا بعث
عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى اهل انطاكية فلما قربا
من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما
عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة
الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية قالا نعم نشفى المريض ونبرى
الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق
بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله
صحيحا ففشى الخبر فى المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان
لهم ملك يعبد الاصنام يسمى انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى
خبرهما اليه فدعا بهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى قال وفيما
جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع
ويبصر فقال ولنا اله دون الهتنا قالا نعم الذى اوجدك والهتك قال
لهما قوما حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس فاخذوهما فضربوهما وقال
وهب بعث عيسى هذين الرجلين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى
ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى
فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما
كذبا وضربا بعث عيسى راس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما ٥
لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى

انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وانس به واكرمه ورضى عشرته
فقال للملك ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين
دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى
وبين ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما
الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى هنا قالوا الله الذى خلق كل شى
وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد فقال شمعون وما ايتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاوا
بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما
حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه
فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت
سالت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال
له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع
ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم
ويصلى ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان
قدر الهكما الذى تعبدانه على احيا ميت امنا به وبكما قالا الهنا
قادر على كل شى فقال الملك ههنا ميتا قد مات منذ سبعة ابن دهقان
وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غايبا فجاوا بالميت وقد
تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام
الميت وقال انى ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت فى
سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم عليه فامنوا بالله
ثم قال فتحت ابواب السما فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهولا
الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان واشار
الى صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد اثر
فى الملك اخبره بالحال فامن الملك وامن معه قوم وكفر اخرون ٥ وقيل
بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا
وهو على باب المدينة فجا يسعى اليهم ويذكرهم ويدعوهم الى طاعة
المرسلين فذلك قوله تعالى **اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما** قال
وهب اسمهما يحيى ويونس وقال كعب صادق ومصدوق **فعززنا**
بثالث اى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل سلوم وانما اضاف
الله الارسال اليه لان عيسى انما بعثهم باذن الله عز وجل **فقالوا** يعنى
الرسل جميعا لاهل انطاكية **انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر**
مثلنا وما انزل الرحمن من شى اى لم يرسل رسولا **ان انتم الا تكذبون**
اى فيما تزعمون **قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** اى وان كذبتمونا

وما علينا الا البلاغ المبين اى بالايات الدالة على صدقنا قالوا انا
تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا
بشومكم لين لم تنتهوا لنرجمنكم اى لنقتلنكم قتلا بالحجارة وليمسنكم
منا عذاب اليم قالوا طايركم معكم اى شومكم معكم بكفركم وتكذيبكم
يعني اصابكم الشوم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر
اين ذكرتم معناه اطيرتم لين ذكرتم ووعظتم بل انتم قوم مسرفون
اى في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل وجا من
اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال
وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله
عند اقصى باب من ابواب المسجد وكان مومنا ذا صدقة يجمع كسبه
فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه
ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين
وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه
وقال لهم اتسالون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال
يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون
اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم
خيرى الدنيا والاخرة فلما قال ذلك قالوا له وانت مخالف لديننا
ومتابع دين هولاء الرسل ومومن بالههم فقال وما لي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم
لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر
فكان اليق وقيل معناه واي شي لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون
عند البعث فيجزيكم باعمالكم ءاتخذ من دونه الهة اى لا اتخذ من
دونه الهة ان يردن الرحمن بضر اى بسوء ومكروه لا تغن عني اي لا
تدفع عني شفاعتهم شيئا اى لا شفاعة لها تغن عني ولا ينقذون
اي من ذلك المكروه وقيل من العذاب اني اذا لفي ضلال مبين اي
خطا ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون اي فاشهدوا لي بذلك قيل
هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك القوم
وثب رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطيوه بارجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي
حتى هلكوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله قيل ادخل الجنة فلما افضى
الى الجنة وراى نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه
ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له فجعل لهم العقوبة

فامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم
فذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السما
يعني الملايكة وما كنا منزلين اى ما كنا نفعل هذا بل الامر في اهلاككم
كان ايسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ان كانت الا صيحة
واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم
صيحة فاذا هم خامدون اى ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها
حسرة وندامة وكابة على العباد والحسرة ان يركب العبد الانسان
من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون
على انفسهم لما عاينوا حيث لا يومنوا بالرسل وقيل يقول الله يا
حسرة على العباد يوم القيمة حين لم يومنوا بالرسل ثم بين سبب
تلك الحسرة فقال تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
قوله تعالى الم يروا اى لم يخبروا خطاب لاهل مكة كم اهلكنا قبلهم من
القرون اى من الامم الخالية اهل كل عصر سموا بذلك لافتراقهم في
الوجود انهم اليهم لا يرجعون اى لا يعودون الى الدنيا فلا يعتبرون بهم
وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون يوم
القيمة واية لهم يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احيا الموتى
الارض الميتة احييناها اى بالمطر واخرجنا منها اى من الارض
يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اى من الحب وجعلنا
فيها اى في الارض جنات اى بساتين من نخيل واعناب وفجرنا
فيها من العيون ليأكلوا من ثمره اى من الثمر الحاصل بالماء وما
عملته ايديهم اى من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرى عملت
بغير ها وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنعهم
بل وجدوها معمولة وقيل اراد بالعيون والانهار التي لم تعملها يد
خلق مثل النيل والفرات ودجلة افلا يشكرون اي نعمة الله سبحان
الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض
يعني مما خلق الله من الاشيا في البر والبحر من الدواب قوله
عز وجل واية لهم يعني تدل على قدرتنا الليل نسلخ اى ننزع منه
ونكشط منه النهار فاذا هم مظلمون فيجي بالظلمة وذلك ان الاصل
هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من
الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها اى الى مستقرها
قيل الى انتها سيرها عند انقضا الدنيا وحلول وقيام الساعة وقيل
تسير في منازلها حتى تنتهي الى مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع الى
اول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها ثم ترجع

اي من الذكور والاناث ومن انفسهم
اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون

فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السما في الصيف
ونهاية هبوطها في الشتا وعن ابن عباس والشمس تجري لمستقر لها
اي قرار لها ولا وقوف فهي جارية ابدا الى يوم القيمة وقد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر قال سالت النبي صلى الله عليه
وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش
وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس
اتدري اين تذهب الشمس قال الله ورسوله اعلم قال انها تذهب حتى
تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل
منها وتستاذن فلا يوذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جيت
فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها
ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه في الصحيحين • قال الشيخ محيي
الدين النواوي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث
قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت
تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واجل لا تتعداه
وعلى هذا مستقرها انتها سيرها عند انقضا الدنيا واما سجود
الشمس فهي بتمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم **ذلك** اي
الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي تكل
الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه **تقدير العزيز**
اي الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم** اي المحيط بكل شي قوله
تعالى **والقمر قدرناه منازل** اي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه بيسير من الليلة المستهل
الى الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا
كان اخر منازله دق وتقوس فذلك قوله تعالى **حتى عاد كالعرجون**
القديم وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة
والقديم الذي اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس
واصفر فشبه بالقمر عند انتها اخر منازله **لا الشمس ينبغي لها**
ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل
الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله **ولا الليل سابق النهار**
اي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجي احدهما قبل وقته وقيل لا
يدخل احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر
بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت
القيمة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في ذلك واحد ولا يتصل
ليل بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل **وكل في فلك يسبحون** اي الشمس

والقمر

والقمر في ذلك يسبحون قوله عز وجل **واية لهم انا حملنا ذريتهم**
يعني اولادهم **في الفلك المشحون** اي المملو **وخلقنا لهم من مثله**
اي مثل الفلك **ما يركبون** اي من الابل وهي سفاين البر وقيل اراد
بالفلك المشحون سفينة نوح ومعنى الاية ان الله حمل اباهم الاقد
في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول
العباس •

• بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق •

وانما ذكر ذراريهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم في التعجب من
قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله اي من مثل ذلك الفلك
ما يركبون اي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار **وان**
نشا نغرقهم فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم **ولاهم ينقذون**
اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابي **الا**
رحمة منا ومتاعا الى حين يعني الى ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضا
اجالهم **واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم** قال ابن عباس
ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا
فاحذروها ولا تغتروا بها • وقيل ما بين ايديكم يعني وقايع الله بمن
كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الاخرة **لعلكم ترحمون** اي لتكونوا
على رجا الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا
ويدل على الحذف قوله **وما تاتيهم من اية من ايات ربهم** اي دلالة على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم **الا كانوا عنها معرضين** قوله
عز وجل **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** اي مما اعطاكم الله نزلت
في كفار قريش وذلك ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين
مما زعمتم ان لله من اموالكم وهو ما يجعلونه لله من حروثهم وانعامهم
قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم اي انرزق **من لو يشا الله اطعمه**
اي رزقه وقيل كان العاص بن وايل السهمي اذا سال له المسكين قال له
اذهب الى ربك فهو اولى بك منى ويقول قد منعه الله اطعمه انا ومعنى
الاية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم فنحن نوافق مشية الله فيهم
فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلا يقولون لا نعطي من
حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر
بعضهم ابتلا فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا
وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير
فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشية الله تعالى
وحكمته في خلقه والمومن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل

حين

الاستهزاء **ان انتم الا في ضلال مبين** قيل هو من قول الكفار للمومنين
معناه ما انتم الا في خطا بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل
هو من قول الله للكفار لما ردوا من جواب المومنين **ويقولون متى**
هذا الوعد يعني يوم القيمة والبعث **ان كنتم صادقين** قال الله
تعالى **ما ينظرون** اي ما ينتظرون **الا صيحة واحدة** قال ابن عباس
يريد النفخة الاولى **تاخذهم وهم يخصمون** اي في امر الدنيا من البيع
والشرا ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتاتيهم
الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح من حديث ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل
بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه
فلا يطعمها اخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من
حديث عمرو بن عبد الله بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا فاول
من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس
اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج
وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض
ابله واصله من اللصوق وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق
واصغى يعني امال عنقه وقوله **فلا يستطيعون توصية** اي لا
يقدرون على الايصا اعجلوا عن الوصية فماتوا **ولا الى اهلهم**
يرجعون اي لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم
لشي **ونفخ في الصور** هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين
النفختين اربعون سنة **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قيل اربعون يوما قال ابو
هريرة ابيت قالوا ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون
سنة قال ابيت ثم ينزل من السما ما فينبتون كما ينبت البقل
وليس من الانسان شي الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه
يركب الخلق يوم القيمة **فاذا هم من الاجداث** اي القبور **الى ربهم**
ينسلون اي يخرجون منها احيا **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**
قال ابن عباس انما يقولون ذلك لان الله يرفع عنهم العذاب
بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا اهوال
القيمة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها
صار عذاب القبر في جنبها كالنوم قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا

هذا

هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اقروا حين لا ينفعهم الاقرار
وقيل قالت لهم الملايكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا
فيقول المومنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون **ان كانت**
الا صيحة واحدة يعني النفخة الاخرة **فاذا هم جميع لدينا محضرون**
اي للحساب **فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون**
قوله تعالى **ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** قال ابن عباس
في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل ضيافة الله
عز وجل وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه
اهل النار من العذاب الاليم **فاكهون** قال ابن عباس فرحون وقيل
ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه **هم وازواجهم في ظلال** يعني اكنان
القصور **على الارايك** يعني السرر في الحجال **متكئون** اي ذوو اتكاء تحت
تلك الظلال **لهم فيها فاكهة** اي في الجنة **ولهم ما يدعون** يعني ما
يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعوه اهل الجنة ياتيهم **سلام**
قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل
الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا روسهم فاذا الرب عز وجل
قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك
قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا
يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم
فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم • وقيل تسلم عليهم الملايكة من
ربهم وقيل تدخل الملايكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام
عليكم من ربكم الرحيم • وقيل يعطيهم السلامة يقولون اسلموا السلامة
الابدية **وامتازوا اليوم ايها المجرمون** اي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا
اليوم من المومنين الصالحين وكانوا على حدة وقيل ان لكل في النار
بيتا فيدخل في ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الابدين
لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم من بعض **قوله**
عز وجل **الم اعهد اليكم يا بني ادم** يعني الم امركم واوصيكم يا
بني ادم **ان لا تعبدوا الشيطان** يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين
لكم من معصية الله **انه لكم عدو مبين** اي ظاهر العداوة **وان اعبدوني**
اي اطيعوني ووحدوني **هذا صراط مستقيم** اي لا صراط اقوم منه قوله
تعالى **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا** اي خلقا كثيرا **افلم تكونوا تعقلون**
يعني ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا
من النار **هذه جهنم التي كنتم توعدون** يعني بها في الدنيا **اصلوها**

اي ادخلوها **اليوم بما كنتم تكفرون** **قوله عز وجل** **اليوم نختم على**
افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يعني
الاية ان الكفار يجحدون وينكرون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويحلفون
والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم وتنطق جوارحهم
ليعلموا ان اعضاءهم التي كانت عونا لهم على المعاصي صارت شاهدة
عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان • فان قلت
ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت
ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما راي
وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل م عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سالت الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تضارون في روية القمر ليلة البدر
ليس في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في روية الشمس
عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون
في روية ربكم الا كما تضارون في رويتهما قال فيلقى العبد ربه فيقول
اي قل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل ه
واذرك تراس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول اظننت انك ملاقي
فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول
اي قل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك
تراس وتربع فيقول بلى يا رب اظننت انك ملاقي فيقول اي رب امنت
بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير
ما استطاع فيقول هاهنا اذا قال ثم يقول الان نبعث شاهدنا
عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال
لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من
نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه • قوله يعني قل
يا فلان • قوله واسودك اي جعلتك سيدا • قوله واذرك اي
واتيك تراس اي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع اي تاخذ
المرباع وهو ما ياخذ رئيس الجيش لنفسه من الغنايم وهو ربعها
ويروى ترتع بتاءين اي تتنعم وتنبسط من الرتع • قوله وذلك ليعذر
من نفسه اي ليقوم الحجة عليه بشهادة اعضايه م عن انس بن مالك
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون
مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا
رب لم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا
شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام

الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق
باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت اناضل • قوله لا اجيز اي لا اقبل شاهدا علي • قوله بعدا لكن وسحقا
اي هلاكا • قوله فعنكن كنت اناضل اي اجادل واخاصم • قوله تعالى
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا
يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما
اعمينا قلوبهم **فاستبقوا الصراط** اي فبادروا الى الطريق **فانى يبصرون**
اي كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى لو نشاء لاضللناهم عن
الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال
ابن عباس يعني لو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم
وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون
ولم افعل ذلك بهم **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم** يعني لو نشاء
جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا ارواح
فيها **فما استطاعوا مضيا** اي لا يقدرون ان يبرحوا **ولا يرجعون**
اي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع **ومن نعمره
ننكسه في الخلق** اي نرده الى ارذل العمر كشبه الصبي في اول الخلق وقيل
يضعف جوارحه بعد قوتها وتنقصها بعد زيادتها وذلك ان الله
تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال
صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان بلغ اشده
واستكمل قوته وعقل وعلم ما له وما عليه فاذا انتهى الى الغاية ه
واستكمل النهاية رجع ينتقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه
في الخلق **افلا يعقلون** اي فيعتبروا ويعلموا ان الذي قدر على تصريف
احوال الانسان قادر على البعث بعد الموت **قوله عز وجل**
وما علمناه الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار مكة قالوا محمد شاعر
وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما
ينبغي له اي ما يتسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم
يتات له كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسنه ليكون الحجة اثبت والشبهة
ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى
على لسانه منكسرا • كما روي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يتمثل بهذا البيت • كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا • فقال ابو بكر
يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا • اشهد انك
رسول الله هذا حديث مرسل وروي عن عايشة وقيل لها هل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشي من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن

رواحة ويتول ويأتيك بالاخبار من لم تزود اخرجه الترمذي
وفي رواية لعروة ان عايشة سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتمثل بشي من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت
ولم يتمثل الا ببيت اخي بني قيس طرفه • ستبدي لك الايام ما كنت
جاهلا • ويأتيك بالاخبار من لم تزوده • فجعل يقول ويأتيك بالاخبار
من لم تزوده • بالاخبار فقال ابو بكر هكذا يا رسول الله فقال اني
لست بشاعر ولا ينبغي لي **فان قلت** قد صح من حديث جندب
ابن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال •

هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •

اخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاكرم الانصار والمهاجره
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد
المطلب **قلت** ما هو الا من كلامه الذي يرمي به من غير
صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان
جا موزونا كما يتفق في كثير من انشاآت الناس في خطبهم ورسائلهم
ومحاوراتهم كلاما موزونا يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل
لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القران من جنس
الشعر قال تعالى ان هو الا ذكر يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى
يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب الشعر ولا
يدخل في بحوره وقران مبين اي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب
ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه
الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي
هو من همزات الشياطين واقاويل الشعرا الكاذبين لينذر اي
يا محمد وقرى بالياء اي القران من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب
لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول اي ويجب
حجة العذاب على الكافرين **قوله عز وجل** اولم يروا انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا انعاما اي توليناه خلقه بابداعنا له من غير
اعانة احد في انشايه كقول القايل عملت هذا بيدي اذا انفرد به
ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك
لبدايع الفطر الذي لا يقدر عليها الا هو انعاما انما خص الانعام
بالذكر وان كانت الاشيا كلها من خلق الله وايجاده لان النعم اكثر
اموال العرب والنفع بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم

فملكناهم

فملكناهم فيها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون
قادرون ومنه قول بعضهم •

اصبحت لا احمل السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا •

اي لا اضبط راس البعير والمعنى لم تخلق الانعام وحشية نافرة من بني
ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله
تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها ياكلون اي الغنم
ولهم فيها منافع ومشارب اي من اصوافها واوبارها واشعارها
وجلودها ونسلها ومشارب اي من البانها افلا يشكرون اي رب
هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة يعني الاصنام لعلهم ينصرون
اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم
قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم
لهم جند محضرون اي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها
في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في
الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه
في الدنيا كانهم جند يحضرون في النار فلا يحزنك قولهم يعني قول كفار
مكة في تكذيبك انا نعلم ما يسرون اي في ضمايرهم من التكذيب وما
يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى
وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة
قذرة خسيسة فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة
والمعنى العجب من جهل هذا بالمخاصم مع مهانة اصله لانه يتصدى لمخاصمة
الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث فكيف لا يتفكر في بدو خلقه وانه
من نطفة ويدع الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله
عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد رم وبلى ففتته بيده وقال
اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم
ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الاية وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه اي بدو امره قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية
والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته
بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي اول خلقه وانه مخلوق
من نطفة قل يحييها الذي انشاها اي خلقها اول مرة وابتدا خلقها
وهو بكل خلق عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شي من خلق المبدا
والمعاد الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان
يقال لاحدهما المرخ بالرا والخا المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن
اراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما

المرخ

المقدمة

الما فيسحق المرخ على العفار فيخرج منها النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمد المرخ والعفار اى استكثر وذلك ان هاتين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكما في كل شجر نار الا العناب **فاذا انتم منه توقدون** اى تقدحون اى فتوقدونا النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل **اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى** اى هو القادر على ذلك **وهو الخلاق العليم** يعنى يخلق خلقا بعد خلق العليم اى بجميع ما خلق **انما امره اذا اراد شيا** اى احداث شى وتكوينه **ان يقول له كن** اى ان يكونه من غير توقف **فيكون** اى فيحدث ويوجد لا محالة **فسبحان الذى بيده ملكوت كل شى** اى هو مالك كل والمتصرف فيه **واليه ترجعون** اى تردون بعد الموت والله اعلم بمراده •

• تفسير سورة الصافات وهى مكية •

وهى ماية واثنان وثمانون اية وثمانماية وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانماية وستة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس هم الملايكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصفون كما تصف الملايكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملايكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف لفظ ابى داود وقيل هم الملايكة تصف اجنحتها فى الهوا واقفة حتى يامرها الله بما يريد • وقيل اراد بالصافات الطير تصف اجنحتها فى الهوا **فالزاجرات زجرا** يعنى الملايكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح **فالتاليات ذكرا** يعنى الملايكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قرا القران وهذا كله قسم اقسم الله بهذه الاشيا • وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى **ان الهكم لواحد** وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشيا ان الهكم لواحد وانما اقسم بهذه الاشيا للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى **رب السموات والارض وما بينهما** يعنى انه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك وقوله **ورب المشارق** قيل ارادوا المغارب فاكتفى باحدهما قال السدى المشارق ثلثماية وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم

في

فى مشرق وتغرب فى مغرب • **فان قلت** قد قال فى موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين • وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الايات • **قلت** اراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتا ومغرب الصيف ومغرب الشتا وبالمشارق والمغارب كما تقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى **انا زينا السما الدنيا** يعنى التى تلى الارض وهى ادنى السموات والارض **بزينة الكواكب** قال ابن عباس بضوء الكواكب لان النور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السما لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزا وبنات نعش وغيرها • وقيل ان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السما وراى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلالية على سطح ازرق فهو غاية الزينة **وحفظناها وحفظا من كل شيطان مارد** اى وحفظنا السما من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب **لا يسمعون الى الملا الاعلى** يعنى الى الملايكة والكتبة لانهم سكان السما وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السما فربما يسمعوا كلام الملايكة فيخبرون به اوليائهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله **ويقذفون** اى يرمون بها **من كل جانب** من افاق السما **دحورا** اى يبعدونهم عن مجالس الملايكة **ولهم عذاب واصب** اى دايم يخرجون ويخبلون **الا من خطف الخطفة** اى اختلس الكلمة من كلام الملايكة **فاتبعه** اى لحقه **شهاب ثاقب** اى كوكب مضى لا يخطيه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمى النجم الذى يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم **فان قلت** كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك **قلت** انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا فى السلامة ورجا نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وهو قوله عز وجل **فاستفتهم** يعنى سل اهل مكة **اهم اشد خلقا ام من خلقنا** يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير الى هذه الاشيا واشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هولا ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذى

يومن هولا من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى **انا خلقناهم من طين لازب** يعني ادم من طين جيد لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين منتن **بل عجبت** قرى بالضم على اسناد التعجب الى الله وليس هو كالتعجب من الادميين لان العجب من الناس محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب • وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جا في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة • وفي حديث اخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم • قوله من الكم الال اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكا • وسيل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شي ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله وقرى بفتح التا على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك • وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القران يومن به فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يومنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت • • **ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون** اي واذا وعظوا لا يتعظون **واذا راوا اية** قال ابن عباس يعني انشقاق القمر **يستسخرون** اي يستهزون وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخروا **وقالوا ان هذا الا سحر مبين** اي بين **ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون اواباونا الاولون قل نعم وانتم داخرون** اي صاغرون **فانما هي زجرة واحدة** اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث **فاذا هم ينظرون** يعني احيا **وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين** يعني يوم الحساب والجزا **هذا يوم الفصل** اي القضا وقيل بين المحسن والمسي **الذي كنتم به تكذبون** اي في الدنيا **احشروا** اي اجمعوا **الذين ظلموا** اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم **وازواجهم** اي اشباههم وامثالهم فكل طايفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اي قرناهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل وازواجهم المشركات **وما كانوا يعبدون من دون الله** اي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده **فاهدوهم الى صراط الجحيم** قال ابن عباس دلوهم الى طريق

النار **وقفوهم** اي احبسوهم **انهم مسئولون** لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسوال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروى عنه عن لا اله الا الله • وروى عن ابي برزة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسال عن اربع • عن عمره فيما افناه • وعمله ماذا عمل به • وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه • وعن جسمه فيما ابلاه • وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعى الى شي الا كان موقوفا يوم القيمة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرا وقفوهم انهم مسئولون **ما لكم لا تناصرون** اي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر انا جميع منتصر قال الله تعالى **بل هم اليوم مستسلمون** قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلا منقادون لا حيلة لهم **واقبل بعضهم على بعض** يعني الروسا والاتباع **يتسالون** اي يتخاصمون **قالوا** يعني الروسا والاتباع **انكم كنتم تاتوننا عن اليمين** اي من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الروسا يحلفون لهم ان الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم تحلفون لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين اي من القوة والقدرة والقول الاول اصح **قالوا** يعني الروسا للاتباع **بل لم تكونوا مومنين** اي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر **وما كان لنا عليكم من سلطان** اي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا **بل كنتم قوما طاغين** اي ضالين **فحق علينا** اي وجب علينا جميعا **قول ربنا** يعني كلمة العذاب وهي قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين **انا لذايقون** يعني ان الضال والمضل جميعا في النار **فاغويناكم** اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه **انا كنا غاوين** اي ضالين قال الله تعالى **فانهم يومئذ في العذاب مشتركون** يعني الروسا والاتباع **انا كذلك نفعل بالمجرمين** قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركا ثم بين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى **انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون** اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها **ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون** يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله ردا عليهم **بل جا بالحق وصدق المرسلين** يعني انه اتى بما اتى به المرسلون

قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك **انكم لذايقوا العذاب الاليم**
وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك في التكذيب **الا**
اي لكن استثنا منقطع **عباد الله المخلصين** اي الموحدين **اولئك**
لهم رزق معلوم اي بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يوتون به
وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورايحة وحسن منظر
ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى **فواكه** جمع فاكهة وهي الثمار كلها
رطبها ويابسها وكل طعام يوكل للتلذذ لا للتقوت وقيل ان ارزاق
الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان
اجسادهم خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان
ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال **وهم مكرمون** اي بثواب
الله ثم وصف مساكنهم فقال **في جنات النعيم على سرر متقابلين**
يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال **يطاف عليهم**
بكاس من معين كل انا فيه شراب يسمى كاسا واذا لم يكن فيه
شراب فهو انا وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر ٭
وكاس شربت على لذة ومعنى معين اي من خمر جارية في الانهار ظاهرة
تراها العيون **بيضا** يعني ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن **لذة**
اي لذيذة **للشاربين لا فيها غول** اي لا يغتال عقولهم فتذهب بها
وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في
خفا وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها السكر وذهاب
العقل ووجع البطن وصداع الراس والبول والقي والخمار والعربدة
وغير ذلك ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة **ولا هم عنها ينزفون**
اي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم
ثم وصف ازواجهم فقال **وعندهم قاصرات الطرف** اي حابسات
الاعين غاضات الجفون قصرن اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن
الى غيرهم **عين** اي حسان الاعين عظامها **كانهن بيض مكنون**
اي مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من
الريح والغبار فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال هذا من احسن
الوان النسا وهو ان تكون المراة بيضا مشربة صفرة والعرب تشبه
النسا ببيض النعام وتشبههن ببيضات الخدود ٭ قوله عز وجل **فاقبل**
بعضهم على بعض يعني اهل الجنة في الجنة **يتساءلون** اي يسال بعضهم
بعضا عن حاله في الدنيا **قال قايل منهم** اي من اهل الجنة **اني كان**
لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل
كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه

بعضهم

فطروس

فطروس والاخر مومن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف
في قوله واضرب لهم مثلا رجلين **يقول اينك لمن المصدقين** اي
بالبعث **ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون** اي مجزيون ومحاسبون
وهذا استفهام انكار **قال** الله تعالى لاهل الجنة **هل انتم مطلعون** اي
الى النار وقيل يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة هل انتم مطلعون
اي لننظر كيف منزلة اخي في النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا
فاطلع اي المومن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى
النار **فراه في سوا الجحيم** اي فراى قرينه في وسط النار سمي وسط الشي
سوا لاستوا الجوانب منه **قال تالله ان كدت لتردين** اي والله لقد
كدت ان تهلكني وقيل تغويني ومن اغوى انسانا فقد ارداه له
واهلكه **ولولا نعمة ربي** اي رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام **لكنت من**
المحضرين اي معك في النار **افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى** اي من
الدنيا **وما نحن بمعذبين** قيل يقول هذا اهل الجنة للملايكة حين
يذبح الموت فتقول الملايكة لهم لا فيقولون **ان هذا لهو الفوز**
العظيم وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم
لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام
لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام
ليزدادوا بتكراره سرورا ٭ وقيل يقوله المومن لقرينه على جهة
التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى **لمثل هذا** اي المنزل والنعيم
الذي ذكره في قوله اولئك لهم رزق معلوم **فليعمل العاملون**
هذا ترغيب في ثواب الله وما عنده بطاعته قوله تعالى **اذلك**
اي الذي ذكره لاهل الجنة من النعيم **خير نزلا** اي رزقا **ام شجرة**
الزقوم اي التي هي نزل اهل النار والزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة
كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهة
وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من اخبث الشجر **انا جعلناها فتنة**
للظالمين اي للكافرين وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة
والنار تحرق الشجر قال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا
يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة
اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد
والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر النار واغصانها ترتفع
الى دركاتها **طلعها** اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه **كانه رؤوس الشياطين**
قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس

فان قلت شبهها بشي لم يشاهد فكيف وجه التشبيه **قلت** انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهد وا فكانه قيل ان اقبح الاشيا في الوهم والخيال رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رات منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس

اتقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال

شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها • وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا **فانهم لاكلون منها** اي من ثمرها **فمالئون منها البطون** وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلي بطونهم **ثم ان لهم عليها لشوبا** اي خلطا ومزاجا **من حميم** اي من ما شديد الحرارة ويقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا له **ثم ان مرجعهم لالى الجحيم** وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شرب الحميم **انهم الفوا** اي وجدوا **اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون** اي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم **ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين** اي من الامم الخالية **ولقد ارسلنا فيهم منذرين** اي ارسلنا فيهم رسلا منذرين **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** اي الكافرين وكان عاقبتهم العذاب **الا عباد الله المخلصين** اي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين **قوله** عز وجل **ولقد نادانا نوح** اي دعا ربه على قومه **فلنعم المجيبون** اي نحن دعانا فاجبناه واهلكنا قومه **ونجيناه واهله من الكرب العظيم** اي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق **وجعلنا ذريته هم الباقين** يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنسا الا ولده ونساهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال حام وسام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب • وفي رواية سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم • وقيل سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج وما هنالك **وتركنا عليه في الاخرين** اي ابقينا له ثناء وحسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبيا والامم الى يوم القيمة **سلام على نوح في العالمين** اي سلام عليه لنا في العالمين وقيل تركنا

في الاخرين ان يصلى عليه الى يوم القيمة **انا كذلك نجزي المحسنين** اي جزاه الله باحسانه الثنا الحسن في العالمين **انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الاخرين** يعني الكفار **قوله عز وجل وان من شيعته** اي من شيعة نوح **لابراهيم** يعني على دينه وملته ومنهاجه وسنته **اذ جاء ربه بقلب سليم** اي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحبه لنفسه **اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون** استفهام توبيخ **ائفكا الهة دون الله تريدون** اي اتافكون افكا وهو اسوا الكذب وتعبدون الهة سوى الله **فما ظنكم برب العالمين** يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم **فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم** قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه ذلك اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس اي مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما • وقيل مريض وقيل معناه ساسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الانبيا • وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي **فتولوا عنه مدبرين** اي الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى **فراغ** اي مال **الى الهتهم** ميلة في خفية **فقال** اي للاصنام استهزا بها **الا تاكلون** يعني الطعام الذي بين ايديكم **ما لكم لا تنطقون فراغ** اي مال **عليهم ضربا باليمين** اي ضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم **فاقبلوا اليه** اي الى ابراهيم **يزفون** اي يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنع ابراهيم فاسرعوا اليه لياخذوه **فقال** لهم ابراهيم على وجه الحجاج **اتعبدون ما تنحتون** اي بايديكم من الاصنام **والله خلقكم وما تعملون** اي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بايديكم من الاصنام وفي الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله **قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم** قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله في السما ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون

ذراعًا وملاؤه من حطب واوقدوا فيه النار وطرحوه فارادوا به
كيدا اى شرا وهوان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين اى المقهورين حيث
سلم الله ابراهيم ورد كيدهم وقال لهم يعنى ابراهيم انى ذاهب الى
ربى اى مهاجر الى ربى واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار
سيهدين اى حيث يأمرنى بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما قدم
الارض المقدسة سال ربه الولد فقال رب هب لى من الصالحين
اى هب لى ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام فى صغره حليم
فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف
بالحلم قوله تعالى فلما بلغ معه السعى قال ابن عباس يعنى المشى الى
الجبل وعنه انه لما شب حتى يلغ سعيه سعى ابراهيم والمعنى انه لما
بلغ ان ينصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله وهو العبادة
وكان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بنى انى ارى فى المنام
انى اذبحك قيل لم يرى فى منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل
راى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤية الانبيا حق اذا راوا شيا
فعلوه واختلف العلما من المسلمين فى هذا الغلام الذى امر
ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق
فقال قوم انه اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود
والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير
وقتادة ومسروق وعكرمة وعطا ومقاتل والزهرى والسدى
واختلفت الرواية عن ابن عباس فروى عنه انه اسحاق وروى عنه انه
اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام
وروى عن سعيد بن جبير قال راى ابراهيم ذبح اسحاق فى المنام وهو
بالشام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى
فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه فسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة
طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب
عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد
والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطا بن ابى
رباح ويوسف بن كامل عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين
يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • واحتج من ذهب الى
ان الذبيح اسحاق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه
السعى امر بذبح من بشر به وليس فى القران انه بشر بولد سوى
اسحاق كما قال تعالى فى سورة هود وبشرناه باسحاق وقوله وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين عقيب البشارة بعد قصة الذبح يدل

على انه تعالى انما بشر بالنبوة لما تحمل من الشدايد فى قصة الذبح فثبت
بما ذكرناه ان اول الاية واخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح ومما ذكر
ايضا من كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان ولده بمصر من يعقوب
اسرايل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب
الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ
من قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
فدل على ان المذبوح غيره • وايضا فان الله قال فى سورة هود
فبشرناه باسحق ومن ورا اسحاق يعقوب فكيف يامر بذبح اسحق
وقد وعده نافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر
دون اسحاق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين
وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق
الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك
وقال القرظى سئل عمر بن عبد العزيز رجلا من علما اليهود وكان
اسلم وحسن اسلامه اى ابن ابراهيم امره الله بذبحه فقال اسمعيل
ثم قال يا امير المومنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا
معشر العرب ان يكون اباكم هو الذى امر الله بذبحه ويدعون انه
اسحاق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرنى الكبش كانا معلقين على
الكعبة فى الذى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير
قال الشعبى رايت قرنى الكبش منوطين بالكعبة • وقال ابن عباس
والذى نفسى بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكعبة لمعلق
بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس • وقال الاصمعى
سالت عمرو بن العلا عن الذبيح اسحق كان او اسمعيل فقال يا اصمعى اين
ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنا
البيت مع ابيه

ذكر الاشارة الى قصة الذبح

قال العلما بالسير واخبار الماضين لما دعى ابراهيم ربه فقال رب
هب لى من الصالحين وبشر به قال هو لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى
قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب فى امر الله اياه فى الذبح فقال
لاسحاق انطلق فنقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى
ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بنى
انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما
تومر • وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار
هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح
من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل حمل على البراق

بلغ معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان فيه يا مل من عبادة
ربه وتعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه وذلك انه راى ليلة
التروية كان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح هذا فلما اصبح
روي في نفسه انه فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام
من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى راى
في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي ذلك اليوم
عرفة وقيل رايه ذلك ثلث ليال متتابعات فلما عزم على نحره
سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني
اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى اي من الراى على
وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في امر قد علم انه حتم من
الله وما الحكمة في ذلك قلت لما يشاوره ليرجع الى رايه
وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم
صبره على امر الله وعزيمته على طاعة الله ويثبت قدمه ويصبره
الى ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به
ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله • فان قلت
لما كان ذلك في المنام ولم يكن في اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت
ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد
في المنام كالتوطية له ثم تاكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا
تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى في الدلايل له ورويا الانبيا
وحي وحق قال يا ابت افعل ما تومر اي قال الغلام لابيه افعل
ما امرت به قال ابن اسحاق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه
يا بني خذ الحبل والمدية وننطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما
خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره بما امر الله تعالى قال افعل
ما تومر ستجدني ان شاء الله من الصابرين انما علق ذلك بمشية
الله على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله تعالى فلما اسلما يعني انقادا
وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه السلام اسلم ابنه واسلم
الابن نفسه وتله للجبين اي صرعه على الارض قال ابن عباس
اضجعه على جنبه على الارض فلما فعل قال له ابنه يا ابت اشدد
رباطي كيلا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من
دمي شي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع مر
السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت
امي فاقرى عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل

فانه

فانه عسى ان يكون اسلا لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم
العون انت يا بني على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم
اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي فلما وضع
السكين على حلقه فلم يحك شيا ثم انه شحذها مرتين او ثلاث بالحجر
كل ذلك لا يستطيع ان تقطع شيا قيل ضرب الله صحيفة من نحاس
على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا
فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي على جبيني فانك اذا
نظرت في وجهي رحمتني فادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله
وانا فلا انظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ذلك ابراهيم
عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا
ابراهيم قد صدقت الرويا • وروي عن كعب الاحبار وابن اسحق
عن رجاله قالوا لما راى ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لين لم افتن
عند هذا ال ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة
رجل واتى ام الغلام فقال لها هل تعلمين اين ذهب ابراهيم بابنك
قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به
الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم
ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان
يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي
على اثر ابيه فقال يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك
قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله لا يريد الا
ان يذبحك قال ولم قال له ربه امره بذلك قال فليفعل ما
امره به سمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم
فقال اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال
والله اني لارى الشيطان جاك في منامك فامرك بذبح ابنك
هذا فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال اليك عني يا عدو الله
فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم
وآله شيا مما اراد ومنعوا منه بعون الله عز وجل • وروي عن ابن
عباس ان ابراهيم عليه السلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض الشيطان
بهذا الشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى الجمرة العقبة
فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض عند
الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند
الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب فمضى ابراهيم لامر
الله عز وجل وهو قوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي

ونودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر كمال الطاعة والانقياد لامر الله وكذلك الولد ٭ فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد راى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل الذبح ٭ قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده واتي بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامهما لامر الله وانقياد لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان هذا لهو البلاء المبين اى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم فاذا هو جبريل ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فدا ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابنا هم ابن ادم قيل حق له ان يكون عظيما وقيل تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله ٭ وقيل في الثواب ٭ وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن وما افدي اسمعيل الا بتيس من الاروي اهبط عليه من ثبير ٭ وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا له ثنا حسنا فيمن بعده سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين اى بوجود اسحق وهذا قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحاق بعد هذه القصة جزا لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبي وباركنا عليه يعني على ابراهيم في اولاده ٭ وعلى اسحق اى بكون اكثر الانبيا من نسله ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه اى كافر مبين اى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضايل الاب فضيلة الابن ٭ قوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهارون اي انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما يعني بني اسرايل من الكرب العظيم يعني الذى كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين واتيناهما الكتاب يعني التورية المستبين اى المستنير وهديناهما الصراط المستقيم ثم

ذللناهما

ذللناهما على طريق الحق وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الاخرين اى الثنا الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس ولذلك هو في مصحفه قال اكثر المفسرين هو نبي من انبيا بني اسرايل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر ابن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

ذكر الاشارة الى قصته

قال محمد بن اسحق وعلما السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبيا يبعثون من بعد موسى في بني اسرايل بتجديد ما نسوا من احكام التورية وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرايل واسباطهم فحصل في قسمة بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يوميذ ملك اسمه اجب وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا اربعماية سادن وجعلوهم انبياه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يومنون به الا ما كان من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فتقضي من رجل مومن حبسه وكانت له جنينة كان يعيش منها فاخذها وقتله فبعث الله الياس الى الملك وقومه وامره بان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حين قتلوه والى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة الميت المقتول قبل ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان بها الا قليلا فجا الياس فاخبر الملك بما اوحى اليه في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان ياوى الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خايفا مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد

وصنعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى
الكهوف في الجبال عصيان قومه فضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه
بعد سبع سنين وهو خايف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي
انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي
سلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب
تميتني وتلحقني باباي فاني قد مللت بني اسرايل وملوني فاوحى
الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي اعرى منك الارض واهلها
وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني
فاعطك قال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرايل قال
الله عز وجل واي شي تريد ان اعطيك قال تملكني خزاين السما سبع
سنين فلا تنشي عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي
فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من
ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك
قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك لكن اعطيك ثارك
ثلاث سنين اجعل خزاين المطر بيدك قال الياس فباي شي
اعيش يا رب قال اسخر لك جليسا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك
من الريف والارض لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عنهم
المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا
والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد
عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بني اسرايل القحط ثلاث
سنين فمر الياس بعجوز فقال لها اعندك طعام قالت نعم شي من دقيق
وزيت قليل قال فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها
دقيقا وملا خوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك
ذلك قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه
وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت
امراة من بني اسرايل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطب به ضر فآوته
واخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس
وامن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيث اراد وكان الياس قد
كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك
قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهايم والدواب والطير
والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يا رب دعني اكون
انا الذي ادعو لهم واتيهم بالفرج مما هم فيه من البلا لعلهم يرجعوا
عما هم فيه وينزعوا عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجا الياس الى بني

اسرايل

اسرايل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهايم والدواب
والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان
تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجاب لكم فذلك كما تقولون
وان لم تفعل علمتم انكم على الباطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم ما
انتم فيه من البلا قالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج
عنهم ما كانوا فيه من البلا فقالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله
لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس
على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم
ارسل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله عنهم
الضر نقضوا العهد واسرعوا عن كفرهم واقاموا على الخبث ما
كانوا عليه فلما راى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم
فقيل فيما يزعمون انظروا يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما
جاءك من شي فاركبه ولا تهبه فخرج الياس وجا ومعه اليسع حتى
اذا كانا بالموضع الذي امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار
حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه
اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه الياس من الجو الاعلا فكان
ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرايل فكان ذلك الياس
اخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط
الله على احب الملك وقومه عدوا لله فقصدهم من حيث لم يشعروا
به حتى ارهقهم فقتل احبب وامراته ازبيل في الجنينة التي اغتصبتها
امراة الملك من مزدكي المومن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك
الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبا الله سبحانه وتعالى
اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرايل فاوحى الله اليه وايده وامنت
به بنو اسرايل وكانوا يعظمونه وحكم الله فيهم قايم الى ان فارقهم يعني
اليسع وروى السدي بن يحيى عن عبد العزيز بن داود انه قال
الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في
كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك
قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون
بعلا يعني اتعبدون بعلا موضعا كان لهم يعبدونه وبذلك سميت
مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اهل اليمن وتذرون اي
وتتركون عبادة احسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم ورب اباءكم
الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون اي في النار الا عباد الله المخلصين

اي من قومه الذين امنوا به فانهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في
الاخرين سلام على الياسين قرئ الياسين بالقطع قيل اراد آل محمد
وقيل آل القران لان يس من اسما القران وفيه بعد وقرئ آلياسين بالوصل
ومعناه الياس واتباعه من المومنين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب
ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين وانكم اي يا اهل مكة لتمرون عليهم
اي على اثارهم ومنازلهم مصبحين اي في وقت الصباح وبالليل
اي وبالليل في اسفاركم افلا تعقلون فتعتبرون بهم • قوله عز وجل
وان يونس لمن المرسلين اي من جملة رسل الله اذ ابق اي هرب الى الفلك
المشحون اي المملوقال ابن عباس ووهب كان وعد قومه العذاب
فتاخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست
السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت
على يونس فاقترعوا ثلاثا فتقع على يونس فقال انا الابق وزج
نفسه في الما • وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امراته وابنان
له فجا مركب واراد ان يركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها فحال
الموج بينه وبين المركب فذهب المركب وجات موجة اخرى فاخذت
ابنه الاكبر وجا ذيب فاخذ الابن الاصغر فبقي فريدا فجا مركب
اخر فركب وقعد ناحية من القوم فلما جرت السفينة في البحر
ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة
مما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلا
يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك
قوله تعالى فساهم اي فقارع فكان من المدحضين يعني من
المقرعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبيا
فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فلولا
انه كان من المسبحين اي الذاكرين لله قبل ذلك وكان كثير
الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال
الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكن قدم عملا صالحا وقيل
شكر الله طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخا يذكركم في
الشدة في بطن الحوت شكر الله له ذلك قال الله تعالى فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقيل انه كان
يسبح في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين للبث في بطنه الى يوم يبعثون اي لصار بطن الحوت قبرا له

الى

الى يوم القيمة قوله تعالى فنبذناه اي طرحناه انما اضاف النبذ الى
نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
بالعرآء اي بالارض الخالية عن الشجر والنبات • وقيل بالساحل
وهو سقيم اي عليل كالفرخ الممعط وقيل كان بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق
له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل
عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا عليه
شجرة من يقطين يعني القرع كان نبت يمتد وينبسط على وجه
الارض كالقرع والقثا والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل لا يجتمع عندها
فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على وجه
الارض لم يمكن ان يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي
فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن
حزنا شديدا وجعل يبكي فارسل الله اليه جبريل وقال اتحزن
على شجرة ولا تحزن على ماية الف من امتك قد اسلموا وتابوا
وارسلناه الى ماية الف قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل
قبل ان يصيبه ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه الى ماية الف فلما
خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله
بعد خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل يجوز ان يكون ارساله الى
قوم اخرين غير القوم الاولين او يزيدون قال ابن عباس معناه
ويزيدون قيل معناه بل يزيدون وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون
في تقدير الرائي اذا راهم قال هو لا ماية الف او يزيدون على ذلك
والشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول واما
الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا يعضده ما روي عن ابي
ابن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
وارسلناه الى ماية الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن • وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا
وقيل سبعين الفا فامنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة
العذاب فمتعناهم الى حين اي انقضا اجالهم • قوله عز وجل فاستفتهم
اي قل يا محمد لاهل مكة وهو سوال توبيخ الربك البنات ولهم البنون
وذلك ان جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملايكة بنات
الله والمعنى جعلوا له البنات ولهم البنون وذلك باطل لان العرب
كانوا يستنكفون من البنات والشي الذي يستنكف منه المخلوق فكيف
ينسبونه للخالق ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون

خلقنا اياهم الا انهم من افكهم اي كذبهم ليقولون ولد الله اي في زعمهم وانهم لكاذبون اي فيما يزعمون اصطفى البنات اي في زعمكم على البنين وهو استفهام توبيخ وتقريع ما لكم كيف تحكمون اي البنات لله ولكم البنون افلا تذكرون اي افلا تتعظون ام لكم سلطان مبين اي برهان بين على ان لله ولدا فاتوا بكتابكم اي الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين اي في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قيل ارادوا بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله قال لهم ابو بكر الصديق فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا الشياطين في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من الله والشر من الشياطين ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي في النار سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عما يقولون الا عباد الله المخلصين هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون فانكم يعني يا اهل مكة وما تعبدون اي من الاصنام ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين اي بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم اي الا من سبق في علم الله الشقاوة انه سيدخل النار قوله عز وجل اخبارا عن حال الملائكة وما منا الا له مقام معلوم يعني قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وروي والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي وهو طرف من حديث قيل الاطيط اصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السموات من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة • وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة بالخوف والرجا والمحبة والرضا وانا لنحن الصافون يعني الملائكة صفوا اقدامهم في عبادة الله كصفوف الناس للصلاة في الارض وانا لنحن المسبحون اي المصلون وقيل المنزهون لله من كل سوء يخبر جبريل صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعم الكفار • قوله عز وجل وان كانوا ليقولون يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو ان عندنا ذكرا من الاولين يعني كتابا مثل كتاب الاولين

يعني انهم قالوا هذا القول انهم

لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله فكفروا به اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون فيه تهديد لهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم انهم لهم المنصورون اي بالحجة البالغة وان جندنا اي حزبنا المومنين لهم الغالبون اي لهم النصرة في العاقبة فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم القيمة بدر وقيل حتى امرك بالقتال وهذه الاية منسوخة باية القتال وقيل باتيهم العذاب وابصرهم اي اذا انزل بهم العذاب فسوف يبصرون اي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم فساء صباح المنذرين اي فبئس صباح الكافرين الذين انذروا بالعذاب ق عن انس ان رسول صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات كرر ذلك ما تقدم تاكيدا لوعد العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى حين وقيل المراد من الاية الاولى احوالهم في الدنيا وهذه ذكر احوالهم في الاخرة فعلى هذا القول يزول التكرار وابصر اي العذاب اي اذا نزل بهم فسوف يبصرون ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب العزة اي الغلبة والقوة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث عما يصفون اي اتخاذ الشركا والاولاد وسلام على المرسلين الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرايع لان اعلا مراتب البشر يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبيا عليهم السلام فلا جرم يجب على كل احد الاقتدا بهم والحمد لله رب العالمين اي على هلاك الاعدا ونصرة الانبيا وقيل الغرض من ذلك تعليم المومنين ان يقولوا فلا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن ابي طالب من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين • والحمد لله رب العالمين

ذكرهم

• تفسير سورة ص •

ويقال لها سورة داود وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون اية وسبعماية واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة الاف وسبعة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ص قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد • وصادق الوعد والصبور • وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جواب القسم والقران

ذي الذكر اي ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم وقيل وجوابه قد تقدم
وهو قوله تعالى ص اقسم الله بالقران ان محمدا الصادق وقيل جواب القسم
محذوف تقديره والقران ذى الذكر كما يقول الكفار دل على هذا المحذوف
قوله تعالى بل الذين كفروا وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل
فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقران
ذى الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا
لرزقنا • وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل
بين القسم وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك
كلام اخر ونفي اخره مجاز الاية ان الله تعالى اقسم بص والقران ذي الذكر
بل الذين كفروا من اهل مكة في عزة اى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق
وشقاق اى خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم كم اهلكنا من قبلهم
من قرن يعني من الامم الخالية فنادوا اى استغاثوا عند نزول العذاب
وحلول النقمة ولات حين مناص اى ليس حين فرار وتاخر قال ابن
عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا واضطربوا في الحرب قال بعضهم لبعض
مناص اى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا
مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص اى ليس حين هذا القول
وعجبوا يعني كفار مكة ان جاءهم منذر منهم يعني رسول من انفسهم
ينذرهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب

قوله عز وجل

اجعل الالهة الها واحدا وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم فشق ذلك
على قريش وفرح به المومنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش هم
الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد
ابن المغيرة امشوا الى ابي طالب فاتوا ابا طالب وقالوا له انت شيخنا
وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولا السفها وانا اتيناك لتقضي بيننا
وبين ابن اخيك فارسل اليه ابو طالب فدعي به فلما اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له يا ابن اخي هولا قومك يسالونك السوا فلا تمل كل
الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسالون
قال ارفض الهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
فقال ابو جهل ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة
الها واحدا كيف يسع الخلق الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اى عجيب
وانطلق الملا منهم اى من مجلسهم الذى كانوا فيه عند ابي طالب ان
امشوا اى يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على الهتكم اى اثبتوا

على عبادة الهتكم ان هذا لشيء يراد اى لامر يراد بنا وذلك ان عمر لما اسلم
وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا هذا الذى نراه من زيارة اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد
صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا ما سمعنا بهذا اى الذى يقوله محمد
صلى الله عليه وسلم من التوحيد في الملة الاخرة قال ابن عباس يعنون
النصرانية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل
يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه ان هذا الا اختلاق
اى كذب وافتعال أانزل عليه الذكر اى القران من بيننا اى يقول
اهل مكة ليس هو اكبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى بل هم في شك من
ذكري اى وحيي وما انزلت بل لما يذوقوا عذاب اى لو ذاقوه لما قالوا
هذا القول ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يعني
مفاتيح النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما اى ليس لهم ذلك فليرتقوا في الاسباب يعني ان ادعوا شيئا
من ذلك فليصعدوا في الاسباب يعني ليوصلهم الى السما وليا توا منها
بالوحي الى من يختاروا وقيل اراد بالاسباب ابواب السما وطرقها من سما
الى سما وهذا امر توبيخ وتعجيز جند ما هنالك اى هولا الذين يقولون
هذا القول جند ما هنالك مهزوم اي مغلوب من الاحزاب يعني ان قريشا
من جملة الاجناد الذين اجتمعوا وتحزبوا على الانبيا بالتكذيب فقهروا
واهلكوا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم
جند المشركين فجا تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر
ثم قال عز وجل تعزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ذو البنا المحكم وقيل
ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد ويريدون
بذلك انه دائم قال الاسود بن يعفر بيت

• ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد •

واصل هذا ان بيوتهم بنيت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية
عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون
ملكه كما يقوى بالوتد الشي وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب
التي يضربونها في اسفارهم • وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد
يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين
اربعة اوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل
عليه العقارب والحيات • وقيل كان له اوتاد وارسان وملاعب
يلعب عليها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اوليك الاحزاب

اى الذين تحزبوا على الانبيا فاعلم ان مشركى قريش حزب من اوليك
الاحزاب **ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب** يعنى ان اوليك الطوايف
من الامم الخالية لما كذبوا انبياهم وجب عليهم العذاب فكيف
هولا الضعفا والمساكين اذا نزل بهم العذاب وفى الاية زجر وتخويف
للسامعين **وما ينظر** اى ينتظر **هولاء** يعنى كفار مكة **الا صيحة
واحدة ما لها من فواق** اى رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التى
هى ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف **وقالوا ربنا عجل لنا
قطنا** اى حظنا ونصيبنا من الجنة تقول وقيل نصيبنا من العذاب
قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى
كتابنا والقط الصحيفة التى احصت كل شى قيل لما نزل فى الحاقة
فاما من اوتى كتابه بيمينه واما من اوتى كتابه بشماله قالوا استهزا
عجل لنا كتابنا فى الدنيا **قبل يوم الحساب** وقيل قطنا اى حسابنا
يقال لكتاب الحساب قط وقيل لفظ الكتاب بالجوايز قال الله عز
وجل **اصبر على ما يقولون** اى ما يقول الكفار من تكذيبك **واذكر
عبدنا داود ذا الايد** قال ابن عباس ذى القوة فى العبادة **ق** عن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
احب الصيام الى الله صيام داود واحب الصلاة الى الله صلاة داود
كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه وقيل معناه ذو القوة فى الملك **انه اواب** اى رجاع الى
الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز
وجل وقيل يسبح بلغة الحبش **انا سخرنا الجبال معه يسبحن** اى
بتسبيحه اذا سبح **بالعشى والاشراق** اى غدوة وعشيا والاشراق
هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة
الضحى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى
والاشراق قال كنت امر بهذه الاية لا ادرى ما هى حتى حدثتنى ام هانى
بنت ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا
بوضوء فتوضا ثم صلى الضحى فقال يا ام هانى هذه صلاة الاشراق
قلت والذى اخرجاه فى الصحيحين من حديث ام هانى فى صلاة
الضحى قالت ام هانى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه
فقال من هذه فقلت انا ام هانى بنت ابى طالب فقال مرحبا بام
هانى فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا فى ثوب فقالت
ام هانى وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابى ليلى ما حدثنا احد

انه راى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير ام هانى فانها قالت
ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الفتح مكة فاغتسل
وصلى ثمان ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود
قوله تعالى **والطير** اى وسخرنا له الطير **محشورة** اى مجموعة اليه تسبح
معه **كل له اواب** اى رجاع الى طاعته ومطيع له بالتسبيح معه **وشددنا
ملكه** اى قويناه بالحديد والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض
سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ست وثلاثون الف رجل • وروى عن
ابن عباس ان رجلا من بنى اسرايل استعدى على رجل من عظمايهم
عند داود فقال ان هذا غصبنى بقرا فسال داود المجحد فسال
الاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر فى امركما
فاوحى الى داود فى منامه ان تقتل الذى استعدى عليه فقال هذه
رويا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فاوحى الله اليه مرة اخرى فلم يفعل
فاوحى اليه الثالثة ان تقتله او ياتيه العقوبة فارسل داود اليه
فقال ان الله اوحى الى ان اقتلك فقال تقتلنى بغير بينة فقال داود
نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل
حتى اخبرك انى والله ما احدثت هذا الذنب ولكنى اغتلت والد
هذا فقتلته فلذلك اخذت فامر به داود فقتله فاشتدت
هيبة بنى اسرايل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا
ملكه **واتيناه الحكمة** يعنى النبوة والاصابة فى الامر **وفصل الخطاب**
قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والبصر
بالقضا وقال على بن ابى طالب هو ان البينة على المدعى واليمين
على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به • وقال ابى بن كعب
فصل الخطاب الشهود والايمان • وقيل فصل الخطاب هو قول الانسان
بعد حمد الله والثنا عليه اما بعد اذا اراد الشروع فى كلام اخر
واول من قاله داود عليه السلام • قوله عز وجل **وهل اتاك**
اى وقد اتاك يا محمد **نبؤا الخصم** اى خبر الخصم فاستمع له نقصه عليك
وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الاخبار العجيبة
والتشويق الى استماع كلام الخصما والخصم يقع على الواحد والجمع **اذ
تسوروا المحراب** اى صعدوا وعلوا المحراب اى البيت الذى كان
يدخل فيه داود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة والمعنى انهما
اتوا المحراب من سوره وهو اعلاه وفى الاية قصة امتحان داود عليه
السلام واختلف العلما باخبار الانبيا فى سبب ذلك وساذكر ما قاله
المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه نزاهة داود عليه السلام عما لا يليق ٥

بمنصبه لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها
الا ما يليق بها فاما ما قاله المفسرون ان داود عليه السلام تمنى
يوما من الايام منزلة اباية ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه قسم
الدهر ثلاثة يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة الله
ويوم لنسايه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم
واسحق ويعقوب فقال يارب ارى الخير كله قد ذهب به اباى الذين
كانوا قبلي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا
عليها • ابتلى ابراهيم بنمرود وذبح ابنه • وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب
بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف • فقال داود لو ابتليتني
بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله اليه انك مبتلى في شهر
كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان في اليوم الذي وعده الله دخل
داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو
كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب
فيها من كل لون حسن وجناحاها من اللولو والزبرجد فوقفت
بين يديه رجليه فاعجبه حسنها فمد يده لياخذها ويريها بني
اسرايل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصدها طارت غير
بعيد من غير ان تويسه من نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحى
فتبعها فطارت حتى وقفت في كوة فذهب لياخذها فطارت من
الكوة فنظر داود اين تبلغ فيبعث من يصيدها له فابصر امراة
في بستان على شط بركة تغتسل وقيل راها تغتسل على سطح
لها فراى امراة من اجمل الناس خلقا فعجب داود من حسنها
وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها
فزاده ذلك اعجابا بها فسال عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امراة
اوريا ابن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقا مع ايوب بن صوريا ابن
اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ان ابعث اوريا الى موضع
كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له
ان يرجع ورآه حتى يفتح الله عليه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب
الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه
باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المراة تزوجها
داود وهي ام سليمان عليه السلام • وقيل ان داود احب ان يقتل
اوريا فيتزوج امراته فهذا كان ذنبه • وقال ابن مسعود كان ذنب
داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امراته وقيل كان ذلك
مباحا له غير انه لم يرض لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا والازديا

من

من النسا وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من غيرها وقيل في سبب
امتحان داود انه كان قد جزاء الدهر اجزاء يوما لنسايه ويوما
للعبادة ويوما بين بني اسرايل ويوما يذاكرهم فيه ويذاكرونه
ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرايل ذكروا فقالوا هل ياتي
على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق
ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النسا فاضمر داود في نفسه انه اذا
ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وامر ان لا
يدخل عليه احد واكب على قراة الزبور فبينما هو يقرا اذ دخلت
عليه حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمراة لم يلبث الا قليلا
حتى بعث الله الملكين اليه وقيل ما زال يجتهد في العبادة
حتى برز له حافظاه من الملايكة فكانوا يصلون معه فلما
استانس بهم قال اخبروني باى شي انتم موكلون قالوا نكتب صالح
عملك ونوفقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري
كيف اكون لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى
الله الى الملكين ليعتزلا نه ليعلم انه لا غنى به عن الله تعالى فلما
فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه
فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طايرا من طيور الجنة
وذكر نحو ما تقدم • وقيل قال داود لبني اسرايل لاعدلن بينكم
ولم يستثن فابتلى • وقيل انه اعجبه عمله فابتلى فبعث الله
اليه ملكين في صورة رجلين وذلك يوم عبادته فطلبا ان يدخلا
عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين
يديه جالسين وهو يصلي يقال كان جبريل وميكايل فذلك قوله عز
وجل وهل اتاك نبوء الخصم اذ تسوروا المحراب **اذ دخلوا على داود
ففزع منهم** اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال
لهما ما ادخلكما علي **قالوا لا تخف خصمان** اى نحن خصمان **بغى بعضنا
على بعض** اى تعدي وخرج عن الحد جيناك لتقضي بيننا فان
قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغي بينهما والملايكة
لا يبغي بعضهم على بعض **قلت** هذا من معاريض الكلام
لا على تحقيق البغي من احدهما والمعنى رايت خصمين بغى احدهما على
الاخر **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** اى لا تجر في حكمك **واهدنا
الى سواء الصراط** يعني ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال
لهما داود تكلما فقال احدهما **ان هذا اخي** اى على ديني وطريقتي
لا من جهة النسب **له تسع وتسعون نعجة** يعني امراة **ولي نعجة**

واحدة اى امراة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المراة وهذا
على سبيل التعريض للتفهيم والتنبيه لانه لم يكن هنالك نعاج
ولا بغى فقال اكفلنيها قال ابن عباس قال ابن عباس اعطينيها
وقيل معناه انزل عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها
لاتزوجها وعزنى فى الخطاب يعنى غلبنى وقهرنى فى الخطاب لانه
افصح منى فى الكلام وان حارب كان ابطش منى لقوة ملكه
والمعنى ان الغلبة له كانت على لضعفى فى يده وان كان الحق معى
وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التى تزوجها
داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولاوريا واحدة
فضمها داود الى نسايه قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه اى ليضمها الى نعاجه **فان قلت** كيف قال
داود لقد ظلمك ولم يكن يسمع قول الاخر **قلت** معناه
ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك • وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف
صاحبه بما يقول وان كثيرا من الخلطا اى من الشركا ليبغى بعضهم
على بعض اى يظلم بعضهم بعضا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم اى هم قليل وما صلة والمعنى
ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر
احدهما الى صاحبه فضحك وصعد الى السما فعلم داود ان الله
ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن داود اى ايقن وعلم انما فتناه
اى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه
الملكان فقضى على نفسه فتحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان
قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عنى به وروى البغوى
باسناد الثعلبى عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المراة
فاهم فقطع على بنى اسرايل فاوصى صاحب البعث قال اذا
حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت
فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم
يرجع حتى يقتل او يهزم عنه الجيش فقتل زوج المراة ونزل
الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين
ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض
من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة ابعد ما بين
المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر له جعلت ذنبه
حديثا فى الخلوف من بعده فجاء جبريل من بعد اربعين ليلة فقال

النعجة

ياداود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب
قادر على ان يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا
يميل فكيف بفلان اذا جا يوم القيمة فقال رب الذى عند داود
فقال جبريل ما سالت ربى عن ذلك وان شيت لافعلن قال نعم
فعرج جبريل وسجد داود ما شا الله ثم نزل جبريل فقال سالت الله
ياداود عن الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما
يوم القيمة فيقول هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك
يارب فيقول فان لك فى الجنة ما شيت واشتهيت عوضا هذه
اقاويل السلف من اهل التفسير فى قصة امتحان داود والله اعلم

فصل فى تنزيه داود عليه السلام

عما لا يليق به وينسب اليه اعلم ان من خصه الله بنبوته واكرمه
برسالته وشرفه على كثير من خلقه وايتمنه على وحيه وجعله
واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب الى
احاد الناس ان يستنكف منه وتحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب
الى بعض اعلام الانبيا والصفوة الامناء ذلك • روى سعيد بن
المسيب والحرث بن الاعور عن ابى طالب انه قال من حدثكم بحديث
ما يرويه القصاص جلدته ما يتو وستين وهو حد الفرية على الانبيا
وقال القاضى عياض لا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون
من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم
ينص على شى من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه
فى قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود واوريا
خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا الذى ينبغى ان يعول
عليه من امر داود • قال الامام فخر الدين القصة يرجع الى السعى
فى قتل رجل مسلم بغير حق وان الطمع فى زوجته وكلاهما منكر فلا
يليق بعاقل ان يظن بداود هذا • وقال غيره ان الله اثنى على داود
قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من
القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك
من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلا ولقالوا انت فى مدح
شخص كيف تجرى ذمه فى اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل ذلك
فى القديم **فان قلت** فى الاية ما يدل على صدور الذنب
منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه
وقوله واناب • وقوله فغفرنا له ذلك **قلت** ليس فى هذه
الالفاظ شى يدل على ذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها

تعالى

فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا انزلوا من ذلك
الى طبع البشرية عاتبهم الله على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات
الابرار سيات المقربين **فان قلت** على هذا القول والاحتمال
فما معنى ذلك الامتحان في الاية **قلت** ذهب المحققون من
علما التفسير وغيرهم في هذه القصة الى ان داود عليه السلام ما
زاد ان قال انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك
ونبهه عليه فانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون
امراة اوريا له فاتفق غزو اوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود
قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امراته
فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبيا وان صغرت فهي عظيمة عند
الله وقيل ان اوريا قد خطب تلك المراة ووطن نفسه عليها فلما
غاب في غزواته خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك
اوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها
وعنده تسع وتسعون امراة • ويدل على صحة هذا الوجه قوله
وعزني في الخطاب فدل على هذا ان الكلام كان بينهما في الخطبة
ولم يكن قد تزوج اوريا لها فعوتب داود بسببين احدهما خطبته
على خطبة اخيه والثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسايه
وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب اوريا والمراة
وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع الاخر كلام
وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه
فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالف
للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه
نزاهة داود صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه والله اعلم **قوله**
عز وجل فاستغفر ربه اي سال ربه الغفران وخر راكعا اي ساجدا
عبر بالركود عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحنا وقيل معناه خر
ساجدا بعدما كان راكعا **فصل** اختلف العلما في سجدة
ص هل هي من عزايم السجود فذهب الشافعي الى انها ليست من
عزايم سجود التلاوة وقال انها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة
وقال ابو حنيفة هي من عزايم سجود التلاوة واستدل بهذه الاية
على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة وعن احمد في
سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد
فيها خ عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من عزايم السجود وقد
رايت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ قال مجاهد قلت لابن

عباس اسجد في ص فقرا ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم
اقتده فقال نبيكم من امر ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة فسجدها شكرا
عن ابي سعيد الخدري قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه
فلما كان في يوم اخر فلما بلغ السجدة تشوف الناس للسجود فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رايتكم تشوفتم
فنزل وسجد وسجدوا اخرجه ابو داود • وقوله تشوف الناس يعني
تهياوا واستعدوا للسجود • عن ابن عباس قال جا رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رايتني الليلة وانا نايم فكاني
اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول
اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا
وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود • قال ابن عباس فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره
الرجل في قول الشجرة اخرجه الترمذي • قال المفسرون سجد داود
اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت مكتوبة ثم يعود
ساجدا تمام اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب
حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويساله التوبة • وكان من دعايه
في سجوده • سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشا سبحان
خالق النور • سبحان الحايل بين القلوب • الهي خليت بيني وبين
عدوي ابليس فلم اقم لفتنته اذ نزلت بي • سبحان خالق النور
الهي انت خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صاير • سبحان
خالق النور الهي الويل لداود فاكشف عنه الغطا فيقال هذا
داود الخاطي • سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم القيمة
وانما ينظر الظالمون من طرف خفي • سبحان خالق النور الهي باي قدم
اقوم امامك يوم القيمة يوم تزل اقدام الخاطيين • سبحان خالق
النور الهي من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده • سبحان
خالق النور • الهي انا لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك •
سبحان خالق النور • الهي لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت
جهنم • سبحان خالق النور • الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي
اصابه • سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخاطيون بخطاياهم
دونك وانت تشاهدهم حيث كانوا • سبحان خالق النور الهي قد تعلم

سرى وعلانيتى فاقبل عذرى • سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى
ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى • سبحان خالق النور اعوذ بنور وجهك
الكريم من ذنوبى التى اوبقتنى • سبحان خالق النور فررت اليك
بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم
يبعثون • سبحان خالق النور قيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع
راسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطا راسه فنودى
يا داود اجائع انت فتطعم اظمان انت فتسقى اعار انت فتكسى
امظلوم انت فتنتصر فاجيب فى غير ما طلبه ولم يجبه فى ذكر خطيئته
بشئ فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب واحترق من حر جوفه
ثم انزل الله له بالتوبة والمغفرة • قال وهب ان داود اتاه ندا
انى قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب
الى قبر اوريا فناده وانا اسمعه نداك فتحلل منه قال فانطلق
داود ولبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا اوريا
فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال داود قال
ما جابك يا نبى الله قال اسالك ان تجعلنى فى حل مما كان منى
اليك قال وما كان منك قال عرضتك للقتل قال عرضتنى
للجنة فانت فى حل فاوحى الله اليه يا داود الم تعلم انى حكم عدل
لا اقضى بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امراته قال فرجع
فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى قال انا داود
قال يا نبى الله اليس قد عفوت عنك قال نعم قال اما فعلت ذلك
بك لمكان امراتك وقد تزوجتها فسكت ولم يجبه ودعاه مرة
اخرى فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على
راسه ونادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود • سبحان
خالق النور الويل لداود اذا نصبت الموازين القسط • سبحان
خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل • سبحان خالق النور
الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين
الى النار • سبحان خالق النور فاتاه من السما نداء يا داود قد غفرت
ذنبك ورحمت بكاك ومحيت ذنوبك واقلت عثرتك قال وكيف
وصاحبى لم يعف عنى قال يا داود اعطيه من الثواب يوم القيمة
ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه فاقول له ارض عبدك فيقول يا رب
من اين لى هذا ولم يبلغه عملى فيقول هذا عوض من عبدى داود
فاستوهبك منه فيهبك لى قال يا رب الان قد عرفت انك قد
غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا **واناب** اى رجع

فغفرنا

فغفرنا له ذلك اى الذنب **وان له عندنا** اى يوم القيمة بعد المغفرة
لزلفى اى لقربى ومكانة **وحسن ماب** اى حسن مرجع ومنقلب قال
وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين
سنة لا يرقى دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين
سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوما للقضا بين
بنى اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الجبال والفيافى والسواحل
ويوم يخلو فى دار له فيها اربعة الاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم
على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى
ويرفع صوته بالمزامير فيبكى ويبكى الشجر والرمال والطير والوحوش
حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجى الجبال ويرفع صوته فيبكى
فتبكى معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى يسيل من بكايهم الاودية
ثم يجى الى الساحل فيرفع صوته فيبكى ويبكى معه الحيتان ودواب
البحر وطير الما فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم
نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التى فيها
المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوه ليف فيجلس
عليها ويجلس عليها اربعة الاف راهب عليهم البرانس وفى ايديهم
العصى فيجلسون الى تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكا
والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكى
حتى تغرق الفرش فى دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب
فيجى اليه سليمان فياخذه فيحمله وياخذ داود من تلك الدموع بكفيه
ويمسح بها وجهه ويقول رب اغفر لى ما ترى فلو عدل بكا داود بكا
اهل الدنيا لعدله • وقال الاوزاعى مرفوعا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان مثل عينى داود كمثل القربتين تنطفان ماء ولقد
خدت الدموع فى وجهه كخديد الما فى الارض • وقال وهب لما تاب
الله على داود قال يا رب غفرت لى فكيف لى ان لا انسى خطيئتى
فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيمة قال فوسم الله خطيئته فى
يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكا اذا راها وما قام
خطيبا فى الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم
الخطيئة وكان يبدا اذا دعا استغفر الله للخاطئين قبل نفسه
وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول
تعالوا الى داود الخاطى ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه
وكان يجعل خبز الشعير فى قصعته فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل
بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فياكل ويقول هذا

الكل الخاطئين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم
نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل
كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا
يسدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت • وقيل ان الوحوش
والطير كانت تسمع الى قراته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراته
وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك والله اعلم
قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اى لتدبر
امر الناس بامرنا فنفذ الحكم فيهم فاحكم بين الناس بالحق اى بالعدل
ولا تتبع الهوى اى لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله فيضلك
عن سبيل الله اى عن دين الله وطريقه ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بان تركوا الايمان
بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل كذلك اليوم وقيل بترك العدل
في القضا • قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا
قال ابن عباس لا لثواب ولا عقاب وقيل معنى ما خلقناهما عبثا
لا لشي ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقنا
لغير شي وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا من النار ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض قيل ان كفار
قريش قالوا للمومنين انا نعطى في الاخرة ما تعطون من الخير
فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين يعني الذين اتقوا الشرك وهم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالفجار يعني الكفار والمعني لا نجعل
الفريقين سوا في الاخرة كتاب انزلناه اليك اى هذا كتاب يعني
القران انزلناه اليك مبارك اى كثير خيره ونفعه ليدبروا اياته
اى ليتدبروا اى اوامره ونواهيه وليتذكر اى وليتعظ اولوا الالباب
اى ذوا العقول والبصاير • قوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد
قيل ان سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف
فرس وقيل ورثها من ابيه • وقيل انها كانت خيلا من البحر لها
اجنحة فصلى سليمان الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على
كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسع ماية فتنبه لصلاة
العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة
له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب سوقها واعناقها
بالسيف تقربا الى الله سبحانه وتعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل
بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها

ماية فرس والذي في ايدي الناس من الخيل يقال انها من نسل تلك
المائة فلما عقرها لله ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري
بامره كيف شاء • وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد قيل هي الخيل القايمة على ثلاث قوايم واقامة الرابعة على
طرف الحافر القايم من رجل او يد • وقيل الصافن القايم وجاء في
الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوا مقعده من
النار اى قياما الجياد اى الخيار السراع في الجري واحده جواد قال ابن
عباس يريد الخيل السوابق فقال اني احببت حب الخير اي اثرت حب
الخير واراد بالخير الخيل سميت بها لانه معقود في نواصيها الخير الاجر
والغنيمة • وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه
عن ذكر ربي يعني صلاة العصر حتى توارت اي سترت الشمس بالحجاب
اى ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة
سنة تغرب الشمس من ورايه ردوها علي اى ردوا الخيل علي •
فطفق مسحا بالسوق جمع ساق والاعناق اي جعل يضرب سوقها
واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك
مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب
عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل • وقال محمد بن
اسحاق لم يعنفه الله على عقر الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته
من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل
معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بكي
الصدقة • وحكي عن علي انه قال معنى قوله ردوها علي يقول
بامر الله للملايكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه
فصلى العصر في وقتها • وقال الامام فخر الدين بل التفسير الحق
المطابق لالفاظ القران ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في
دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الي
غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرايها وذكر اني لا احبها لاجل
الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه
وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدايها
وجريها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر برد الخيل اليه
وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان
في دفع العدو • الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة
يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه • الثالث انه كان يعلم باحوال الخيل

وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها
حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق
عليه لفظ القران ولا يلزمنا شي من تلك المنكرات والمحذورات
والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة **فان قيل**
فالجمهور قد فسروا الاية بتلك الوجوه فما قولك فيه **فنقول**
لنا ههنا مقامات • المقام الاول ان ندعي ان لفظ الاية لا يدل
على شي من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا
ظهورا لا يرتاب عاقل فيه • المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ
الاية يدل عليها الا انه كلام ذكره الناس وان الدلايل الكثيرة قد قامت
على عصمة الانبيا ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات **قوله**
عز وجل ولقد فتنا سليمان اي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه
وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة
في نفس جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم
الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد اتى
سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شي في بر ولا بحر انما يركب اليه
عليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الما حتى
نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واستبا ما فيها
واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة ولم ير مثلها
حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت
على جفا منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيا من نسايه
وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقى دمعها فشق ذلك
على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع
الذي لا يرقا قالت اني اذكر ابي واذكر ملكه وما كان فيه وما
اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد ابدلك به ملكا هو اعظم
من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو
خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى
من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا صورته في داري
الذي انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني
وان يسلي عني بعض ما اجد في نفسي فامر سليمان الشياطين فقال
مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيا فمثلوه لها حتى
نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه
فالبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان
من داره تغدوا عليه في ولايدها فتسجد له ويسجدن له كما كانت

تصبح في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشي من
ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا
وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شي من بيوته دخل
حاضرا سليمان او غايبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي
ونفذ عمري وقد حان من الذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما
قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبيا الله واثني عليهم بعلمي فيهم
واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امورهم فقال افعل
فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبيا الله
واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان
فقال ما كان احلمك في صغرك واورعك في صغرك وافضلك
في صغرك واحكم امرك في صغرك وابعدك من كل ما يكره الله
في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملي
غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى
من انبيا الله فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من
امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سوى
ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في اخر امري فقال اصف
ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امراة فقال
سليمان في داري فقال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون
قد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شي بلغك ثم رجع سليمان
الى داره فكسر تلك الصنم وعاقب تلك المراة وولايدها ثم امر
بثياب الطهيرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار لم
تمسها يد امراة قد رات الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض
وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تايبا الى الله تعالى حتى جلس
على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله وتضرعا اليه يبكي
ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى
ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل
الخلا او اراد اصابة امراة من نسايه وضع خاتمه عندها حتى
يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه
يوما عندها ثم دخل مذهبه واتاها شيطان اسمه صخر المارد
في صورة سليمان لا تنكر منه شيا فقال خاتمي يا امينة فناولته
اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه
الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى الامينة وقد
تغيرت حاله وهيئته عند كل من راه فقال يا امينة خاتمي قالت

من انت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جا سليمان
واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته
قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول
انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى
هذا المجنون اي شي يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك
عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطوه
كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي
الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما كان
يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظما بني اسرائيل انكروا حكم
عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال اصف يا معشر بني اسرائيل
هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايت قالوا نعم فقال امهلوني
حتى ادخل على نسايه فاسالهن هل انكرتن في خاصة امره ما انكرنا
في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسايه فقال ويحكن هل
انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امراة منا
في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون
قال الحسن ما كان ليسلط الشيطان على نسا نبيه عليه السلام
قال وهب ثم ان اصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة
اشد مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن
مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها
بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى
اعطاه سمكتيه فباع سليمان احدهما بارغفة وبقر بطن الاخرى
ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع
له ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه
وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان احدث في داره فرجع
الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر
فطلبوه حتى اخذوه فاتي به فادخله جوف صخرة وسد عليه
باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر
وقيل في سبب فتنة سليمان ان جرادة كانت آثر نسايه عنده
وكان ياتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان
خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله
نعم وذكروا نحو ما تقدم • وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم
من يده فاعاده الى يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان
بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان انك مفتون بذلك والخاتم

لايتماسك

لايتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني اقوم مقامك واسير
بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله هاربا واعطى
آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام آصف في ملك
سليمان بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله على سليمان ملكه وتاب
عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فثبت
فهو الجسد الذي القي على كرسيه • وروي عن سعيد بن المسيب
قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت
عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز
وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه
قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون
من تشبه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور
في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله
الانبيا من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما
اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امراة
كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا الله
فلم يقل ان شا الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة
واحدة جات بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شا
الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وفي رواية
لاطوفن بماية امراة قال له الملك قل ان شا الله فلم يقل ونسي
قال العلما والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه
وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب
عليه من التمني • وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ
امر الله ومراده فيه • وقيل ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه
انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش
له ولد لم ننفك من البلا فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك
سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من
الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ القي ذلك الولد
ميتا على كرسيه فعاتبه الله تعالى على خوفه من الشياطين ولم يتوكل
عليه في ذلك فتنبه لخطايه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل
وَالقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اي رجع الى ملكه بعد الاربعين
يوما وقيل اناب الى الاستغفار وهو قوله قال رب اغفر لي اي سال
ربه المغفرة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يكون لاحد

من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمرك وتعطيه غيري كما سلبته
مني فيما مضى من عمري انك انت الوهاب فان قلت قول
سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي يشعر على الحسد والحرص على
الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة
بها ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى
وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سال
ذلك ليكون علما واية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة
على قبول توبته حيث اجاب الله دعاه ورد ملكه اليه وزاده
فيه • وقيل كان سليمان ملكا ولكنه احب ان يخص بخاصية كما
خص داود بالانة الحديد وعيسى باحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
فسال شيا يختص به كما روي في الصحيحين من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن
تغلب علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله تعالى منه فاخذته
فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه
كلكم فتذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي فرددته خاسيا قوله تعالى فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء اي لينة ليست بعاصفة حيث اصاب
اي حيث اراد والشياطين اي وسخرنا له الشياطين كل بناء اي
يبنون له ما يشا وغواص يعني يستخرجون له اللالي من البحر
وهو اول من استخرج اللولو من البحر واخرين اي وسخرنا له اخرين
وهم مردة الشياطين مقرنين في الاصفاد اي مشددين في القيود
وسخروا له حتى قرنهم في الاصفاد هذا عطاونا اي قلنا له
هذا عطاونا فامنن اي احسن الى من شيت او امسك اي امنع
من شيت بغير حساب اي لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما
امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة
الا سليمان يعني هولا الشياطين عطاونا فامنن على من شيت
منهم فخل عنه وامسك اي احبس الى من شيت منهم في العمل وقيل
في الوثاق ولا تبعة عليك فيما تتعاطاه وان له عندنا لزلفى
وحسن ماب لما ذكر الله تعالى ما انعم به عليه في الدنيا اتبعه
بما انعم عليه في الاخرة • قوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ
نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب اي بمشقة وعذاب
اي ضر وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب اركض
يعني انه لما انقضت مدة بلايه قيل له اركض اي اضرب برجلك

يعني

يعني الارض ففعل فنبعت عين ماء هذا مغتسل بارد فامره
الله تعالى ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم
مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة فنبعت ماء عين عذب
اخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله عز وجل
وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا اي انما فعلنا
ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم وذكرى لاولي
الالباب يعني سلطنا البلا عليه ثم ازلنا عنه وكشفنا ضره
فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصاير وخذ بيدك ضغثا
اي ملا كف من حشيش او عيدان او ريحان فاضرب به ولا تحنث وكان
قد حلف ان يضرب امراته ماية سوط فشكر الله صبرها معه فافتاه في
ضربها وسهل له الامر بان باخذ ضغثا يشتمل على ماية عود صغار
فيضربها واحدة ففعل ذلك ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لايوب خاصة
ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطا بن ابي رباح والثاني
انه خاص لايوب قاله مجاهد • واختلف الفقها فيمن حلف ان يضرب
عبده ماية سوط فجمعها وضربه بها واحدة فقال مالك والليث بن
سعد واحمد لا يبر • وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة
فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الاية انا
وجدناه صابرا اي على البلا الذي ابتليناه به نعم العبد انه اواب
قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اي اذكر صبرهم
فابراهيم القي في النار فصبر واسحاق ذهب بصره واضطجع للذبح في
قوله فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر اولي الايدي
قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار اي في المعرفة وقيل
بالايد اكثر الاعمال وبالابصار اقوى الادراكات فعبر عن العمل باليد
وعن الادراك بالبصر وللانسان قوى عالمية وعاملية فاشرف
ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله واشرف ما يصدر عن
القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدي
والابصار انا اخلصناهم اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة
ذكرى الدار قيل معناه اخلصناهم بذكر الاخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل
واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقيل كانوا يدعون الى الاخرة والى الله
تعالى وقيل اخلصوا بخوف الاخرة وهو الخوف الدايم في القلب وقيل
اخلصناهم بافضل ما في الاخرة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس
والاكدار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل اي اذكرهم بفضلهم وصبرهم

تسلك طريقتهم وكل من الاخيار قوله عز وجل هذا ذكر اي الذي يتلى
عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به وان للمتقين لحسن مآب
اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الاخرة ثم ذكر
ذلك فقال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب قيل تفتح ابوابها
لهم بغير فتح لها بتبديل بالامر يقال لها انفتحي انغلقي متكئين فيها
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب
اي يستويان الانسان والاسباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين
سنة وقيل متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا
ما توعدون ليوم الحساب اي قل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل
هذا ما يوعدون به المتقون ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي دائم
ما له من فناء وانقطاع بل هو قائم كلما اخذ منه شيء عاد مثله في مكانه
قوله تعالى هذا اي الامر الذي ذكرناه وان للطاغين يعني للكافرين
لشر مآب يعني لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها
اي يدخلونها فبئس المهاد اي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق
معناه حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم
ببرده كما تحرقهم النار بحرها وبردها وقيل هو ما يسيل من القيح
والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق
عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه
وآخر من شكله اي مثل الحميم والغساق ازواج اي اصناف اخر من العذاب
هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار
ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة هذا فوج يعني جماعة الاتباع
مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم وقيل انهم يضربون
بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة
لا مرحبا بهم اي بالاتباع انهم صالوا النار اي داخلوها كما صليناه نحن
قالوا اي قال الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم اي لا رحبت بكم الارض
والعرب تقول مرحبا واهلا وسهلا اي اتيت رحبا وسعة انتم قدمتموه
لنا يعني يقول الاتباع للقادة انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا
وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر فبئس
القرار فبئس دار القرار جهنم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا
هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه
العذاب في النار قال ابن عباس حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش
وصناديدهم واشرافهم وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم اي
في الدنيا من الاشرار يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب

هذاح

وبلال

وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم اتخذناهم
سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم
يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم
سخريا ولم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم
حين دخلوا وقيل معناه ام هم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل
معناه كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا
فلا نعدهم شيئا ان ذلك اي الذي ذكرت لحق اي بين ذلك فقال تعالى
تخاصم اهل النار اي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع
لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة
قوله عز وجل قل اي يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر اي مخوف وما من
اله الا الله الواحد يعني الذي لا شريك له في ملكه القهار اي الغالب
وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب
فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه
ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه
يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم قل هو نبأ عظيم يعني القرآن قاله
ابن عباس وقيل يعني القيامة انتم عنه معرضون اي لا تتفكرون فيه
فتعلمون صدقي في نبوتي وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحي من الله
تعالى ما كان لي من علم بالملإ الاعلى يعني الملائكة اذ يختصمون يعني
في شأن آدم حين قال الله اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز
ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله لا تليق ولا تمكن قلت
لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة
وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه
ان يوحى الي اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الا انما
انا نذير مبين يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ربي في
احسن صورة قال احسبه قال في المنام قال احسبه قال في المنام
فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات
لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في
نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد هل تدري
فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في
المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات وابلاغ

الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج
من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني
اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت
بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات
افشا السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي
رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق
والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

فصل في الكلام على معنى هذا الحديث وفي امثاله من احاديث

الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من
غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له
والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله ليس كمثله شي وهو
السميع البصير • المذهب الثاني وهو تاويل الحديث وقبل الكلام
على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا
حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد
عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد
الله عن يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام عن عايش بن عبد الرحمن
الحضرمي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه
وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور
وهو ابو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر • وقيل فيه غير
ذلك ورواه ابو ايوب عن ابي قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه
قال في المنام ورواه قتادة عن ابي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن
عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عايش له حديث واحد الا انهم
يضطربون فيه وهو حديث الروية • قال البيهقي وقد روي من اوجه
كلها ضعاف وفي ثبوته نظر واحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد
الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان في
المنام فاما تاويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب
ولا يجوز ان يكون الباري تعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان
الصور مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه
فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق الباري المصور • فقوله اتاني
ربي في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا في احسن صورة
كانه زاده كمالا وجمالا وحسنا عند رويته وفايدة ذلك تعريفنا ان
الله تعالى زين خلقه وحسن صورته عند رويته لربه وانما التغيير

وقع بعده لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني ان الصورة بمعنى
الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه راه في احسن صفاته
من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام
والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه
مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك حسن
صفة لله تعالى وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الى صفاته
العلية من التناهي في العظمة والكبريا والعلو والعز والرفعة حتى
لا منتهى ولا غاية وراه ويكون معنى الحديث على هذا التعريفنا
ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند روية ربه عز وجل
فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق
وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير
وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها
بين ثديي فتاويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك
شايع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله
اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم
يعرفه حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور
قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله
اياه وانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على
الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة او نقص وهذا
هو الاليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على
المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التاويل
لان روية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على
البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملا الاعلا وهم
الملايكة في الكفارات الخصال المذكورة في الحديث في ايها افضل
وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها
فهي من باب تسمية الشي باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد
مورد سوال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا
السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله اعلم • قوله عز
وجل **واذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين** يعني ادم
فاذا سويته اي اتممت خلقه **ونفخت فيه من روحي** اضاف الروح
الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله
ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان
الضوء في الفضا وكسريان النار في الفحم **فقعوا له ساجدين فسجد**

الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر اى تعظم وكان من الكافرين
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى توليت خلقه
استكبرت اى تعظمت بنفسك عن السجود ام كنت من العالين اى من
القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب
ابليس بقوله قال انا خير منه يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف
لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين قوله خير منه فقال
خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين وافضل
منه واخطا ابليس فى القياس لان مال النار الى الرماد الذى لا
ينتفع به والطين ما هو تام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة
ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وقيل
هب ان النار خير من الطين بخاصيته فالطين خير منها وافضل بخواص
وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عارى عن كل فضيلة فان
نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل
عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة قال فاخرج
منها اى من الجنة وقيل من السما وقيل من الخلقة التى كان فيها
وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود
وقبح بعد حسنه ونورانيته فانك رجيم اى مطرود وان عليك
لعنتى الى يوم الدين **فان قلت** اذا كان الرجم بمعنى
الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق **قلت**
الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السما ويحمل اللعنة
على معنى الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال
التكرار **فان قلت** كلمة الى لانتها الغاية وقوله الى يوم
الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجى يوم الدين **قلت**
معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيمة زيد
له مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها
انقطعت عنه قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى النفخة الاولى قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول
اى انا اقول الحق وقيل الاول قسم اى فبالحق وهو الله اقسم بنفسه
لاملان جهنم منك اى بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم اجمعين
يعنى من بنى ادم قل ما اسالكم عليه اى على تبليغ الرسالة من
اجر اى جعل وما انا من المتكلفين اى المتقولين القران من تلقا
نفسى وكل من قال شيا من تلقا نفسه فقد تكلف له ق عن

مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم
شيا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم قال من العلم ان يقول
لما لا يعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين لفظ البخارى ان هو يعنى القران
الا ذكر اى موعظة للعالمين اى للخلق اجمعين ولتعلمن يعنى انتم
يا اهل مكة نباه اى خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس بعد
الموت وقيل يوم القيمة وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر امره وعلا
ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن ادم عند الموت
ياتيك الخبر اليقين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الزمر

نزلت بمكة الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم وقوله
الله نزل احسن الحديث وقيل منها ثلاث ايات مدنيات من
قوله يا عبادى الذين اسرفوا الى قوله لا يشعرون وهى اثنان وقيل
خمس وسبعون اية والف ومائة واثنان وسبعون كلمة واربعة
الاف وتسعماية وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل تنزيل الكتاب اى هذا الكتاب وهو القران
تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق اى لم ننزله باطلا لغير شى فاعبد الله مخلصا له الدين
اى الطاعة الا لله الدين الخالص اى شهادة ان لا اله الا الله
وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك
وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى امر به لان راس العبادات
الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى والذين
اتخذوا من دونه اى من دون الله اولياء يعنى الاصنام ما نعبدهم
اى قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعنى قربى وذلك انهم
كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا
الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله
زلفى ويشفع لنا عنده ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اى من
امر الدين ان الله لا يهدى اى يرشد لدينه من هو كاذب اى قال
ان الالهة تشفع له كفار اى باتخاذه الالهة دون الله لو اراد الله ان يتخذ
ولدا لاصطفى اى لاختار مما يخلق ما يشا يعنى الملايكة ثم نزه
نفسه فقال تعالى سبحانه اى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة
قدسه هو الله الواحد اى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد القهار
اى الغالب الكامل القدرة قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق

يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يعني يغشى هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الاخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد في الاخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما على الاخر وذلك بتقدير قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الى يوم القيمة الا هو العزيز الغفار معناه ان خلق هذه الاشيا العظيمة وان دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني ادم ثم جعل منها زوجها يعني حوا ولما ذكر الله تعالى ايات قدرته في خلق السموات والارض وتكوين الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه وقيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشا وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما وهو ينزل من السما فكان التقدير انزل الماء الذي يعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم انزلت الى الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر الله تعالى اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشيا ربكم له الملك اي لا لغيره لا اله الا هو اي لا سابق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله فانى تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان

قوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضرا وذلك لان الله تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين لو كفروا واصروا عليه فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر يعني انه تعالى

وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده بالكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشيء والثنا عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه فقد بان الفرق بين الارادة والرضا وان تشكروا اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم بيانه فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان ضر اي شدة وبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا له مستغيثا به ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي اي ترك ما كان يدعو اليه من قبل والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا يعني الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اي في الدنيا الى انقضا اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ابي ربيعة وقيل في ابي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر امن هو قانت قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذي جعل لله اندادا خير ام من هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك انك من اصحاب النار ويا من هو قانت انت من اصحاب الجنة • قال ابن عباس نزلت في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان • وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الاية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القران وطول القيام • وقيل القانت القائم بما يجب عليه اناء الليل اي ساعات الليل اوله واوسطه واخره ساجدا وقائما اي في الصلاة وقيل دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الريا ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشيا واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي الحمد له • وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر يحذر اي يخاف الاخرة ويرجوا رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة

وفيه فايدة وهي انه في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الي
نفسه وقال في مقام الرجا ويرجوا رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب
الرجا احمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن انس
ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت
فقال له كيف تجدك قال ارجوا الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل
هذا الوطن الا اعطاه الله ما يرجوا منه وآمنه مما يخاف اخرجه الترمذي
قل هل يستوي الذين يعلمون اي ما وعد الله من الثواب والعقاب
والذين لا يعلمون اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين
لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الاية بالعمل وختمها
بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو
النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله **انما يتذكر
اولوا الالباب** قوله تعالى **قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم** اي
بطاعته واجتناب معاصيه **للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة**
يعني امنوا واحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية
في هذه الدنيا **وارض الله واسعة** قال ابن عباس يعني ارتحلوا من
مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي من امر
بالمعاصي في بلد فليهرب منه • وقيل نزلت في مهاجري الحبشة • وقيل
نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم
البلا وصبروا وهاجروا **انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب** قال
علي بن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون
فانهم يحثى لهم حثيا • وروي انه يوتى باهل البلا فلا ينصب لهم
ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى
يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما
يذهب به اهل البلا من الفضل • قوله عز وجل **قل** يا محمد **اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين** اي مخلصا له التوحيد اي لا اشرك به
شيا **وامرت لان اكون اول المسلمين** اي من هذه الامة وقيل امره اولا
بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح ولان شرايع
الله لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان
اول الناس شروعا فيه وانما خص الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا
الامر لننبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره **قل اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم** وذلك ان كفار قريش
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي اتيتنا به

الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك فتاخذ بها فانزل الله هذه
الايات ومعنى الاية زجرا لغيره عن المعاصي فغيره اولى بذلك **قل الله اعبد
مخلصا له ديني** فان **قلت** ما معنى التكرار في قوله قل اني امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له
ديني **قلت** ليس هذا بتكرار لان الاول الاخبار بانه مامور
من جهة الله بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني بانه امر ان
يخص الله وحده بالعبادة ولا يفيد احدا غيره مخلصا له دينه لان
قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد الحصر
والمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا سواه ثم اتبعه بقوله **فاعبدوا ما
شيتم من دونه** ليس امرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ
ثم بين كمال الزجر بقوله **قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم** يعني ازواجهم وخدمهم **يوم القيمة** قال ابن عباس وذلك
ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة
الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار
وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر نفسه
واهله ومنزله • وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل
بان يفرق بينه وبين اهله **الا ذلك هو الخسران المبين لهم من
فوقهم ظلل من النار** اي اطباق وسرادقات **ومن تحتهم ظلل** اي فراش
ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت
الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة **قلت**
فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر
الثاني ان الذي تحته من النار يكون ظلة لاخر تحته في النار لانها
دركات • الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة
الفوقانية في الايذا والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة
ذلك يخوف الله به عباده اي المومنين لانها اذا سمعوا حال
الكفار في الاخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله وهو
قوله **يا عباد فاتقون** اي فخافون قوله تعالى **والذين اجتنبوا الطاغوت**
يعني الاوثان **ان يعبدوها وانابوا الى الله** اي رجعوا الى عبادة الله
بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره **لهم البشرى** اي في
الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فالثنا عليهم بصالح اعمالهم وعند
نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج من
القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة
وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع

من الخير والراحة والروح والريحان فبشر عبادي الذين يستمعون
القول يعني القران فيتبعون احسنه اي احسن ما يومرون به
فيعملوا به وهو ان الله تعالى ذكر في القران الانتصار من الظالم
وذكر العفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزايم وقيل
يستمعون القران وغيره من الكلام فيتبعون القران لان كله حسن
وقال ابن عباس لما اسلم ابو بكر الصديق جاءه عبد الرحمن بن عوف
وعثمان وطلحة والزبير وسعيد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد
فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا به فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل نزلت هذه الاية في ثلاثة
نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو
ذر وسلمان الفارسي اولئك الذين هداهم الله الى عبادته وتوحيده
واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب
قال ابن عباس سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب
قوله لاملان جهنم وقيل قوله هولا في النار ولا ابالي افانت تنقذ
من في النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي
منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل هي ارفع منها تجري من تحتها الانهار
وعد الله لا يخلف الله الميعاد اي وعدهم تلك الغرف والمنازل
وعدا لا يخلفه ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراوون اهل الغرف من فوقهم كما
يتراوون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل
ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم
قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين
قوله الغابر اي الباقي في الافق اي في ناحية المشرق والمغرب وقوله
تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فسلكه اي ادخل ذلك الما
ينابيع في الارض اي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الارض
كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ما في الارض فمن السما نزل
ثم يخرج به اي بالما زرعا مختلفا الوانه اي مثل اصفر واخضر
واحمر وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وساير انواع الحبوب
ثم يهيج اي ييبس فتراه اي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم
يجعله حطاما اي فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب
قوله عز وجل افمن شرح الله صدره اي اوسعه للاسلام وقبول
الحق لمن طبع الله على قلبه فلم يهتد فهو على نور من ربه اي على

يعني وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود
قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره
قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتا
هب
للموت قبل نزول الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله القسو
جمود وصلابة تحصل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب
عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت
انه كلما تلي عليهم ذكر الله الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به
وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول
الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدرة كحر الشمس تلين
الشمع وتعقد الملح فكذلك القران يلين قلوب المومنين عند سماعها
ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد
بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة
اولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وفي ابي
ابن خلف وقيل في علي وحمزة وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي ابي جهل قوله عز وجل الله نزل احسن الحديث
يعني القران وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ
والاخر من جهة المعنى اما الاول فلان القران من افصح الكلام واجزله
وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسايل بل
هو نوع يخالف الكل في اسلوبه واما الوجه الثاني وهو كون القران
من احسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض
والاختلاف مشتملا على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار
الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار كتابا متشابها
اي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا مثاني اي
يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار تقشعر اي
تضطرب وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تاخذهم
قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل
والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي لذكر الله تعالى قيل اذا
ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخايفين لله واذا
ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة
المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجا روي عن العباس

ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر
جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة
اليابسة ورقها • وفي رواية حرمه الله على النار • قال بعض العارفين
السائرين في بيدا جلال الله اي انظروا الى عالم الجلال طاشوا وان
لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا • قال قتادة نعت اولياء الله الذي
نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم
بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من
الشيطان • وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي
اسما بنت ابي بكر الصديق كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله عز
وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم • قال عبد الله فقلت لها ان اناسا
اليوم اذا قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم • وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق
ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران او سمع ذكر
الله سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط • وقال ابن عمر ان
الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع احد من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم • وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا
قرئ عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت
باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى
بنفسه فهو صادق **فان قلت** لم ذكرت الجلود وحدها
اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجا **قلت**
اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر ايات
الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل
ان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب
بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد
واذا حصل الرجا اطمان اليه القلب ولان الجلد ذلك اي القران
الذي هو احسن الحديث هدى الله يهدي به من يشا اي هو الذي
شرح الله صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله فما له من هاد
اي يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية فما له من هاد اي يهديه
قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته يوم القيمة
قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فاول شي
تمسه النار وجهه • وقيل هو الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه الى

عنقه

عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك
الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه
للاغلال التي في يده وعنقه ومعنى الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
كمن هو امن من العذاب وقيل للظالمين اي تقول لهم الخزنة ذوقوا اي
وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا من المعاصي كذب الذين من قبلهم
اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
يعني وهم غافلون امنون من العذاب فاذاقهم الله الخزي اي العذاب
والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون قوله
عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون
اي يتعظون قرانا عربيا اي فصيحا اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته
غير ذي عوج اي منزها عن التناقض • وقال ابن عباس غير مختلف
وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس
وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران
ليس بخالق ولا مخلوق لعلهم يتقون اي الكفر والتكذيب **فان
قلت** ما الحكمة في تقدم التذكر في الاية الاولى على التقوى
في هذه الاية **قلت** سبب تقدم التذكر ان الانسان اذا تذكر
وعرف ووقف على فحوى الشي واحاط بمعناه اتقاه واحترز منه
قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون اي متنازعون
مختلفون سيئة اخلاقهم والتشاكس التشاحن الخلق المخالف للناس لا يرضى
بالانصاف ورجلا سالما اي خالصا لا شريك له فيه ولا منازع ﴿۞﴾
والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك
قد اشترك فيه شركا بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده
وهم يتجاذبونه في مهن شتى فاذا عنت له حاجة يتدافعوه فهو متحير
في امره لا يدري ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي
رجل اخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص
وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته فاي هذين العبدين احسن
حالا واحمد شانا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد الهة شتى
والمومن الذي يعبد الله وحده فكان حال المومن الذي يعبد الها
واحدا احسن واصلح من حال الكافر الذي يعبد الهة شتى وهو قوله
هل يستويان مثلا وهذا استفهام انكار لا يستويان في الحال والصفة
قال تعالى الحمد لله اي لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين
وقيل لما ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق بالدلايل الظاهرة
والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه

الدلالات بل اكثرهم لا يعلمون اى ان المستحق للعبادة هو الله وحده
لا غيره قوله تعالى انك ميت اي ستموت وانهم ميتون اى سيموتون
وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم
موته فاخبر الله ان الموت يعمهم جميعا وشماتة الفاني بالفاني وقيل
يعني الى نبيه نفسه واليكم انفسكم والمعنى انك واياهم ميتون
وان كنتم احياء فانكم في عداد الموتى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم
تختصمون قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم
عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم
تختصمون قال الزبير يا رسول الله انكرر علينا الخصومة بعد
الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد
اخرجه الترمذي • وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر عشنا
برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا
واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف
فعرفت انه فينا نزلت • وعن ابي سعيد الخدري في هذه الاية
قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه
الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف
قلنا نعم هو هذا • وعن ابراهيم قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة
عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان
قالوا هذه خصومتنا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم
قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه
م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا
متاع قال ان المفلس من امتي ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام
وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك
دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته
فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار والله اعلم قوله عز وجل
فمن اظلم ممن كذب على الله اى فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب
بالصدق اذ جاءه اى بالقران وقيل بالرسالة اليه اليس في جهنم
مثوى اى منزل ومقام للكافرين قوله تعالى والذي جاء بالصدق

بين •

وصدق به اى والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول
الله ايضا بلغه الى الخلق • وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقران
وصدق به محمد رسول الله • وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله وصدق
به ابو بكر الصديق • وقيل صدق به المؤمنون • وقيل الذي جاء
بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع • وقيل الذي جاء بالصدق اهل
القران وهو الصدق يجيبون به يوم القيمة وقد ادوا حقه فهم الذين
صدقوا به اولئك هم المتقون اى الذين اتقوا الشرك لهم ما يشاؤن
عند ربهم اى من الجزاء والكرامة ذلك جزاء المحسنين اى في اقوالهم
وافعالهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا اى يسترها عليهم
بالمغفرة ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اى يجزيهم
بمحاسن اعمالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل اليس الله
بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني
الانبيا عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله شر من
عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى
الله عليه وسلم معرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او
ليصيبنك منهم خبل او جنون ومن يضلل الله فما له من هاد ومن
يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز اى منيع في ملكه ذي
انتقام اي منتقم من اعدائه ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله يعني ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر
العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة العقل
شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل عجائب السموات والارض
وما فيهما من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم
ثم امره الله ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها
على جلب خير ودفع ضر وهو قوله تعالى قل افرايتم ما تدعون من دون
الله يعني الاصنام ان ارادني الله بضر اى بشدة وبلاء هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة اى بنعمة وخير وبركة هل هن ممسكات
رحمته فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله
تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله اى هو ثقتي وعليه
اعتمادي عليه يتوكل المتوكلون اى عليه يثق الواثقون قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم اى اجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد
وتقريع اني عامل اى فيما امرت به من اقامة الدين فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه اى انا وانتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم

وهو تهديد وتخويف انا انزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس
بالحق اى لتهتدي به كافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه اى يرجع فايدة
هدايته عليه ومن ضل فانما يضل عليها اى يرجع وبال ضلالته عليه
وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولم تؤخذ بهم قيل هذا منسوخ
باية القتال قوله تعالى الله يتوفى الانفس اي الارواح حين موتها اي
فنقبضها عند فنا اكلها وانقضا اجالها وهو موت الاجساد والتي لم
تمت في منامها والنفس التي يتوفاها عند النوم هي التي يكون بها
العقل والتميز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة
وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي
يكون بها التميز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس
فيمسك التي قضى عليها الموت اى فلا يردها الى جسدها ويرسل
الاخرى اى ويرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها الى اجل
مسمى اي الى ان ياتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفس وروح
فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح • وقال علي بن ابي طالب تخرج
الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرويا فان
انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان
ارواح الاحيا والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شا الله تعالى
فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله ارواح الاموات عنده
وارسل ارواح الاحيا الى اجسادها الى حين انقضا مدة اجالها ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره
فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك
ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ
به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله الله يتوفى
الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله
حتى اذا جا احدهم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة
هو الله تعالى وملك الملك هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك
الموت اعوان وجنود من الملايكة ينتزعون الروح من ساير البدن
فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون اى في البعث وذلك ان توفي نفس النايم وارسالها بعد
التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليل على قدرتنا حيث
لم تغلط في امساك ما تمسك من الارواح وارسال ما ترسل منها
قوله تعالى ام اتخذوا من دونه شفعا يعني الاصنام قل يا محمد اولو

كانوا يعني الالهة لا يملكون شيا اي من الشفاعة ولا يعقلون اي
انكم تعبدونهم وانتم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة قل لله الشفاعة
جميعا اى لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه
هو الشفيع على الحقيقة وهو ياذن في الشفاعة لمن يشا من عباده
له ملك السموات والارض اى لا ملك لاحد فيها سواه ثم اليه ترجعون
اى في الاخرة قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت اى نفرت وقال
ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا
يؤمنون بالاخرة قيل اذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض
الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة واذا
ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون اى يفرحون
والاستبشار ان يمتلى القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله
عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون اى من امر الدين م عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
قال سالت عايشة باى شي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح
صلاته اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل
وميكاييل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفت
فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم • قوله
عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون اى ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل
بهم في الاخرة وقيل ظنوا انهم حسنات فبدت لهم سيات والمعنى
انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاوثان فلما عوقبوا عليها
بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وروي ان محمد بن المنكدر
جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال اخشى ان يبدو لي ما لم اكن
احتسب وبدا لهم سيات ما كسبوا اى مساوي اعمالهم من الشرك
وظلم اوليا الله تعالى وحاق اى نزل بهم ما كانوا به يستهزءون
فاذا مس الانسان ضر اى شدة دعانا ثم اذا خولناه اى اعطيناه
نعمة منا قال انما اوتيته على علم اى من الله تعالى انى له لاهل وقيل
على خير علمه الله تعالى بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من
الله تعالى وامتحان وبلية ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني انها استدراج
من الله تعالى قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فانه قال انما

او تيتنه على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما اغنى
الكفر من العذاب شيا فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزا ما
وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هولا
سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اي بفائتين لان
مرجعهم الى الله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشا
اي يوسع الرزق لمن يشا ويقدر اي يقتر ويقبض على من يشا
ان في ذلك لايات لقوم يومنون قوله تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله روي عن ابن عباس في
سبب نزول هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا
فاكثروا وانتهكوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
ان الذي تقول وتدعوا اليه حسن وتخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين
لا يدعون مع الله الها اخر الى فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات قال
يبدل الله شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائي وعن ابن
عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعوه
الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم ان من قتل
او اشرك او زنا يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك
كله فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا
شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فقال وحشي اراني بعد في شبهة
فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجا فاسلم • وعن ابن عمر
رضي الله عنهما قال نزلت هذه الايات في عياش بن ابي ربيعة والوليد
ابن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا
فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هولا صرفا ولا عدلا ابدا قوم
اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه الاية فكتبها
عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن
الوليد والى اوليك النفر فاسلموا وهاجروا • وعن ابن عمر ايضا قال كنا
معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شي من
حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا
تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما الذي يبطل اعمالنا فقلنا
الكباير والفواحش قال فكنا اذا راينا من اصاب شيا منها قلنا هلك
فنزلت هذه الاية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا راينا احدا اصاب

شيا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيا رجونا له وقوله اسرفوا على
انفسهم اي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكباير وغيرها
من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تياسوا من رحمة الله والقنوط
من رحمة الله والامن من مكر الله من الكباير ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم فان قلت حمل هذه الاية على
ظاهرها اغرا بالمعاصي والاطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يمكن
قلت المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه
لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله
اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة
والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة اذا تاب
وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول
الى مشية الله تعالى فيه فان شا غفر له وعفى عنه وان شا عذبه بقدر
ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل احد
وخوف العقاب دايم فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو
بعد ذلك والله اعلم

فصل في ذكر احاديث تتعلق بالاية

روي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو
يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال مذكر يقنط الناس ثم قرا
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان
الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب ق عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كان في بني اسرايل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم
خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال له الي توبة فقال لا فقتله وجعل
يسال فقال له رجل ايت قرية كذا وكذا فادركه الموت فنا بصدره
نحوها فاختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب فاوحى الله تعالى
الى هذه ان تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما
فوجد اقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخاري • ولمسلم قال فدل
على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا
فهل له من توبة فقال لا فكمل به مائة ثم سال عن اعلم هذه الارض
فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل من توبة قال نعم
ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها
اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها
ارض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت
فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي

والى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فاتاهم ملك في صورة
ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما كان ادنى
فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة
الرحمة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
رجل يسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا وفي رواية لم يعمل حسنة
قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم اطحنوني
ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما
عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله الارض فقال اجمعي ما
فيك ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما فعلت صنعت
قال خشيتك يا رب او قال مخافتك فغفر له بذلك • وعنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان
متحابان احدهما مذنب والاخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال
يرى الاخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال
خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك ولا
يدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال
الرب للمجتهد اكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل
الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به الى النار • قال ابو هريرة تكلم والله
بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود • عن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن ادم لو
بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي
يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي
شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي • قوله عنان السماء
العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها • وقراب الارض بضم القاف
وهو ما تقارب ملؤها **قوله عز وجل** وانيبوا الى ربكم اي
ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة واسلموا له اي اخلصوا له التوحيد
من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي لا تمنعون منه واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران لانه احسن ومعنى الاية ما
قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معاصيه فانه انزل في القران
ذكر القبيح ليجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتاثره
وتاخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وذكر العمل بالمنسوخ من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي وانتم غافلون عنه ان
تقول نفس اي لئلا تقول اي لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا
ان تقول وقيل خوفا ان تصيروا الى حال ان تقول نفس يا حسرتى اي

يا ندما

يا ندما وحزنا والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت
في جنب الله اي على ما قصرت في طاعته • وقيل في امر الله وقيل في
حق الله • وقيل على ما ضيعت في ذات الله • وقيل معناه على ما قصرت
في الجانب الذي يؤدي الى مرضات الله وان كنت لمن الساخرين اي
المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع
طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول لو ان الله هداني اي ارشدني الى
دينه وطاعته لكنت من المتقين اي الشرك او تقول حين ترى
العذاب اي عيانا لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين
اي الموحدين ثم اجاب الله هذا القائل بان الاعذار زايلة والتعلل
باطل وهو قوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي يعني القران فكذبت بها
اي قلت ليست من الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت
من الكافرين ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله اي زعموا ان له
ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان
شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد مخالف لسائر انواع
السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله تعالى
وينجي الله الذين اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطريق التي تؤديهم
الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم اي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة
من النار لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق
كل شيء اي مما هو كائن او يكون في الاخرة وهو على كل شيء وكيل اي ان الاشياء
كلها موكولة اليه في القيام بحفظها له مقاليد السموات والارض
اي مفاتيح خزائن السموات والارض واحده مقلاد مثل مفتاح وقيل
اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز

• لم يؤذها الديك بصوت تغريد • ولم يعالج غلقا باقليد •

والمعنى ان الله مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ
الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها • وقيل مقاليد خزائن
الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات والذين كفروا بايات
الله اي جحدوا بايات الله الظاهرة اولئك هم الخاسرون قل افغير
الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك ان قريشا دعوه الى دين
ابائه ولذلك وصفهم الله بالجهل لان الدليل القاطع قد قام انه المستحق
للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ولقد اوحي اليك والى الذين من
قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اي الذي قد عملته قبل الشرك
وهذا الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان
الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين

بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اى لا نعامه عليك وما قدروا
الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته حيث اشركوا به غيره ثم
اخبر تعالى عن عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ق
عن عبد الله بن مسعود قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السما على اصبع والارضين على اصبع
والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وساير الخلق على
اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال وما قدروا الله حق قدره • وفى رواية والما والثرى على
اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا ثم
قرا وما قدروا الله حق قدره الاية ق عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيمة ثم
ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون • وفى رواية
يقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها انا الملك حتى نظرت
الى المنبر يتحرك من اسفل شى منه حتى انى اقول اساقط هو برسول
الله لفظ مسلم • وللبخارى ان الله يقبض يوم القيمة الارضين وتكون
بيمينه ويقول انا الملك خ عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السما بيمينه
ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض • قال ابو سليمان الخطابي
ليس فيما يضاف الى الله تعالى من صفة اليدين شمال لان الشمال
محل النقص والضعف • وقد روى كلتا يديه يمين وليس
عندنا معنى اليد والجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن
نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب
والاخبار الماثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة
وقال سفيان بن عيينة كلما وصف الله نفسه فى كتابه فتفسيره
تلاوته والسكوت عليه **قوله عز وجل** ونفخ فى الصور فصعق
من فى السموات ومن فى الارض الا من شا الله تقدم فى سورة النمل
تفسير هذا الاستثنا وقال الحسن الا من شا الله يعنى الله وحده
ثم نفخ فيه اى فى الصور اخرى مرة اخرى وهى النفخة الثانية
فاذا هم قيام اى من قبورهم ينظرون اى ينتظرون امر الله فيهم
ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون

شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل
الله من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شى الا
يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة
قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها حين يتجلى الرب لفصل القضا
بين خلقه فما يتضارون من نوره كما يتضارون فى الشمس فى اليوم
الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيمة ووضع الكتاب
اى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق من المبتدى
الى المنتهى وجى بالنبيين يعنى ليكونوا شهدا على اممهم والشهدا
قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم
امة محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل يعنى الحفظة وقضى بينهم بالحق
اى بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد فى حسناتهم ولا ينقص من سيئاتهم
ووفيت كل نفس ما عملت اى ثواب ما عملت وهو اعلم بما يفعلون
يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى شاهد ولا كاتب

تعالى

قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا يعنى سوقا عنيفا زمرا
اى افواجا اثرهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات فى تفرقة
واحدتها زمرة حتى اذا جاوها فتحت ابوابها يعنى السبعة وكانت
قبل ذلك مغلقة وقال لهم خزنتها يعنى توبيخا وتقريعا الم ياتكم
رسل منكم اى من انفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
اى وجبت على الكافرين وهى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين **قوله عز وجل** وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا **فان قلت** عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق
بينهما **قلت** المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان
والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق
اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين والمراد بذلك
السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين
حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها **فان قلت** قال فى اهل النار
فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق **قلت** فيه
وجوه احدها انها زايدة والثانى انها واو الحال مجازه وقد فتحت
ابوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيهم اليها ووجه
الحكمة فى ذلك ان اهل الجنة اذا جاوها ووجدوا ابوابها مفتحة
حصل السرور والفرح بذلك واهل النار اذا راوها مغلقة كانت

ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان ابواب
الجنة ثمانية ونقصت هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب
تعطف بالواو على ما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت
حتى اذا جاوها شرط فاين الجواب قلت فيه وجوه احدها
انه محذوف والمقصود من الحذف انه يدل على انه بلغ في الكمال الى
حيث لا يمكن ذكره والثاني ان الجواب هو قوله قال لهم خزنتها سلام
عليكم بعتروا والثالث تقديره فادخلوها خالدين تحذف
دخولها لدلالة الكلام عليه اي ما معنى قوله حيث نشا وهل يتبوا
احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة
وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشا ولا يحتاج
الى غيره • وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل
الامم فينزلون فيها حيث شاوا ولم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها
قال الله عز وجل فنعم اجر العاملين اى ثواب المطيعين في الدنيا
الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين من حول العرش اى محدقين
مطيفين بجانبه وجوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا التسبيح
تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي
بينهم بالحق اى قضى بين اهل الجنة واهل النار بالعدل وقيل الحمد
لله رب العالمين اى يقوله اهل الجنة شكرا حين وعد الله لهم
وقيل ابتدا الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذى خلق السموات
والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم
فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة غافر •

وهي مكية غير ايتين وهما قوله الذين يجادلون في ايات الله والتي
بعدها وهي خمس وثمانون اية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة
واربعة الاف وتسعماية وتسعون حرفا • عن عبد الله بن مسعود
قال ان مثل صاحب القران كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا
فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب اذ هبط على روضات
دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب منه واعجب
فقيل له ان مثل غيث الاول مثل عظم القران وان مثل هولا الروضات
الدمثات مثل ال حم في القران • وعن ابن عباس قال لكل شي لباب
ولباب القران الحواميم • وقال ابن مسعود اذا وقعت في ال حم
وقعت في روضات الجنة • وقال ابن سعد كن الحم تسمى العرايس
بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل حم قال

ابن

ابن عباس حم اسم الله الاعظم • وعنه قال الر وحم ونون حروف الرحمن
مقطعة وقيل هو اسم للسورة • وقيل انها افتتاح اسمايه حكيم • وحميد •
وحي • وحليم • وحنان • والميم افتتاح اسمايه ملك • ومجيد ومنان •
وقيل حم معناه حم بضم الحا اى قضي ما هو كاين تنزيل الكتاب من الله
العزيز اى الغالب القادر وقيل لا مثل له العليم اى بكل المعلومات
غافر الذنب اى ساتر الذنب وقابل التوب اى التوبة قال ابن عباس
غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا
الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذى الطول اى ذي
السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم واصل الطول الانعام
الذى تطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اى الموصوف بصفات
الوحدانية التي لا يوصف بها غيره اليه المصير اى مصير العباد اليه
في الاخرة قوله تعالى ما يجادل اى ما يخاصم ويحاج في ايات الله
اى في دفع ايات الله بالتكذيب والانكار الا الذين كفروا قال
ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القران قوله
ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا • وقوله وان الذين اختلفوا
في الكتاب لفي شقاق بعيد • وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان جدالا في القران كفر • واخرجه ابو داود وقال المرا في
القران كفر • وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من
كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما انزل
الكتاب يصدق بعضه بعضا فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه
الى عالمه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسمع اصوات رجلين اختلفا في اية فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما
اهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم
اى تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة
امرهم العذاب كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
اى الكفار الذين تحزبوا على انبيايهم بالتكذيب من بعد قوم نوح
وهمت كل امة برسولهم لياخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه
وقيل لياسروه وجادلوا اى خاصموا بالباطل ليدحضوا اى ليبطلوا
به الحق اى الذى جاءت به الرسل فاخذتهم فكيف كان عقاب اى
انزلت بهم الهلاك فيما هموا بهم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان
عقابي اياهم اليس كان مستاصلا مهلكا وكذلك حقت اى وجبت

كلمة العذاب اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت
على الذين كفروا من قومك انهم اي بانهم اصحاب النار قوله
عز وجل الذين يحملون العرش قيل هم حملة العرش اليوم اربعة
فاذا كان يوم القيمة امدهم الله عز وجل باربعة اخر كما قال ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم
من الله عز وجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد
منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش
فيصعق وجناحان يهفوا بهما في الهوا ليس لهم كلام غير التسبيح
والتحميد والتكبير ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سما الى سما وقال
ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة
خمسماية عام • ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون
والسموات في حجزهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبوح
قدوس رب الملائكة والروح • وقيل ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم
خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من
اهل السما السابعة اشد خوفا من التي تليها والتي تليها اشد خوفا
من التي تليها • وروي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذن
لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة العرش ان ما بين
شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه ابو داود • واما
صفة العرش فقيل انه جوهرة خضرا وهو من اعظم المخلوقات
خلقا • روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ما بين القايمة
من قوايم العرش والقايمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين
الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر
اليه خلق من خلق الله والاشيا كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال
مجاهد بين السما السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب
نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة • وقيل ان العرش قبلة
لاهل السما كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض • قوله تعالى ومن حوله
يعني الطايفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملايكة صف
خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هولا ويدبر هولا فاذا استقبل
بعضهم بعضا هلل هولا وكبر هولا ومن ورايهم سبعون الف صف
قيام ايديهم الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا اسمعوا
تكبيرا وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك
ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم
اليك راجعون ومن ورا هولا وهولا ماية صف من الملايكة قد

وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر
ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثماية عام وما بين شحمة اذن احدهم
الى عاتقه اربعماية عام واحتجب الله من الملايكة الذين حول العرش
بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من ظلمة
وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا
من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل • قوله تعالى يسبحون بحمد
ربهم اي ينزهون الله عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه
هو المنعم على الاطلاق ويومنون به اي يصدقون بانه واحد لا شريك
له ولا مثل له ولا نظير له **فان قلت** الذين يسبحون بحمد ربهم
ويومنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فايدة قوله ويومنون
به **قلت** فايدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب
فيه ولما كان الله عز وجل محتجب عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم
بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك وعلمك • واربعة منهم
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم ويستغفرون للذين امنوا اي
يسالون الله طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملايكة
مقابل لقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فلما صدر
هذا منهم اولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم
فيجب على كل من تكلم في احد بشي يكره ان يستغفر له ربنا اي ويقولون
ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شي
وفيه تنبيه على تقديم الثنا على الله بما هو اهله قبل المطلوب بالدعا
فلما قدموا الثنا على الله عز وجل قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك اي دينك وقهم عذاب الجحيم قال مطرف انصح عباد الله
للمومنين الملايكة واغش الخلق للمومنين الشياطين ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم
انك انت العزيز الحكيم قيل اذا دخل المومن الجنة قال اين ابي اين
امي اين ولدي اين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول اني
كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة
كان اكمل لسروره ولذاته وقهم السيات اي عقوبات السيات بان
تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب ومن تق السيات
يومئذ اي تقه في الدنيا فقد رحمته اي في القيمة وذلك هو الفوز
العظيم اي النعيم الذي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى

كنه عظمته وجلاله لقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون اى يوم القيمة
وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سياتهم وعاينوا العذاب
فيقال لهم لمقت الله اى اياكم فى الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اذ
تدعون الى الايمان فتكفرون اليوم عند حلول العذاب بكم قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال ابن عباس كانوا امواتا فى
اصلاب ابائهم فاحياهم الله فى الدنيا ثم اماتهم الموتة التى لا بد منها
ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهذه موتتان وحياتان وقيل اميتوا
فى الدنيا ثم احيوا فى القبر للسوال ثم اميتوا فى قبورهم ثم
احيوا للبعث فى الاخرة وذلك انهم عددوا فى اوقات البلاء والمحنة
وهى اربعة الموتة الاولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم
الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التى هى فى الدنيا فلم يعد وها
لانها ليست من اقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا
وحياة القيمة وموتتين وهى الموتة الاولى فى الدنيا ثم الموتة
الثانية فى القبر بعد حياة السوال ولم يعد واحياة السوال
لقصر مدتها فاعترفنا بذنوبنا يعنى انكارهم البعث بعد الموت
فلما شاهد والبعث اعترفوا بذنوبهم ثم سالوا الرجعة بقولهم
فهل الى خروج اى من النار من سبيل والمعنى فهل من رجوع الى الدنيا
من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا الكلام من غلب عليه
الياس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى
فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جا الجواب على حسب ذلك وهو قوله
تعالى ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم معناه فاجيبوا ان لا سبيل
الى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بانكم اذا دعى الله وحده
كفرتم يعنى اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك وان يشرك به اى غيره
تومنوا اى تصدقوا ذلك المشرك فالحكم لله العلى اى لا اعلى منه الكبير
اى لا اكبر منه قوله عز وجل هو الذى يريكم اياته اى عجايب مصنوعاته
التى تدل على كمال قدرته وينزل لكم من السما رزقا يعنى المطر هو
الذى هو سبب الارزاق وما يتذكر اى يتعظ بهذه الايات الا من
ينيب اى يرجع الى الله فى جميع اموره فادعوا الله مخلصين له
الدين اى الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله تعالى رفيع
الدرجات اى رافع درجات الانبيا والاوليا والعلما فى الجنة وقيل
معناه المرتفع اى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات
جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عما سواه وكل الخلق فقرا اليه
ذو العرش اى خالقه ومالكه والفايدة فى تخصيص العرش بالذكر

لانه اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكلما
كان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى يلقى الروح يعنى ينزل
الوحى سماه روحا لان به تحيى الارواح كما تحيى الابدان بالارواح من امره
قال ابن عباس من قضايه وقيل بامره وقيل من قوله على من يشا من
عباده يعنى الانبيا لينذر يوم التلاق يعنى لينذر النبى صلى الله عليه
وسلم بالوحى يوم التلاق وهو يوم القيمة والمعنى يلتقى اهل السما واهل
الارض وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون
وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم يوم هم بارزون
اى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شى لا يخفى على الله منهم
شى اى من اعمالهم واحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى
عليه شى فى ساير الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت
كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم
ويخفى عليه اعمالهم وهم فى ذلك اليوم صايرون من البروز والانكشاف
الى حال لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا لمن الملك اليوم
اى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فنا الخلق لمن الملك ولا
احد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول لله الواحد القهار اى الذى
قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والاخرون فى يوم القيمة نادى
مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلايق فى يوم القيمة لله الواحد القهار
فالمومنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا ونالوا به المنزلة
الرفيعة فى العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغارة
والندامة حيث لم يقولونه فى الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
يعنى تجزى المحسنين باحسانهم والمسيئون باساتهم لا ظلم اليوم اى ان
الخلق امنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله ليس بظلام للعبيد ان
الله سريع الحساب اى انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب
الخلق كلهم فى وقت واحد قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة يعنى يوم
القيمة سميت ازفة لقرب وقتها وكل ما هو آت قريب اذ القلوب
لدى الحناجر وذلك انها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى
الحناجر فلا هى تعود الى اماكنها ولا هى تخرج من افواههم فيموتوا
ويستريحوا كاظمين اى مكروبين ممتلين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب
منه ما للظالمين من حميم اى من قريب ينفعهم ولا شفيع اى يشفع لهم
يطاع اى فيهم يعلم خاينة الاعين اى خيانتها وهى مسارقة النظر الى ما لا
يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله وما تخفى الصدور اى يعلم
مضمرات القلوب والله يقضى بالحق اى يحكم بالعدل والذين يدعون

من دونه يعني الاصنام لا يقضون بشيء لانها لا تعلم شيا ولا تقدر على
شيء ان الله هو السميع اي لاقوال الخلق البصير لافعالهم اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد
منهم قوة واثارا في الارض اي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان
الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هولا فلم تنفعهم قوتهم
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق اي يدفع عنهم العذاب
ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب قوله
عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا ابناء الذين امنوا معه قيل هذا
القتل غير القتل الاول لان فرعون قد امسك عن قتل الولدان فلما
بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل واستحيوا
نساءهم اي استحيوا النساء لكي يصدوهم بذلك عن متابعة موسى
ومظاهرته وما كيد الكافرين اي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم
الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحق بهم ما يريده الله تعالى
وقال فرعون اي لملائه ذروني اقتل موسى وانما قال فرعون هذا لانه
في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه
كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما
هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة
كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه اي وليدع
موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا اني اخاف ان
يبدل دينكم يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي انتم عليه وان
يظهر في الارض الفساد يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة
غيره وقال موسى يعني لما تواعده فرعون بالقتل اني عذت بربي
وربكم يعني ان موسى لم يات في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد
عليه فلا جرم صانه الله عن كل بلية من كل متكبر اي متعظم عن الايمان
لا يؤمن بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من ال
فرعون يكتم ايمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان
من بني اسرايل فعلى هذا يكون معنى الاية وقال رجل مومن يكتم ايمانه
من ال فرعون وكان اسم هذا المومن حزبيل عند ابن عباس واكثر العلما
وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله اي لان يقول وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله

وقد

وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة
والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه وان يك كاذبا فعليه كذبه
اي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق
وقيل بعض على اصلها ومعناه كانه قال على طريق الاحتجاج اقل ما في
صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب
الكل ان الله لا يهدي اي الى دينه من هو مسرف كذاب اي على الله خ
عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص عن اشد
ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط
فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه
وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم قوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض
اي غالبين في الارض اي ارض مصر فمن ينصرنا اي يمنعنا من باس الله
ان جاءنا والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب
وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم قال فرعون
ما اريكم من الراي والنصيحة الا ما ارى اي لنفسي وما اهديكم الا
سبيل الرشاد اي ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان
مومن ال فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به مثل
ما حل بالامم قبله بقوله وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى اتاهم العذاب
وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيمة سمي يوم القيمة
يوم التناد لانه يدعى فيه كل اناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا
فينادي اصحاب الجنة اصحاب النار واصحاب النار اصحاب الجنة
وينادي فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان سعد
سعادة لا يشقى بعدها ابدا وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة
خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت • وقيل ينادي المومن
هاؤم اقرؤا كتابيه • وينادي الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه وقيل
يوم التناد يعني يوم التناد من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم
اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا

وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه
يوم تولون مدبرين اى منصرفين عن موقف الحساب الى النار ما لكم
من الله من عاصم اى يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له
من هاد اى يهديه ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف بن يعقوب
من قبل اي من قبل موسى بالبينات يعني قوله ارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار. قيل مكث يوسف فيهم عشرين سنة نبيا
وقيل هو فرعون آخر فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس
من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في نبوته
لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها حتى اذا هلك يعني مات
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا يعني اقمتم على كفركم وظننتم
ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني
من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا في تكذيب
الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده
رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب
لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب برسالته كذلك يضل الله
من هو مسرف اى في شركه وعصيانه مرتاب اى في دينه الذين
يجادلون في آيات الله قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني
الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب بغير سلطان
اى بغير حجة وبرهان اتاهم من الله كبر مقتا اى ذلك الجدال
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار **قوله عز وجل** وقال فرعون يعني لوزيره
يا هامان ابن لي صرحا اى بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وان بعد
وقد تقدم ذكره في سورة القصص لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات اى طرقها وابوابها من سماء الى سماء فاطلع الى اله موسى
واني لاظنه يعني موسى كاذبا اى فيما يدعي ويقول ان له ربا
غيري وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل قال
ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح اى وصد
فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اى وما
كيده في ابطال آيات موسى الا في خسار وهلاك قوله تعالى وقال
الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اى طريق الهدى
يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اى متعة ينتفعون بها
مدة ثم تنقطع وان الآخرة هي دار القرار اى التي لا تزول والمعنى
ان الدنيا فانية منقرضة ولا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة

والباقي

والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا
فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا
خزف فان والآخرة ذهب باق من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
قيل معناه من عمل بالشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي
فجزاؤه العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اى لا تبعة
عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا
بغير تقتير ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار
معناه انا ادعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة من النار وانتم
تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال تدعونني
لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم اى لا اعلم هذا الذي تدعونني
اليه باله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا لله الاله الحق ولما بين
انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله
وانا ادعوكم الى العزيز اى في انتقامه ممن كفر الغفار اى لذنوب
اهل التوحيد لا جرم يعني حقا انما تدعونني اليه يعني الصنم ليس
له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليست له استجابة دعوة لاحد
في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا لان
الاصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من
عابديها وان مردنا الى الله اى مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما
يستحقه وان المسرفين يعني المشركين هم اصحاب النار فستذكرون
ما اقول لكم اى اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر وافوض
امري الى الله اى ارد امري الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم
ان الله بصير بالعباد يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن
من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله فوقاه الله سيئات
ما مكروا اى ما ارادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى وكان قبطيا
وحاق اى نزل بآل فرعون سوء العذاب يعني الغرق في الدنيا
والنار في الآخرة وذلك قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح آل فرعون في اجواف
طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار
ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة ∘ وقيل يعرض
روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه
الآية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله منه بمنه وكرمه ق عن عبد
الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا

مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن
اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى
يبعثك الله اليه يوم القيمة ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيمة
فقال تعالى ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اى يقال
لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب قال ابن عباس الوان العذاب
غير الذى كانوا يعذبون به منذ اغرقوا قوله تعالى واذ يتحاجون اي
اذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى اهل النار في النار فيقول الضعفا
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا اى فى الدنيا فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعنى الروسا والقادة انا كل
فيها يعنى نحن وانتم ان الله قد حكم بين العباد اى قضى علينا وعليكم
وقال الذين فى النار يعنى حين اشتد عليهم العذاب لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا يعنى الخزنة اولم تك تاتيكم
رسلكم بالبينات يعنى لا عذر لكم بعد مجى الرسل قالوا بلى اعترفوا
بذلك قالوا فادعوا يعنى انتم انا لا ندعوا لكم لانهم علموا انه لا يخفف
عنهم العذاب قال الله وما دعا الكافرين الا فى ضلال يعنى يبطل
ويضل ولا ينفعهم • قوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا
فى الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالانتقام من
الاعدا فى الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة
على من خالفهم تارة وقد ينصرهم بالقهر على من ناواهم واهلك اعداهم
بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين الفا
ويوم يقوم الاشهاد يعنى وينصرهم يوم القيمة يوم يقوم الاشهاد
وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار
بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اى ان اعتذروا عن
كفرهم لم يقبل منهم ولهم اللعنة اى البعد من الرحمة ولهم سوء
الدار يعنى جهنم ولقد اتينا موسى الهدى يعنى النبوة وقيل
التورية واورثنا بنى اسرايل الكتاب يعنى التورية وقيل ساير
الكتب المنزلة على انبيايهم هدى وذكرى لاولى الالباب قوله
تعالى فاصبر اى يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق اى فى اظهار
دينك واهلاك اعدايك قال الكلبى نسخت اية القتال اية الصبر
واستغفر لذنبك يعنى الصغاير وهذا على قول من يجوزها
على الانبيا وقيل معناه على ترك الاولى والافضل وقيل على ما كان
قد صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغاير على الانبيا
يقول هذا تعبد من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده به درجة

ولتصير

ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى
قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والاول مقدم وهو
التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله وسبح
بحمد ربك اى نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشى
والابكار يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات
الخمس ان الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطان اتاهم يعنى
كفار قريش ان فى صدورهم اى ما فى قلوبهم الا كبر قال ابن عباس ما
حملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه
اى ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر • وقيل معناه ان فى صدورهم الا
كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغى ذلك
وقيل نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان
صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى اخر الزمان فيبلغ
سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى فاستعذ اي بالله
من فتنة الدجال انه هو السميع اى لاقوالهم البصير اى لافعالهم
قوله تعالى لخلق السموات والارض اى مع عظمهما اكبر من خلق الناس
اي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم معترفون ان الله خلق السموات
والارض وذلك اعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون
بالبعث بعد الموت ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى الكفار لا يعلمون
حين لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى اكبر من
خلق الناس اى اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يعنى اليهود الذين يخاصمون فى امر الدجال

فصل فى ذكر الدجال

م عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر من خلق
الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال ق عن ابن عمر
ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمين كانها
عنبة طافية ولابى داود والترمذي عنه قام النبى صلى الله عليه وسلم
فى الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال انى انذركموه
وما من نبى الا وقد انذر قومه لقد انذر نوح قومه ولكنى ساقول لكم
فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور ق عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا وقد انذر
امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه
كافر • وفى رواية لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقراه كل
مسلم • عن اسما بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السما ثلث قطرها والارض تنبت نباتها والثانية تمسك السما ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السما قطرها والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهايم الا هلك ومن اشد فتنته انه ياتي الاعرابي فيقول ارايت ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيمثل له نحو ابله كاحسن ما تكون ضروعا واعظمه اسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اباك واخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلي فيمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتي الباب فقال مهيم اسما قلت يا رسول الله لقد خلعت افيدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مومن قالت اسما فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمومنين يوميذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السما من التسبيح والتقديس • وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث اخرجه البغوي بسنده والذي جا في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح • وفي رواية ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عند المنارة البيضا شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله ق عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ما ونارا فاما الذي يرى الناس انه نار فما بارد واما الذي يرى الناس انه ما فنار تحرق فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ما عذب بارد ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجي بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم كما انذر نوح قومه ق عن المغيرة بن شعبة قال ما سال احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر ما سالته

وانه

وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون على الله من ذلك • عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينا منه فوالله ان الرجل لياتيه وهو يحسب انه مومن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه ابو داود ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطاه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملايكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملايكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك • عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة • عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النواوي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده فاقدره على اشيا من المقدورات من احيا الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السما ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله وفتنته ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقها خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود ولكن الذي ياتي بها زعموا انها مخارق وخيالات لا حقايق لها وزعموا انه لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبيا وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس الامر دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلايل

الحديث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى فى عينه وعن
ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلايل لا يغتر به
الاعوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق اوخوفا
من اذاه لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا
حذرت الانبيا من فتنته فاما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا
يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول الذى يقتله
ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة • قوله قلت يرسول
الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون على الله من ذلك
معناه هذا اهون على الله من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده
مضلا للمومنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين
امنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه
انه ليس معه شى من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ما ونار فماوه
نار وناره ما بارد واالله اعلم **قوله عز وجل** وما يستوى الاعمى
والبصير اى الجاهل والعالم والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا
المسئ اى لا يستوون قليلا ما يتذكرون ان الساعة يعنى القيمة
لاتية لا ريب فيها اي لا شك فى قيامها ومجيها ولكن اكثر الناس
لا يومنون اى لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى وقال
ربكم ادعونى استجب لكم اى اعبدونى دون غيرى اجبكم واثيبكم
واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعا جعل الاثابة استجابة • عن النعمان
ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدعا هو
العبادة ثم قرا وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اخرجه ابو داود والترمذى
وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه من لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذي وعنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شى اكرم على الله من الدعاء ۞
اخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن انس بن مالك عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ العبادة اخرجه الترمذى وقال
حديث غريب **فان قلت** كيف قال ادعونى استجب لكم وقد
يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له **قلت** الدعا له شروط
منها الاخلاص فى الدعا وان لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعا
وان يكون المطلوب بالدعا مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة
رحم فاذا كان الدعا بهذه الشروط كان حقيق الاجابة فاما ان يعجلها
له واما ان يدخرها له • يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعا الا استجيب له
فاما ان يعجل له فى الدنيا واما ان يدخر له فى الاخرة واما ان يكفر عنه
من ذنوبه بقدر ما دعى ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل
قالوا يرسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب
لي اخرجه الترمذى وقال حديث غريب • وقيل الدعا هو الذكر والسوال
ان الذين يستكبرون عن عبادتى اي عن توحيدى وقيل عن دعاى ۞
سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين ذليلين • قوله عز وجل الله
الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اى لتحصل لكم الراحة بسبب النوم
والسكون والنهار مبصرا اى ليحصل لكم فيه مكنة التصرف فى حوايجكم
ومهماتكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
ذلكم الله ربكم اي ذلكم المميز بالافعال الخاصة الذى لا يشاركه فيها احد
هو الله ربكم خالق كل شى لا اله الا هو اى هو الجامع لهذه الاوصاف
من الالهية والربوبية وخلق الاشيا كلها وانه لا شريك فى ذلك فانى
تؤفكون اى فانى تصرفون عن الحق كذلك اى كما افكتم عن الحق مع
قيام الدلايل كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله
الذى جعل لكم الارض قرارا اى فراشا لتستقروا عليها وقيل مستقرا فى
حال الحياة وبعد الموت والسما بنا اى سقفا مرفوعا كالقبة وصوركم
فاحسن صوركم اى خلقكم فاحسن صوركم خلقكم قال ابن عباس خلق
ابن ادم قايما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفيه
ورزقكم من الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده من الماكل والمشارب
من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي
وهذا يفيد الحصر اى لا حي الا هو فوجب ان يحمل ذلك على الذى يمتنع
ان يموت امتناعا ثابتا ثابتا وهو الله تعالى الذى لا يوصف بالحياة
الكاملة الا هو والحي هو المدرك الفعال وهذا اشارة الى العلم التام
والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على هذه كمال الوحدانية
بقوله لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين
اى فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على
اثرها الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جانى البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين
وذلك حين دعى الى الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك قوله تعالى
الله الذى خلقكم من تراب يعنى اصلكم ادم وقيل يحتمل ان كل انسان
خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهى من الاغذية من النبات
والنبات من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم

نيتة •

لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني ان مراتب الانسان بعد
خروجه من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية وهي حالة النمو والزيادة
الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة
ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا ولتبلغوا اي
جميعا اجلا مسمى اي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني اجل الحياة الى
الموت ولعلكم تعقلون اي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة
الباهرة الدالة على توحيده وقدرته هو الذي يحيي ويميت فاذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي يكونه من غير كلفة ولا
معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحيا والاماتة
وساير ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته فانه قال من الاقتدار
اذا قضى امرا كان اهون شي واسرعه قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون
في ايات الله يعني القران انى يصرفون اي عن دين الحق وقيل نزلت في
القدرية الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون
وعيد وتهديد ثم وصف ما اوعدهم به فقال اذ الاغلال في اعناقهم
والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار
يسجرون اي توقد بهم النار ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله
يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم فلا نراهم بل لم نكن ندعوا
من قبل شيا قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعوا شيا ينفع ويضر
وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعوا من قبل شيا كذلك
يضل الله الكافرين اي كما اضل هولا ذلكم اي العذاب الذي نزل
بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني
السبعة خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين يعني عن الايمان قوله
عز وجل فاصبر ان وعد الله حق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي بنصرك على الاعدا فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي من
العذاب في حياتك او نتوفينك اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا
يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
اي خبره وحاله في القران ومنهم من لم نقصص عليك اي ولم نذكر لك
حال الباقين وليس منهم احدا الا اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد
جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا
وهذا التسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي
باية الا باذن الله اي بامره وارادته فاذا جا امر الله اي قضاوه بين
الانبيا والامم قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون اي

الذين يجادلون في ايات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى الله
الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي
في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم اي تحمل اثقالكم من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم وعليها
وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم
اياته اي دلايل قدرته فاي ايات الله تنكرون يعني ان هذه الايات
التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شي منها يمكن انكاره قوله تعالى افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض يعني مصانعهم وقصورهم
والمعنى لو ساروا هولا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المنكرين المتمردين
الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعددا واموالا من هولا فما
اغنى عنهم اي لم ينفعهم هولا ما كانوا يكسبون اي اي شي اغنى عنهم
كسبهم فلما جاتهم رسلهم بالبينات فرحوا اي رضوا بما عندهم من العلم
قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا
سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل وحاق
بهم ما كانوا به يستهزون فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في
عباده يعني سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان
عند معاينة الباس وهو العذاب يعني بتلك السنة انهم اذا راوا
العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك
الكافرون اي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه
يتبين خسرانه اذا راى العذاب والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• سورة حم السجدة وتسمى فصلت وسورة المصابيح •

وهي مكية وهي اربع وخمسون اية وسبعماية وست وتسعون كلمة •
وثلاثة الاف وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته ۵ اي بينت
وميزت جعلت معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد
ووعيد قرانا عربيا اي باللسان العربي لقوم يعلمون اي انما
انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما
فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقران اي بشيرا لاوليا الله بالثواب ونذيرا
لاعدايه بالعقاب فاعرض اكثرهم اي عنه فهم لا يسمعون اي لا يصغون
اليه تكبرا وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في اكنة اي اغطية مما تدعونا اليه

اى فلا نفقه ما تقول وفى اذاننا وقر اى صمم فلا نسمع ما تقول
والمعنى انا فى ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا
وبينك حجاب اى خلاف فى الدين وحاجز فى النحلة فلا نوافقك
على ما تقول فاعمل اى انت على دينك اننا عاملون اى على ديننا
قل يا محمد انما انا بشر مثلكم اى كواحد منكم يوحى الى اى لولا الوحى
ما دعوتكم قال الحسن علمه الله التواضع انما الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه اى توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه
اى من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال
ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون
انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا
يرون اتيانها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا
ومن تخلف عنها هلك • وقيل معناه لا ينفقون فى طاعة الله ولا
يتصدقون • وقيل لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كافرون اى جاحدون
بالبعث بعد الموت ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر
غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير
ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الاية فى المرضى
والزمنى والهرمى واذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر
كاصح ما كانوا يعملون فيه خ عن ابى موسى قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل
عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب الله له كصالح ما كان
يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل قل اينكم استفهام بمعنى
الانكار وذكر منهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون
بالذى خلق الارض فى يومين وثانيهما وتجعلون له اندادا اثبات
الشركا والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة
اندادا لله مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الاحد
والاثنين ذلك رب العالمين اى هو رب العالمين وخالقهم المستحق
للعبادة لا الانداد المنحوتة من الخشب والحجر وجعل فيها رواسى اى
جبالا ثوابت من فوقها اى من فوق الارض وبارك فيها اى فى الارض
بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار
والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه
وقدر فيها اقواتها اى قسم فى الارض ارزاق العباد والبهايم وقيل
قدر فى كل بلدة ما لم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة
وقيل قدر الخبز لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر اخر والذرة لاهل

قطر والسمك لاهل قطر وكذلك ساير الاقوات وقيل ان الزراعة اكثر
الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر
فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين فخلق الارض فى يومين
وقدر الاقوات فى يومين وهما يوم الثلاثا ويوم الاربعا فصارت
اربعة ايام رد الاخر على الاول فى الذكر سوا للسايلين معناه سوا لمن
سال عن ذلك فهكذا الامر سوا لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سال
فى كم خلقت الارض والاقوات ثم استوى الى السما اى عمد الى خلق السما
وهى دخان يعنى ان ذلك الدخان كان بخارا لما قيل كان العرش قبل
خلق السموات والارض على الما فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات
والارض امر الريح فضربت الما فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه
السما ثم ايبس الما فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان
قلت هذه الاية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السما وقوله
والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض كان بعد خلق السما
فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض اولا
ثم خلق السما بعدها ثم بعد خلق السما دحى الارض ومدها وجواب
اخر وهو ان يقال ان خلق السما مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون
معنى الاية خلق الارض فى يومين ليس الخلق عبارة عن الايجاد
والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى
ان يحدث الارض فى يومين بعد احداث السما فعلى هذا يزول
الاشكال والله اعلم بالحقيقة فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها
اى ايتيا ما امرتكما اى افعلاه وقيل افعلا ما امركما طوعا والا الجاتكما
الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع قالتا اتينا طايعين
معناه اتينا بما فينا طايعين فلما وصفهما بالقبول اجراهما فى الجمع مجرى
من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع
لمصالح العباد اما انت يا سما فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وانت
يا ارض فشقى انهارك واخرجى ثمارك ونباتك وقوله فقضاهن
سبع سموات اى اتمهن وفرغ من خلقهن فى يومين وهما الخميس والجمعة
واوحى فى كل سما امرها قال ابن عباس خلق فى كل سما خلقا من الملايكة
وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله وقيل اوحى الى
كل سما ما اراد من الامر والنهى وزينا السما الدنيا اى التى تلى الارض
بمصابيح اى بكواكب تشرق كالمصابيح وحفظا اى وجعلناها يعنى
الكواكب حفظا للسما من الشياطين الذين يسترقون السمع ذلك
اى الذى ذكر من صنعه وخلقه تقدير العزيز العليم اى بخلقه وفيه

بعده

ای فی ملکهم

وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم قوله تعالى **فان اعرضوا** يعني هولاء
المشركين عن الايمان بعد هذا الايمان البيان **فقد انذرتكم** اي
خوفتكم **صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** اي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة
المهلكة من كل شي **اذ جاءتهم الرسل** يعني الى عاد وثمود **من بين ايديهم**
يعني الرسل الذين ارسلوا الى اباءهم **ومن خلفهم** يعني ومن بعد الرسل
الذين ارسلوا الى اباءهم وهم الرسل الذين ارسلوا اليهم وهم هود وصالح
وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم **ان لا**
اي بان لا **تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة** يعني لو شاء
ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هولاء الرسل **فانا بما ارسلتم به
كافرون** روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال
الملا من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال
عتبة بن ربيعة والله لقد سمعنا الشعر والكهانة والسحر وعلمت من
ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال انت
يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم
تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك
الوية فكنت راسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة
تختار من اي ابيات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني
انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا
يتكلم فلما فرغ قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه
وناشده الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال
ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه
طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا
اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت
الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا
ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال
والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه
القصة فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة
الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ۞
فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا
لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب • وقال محمد بن كعب القرظي حدثت

ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد فقال يا معشر
قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منا بعضها
فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة وراوا ان اصحاب محمد يزيدون
ويكثرون قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث علمت
من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك
بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت الهتهم وكفرت
من مضى من اباءهم فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت
انما تريد بما جيت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا
مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك
رئي تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب اولعل هذا شعر جاش
بصدرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا
نقدر عليه حتى اذا فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته
ثم مضى فيها يقرا فلما سمعها عتبة انصت له والقى يديه خلف ظهره
معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى السجدة فسجد ثم قال سمعت ابا الوليد فانت وذاك فقام
عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو
الوليد قال ورائي اني قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو
بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل
وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نباء
فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه
ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا
الوليد بلسانه قال هذا رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم **قوله
عز وجل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من
اشد منا قوة** وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر
على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال قال
الله ردا عليهم **اولم يروا** اي اولم يعلموا **ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا**
اي عاصفا شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة وقيل ان الريح ثمانية

فاربع منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم
واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات
قيل ارسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا في ايام
نحسات اى نكدات مشؤمات ذات نحوس وقيل ذات غبار وتراب
ثاير لا يكاد يبصر فيه وينصرف فيه ، وقيل امسك الله عنهم ثلاث
سنين ودابت عليهم الريح من غير مطر لنذيقهم عذاب الخزى
اى عذاب الذل والهوان وهذا مقابل لقوله فاستكبروا في الارض
بغير الحق في الحياة الدنيا اي ذلك الذى نزل بهم من الخزي
والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى اى اشد اهانة وهم
لا ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واما ثمود فهديناهم قال
ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر فاستحبوا
العمى على الهدى اى اختاروا الكفر على الايمان فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون اى ذى الهوان بما كانوا يكسبون اى من الشرك ونجينا
الذين امنوا وكانوا يتقون اى يتقون الشرك والاعمال الخبيثة
وهم صالح ومن آمن معه من قومه قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله
الى النار فهم يوزعون اى يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم
حتى يلحق اخرهم حتى اذا ما جاؤها يعنى النار شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم اى بشراتهم وقيل فروجهم بما كانوا يعملون معناه
ان الجوارح تنطق بما كسبت كتمت الالسن من عملهم م عن انس قال
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون
مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه
فيقول يارب الم تجرنى من الظلم قال يقول بلى فيقول فانى لا اجيز
اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك
شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال
لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا يعنى الكفار الذين
يحشرون الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى
انطق كل شئ معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا وانطقكم
ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضا والجوارح وهو قوله
تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل تم الكلام عند
قوله الذى انطق كل شئ ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون وقيل لانه ليس من جواب الجلود وما كنتم تستترون اي
تستخفون وقيل معناه تظنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم

ولا

ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفا من جوارحكم ولا
تظنون انها تشهد عليكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
قال ابن عباس كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكنه
يعلم ما يظهر ق عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان
وقرشى او قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال
احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع
ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا
فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، قيل
الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية
قوله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم اى ظنكم ان الله لا يعلم ما
تعملون ارداكم اى اهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار فاصبحتم
من الخاسرين ثم اخبر عن حالهم بقوله فان يصبروا فالنار مثوى
لهم اى مسكن وان يستعتبوا اى يسترضوا ويطلبوا العتبى
والمعتب هو الذى قبل عتابه واجيب الى ما سال فما هم من المعتبين
اي المرضيين وقيضنا لهم اى بعثنا ووكلنا وقيل هيانا وسلبنا لهم
قرناء اى نظراء من الشياطين حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين
ايديهم اى من امر الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم اى
فدعوهم الى التكذيب بالاخرة والانكار للبعث وقيل حسنوا لهم
اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اى وجب
في امم اى مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
قوله تعالى وقال الذين كفروا يعنى مشركى قريش لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه قال ابن عباس يعنى والغطوا فيه من اللغط وهو
كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رايتم محمد يقرا فعارضوه
بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل
والغوا فيه بالمكا والتصفير وقيل صيحوا فى وجهه لعلكم تغلبون
يعنى محمدا على قراته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم
اسوا يعنى باسوا الذى كانوا يعملون في الدنيا وهو الشرك
ذلك اى الذى ذكر من العذاب جزاء اعداء الله النار لهم فيها
دار الخلد اى دار الاقامة لا انتقال عنها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون
وقال الذين كفروا اى في النار ربنا اى يا ربنا ارنا اللذين اضلانا
من الجن والانس يعنون ابليس وقابيل في النار ليكونا من الاسفلين
اى في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا

ثم بين ذلك الجزا فقال

منافوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال اهل
التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لاجل العمل به وراس المعرفة
اليقينيه معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا
ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط
غير مايل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امر
الدين والتوحيد فتكون هي في الاعمال الصالحة سيل ابو بكر الصديق
عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيا • وقال عمر بن الخطاب
الاستقامة ان تستقيم في الامر والنهي لا تروغ روغان الثعلب وقال
عثمان استقاموا اخلصوا في العمل • وقال علي بن ابي طالب ادوا
الفرايض وهو قول ابن عباس • وقيل استقاموا على امر الله فعملوا
بطاعته واجتنبوا معاصيه • وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله
الا الله حتى لحقوا بالله • وكان الحسن اذا تلى هذه الاية قال اللهم
انت ربنا فارزقنا الاستقامة تتنزل عليهم الملايكة قال
ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى
تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ان لا
تخافوا اي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر
الاخرة ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك
كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا نغفرها لكم وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياوكم اي تقول لهم الملايكة
عند نزولهم بالبشرى نحن اولياوكم اي انصاركم وقيل تقول لهم الحفظة
نحن كنا معكم في الحياة الدنيا ونحن اولياوكم في الاخرة لا نفارقكم حتى
تدخلوا الجنة ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم اي من الكرامات
واللذات ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون نزلا اي رزقا والنزل رزق
النزيل وهو الضيف من غفور رحيم قال اهل المعاني كل هذه الاشيا
المذكورة في هذه الاية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذه
النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى ومن احسن
قولا ممن دعى الى الله اي الى طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعى الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المومن اجاب
الله فيما دعاه اليه ودعى الناس الى ما اجاب به وعمل صالحا في اجابته
وقالت عايشة هذه الاية نزلت في المودنين وقيل ان كل من دعى الى الله
بطريق من الطرق فهو داخل في الاية وللدعوة الى الله مراتب الاولى
دعوة الانبيا الى الله بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه
المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبيا • المرتبة الثانية دعوة العلما

الى

الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلما اقسام علما بالله • وعلما بصفات
الله وعلما باحكام الله • المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف
فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته • المرتبة
الرابعة دعوة المودنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله والى طاعته
وعمل صالحا • قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب
وهو معرفة الله تعالى • وقسم يكون بالجوارح وهو سا ير الطاعات •
وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة ق عن عبد الله
ابن معقل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين
صلاة قال في الثالثة لمن شاء • عن انس بن مالك قال الدعا بين
الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث
حسن وقال انني من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط بل
ضم اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به
قوله عز وجل ولا تستوى الحسنة ولا السيئة يعني الصبر
والغضب والحلم والجهل والعفو والاساة ادفع بالتي هي احسن قال
ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند
الاساة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي الصديق
القريب قيل نزلت في ابي سفين بن حرب وذلك انه كان للمسلمين بعد
شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه
وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة وما يلقاها اي وما يلقا
هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا
اي على تحمل المكاره وتجرع الشدايد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم اي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم
الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة واما ينزغنك من
الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان
كانه ينخسه اي يبعثه على ما لا ينبغي ومعنى الاية وان صرفك
الشيطان عما وصفت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله
اي من شره انه هو السميع اي لاستعاذتك العليم باحوالك
قوله عز وجل ومن اياته اي ومن دلايل قدرته وحكمته الداله
على وحدانيته الليل والنهار لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
اي لانهما عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان
السجود عبارة عن نهاية التعظيم واسجدوا لله الذي خلقهن
اي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس
والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله

نهوا عن السجود لهذه الوسايط وامروا بالسجود لله الذى خلق
هذه الاشيا كلها فان استكبروا اى عن السجود فالذين عند ربك
يعنى الملايكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون
اى لا يفترون ولا يملون **فصل** وهذه السجدة من عزايم
سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلما وهما وجهان
لاصحاب الشافعى احدهما انه عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو
قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن ابى حنيفة واحمد لان
ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند اصحاب الشافعى وكذا
نقله الرافعى انه عند قوله وهم لا يسامون وهو قول ابن عباس
وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن ابى
حنيفة لان عنده يتم الكلام ومن اياته انك ترى الارض خاشعة
فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى
الموتى انه على كل شى قدير قوله تعالى ان الذين يلحدون اى يميلون
عن الحق فى اياتنا اى فى ادلتنا قيل بالمكا والتصدية واللغو واللغط
وقيل يكذبون فى اياتنا ويعاندون ويشاقون لا يخفون علينا
تهديد ووعيد قيل نزلت فى ابى جهل افمن يلقى فى النار هو ابو جهل
خير ام من ياتى امنا يوم القيمة المعنى الذين يلحدون فى اياتنا يلقون
فى النار والذين يومنون باياتنا امنين يوم القيمة قيل هو حمزة
وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر اعملوا ما شيتم امر تهديد ووعيد
انه بما تعملون بصير اى انه عالم باعمالكم فيجازيكم بها ان الذين
كفروا بالذكر لما جاهم يعنى القران وفى جواب ان وجهان احدهما
انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى
جوابه اوليك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ فى وصف الذكر فقال
تعالى وانه لكتاب عزيز قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز
العديم النظير وذلك لان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه
الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قيل الباطل هو
الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص
منه فياتيه الباطل من بين يديه ويزاد فيه فياتيه الباطل من
خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل
لا ياتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجى بعده كتاب
فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه
سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل

امنا

عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تاخر تنزيل من حكيم اى فى جميع
افعاله حميد اى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل ما يقال
لك اى من الاذى والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعنى
انه قد قيل للانبيا قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ان
ربك لذو مغفرة اى لمن تاب وامن بك وذو عقاب اليم اى لمن
اصر على التكذيب **قوله عز وجل** ولو جعلناه اى هذا الكتاب
الذى تقراه على الناس قرانا اعجميا اى بغير لغة العرب لقالوا
لولا فصلت اياته اى هلا بينت اياته بالعربية حتى نفهمها
اعجمى وعربى يعنى كتاب اعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار
المعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربى والمنزل
عجمى وقيل فى معنى الاية انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم
ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهم ان يقولوا
قلوبنا فى اكنة وفى اذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لما انزلنا
هذا القران بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا فى
اكنة وفى اذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا
فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم
محمدا فقال هو والله يعلمنى فانزل الله هذه الاية قل يا محمد هو يعنى
القران للذين امنوا هدى اى من الضلالة وشفا اى لما فى القلوب
من مرض الشرك والشك وقيل شفا من الاوجاع والاسقام والذين
لا يومنون فى اذانهم وقر وهو عليهم عمى اى عموا عن استماع القران وعموا
عنه فلا ينتفعون به اوليك ينادون من مكان بعيد اى كما ان من
دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك حال هولا فى قلة انتفاعهم
بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لا يسمعون ولقد اتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه اى فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك
ولولا كلمة سبقت من ربك اى فى تاخير العذاب عن المكذبين بالقران
لقضى بينهم اى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم وانهم لفى شك منه
مريب اى من كتابك وصدقك من عمل صالحا فلنفسه اى يعود نفع
ايمانه وعمله لنفسه ومن اسا فعليها اى ضرر اساته وكفره يعود على
نفسه ايضا وما ربك بظلام للعبيد يعنى فيعذب غير المسى قوله
عز وجل اليه يرد علم الساعة يعنى اذا سال عنها سايل قيل له لا
يعلم وقت قيام الساعة الا الله ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك

وَمَا تخرج من ثمرة من اكمامها اى من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفر قبل ان ينشق وَمَا تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اى يعلم عدد ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر هو الحمل ام انثى ومعنى الاية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من شى كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شى مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قل ما يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه احد ويوم يناديهم اى ينادى الله المشركين فيقول اين شركاى اى التى زعمتم انها الهة قالوا يعنى المشركين اذناك اى اعلمناك ما منا من شهيد اى يشهد ان لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبروا من الاصنام وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اى يعبدون فى الدنيا وظنوا ما لهم من محيص اى مهرب قوله تعالى لا يسام الانسان اى لا يمل الكافر من دعاء الخير يعنى لا يزال يسال ربه الخير وهو المال والغنى والصحة وان مسه الشر اى الشدة والفقر فيوس اى من روح الله قنوط اى من رحمته ولئن اذقناه رحمة منا اى اتيناه خيرا وعافية وغنا من بعد ضراء مسته اى من بعد شدة وبلاء اصابه ليقولن هذا لى اى استحقه بعملى وما اظن الساعة قايمة اى ولست على يقين من البعث ولئن رجعت الى ربى يقول هذا الكافر فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى الجنة والمعنى كما اعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الاخرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى اعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه اى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم واذا مسه الشر اى الشدة والفقر فذو دعاء عريض اى كثير قل يا محمد لكفار مكة ارايتم ان كان من عند الله يعنى هذا القران ثم كفرتم به اى جحدتموه من اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم سنريهم اياتنا فى الافاق قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية وفى انفسهم اى بالبلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل فى الافاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد والمسلمين وفى انفسهم هو فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى

دين الاسلام وقيل يتبين القران انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مويد من قبل الله تعالى وقيل فى الافاق يعنى اقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفى انفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى لا يقدر على هذه الا الله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شى شهيد يعنى يشهد ان القران من عند الله وقيل اولم يكفهم هذه الدلايل الكثيرة التى اوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شى الا انهم فى مرية من لقاء ربهم اى فى شك عظيم من البعث والقيمة الا انه بكل شى محيط اى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها احاط بكل شى علما واحصى كل شى عددا والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة شورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا اربع ايات نزلت بالمدينة اولها قل لا اسالكم عليه اجرا • وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور • وقوله والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله من سبيل • وهى ثلاث وخمسون اية وثمانمائة وست وستون كلمة • وثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل حم عسق سيل الحسين بن الفضل لم قطع حم ولم يقطع المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور اوايلها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره لان حم عسق عدت ايتين وعدت اخواتها التى لم تقطع اية واحدة • وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى • واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اى قضى وبقى عسق على اصله وقال معناه اى معنى ح حلمه • م مجده • ع علمه • س سناه • ق قدرته • اقسم الله بها • وقيل ان العين من العزيز • والسين من قدوس • والقاف من قاهر • وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز • م ملك يتحول من قوم الى قوم • ع عدو لقريش يقصدهم • س سنين كسنى يوسف • ق قدرة الله فى خلقه • وقيل هذا فى شان محمد صلى الله عليه وسلم • فالحا حوضه المورود • والميم ملكه الممدود • والعين عزه الموجود • والسين سناوه المشهود • والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود • قال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد اوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك وقيل معناه

كذلك يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك الله العزيز
في ملكه الحكيم في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقيل العزيز
الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
اي من فوق الارضين وقيل تتفطر كل واحدة فوق التي تليها من
عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا والملايكة
يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يعملون
باموربهم ويستغفرون لمن في الارض اي من المومنين دون الكفار
لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملايكة وقيل يحتمل ان يكون
لجميع من في الارض اما في حق الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم
ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب
واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سياتهم وقيل استغفارهم
لمن في الارض سوال الرزق لهم فيدخل فيه المومن والكافر الا ان
الله هو الغفور الرحيم يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سالوها
ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة التامة الشاملة قوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اوليا اي جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ
عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم وما انت عليهم بوكيل
اي لم نوكلك بهم حتى تواخذهم انما انت نذير وكذلك اي ومثل
ما ذكرنا اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها
يعني قرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذرهم بيوم الجمع وهو
يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل
الارضين لا ريب فيه اي لا شك في الجمع انه كاين ثم بعد ذلك
الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال
اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في
يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل الجنة واسما
اباءهم وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم
في الطينة منجدلون فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله
عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب
العالمين باسما اهل النار واسما اباءهم وعشايرهم قبل ان يستقروا
نطفا في الارحام صلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في
الطينة منجدلون فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم

يعني مكة والمراد اهلها ع

الى يوم القيمة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذاً قال اعملوا
وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل
اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله اخرجه
احمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
قال ابن عباس على دين واحد وقيل على دين الاسلام ولكن يدخل
من يشاء في رحمته اي في دين الاسلام والظالمون اي الكافرون
ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير اي يمنعهم من العذاب
ام اتخذوا يعني الكفار من دونه اولياء فالله هو الولي قال ابن
عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك وهو يحيي الموتى وهو على
كل شي قدير يعني من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا
ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شي اي
من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل
الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله ولا توثروا حكومة غيره
على حكومته ذلكم الله اي الذي يحكم بين المختلفين هو ربي عليه
توكلت اي في جميع اموري واليه انيب اي واليه ارجع في كل المهمات
فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا اي حلايل
وقيل انما قال من انفسكم لان الله تعالى خلق حوا من ضلع ادم
ومن الانعام ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا يذرؤكم اي يخلقكم
وقيل يكثركم فيه اي في الرحم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر
الازواج • وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم
التوالد والتناسل • وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين من
الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على
الانعام • وقيل في بمعنى البا اي يذرؤكم به اي يكثركم بالتزويج
ليس كمثله شي المثل صلة اي ليس كهو شي وقيل الكاف صلة
مجازه ليس مثله شي • قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت
هذه الاية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في
السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق قلت
المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجية عن
الماهية فقوله ليس كمثله شي معناه ليس له نظير كما قاله
ابن عباس او يكون معناه ليس له انه سبحانه وتعالى مثل
وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلا الذي ليس
لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد ظهر بهذا التفسير معنى

الابنين وحصل الفرق بينهما وهو السميع اي لسائر المسموعات
البصير اى لسائر المبصرات له مقاليد السموات والارض اى مفاتيح
الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض النبات يدل عليه قوله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعنى انه يوسع على من يشا ويضيق
على من يشا لان مفاتيح الرزق بيده انه بكل شئ عليم اى من البسط
والتضييق • قوله عز وجل شرع لكم من الدين اى بين وسن لكم
طريقا واضحا من الدين اى دينا تطابقت على صحة الانبيا وهو
قوله ما وصى به نوحا يعنى انه اول الانبيا اصحاب الشرايع والمعنى
قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذى اوحينا اليك اى
من القران وشرايع الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
انما خص هولا الانبيا الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبيا واصحاب
الشرايع المعظمة والاتباع الكثيرة واولى العزم ثم فسر المشروع
الذى اشترك فيه هولاء الاعلام من رسله بقوله ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد من اقامة الدين هو توحيد الله
والايمان به وبكتبه ورسله والايمان بالاخر وطاعة الله فى اوامره
ونواهيه وساير ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرايع التى هى
مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم
الحرام • وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على
تحريمهن • وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتا
الزكاة والاقرار لله بالتوحيد والطاعة • وقيل بعث الله الانبيا
كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه اى من التوحيد ورفض الاوثان الله يجتبى
اليه من يشا اى يصطفى لدينه من يشا من عباده ويهدى اليه
من ينيب اى يقبل الى طاعته وما تفرقوا يعنى اهل الاديان المختلفة
وقال ابن عباس يعنى اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اى بان
الفرقة ضلالة بغيا بينهم اى ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيا
منهم على محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اى فى
تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يعنى الى يوم القيمة لقضى بينهم
اى بين من امن وكفر يعنى انزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا
وان الذين اورثوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى من بعدهم
اى من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية لفى شك منه اى من امر
محمد صلى الله عليه وسلم فلا يومنون به مريب يعنى مرتابين شاكين

فيه فلذلك اى الى ذلك فادع اى الى ما وصى به الانبيا من التوحيد وقيل
لاجل ما حدث من الاختلاف الكثير فى الدين فادع انت الى الاتفاق على
الملة الحنيفية واستقم كما امرت اى اثبت على الدين الذى امرت به
ولا تتبع اهواءهم اى المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب
اى امنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين امنوا ببعض
الكتب وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قال ابن عباس امرت
ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل
بينكم فى جميع الاحوال والاشيا • وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم
وتحاكمتم الى الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى ان الاله الكل واحد وكل
احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله
لا حجة اى لا خصومة بيننا وبينكم وهذه الاية منسوخة باية
القتال اذ لم يومر بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب
خصومة الله يجمع بيننا اى فى المعاد لفصل القضا واليه المصير
قوله تعالى والذين يحاجون فى الله اى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود
قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم
من بعد ما استجيب له اى من بعد ما استجاب الناس لدين الله فاسلموا
ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة
اى خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
يعنى فى الاخرة الله الذى انزل الكتاب بالحق اى الكتاب المشتمل على
انواع الدلايل والاحكام والميزان اى العدل سمى العدل ميزانا لان
الميزان الة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا
ونهى عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب اى وقت اتيانها
قريب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من
المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل
بها الذين لا يومنون بها اى ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا مشفقون
منها اى خايفون ويعلمون انها الحق اى انها اتية لا شك فيها الا ان الذين
يمارون اى يخاصمون فى الساعة وقيل يشكون فيها لفى ضلال بعيد
قوله عز وجل الله لطيف بعباده اى كثير الاحسان اليهم قال ابن
عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم
جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله يرزق من يشا يعنى ان الاحسان
والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطا ما لا بد منه فكل من رزقه الله
تعالى من مومن وكافر وذى روح فهو ممن يشا الله ان يرزقه • وقيل
اللطيف فى الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات

صحتم •

والثاني انه لم يزد فعدا اليك مرة واحدة وهو القوى اى القادر على
كل ما يشا العزيز اى الذى لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث
الاخرة اى كسب الاخرة والمعنى من كان يريد بعمله الاخرة نزد له في
حرثه اى بالتضعيف بالواحدة عشرة الى ما يشا الله من الزيادة
وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات
عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا موثرا
لها على الاخرة نؤته منها اى ما قدر وقسم له منها وما له في الاخرة
من نصيب يعني لانه يعمل لها عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والتمكين في
الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب ذكره
في جامع الاصول ولم يعزه الى احد الكتب الستة واخرجه البغوي
باسناده قوله تعالى ام لهم يعني كفار مكة شركاء يعني الاصنام
وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن عباس شرعوا لهم
دينا غير دين الاسلام ما لم ياذن به الله يعني ان تلك الشرايع كلها
باسرها على خلاف دين الله الذي امر به وذلك انهم زينوا لهم
الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها ولولا
كلمة الفصل يعني ان الله حكم بين الخلق بتاخير العذاب عنهم
الى يوم القيمة لقضي بينهم اى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في
الدنيا وان الظالمين يعني المشركين لهم عذاب اليم اى في الاخرة
ترى الظالمين يعني يوم القيمة مشفقين اى وجلين خايفين مما كسبوا
اى من الشرك والاعمال الخبيثة وهو واقع بهم اى جزاء كسبهم واقع
بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كان هذه
الروضات اطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين امنوا وعملوا
الصالحات بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات
هي لمن دون هولاء الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة لهم ما
يشاؤن عند ربهم اى من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير اى الذى
ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني الذى ذكر من نعيم الجنة يبشر الله عباده
الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا
اى على تبليغ الرسالة اجرا اى جزا الا المودة في القربى خ عن
ابن عباس انه سيل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير
قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني
وبينكم من القرابة • وعن ابن عباس ايضا في قوله الا المودة في القربى

يعني

يعني ان تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة
وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك خ عن ابن عمر ان ابا بكر قال ارقبوا
محمدا في اهل بيته • واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين
رضي الله عنهم • وقيل اهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم
بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام م عن
زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين
اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور خذوا بكتاب الله واستمسكوا به
فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في
اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين من اهل بيته
يا زيد اليس نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم
الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل
عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله
في قصة نوح وغيره من الانبيا وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على الله رب العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر
على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب
عنه من وجهين معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس
باجر ومنه قول الشاعر •
• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان
المودة بين المسلمين امر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين
كان في اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اولى فقوله قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى والمودة في القربى ليست اجرا في الحقيقة
لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت انه لا اجر
البتة • والوجه الثاني ان هذا استثنا منقطع وتم الكلام عند
قوله لا اسالكم عليه اجرا ثم ابتدا فقال الا المودة في القربى اى لكن
اذكركم المودة في القربى واذكركم قرابتي منكم في الذين هم قرابتكم
فلا توذوهم • وقيل ان هذه منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان
المشركون يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الاية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه
فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله ان يلحقه
باخوانه من النبيين فانزل قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري
الا على الله فصارت هذه الاية ناسخة لقوله قل لا اسالكم عليه من
اجر الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل

والقول بنسخ هذه الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم
وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرايض الدين وهو قول
السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الاية • وروى عن ابن عباس
في معنى الاية قول اخر الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته
وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله
والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقوله تعالى ومن يقترف
حسنة اى يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا اى بالتضعيف ان الله
غفور للذنوب شكور اى القليل من الاعمال حتى يضاعفها ام يقولون
اى بل يقول كفار مكة افترى على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه
ايقع في قلوبهم ويجرى على لسانهم ان ينسبوا مثله الى الكذب وانه
افترى على الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب فان يشا الله يختم
على قلبك اى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم
وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القران وما
اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه
الاية ويمح الله الباطل اخبر الله تعالى انه يمحو الباطل والله
يمحوه ويحق الحق بكلماته اى يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد
فعل الله ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور
قال ابن عباس لما نزل قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع
في قلوب قوم منها شي وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده
فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه وانزل هذه الاية فقال القوم يا رسول
الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده قال ابن عباس يريد اولياه واهل طاعته •

فصل في ذكر التوبة وحكمها

قال العلما التوبة واجبة
من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق
بحق ادمي فلها ثلاثة شروط • احدها ان يقلع عن المعصية • والثاني
ان يندم على فعلها • والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فاذا
حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح
توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة هذه
الثلاثة والشرط الرابع ان يبرا من حق صاحبها فهذه شروط التوبة
وقيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية
وفعلا • وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من
الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة خ عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب

اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه
في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض
دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام
نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر
والعطش او ما شا الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام
حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته
عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا
براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة ق عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على
بعيره وقد اضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله عليه
وسلم الله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على
راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها
فاتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس من راحلته فبينا هو كذلك اذ
هو بها قايمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم انت
عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح • عن صفوان بن عسال المرادي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا
عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله
وذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح • وعن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي موسى الاشعري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده
بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل
حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل ويعفو عن السيات
اى يمحوها اذا تابوا ويعلم ما تفعلون يعني من خير او شر فيجازيهم
عليه ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المومنون
الله فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب للذين امنوا اذا دعوه
وقال ابن عباس ويثيب الذين امنوا ويزيدهم من فضله اى سوا
ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم
من فضله قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد
قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الارت

فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير
وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده
اى وسع الله الرزق لعباده لبغوا اى لطغوا وعتوا فى الارض قال
ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس
وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى
مقتضى خلقته وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر
فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر
اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مايلة الى الشر لكنها اذا
كانت نافذة لانها كان الشر اقل واذا كانت واحدة كان الشر
اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان ولكن ينزل بقدر
ما يشاء يعنى الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله انه بعباده
خبير بصير والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبايعهم وعواقب
امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى
انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز
وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة
وانى لاغضب لاوليايى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى
المومن بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال عبدى المومن يتقرب
الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا
وموئدا ان دعانى اجبته وان سالنى اعطيته وما ترددت فى شى انا
فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المومن يكره الموت واكره
مساءته ولا بد له منه وان من عباده المومنين لمن يسالنى الباب
من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من
عبادى المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك
وان من عبادى المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسد
ذلك كله وان من عبادى المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو
اسقمته لافسده ذلك كله وان من عبادى المومنين لمن لا يصلح
ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك انى ادبر امر عبادى
بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير اخرجه البغوى باسناده قوله تعالى
وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اى يئس الناس
منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع
سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول
النعمة بعد الشدة اتم وينشر رحمته يبسط بركات الغيث ومنافعه
وما يحصل به من الخصب وهو الولى اى لاهل طاعته الحميد اى المحمود على

ما

ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته ومن اياته خلق السموات والارض
وما بث اى اوجد فيهما اى فى السموات والارض من دابة فان قلت
كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملايكة قلت الدبيب
فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملايكة مشى مع
الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل
ان الله تعالى خلق فى السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان
وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يعنى يوم القيمة قوله عز وجل وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يعنى بهذه المصايب الاحوال
المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلا والغرق والصواعق
وغير ذلك من المصايب فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصى
ويعفوا عن كثير قالوا لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من عود خدش عود او عثرة قدم
ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر وروى
البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سخيلة قال قال على بن ابى طالب
الا اخبركم بافضل اية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن
كثير وسافسرها لكم يا على ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء فى الدنيا
فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثنى عليهم العقوبة فى الاخرة
وما عفى الله عز وجل عنه فى الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد
عفوه وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم
يكن الله ليغفر له الا بها او درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها ق عن
عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المومن
شوكة فما فوقها الا رفعه الله درجة وحط عنه بها خطيئة وما
انتم بمعجزين اى بفايتين فى الارض هربا يعنى لا تعجزوننى حيث ما كنتم
وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير قوله عز وجل ومن اياته
الجوار يعنى السفن وهى السيارة فى البحر كالاعلام كالقصور وكل
شى مرتفع عند العرب فهو علم ان يشا يسكن الريح التى تجرى بها
السفن فيظللن يعنى الجوارى رواكد اى ثوابت على ظهره اى على
ظهر البحر لا تجرى ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور وهى صفة المومن
لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخا او يوبقهن اى يغرقهن ويهلكهن
بما كسبوا اى بما كسبت ركابها من الذنوب ويعف عن كثير اى من
ذنوبهم فلا يعاقب عليها ويعلم الذين يجادلون فى اياتنا ما لهم
من محيص يعنى يعلم الذين يكذبون بالقران اذا صاروا الى الله ما لهم

من يهرب من عذابه **وما اوتيتم من شئ** اى من زينة الدنيا **فمتاع
الحياة الدنيا** اى ليس هو من زاد المعاد **وما عند الله** اى من الثواب
خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى ان المومن والكافر
يستويان فى متاع الدنيا فاذا صاروا الى الله تعالى كان ما عند
الله من الثواب خير للمومنين **والذين يجتنبون كباير الاثم** يعنى
كل ذنب يتفرع عقوبة كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك **والفواحش**
يعنى ما عظم من قبحه من الافعال والاقوال **واذا ما غضبوا هم
يغفرون** يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون **والذين استجابوا لربهم**
يعنى اجابوه لما دعاهم اليه من طاعته **واقاموا الصلاة** يعنى
المفروضة **وامرهم شورى بينهم** يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم
ولا يعجلون ولا ينفردون برأى ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم
الا هدوا الى رشد امرهم **ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم
البغى** يعنى الظلم والعدوان **هم ينتصرون** يعنى ينتقمون من ظالمهم
من غير تعد قال ابن زيد جعل الله المومنين صنفين صنف يعفون
عن من ظلمهم فبدا بذكرهم وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون
وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الاية وقال
ابراهيم النخعى كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فاذا قدروا عفوا
وقيل ان العفو اغراء للسفيه . وقال عطا هم المومنون الذين اخرجهم
الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم
ثم بين الله تعالى ان شرعية الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال
وجزاء سيئة سيئة مثلها يعنى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى
الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جواب القبيح اذا قال
اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد . وقيل هو فى القصاص
فى الجراحات والدما يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله لم يرغب فى
الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى **فمن
عفى** اى عن من ظلمه **واصلح** اى بالعفو بينه وبين الظالم **فاجره على
الله** قال الحسن اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله
اجر فليقم فلا يقوم الا من عفى ثم قرا هذه الاية **انه لا يحب الظالمين**
قال ابن عباس الذين يبدون بالظلم **ولمن انتصر بعد ظلمه** اى بعد
ظلم الظالم اياه **فاولئك** يعنى المنتصرين **ما عليهم من سبيل** اى بعقوبة
ومواخذة **انما السبيل على الذين يظلمون الناس** اى يبدون بالظلم
ويبغون فى الارض بغير الحق اى يعملون بالمعاصى **اولئك لهم عذاب
اليم ولمن صبر** اى لم ينتصر **وغفر** اى تجاوز عن ظالمه **ان ذلك** اى الصبر

سمى

والتجاوز **لمن عزم الامور** يعنى ترك الانتصار لمن عزم الامور الجيدة
التى امر الله بها وقيل اذا الصابر يوتى بصبره الثواب والرغبة فى الثواب
اتم عزم **ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده** يعنى ما له من احد
يلى هدايته بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه **وترى الظالمين
لما راوا العذاب** يعنى يوم القيمة **يقولون هل الى مرد من سبيل** يعنى
انهم يسالون الرجعة الى الدنيا **وتراهم يعرضون عليها** اى على النار
خاشعين من الذل اى خاضعين متواضعين **ينظرون من طرف
خفى** يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة فى انفسهم وقيل
ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى **وقال
الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم** يعنى بان صاروا الى
النار **واهليهم يوم القيمة** يعنى وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم فى
الجنة **الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من اوليا ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل** اى وصول الى الحق
فى الدنيا والجنة فى العقبى قد انسد عليهم طرق الخير **استجيبوا لربكم**
اى اجيبوا داعى الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم **من قبل ان ياتى
يوم لا مرد له من الله** اى لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيمة وقيل
هو يوم الموت **ما لكم من ملجا يومئذ** اى ما لكم من مخلص من العذاب
وقيل من الموت **وما لكم من نكير** اى من منكر حالكم وقيل النكير
الانكار يعنى لا تقدرون ان تنكروا من اعمالكم شيا **فان اعرضوا** اى عن
الاجابة **فما ارسلناك عليهم حفيظا** اى تحفظ اعمالهم **ان عليك
الا البلاغ** اى ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه
وسلم **وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة** قال ابن عباس يعنى الغنى
والصحة فرح بها **وان تصبهم سيئة** اى قحط **بما قدمت ايديهم** اى
من الاعمال الخبيثة **فان الانسان كفور** اى لما تقدم من نعمة الله عليه
قوله عز وجل **لله ملك السموات والارض** يعنى له التصرف فيهما
بما يريد **يخلق ما يشا** اى لا يقدر احد ان يعترض عليه فى ملكه وارادته
يهب لمن يشا اناثا اى فلا يولد له ذكر **ويهب لمن يشا الذكور** اى
فلا يولد له انثى **او يزوجهم ذكرانا واناثا** اى يجمع بينهما فيولد
له الذكور والاناث **ويجعل من يشا عقيما** اى فلا يولد له ولد وقيل
هذا فى الانبيا عليهم السلام فقوله يهب لمن يشا اناثا يعنى لوطا
لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشا الذكور يعنى ابراهيم
عليه السلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى محمدا
صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من يشاء

عقيما يحيى يعني وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالاية عامة في جميع الناس **انه عليم** اي بما يخلق **قدير** اي على ما يريد ان يخلق قوله تعالى **وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا** قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحي اليه في المنام او بالالهام كما راى ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت ام موسى ان تقذفه في البحر **او من وراء حجاب** اي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى **او يرسل رسولا** يعني من الملائكة اما جبريل او غيره **فيوحي باذنه ما يشا** يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشا وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا وياتي بيان هذه المسالة ان شا الله تعالى في سورة النجم **انه علي** اي عن صفات المخلوقين **حكيم** اي في جميع افعاله قوله عز وجل **وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا** قال ابن عباس نبوة وقيل قرانا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل **ما كنت تدري** اي قبل الوحي **ما الكتاب** يعني القران **ولا الايمان** اختلف العلما في هذه الاية مع اتفاقهم على ان الانبيا قبل النبوة كانوا مومنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرايع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الايمان في هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام ولم يتبين له شرايع دينه الا بعد الوحي اليه **ولكن جعلناه نورا** قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القران لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله **نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي** اي لتدعوا **الى صراط مستقيم** يعني دين الاسلام **صراط الله** يعني الذي شرعه لعباده **الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور** يعني امور الخلايق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسي والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه •

• تفسير سورة الزخرف •

وهي مكية وهي تسع وثمانون اية وثمانماية وثلاث وثلاثون كلمة

وثلاثة الاف واربعماية حرف • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **حم والكتاب المبين** اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم قوله **انا جعلناه** اي صيرنا قراة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه **قرانا عربيا لعلكم تعقلون** يعني معانيه واحكامه **وانه** يعني القران **في ام الكتاب** اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب **لدينا** فالقران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ **لعلي حكيم** اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقران فانه عندنا لعلي اي رفيع شريف وقيل على جميع الكتب حكيم اي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان قوله تعالى **افنضرب عنكم الذكر صفحا** معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القران فلا نامركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله **ان** اي لان **كنتم قوما مسرفين** والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رده اوايل هذه الامة هلكوا ولكن الله عاد بعايدته ورحمته فكرره عليكم عشرين سنة او ما شا الله • وقيل معناه افنضرب عنكم تذكرنا اياكم صافحين اي معرضين عنكم • وقيل معناه افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون • وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم **وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون** يعني كما استهزا قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **فاهلكنا اشد منهم بطشا** اي اقوى من قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي اقوى من قومك قوة **ومضى مثل الاولين** اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل **ولين سالتهم** اي سالت قومك يا محمد **من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم** يعني انهم اقروا ان الله تعالى خالقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدا تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال **الذي جعل لكم الارض مهادا** معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فكذلك جعل

الارض مهادًا الكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا
اى طرقا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم فى اسفاركم والذى نزل من
السما ما بقدر اى بقدر حاجاتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حين
اهلكهم فانشرنا به اى بالمطر بلدة ميتا اى كما احيينا هذه البلدة
الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احيا والذى خلق الازوا
كلها اى الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو
زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجة وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره اى على
ظهور الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه
يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر وتقولوا سبحان الذى سخر لنا
هذا اى ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اى مطيقين وقيل ضابطين
وانا الى ربنا لمنقلبون اى فى المعاد م عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى
وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون • اللهم انا نسالك فى سفرنا هذا البر
والتقوى ومن العمل ما ترضى • اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا
بعده • اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل • اللهم
انى اعوذ بك من وعثا السفر وكابة المنظر وسوء المنقلب فى
الاهل والمال والولد • واذا رجع قالهن وزاد فيهن ايبون تايبون
عابدون لربنا حامدون • قوله وعثا السفر يعنى تعبه وشدته
ومشقته وكابة المنظر الكابة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان
يعود من سفره حزينا كيبا ويصادف ما يحزنه فى اهل ومال
عن على بن ربيعة قال شهدت على بن ابى طالب وقد اتى بدابة
ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى
على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات
ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك انى ظلمت نفسى
فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير
المومنين م ضحكت قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اى شى ضحكت قال ان
ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب
غيرك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله تعالى
وجعلوا له من عباده جزا يعنى ولدا وهو قولهم الملايكة

بنات

بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا
ان الانسان لكفور مبين اى لجحودهم لنعم الله عليه ام اتخذ مما يخلق
بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات
واصفاكم اى اخلصكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
اي بالجنس الذي يجعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد
والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد
ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل وجهه
اى صار وجهه مسودا وهو كظيم اى من الحزن والغيظ قيل ان بعض
العرب ولدت له انثى فهجر بيت امراته الذى ولدت فيه الانثى •
فقالت المراة •

• ما لابى حمزة لا ياتينا • يظل فى البيت الذى يلينا •
• غضبان ان لا نلد البنينا • ليس لنا من امرنا ما شينا •
• وانما ناخذ ما اعطينا • حكمة اله قادر فينا •

قوله عز وجل اومن ينشا اومن يتربى فى الحلية يعنى الزينة
والنعمة والمعنى اويجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة
صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزين نفسها بالحلية ثم
بين نقصان حالها بوجه اخر وهو قوله وهو فى الخصام اى المخاصمة
غير مبين الحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قل
ما تكلمت امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها
اى حكموا واثبتوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن وقرى عبد الرحمن
اناثا اشهدوا خلقهم اى حضروا حين خلقوا وهذا استفهام انكار
اى لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملايكة انهم بنات
الله ويسالون اى عنها قيل لما قالوا هذا القول سالهم النبى صلى الله
عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات قالوا سمعنا من ابائنا
ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم
ويسالون عنها فى الاخرة وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم يعنى
الملايكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها
لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم
اى فيما يقولون ان هم الا يخرصون يعنى ما هم الا كاذبين فى قولهم
ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملايكة اناث
وانهم بنات الله ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران بان
يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون اى ياخذون بما فيه بل قالوا
انا وجدنا اباءنا على امة اى على دين وملة وانا على اثارهم مهتدون

وجعلوا م

يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع ابايهم وتقليدهم من غير حجة
ثم اخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى **وكذلك ما ارسلنا**
من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياوها ورؤساها
انا وجدنا ابانا على امة وانا على اثارهم مقتدون اي بهم **قل اولو**
جيتكم باهدى اي بدين هو اصوب **مما وجدتم عليه اباكم** فابوا ان
يتبلوا **قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان**
عاقبة المكذبين قوله تعالى **واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برا**
مما تعبدون الا الذي فطرني معناه انا ابرا مما تعبدون الا من الله
الذي خلقني **فانه سيهدين** اي يرشدني الى دينه **وجعلها** اي وجعل
ابراهيم **كلمة** التوحيد الذي تكلم بها وهي لا اله الا الله **باقية في**
عقبه اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده
لعلهم يرجعون اي لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم
وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من
الشرك الى دين ابراهيم **بل متعت هولاء** يعني كفار مكة **واباهم**
في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم **حتى**
جاءهم الحق يعني القران وقيل الاسلام **ورسول** هو محمد صلى الله عليه
وسلم **مبين** اي يبين لهم الاحكام ٭ وقيل مبين الرسالة واضحها بما
معه من الايات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام يطيعوه فلم
يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى **ولما جاءهم**
الحق يعني القران **قالوا هذا سحر وانا به كافرون** قوله عز وجل
وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم معناه
انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف
عظيم كثير المال والجاه احدى القريتين وهما مكة والطايف واختلفوا
في هذا الرجل العظيم فقيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود
الثقفي بالطايف ٭ وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وابن عبد ياليل
الثقفي من الطايف ٭ وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة
ومن الطايف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم **اهم**
يقسمون رحمت ربك معناه ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها
حيث شاووا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعراضهم
وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا
فقال تعالى **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا** اي نحن اوقعنا
هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا
وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر

على

على تغير حكمنا ولا على الخروج عن قضاينا فاذا عجزوا عن الاعتراض على
حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض
على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى
كما فضلنا بعضهم على بعض كما شينا كذلك اصطفينا بالرسالة من
شينا ثم قال تعالى **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ**
بعضهم بعضا سخريا يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم
احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينيذ يفضي ذلك الى
خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم
بعضا فيتسخر الاغنيا باموالهم الاجرا الفقرا بالعمل فيكون بعضهم لبعض
سبب المعاش هذا بماله وهذا بعمله فيلتام قوام العالم وقيل يملك
بعضهم ليتفضل بعضا بماله بالملك **ورحمة ربك** يعني الجنة **خير** للمومنين
مما يجمعون اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال
والانقراض وفضل الله ورحمته يبقى ابد الاباد قوله عز وجل
ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي لولا ان يصيروا كلهم كفارا
فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار في سعة من الخير
والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج يعني
مصاعد ودرجات من فضة **عليها يظهرون** يعني يصعدون
ويرتقون عليها **ولبيوتهم ابوابا** اي من فضة **وسررا** اي ولجعلنا
لهم سررا من فضة **عليها يتكيون وزخرفا** اي ولجعلنا من ذلك زخرفا
وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شي **وان كل ذلك لما متاع**
الحياة الدنيا يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي
لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب **والاخرة عند ربك للمتقين**
يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا ٭ عن سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله
تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ٭ وعن المستورد بن شداد احد بني فهر
قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون
هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا
رسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه على اهلها اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن ٭ وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل

احدكم يحى سفينه الماآخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن
المومن وجنة الكافر قوله تعالى ومن يعش اى يعرض عن ذكر الرحمن
اى فلم يخف عقابه ولم يرجع ثوابه وقيل يولى ظهره عن القران نقيض
له شيطانا اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو
له قرين يعنى لايفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى
وانهم يعنى الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعنى يمنعونهم عن
الهدى ويحسبون انهم مهتدون يعنى ويحسب كفار بنى ادم انهم على
الهدى حتى اذا جانا يعنى الكافر وحده وقرى جاانا على التثنية
يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا فى سلسلة واحدة قال الكافر
لقرينه الشيطان ياليت بينى وبينك بعد المشرقين يعنى بعد
مابين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الاخر كما يقال
للشمس والقمر القمران ولابى بكر وعمر العمران ٭ وقيل اراد بالمشرقين
مشرق الصيف ومشرق الشتا والقول الاول اصح فبيس القرين
يعنى الشيطان قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه
من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير الى النار ولن ينفعكم اليوم اذ
ظلمتم يعنى اشركتم انكم فى العذاب مشتركون يعنى لا ينفعكم الاشتراك
فى العذاب ولا يخفف عنكم شيا لان كل واحد من الكفار والشياطين
له الحظ الاوفر من العذاب ٭ وقيل لا ينفعكم الاعتذار والندم
اليوم فانتم وقرناوكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركون
فى الكفر افانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان فى ضلال
مبين يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يومنون
قوله عز وجل فاما نذهبن بك اي نميتك قبل ان نعذبهم فانا
منهم منتقمون اي بالقتل بعدك او نرينك اي فى حياتك الذى
وعدناهم اي من العذاب فانا عليهم مقتدرون اى قادرون على
ذلك متى شينا عذبناهم واراد بهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم
بدر وهذا يفيد التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام
لاجله منهم اما حال حياته او بعد مماته وهذا قول اكثر المفسرين ٭ وقيل
عنى به ماكون فى امته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة
شديدة فى امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
وذهب به ولم يره فى امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى ما يصيب امته بعده
فما روى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى فاستمسك بالذى

اوحى

اوحى اليك انك على صراط مستقيم اى على دين مستقيم لا يميل عنه
الا الضال وانه يعنى القران لذكر لك اى لشرف عظيم لك ولقومك
وسوف تسئلون يعنى عن حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان
النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سيل لمن هذا الامر بعدك فلم يخبر
بشى حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سيل قال لقريش ق
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا
الامر فى قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا
الدين وقيل القوم هم العرب والقران لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم
يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش
ولبنى هاشم ٭ ذكر لك اي ذلك شرف لك بما اعطاك من النبوة والحكمة
ولقومك يعنى المومنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون يعنى
عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اختلف
فى هولا المسئولين فروى ابن عباس فى رواية عنه لما اسرى بالنبى
صلى الله عليه وسلم بعث الله له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل
ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل
سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال النبى صلى الله
عليه وسلم لا اسئل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير
وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسالهم فلم يشك
ولم يسئل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت ببيت المقدس
ليلة اسري بالنبى صلى الله عليه وسلم ٭ وقال اكثر المفسرين معناه سل
مومنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبيا هل جاءتهم الرسل
الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى اكثر الروايات عنه ومجاهد
وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسوال
التقرير لمشركى قريش انه لم يات رسول ولا كتاب بعبادة غير الله
عز وجل قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون
وملايه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم
منها يضحكون اي استهزا وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها اي
قرينتها التى قبلها واخذناهم بالعذاب اى بالسنين والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه ايات ودلالات
لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التى قبلها لعلهم يرجعون
اى عن كفرهم وقالوا يعنى لموسى لما عاينوا العذاب يايها الساحر
اى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر

ما ابقى منهم اثنان خ عن معاوية
قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان هذا الامر
فى قريش

علماء

كان عندهم امرا عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا
السحره ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك
انا ان امنا كشف عنا العذاب فسله ان يكشف عنا انا لمهتدون
اي لمؤمنون فدعا موسى به فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله فلما
كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون
على كفرهم ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك
مصر وهذه الانهار تجري من تحتي يعني انهار النيل الكبار وكانت
تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناني وبساتيني وقيل
تجري بامري افلا تبصرون اي عظمتي وشدة ملكي ام انا بل انا خير
وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه
ثم ابتدا فقال انا خير من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير
يعني موسى ولا يكاد يبين يفصح بكلامه للثغة التي كانت في
لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد
يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة
له على الكلام فلولا القي عليه اي ان كان صادقا اساورة من
ذهب قيل انهم كانوا اذا سوروا رجلا سوروه بسوار من ذهب
وطوقوه بطوق من ذلك يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون
هل القى رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب
طاعته او جاء معه الملائكة مقترنين اي متتابعين يقارن
بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره قال
الله تعالى فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط اي وجدهم
جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فاطاعوه اي على تكذيب
موسى انهم كانوا قوما فاسقين يعني حيث اطاعوا فرعون فيما
استخفهم به فلما آسفونا اي اغضبونا وهو في حق الله تعالى
ارادة العقاب وهو قوله انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم
سلفا ومثلا للآخرين يعني جعلناهم المتقدمين الماضين عبرة
وموعظة لمن يجيء من بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم
مثلا قال ابن عباس نزلت هذه الاية في مجادلة عبد الله بن
الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى بن مريم عليه
السلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبياء ومعنى الاية ولما
ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك يعني

قريشا

قريشا منه اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم صخب وصياح وفرح
وقيل يقولون محمد ما يريد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت
النصارى عيسى وقالوا ءالهتنا خير ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معناه ام هو يعني عيسى قالوا يزعم
محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع
عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا
المثل لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام بل هم قوم خصمون
اي بالباطل عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى ان هو اي
ما عيسى الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا اي اية وعبرة
لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب
ولو نشاء لجعلنا منكم الخطاب لاهل مكة ملائكة معناه لو نشاء لاهلكناكم
ولجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفا منكم
يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وانه
يعني عيسى لعلم للساعة يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم بها قربها
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي
داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى
نبي وانه نازل فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة
والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل
الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث
في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ق عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم واماكم منكم
وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل
وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة
وهي التي يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر
فيتاخر الامام فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله
عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس

ويقتل النصارى الا من امن به وقيل في معنى الاية وانه اى وان القران
لعلم للساعة اى بعلم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها فلا تمترن
بها اى لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبون بها واتبعون اى
على التوحيد هذا اى الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم اى
لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي امر به انه اى الشيطان
لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اى بالنبوة
ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه اى من احكام التورية وقيل اختلاف
الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل انما
هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم عيسى في غير الانجيل ما احتاجوا
اليه فاتقوا الله واطيعون اى فيما امركم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم اى اختلف الفرق
المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون
اى ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اى فجاة والمعنى انها تاتيهم
لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اى على الكفر والمعصية في الدنيا
يومئذ يعنى يوم القيمة بعضهم لبعض عدو اى ان الخلة اذا كانت
كذلك صارت عداوة يوم القيمة الا المتقين اى الا الموحدين المتحابين
في الله عز وجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن ابى طالب في الاية
قال خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد المومنين فقال يا
رب ان فلانا كان يامرنى بطاعتك وطاعة رسولك وينهانى بالخير
ويامرنى عن المنكر ويخبرنى انى ملاقيك يا رب فلا تضله بعدى واهده
كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المومن جمع بينهما
فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب
قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهانى عن
طاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى
انى غير ملاقيك فيقول بيس الاخ وبيس الخليل وبيس الصاحب
قوله عز وجل يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم الا فزع فينادى مناد
يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم
فيتبعها الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس كلهم غير
المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اى تسرون
وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهى القصعة
الواسعة واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة وفيها اى في
الجنة ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن سابط قال

قال

قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فانى احب الخيل فقال ان يدخلك
الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمرا فتطير بك في اى
الجنة شيت الا فعلت وسأله اخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من
ابل فانى احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك
الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذى
وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم
فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون وورد في الحديث انه لا ينزع رجل في الجنة
من ثمرها ثمرة الا نبتت مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعنى
المشركين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم اى لا يخفف عنهم وهم
فيه مبلسون اى ايسون من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم اى وما
عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين اى لانفسهم بما جنوا عليها
ونادوا يا مالك يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به
فيقولون ليقض علينا ربك اى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم
توسلوا به ليسال الله لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قاله ابن
عباس وقيل بعد مائة سنة ● وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين سنة عاما ثم يرد
عليهم قال انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى
رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب لقد جئناكم بالحق
يقول ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم للحق
كارهون ام ابرموا اى احكموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانا مبرمون اى محكمون امرا في مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله ام
يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اى ما يسرونه من غيرهم ويتناجون
به بينهم بلى نسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا يعنى الحفظة من الملائكة
لديهم يكتبون قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابد ين
معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن
فانه لا شريك له ولا ولد ● وقال ابن عباس ان كان اى ما كان للرحمن
وانا اول العابدين اى الشاهدين له بذلك ● وقيل معناه لو كان للرحمن
ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له ● وقيل العابدين بمعنى
الانفين اى انا اول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول من غضب
للرحمن ان يقال له ولد ● وقال الزمخشري في معنى الاية ان كان للرحمن
ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا
اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك
لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو

البالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات
القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي
محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد
فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
اي عما يقولون من الكذب فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا اي في
دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة وهو الذي
في السما اله وفي الارض اله اي هو الاله الذي يعبد في السما وفي الارض
لا اله الا هو وهو الحكيم اي في تدبير خلقه العليم اي بمصالحهم وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة
واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل
سبب نزولها ان النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمدا
حقا فنحن نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة من محمد فنزلت هذه
الاية واراد بالذين يدعون من دونه الهتهم ثم استثنى عيسى والعزير
والملائكة بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله ولهم
شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة
فان الله تعالى لا يملك لاحد من هولا الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي
كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو
قوله وهم يعلمون اي بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون
ان الله خلق عيسى والعزير والملائكة ويعلمون انهم عباده ولين
سالتهم من خلقهم ليقولن الله يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق
العالم باسره فكيف اقدموا على عبادة غيره فانى يوفكون اي يصرفون
عن عبادته الى غيره وقيله يارب يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم
شاكيا الى ربه يارب ان هولا قوم لا يومنون قال ابن عباس شكى الى
الله تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكوا قومه الى
ربه فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعوا عليهم
بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم
فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون
انك صادق وقال مقاتل نسختها اية السيف والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة الدخان وهي مكية •

وهي سبع وقيل تسع وخمسون اية وثلثماية وست واربعون كلمة والف
واربعماية واحد وثلاثون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج اليه
الناس من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام انا انزلناه في ليلة

مباركة قيل هي ليلة القدر انزل الله فيها القران جملة من اللوح المحفوظ
الى السما الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقايع في عشرين
سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان • عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف
من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب اخرجه
الترمذي انا كنا منذرين اي مخوفين عقابنا فيها اي في تلك
الليلة المباركة يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي محكم قال ابن عباس
يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كاين في السنة من الخير والشر
والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة
النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحيا من الاموات
وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال
من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اخرج
اسمه في الموتى • وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية في ليلة
النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي
انزلناه امرا من عندنا انا كنا مرسلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ومن قبله من الانبيا رحمة من ربك قال ابن عباس رافة مني بخلقي
ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه في ليلة مباركة
رحمة من ربك انه هو السميع اي لاقوالهم العليم اي باحوالهم رب
السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان الله رب السموات
والارض لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابايكم الاولين قوله
تعالى بل هم في شك يلعبون اي من هذا القران يلعبون اي يهزون
به لاهون عنه فارتقب اي يا محمد يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى
الناس هذا عذاب اليم • ق عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد
الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن
ان قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجي فتاخذ بانفاس
الكفار وياخذ المومنين منها كهيية الزكام فقام عبد الله وجلس وهو
غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيا فليقل به ومن لا يعلم
شيا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله
عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما
انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من الناس
ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي رواية لما دعا قريشا فكذبوه
واستعصوا عليه قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم
سنة حصت كل شي حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى السما

احدهم كهية الدخان فاتاه اباسفيان وقال يا محمد انك جيت تامر
بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم
قال الله عز وجل فارتقب يوم السما تاتي بدخان مبين الى قوله انكم
عايدون قال عبد الله انكشف عذاب الاخرة يوم نبطش البطشة الكبرى
انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قالوا ربنا اكشف
عنا العذاب انا مومنون فقيل ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه
فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله تعالى منهم يوم بدر فذلك قوله
فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله
حصت كل شي بالحا والصاد المهملتين اى حلقت واهلكت فاستاصلت
كل شي ق عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم
والبطشة والقمر والدخان فقيل اصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم
وسبب ذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع
المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهوا والجو وذلك يشبه الدخان وقيل
هو دخان يجي قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع الكفار
والمنافقين حتى يكون راسه كالراس الحنيذ يعني المشوي ويعتري
المومن منه كهية الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار
وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي
باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من
قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال
حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية يوم تاتي السما بدخان
مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا
مومنون يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة
اما المومن فيصيب منه كهية الزكام واما الكافر فكهيئة السكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره انى لهم الذكرى اى كيف يتذكرون
ويتعظون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين معناه وقد جاءهم
ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والايات البينات
الباهرات ثم تولوا عنه اى اعرضوا عنه وقالوا معلم اى يعلمه بشر
مجنون اى يلقون اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي انا
كاشفوا العذاب اى الجوع قليلا اى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر انكم
عايدون اى الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى هو يوم بدر انا
منتقمون اى منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلما وفي

رواية

رواية عن ابن عباس انه يوم القيمة قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم اى قبل
هولاء قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اى على الله وهو موسى بن عمران
عليه السلام ان ادوا الى عباد الله اى اطلقوا الى بني اسرايل ولا تعذبو
انى لكم رسول مبين اي على الوحي وان لا تعلوا على الله اى لا تتجبروا عليه
بترك طاعته انى اتيكم بسلطان مبين اى ببرهان بين على صدق
قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان
ترجمون اي تقتلون وقال ابن عباس تشتموني وتقولون هو ساحر
وقيل ترجموني بالحجارة وان لم تومنوا لى فاعتزلون اى فاتركون لا معي
ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا اذاى باليد واللسان فلم يومنوا
فدعا ربه ان هولاء قوم مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا
اى اجاب الله دعاه وامره ان يسري ببني اسرايل بالليل انكم
متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اي اذا قطعتموه انت
واصحابك رهوا اى ساكنا والمعنى لا تامره ان يرجع بل اتركه على حالته
حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما
قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتيم وخاف ان يتبعه فرعون
بجنوده فقيل لموسى صلوات الله وسلامه اترك البحر كما هو انهم
جند مغرقون كم تركوا اي بعد الغرق من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم اى مجلس شريف حسن ونعمة اى وعيش لين رغيد
كانوا فيها اى في تلك النعمة فاكهين اى ناعمين وقرى فكهين اي
اشرين بطرين كذلك اى افعل بمن عصاني واورثناها قوما
اخرين يعني بني اسرايل فما بكت عليهم السما والارض وذلك
ان المومن اذا مات تبكي عليه السما والارض اربعين صباحا وهو لا
لم يكن يصعد لهم عمل صالح لتبكي السما على فقده ولا لهم على
الارض عمل صالح تبكي الارض عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من مومن الا وله بابان باب يصعد
منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله
تعالى فما بكت عليه السما والارض وما كانوا منظرين اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا
الوجه قيل بكا السما حمرة اطرافها قال مجاهد ما مات مومن
الا بكت عليه السما والارض اربعين صباحا فقيل اوتبكي قال وما
للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسما
لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل
المراد اهل السما واهل الارض وما كانوا منظرين اى لم يمهلوا حين

اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل **ولقد نجينا بني**
اسرائيل من العذاب المهين اى من قتل الابنا واستحيا النسا
والتعب في العمل **من فرعون انه كان عاليا** اى جبارا **من المسرفين**
ولقد اخترناهم على علم اى علمه الله تعالى فيهم **على العالمين** اى
عالمي زمانهم **وآتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين** اى نعمة
بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم
التي انعمنا بها عليهم وقيل ابتلاوهم بالرخا والشدة **ان هولا** يعني
مشركي مكة **ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى** اى لا موتة لنا الا
هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله **وما نحن**
بمنشرين اى بمبعوثين بعد موتتنا هذه **فاتوا بابائنا** اى الذين
ماتوا قبل **ان كنتم صادقين** اى انا نبعث احيا بعد الموت قيل
طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم
خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى **اهم خير ام قوم تبع**
اى ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة قيل هو
تبع الحميري وكان من ملوك اليمن وسمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل
كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي
قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم
ودعى قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه • عن سهل بن سعد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه
كان قد اسلم اخرجه احمد بن حنبل في مسنده • وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبع نبيا كان او غير
نبي وعن عايشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا

وكان من قصته على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره وذكر
عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الاخر وهو ابو كرب اسعد بن
مليل وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند
ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها
خلف بين اظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها
واستيصال اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك من
امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل
فاعجبه ذلك وقال ان هولا لكرام فبينا هو كذلك اذ جاءه حبران
عالمان من احبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والاخر
اسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها
الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نامن

عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي
من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي انت فيه
يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن
يقاتله وهو نبي قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ها هنا فتناها
لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما واكرمهما ثم
وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه
في الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لولو
وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل
هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك
للاحبار فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت الذي بمكة ثم
فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وما اراد القوم
الا هلاكك وما ناواه احد قط الا هلك فاكرمه وصنع عنده ما يصنعه
اهله فلما قالوا له ذلك اخذ اوليك النفر من هذيل فقطع ايديهم
وارجلهم وسمر اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب شعب
المطابخ وكسى البيت الوصايل وهي برود تصنع باليمن وهو اول من
كسى البيت ونحر بالشعب ستة الاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف
بالبيت به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حال حمير بينه
وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعا
الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت
باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتاكل
الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما
يتقربون به في دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في اعناقهما حتى
قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت
حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من
رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما
لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي خرجت
منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان اصل اليهود
باليمن قال الرياشي كان ابو كرب اسعد الحميري من التابعة ممن امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعماية سنة • وقال كعب
ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى **والذين من قبلهم** اى من الامم
الكافرة **اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض**
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق اى بالعدل وهو الثواب
على الطاعة والعقاب على المعصية **ولكن اكثرهم لا يعلمون** قوله

عز وجل ان يوم الفصل اي الذي يفصل الله فيه بين العباد ميقاتهم
اجمعين اي يوافي يوم القيمة الاولون والاخرون يوم لا يغني مولى
عن مولى شيا اي لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيا ولا هم ينصرون
اي يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله يعني المومنين فانه يشفع
لبعضهم البعض انه هو العزيز الرحيم اي في انتقامه من اعدايه الرحيم
اي باوليايه المومنين قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي
ذي الاثم وهو ابو جهل كالمهل اي كدردي الزيت اسود تغلي في البطون
اي في بطون الكفار كغلي الحميم يعني كالما الحار اذا اشتد غليانه عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال
كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه
الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين سعد وقد تكلم فيه
من قبل حفظه • عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا
هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار
الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى خذوه اي
يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اي ادفعوه وسوقوه
بالعنف الى سواء الجحيم اي الى وسط النار ثم صبوا فوق وجهه
راسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب
راسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق
اي هذا العذاب انك انت العزيز الكريم اي عند قومك بزعمك
وذلك ان ابا جهل كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له
خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ان هذا ما كنتم
به تمترون اي تشكون فيه ولا تومنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال
تعالى ان المتقين في مقام امين اي في مجلس امنوا فيه من الغير في جنات
وعيون يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من
الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبره **فان قلت**
كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ اعجمي **قلت**
اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا
بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرايه على اوجه الاعراب متقابلين
اي يقابل بعضهم بعضا كذلك اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات
والعيون واللباس كذلك واكرمناهم بان وزوجناهم بحور عين
اي قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن

اي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النسا النقيات البياض وقيل يحار
الطرف من بياضهن وصفا لونهن • وقيل الحور الشديدات البياض
العينين يدعون فيها بكل فاكهة يعني ارادوها واشتهوها امنين
امنين من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب
والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون
في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل
الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة قد ذاقوها
وقيل انما استثنى الموتة موت في الجنة لان السعدا حين يموتون
يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون
منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم
باسبابها ومشاهدتهم اياها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك
يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز
بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا
منه ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اي سهلنا القران
على لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون اي يتعظون فارتقب
اي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب انهم مرتقبون
اي منتظرون قهرك بزعمهم • وقيل منتظرون موتك وقيل هذه الاية
منسوخة باية السيف • عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون
الف ملك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد
رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث • وعنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة
غفر له اخرجه الترمذي • وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف

• والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

• تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة •

وهي مكية وهي سبع وثلاثون اية • واربعماية وثمان وثمانون كلمة
والفان ومايتان واحد وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات
والارض لايات اي في خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان
يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله لايات للمومنين وفي خلقكم
اي وفي خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل
وتمييز وما يبث من دابة اي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات
على اختلاف اجناسها في الخلق والشكل والصورة ايات دلالات

تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله القادر المختار لقوم يوقنون
يعني انه لا اله غيره واختلاف الليل والنهار يعني بالظلام والضيا
والطول والقصر وما انزل الله من السما من رزق يعني المطر الذي
هو سبب ارزاق العباد فاحيا به اي بالمطر الارض بعد موتها
اي بعد يبسها وتصريف الرياح اي في مهابها فمنها الصبا والدبور
والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ايات لقوم
يعقلون **فان قلت** ما وجه هذا الترتيب في قوله لايات
للمومنين ولقوم يوقنون ويعقلون **قلت** معناه ان المنصفين من
العباد اذا نظروا في هذه الدلايل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة
وانه لا بد لها من صانع فامنوا به واقروا انه الا له القادر على كل شي
ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينيذ استحكم
علمهم وعدوا في زمرة العقلا الذين عقلوا عن الله مراده في اسرار
كتابه تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله
اي بعد كتاب الله واياته يومنون قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم
اي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث يسمع ايات الله يعني
ايات القران تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب
اليم واذا علم من اياتنا شيا يعني ايات القران اتخذها هزوا
اي سخر منها اوليك اشارة الى من هذه صفته لهم عذاب مهين
ثم وصفه فقال تعالى من ورايهم جهنم يعني امامهم جهنم وذلك انهم
في الدنيا ولهم في الاخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا اي من الاموال
شيا ولا ما اتخذوا من دون الله اوليا يعني ولا يغني عنهم ما عبدوا
من دون الله من الالهة ولهم عذاب عظيم هذا اي القران هدى
من الضلالة والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز
اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من
فضله اي بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمته
على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى خلقها
ومنافعها في مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها جميعا منه قال ابن
عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون **قوله عز وجل** قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقايع الله ولا يبالون نقمته
قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار
شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره ان يعفو
عنه وقيل نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من

من اهل مكة كانوا في اذى كثير من المشركين قبل ان يومروا بالقتال
فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية
ثم نسخها باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي من الاعمال ثم
ضرب لذلك فقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ثم
الى ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب يعني
التورية والحكم يعني معرفة ايام الله والنبوة ورزقناهم من الطيبات
اي الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم
وانزل عليهم المن والسلوى وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم
الكرم على الله ولا احب اليه منهم واتيناهم بينات من الامر اي بيان
الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من
امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم معناه التعجب
من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار
مجي العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك انه لم يكن مقصودهم من العلم
نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم
لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة
اي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر اي من الدين فاتبعها
اي اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون يعني
مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين ابايك
فانهم كانوا افضل منك فقال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيا
اي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيا ان اتبعت اهواهم وان
الظالمين بعضهم اوليا بعض يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في
الدنيا والله ولي المتقين اي ناصرهم في الدنيا ووليهم في الاخرة ولا ولي لهم في الاخرة هذا يعني القران بصاير للناس اي معالم
الناس في الحدود والاحكام يبصرون وهدى ورحمة لقوم يوقنون
ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا
الصالحات نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمومنين لين كان ما تقولون
حقا لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا في الدنيا سوا محياهم ومماتهم
معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المومنين وموتهم سوا
كلا والمعنى ان المومن مومن في محياه ومماته في الدنيا والاخرة والكافر
كافر في محياه ومماته في الدنيا والاخرة وشتان ما بين الحالين في الحال
والمال سا ما يحكمون اي بيس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل
من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد رايته قام ذات ليلة
حتى اصبح او قريب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد

ويسكي ام حسب الذين اجترحوا السيات الاية وخلق الله السموات
والارض بالحق اى بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
ومعنى الاية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة
وذلك لا يتم الا فى القيمة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى
الدرجات والدركات • قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه
قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيا الا ركبه لانه لا يومن
بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما يهواه
لنفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا
وجدوا شيا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الاخر وقيل
انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار واضله الله على علم اى على
ما سبق فى علم الله انه ضال قبل ان يخلقه
وختم على سمعه وقلبه ايم فلم يسمع الهدي ولم يعقله بقلبه وجعل على
بصره غشاوة اى ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله افلا
اى من بعد ان اضله الله افلا تذكرون قال الواحدى ليس يبقى للقدرية
مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم عن الهدى
حين اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره وقالوا يعنى منكرى البعث
ما هى الا حياتنا الدنيا اى ما الحياة الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى
اى يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل تقديره نحيى ونميت وما يهلكنا الا
الدهر اى وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم
بذلك من علم اى لم يقولون عن علم علموه ان هم الا يظنون عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوذيني ابن ادم يسب
الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار • وفى رواية
يوذيني ابن ادم ويقول يا خيبة الدهر فانى انا الدهر اقلب ليله
ونهاره فاذا شيت قبضتهما • وفى رواية يسب ابن ادم الدهر وانا
وانا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذا الحديث ان العرب كان
من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى
الدهر ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع
الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل بقوله وما يهلكنا الا
الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدايد وسبوا فاعلها
فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل فى الحقيقة الامور التى
يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا
تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر مصرف فيه يقع
به التاثيرات كما يقع بكم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا

بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين معناه
ان منكرى البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا بابائنا الذين
ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويوم تقوم
الساعة يوميذ يخسر المبطلون يعنى فى ذلك اليوم يظهر خسران
اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار وترى كل امة
جاثية اى باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم
ينتظر القضا قال سلمان الفارسى ان فى القيمة ساعة هى عشر سنين
يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لا اسالك
الا نفسى كل امة تدعى الى كتابها اي الذي فيه اعمالها ويقال لهم
اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى من خير وشر هذا كتابنا يعنى ديوان
الحفظة فان قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله
تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة
بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه لانه تعالى
هو امر الحفظة بكتبته ينطق عليكم بالحق اى يشهد عليكم ببيان شاف
كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا نستنسخ ما
كنتم تعملون اى نامر الملايكة بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم
وقيل نستنسخ اى ناخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان
فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو
نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ
تنسخ الملايكة كل عام ما يكون من اعمال العباد بنى ادم والاستنسا
لا يكون الا من اصل فينسخ كتاب من كتاب فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته اى جنته ذلك هو الفوز المبين
اى الظفر الظاهر واما الذين كفروا اى يقال لهم افلم تكن اياتى
تتلى عليكم يعنى ايات القران فاستكبرتم اى عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين يعنى كافرين منكرين • قوله عز وجل واذا قيل
ان وعد الله حق اى البعث كاين والساعة لا ريب فيها اى لا شك
فى انها كاينة قلتم ما ندرى ما الساعة اى انكرتموها وقلتم ان
نظن الا ظنا اى ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين
اى انها كاينة وبدا لهم اى فى الاخرة سيات ما عملوا اى فى الدنيا
والمعنى بدا لهم جزا سياتهم وحاق بهم اى نزل بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اى تركتم الايمان والعمل
للقاء هذا اليوم وماواكم النار وما لكم من ناصرين اى ما لكم من

ما نغني يمنعونكم من العذاب ذلكم اي هذا الجزا بانكم اتخذتم
ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا يعني حتى قلتم لا بعث ولا
حساب فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولاهم يستعتبون
اي لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل
ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم رب كل شي من
السموات والارض والعالمين وان مثل الربوبية العامة توجب
الحمد والثنا على كل احد وله الكبريا اي وكبرياؤه فان له الكبريا
والعظمة في السموات والارض وحق لمثله ان يكبر ويعظم وهو العزيز
الحكيم م عن ابي سعيد وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العز ازاره والكبريا رداوه فمن ينازعني عذبته لفظ
مسلم واخرجه البرقاني وابو مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز
ازاري والكبريا ردآي فمن نازعني شيا منهما عذبته ولابي داود
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
الكبريا ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منه قذفته
في النار ٭ شرح الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده
العرب في بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة
بالثوب يقال شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله
عز وجل الازار والردا مثلا له في انفراده بصفة الكبريا والعظمة
والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين
مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والردا لان المتصف
بهما يشملانه كما يشمل الردا الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره
وردايه احد فكذلك الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما احد
لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق لغيره

٭ تفسير سورة الاحقاف ٭

وهي مكية قيل غير قوله قل ارايتم قيل وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربع وقيل خمس وثلاثون
اية وستماية واربع واربعون كلمة والفان وخمسماية وخمسة وتسعون
حرفا ٭ بسم الله الرحمن الرحيم ٭ قوله عز وجل
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيمة وهو
الاجل الذي ينتهي اليه فنا السموات والارض والذين كفروا عما
انذروا اي خوفوا به في القران من البعث والحساب معرضون

اي

اي لا يؤمنون به قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام اروني
ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب
من قبل هذا اي بكتاب جاكم من الله قبل القران فيه بيان ما تقولون
او اثارة من علم اي بقية من علم يوثر عن الاولين ويسند اليهم ويوثر
عنهم وقيل برواية عن علم الانبيا وقيل علامة من علم وقيل هو الخط
وهو خط كانت العرب تخطه في الارض وهو يوم العيافة ان كنتم
صادقين اي ان لله شريكا ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من
لا يستجيب له يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شي يسيلونها
الى يوم القيمة يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعايهم
غافلون يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا
لهم اعدآ وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاهم هذا سحر مبين سموا
القران سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق القران محمد من قبل نفسه
فقال الله عز وجل قل يا محمد ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا
اي لا تقدروا ان تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي فكيف افتري
على الله من اجلكم هو اعلم اي الله اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون
فيه من التكذيب بالقران والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني
وبينكم اي ان القران جا من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير
العذاب عنكم وقيل هو دعا لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب
منكم رحيم به قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا اي بديعا من
الرسل اي لست باول مرسل قد بعث قبل كثير من الانبيا فكيف
تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلما في
معنى هذه الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم
القيمة فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى
ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية
وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي
بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيا لك يا نبي الله قد
علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل
المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل
وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل
به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال
هذا قبل ان تعلم بخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك خ عن

خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلا امراة من الانصار كانت
بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة
قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه
الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في اثوابه دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك يا ابا السايب فشهادتي
عليك لقد اكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك
ان الله اكرمه فقلت بابي انت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله اني
لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت
فوالله لا ازكي بعده احدا ابرسول الله قالت ورايت لعثمان في
النوم عينا تجري فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت
ذلك له فقال ذاك عمله • وفي رواية عند البخاري قالت لما قدم
المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا
عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل
بي ولا بكم • وقيل في معنى قوله ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا اما
في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلى هذا
الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها
فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التي اريت فسكت فانزل
الله هذه الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك في مكاني ام اخرج
واياكم الى الارض التي رفعت • وقيل لا ادري الى ماذا يصير امري
وامركم في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبيا من قبلي
ام اقتل كما قتل بعض الانبيا من قبلي واما انتم ايها المصدقون
فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل بكم ام اي شي يفعل بكم
مما فعل بالامم المكذبة اترمون بالحجارة من السما ام يخسف بكم ام اي
شي يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم اخبره الله عز وجل انه يظهر
دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله • وقال في امته وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع
به وبامته • وقيل معناه لا ادري الى ما يصير امري وامركم ومن
الغالب والمغلوب • ثم اخبره انه يظهر دينه على الاديان وامته
على ساير الامم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه وما اتبع غير

القران الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيا وما انا الا نذير مبين
اي انذركم العذاب وابين لكم الشرايع قل ارايتم اي اخبروني ماذا
تقولون ان كان من عند الله يعني القران وكفرتم به ايها المشركون
وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله اي انه من عند الله فامن يعني
الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك
اليس قد ظلمتم وتعديتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا
في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام امن بالنبي صلى الله عليه
وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يومنوا يدل عليه ما
روي عن انس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يخترف النخل فاتاه وقال
اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما
اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شي ينزع الولد الى ابيه ومن
اي شي ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرني
بهن انفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو الله من الملايكة فقرا
هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس
من المشرق الى المغرب • واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة
كبد حوت • واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها
ماوه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك
رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي
قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن سلام
فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد
في رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم
فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا
شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال يعني عبد الله بن
سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه
ق عن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لحي يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام
قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله قال الراوي
لا ادري قال مالك الاية او في الحديث • وقيل الشاهد هو موسى
بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في

فى عبد الله بن سلام لان آلحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن
سلام بالمدينة ونزلت الاية فى محاجة كانت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقومه ومثل القران التورية فشهد موسى على
التورية ومحمد على القران وكل يصدق الاخر فيكون المعنى وشهد
موسى على التورية ومحمد على القران وكل يصدق الاخر فيكون
المعنى وشهد موسى على التورية التى هى مثل القران انها من عند
الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القران انه كلام الله فامن
من امن بموسى والتورية واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تؤمنوا
بمحمد والقران ان الله لا يهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد
وهو قايم مقام الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من
عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين
قوله تعا **وقال الذين كفروا** يعنى من اليهود **للذين امنوا لو**
كان خيرا يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم **ما سبقونا اليه** يعنى
عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان
ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين
كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعنى جهينة ومزينة
لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعا البهم قال الله تعالى
واذ لم يهتدوا به اى بالقران كما اهتدى به اهل الايمان **فسيقولون**
هذا افك قديم اى كذب متقدم **ومن قبله** اى من قبل القران ۰
كتاب موسى يعنى التورية **اماما** يعنى جعلناه اماما يقتدى
به **ورحمة** اى من الله لمن امن به **وهذا كتاب** يعنى القران **مصدق**
اى للكتب الذى قبله **لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا** يعنى مشركى مكة
وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اوليك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما
كانوا يعملون تقدم تفسيره ۰ قوله عز وجل **ووصينا الانسان**
بوالديه حسنا اى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساة **حملته**
امه كرها يعنى حين اثقلت وثقل عليها الولد **ووضعته كرها** يريد
شدة الطلق **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** يعنى ومدة حمله الى ان
من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر
واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت
المراة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة
اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا **حتى اذا بلغ اشده** اى نهاية قوته
وغاية شبابه واستوايه وهو ما بين ثمانى عشرة سنة الى اربعين سنة

وهو

وهو قوله **وبلغ اربعين سنة** قيل نزلت هذه الاية فى سعد بن ابى وقاص
وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى
ابى بكر الصديق رضى الله عنه وذلك انه صحب النبى صلى الله عليه
وسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين
سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله
عليه وسلم فى ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك يساله عن الدين
فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل
تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبى اخر الزمان فوقع فى قلب
ابى بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم
فى سفر ولا حضر ۰ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين
سنة اكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته امن به ابو بكر
وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين ۰ فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز
وجل فقال **قال رب اوزعنى** اى الهمنى **ان اشكر نعمتك التى انعمت**
على وعلى والدى اى بالايمان والهداية وقال على بن ابى طالب فى
قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى ابى بكر اسلم ابواه جميعا
ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك
من بعده **وان اعمل صالحا ترضاه** قال ابن عباس اجابه الله تعالى
فاعتق تسعة من المومنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيا
من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال **واصلح لى فى ذريتى**
فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع لابى بكر اسلام
ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمر
وابن ابى بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابو عتيق محمد فهولاء اربعة
ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبى صلى الله
عليه وسلم واسلم ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابى بكر وقوله
انى تبت اليك اى رجعت الى كل ما تحب **وانى من المسلمين** اى واسلمت
بقلبى ولسانى **اوليك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا** يعنى
اعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى
الحسن فيثيبهم عليها **ويتجاوز عن سياتهم** اى فلا يواخذهم بها
فى اصحاب الجنة اى مع اصحاب الجنة **وعد الصدق** اى الذى وعدهم
بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سياتهم ووعده صدق وقيل
وعدهم بان يدخلهم الجنة **الذى كانوا يوعدون** اى فى الدنيا على
لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **والذى قال لوالديه**

يعني اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما
وهي كلمة كراهية اتعدانني ان اخرج اي من قبلي حيا وقد خلت
القرون من قبلي اى فلم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله اي
يستصرخان بالله عليه ويقولان له ويلك امن ان وعد الله حق اى
بالبعث فيقول ما هذا اى الذي تعدونني اليه الا اساطير الاولين
قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق قبل اسلامه
وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابي ويقول احيوا لي عبد الله
ابن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما تقولون
وانكرت عايشة ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر خ
عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معوية
فخطب فجعل يذكر يزيد بن معوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن
ابن ابي بكر شيا فقال خذوه فدخل بيت عايشة فلم يقدروا عليه
فقال مروان هذا الذي انزل فيه قال لوالديه اف لكما فقالت
عايشة ما انزل الله فينا شيا من القران الا ما انزل الله في سورة
النور من براتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص معين
بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه
الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابا وانكر • وقيل نزلت في كل كافر
عاق لوالديه • قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن
ابي بكر قبل اسلامه • قوله تعالى اوليك الذين حق عليهم القول
اعلم ان هولا قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مومن من
افاضل المومنين فلا يكون ممن حقت عليهم كلمة العذاب اى وجب
عليهم العذاب في امم اى مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من
سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد
من الفريقين المومنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل
ومراتب عند الله يوم القيمة باعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة
تذهب الى علو ودرج النار تذهب الى سفل وليوفيهم اعمالهم اي
جزا اعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا
على النار اى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات
واللذات قد افنيتموه في الدنيا وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفا
حظكم منها شي فاليوم تجزون عذاب الهون اى الذي فيه ذل وخزي
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون علق هذا

العذاب

العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان
والثاني الفسق وهي المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من الجوارح
فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات اثر
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحين بعدهم اجتناب اللذات
في الدنيا رجا ثواب الاخرة ق عن عمر بن الخطاب قال دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكي على رمال حصير قد اثر في جنبه
فقلت استانس يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فجلست
ورفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيا يرد البصر الا اهبة
ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس
والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك يا ابن
الخطاب اوليك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت
استغفر لي يا رسول الله ق عن عايشة قالت ما شبع ال محمد من خبز
شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ق عنها قالت كان ياتي علينا الشهر لم نوقد نارا انما هو الاسودان التمر
والماء الا ان نوتى باللحيم وفي رواية اخرى انا كنا لننتظر لكي الهلال ثم
الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول
الله صلى الله عليه وسلم نارا • قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم
قالت الاسودان التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا • عن ابن عباس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا
واهله ولا يجدون عشا وكان اكثر خبزهم الشعير اخرجه الترمذي
وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت
في الله ما لم يخف احد واوذيت في الله ما لم يوذ احد ولقد اتى علي ثلاثون
من بين يوم وليلة وما لي ولبلال الا شي يواري ابط بلال خ عن ابي
هريرة قال رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء
اما ازار واما كسا قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين
ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته خ عن
ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام وكان صايما فقال
قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه
بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا راسه قال واراه قال قتل حمزة
وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا
ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا

ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله راى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر اوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله تعالى واذكر اخا عاد يعني هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع واذا ذهب العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احيا باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقد خلت النذر اي مضت الرسل من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه من بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي عبادتها فاتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من الصادقين يعني ان العذاب نازل بكم قال يعني هودا انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى ياتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به يعني من الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه اليكم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم فلما راوه يعني من الذي انزله راوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى عارضا يعني راوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السما ثم يطبق السما مستقبل اوديتهم وذلك انه خرج عليهم سحابة سودا من ناحية واد يقال له المغيث وقد كان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا تلك السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله ردا عليهم بل هو ما استعجلتم به ريح يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف الريح فقال تعالى تدمر كل شي بامر ربها يعني تهلك كل شي مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الضعينة حتى ترى كانها جرادة فلما راوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال

وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المومنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة ق عن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا راى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجا ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرفت في وجهك الكراهة فقال يا عايشة وما يومني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية كان قالت النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى مخيلة في السما اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السما سري عنه فعرفته عايشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الاية وفي رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السما تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السما سري عنه فعرفت ذلك عايشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي تظن فيه مطر وتخيلت السما اذا تغيمت وقولها سري عنه اي كشف وازيل ما كان به من الغم والحزن وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ترى بالتا مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرى يرى باليا المضمومة والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الاثار والمساكن معطلة كذلك نجزي القوم المجرمين يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس يستعملونها فيما ينفعهم من امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها

فلاجوم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي يعني انه
لما نزل بهم العذاب ما اغنى عنهم ذلك شيا اذ كانوا يجحدون بايات
الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزون يعني ونزل بهم العذاب الذى
كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى
الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى ديار ثمود وهو الحجر وسدوم وهي
قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك
واذ صرفنا اليك وصرفنا الايات يعني وبينا لهم الحجج والدلايل
الدالة على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فا
فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر فلولا يعني فهلا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة يعني انهم اتخذوا الاصنام
الهة يتقربون بها بعبادتها الى الله والقربان كلما يتقرب به
الى الله تعالى بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم
عند نزول بهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون يعني كذبهم الذي
كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم قوله عز وجل
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن

ذكر القصة في ذلك

قال المفسرون لما مات ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان
في حياته يحوطه وينصره ويمنعه من يوذيه فلما مات وجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطايف
يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروى محمد بن
اسحاق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى نفر من ثقيف
وهم يوميذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل
ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعندهم امراة من قريش من بني
جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله تعالى وكلمهم بما جاء لهم من نصرته
على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم
هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد
احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لين كنت
رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام
وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تبلغ قومه فيزيدهم ذلك في تجريهم
عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه
ويضحكون به حتى اجتمع اليه الناس والجوه الى حايط العتبة وشيبة

ابني

ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد
الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظرون اليه ويريان
ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
المراة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمايك فلما اطمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فانت رؤوف وانت ارحم
الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى
بعيد يتجهمني والى عدو ملكته امري ان لم يكن لك علي غضب فلا
ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت
به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان ينزل بي غضبك
او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك
فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمتهما فدعوا غلاما لهما
يقال له عداس فقالا له قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك
الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له ياكل منه ففعل عداس
ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا
الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا
رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية
الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس
ابن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا
وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل
راسه ويديه وقدميه قال فقال احد ابنا ربيعة اما غلامك فقد
افسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك
تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض
خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقالا له ويحك
يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطايف الى مكة حين ييس
من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي
فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين
منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له
فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد امنوا به واجابوا

لما سمعوا القران فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران وفي الاية قول اخر وسيأتي في سورة الجن
وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس • وروي
ان الجن لما رموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان
اول بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم
الى تهامة وقال ابو حمزة اليماني بلغنا انهم من اهل الشيصبان
وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم
قالوا انا سمعنا قرانا عجبا • وقال جماعة بل امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القران
فصرف الله عز وجل نفرا من الجن وهم اهل نينوى وجمعهم له
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرا
على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه
عبد الله بن مسعود وقال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد
غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله
عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني
ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم
فافتتح القران فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا
شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسود
كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون
مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
مع الفجر فانطلق الي فقال لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد
هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعت تقرعهم بعصاك تقول
لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال
هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال
اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل
وروثة وبعرة قالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي
صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول
الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه
لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول
الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل قتل بينهم
فتحاكموا اليه فقضيت عليهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتاني فقال هل معك ما قلت يا رسول الله فاداوة معي
اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فدعا به فصببت على يديه فتوضا وقال

ثمرة

ثمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة راى
شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم ثم قال اظهروا فقيل له
ان هولاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين اصرفوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن • قلت حديث
التوضي بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتاب الخلافيات
باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت
لابن عباس هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم منكم احد قال ما
صحبه احد منا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب استطير او اغتيل
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حرا فقلنا
يا رسول الله فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات
قوم فاتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران قال
قال فارانا اثارهم واثار نيرانهم وسالوه الزاد فقال لكم كل
عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف
لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما
فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن
الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه • واما تفسير الاية فقوله تعالى
واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر
اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن • واختلفوا في عدد اولئك
النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم • وقال اخرون
كانوا التسعة • وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من
التسعة الذين استمعوا القران • وروي ان الجن كانوا ثلاثة
اصناف صنف منهم له اجنحة يطير في الهوا وصنف على صور الحيات
والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون • ونقل بعضهم ان اولئك
الجن كانوا يهود فاسلموا • قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس
ففيهم اليهود والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلمهم مبتدعة ومن
يقول بالقدر وخلق القران ونحو ذلك من المذاهب والبدع والمحققون
المحققون من العلما على ان الكل مكلفون • سيل ابن عباس هل للجن
ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب فلما حضروه الضمير يعود
الى القران يعني فلما حضروه لاستماع القران وقيل يحتمل ان يعود
الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا الرسول
صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القران قالوا انصتوا يعني قال

بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه
شي فانصتوا واستمعوا القران حتى كاد يقع بعضهم على بعض من
شدة حرصهم على سماعه فلما قضي اي فرغ من قراءته ولوا اي
رجعوا الى قومهم منذرين يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين
لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القران والتصد[يق]
الا بعد ايمانهم وتصديقهم له قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى مصدقا قال عطا كان دينهم اليهودية لذلك قالوا انا
سمعنا كتابا من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني من الكتب
الالهية المنزلة من السما وذلك ان كتب الانبيا كانت مشتملة على
الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبيا والايمان بالحشر والمعاد
والحشر والنشر وجا هذا الكتاب وهو القران المنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه
من الكتب يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وهو دين الاسلام ويهدي
الى طريق الجنة يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الاية دليل على انه مبعوث الى
الجن والانس جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن
قبله وامنوا به **فان قلت** قوله تعالى اجيبوا داعي الله قد
امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد
ذكره بلفظ التعيين **قلت** انما اعاده لان الايمان اهم اقسام
المامور به واشرفها فلذلك ذكره بلفظ التعيين فهو من باب ذكر
العام ثم عطف عليه اشرف انواعه فقال يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم
من عذاب اليم قال بعضهم لفظة من هنا زايدة والتقدير يغفر
لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك هو ان الله يغفر من الذنوب
ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا اجرت عليهم احكام الاسلام فاذا
اتى بذنب اخذ به ما لم يتب منه او يبقى تحت خطر المشية ان شا
الله غفر له وان شا اخذه بذنبه • واختلف العلما في حكم مومني
الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وقالوا اتوله
يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة
وحكي عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم
كونوا ترابا مثل البهايم • وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس
قيل لمومني الجن عودوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا • وقال الاخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون

عليهم

عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول
ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى • قال الضحاك الجن
يدخلون الجنة وياكلون ويشربون • وقال ارطاة بن المنذر سالت
ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
فالانسيات للانس والجنيات للجن • وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني
الجن حول الجنة في ربض درجات وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله
تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض يعني لا يعجز
الله فيفوته وليس له من دونه اوليا يعني انصارا يمنعونه من
الله اوليك يعني الذين لم يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله
تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه
وتكوينه بقادر على ان يحيي الموتى يعني ان اعادة الخلق واحيايهم
لانه قادر على كل شي ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار
تقديره ويقال لهم اليس هذا بالحق يعني هذا العذاب هو الذي
وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا بلى هذا وربنا قال اعتراف منهم
على انفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم
فعند ذلك يقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله
عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتدا باولي العزم من الرسل في
الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم • وقال الضحاك
ذوو الجد والصبر • واختلفوا في اولي العزم من الرسل من هم فقال
ابن زيد كل الرسل كانوا اولي العزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا
عزم وحزم وراي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر
الدين الرازي قال لان لفظ من في قوله من الرسل للتبيين لا
للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل
من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم
وقال بعضهم الانبيا كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه
الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت
وقال قوم اولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام
وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اوليك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده • وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا
المكاشفة لاعداء الله • وقيل هم ستة نوح وصالح ولوط وشعيب
وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف وقال مقاتل

هم ستة نوح صبر على اذى قومه • وابراهيم صبر على النار • واسحاق
صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره •
ويوسف صبر على الجب والسجن • وايوب صبر على الضر • وقال ابن
عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع
فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله
على التخصيص والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية • روى البغوي بسنده
عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة
الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عايشة ان الله لا يرضى من اولي
العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض الا
ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني
والله لا بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا
قوة الا بالله **ولا تستعجل لهم** يعني اصبر على اذاهم ولا تستعجل
بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه
وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره
الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب **كانهم
يوم يرون ما يوعدون** يعني من العذاب في الاخرة **لم يلبثوا** يعني
في الدنيا **الا ساعة من نهار** يعني انهم اذا عاينوا العذاب صار
طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما
مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب
وهو ابد الابدين بلا انقطاع ولا فناء ثم الكلام عند قوله ساعة
من نهار ثم ابتدا فقال تعالى **بلاغ** هذا القران وما فيه من البينات
والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ **فهل يهلك**
يعني بالعذاب اذا نزل **الا القوم الفاسقون** يعني الخارجين
عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة
الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة
الله اية اقوى من هذه الاية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل **الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم** يعني ابطلها ولم يتقبل
منهم واراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام
وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك

قال بعضهم اول هذه السورة متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة
كان قايل قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام
الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال
ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوه
من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى
وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
وجعل الدايرة عليهم • قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين
كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم روسا قريش منهم ابو جهل والحرث
ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جمع كفار
قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب • وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر
وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين
الله وهو الاسلام او منعوا انفسهم من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم
يعني ابطلها لانها كانت لغير الله • ومنه قوله تعالى وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا **والذين امنوا وعملوا الصالحات**
قال ابن عباس الذين مشركي قريش والذين امنوا هم الانصار وقيل
مومنوا اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مومن امن بالله
ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المومنين **وامنوا بما نزل
على محمد** يعني القران الذي انزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص
مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الله تعظيما لشان القران وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به
واكد ذلك بقوله **وهو الحق من ربهم** وقيل معناه ان دين محمد صلى
الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ الاديان كلها ولا يرد عليه نسخ
وقال سفيان الثوري في قوله والذين امنوا بما نزل على محمد يعني
لم يخالفوه في شيء **كفر عنهم سياتهم** يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح
ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم
بذلك ما كان منهم **واصلح بالهم** يعني حالهم وشانهم وامرهم
بالتوفيق في امور الدنيا والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم
من النصر على اعدايهم وقيل يصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب
اذا صلح صلح ساير الجسد • وقال الحسن عصمهم ايام حياتهم يعني
ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا **ذلك
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل** يعني الشيطان **وان الذين امنوا
اتبعوا الحق من ربهم** يعني القران ومعنى الاية يعني ذلك الامر

وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيات المؤمنين كاين باتباع بسبب
اتباع الكفار الباطل واتباع المومنين الحق من ربهم **كذلك يضرب**
الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى
يضرب للناس امثالهم انفسهم او انه راجع الى الفريقين على انه تعالى
ضرب امثال الفريقين للناس يعتبروا بهم قاله الزجاج كذلك
يضرب الله امثال واضلال اعمال حسنات الكافرين للناس قوله
تعالى **فاذا لقيتم الذين كفروا** من اللقا وهو الحرب **فضرب الرقاب**
يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لانه
المراد ضرب الرقاب فقط دون ساير الاعضا وانما خص الرقاب بالضرب
لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت
بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس من اشرف اعضا البدن فاذا
ابين عن بدنه كان اهين اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره
من الاعضا **حتى اذا اثخنتموهم** يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم
ماخوذ من الشي الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم
بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة **فشدوا الوثاق**
يعني في الاسروا لمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا
منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به **فاما منا بعد** يعني بعد
الاسر ما تمنوا عليهم باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم
فداء **فصل** في حكم الاية اختلف العلما في هذه الاية
فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من
خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين. وهذا قول قتادة والضحاك والسدي
وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الراي قالوا لا يجوز المن
على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا بل اما القتل والاسترقاق
اي بما راى الامام. ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس
اليوم من ولا فدا انما هو الاسلام وضرب العنق ويجوز ان يكون
المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبول
الجزية ان كانوا من اهل الذمة والمراد بالفدا ان يفادى باسراهم
اسارى المسلمين وقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور
عند الابري فداهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا
للمسلمين. وذهب اكثر العلما ان الاية محكمة والامام بالخيار في
الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او
يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسرى المسلمين
واليه ذهب ابن عمرو به قال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما

وهو

وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر
المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا
بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى
الله عليه وسلم والخلفا بعده **ق** عن ابي هريرة قال بعث النبي
صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجات برجل من بني حنيفة يقال
ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي
خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل
تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد قال ما عندك يا ثمامة
قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا
دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب
من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ما كان على وجه الارض
ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله
ما كان ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي
وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله
عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم من عند النبي صلى الله عليه وسلم
مكة قال له قايل اصبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى
ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصر
البخاري عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت
رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف اخرجه
الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا
وقوله تعالى **حتى تضع الحرب اوزارها** يعني اثقالها واحمالها
والمراد اهل الحرب يعني حتى وضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال
واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمي الاسلحة وزرا لانها تحمل
وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزارهم
بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله. وقيل معناه حتى
تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبايح اعمالهم بان يسلموا ومعنى

نسخه

الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها في
الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك
عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجا في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل
اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي
معناه حتى يسلموا او يسالموا قال الفرا حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم
ذلك يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار ولو يشا الله لانتصر
منهم يعني ولو شا الله لاهلكهم بغير قتال وكفاهم امرهم ولكن يعني
ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل من
المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب والذين
قتلوا في سبيل الله يعني الشهدا وقرى قاتلوا وهم المجاهدون
في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب
اعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت
يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم يعني
ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى
ويصلح بالهم ويرضي اعمالهم ويقبلها ويدخلهم الجنة عرفها لهم
بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا
يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المومن اهدى الى
درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في الدنيا هذا
قول اكثر المفسرين • ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف
وهو الريح الطيبة وطعام معرف اي مطيب قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا
اوليا الله وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت اقدامكم يعني
عند القتال وعلى الصراط والذين كفروا فتعسا لهم قال ابن عباس
يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم
وقال ابن زيد لهم شقاء وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة
التردي في النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه
وضده لعا اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذا اشارة جليلة وهي انه
تعالى لما قال في حق المومنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال
فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المومنون ولهم العثار والزوال
والهلاك • وقال في حق المومنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا
يجب عليه شي وقال في حق الكفار بصيغة الدعا عليهم واضل اعمالهم
يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان ذلك يعني

النعس

التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القران الذي فيه
النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة
على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات
والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله
فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم
التي عملوها في غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار
فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة
دمر الله عليهم يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك
ما يختص به والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم
واولادهم وللكافرين يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم امثالها يعني ان
لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاهم به من عند الله وهذا
التضعيف انما يكون في الاخرة ذلك يعني الاهلاك والاهوان بان
اي بسبب ان الله مولى الذين امنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي
امورهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك
ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا
مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا
بمعنى الناصر والمولى هنا بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل
احد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله
تعالى حال المومنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الاخرة
فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار يعني هذا لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون
يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها ويأكلون كما تأكل الانعام يعني
ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ومع ذلك لاهون ساهون عما يراد
بهم في غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز
لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المومن في الدنيا
يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع
في الدنيا لانها جنته وهي سجن المومن بالنسبة الى ما اعد الله له
في الاخرة من النعيم العظيم الدائم والنار مثوى لهم يعني مقام الكفار
في الاخرة والثوا الاستقرار فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم قوله
تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني
اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال

في اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله **اهلكناهم** ولم يقل اهلكناها **فلا ناصر لهم** يعني فلا مانع لهم يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية **افمن كان على بينة من ربه** يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه **كمن زين له سوء عمله** وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين **واتبعوا اهواءهم** يعني في عبادة الاوثان

قوله عز وجل **مثل الجنة التي وعد المتقون** لما بين الله عز وجل حال الفريقين فبين اولا ما اعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة • قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف معناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهة • وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار **فيها** يعني الجنة التي وعد المتقون **انهار من ماء غير آسن** يعني غير متغير ولا منتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه •

وانهار من لبن لم يتغير طعمه يعني كما يتغير البان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم **وانهار من خمر لذة للشاربين** يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط **وانهار من عسل مصفى** يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله فهو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تنشق الانهار بعد اخرجه الترمذي • وقال حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اذنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان وهذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا

طويلا

طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من الجنة ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة • وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة • ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم • ونهر سيحان نهر عسلهم • وهذه الانهار تخرج من نهر الكوثر • هكذا نقله البغوي عنه • وقوله تعالى **ولهم فيها من كل الثمرات** في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ماكول اهل الجنة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة **ومغفرة من ربهم** **فان قلت** المؤمن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة **قلت** ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب اخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه • وقوله تعالى **كمن هو خالد في النار** يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار فيخرج من جحيمها وهو قوله **وسقوا ماء حميما** يعني شديد الحر قد اسعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة وجوههم فاذا شربوه **فقطع امعاءهم** يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معا وهو جميع ما في البطن من الحوايا • وقول الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم • عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه حتى يمرق قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان • اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح • عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم • ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى **ومنهم** يعني ومن هؤلاء الكفار **من يستمع اليك** وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه **حتى اذا خرجوا من عندك** يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا

محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك **قالوا** يعني المنافقين
للذين اوتوا العلم يعني من الصحابة **ماذا قال انفا** يعني ما الذي
قال محمد الان وهو من الايتناف يقال ايتنفت الامر اي ابتدأته
قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب
المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزاء
ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس قد سيلت فيمن سيل
اوليك يعني المنافقين **الذين طبع الله على قلوبهم** يعني فلم يومنوا
ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم **واتبعوا اهواهم**
يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق امات الله
قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواهم في الباطل **والذين
اهتدوا** يعني المومنين لما بين الله ان المومنين المنافق يسمع ولا
ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوي بين حال المومن المهتدي
الذي ينتفع بما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية
الله اياهم الى الايمان **زادهم هدى** يعني انهم لما سمعوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا به
وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم
واتاهم تقواهم يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى قال
سعيد بن جبير اتاهم ثواب تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم
يعني انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل **فهل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة** يعني ان الكافرين والمنافقين الذين
قعدوا عن الايمان فلم يومنوا فالساعة اتتهم بغتة تفجاوهم على
كفرهم ونفاقهم فقيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة
والساعة اتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال
سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنا مطغيا او مرضا مفسدا
مفندا او هرما مقيدا او موتا مجهزا او الدجال والدجال شر غايب
ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وقوله تعالى **فقد جا اشراطها** اي اماراتها وعلاماتها
واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستبطا في النفوس وقد
قد قال الله تعالى فقد جا اشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة
انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا
الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير
باصبعيه يمدهما **ق** عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فهل ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى

بعثت انا والساعة كهاتين كفضل هذه الاخرى قيل معنى الحديث
ان المراد ما بيني وبعثه وقيام الساعة شي يسير كما بين الاصبعين في
الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة **ق** عن انس قال عند قرب
وفاته الا احدثكم بحديث لا يحدثكم به احد غيري سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة
ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشوا الزنا ويذهب الرجال
ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل
الرجال ويكثر النساء **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم
وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي
رواية يرفع العلم ويثبت الجهل **خ** عن ابي هريرة قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاه اعرابي فقال متى
الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض
القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا
قضى حديثه قال اين السايل عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله
قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال
اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقوله تعالى **فانى لهم
اذا جاتهم ذكراهم** يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاتهم
الساعة بغتة قيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاتهم الساعة فلا
تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت
فاعلم انه لا اله الا الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله
وانه لا اله الا هو فما فايدة هذا الامر **واجيب** عنه بان
معناه دم على ما انت عليه من العلم وهو كقول القايل للجالس اجلس اي
دم على ما انت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد علما الى علمك
وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد
به غيره من امته قال ابو العالية وسفين بن عيينة هذا متصل
بما قبله معناه اذا جاتهم فاعلم انه لا ملجا ولا منجا ولا مفزع عند
قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله
الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا
لله الذي لا اله الا هو **واستغفر لذنبك** امر الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به امته
وليقتدوا به في ذلك عن الاغر المزني اغر مزينة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله مايه

مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل
ماية مرة في اليوم خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة
وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين
التغطية والستر اي يلبس على قلبي ويغطي وسبب ذلك ما اطلعه
عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم
وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين ومصالحهم حتى
يرى انه قد شغل بذلك وانه كان من اعظم طاعة واشرف عبادة
عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفا وقته
معه وخلوص همه من كل شيء فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم
يستغفر الله فان حسنات الابرار سيات المقربين وقيل هو ماخوذ
من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم
ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه • وقيل هذا الغين هو
السكينة الذي يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم • وكان سبب استغفاره
لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى • وحكى الشيخ محيي
الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد الفترات والغفلات
عن الذكر الذي كان شانه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا
فتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه
وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الملايكة والانبيا خوف اعظام
واجلال وان كانوا امنين من عذاب الله • وقيل يحتمل ان هذا الغين
حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال
افلا اكون عبدا شكورا • وقيل في معنى الاية استغفر لذنبك اي لذنوب
اهل بيتك **وللمومنين والمومنات** يعني من غير اهل بيته وهذا
اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم **والله يعلم
متقلبكم ومثواكم** قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم
ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى مضاجعكم
وقيل متقلبكم من اصلاب الابا الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم
في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه
شي منها وان دق وخفي • قوله تعالى **ويقول الذين امنوا لولا نزلت
سورة** وذلك ان المومنين كانوا على الجهاد في سبيل الله وقالوا فهلا
نزلت سورة تامرنا بالجهاد لكنا نجاهد **فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال** قال مجاهد كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة

وهي

وهي اشد القران على المنافقين **رايت الذين في قلوبهم مرض** يعني
نفاقا وهم المنافقون **ينظرون اليك** شزرا وكراهة منهم للجهاد وجبنا
عن لقا العدو **نظر المغشي عليه من الموت** يعني كما ينظر الشاخص
بصره عند معاينة الموت **فاولى لهم** فيه وعيد وتهديد وهو معنى
قولهم في التهديد اولى لك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا
ثم ابتدا بقوله **طاعة وقول معروف** فعلى هذا هو مبتدا محذوف
الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل واولى بهم والمعنى لو اطاعوا
وقالوا قولا معروفا لهوا امثل واحسن • وقيل هو متصل بما قبله واللام
في لهم بمعنى البا مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله
وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت
الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية
عطا عنه **فاذا عزم الامر** فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر
وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جا الامر ودنا الوقت وهذا امر
متوقع ومعنى الاية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما
وعدوا به **فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم** يعني الصدق وقيل لو
صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم **فهل
عسيتم** اي فلعلكم **ان توليتم** يعني اعرضتم عن سماع القران وفارقتم
احكامه **ان تفسدوا في الارض** اي تعودوا الى ما كنتم عليه من الفساد
وفي الجاهلية في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدم وتعودوا
الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام **وتقطعوا ارحامكم** قال
قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله لم يسفكوا الدم
الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن يقول الله تعالى من وصلك
وصلته ومن قطعك قطعته • وفي رواية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم
فاخذت بحقو الرحمن قال مه فقال هذا مقام العايذ بك من
القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك
قالت بلى قال فذلك • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا
ان شيتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
اوليك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران
ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق
والحقو معقد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم
شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك

القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم برّه الاقارب
والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعايذ اللايذ المستجير
قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبرّ انما هي معنى من المعاني
وليست بجسم انما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والدة فيتصل بعضه
ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتاتى منها القيام ولا
الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل حسن استعارة
على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة
واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعا كانه قطع ذلك
النسب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملايكة
تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله تعالى هذا كلام
القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية في
قوله ان توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان وليتم الناس ان
تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام
في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد
فان قلت عسى طمع وترجي وتوقع ذلك على الله محال لانه
تعالى عالم بكل شي فما معناه **قلت** قال بعضهم معناه كل من
ينظر اليهم يتوقع ذلك منهم وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم
بان يتوقع لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان
يا هولا ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم
عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا
على الدنيا **اوليك** اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع
الارحام **الذين لعنهم الله** يعني ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته
فاصمهم يعني عن سماع الحق **واعمى ابصارهم** يعني عن طريق الهدى
وذلك انهم لما سمعوا القران لم يفهموه ولم يومنوا به وابصروا طريق
الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم
اسماعا وابصارا في الظاهر **افلا يتدبرون القران** يعني يتفكرون فيه
وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشي وما يوول
اليه امره وتدبر القران انما يكون عن حضور القلب وجمع الهمم وقت
تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذا من الحلال وخلوص النية **ام على
قلوب اقفالها** يعني بل على قلوب اقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع
للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان اذا كان الله تعالى قد
اصمهم واعمى ابصارهم واقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم
تدبر القران مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جايز

هكذا

عندنا

عندنا لان الله امره بالايمان ثم سبق في علمه انه لا يومن فكذلك هذا
والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون
القران المراد به الناس وقيل ان هذه الاية محققة للاية المتقدمة
وذلك ان الله تعالى لما قال اوليك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القران
كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه
اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده
روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها
او يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا
حديث مرسل عن عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلهم
لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين
وقيل غير ذلك **قوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم** يعني
رجعوا القهقرى كفارا **من بعد ما تبين لهم الهدى** يعني من بعد
ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم
وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون وذلك انهم امنوا
اولا ثم كفروا ثانيا **الشيطان سول لهم** يعني زين لهم القبيح حتى
راوه حسنا **واملى لهم** قرى بضم الالف وكسر اللام وفتح اليا على ما لم يسم
فاعله حتى امهلوا ومد لهم في العمر وقرى واملى لهم بفتح الالف واللام
يعني واملى لهم الشيطان بان مد لهم في الامل **فان قلت**
الاملا والامهال لا يكون الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان
فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراة **قلت**
ان المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل
وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده
ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في اجالكم
فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر **ذلك** اشارة الى
التسويل والاملا **بانهم** يعني بان اهل الكتاب او المنافقين **قالوا
للذين كرهوا ما نزل الله** وهم المشركون **سنطيعكم في بعض الامر**
يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد
معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم خبرهم ثم قال **والله يعلم اسرارهم** يعني انه لا يخفى عليه خافية

من امرهم فكيف اذا توفتهم الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم
يضرب ذلك الضرب ذلك يعني بسبب انهم بانهم اتبعوا ما اسخط
الله يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم التي عملوها من اعمال البر لانها
لم تكن لله ولا بامره ام حسب الذين في قلوبهم مرض اي شك
ونفاق وهم المنافقون ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر
احقادهم على المومنين فيبديها حتى يعرف المومنون نفاقهم
واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم
ولو نشا لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال الله تعالى ام حسب
الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قايلا قال
لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر الله تعالى انه انما اخر ذلك
لمحض المشية لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشا لاريناكهم اي لاعلمناكهم
للناس ذلك ولا اراه بمعنى التعريف والعلم وقوله فلتعرفنهم لزيادة
فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما
يقال عرفته لم يعرف فكان المعنى هنا عرفناهم تعريفا وعرفتهم به
ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف ليلا يتم بعد اشتباه • وقوله
بسيماهم يعني بعلامتهم ان نجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ما
خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شي
من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول يعني
في معنى القول وفحواه ومقصده وللاحن معنيان صواب وخطا صريح
الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى وهذا محمود من حيث البلاغة
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض والبه
قصد ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف
الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى
الاية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول
في تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزا به فكان بعد هذا
لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل
بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم
يعني اعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى ولنبلونكم
يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشيا
قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين يعني انا
نامركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر

عليه

عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور ونبلو
اخباركم اي نظهرها ونكشفها ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على
الجهاد ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني
خالفوه فيما امرهم به من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى
يعني من بعد ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله
عليه وسلم لن يضروا الله شيا يعني انما يضرون انفسهم بذلك والله
تعالى منزه عن ذلك وسيحبط اعمالهم يعني وسيبطل اعمالهم فلا
يرون لها ثوابا في الاخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم
المطعمون يوم بدر • قوله عز وجل يايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول لما ذكر الله الكفار بسبب مشاقهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امر الله المومنين بطاعته وطاعة رسوله ثم
قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا يعني بالشك والنفاق والمعنى
داوموا على ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم
وقيل لا تبطلوا اعمالكم ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم
بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب
اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي
لا تبطلوا اعمالكم بالريا والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا
لوجهه الكريم • وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصي والكباير قال
ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا
يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا
الكباير بعده ان تحبط الاعمال • واستدل بهذه الاية من يرى احباط
الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى
وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فالله تعالى اعدل
واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة • وروي عن
ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شي من حسناتنا الا مقبولة حتى نزل
ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكباير
الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشا فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب
الكباير ونرجو لمن لم يصبها • واستدل بهذه الاية من لا يرى ابطال
النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال
ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الاية ولا حجة لان السنة مبينة
للكتاب وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اصبح صايما

فلما رجع الى البيت وجد حيسًا فقال لعايشة قربيه فلقد اصبحت
صايما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه والصحيح ايضا ان
سلمان زار ابا الدردا فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فاني
صايم قال لست باكل حتى تاكل فاكل معه • وقال مقاتل في معنى
الاية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت
في بني اسد وسنذكر القصة في تفسير سورة الحجرات ان شا الله تعالى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر
الله لهم قيل نزلت في اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين
قتلوا ببدر وحكمها عام في كل من مات على كفره فان الله لا يغفر له
لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
فلا تهنوا الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام
لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا ايها المومنون وتدعوا الى السلم
يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح وامروهم بحربهم حتى يسلموا وانتم
الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخبر الله عز وجل
ان الامر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض
الاوقات والله معكم يعني بالنصر والغلبة والمعونة ومن كان الله معه
فهو العالي الغالب ولن يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم شيا من ثواب
اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يوتيكم
اجورها ثم حض على طلب الاخرة بذم الدنيا فقال تعالى انما الحياة
الدنيا لعب ولهو اي باطل وزور يعني كيف تمنعك الدنيا عن طلب
الاخرة وقد علمت ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة
الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشتغل الانسان وليس فيه منفعة
في الحال ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان ولم يشتغل عن غيره ولم
ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وان شغله عن مهمات نفسه فهو
اللهو وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم يعني يوتكم جزا اعمالكم في الاخرة
ولا يسالكم اموالكم يعني ان الله لا يسال من العباد اموالهم لا يعطا
الاجر عليهم لم يامرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها
الجنة وقيل معناه ولا يسالكم محمد صلى الله عليه وسلم اموالكم وقيل
معناه لا يسالكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اموالكم كلها في
الصدقات انما يسالكم عيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم
وهي زكاة اموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله صلى الله عليه
وسلم منها حاجة انما فرضها الله في اموال الاغنيا وردها على الفقرا
فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفين بن عيينة

ويدل

ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى ان يسالكموها الضمير عايد
الى الاموال فيحفكم يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفا المبالغة في
المسالة وبلوغ الغاية في كل شي يقال احفاه في المسالة اذا لم يترك
شيا من الالحاح تبخلوا يعني بالمال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم
يعني ضغينتكم وعداوتهم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان
الاحفا مسيلة الاموال خروج الاضغان ها انتم هولاء يعني انتم يا هولا
المخاطبون الموصوفون ثم استانف وصلهم فقال تعالى تدعون لتنفقوا
في سبيل الله قيل اراد بها النفقة في الجها دوالغزو وقيل المراد به
اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني
بما فرض عليه اخراجه الى الزكاة او ندب الى انفاقه في وجوه البر
ومن يبخل يعني بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو
قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني عن صدقاتكم
وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض وانتم
الفقرا يعني اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والاخرة وان
تتولوا يعني عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم عن القيام
بما امركم الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
يعني يكونون اطوع لله ورسوله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من
عرب اليمن قال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابي
هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكب سلمان ثم قال هذا وقومه
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية
اخرى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
من هولا ذكر الله لئن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان
سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا واصحابه والذي
نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس

ناس من اصحاب ح

ولهذا الحديث طرق في الحديث نذكرها في سورة الجمعة ان شا الله تعالى

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

خ عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره
وعمر بن الخطاب كان يسير معه فساله عمر عن شي فلم يجبه ثم ساله فلم
يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر نزرت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى
تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قران فما نشبت ان سمعت

صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل فيّ قرآن فجئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزل علي
الليلة سورة هي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك
فتحا مبينا واخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية
(ق) عن انس قال لما انزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم
يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ
مسلم • ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية قال اصحابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فانزل الله ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة
فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له هذا فقال اما انا
فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس • واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرج
الترمذي عن قتادة عن انس قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي الليلة آية احب الي
مما على الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا
رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا
عظيما • بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل**
انا فتحنا لك فتحا مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى
انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا
في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة • وقال مجاهد هو فتح
خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله له
فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد
فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي
قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به
بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها
وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في
حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة • وقال اكثر
المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية
عن انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين
يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله

بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح
مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك
فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على
شفيرها ثم دعا باناء فتوضا ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها وتركناها
غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا • وقال الشعبي في قوله
انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم
على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس • وقال
الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا
بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم فاسلم في ثلاث
سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه
وسلم • وقوله **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر** قيل
اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي
يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو
مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار • وقال ابن جرير هو راجع الى قوله
في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك • وقيل ان الفتح
لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة
المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر
العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا
لك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل
والآجل • وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه
الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح • وقيل لما كان
هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا
للمغفرة ومعنى الاندار ليغفر لك جميع ما فرط منك ما تقدم من
ذنبك يعني قبل النبوة وما تاخر يعني بعدها وهذا على قول
من يجوز الصغائر على الانبياء • وقال عطاء الخراساني ما تقدم
من ذنبك يعني ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تاخر من ذنوب
امتك بدعائك لهم • وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك مما
كان منك قبل النبوة وما تاخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا
على طريق التاكيد كما تقول اعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت

ومن لم تلحقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور
لك وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل لان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى ان
يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين
فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله
عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليك وهو قوله تعالى
ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر والتمكين
ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهديك الى صراط مستقيم ويثبتك
عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى
صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي بك الى صراط مستقيم
وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعدا
وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان
قلت وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب
النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية اي
ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا
يقال هذا كلام صادق كما يقال كل متكلم صادق ٭ وقيل معناه
نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل
انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة
والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل
او العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي
هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله فصح وصف كونه
نصرا عزيزا ٭ قوله تعالى **هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين**
يعني الطمانينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن
عباس كل سكينة في القران طمانينة الا التي في سورة البقرة
وقد تقدم تفسيرها في موضعها لما قال الله عز وجل وينصرك الله
نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل
السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين ويلزم
من ذلك ثبات الاقدام عند اللقا في الحروب وغيرها فكان ذلك
من اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم قال
تعالى **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** وذلك انه جعل السكينة ٭
والطمانينة في قلوب المومنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم
وذلك ان كل ما ورد عليهم امر او نهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه
كان ذلك زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله

صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه
زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل دينهم
فكلما امروا بشي وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ازدادوا تصديقا
الى تصديقهم قال الضحاك يقينا مع يقينهم ٭ وقال الكلبي هذا في امر
الحديبية حين صدق الله ورسوله الرويا بالحق ٭ وقيل لما امنوا
بالتوحيد بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه
وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وامنوا بالبعث بعد الموت
والجنة والنار امنوا بالفروع كلها وجميع التكاليف البدنية
والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم **ولله جنود السموات والارض**
لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المسلمون في
قلة من العدد والعدد فكان قايلا قال كيف ينصره فاخبر الله
تعالى ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى
الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة
ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينته في قلوبكم
ايها المومنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك
اعدايه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود
السموات والارض وجوه الاول انهم ملايكة السموات والارض الثاني
ان جنود السموات الملايكة وجنود الارض جميع الحيوانات ٭ الثالث
ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض
مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك **وكان الله عليما** يعني بجميع
جنوده الذين في السموات والارض **حكيما** يعني في تدبيرهم وقيل عليما
بما في قلوبكم ايها المومنون حيث جعل النصر على اعدايكم قوله
عز وجل **ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها
الانهار** فقوله المومنين يستدعي سابقا تقديره هو الذي انزل
السكينة في قلوب المومنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه
وحكمته ان تسكن قلوب المومنين لصلح الحديبية ووعدهم الفتح
والنصر ليشكروه على نعمته فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار **خالدين فيها ويكفر عنهم سياتهم** فان قلت تكفير
السيات انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة
قلت الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيات والمغفرة
من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى
انه من اهل الجنة **وكان ذلك عند الله فوزا عظيما** يعني ان ذلك
الادخال والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما **ويعذب المنافقين**

وللمنافقات والمشركين والمشركات يعني المنافقين والمنافقات من
اهل المدينة والمشركين والمشركات انما قدم المنافقين على المشركين
هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المومنين
من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو
مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره
اكثر من شر الكافر وكان تقدم المنافق بالذكر اولى الظانين
بالله ظن السوء يعني انهم ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه
وسلم والمومنين عليهم دايرة السوء يعني عليهم دايرة العذاب
والهلاك وغضب الله عليهم زيادة في تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم
يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته واعد لهم جهنم يعني في الاخرة
وساءت مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ولله جنود السموات
والارض تقدم تفسيره بقي ما فايدة التكرير ولم قدم السموات
والارض على ادخال المومنين الجنة ولم اخر ذكر جنود السموات والارض
هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فايدة التكرار
للتاكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو
للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المومنين
الجنة ليكونوا مع المومنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند
الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه
فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شي واخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب
الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان
قلت قال في الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه وكان الله
عزيزا حكيما فما معناه قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو
للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المومنين ناسب ان يكون
خاتمة الاية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب
الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة الاية الثانية وكان
الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله اخذناهم
اخذ عزيز مقتدر قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث
شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال امته ومبشرا
يعني لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى امره
بالعقاب ثم بين فايدة الارسال فقال تعالى لتومنوا بالله ورسوله
فالضمير فيه للناس المرسل اليهم ويعزروه يعني ويقووه وينصروه
والتعزير نصر مع تعظيم ويوقروه يعني ويعظموه والتوقير التعظيم

ذكر جنود

والتبجيل

والتبجيل وتسبحوه من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقايص
او من السبحة وهي الصلوة قال الزمخشري والضماير لله تعالى والمراد
بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فقد ابعد
وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم وعند ها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف
تام ثم يبتدى بقوله وتسبحوه بكرة واصيلا على ان الكناية في وتسبحوه
راجعة الى الله عز وجل يعني ويصلوا لله او ويسبحوا الله بالغداة
والعشي قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعوا
الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي
يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفا بالعهد
الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي
قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت
ببير هناك وقد جا في الحديث ان الحديبية بير قال مالك هي من
الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف
والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها ق عن
يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شي بايعتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت م عن معقل بن يسار قال لقد
رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا
رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربعة عشر مائة قال لم
نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلما لا منافاة
بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع
على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا
وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال
ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا
في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال
يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج
فبايع وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم قال ابن عباس يد الله بالوفا
بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا ياخذون بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا
نقله البغوي عنه • وقال البغوي نعمة الله عليهم في الهداية فوق
ما صنعوا من البيعة • وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق

ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى
واحد واما ان يكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان
احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما يقال
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان • وثانيها يد الله فوق ايديهم
اى نصرته اياهم اقوى واعلا من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اى الغلبة
والنصرة والقوة • وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله بمعنى
الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق
ايديهم بالحفظ • وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده
تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلوا ايدي المبايعين هي يد الله
والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير
ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله
من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية ومذهب السلف
السكوت عن التاويل وامرار ايات الصفات كما جاءت وتفسيرها
قراتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وقوله
تعالى **فمن نكث فانما ينكث على نفسه** يعني فمن نقض العهد
الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال
ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه **ومن اوفى بما عاهد عليه
الله** يعني من البيعة **فسيؤتيه اجرا عظيما** يعني في الاخرة وهو الجنة
قوله تعالى **سيقول لك المخلفون من الاعراب** قال ابن عباس ومجاهد
يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية
معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا
معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم
بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه
كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول
لك يا محمد المخلفون من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك
اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك **شغلتنا
اموالنا واهلونا** يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا
فيهم فلذلك تخلفنا عنك **فاستغفر لنا** انا مع عذرنا معترفون
بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار

كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا **قل فمن
يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا** يعني سوءا **او اراد بكم نفعا** وذلك
انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل
لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد
شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه **بل كان الله بما تعملون خبيرا**
يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا يعني
ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون الى اهلهم **وزين ذلك في
قلوبكم** يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى
صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب
الانسان الشيء ويزينه له حتى يقطع به **وظننتم ظن السوء** يعني
وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة
راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا
ما يكون من امرهم **وكنتم قوما بورا** يعني وصرتم بذلك الظن الفاسد
قوما بائرين هالكين **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا** لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسوله صلى الله عليه
وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر
حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر
وانا اعتدنا للكافرين سعيرا **ولله ملك السموات والارض يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء** لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر
ان له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء
بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم
واكمل واليه الاشارة بقوله **وكان الله غفورا رحيما** قوله عز وجل
سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية **اذا انطلقتم** يعني
اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون **الى مغانم لتاخذوها** يعني غنائم
خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير
قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر
وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة
حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا **ذرونا نتبعكم** يعني الى
خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان تكذيب المتخلفين عن
الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لهم هناك

بسبب ذلك

طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة
يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا
مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة
وهذا قول جمهور المفسرين • وقال مقاتل يعني امر الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احدا الى خيبر وقال
ابن زيد هو قول الله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني
الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة
خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل
تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيا بل
كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم
وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله
قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم
قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبايل متشعبة وكان
فيهم من يرجى توبته وخيره • بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا
عليه فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي
باس شديد فان اطاعوا كانوا من المومنين ويوتيهم الله اجرا حسنا
وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين
ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله ستدعون
الى قوم اولي باس شديد من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل
فارس • وقال كعب هم الروم • وقال الحسن هم فارس والروم • وقال
سعيد بن جبير هوازن وثقيف • وقال قتادة هوازن وغطفان
يوم حنين • وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة هم اهل اليمامة اصحاب
مسيلمة الكذاب • وقال رافع بن خديج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم
من هم حتى دعى ابوبكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم • وقال ابن
جريج دعاهم الى قتال فارس • وقال ابو هريرة لم يات تاويل هذه
الاية بعد واقوى هذه الاقوال من قال انهم هوازن والثقيف لان
الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعده قول من قال انهم
بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول
هو ان العرب كان قد ظهر امرهم في اخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه
وسلم فلم يبق الا مومن تقي طاهر او كافر مجاهر • واما المنافقون فكان
قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان
الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار

وكانت

وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر
النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا
البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم **فان قيل** هذا ممتنع
لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال
لن تخرجوا معي ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النفي **الوجه** الثاني
قوله اولي باس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم
اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول
الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن
تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة
وهذا القيد لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا
يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم **الوجه**
الثاني في الجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن
تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد
بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه
وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معه او منعهم من الخروج الى الجهاد معه
لامتنع ابوبكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا
من اخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها
واما **الجواب** عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له
حرب مع قوم اولي باس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش
وغيرهم من العرب وهم اولوا باس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعي
للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم • واما قول من قال ان ابابكر
دعاهم الى قتال بني حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال
فارس والروم فظاهر من الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله وعد
على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار • وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون
فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام او القتل فان تطيعوا
يوتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد كما
توليتم من قبل يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما يعني النار ولما
نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله
فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد
لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على
العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج
والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض

صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر
والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار
اخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج
اليه في مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض
الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على
الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره
بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج
على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن
قريب **ومن يطع الله ورسوله** يعني في امر الجهاد وغيره **يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول** يعني يعرض عن الطاعة
ويستمر على الكفر والنفاق **يعذبه عذابا اليما** يعني في الآخرة قوله
عز وجل **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك** يعني بالحديبية
على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا **تحت الشجرة** وكانت هذه الشجرة سمرة
ق عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون
فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال
سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام
المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك
وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لقد رايت الشجرة ثم
اتيتها بعد عام فلم اعرفها • وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان
ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم يقول
هاهنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة **خ** عن ابن عمر قال
رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا
تحتها وكانت رحمة من الله **م** عن ابي الزبير انه سمع جابرا يسال كم
كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده
تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى
تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه
على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت **ق** عن عمرو بن دينار قال
سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت

ابصر

ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة • وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة
مائة **ق** عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة
وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه
الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحاق عن اهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعي حين نزل
الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ
اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا
قتله فمنعهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف على نفسي قريشا وليس
بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي
عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى سفيان واشراف قريش يخبرهم
انه لم يات لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى
مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها
فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ
من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت
فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان
تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل
ابن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر
وقد تقدم الجمع ايضا بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه
على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له
ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين
حضرها الا جد بن قيس اخو بني سلمة قال جابر فكاني انظر اليه لاصقا
بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الذي ذكر من امر عثمان باطل **م** عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن

جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل الجنة من بايع تحت الشجرة
الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى
فعلم ما في قلوبهم يعني من الصدق والاخلاص والوفا كما علم ما في
قلوب المنافقين من المرض والنفاق فانزل السكينة عليهم
يعني الطمانينة عليهم يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعو
على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الاية لطيفة وهي ان البيعة كانت
فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب
لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله
في الاية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل
الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت
الفا في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه تعالى علم ما في قلوبهم
من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم
ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعو
نك تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في
قلوبهم من الصدق واشارة الى الرضى لم يكن عند المبايعة التي
عندها فعلم الله بصدقهم والفا في قوله فانزل الله السكينة ه
للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل السكينة
عليهم وقوله تعالى واثابهم فتحا قريبا يعني خيبر ومغانم كثيرة
ياخذونها يعني اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخل وعقار
واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا
يعني منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم حكيما حيث حكم لكم
بالغنايم ولاعدايكم بالهلاك على ايديكم قوله تعالى وعدكم الله
مغانم كثيرة تاخذونها يعني المغانم التي تغنموها من الفتوحات
التي تفتح لهم الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه
اشارة الى كثرة الفتوحات والغنايم التي يعطيهم الله عز وجل في
المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في
جنب ما وعدكم الله به من الغنايم كالقليل من الكثير وكف ايدي
الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر
وحاصر اهلها همت قبايل من بني اسد وغطفان ان يغيروا على
عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم
بالقا الرعب في قلوبهم وقيل ان الله كف ايدي اهل مكة بالصلح
عنكم لتمام المنة عليكم ولتكون اية للمومنين هو عطف على ما تقدم

تقديره

تقديره فعجل لكم المغانم لتنتفعوا بها ولتكون اية للمؤمنين يعني
وليحصل لمن بعدكم اية للمؤمنين دلالة تدلهم على ان ما وهبكم الله يحصل
مثله لهم وقيل ولتكون اية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى
الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم
ويعلموا ان الله هو المتولي وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ويهديكم
صراطا مستقيما يعني ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم عليه
ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

ذكر غزوة خيبر

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع
من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج
الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع ق عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فان سمع
اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما
انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي
طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا
الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم قال
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين
م عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا • فثبت الاقدام ان لاقينا
وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال
غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل
له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب
يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر اني مرحب • شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب • قال وبرز له عمي عامر فقال
قد علمت خيبر اني عامر • شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب
عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه
قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون
بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي

فقلت يرسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك
بل اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية
رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت
به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبصق في عينيه فبرا واعطاه الراية وخرج مرحب فقال

• قد علمت خيبر اني مرحب • شاكي السلاح بطل مجرب
• اذا الحروب اقبلت تلهب • فقال علي •
• انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره
اوفيهم بالصاع كيل السندره •

قال فضرب مرحب فقتله ثم كان
الفتح على يده اخرجه مسلم بهذا اللفظ • وقد اخرج البخاري طرفا
منه قال البغوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن
سعد وانس وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس
فاخذ ابو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا
شديدا وهو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية
وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى مدينة خيبر
فخرج مرحبا صاحب الحصن وعلى راسه مغفر من حجر قد نقبه مثل
البيضة وهو يرتجز فخرج اليه علي بن ابي طالب فضربه فقد الحجر
والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف في الاضراس ثم خرج بعد
مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت امه
صفية بنت عبد المطلب ايقتل ابني يرسول الله قال بل ابنك يقتله
ان شا الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية
ويحوز الاموال • قال محمد بن اسحاق فكان اول حصونهم افتتح
حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا
فقتله ثم فتح القموص حصن ابن ابي الحقيق فاصاب منه سبايا منهم
صفية بنت حيي بن اخطب جاءها بلال وباخرى معها فمر بهما على
قتلى من قتلى يهود فلما راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها
وحثت التراب على راسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها

رداه

رداه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها
لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما راى من تلك
اليهودية ما راي انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على
قتلى رجالهما وكانت صفية قد رات في المنام وهي عروس بكنانة بن
الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها
قال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت
منها عينها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها
فسالها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر واتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فساله فجحد
ان يكون يعلم مكانه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت كنانة يطيف بهذه
الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارايت
ان وجدناه عندك اقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم ساله ما بقي فابى ان يوديه
اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام ان
يعذبه حتى يستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى
اشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن
مسلمة ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر
فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه
وسلم في زقاق خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله
صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى نبي الله
في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر
الازار عن فخذه حتى اني انظر بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما
دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء
صباح المنذرين قالها ثلاثا • قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد
والخميس يعني الجيش فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا
نبي الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية
بنت حيي بن اخطب فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير
لا تصلح الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه
وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله
عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها

اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها
له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسًا فقال من كان
عنده شي فليجي به وبسط نطعا فجعل الرجل ياتي بالتمر قال واحسبه
يذكر السويق قال فحاسوا حيسًا فكانت وليمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي
خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت
بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا
القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيا فقال اناس انما نهى عنها لانها
لم تخمس • وقال اخرون نهى عنها البتة ق عن انس ان امراة يهودية
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجي بها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك
فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال
لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد
ابن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عايشة كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عايشة
ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت
انقطاع ابهري من ذلك السم خ عن عايشة قالت لما فتحت خيبر
قلنا الان نشبع من التمر ق عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى
من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على
خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم
نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على
ذلك ما شينا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيما واريحا
قال محمد بن اسحاق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه
ان يحقن دماهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان اهل
خيبر سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف
نفعل على انا اذا شينا اخرجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت
خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية
شاة مصلية يعني مشوية وسالت اي عضو من الشاة احب الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت ساير
الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه رسول الله صلى الله عليه
وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه
بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه
مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت
بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا
منه وان كان نبيا فيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومات بشر في مرضه الذي توفي فيه فقال يا ام بشر ما زالت
اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري
فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدًا
مع ما اكرمه الله من النبوة • عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنايمهم
من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنايمهم فجا رجل فقال
يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربح احد من اهل هذا الوادي
قال ويحك وما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت
ثلثماية اوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيك
بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة اخرجه
ابو داود قوله تعالى **واخرى لم تقدروا عليها** يعني وعدكم الله فتح
بلدة اخرى لم تقدروا عليها **قد احاط الله بها** يعني حفظها لكم
حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس
علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم
وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا
لهم حتى اقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه • وقيل هي خيبر
وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا
يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة • وقيل هو كل فتح فتحه
المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان **وكان الله على كل شي قديرا**
اي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك **ولو قاتلكم الذين كفروا**
يعني اسد وغطفان واهل خيبر **لولوا الادبار** اي لانهزموا عنكم
ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر
له ولا مساعد **سنة الله التي قد خلت من قبل** يعني هذه سنة
الله في نصر اوليايه وقهر اعدايه **ولن تجد لسنة الله تبديلا** قوله

عز وجل **وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم** سبب نزول هذه
الاية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين
يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم
فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد
ان اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم • وقال عبد الله بن مغفل المزني
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله
في القران وعلى ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره
وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله
عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا
اللهم لا فخلى سبيلهم • ومعنى الاية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين
الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم
من الفتح وهو قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم يعني ايدي اهل مكة
وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم بالمكافاة والمحاجزة **ببطن مكة**
قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة **من بعد ان اظفركم
عليهم** اي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم **وكان الله بما تعملون بصيرا** قوله
عز وجل **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام** ذكر صلح
الحديبية روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة
ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع
عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه
سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر
فلما اتى ذي الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث
عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتى عتبة الخزاعي وقال
ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي
ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هولاء الذين عاونوهم فنصيبهم
فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله او ترون
ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله
انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له

فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا
لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له قال امضوا على اسم
الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم
في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى
اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته
فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصوى فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما خلات القصوى وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها
حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعوني قريش اليوم الى
خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها
ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على
ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا
الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته
واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سايق بدن
النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير فغرزه في جوفه فوالله
ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء
بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب
ابن لوي نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم
مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم
الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس
فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم
ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي
ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى
اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول
قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا
ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذووا الراي منهم هات ما سمعته يقول
قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى
قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم
تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم باهلي
وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم

خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا آتيه فاتاه فجعل يكلم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله نحوا من قوله لبديل فقال
عروة بعد ذلك يا محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت
باحد من العرب احتاج اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله
لارى وجوها واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك
فقال له ابو بكر الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه
فقال من ذا قالوا ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت
لك عندي ولم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله
عليه وسلم فلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى
عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده
بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال
اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما في
الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جا فاسلم فقال النبي صلى الله
وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شي ثم ان عروة
جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله
ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل
منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرا بتدروا امره واذا توضا
كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما
يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه وقال اي قوم
اي والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي
والله ان رايت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله
ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده
واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه
واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له
وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني
آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون
البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما
راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهولاء ان يصدوا عن البيت
فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما
ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ

سيد

سيد الاحابيش فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا
من قوم يتالهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي
يسيل اليه من عرض الوادي في قلائده قد اكل اوباره من طول
الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظاما لما راى فقال يا معشر قريش اني قد رايت ما لا يحل صد
الهدي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا
له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند
ذلك وقال يا معشر قريش ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدنا
ايصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده
لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل
رجل واحد فقالوا امه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى
به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فلما
اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر
فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن
عمرو وقال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جا سهيل قال النبي
صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في
حديثه فجا سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل
اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت
تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب
هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول
الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن
عبد الله • قال الزهري وذلك لقوله لا يسالوني خطة يعظمون فيها
حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن
عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر
سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل
والله لا يتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام
المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على
دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين
وقد جا مسلما • وروي عن البراء في قصة الفتح وفيه قالوا انك رسول

كم •

كي •

الله ما منعناك شيا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله
وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبي صلى الله
عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد
الله قال البرا على ثلاثة اشيا على ان من اتاه من المشركين
رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل
ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والترس
ونحوه • وروى ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله
عليه وسلم فاشترطوا ان من جانا منكم لم نرده عليكم ومن جاكم منا
رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب
منا اليهم فابعده الله ومن جانا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا

رجعنا الى حديث الزهري

قال بينما هم كذلك اذ جا
ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد انفلت وخرج من اسفل
مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول
من اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم
نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شي ابدا قال النبي
صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى قال
فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش قال
ابو جندل اي معشر المسلمين أُرَدُّ الى المشركين وقد جيت مسلما الا
ترون ما لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله وفي الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل
لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا
وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر ووثب عمر يمشي الى جنب ابي
جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب
ويدني قايم السيف منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن
الرجل بابيه وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا
وهم لا يشكون في الفتح لرويا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكوا وزاد ابو
جندل سوالي ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يوميذ
قال فلما راوا ذلك قال الزهري في حديثه عن مروان والمسور ورواه
ابو وايل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت فلم نعطي

الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري
قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك
انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ونطوف به قال فاتيت ابا بكر
فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلنا السنا على الحق
وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال
ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك
بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انا سناتي
البيت ونطوف به قال بلى افاخبرك انك تاتيه العام قلت لا
قال فانك اتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما
فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك
ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي
من الناس قالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا
منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا
منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك قاموا
فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن
عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين
قالوا يا رسول فلم ظاهرت الرحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم
يشكوا قال ابن عمر وذلك انهم تربصوا انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف
بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية في هديه جملا لابي جهل في راسه برة من فضة ليغيظ المشركين
بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاه نسوة مومنات فانزل الله عز
وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاكم المومنات مهاجرات حتى بلغ بعصم
الكوافر فطلق عمر يوميذ امراتين كانتا في الشرك وتزوج احداهما معوية
ابن ابي سفين والاخرى صفوان بن امية قال فنهاهم ان يردوا النسا وامر
برد الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاه
ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة
فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريك الثقفي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعثنا في طلبه رجلا من بني عامر بن لوي ومعه
مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي
جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد
اعطينا هولاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله

تعالى جاعل لك وللمستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا
به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد
الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله
انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارنى انظر اليه فاخذه
منه فضربه به حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى
النبي صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبي
وانى لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى
وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوفى الله ذمتك
قد رددتني اليهم ثم انجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل
امه مسعر الحرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم
فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل امه مسعر الحرب لو كان
معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل بن سهيل فلحق بابي
بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير
خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسل
قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز
وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية
وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم
وحالوا بينه وبين البيت الحديث اخرجه البخاري بطوله سوى
الفاظ منه وهي مستثناه في الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته
واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالري ومنها
قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا
بما نرضى به • ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى
ان يخلوا بيننا وبين البيت • ومنها قوله وروى عن البرا قصة الصلح الى قوله
رجعنا الى حديث الزهري • ومنها قوله في الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يا ابا جندل الى قوله قال عمر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت الست نبي الله • ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله
وقال الزهري في حديثه ثم جا نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم
يخرجها البخاري في صحيحه • **شرح غريب الفاظ الحديث**
قوله في بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين
الثلاث الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة • قوله
وبعث عينا له اي جاسوسا • قوله وقد جمعوا لك الاحابيش اي

احيا

احيا من القارة انضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفا
قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق
من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك • وقيل
هو اسم واد باسفل مكة • وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع
قوله فان قعدوا قعدوا موتورين اي متوجعين • قوله فتنفذوا
اي مضوا وخلصوا • قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع وقيل
كراع الغميم طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ه
ليطلعوا على اخبار العدو • قوله قترة الجيش هو الغبار الساطع
مع سواد • قوله يركض نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث
قوله حل حل هو زجر للناقة • قوله خلات القصوى يعني انها لما
توقفت عن المشي وتهورت ظنوا ان ذلك خلقا في خلقها وهو كالحران
للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات اي ليس ذلك من
خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اي منعها عن السير الذي منع
الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوى اسم ناقة النبي صلى الله
عليه وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الاذن • قوله خطة اي حالة
وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروض وما يجب
القيام بها يريد ان حرمة الحرم ونحوه • قوله حتى نزل باقصى
الحديبية بتخفيف اليا وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة
سميت ببير هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة
بينها وبين المدينة تسع مراحل قال مالك وهي من الحرم وقال
ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الما القليل الذي
لا مادة له والتربض اخذ الشي قليلا • قوله فما زال يجيش بالري
يقال جاشت البير بالما اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش
والصدر الورود بعد الورود • قوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع
سره وثقته في ذلك • قوله نزلوا اعداد مياه الحديبية الما العد
الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد • قوله ومعهم
العوذ المطافيل جمع عايذ وهي الناقة اذا وضعت الى ان يقوى
ولدها وقيل هي كل انثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع
مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وهذا استعارة استعار
ذلك للناس واراد به ان معهم النسا والصبيان • قوله وان قريشا
قد نهكتهم الحرب اي اضرت بهم واثرت فيهم • وقوله ماددتهم اي جعلت
بيني وبينهم مدة • قوله والا فقد جموا اي استراحوا والجمام بالجيم

الراحة بعد التعب • قوله بعد تنفذ نسا لغتين المسالفة الصفحة
والسالفتان صفحتا العنق • وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق
الذي بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه
الا بالموت • قوله اي استنفرت يقال استنفر القوم اي دعاهم الى
قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة وقوله
بلحوا على بنه لغتان التخفيف والتشديد واصله الاعيا والفتور
والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم • قوله استاصلت
قومك واحتاج اصله من الاحتياج ايقاع المكروه بالانسان
ومنه الجائحة والاستيصال والاجتياح متقاربان في اللغة الاذى
قوله اي لا ارى وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط
من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك اي جدير ولا يبعد ذلك
عن تخلفه • قوله امصص بظر اللات هو اسم صنم كانوا يعبدونه
والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي تكون في فرج
المراة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في السنتهم • قوله لولا يد لك
عندي اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره • قوله اي غدر معدول
من غادر وهو المبالغة • قوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة
رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب
منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة • قوله وهم من قوم يعظمون
البدن اي الابل تهدى الى البيت في حج او عمرة وتقليدها هو ان يجعل
في رقابها شئ كالقلادة من الشجر او نعل او غيره يعلم بذلك انه هدى
والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه قوله
فلما راى الهدى يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي
اي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل
انبعاث في شئ نحو فجور • قوله هذا اما قاضى عليه اي فاعل من القضا
وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة على وجوه مرجعها الى
انقطاع الشئ واتمامه • قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق
قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف البا ويروى
بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعا من ادم شبه الجراب يوضع
فيه السيف مغمودا ويعلق في موخرة الرحل • قوله يرسف بضم
السين وكسرها لغتان وهي مشي المقيد • قوله فاجزه لي قال ابن الاثير
يجوز ان يكون بالزا اي من الاجازة اي اجعله جايزا غير ممنوع ولا محرم
او اطلقه لي وان كان بالرا المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ
وكلاهما صالح في هذا الموضع • قوله فلم نعط الدنية اي القضية

التي لا نرضى بها ولا نريد اي لم نرض بالادون والاقل في ديننا قوله
فاستمسك بغرزه الغرز ركاب الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى
فاستمسك به لا تفارقه ساعة كما لا يفارق رجل الراكب قوله
غرزه جله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه
كلمة تقال للواقع فيما يكرهه ويتعجب بها ايضا ومسعر الحرب اي
موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها والسعر
الذي توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله
والله اعلم • واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني
كفار مكة وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام اي ان تطوفوا به
والهدي اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا اي محبوسا ان يبلغ محله
اي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
يعني المستضعفين بمكة لم تعلموهم اي لم تعرفوهم ان تطؤهم
بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل غرم
الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله عز وجل اوجب القتل على قاتل
المومن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل ان المشر
يعيبونهم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا ان
تطؤا رجالا مومنين ونساء مومنات لا تعلمونهم فيلزمكم بهم كفارة
او سبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه
حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب ليدخل الله في رحمته اي في دين
الاسلام من يشاء اي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها لو
تزيلوا اي تميزوا عن المومنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا اليما اي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين
احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا اي تميزوا ثم قال ليدخل الله في
رحمته من يشاء يعني المومنين والمومنات في رحمته اي جنته قال
قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع بالمومنين عن الكفار كما دفع
المستضعفين من المومنين من مشركي مكة قوله تعالى اذ جعل الذين
كفروا في قلوبهم الحمية اي الانفة والغضب وذلك حين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدى
محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول
الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون
علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فتحدث العرب
انهم دخلوا علينا على رغم انافنا واللات والعزى لا يدخلونها

علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المومنين حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية
فيعصوا الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس واكثر
المفسرين كلمة التقوى لا اله الا الله وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال
الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا احق بها اي من كفار مكة
واهلها اي كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة
نبيه صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شيء
عليما يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى
لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق سبب نزول هذه الاية سبب
نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى في المنام وهو
بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه
امنين ويحلقوا روسهم فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم
داخلون مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك
فقال المنافقون اين روياه التي راى فانزل الله هذه الاية ودخلوا
في العام المقبل • وروى مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا
الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا
الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال اوحي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله
عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا
انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر هو فتح يا رسول الله قال نعم
والذي نفسي بيده ففيه دليل ان المراد بالفتح هو صلح الحديبية وتحقيق
الرويا كان في العام المقبل • وقوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق
اخبر ان الرويا التي اراها اياه في مخرجه الى الحديبية ان يدخل هو واصحابه
المسجد حق وصدق بالحق اي الذي راه حقا وصدقا • وقيل يجوز ان يكون
بالحق قسما فان الحق من اسما الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد
الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن روياه فاخبر الله عن رسوله
صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك ان شا الله امنين قيل انما استثنى
مع علمه بدخولها تعليما لعباده الادب وتاكيد القول لقوله ولا تقولن لشي اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه ان شاء الله
وقيل لم يقع الدخول عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول
ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا يفوتكم وارادتكم ولكن

بمشية

بمشية الله تعالى وقيل الاستثنا واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول
لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون
مع انه لا يشك في الموت محلقين روسكم اي كلها ومقصرين اي
تاخذون بعض شعوركم لا تخافون من عدو في رجوعكم لان قوله
امنين اي في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون ليرجع
الى كمال الامن بعد الاحرام في حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني علم
ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكون ذلك سبب لوطي
المومنين والمومنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا
انتم فظننتم انه في السنة الاولى فجعل من دون ذلك اي من قبل دخول
الحرم فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر
وقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه
بيان وقوع الحق بالفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى ليظهره على
الدين كله اي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها
دونه وكفى بالله شهيدا اي في انه رسول الله وفيه تسلية لقلوب
المومنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما
صددناه عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسول الله
ثم قال تعالى محمد رسول الله اي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في
قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال
تعالى والذين معه يعني اصحاب المومنون اشدا على الكفار اي غلاظ
اقويا كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رحمة رحما بينهم اي متعاطفون
متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال في حقهم اذلة على
المومنين اعزة على الكافرين قوله تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم
ومداومتهم عليها يبتغون اي يطلبون فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا
اي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص لله يطالب بطلب اجره
من الله تعالى والمرائي بعمله لا يبتغي له اجرا وذكر بعضهم في قوله والذين
معه يعني ابا بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء
بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون
فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم اي علامتهم في وجو
من اثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما ان المراد
به في يوم القيمة قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيمة
انهم سجدوا لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس • وقيل يكون مواضع
السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر • وقيل يبعثون غرا محجلين
يوم القيمة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم

مهم

استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت
الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذين ترون ولكنه
سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم
الخشوع والسمت الحسن يعرفون به • وقيل هو صفرة الوجه من
سهر الليل في الصلاة ويعرف ذلك في رجلين احدهما سهر الليل في
الصلاة والعبادة والاخر في اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق
بينهما فيظهر على وجه المصلي نورا وضيا وعلى وجه اللاعب ظلمة
وخبالا وقيل اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب
لا على الاثواب • قال عطا الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ
على الصلاة الخمس **ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل** يعني
ذلك الذي ذكر من صفتهم في التوراة وتم الكلام هنا ثم ابتدا بذكر
نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى ومثلهم اي صفتهم في الانجيل
كزرع اخرج شطاه اي وقيل هو نبت فما خرج بعده فهو شطا **فازره**
اي قواه واعانه وشد ازره **فاستغلظ فاستوى على سوقه** اي
غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي تم وتلاحق نباته وقام على
سوقه جمع ساق اي على اصوله **يعجب الزراع** اي يعجب ذلك الزرع
زراعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع كزرع هو محمد صلى الله عليه
وسلم والشطاء اصحابه والمومنون وقيل كزرع هو محمد صلى الله عليه
اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه
علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني جميع المومنين **ليغيظ بهم
الكفار** قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله
سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك
ابن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول صلى الله عليه
وسلم فقد اصابته هذه الاية **فصل في فضل الصحابة**
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **ق** عن عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم عن عايشة قالت سالت رجل النبي صلى الله عليه وسلم اي
الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث • قوله
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة من التابعين
وتابعيهم والقرن اهل كل زمان قيل هو اربعون سنة • وقيل ثمانون
وقيل مائة سنة • عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة • وعمر بن الخطاب في الجنة • وعثمان بن
عفان في الجنة • وعلي بن ابي طالب في الجنة • وطلحة في الجنة •
والزبير في الجنة • وعبد الرحمن بن عوف في الجنة • وسعد بن ابي
وقاص في الجنة • وسعيد بن زيد في الجنة • وابو عبيدة في الجنة •
اخرجه الترمذي واخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح
من الحديث الاول • عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر • واشدهم
حياء عثمان • واقضاهم علي • واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن
جبل • وافرضهم زيد بن ثابت • واقروهم ابي بن كعب ولكل قوم
امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح • ولا اظلت الخضرا
ولا اقلت الغبرا اصدق لهجة من ابي ذر اشبه عيسى في ورعه قال
عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي مفرقا
في موضعين احدهما الى قوله ابو عبيدة بن الجراح والاخر عن ابي ذر
خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر
وعثمان فرجف بهم فقال اثبت احد اراه ضربه برجله فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان • عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اقتدوا بالذين من بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر
واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **ق** عن عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل
قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عايشة قلت من
الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا عن
علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار
واعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق
وماله من صديق • رحم الله عثمان تستحي منه الملايكة • رحم الله عليا
اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب **م** عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة
وبرا النسمة انه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم الامي انه لا يحبني الا
مومن ولا يبغضني الا منافق • عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت من اصحابي
بارض الا بعث قايدا ونورا لهم يوم القيمة اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابي برده مرسل وهو اصح **ق**

عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه • وعن ابي هريرة نحوه اخرجه مسلم
عن عبد الله بن معقل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى **وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم** لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض
كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله
الذين امنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني الشطء لا على
لفظه ولذلك لم يقل منه **مغفرة واجرا عظيما** يعني الجنة وقيل ان
المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل
الصالح والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

تفسير سورة الحجرات مدنية

وهي ثمانية عشرة اية وثلثمائة وثلاثة واربعون كلمة والف واربعمائة
وستة وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**
من التقدم اي لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا
فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي الله امر
الله ورسوله ولا نهيه • وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله
عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او
فعل قبل ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم او قبل ان يفعل
وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة • واختلفوا في معنى الاية
فروي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى ان لا تذبحوا قبل ان يذبح
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل ان يذبح النبي
صلى الله عليه وسلم فامروا ان يعيدوا الذبح ق عن البراء بن عازب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدأ به في يومنا
هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن
ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء زاد
الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر
وذكر الحديث • وروي عن عائشة انه في النهي عن صوم يوم الشك

سبب م

اي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي
يشك فيه فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في نزول هذه الاية
ما روي عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة
وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي
وقال عمر ما اردت خلافك قال فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما
فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت
الاية في ناس كانوا يقولون لو نزل كذا في او صنع كذا وكذا فكره
الله ذلك • وقيل في معنى الاية لا تقضوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا حتى يقضيه الله على لسانه • وقيل في القتال
وشرائع الدين لا تقضوا امرا دون الله ورسوله **واتقوا الله** اي
في تضييع حقه بمخالفة امره **ان الله سميع** اي لاقوالكم **عليم** اي
بافعالكم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي** اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله
عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة
الاحتشام وترك الاحترام • وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله
لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض** امرهم ان يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم
عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقول
يا رسول الله يا نبي الله **ان تحبط اعمالكم** اي لئلا تحبط حسناتكم **وانتم
لا تشعرون** اي بذلك ق عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه
الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس
عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد
ابن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شأن ثابت ايشتكي فقال سعد انه
لجاري وما علمت له بشكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم
اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من
اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا

نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم والبخاري نحوه
وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به
عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف
ان تكون انزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه
وسلم اخاف ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكا فاتى امراته جميلة
بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي
على الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى
عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فاتى عاصم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فادعه فجا عاصم الى المكان الذي
راه فيه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فخرج
فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون
هذه الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى
ان تعيش حميدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فكنا ننظر
الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب
مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طايفة
منهم قال اف لهولاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل
اعدا الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا
وقاتلا حتى قتل واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة
بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع
درعي فذهب به وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيلته وقد
وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي
وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا
حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد
الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر
بتلك الرويا فاجاز ابو بكر وصيته • قال مالك بن انس لا اعلم
وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه • قال ابو هريرة وابن
عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا كاخي السرار • وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث
عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم

كلامه

كلامه حتى يستفهمه بما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له وتعظيما اوليك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار
ليخرج خالصه لهم مغفرة واجر عظيم **قوله عز وجل** ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات قال ابن عباس بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري
فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم
بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه بعد ذلك رجالهم يفدون
الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم يبكون
وكان لكل امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فجعلوا
ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد
اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا
فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة
ابن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد
وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادوا نصفهم
واعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى
نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى
الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر
على حالته وهم الاكثر ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم فيه بيان لحسن
الادب وهو خلاف ما جاوا به من سوء الادب وطلب العجلة في
الخروج لكان خيرا لهم اي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم
بلا فدا وقال لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى
الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من اعراب تميم وكان
فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا
على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جات بنو تميم فنادوا على الباب
فقالوا يا محمد اخرج علينا مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه
شين قالوا نحن ناس من تميم جينا بشاعرنا وخطيبنا جينا نشاعرك
ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت
ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان
خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه وقام شاعرهم
فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اجبه فاجابه
فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمد المؤتى له تكلم خطيبنا وتكلم
شاعرنا وكان شاعرهم احسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم
عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر
اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الى قوله والله
غفور رحيم اى لمن تاب منهم قال زيد بن الارقم جاناس من العرب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى
هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش
في جناحه فجاوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الاية
قوله تعالى يايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا الاية
نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في
الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من
الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بني المصطلق قد
منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه
ونكرمه ونؤدي له ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا
انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا
وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكره وامره
ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رايت ما يدل على ايمانهم
فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار
ففعل ذلك خالد فوافاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشا فاخذ
منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى يايها الذين امنوا
ان جاكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وهو عام نزلت لبيان التثبت
وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اولى من حمل الاية على رجل بعينه
لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم
فاخطا فعلى هذا يكون معنى الاية ان جاكم فاسق بنبا اى بخبر فتبينوا
وقرئ فتثبتوا اى فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة
ولا تعتمدوا على قول الفاسق ان تصيبوا اى كيلا تصيبوا بالقتل
والسبي قوما بجهالة اى جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا
على ما فعلتم اى من اصابتكم بالخطا نادمين واعلموا ان فيكم
رسول الله اى فاتقوا الله ان تقولوا باطلا فان الله يخبره ويعرفه
حالكم فتفتضحوا لو يطيعكم اى الرسول في كثير من الامر اى تخبرونه
به فيحكم برايكم لعنتم اى لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري انه
قرا واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال
هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا
فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
ولكن الله حبب اليكم الايمان اى جعله احب الاديان اليكم وزينه
اى حسنه وقربه وادخله في قلوبكم حتى اخترتموه لان من احب شيا
اذا طال عليه قد يسام منه والايمان في كل يوم قد يزداد في القلب
حسنا وثباتا ولذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره
اليكم الكفر والفسوق قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع
معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه
الثلاثة اشيا في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب والمحبب
اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان
واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر وهو الكذب
في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المومن الكذب وهو الجحود
وحبب اليه الاقرار باللسان بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله
والعصيان جعله في مقابلة العمل بالاركان ثم قال تعالى اوليك
هم الراشدون اشارة الى المومنين المحبب اليهم الايمان المزين في
قلوبهم اى اوليك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق
فضلا من الله اى فعل ذلك بهم فضلا منه ونعمة عليكم والله عليم
اى بكم وبما في قلوبكم حكيم في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في
خزاينه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير
بقدر الحاجة على وفق الحكم قوله عز وجل وان طايفتان من المومنين

استكلوه ق عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت
عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا
وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي
صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك
فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب
لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال
فبلغنا انها نزلت فيهم وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما ويروى انها لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض ق عن اسامة بن زيد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركب على اكاف تحته قطيفة فدكية واردف
اسامة بن زيد وراه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج
قبل وقعة بدر فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول
واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود
وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيه المجلس عجاجة الدابة
خمر عبد الله بن ابي انفه بردايه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى
وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها المرء انه لا
احسن مما تقول ان كان حقا فلا توذنا به في مجالسنا وارجع الى
رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول
الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون
حتى كادوا يتشاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى
سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر الحديث
وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق
بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة بكثرة عشيرته
وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه
فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال
ولم يكن قتال بالسيوف • وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها
ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شي فرقي بها الى علية
تحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاوا وجا قومه فاقتتلوا بالايدي
والنعال فانزل الله عز وجل وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
قيل المراد من الطايفتين الاوس والخزرج فاصلحوا بينهما اي
بالدعا الى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما فان بغت اي

تعدت احداهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله فان فاءت اي رجعت الى الحق
فاصلحوا بينهما بالعدل اي الذي يحملها على الانصاف والرضى
بحكم الله واقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين
انما المومنون اخوة اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان قد
عقد بين اهله من النسب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان
بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم
• ابي الاسلام لا اب لي سواه • اذا افتخروا بقيس او تميم •
فاصلحوا بين اخويكم اي اذا اختلفا واقتتلا واتقوا الله اي فلا
تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن
كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة
فرج الله بها كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله

فصل في حكم قتال البغاة

قال العلما في هاتين
الايتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم
اخوة مومنين مع انهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن ابي طالب
وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سيل عن اهل الجمل وصفين
امشركون هم فقال لا لانهم من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال
لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا
بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا
اجتمعت طايفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل
بتاويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام
ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا
مظلمة واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيوا الى طاعته
ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف
على جريحهم نادى منادي يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير
ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وغير
قتله وتتميمه واتي علي يوم صفين باسير فقال لا اقتلنك صبرا اني
اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطايفتين على الاخرى
في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليهم • قال ابن شهاب
كانت في تلك وما يعرف بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها
اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم
فما رايته اقتص من احد ولا اغرم مالا اماما من لم يجتمع فيه هذه

الشروط الثلاثة فان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن لهم
تاويل ولم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا
ولم يتعرضوا للمسلمين وان لم يفعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق
في الحكم • وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم
الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا
نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت
ايديكم مع ايدينا ولا نبدؤكم بقتال • قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم** الاية نزلت في ثلاثة اسباب السبب الاول
من اوله الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى
يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته
ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من
الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع
احد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما
فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى
انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال
له تفسح فقال له اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا
فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان
قال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس
الرجل راسه واستحيى فانزل الله هذه الاية • وقال الضحاك نزلت
في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم
مولى حذيفة لما راوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه
ذنبه بمن لم يستره ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله
عند الله خير منه قوله تعالى **عسى ان يكونوا خيرا منهم** السبب الثاني
قوله تعالى **ولا نساء من نساء** اي لا يستهزئ نساء من نساء **عسى ان يكن
خيرا منهن** روي عن انس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية حين
قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين
عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي
حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي
وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتق الله يا حفصة
اخرجه الترمذي • وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث
قوله تعالى **ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب** عن ابي جبيرة
ابن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت
هذه الاية بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
منا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا
الاسم فانزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان اخرجه ابو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون
له اسمان او ثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه
الاية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن • قوله
تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم
على بعض والمراد بالانفس الاخوان منا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم
من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب لاحد يعيب فكانه عاب
نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك
على عيبه فكانه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يدعو
الانسان بغير ما سمي به • قال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون
الرجل عمل السيات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله وقيل
هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي
والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن
ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير • قال العلماء المراد
بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى فاما الالقاب التي صارت كالاعلام
لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا باس به اذا لم يكرهها
المدعو به • واما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا
فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين
ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك **بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان** اي بئس الاسم ان تقولوا له يا يهودي او يا نصراني بعد ما اسلم
او يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهي عنه من السخرية
واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا
ذلك فتستحقوا اسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا
اسم الفسوق **ومن لم يتب** اي من ذلك كله **فاولئك هم الظالمون**

اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلم من الذين قالوا
لهم ذلك **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من**
الظن قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا غزا وسافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين
موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من
الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره
فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيا لهما فلما
قدما قالا له ما صنعت شيا قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا انطلق
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده
فضل طعام وادام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال له ما عندي شي فرجع سلمان
اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى
طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بير
سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا
يومنا هذا لحما قال ظللتما تاكلان لحم اسامة وسلمان فانزل الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل
الخير سوا نهى الله المومن ان يظن باخيه المومن شرا وقيل هو ان يسمع
من اخيه المومن كلاما لا يريد به سوا او يدخل مدخلا لا يريد به سوا
فيراه اخوه المومن فيظن به سوا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة
قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا
ويكون الراي مخطيا فاما اهل السوء والفسق المجاهرين بذلك
فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم **ان بعض الظن اثم** قال سفيان
الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس
باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور
به وهو حسن الظن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو حسن الظن
بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز
وجل وسوء الظن بالاخ المسلم **ولا تجسسوا** اي لا تبحثوا عن عيوب
الناس نهى الله عز وجل عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع
عوراتهم حتى يظهر على ما ستره الله منها **ق** عن ابي هريرة قال ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث
ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير الى صدره بحسب امرء
من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله
ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى
قلوبكم التجسس التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر
ومنه الجاسوس وبالحا هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما
واحد وهو طلب الاخبار **قوله** ولا تنافسوا اي لا ترغبوا فيما
يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال
النعمة عن صاحبها ولا تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه دبره
وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم
بلسانه ولم يفض الايمان على قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا
تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر عمر يوما
الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمومن اعظم حرمة عند
الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد
ابن وهب قال اتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا
فقال عبد الله قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شي ناخذ
به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيا موودة **ق** عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا
الا ستره الله يوم القيامة **ولا يغتب بعضكم بعضا** يعني لا يتناول
بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال ارايت ان كان في اخيه ما يقول
قال ان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم
عن عايشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية
كذا وكذا قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت
بما البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني
حكيت انسانا ولي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح قوله لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه

لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة قوله
تعالى **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** قال مجاهد لما
قيل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اى كما
كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غايبا فيل تاويله ان ذكرك من لم
يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر
بسوء كما يتالم جسمه اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم
يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى • وقوله لحم
لحم اخيه اكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه
وقوله ميتا ابلغ في الزجر • عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم
ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هولا يا جبريل قال هولاء
الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه ابو داود وقال
ميمون بن سياه بينا انا نايم اذا بجيفة زنجي وقايل يقول كل قلت يا
عبد الله ولم اكل قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه
خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب
احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده احدا **واتقوا الله** في امر الغيبة
واجتناب نواهيه **ان الله تواب رحيم** قوله عز وجل **يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى** قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن
شماس وقوله للرجل الذى يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم من الذاكر فلانة فقال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في
وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود
قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزل في ثابت هذه الاية ونزل
في الذى لم يفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا
الاية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا
حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله
الذي قبض ابي ولم ير هذا اليوم • وقال الحارث بن هشام اما وجد
محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا • وقال سهيل بن عمرو ان يكره الله
شيا يغيره • وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان يخبره رب السما
فنزل جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم
وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الاية زجرهم عن التفاخر
بالانساب والتكاثر بالاموال والازدرا يعني بالفقرا فقال يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوا والمعنى انكم متساوون
في النسب فلا تفاخروا البعض على بعض لكونكم ابنا رجل واحد وامراة

واحدة

واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموحدون
من اب وام فان كل واحد منا خلق كما خلق الاخر سوا فلا وجه للتفاخر
والتفاضل في النسب **وجعلناكم شعوبا** جمع شعب بفتح الشين وهو
روس القبايل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا
لتشعب القبايل منهم وقيل لتجمعهم **وقبايل** جمع قبيلة وهي دون
الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبايل العماير
واحدها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون
العماير البطون واحدها بطن كبني غالب ولوى من قريش ودون
البطون الافخاذ واحدها فخذ بفتح الفا وهم كبني هاشم وبني امية
من لوي ودون الافخاذ الفصايل واحدها فصيلة بالصاد المهملة
كبني العباس من هاشم ثم بعد ذلك العشاير واحدها عشيرة
وليس بعد العشيرة حي يوصف • وقيل الشعوب من العجم والاسباط
من بني اسرايل وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون
الى المداين والقرى والقبايل للعرب الذين ينتسبون الى اباىهم **لتعارفوا**
اى ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا لتفاخروا بالانساب
ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف
عند الله تعالى **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** قيل اكرم الكرم التقوى
والام اللوم الفجور قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة
التقوى • عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحسب المال والكرم التقوى اخرجه الترمذى وقال حديث
حسن صحيح غريب **ق** وعن ابى هريرة قال سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس
عن هذا نسال قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن خليل الله قالوا
ليس عن هذا نسال قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم
قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف
على المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان
بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدى الرجال ثم قام فخطبهم
فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذى اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها انما الناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي
هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال
اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم المحجن عصا محنية الراس كالصولجان
وقوله عبية الجاهلية وكبرها وفخرها **ان الله عليم** اى بظواهركم

يعلم السائكم **خبير** اى بسواطنكم لا يخفى عليه اسرار كم واجعلوا له
التقوى زادكم الى معادكم قيل المتقى هو العالم بالله المواظب لباب
المتقرب الى جنابه • وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهى
ويأتى بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق ان يرتكب
منهيا لا ييأس ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر توبة وندامة ومن
ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل
فليس بمتقى لان المتقى لم يترك ما امر به ويترك ما نهى عنه وهو مع
ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت
لحظة الى نفسه واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه
وجدد توبة جعلنا الله واياكم من المتقين قوله تعالى **قالت
الاعراب امنا** الاية نزلت فى نفر من بنى اسد بن خزيمة قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فاظهروا الاسلام
ولم يكونوا مؤمنين فى السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات
واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئنا
بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا
فانزل الله فيهم هذه الاية • وقيل فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى
سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون
امنا ليأمنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا
عنها فانزل الله قالت الاعراب امنا اى صدقنا **قل لم تؤمنوا** اى لم
تصدقوا بقلوبكم **ولكن قولوا اسلمنا** اى استسلمنا وانقدنا مخافة
القتل والسبى **ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** اخبر ان حقيقة الايمان
هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان
لا يكون ايمانا بالتصديق بالقلب والاخلاص **ق** عن سعد بن ابى وقاص
قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الى فقمت فقلت
ما لك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم او مسلما ذكر ذلك ثم قال لاعطى الرجل وغيره احب الى منه خشية
ان يكب فى النار على وجهه • زاد فى رواية قال الزهرى فنرى ان
الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدى اعلم ان الاسلام
هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة
على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام

أسلم

اسلم قال اسلمت لرب العالمين • ومنه ما هو انقياد باللسان دون
القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل
الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه
والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج عن ان يكون حربا للمسلمين مع
اظهار الشهادتين **فان قلت** المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة
فكيف يفهم ذلك مع هذا القول **قلت** بين العام والخاص فرق
فالايمان لا يحصل الا بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم
والايمان اخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا
غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود
فذلك المؤمن والمسلم وقوله تعالى **وان تطيعوا الله ورسوله** اى ظاهرا
وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان **لا يلتكم** اى لا
ينقصكم **من اعمالكم شيئا** اى من ثواب اعمالكم **ان الله غفور رحيم** ثم بين
حقيقة الايمان فقال تعالى **انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا** اى لم يشكوا فى دينهم **وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل
الله اولئك هم الصادقون** اى فى ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان
اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون انهم مؤمنون
صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله تعالى **قل اتعلمون الله
بدينكم** اى اتخبرون الله بدينكم الذى انتم عليه • **والله يعلم ما فى
السموات وما فى الارض** اى لا يخفى عليه خافية **والله بكل شئ عليم** اى لا
يحتاج الى اخباركم **يمنون عليك ان اسلموا** اى بقولهم اسلمنا ولم
نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بين بذلك
ان اسلامهم لم يكن خالصا **قل لا تمنوا على اسلامكم** اى لا تعتدوا على
باسلامكم **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان** اى لله المنة عليكم ان
ارشدكم وامدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم
وهو قوله تعالى **ان كنتم صادقين** اى انكم مؤمنين **ان الله يعلم غيب
السموات والارض** اى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ فى السموات
والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم **والله بصير
بما يعملون** اى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة ق مكية •

وهى خمس واربعون اية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة
وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله
عز وجل **ق** قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة • وقيل اسم
من اسماء الله • وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب

والتابعين والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو
وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا متصلة عروقه بالصخرة التي
عليها الارض والسما كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السما منه والعالم
داخله ولا يعلم ما وراه الا الله تعالى • وقيل هو من وراء الحجاب الذي
تغيب الشمس من ورايه بمسيرة سنة **والقران المجيد** اى الشريف
الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه
محذوف تقديره لتبعثن وقيل جواب بل عجبوا وقيل بلفظ من قول
وقيل قد علمنا **بل عجبوا ان جاهم منذر منهم** انكار لتعجبهم مما ليس
بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته
وامانته وصدقه **فقال الكافرون هذا شي عجيب** اى معجب غريب
ايذا متنا وكنا ترابا اى حين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث
لدلالة الكلام عليه **ذلك رجع بعيد** اى بعيد ان نبعث بعد الموت
قال الله تعالى **قد علمنا ما تنقص الارض منهم** اى ما تاكل الارض من لحومهم
ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شي **وعندنا** اى مع علمنا بذلك
كتاب حفيظ يعني محفوظ من التغيير والتبديل وقيل حفيظ بمعنى
حافظ اى حافظ لعددهم واسمايهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح
المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون **بل كذبوا بالحق** اى القران **لما جاهم**
قيل معناه كذبوا به لما جاهم وقيل كذبوا المنذر لما جاهم **فهم في امر
مريج** اى مختلط ملتبس معنى اختلاط امرهم هو قولهم للنبي صلى الله عليه
وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القران مرة
سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل
في هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما
ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظم قدرته فقال تعالى
افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها اى بغير عمد **وزيناها**
اى بالكواكب **وما لها من فروج** اى شقوق وصدوع **والارض مددناها**
اى بسطناها على وجه الما **والقينا فيها رواسي** اى جبالا ثوابت
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اى من كل صنف حسن كريم يبتهج به
اى يسر به **تبصرة** اى جعلنا ذلك تبصرة **وذكرى** اى تذكره **لكل عبد
منيب** اى راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب
ونزلنا من السما ما مباركا اى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شي وهو
المطر **فانبتنا به** اى بذلك الما **جنات** اى بساتين **وحب الحصيد**
يعني البر والشعير وساير الحبوب التي تحصد **والنخل باسقات**
اى طوالا وقيل مستويات **لها طلع** اى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا

فقيل

فقيل ان يتشقق **نضيد** اى متراكب بعضه على بعض في الكمامه فاذا
تشقق وخرج من الكمامه فليس بنضيد **رزقا للعباد** اي جعلنا ذلك
رزقا للعباد **واحيينا به** اى بالمطر **بلدة ميتا** فانبتنا فيها الكلا
والعشب **كذلك الخروج** اى من القبور احيا بعد الموت قوله تعالى
**كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان
لوط واصحاب الايكة** قيل كان لوط مرسلا الى طايفة من قوم ابراهيم
فلذلك قال واخوان لوط **وقوم تبع** وهو ابو كرب تبع الحميري وقد
تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه
هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم **كل كذب الرسل
فحق وعيد** اي كل هولا المذكورين كذبوا رسولهم فحق وعيد اي وجب
لهم عذابي وقيل فحق وعيد للرسل بالنصر **افعيينا بالخلق الاول**
هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا
فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا
البعث **بل هم في لبس** اى شك **من خلق جديد** وهو البعث قوله
عز وجل **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه** اي
ما يحدث به قلبه فلا تخفى عليه سرايره وضمايره **ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد** بيان لكمال علمه اى نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي
يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزا البدن وهو بين الحلقوم
والعلباوين ومعنى الاية ان اجزا الانسان وابعاضه يحجب بعضها
بعضا ولا يحجب عن علم الله شي • وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن
اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه
اذ يتلقى المتلقيان اى يتلقى الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه
فيكتبانه ويحفظانه عليه **عن اليمين وعن الشمال** يعني احدهما
عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب
الشمال يكتب السيات **قعيد** اى قاعد لان كل واحد منهما قعيد فاكتفى
بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح **ما يلفظ
من قول** اى ما يتكلم من كلام يخرج من فيه **الا لديه رقيب** اى حافظ
عتيد اى حاضر اينما كان سوى وقت الغايط وعند جماعه فانهما
يتاخران عنه فلا يجوز لاحد ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا
يوذي الملايكة بدنوهما منه وهو على ذلك الحال حتى يكتبان ما يتكلم
به وقيل انهما يكتبان عليه كل شي يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا
يكتبان الا ما له اجر وثواب وعليه وزر وعقاب • وقيل ان مجلسهما
تحت الشعر على الحنك • وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف عنفقته

ويروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابى امامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا
عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سية قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله
تعالى **وجاءت سكرة الموت** اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان ۵
وتغيب على عقله **بالحق** اى بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر
الاخرة حتى يتنبه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يوول اليه امر
الانسان من السعادة والشقاوة **ذلك ما كنت منه تحيد** اى يقال
لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى كنت تميل وقيل تهرب وقال ابن
عباس تكره **ونفخ في الصور** يعنى نفخة البعث **ذلك يوم الوعيد** اي
ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه **وجاءت** اى في ذلك
اليوم **كل نفس معها سايق** اى يسوقها الى المحشر **وشهيد** اى يشهد
عليها بما عملت قال ابن عباس السايق من الملايكة والشاهد من
انفسهم الايدى والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس
لقد كنت في غفلة من هذا اى من هذا اليوم في الدنيا وقيل ترى
ما كان محجوبا عنك وقيل تطرك الى الموكل لسان ميزانك حتى
تزن حسناتك وسياتك **وقال قرينه** يعنى الملك الموكل به **هذا ما
لدى عتيد** اى الذى عندى عتيد اى معد محضر وقيل يقول هذا الملك
الذي وكلتني به من ابن ادم قد احضرته واحضرت ديوان عمله **القيا
في جهنم** اى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا امر للسايق والشهيد
كل كفار اى شديد الكفر **عنيد مناع للخير معتد** اى ظالم لا يقر بتوحيد
الله **مريب** اى شاك في التوحيد **الذى جعل مع الله الها اخر فالقياه
في العذاب الشديد** يعنى النار **قال قرينه** يعنى الشيطان الذى قيض
هذا الكافر **ربنا ما اطغيته** اى قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو
اذا الكافر حين يلقى في النار يقول رب اطغاني شيطاني فيقول
الشيطان ربنا ما اطغيته اى ما اضللته وما اغويته **ولكن كان
في ضلال بعيد** اى عن الحق فيتبرا منه شيطانه وقال ابن
عباس قرينه يعنى الملك يقول الكافرون ان الملك زاد في الكتابة
فيقول الملك ربنا ما اطغيته اى ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال
وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اى طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول
الله تعالى **قال لا تختصموا لدي** اى لا تعتذروا عندى بغير عذر
وقيل هو خصامهم مع قرنائهم **وقد قدمت اليكم بالوعيد** اى بالقران
وانذرتكم على السن الرسل وحذرتكم عقابي في الاخرة لمن كفر **ما يبدل**

فكشفنا عنك غطاءك اي الذي كان على سمعك وقلبك وبصرك في الدنيا **فبصرك اليوم حديد** اي قوي ثابت وانت تبصر ما كنت تنكر في الدنيا

القول لدي اي لا تبديل لقولى وهو قوله عز وجل لاملان جهنم وقضيت
عليكم ما انا قاض فلا يغير قولى ولا يبدل • وقيل معناه لا يكذب عندي
ولا يغير القول عن وجهه لانى علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا
القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدي ولم يبدل
قولي **وما انا بظلام للعبيد** اى فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه
فازيد على اساة المسي وانقص من احسان المحسن **قوله عز وجل**
يوم نقول لجهنم هل امتلات بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى
اياها انه يملاها من الجنة والناس وهذا السوال من الله تعالى
لتصديق خبره وتحقيق وعده **وتقول** يعنى جهنم **هل من مزيد**
يعنى تقول قد امتلات ولم يبق في موضع لم يمتلى فهو استفهام ۵
انكاري وقيل هو بمعنى الاستزاده وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا
يكون السوال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها
وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين فلما سبق اعدا الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب
فيها ولا يملاها شي فتقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه
عليها فيقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات وليس في مزيد
ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال
جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية
رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك
ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشى الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة
ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا

فصل

هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات وللعلما فيه وفي امثاله
مذهبان احدهما وهو مذهب الجمهور وطايفة من المتكلمين انه لا
يتكلم في تاويلها بل نومن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها
على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب
الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى
هذا اختلفوا في تاويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم التقدم
وهو شايع في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل
العذاب وقيل قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك
المخلوق المعلوم • وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية
وخلقوا لها • قال القاضي عياض اظهر التاويل انهم قوم استحقوها
وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل
القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله اعلم • قوله

قط قط اى حسبى قط اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطا وكسرها
منونة وغير منونة ● وقوله ولا يظلم الله من خلقه احدا يعنى انه
يستحيل الظلم فى حق الله تعالى فمن عذبه بذنب او بغير ذنب فذلك
عدل منه سبحانه وتعالى ● قوله تعالى **وازلفت الجنة** اى قربت وادنيت
للمتقين اى الذين اتقوا الشرك **غير بعيد** يعنى انها جعلت عن يمين
العرش بحيث يراها اهل الموقف قبل ان يدخلوها **هذا ما توعدون**
اى يقال لهم هذا الذى وعدتم به فى الدنيا على السنة الانبيا **لكل**
اواب اى راجع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب
هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلا فيستغفر منها ● وقيل هو التواب وقال
ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلى **حفيظ** قال ابن عباس الحافظ
لامر الله وعنه هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها
وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب ● وقيل هو المحافظ
على الطاعات والاوامر **من خشى الرحمن بالغيب** اى خاف الرحمن
فاطاعه وان لم يره وقيل خافه فى الخلوة بحيث لا يراه احد اذا القى
الستر واغلق الباب **وجا بقلب منيب** اى مخلص مقبل على طاعة
الله **ادخلوها** اى يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة **بسلام**
يعنى بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملايكته
عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم **ذلك يوم الخلود** اى فى الجنة
لانه لا موت فيها **لهم ما يشاؤن فيها** وذلك انهم يسالون الله حتى
تنتهى مسالتهم فيعطون ما سالوا ثم يزيد الله عبيده ما لم يسالوا
مما لم تخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى **ولدينا مزيد** وقيل المزيد هو
النظر الى وجهه الكريم قبل ان يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل
جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل **وكم اهلكنا**
قبلهم اى من كفار قبل مكة **من قرن هم اشد منهم بطشا** يعنى سطوة
والبطشة الاخذ بصولة وعنف **فنقبوا فى البلاد** اى ساروا وتقلبوا
فى البلاد وسلكوا كل طريق **هل من محيص** اى فلم يجدوا لهم محيصا من
امر الله وقيل لا يجدون مفرا من الموت فيصيرون الى عذاب الله
وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم **ان فى ذلك لذكرى**
اى فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة **لمن كان له قلب** قال
ابن عباس اى عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله **او القى**
السمع اى استمع القران واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره
وهو شهيد اى حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى **ولقد**
خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب

اى اعيا وتعب قال المفسرون نزلت فى اليهود حيث قالوا خلق الله
السموات والارض فى ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة ثم استراح يوم
السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله هذه الاية
ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله وما مسنا
من لغوب قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره والظاهر ان المراد
الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله
وما مسنا من لغوب اى ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على
الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى افعيينا بالخلق الاول الاية واما ما
قاله اليهود ونقلوه من التورية فهو مما تحرف منهم او لم يعلموا تاويله
وذلك ان الاحد والاثنين ازمنة مستمرة بعضها عن بعض فلو كان خلق
السموات ابتدا يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان لا ينفك
عن الاجسام فيكون قبل الاجسام اجسام لان اليوم عبارة عن زمان
سير الشمس من الطلوع الى الغروب ● وقيل خلق السموات والارض
لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر
عنه عن مدة الزمان اى مدة كانت قوله عز وجل **فاصبر على**
ما يقولون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى اصبر يا محمد على ما
يقولون اى من تكذيبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم
وسبح بحمد ربك اى صل حمدا لله **قبل طلوع الشمس** اى صلاة الصبح
وقبل الغروب يعنى صلاة المغرب والعشا وقيل يعنى صلاة الليل
اى وقت صلى وقال ابن عباس صلاة الظهر والعصر **ومن الليل فسبحه**
يعنى صلاة المغرب والعشا وقيل يعنى صلاة الليل اى وقت صلى
وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وغيرهما ادبار السجود
الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية
عن ابن عباس ويروى مرفوعا **ق** عن عايشة قالت لم يكن النبى صلى الله
عليه وسلم على شى من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر
م عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما
فيها يعنى بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما احصى ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركعتين بعد المغرب والركعتين
قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب ● وقيل فى قوله وادبار السجود والتسبيح باللسان
فى ادبار الصلوات كلها يعنى قوله وادبار السجود **م** عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا
وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا

وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت
ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر خ عنه ان فقرا المسلمين اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات
والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما
جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا
اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جا بعدكم ولا ياتي
احد بمثل ما جيتم به الا من جا بمثله تسبحون في كل دبر كل صلاة عشرا
وتحمدون عشرا قوله تعالى واستمع يوم يناد المنادي يعني استمع يا
محمد حديث يوم ينادي المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت
المقدس فينادي بالحشر فيقول يا ايتها العظام البالية والاوصال
المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن
ان تجتمعن لفصل القضا وهو قوله تعالى من مكان قريب قيل ان
صخرة بيت المقدس اقرب من الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل
هي في وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق اي الصيحة الاخرة
ذلك يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي اي في الدنيا ونميت
يعني عند انقضا الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل تقديره نميت
في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد الموت يوم تشقق الارض
عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله ذلك حشر علينا
يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وما
انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام وانما بعثت مذكرا
وذلك قبل ان يومر بقتالهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما
اوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله
لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظ بالقران من
يخاف وعيد والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الذاريات وهي مكية

وهي ستون اية وثلثماية وستون كلمة والف ومايتان وتسعة وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا
يعني الرياح التي تذرو التراب فالحاملات وقرا يعني السحاب تحمل
ثقلا من الما فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الما جريا سهلا
فالمقسمات امرا يعني الملايكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا
به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبيا الامين عليه وصاحب
الغلظة وميكايل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور

واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة
في الرياح لانها تنشي السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به
جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله بهذه الاشيا
لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعه وقدرته والمعنى اقسم
بالذاريات وبهذه الاشيا وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات
ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى انما توعدون اي من الثواب والعقاب
يوم القيمة لصادق اي لحق وان الدين اي الحساب والجزا لواقع اي
لكاين ثم ابتدا قسما اخر فقال تعالى والسما ذات الحبك قال
ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة حبكت
بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرايق كحبك الما
اذا ضربته الريح وكحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس
وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل مكة لفي قول مختلف يعني
في القران وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القران سحر
وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر
وكاهن ومجنون • وقيل لفي قول مختلف اي مصدق ومكذب يوفك
عنه من افك اي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذب به وهو
من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر
وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفون عن الايمان به قتل الخراصون يعني
الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا
القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل
هم الكهنة الذين هم في غمرة اي في غفلة وعمى وجهالة ساهون
اي لاهون غافلون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشي
وذهاب القلب عنه يسالون ايان يوم الدين اي يقولون يا محمد متى
يوم الجزا يعني يوم القيمة تكذيبا واستهزا قال الله تعالى يوم هم
اي يكون هذا الجزا يوم هم على النار يفتنون اي يدخلون ويعذبون بها
ويقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم
به تستعجلون اي في الدنيا تكذيبا قوله تعالى ان المتقين في جنات
وعيون يعني في جنات الجنات عيون جارية اخذين ما اتاهم
اي ما اعطاهم ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين
اي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف احسانهم
فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون
قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر
بهم الا صلوا فيها شيا اما من اولها او من اوسطها وعن انس بن مالك

في قوله كانوا قليلا يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة • وقيل قلّ ليلة اتت عليهم مجموعا كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اي من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة **وبالاسحار هم يستغفرون** اي ربما مدّوا عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا في الاستغفار وقيل يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له • ولمسلم قال فيقول انا الملك انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

فصل

هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان وهو السلف وغيرهم الذين [illegible] كما جا من غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخر من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعا وغفلة اكثر الناس وعن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله اعلم **ق** عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيّم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاوك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت او لا اله غيرك زاد النساي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **خ** عن عبادة بن الصامت عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال من تعارّ من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او قال دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته قوله تعارّ من الليل يقال تعارّ الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت قوله عز وجل **وفي اموالهم حق** اي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما او يقرون فيه ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس • وقيل انه الزكاة المفروضة **للسايل** اي الذي يسال الناس ويطلب منهم **والمحروم** قيل هو الذي ليس له في الغنايم سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطا وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسال وقيل هو صاحب الحاجة الذي اصيب زرعه او ثمره او نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب واظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسايل والمتعفف لا يسال ولا يكاد الناس يعطون من لا يسال وانما يفطن له متيقظ **وفي الارض ايات** اي عبر من البحار والجبال والاشجار والاثمار وانواع النبات **للموقنين** اي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنايعه **وفي انفسكم** ايات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان تنفخ فيه الروح وقيل يريد سبيل الغايط والبول ياكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقدم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجايب الموجودة من ابن ادم **افلا تبصرون** يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث **وفي السما رزقكم** قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق **وما توعدون** يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال **فورب السما والارض انه لحق** اي ما ذكره من الرزق وغيره **مثل ما انكم تنطقون** اي بلا اله الا الله وقيل شبه تحقيق ما اخبر به عنه بتحقيق نطق الادمي ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر ان ياكل رزق غيره قوله تعالى **هل اتاك حديث ضيف ابراهيم** يعني هل اتاك يا محمد حديث الذين جاوا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود **المكرمين** قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملايكة

كراما عند الله لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يوميذ
وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بتعجيل
قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس
سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين ق عن ابن شريح العدوى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم
منكرون اى غربا لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هولا قوم
لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا بغير استيذان وقيل انكروا
سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض فراغ اى عدل ومال
الى اهله فجا بعجل سمين اى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال
ابراهيم البقر فجا بعجل فقربه اليهم هذا من اداب الضيف ان تقدم
الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم ياكلوا قال الا
تاكلون يعنى انه حثهم على الاكل من غير ان ينفرهم فاوجس اى فاضمر
منهم خيفة لانهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام
عليم اى يبلغ ويعلم وقيل عليم اى نبى فاقبلت امراته قيل لم يكن
ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القايل
اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه فى صرة اى فى صيحة والمعنى انها اخذت
تولول وذلك من عادة النسا اذا سمعن شيا فصكت وجهها
قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها
تعجبا وذلك من عادة النسا ايضا اذا انكرن شيا وقالت عجوز
عقيم معناه اتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك قالوا
كذلك قال ربك اى كما قلنا لك قال ربك ستلدين غلاما انه
هو الحكيم العليم ثم ان ابراهيم عليه السلام لما علم حالهم وانهم من
الملايكة قال فما خطبكم اى فما شانكم وما طلبكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة
من طين قيل هو الاجر مسومة اى معلمة قيل على كل حجر اسم من
يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا
عند ربك للمسرفين قال ابن عباس يعنى المشركين لان الشرك اسرف
الذنوب واعظمها فاخرجنا من كان فيها اى فى قوم لوط من المومنين
فما وجدنا فيها غير بيت اى اهل بيت من المسلمين يعنى لوطا
وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من نبى
مومن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام على
الخاص لا مانع منه فاذا سمى المومن مسلما لا يدل على اتحاد مفهومهما

وتركنا

ناهم

وتركنا فيها اى مدينة قوم لوط اية اى عبرة للذين يخافون العذاب
الاليم والمعنى تركنا فيها علامة للخايفين تدل على ان الله مهلكهم
فيخافون مثل عذابهم • قوله عز وجل وفى موسى اى وتركنا فى ارسال
موسى اية وعبرة اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اى بحجة
ظاهرة فتولى اى اعرض عن الايمان بركنه اى بجمعه وجنوده الذين
كانوا يتقوى بهم وقالوا ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذ
فى اليم اهم فاغرقناهم فى البحر وهو مليم اى اتى بما يلام عليه من دعوى
الربوبية وتكذيب الرسل وفى عاد اى وفى اهلاك عاد ايضا اية
وعبرة اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم يعنى التى لا خير فيها ولا بركة
ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر من شى اتت عليه اى من انفسهم
واموالهم وانعامهم الا جعلته كالرميم اى كالشى الهالك البالى وهو
ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله من رم
العظم اذا بلى وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعنى الى وقت
انقضا اجالهم وذكروا انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام
من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب
والصاعقة كل عذاب مهلك فعتوا عن امر ربهم اى تكبروا واعرضوا
عن طاعة ربهم فاخذتهم الصاعقة اى بعد مضى ثلاثة ايام من
وقت عقر الناقة وهو الموت فى قول ابن عباس وهم ينظرون اى
يرون ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام اى فما اقاموا
بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة
وما كانوا منتصرين اى ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة
يمتنعون بها من امر الله وقوم نوح قرى بكسر الميم ومعناه وفى
قوم نوح وقرى بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح من قبل اى من
قبل هولاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون انهم كانوا قوما فاسقين
اى خارجين عن الطاعة قوله تعالى والسما بنيناها بايد
اى بقوة وقدرة وانا لموسعون قيل هو من السعة اى اوسعنا
السما بحيث صارت الارض وما يحيط بها من السما والفضا
بالنسبة الى سعة السما كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن
عباس معناه قادرون على بنايها كذلك وعنه لموسعون اى الرزق
على خلقنا وقيل معناه وانا ذوو السعة والغنا والارض
فرشناها اى بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون اى نحن
ومن كل شى خلقنا زوجين اى صنفين ونوعين مختلفين كالسما
والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل

وَالصيف وَالشتا والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة
والايمان والكفر وَالسعادة وَالشقاوة والحق والباطل وَالحلو
والحامض **لعلكم تذكرون** اى فتعلمون ان خالق الازواج لا نظير له
ولا شريك معه **ففروا الى الله** اى قل يا محمد ففروا الى الله اى فاهربوا
من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له قال ابن عباس ففروا منه
اليه وَاعملوا بطاعته قال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى
الله **انى لكم منه نذير مبين** اى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة
الباهرة وَالبرهان القاطع **ولا تجعلوا مع الله الها اخر** اى وحدوه
ولا تشركوا به شيئا **انى لكم منه نذير مبين** قيل انما كرر قوله انى لكم منه
نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان
لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند
الله تعالى الا الجامع بينهما **كذلك** اى كما كذبك قومك وقالوا ساحر
وَمجنون كذلك **ما اتى الذين من قبلهم** اى من قبل كفار مكة والامم
الخالية **الا قالوا ساحر او مجنون** قال الله تعالى **اتواصوا به** اى اوصى
اولهم واخرهم بعضهم بعضا بالتكذيب وَتواطئوا عليه وفيه توبيخ
لهم **بل هم قوم طاغون** اى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا
فى زمان وَاحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وَهو
الحامل لهم على ذلك **فتول عنهم** اى اعرض عنهم **فما انت بملوم** اى لا
لوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وَما قصرت فيما امرت
قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه
وَسلم وَاشتد على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب
قد حضر اذ امر النبى صلى الله عليه وَسلم ان يتولى عنهم فانزل الله
عز وَجل **وذكر فان الذكرى تنفع المومنين** فطابت نفوسهم بذلك
والمعنى عظ بالقران كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله عز
وَجل انه يومن منهم وقيل معناه عظ بالقران من امن من قومك
فان الذكرى تنفعهم **قوله عز وَجل** **وَما خلقت الجن والانس**
الا ليعبدون وقيل هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل
عليه قراة ابن عباس وَما خلقت الجن والانس من المومنين الا ليعبدون
وقيل معناه وَما خلقت السعدا من الجن والانس الا لعبادتى والاشقيا
منهم الا لمعصيتى وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال
على بن ابى طالب رَضى الله عنه الا ليعبدون الا لامرهم
ان يعبدون وَادعوهم الى عبادتى وقيل معناه الا ليعرفونى وَهذا
احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وَتوحيده وقيل معناه ليخضعوا

اى محزون

لي

لى وَيتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وَكل
مخلوق من الجن والانس خاضع لقضا الله متذلل لمشيته تعالى
لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وَقيل مَعناه الا ليوحدون
فاما المومن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخا واما الكافر فيوحده
اضطرارا فى الشدة وَالبلا دون النعمة وَالرخا **مَا اريد منهم من**
رزق اى مَا اريد ان يرزقوا احدا من خلقى ولا ان يرزقوا انفسهم
لانى انا الرزاق القايم لكل نفس بما يقيمها من قوتها **وَما اريد**
ان يطعمون اى ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام
الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله وَمن اطعم عيال احد فقد اطعمه
كما صح من حديث ابى هريرة قال قال رَسول الله صلى الله عليه وَسلم
ان الله عز وَجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى قال
يا رب كيف اعودك وَانت رب العالمين قال لما علمت ان عبدى
فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا
ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف اطعمك وانت
رب العالمين اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه لما
علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن ادم استسقيتك
فلم تسقنى قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال
استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته
لوجدت ذلك عندى اخرجه مسلم ثم بين ان الرزاق هو لا غيره
فقال تعالى **ان الله هو الرزاق** يعنى لجميع خلقه **ذو القوة المتين** يعنى
هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة وَالقدرة الذى لا يلحقه
فى افعاله مشقة **فان للذين ظلموا** من اهل مكة **ذنوبا** اى نصيبا
من العذاب **مثل ذنوب اصحابهم** اى مثل نصيب اصحابهم الذين
هلكوا من قوم نوح وَعاد وثمود **فلا يستعجلون** اى بالعذاب لانهم
اخروا الى يوم القيمة يدل عليه قوله تعالى **فويل للذين كفروا من**
يومهم الذى يوعدون يعنى يوم القيمة وَقيل يوم بدر والله اعلم

تفسير سورة الطور وهى مكية

وَهى تسع واربعون اية وثلاثماية واثنى عشر كلمة والف وَخمسماية
حرف ○ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل**
وَالطور اراد به الجبل الذى كلم الله عز وَجل موسى عليه السلام عليه
بالارض المقدسة وقيل بمدين **وكتاب مسطور** اى مكتوب **فى رق**
يعنى الاديم الذى يكتب فيه الصحف **منشور** اى مبسوط واختلفوا
فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى عليه السلام من التوراة

وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين
الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فاخذ بيمينه واخذ بشماله
وقيل هو الفرقان والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والاهل
وهو بيت في السما السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له
الضراح حرمته في السما كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث
المعراج من افراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى البيت في السما السابعة يقال واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه وفي رواية اخرى قال فانتهيت الى بنا
فقلت للملك ما هذا قال بنا بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون فيه وفي افراد البخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون الف ملك والسقف المرفوع يعني السما والبحر المسجور
يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس رضه
وذلك ما روي ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا فيزاد
بها في نار جهنم • وجا في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا
فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا • وقيل المسجور المملو وقيل هو
اليابس الذي ذهب ماؤه • وقيل هو المختلط العذب بالملح وروي
عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع
سموات الى سبع ارضين فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر
العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون من قبورهم
اقسم الله بهذه الاشيا لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله
تعالى ان عذاب ربك لواقع يعني انه حق وكاين ونازل بالمشركين
في الاخرة ما له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة
لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت له
وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته
يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما
صدع قلبي حين سمعت ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من
نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حين يقع بي العذاب
ثم بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السما مورا اي تدور كدوران
الرحا وتتكفى باهلها كتكفي السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاوها
بعضها من بعض وتضطرب وتسير الجبال سيرا اي تزول عن اماكنها
وتصير هبا منثورا والحكمة في مورا لسما الانذار والاعلام بان لا رجوع

ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسما وما بينهما من الجبال
والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك
فلما لم يبق لهم عود اليها ازال الله تعالى ذلك وذلك لخراب
الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي شدة عذاب يومئذ للمكذبين
اي يوم القيمة الذين هم في خوض اي يخوضون في الباطل يلعبون
اي غافلين لاهين عما يراد بهم يوم يدعون اي يدفعون الى نار جهنم
دعا يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي
الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم
دفعا الى النار على وجوههم وزجرا في اقفيتهم حتى يردوا الى النار
فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون
اي في الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله
عليه وسلم الى السحر وانه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم
افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها اي قاسوا شدتها فاصبروا
اي على العذاب او لا تصبروا عليه سوا عليكم اي الصبر انما تجزون
ما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى ان
المتقين في جنات ونعيم فاكهين اي معجبين بذلك ناعمين بما اتاهم
ربهم من الخير والكرامة ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا اي يقال
لهم كلوا واشربوا هنيا اي مامون العاقبة من التخمة والسقم بما
كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر
مصفوفة اي موضوعة بعضها الى بعض وزوجناهم بحور عين
والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان يعني اولادهم الصغار
والكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان ابايهم فان الولد الصغير
يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه الحقنا بهم ذرياتهم يعني المومنين
في الجنة بدرجات ابايهم وان لم يبلغوا درجات ابايهم في الجنة
تكرمة لابايهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي
رواية اخرى عنهم ان معنى الاية والذين امنوا والذين امنوا واتبعتهم
ذريتهم يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم
يبلغوا الايمان بايمان ابايهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المومن
من ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم
الله الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينقص الابا
من اعمالهم شيا • عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه
في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم

بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الاية • عن علي قال سالت خديجة النبي
صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهة في وجهها قال
لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال
في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومنين واولادهم
في الجنة ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين امنوا
واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اخرج هذين
الحديثين البغوي باسناد الثعلبي وما التناهم من عملهم من شي
كل امرء اي كافر بما كسب اي من عمل الشرك رهين اي مرتهن
بعمله في النار والمومن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما
كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير
والنعمة فقال تعالى وامددناهم بفاكهة يعني زيادة عما كان لهم
ولحم مما يشتهون اي من انواع اللحوم يتنازعون فيها اي يتعاطون
ويتناولون فيها اي في الجنة كاسا لا لغو فيها اي لا باطل فيها ولا
رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا تاثيم
اي لا يكون منهم ما يوثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري
بين شربة الخمر في الدنيا • وقيل لا ياثمون في شربها ويطوف عليهم
اي للخدمة غلمان لهم كانهم اي في الحسن والبياض والصفا لولوء
مكنون اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو
ما من احد من الجاهلية اهل الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم
على عمل غير عمل صاحبه • وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي
الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل
القمر ليلة البدر على ساير الكواكب • قوله تعالى واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون يعني يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس
يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا قالوا انا كنا
قبل في اهلنا اي في الدنيا مشفقين اي خايفين من العذاب فمن
الله علينا بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وقيل
مواسم من اسماء جهنم انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه اي نخلص الدعا
والعبادة له انه هو البر قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق
فيما وعد وقيل البر اللطيف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع
خلقه الرحيم قوله عز وجل فذكر يعني فعظ يا محمد بالقران كفار
مكة فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وهو الذي يوهم انه
يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول

كفار

كفار مكة انه كاهن ومجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا
لعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر
والشعر والجنون ام يقولون يعني هولاء المقتسمين شاعر اي هو شاعر
نتربص به اي ننتظر به ريب المنون يعني حوادث الدهر وصروفه
فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ويتفرق عنه
اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجوا ان يكون موته
كموت ابيه فالمنون اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا
بذلك لانهما يقطعان الاجل قل تربصوا اي انتظروا الموت
فاني معكم من المتربصين اي من المنتظرين حتى ياتي امر الله
فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي ام تامرهم احلامهم
اي عقولهم بهذا وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام
والعقول فازرى الله بعقولهم حتى لم يتميز لهم معرفة الحق من
الباطل ام هم قوم طاغون اي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر
ام يقولون تقوله اي اختلق القران من تلقاء نفسه والتقول
التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا بل
لا يومنون اي بالقران استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال فلياتوا
بحديث مثله اي مثل القران في نظمه وحسنه وبيانه ان كانوا
صادقين يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه ام خلقوا من غير
شي قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا من غير شي
خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق
بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا
خالق ام هم الخالقون اي لانفسهم وذلك في البطلان اشد
لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم
بان لهم خالقا فليومنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في معنى
الاية اخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يومرون ولا ينهون ام هم
الخالقون اي لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر ام خلقوا السموات
والارض يعني ليس الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو
توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى خالقهم
وخالق السموات والارض فليومنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم
ام خزاين ربك يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها
حيث شاءوا وقيل خزاين المطر والرزق ام هم المسيطرون اي
المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت امر
ولا نهي يفعلون ما يشاءون ام لهم سلم يعني مرقى ومصعد الى

عندهم

٢

السما يستمعون فيه اي يستمعون عليه الوحي من السما فيعلمون
ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون فليات مستمعهم اي ان
ادعوا ذلك بسلطان مبين اي بحجة بينة ام له البنات
ولكم البنون هذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم
ام تسالهم اجرا اي جعلا على ما جيتهم به من النبوة ودعوتهم اليه
من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني اثقلهم ذلك الغرم
الذي سالتهم فمنعهم عن الاسلام ام عندهم الغيب اي علم
الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول
من امر القيمة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص
به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون
اي يحكمون قال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون
ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون كيدا يعني مكرا بك ليهلكوك
فالذين كفروا هم المكيدون اي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم
يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه
فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يعني يرزقهم وينصرهم سبحان الله عما
يشركون والمعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى وان يروا كسفا من
السما ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء
يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السما عليهم لم ينتهوا عن كفرهم
يقولوا لمعاندتهم سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا فذرهم
حتى يلاقوا اي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون ويهلكون
يوم لا يغني عنهم كيدهم شيا ولاهم ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت
ولا يمنعهم من العذاب مانع وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون
ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني
القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب
القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل
واصبر لحكم ربك اي الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به
فانك باعيننا اي بمراى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل
معناه انا بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه وسبح
بحمد ربك حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان
المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة
له عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس
مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما

بينهما

بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس
معناه حتى تقوم من مقامك • وقيل هو ذكر الله باللسان من حين تقوم
من الفراش الى ان تدخل في الصلاة • عن عاصم بن حميد قال سالت
عايشة باي شي كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل
فقالت سالتني عن شي ما سالني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا
وحمد الله عشرا وسبح عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني
واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيمة
اخرجه ابو داود والنسائي • وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك
اللهم وبحمدك • يدل عليه ما روي عن عايشة قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناوك ولا اله غيرك اخرجه
الترمذي وابو داود وقال قد تكلم في احد رواته وقوله تعالى
ومن الليل فسبحه اي فصل له يعني صلاة المغرب والعشا وادبار
النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي
تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان
قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب • وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح
ق عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا
في المغرب بالطور والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة النجم •

وهي اثنتان وستون اية وثلثماية وستون كلمة والف واربعماية وخمسة
احرف • بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل والنجم اذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت
وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم •
• اذا طلع النجم عشا • ابتغى الراعي كساء •
وجا في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من
العاهة شي الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السما كلها وهو بها
غروبها فعلى هذا اللفظ واحد ومعناه الجمع وفيه روي عن ابن عباس
ان الرجوم من النجوم وهي ما ترمي به الشياطين عند استراق السمع
وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيمة • وقيل اراد بالنجم القران سمي نجما
لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل
النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض

وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه سقوطه ليلة المعراج
من السما وجواب القسم قوله تعالى **ما ضل صاحبكم** يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى **وما غوي** اي ما جهل وقيل الفرق
بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا
اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصد مستقيم وقيل ان الضلال
اكثر استعمالا من الغواية **وما ينطق عن الهوى** اي بالهوى والمعنى
لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمد يقول القران من تلقا نفسه
ان هو اي ما هو يعني القران وقيل نطقه في الدين **الا وحي** من الله
يوحى اليه **علمه شديد القوي** يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم
ما اوحى اليه الله عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم
لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السما ثم قلبها وصاح صيحة بثمود
فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبيا اسرع من رجعة
الطرف **ذو مرة** اي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن
وقيل ذو خلق طويل **فاستوي** يعني جبريل عليه السلام **وهو** يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج
بالافق الاعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو
كناية عن جبريل ايضا اي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق
الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان ياتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبيا قبله فساله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل
عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما التي في
الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل عليه
السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة
الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله **ثم
دنى فتدلى** واما التي في السما فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من
الانبيا على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى ثم دنى فتدلى **فكان قاب قوسين او ادنى** اختلف
العلما في معنى هذه الاية فروي عن مسروق بن الاجدع قال قلت
لعايشة فاين قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت
ذلك جبريل كان ياتيه في صورة الرجل وانه اتاه في هذه المرة في صورته
التي هي صورته فسد الافق اخرجاه في الصحيحين • وعن زر بن حبيش

في قوله ما كذب الفواد ما راي وفي قوله لقد راي من ايات ربه الكبري
قال فيها كلها ان ابن مسعود قال راى جبريل عليه السلام له ستماية
جناح زاد في رواية راى جبريل في صورته • اخرجه مسلم والبخاري
في قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى **فاوحى الى عبده ما اوحى**
فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنى جبريل بعد استوايه بالافق الاعلى
من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين
او ادنى بل ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة • وقيل في الكلام
تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى فدنى لان التدلى سبب الدنو وقال
اخرون ثم دنى الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي
تقرب منه كان منه قاب قوسين او ادنى • وقد ورد في الصحيحين
من حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن انس
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه
رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبي صلى الله
عليه وسلم • قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد
ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة فاتى
فيه بالفاظ غير معروفة • وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ
المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتاده يعني عن انس فلم يات
احد منهم بما اتى في صحيحه • وفي رواية شريك في الحديث وقال الضحاك
دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى فاهوى للسجود فكان
منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس الذي يرمى به وهو
رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس الذي يرمى
به فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين
وهذه اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب
كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما
يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال
عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي
يقاس بها من قاس يقيس اذا دنا بل قرب فاوحى اي فاوحى الله الى
عبده محمد ما اوحى وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اوحى جبريل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل • وقال
سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك
ذكرك • وقيل اوحى اليه ربه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها انت
وعلى الامم حتى تدخلها امتك • **قوله عز وجل** **ما كذب الفواد**
قريه بالتشديد ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم **ما راي** اي بعينه

تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اي ما كذب فؤاد
محمد الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما راى واختلفوا
في الذي راه فقيل راى جبريل وهو قول ابن مسعود وعايشة وقيل
هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الروية فقيل جعل بصره في فؤاده
وهو قول ابن عباس **م** عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما راى ولقد
راه نزلة اخرى قال راه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه راه
بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة قال راى
محمد ربه عز وجل • وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل
اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالروية
وقال كعب ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى
مرتين وراه محمد مرتين اخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت
عايشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحمل الاية عن روية
جبريل عن مسروق قال قلت لعايشة يا اماه هل راى محمد ربه فقالت
لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير • وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب • ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد
كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا • ومن حدثك
انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك ولكنه راى جبريل في صورته مرتين اخرجاه في الصحيحين •
م عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت
ربك قال نور اني اراه

قوله عز وجل **افتمارونه على ما يرى**

يعني افتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به
وقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك
مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه
ولقد راه نزلة اخرى يعني راى جبريل في صورته التي خلق عليها
نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين مرة
في الارض ومرة عند سدرة المنتهى **م** عن ابي هريرة ولقد راه نزلة
اخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس معنى نزلة اخرى فراى
ربه عز وجل في بعضها • وروي عن ابن عباس انه راى ربه بفؤاده
مرتين وعنه انه راى بعينه **عند سدرة المنتهى** • **م** عن ابن مسعود
قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة
المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض

فينقبض

فينقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الارض فينقبض منها واليها
ينتهي ما يهبط من فوقها فينقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما
يغشى قال فراش من ذهب • وفي رواية الترمذي فاليها ينتهي علم
الخلائق لا علم لهم فوق ذلك • وفي حديث المعراج المخرج في
الصحيحين ثم صعد بي الى السماء السابعة ثم قال رفعت الى سدرة
المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كاذان الفيلة قال
فلما غشيها من نور الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله ان ينعتها
من حسنها • وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة
المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على
روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وخلفها غيب لا يعلمه
الا الله عز وجل • وعن اسماء بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل
الغصن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش
الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي • وقال مقاتل هي شجرة
تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت منها ورقة في
الارض لاضاءت لاهل الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة
الرعد **عندها جنة الماوى** قال ابن عباس جنة الماوى جنة ياوي
اليها جبريل والملائكة وقيل ياوي اليها ارواح الشهدا **اذ يغشى
السدرة ما يغشى** قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها
ملائكة امثال الغربان وقيل امثال الطيور حتى يقفن عليها وقيل
غشيها نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى امثال الغربان
حتى يقفن عليها وقيل هو نور رب العزة فاستنارت ويروى في الحديث
قال رايت على كل ورقة منها ملكا قايما يسبح الله عز وجل **ما زاغ
البصر وما طغى** ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام
وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما راى وقيل
ما امر به وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف
اذ لم يلتفت الى شي سوى ما امر به وفي معنى الاية ان قلنا ان الذي
يغشى السدرة فراش من ذهب اي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه
بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا
الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان انه صلى الله عليه
وسلم لم يلتفت يمنة ولا يسرة ولا يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه
الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما اعترى موسى بقوله وخر
موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة ظهر نوره على الجبل فانه

قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام
العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار
فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام
العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى • وقوله تعالى لقد راي
من ايات ربه الكبرى يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات
العظيمة وقيل اراد ما راي تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل
معناه راي من ايات ربه الكبرى م عن عبد الله بن مسعود قال
لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر اسد افق
السما **فصل** من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى
قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى وهل راي النبي صلى الله عليه
وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرا • قال القاضي عياض اختلف السلف
والخلف هل راى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرا
فانكرته عايشة كما وقع في صحيح مسلم وجا مثله عن ابي هريرة وجماعة
وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين
والمتكلمين • وروي عن ابن عباس انه راى بعينه ومثله عن ابي ذر
وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك • وحكي مثله عن ابن مسعود
وابو هريرة واحمد بن حنبل • وحكى اصحاب المقالات عن ابي
الحسن الاشعري وجميع اصحابه انه راه ووقف بعض مشايخنا في
هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ورؤية الله عز وجل
جايزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز
او يمتنع على ربه • واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم
ربه تعالى ليلة الاسرا بغير واسطة ام لا • فحكي عن الاشعري وقوم
من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن
مسعود وابن عباس • وكذلك في قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر
على ان هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه
وسلم او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة المنتهى وذكر ابن
عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو
من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله تعالى فعلى هذا
القول يكون الدنو والتدلي متاولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر
ابن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي
صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق
انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما
يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره

وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين او ادنى هذا
عبارة عن لطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة
من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة
المنزلة هذا اخر كلام القاضي عياض • قال الشيخ محيي الدين واما صاحب
التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسيلة وان كانت كثيرة ولكن
لا يتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون
الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين • وعن عكرمة قال سيل ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه
وسلم ربه قال نعم وقد ورد باسناد لا باس به عن شعبة عن قتادة عن انس
قال راى محمد ربه وكان الحسن يحلف لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم
ربه عز وجل والاصل في المسيلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة
والمرجوع اليه في المعضلات • وقد راجعه ابن عمر في هذه المسيلة وراسله
هل راى محمد ربه عز وجل فاخبره انه راه ولا يقدح في هذا حديث عايشة
لان عايشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم لم ار ربي وانما
ذكرت متاولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا • ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال
قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا صحت الروايات عن
ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير لانها ليست مما تدرك بالعقل
وتوخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس
انه تكلم في هذه المسيلة بالظن والاجتهاد ولقد قال معمر بن راشد
حين ذكر اختلاف عايشة وابن عباس ما نفاه غيره والمثبت مقدم
على النافي هذا كلام صاحب التحرير • قال الشيخ محيي الدين والحاصل
ان الراجح عند اكثر العلما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راي ربه
عز وجل بعيني راسه ليلة الاسرا لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم
واثبات هذا لا ياخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا مما لا ينبغي ان يتشكك ثم ان عايشة لم تنف الرؤية بحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت
على الاستنباط من الايات وسنوضح الجواب عنها اما احتجاج عايشة
بقوله لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله
تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير
احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره • واما احتجاجها
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية والجواب
عنه من اوجه احدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية

فيجوز وجود الروية من غير كلام الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من
الادلة الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير
واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي
الكلام الالهام والروية في المنام وكلاهما يسمى وحيا • واما قوله
تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم
بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لم يرا المتكلم • وقول
عايشة في اول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع
لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار الشي قف
شعري واقشعر جلدي واشمازت نفسي • وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث ابي ذر نور اني اراه هو بتنوين نور وبفتح الهمزة في اني وتشديد
النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه • قال الماوردي
الضمير في اراه عايد على الله تعالى والمعنى ان النور يمنعني من الروية
كما جرت العادة باعشا الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حالت
بين الراي والمرئي • وفي رواية رايت نورا معناه النور ولم ار عينه
في رواية ورا في اراه معناه هو خالق النور المانع من رويته فيكون
من صفات الافعال ومن المستحيل ان يكون ذات الله نورا اذ النور
من جملة الاجسام والله تعالى عن ذلك هذا مذهب جمهور ايمة المسلمين
والله اعلم **قوله عز وجل** افرايتم اللات والعزى هذه
اسما اصنام اتخذوها الهة يعبدونها اشتقوا لها اسما الله عز وجل فقالوا
من الله اللات ومن العزيز العزى • وقيل العزى تانيث الاعز
والمعنى اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها
من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شي • وقيل كان اللات
بالطايف • وقيل بيت بنخلة كانت قريش تعبده وقرى اللات بالتشديد
خ عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما
مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان راس جبل له غنيمة يسلي منها
السمن ويوخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج
وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات • وقيل كان رجل من
ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلي السمن فيضعه على صخرة
فتاتيه العرب فتلت به اسواقهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى
منازلها في الطايف على موضع اللات • واما العزى فقيل هي
شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفاس ويقول يا عزى
كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة

ناشرة

ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها ويقال قد قطعها
فقال ما رايت فقال ما رايت شيا فقال ما قطعت فعاودها ومعه
المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها عريانة فقتلها ثم رجع الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد
ابدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل
انه قدم مكة فراي الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما
فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا
لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك
فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلها الى نخلة فوضع الذي
اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذه من المروة وقال
هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار واسندها الى شجرة وقال هذا ربكم
فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وامر خالد بن الوليد
الى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطايف كانت تعبده ثقيف
وقوله **ومنات** قيل هي خزاعة كانت بقديد وقالت عايشة في الانصار
كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد • وقيل بيت بالمشلل تعبده
بنو كعب • وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها اهل مكة وقيل
اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة
يعبدونها **الثالثة الاخرى** الثالثة نعت لمناة اذ الثالثة للتصغير
في الذكر فان العرب لا تقول الثالثة اخرى وانما الاخرى هنا نعت
للثالثة قال الخليل فانها لوفاق روس الاي لقوله مارب اخرى ولم
يقل اخر • وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره افرايتم اللات والعزى
الاخرى ومناة الثالثة المتاخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب
مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة ادمي والعزى شجرة
نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في اخريات المراتب ومعنى الاية هل
رايتم هذه الاصنام حق الروية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة
لانها لا تضر ولا تنفع • وقيل افرايتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى
ومنات بنات الله الكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون
الاصنام والملايكة بنات الله كان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك
فقال الله عز وجل منكرا عليهم **الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة**
ضيزى قال ابن عباس اي صفة جايرة جعلتم لربكم ما تكرهون
لانفسكم وقيل قسمة عوجا غير معتدلة **ان هي** اي ما هي هذه **الاسما**
سميتموها انتم واباوكم يعني والمعنى انكم سميتموها الهة وليست بالهة

حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة
لها فلا يكون لها مسمى حقيقة **ما انزل الله بها من سلطان**
اى حجة بما تقولون انها الهة **ان يتبعون الا الظن** اى فى قولهم انها
الهة **وما تهوى الانفس** يعنى هو ما زين لهم الشيطان من عبادة
الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهوانهم الذى ينبغى ان
تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بما يقتضيه هوى النفس **ولقد
جاءهم من ربهم الهدى** اى البيان بالكتاب المنزل والنبى المرسل
ان الاصنام ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار
قوله تعالى **ام للانسان ما تمنى** معناه ايظن الكافر ان له ما يتمنى
ويشتهى من شفاعة الاصنام اى ليس الامر كما يظن ويتمنى **فلله
الاخرة والاولى** اى لا يملك احد فيها شيا ابدا الا باذنه وقيل معناه
ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه والشهادة فلله الاخرة
والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا او الاخرة وان شاء
امهله الى الاخرة **وكم من ملك فى السموات** اى ممن يعبدهم هولاء ويرجون
شفاعتهم عند الله **لا تغنى شفاعتهم شيا** يعنى ان الملائكة مع علو
منزلتهم لا تغنى شفاعتهم شيا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم
اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى **الا من بعد ان ياذن
الله** اى فى الشفاعة **لمن يشاء ويرضى** اى من اهل التوحيد قال ابن
عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الا بعد ان
ياذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة **ان
الذين لا يومنون بالاخرة** يعنى الكفار الذين انكروا البعث **ليسمون
الملائكة تسمية الانثى** اى بتسمية الانثى حيث انهم قالوا بنات
الله **فان قلت** كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية
الاناث **قلت** المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا
الموضع لمناسبة روس الاى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه
تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل
واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى **وما لهم به من علم** اى بالله فيشركون
به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث **ان
يتبعون الا الظن** اى فى تسمية الملائكة بالاناث **وان الظن لا يغنى
من الحق شيا** اى لا يقوم الظن مقام العلم الذى هو العلم وقيل معناه
انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشى بالعلم واليقين لا بالظن
والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية
لا تستخرج بالظنون **فاعرض عن من تولى عن ذكرنا** يعنى القران

وقيل عن الايمان **ولم يرد الا الحياة الدنيا** يعنى انهم لا يومنون بالاخرة
حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر مع صغر رايهم
فقال تعالى **ذلك مبلغهم من العلم** اى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم
ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا
ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم ليشفعوا لهم فاعتمدوا على ذلك
واعرضوا عن القران والايمان **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى** اى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم
ولله ما فى السموات وما فى الارض وهذه اشارة الى كمال قدرته
وغناه وهو معترض بين الاية الاولى وبين قوله **ليجزى الذين
اساوا بما عملوا** والمعنى اذا كان اعلم بهم جازى كل احد بما يستحقه
فيجزى الذين اساوا بما عملوا اى اشركوا بما عملوا من الشرك **ويجزى
الذين احسنوا** اى وحدوا ربهم **بالحسنى** يعنى الجنة وانما يقدر
على مجازاة المحسن والمسى اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك
قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسن فقال
الذين يجتنبون كباير الاثم قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه
العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطية عن الثواب وقيل هو فعل ما
لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كباير وصغاير وجمعه اثام والكبيرة
متعارفة فى كل ذنب يعظم عقوبته وجمعه كباير **والفواحش** جمع
فاحشة وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى ما فحش
من الكباير **الا اللمم** اى الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هى
مقاربة المعصية من قولك الممت بكذا اذا قاربته من غير
مواقعة واختلفوا فى معنى الاية فقيل هذا استثنا صحيح واللمم
من الكباير والصغاير والفواحش ومعنى الاية الا ان يلم بالفاحشة
مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول ابى هريرة ومجاهد
والحسن وفى رواية عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص
اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سيلت عن قول الله عز وجل
الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن
عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز
وجل الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك
الا الما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب قيل اصل
اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة
وقيل هو استثنا منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكباير

والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا
يواخذهم الله به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم
كانوا بالامس يعملون معناه فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا
قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب
كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول
ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي ورواية والرواية الاخرى
عن ابن عباس ق عن ابن عباس قال ما رايت شيا اشبه باللمم
مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا
العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي
والفرج يصدق ذلك او يكذبه • ولمسلم قال كتب على ابن ادم
نصيبه من الزنا مدرك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان
زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل
زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه
وقيل اللمم على وجهين احدهما ان كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه
حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي يكفره الصلوات
الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكباير والفواحش الوجه
الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه
وقيل هو ما لم على القلب اي خطر وقيل اللمم النظرة من غير
عمد فهو مغفور فان عاد النظر فليس بلمم فهو ذنب **فصل**
في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها من الصغيرة قال العلما اكبر
الكباير الشرك بالله وهو ظاهر لا خفا فيه لقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ما سواهما من الزنا
واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق
والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف
والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكباير التي ورد
بها النص فلها تفاصيل واحكام يعرف بها مراتبها ويختلف
امرها باختلاف الاحوال والمقاصد المترتبة عليها فعلى هذا
يقال لكل واحدة منها هي الكباير بالنسبة الى ما دونها وقد جا عن ابن
عباس انه سيل عن الكباير اسبع هي قال الى السبعين اقرب وفي رواية
الى السبعماية اقرب وقد اختلف العلما في حد الكبيرة وتمييزها من
الصغيرة فجا عن ابن عباس كل شي نهى الله عنه فهو كبيرة وهذا قال
الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين

واحتج

واحتج القايلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة
وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوايف الى انقسام
المعاصي الى كباير وصغاير وقد تظاهرت على ذلك دلايل الكتاب
والسنة واستعمال سلف الايمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى
صغاير وكباير فقد اختلف في ضبطها • فروي عن ابن عباس قال
الكباير كل ذنب ختمه الله تعالى بنار او غضب او لعنة او عذاب
وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما اوعد الله عليه بنار في الاخرة او حد
في الدنيا • وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط
الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار
خوف او استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجري عليها
اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل
عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك من ندم
يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس
بكبيرة • وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد
اذا اردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة
الذنب على مفاسد الكباير المنصوص عليها فان نقصت عن اقل
مفاسد الكباير فهي من الصغاير وان ساوت ادنى مفاسد
الكباير او زادت عليه فهي من الكباير فمن امسك امراة محصنة
لمن يزني بها او امسك مومنا لمن يقتله فلا شك ان مفسدة
ذلك اعظم ممن اكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكباير وكذلك
لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يتناصلونهم بدلالته
فان نسبته الى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر
مع كونه من الكباير وكذلك لو دل الكفار وكذب على انسان كذبا
يعلم انه ياخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكباير قال الشيخ
ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه
ان يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا
حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب
بالنار ونحوها ومنها ما وصف فاعلها بالفسق او بيناف اليها اللعن
كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم • وقوله تعالى **ان ربك
واسع المغفرة** قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس قالا لا كبيرة في الاسلام اي لا
كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة ايضا تمحى
بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد

الاصرار هو ان تكرر منه الصغيرة تكريرا يشعر بقلبه ميلا له بذنبه وتم
الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال هو اعلم بكم اى
قبل ان يخلقكم وهو قوله اذ انشاكم من الارض اى خلق اباكم آدم من التراب
واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون امهاتكم سمى جنينا لاستتاره في بطن
امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله
من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة فلا تزكوا انفسكم فلا
تبروها من الاثام ولا من اول خلقكم الى اخر يومكم فلا تزكوا انفسكم
رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك
او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة
فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى هو اعلم بمن
اتقى اى بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الاية فلا تزكوا
انفسكم ابتداء اى لا تنسبوها الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات
وقيل لا تنسبوها الى الزكا والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله المزكى منكم والتقى اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب
ابيكم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون
اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم
هذه الاية قوله عز وجل افرايت الذى تولى نزلت في الوليد بن
المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض
المشركين وقال اتركت دين الاشياخ وضللت قال انى خشيت عذاب
الله فضمن الذى عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان
يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطاه للذى وعده
بعض الذى ضمن له من المال [illegible] ومنعه تمامه فانزل الله افرايت
الذى تولى اى ادبر واعرض عن الايمان واعطى اى لصاحبه الذى عيره
قليلا واكدى اى بخل بالباقى وقيل اعطى قليلا اى من الخير بلسانه
واكدى اى قطعه وامسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن
وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم في بعض
الامور • وقيل نزلت في ابى جهل وذلك انه قال يامر محمد بمكارم الاخلاق
فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اى لم يؤمن به ومعنى اكدى اى قطع
واصله من الكدية وهى حجر يظهر في البير يمنع من الحفر اعنده علم الغيب
فهو يرى اى ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ام لم ينبا
اى يخبر بما في صحف موسى يعنى اسفار التورية وابراهيم اى يخبر بما في
صحف ابراهيم الذى وفى اى كمل وتمم ما امر به وبلغ رسالات ربه الى
خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة

وقيل وفى

وقيل وفى سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
فاتمهن والتوفية الاستكمال تمام • وقيل وفى شان المناسك • وروى
البغوى بسنده عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم
الذى وفى قال اربع كلمات اول النهار • عن ابى الدرداء وابى ذر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن
آدم اركع لى اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره اخرجه الترمذى
وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال الا تزر وازرة
وزر اخرى اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تؤاخذ نفس
باثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه
الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذ الرجل بذنب غيره كان
الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته وعبده به حتى كان
ابراهيم عليه السلام نهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة
وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى اى عمل وهذا في صحف ابراهيم
وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة
بقوله الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الاباء وقيل كان
ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الاية فلهم ما سعوا وما سعى
لهم غيرهم • لما روى عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت
يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم • وعنه ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امى توفيت اينفعها ان تصدقت
عنها قال نعم • وفى رواية ان سعد بن عبادة اخى بنى ساعدة وذكر نحوه
اخرجه البخارى • وعن عايشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول
صلى الله عليه وسلم ان امى افتلتت نفسها واظنها ان تكلمت تصدقت
فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين وفى حديث
ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك واحمد وجماهير العلما ان حج
الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل
بل يقع تطوعا • وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا
للعبادة وفى الحديثين الاخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع
عن الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلما وكذا اجمعوا على وصول
الدعا وقضا الدين المنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت
حجة الاسلام وكذا الواوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعى واختلف
العلما في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه للاحاديث الصحيحة
والمشهور من مذهب الشافعى ان قراة القران لا يصله ثوابها وقال
جماعة يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلوات التطوعات

فلا تصله عند الشافعي والجمهور وقال احمد يصل له ثواب الجميع والله
اعلم وقيل المراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب
عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له
في الآخرة نصيب • روي ان عبد الله بن ابي بن سلول كان اعطى العباس
قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه
ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان
الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله
ما يشاء من فضله وكرمه **وان سعيه سوف يرى** اي يراه في ميزانه
يوم القيامة وفيه بشارة للمومن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله
الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما
ثم يجزاه اي السعي **الجزاء الاوفى** اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى
جزاء سعيه بالجزاء الاوفى قوله تعالى **وان الى ربك المنتهى** اي منتهى
الخلق ومصيرهم اليه في الآخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا
وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع والعاقل
كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن
ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني
ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى
الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال روى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان
الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة
مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة
ومعناه لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر
الموجودات الممكنة علمت انه لا بد من موجد واذا علمت ان موجدها
هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجود وحدانيته
سبحانه وتعالى **وانه هو اضحك وابكى** اي هو القادر على ايجاد الضدين
في محل واحد الضحك والبكا ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان
بقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكا قيل اضحك اهل الجنة
وابكى اهل النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقيل
افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا عن جابر
ابن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة
وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية
وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وفي

وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل ق
عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت
مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء
المعجمة لهم بكاء مع صوت يخرج من الانف **وانه هو امات واحيى** اي
امات في الدنيا واحيى للبعث وقيل امات الآباء واحيا الابناء وقيل
امات الكافر بالنكرة واحيى المومن بالمعرفة **وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى** اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي
تتوارد على النطف فيخلق بعضها ذكرا ويخلق بعضها انثى وهذا
شيء لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى
وخلقه لا بفعل الطبيعة **من نطفة اذا تمنى** اي تصب في الرحم وقيل
تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شيء واحد خلق
منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا
من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يوكده بقوله وانه هو خلق
لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيرها كما لم يقدر
احد ان يدعي خلق السموات والارض **وان عليه النشاة الاخرى** اي
الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيمة **وانه هو اغنى واقنى**
اي اغنى الناس بالاموال فاعطى القنية وهو اصول الاموال
وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف
المال واقنى بالابل والبقر والغنم • وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن
عباس اغنى واقنى اي اعطى فارضى وقيل اغنى يعني دفع حاجته
ولم يتركه محتاجا الى شيء لان الغنا ضد الفقر واقنى اي زاد فوق الغنا
وانه هو رب الشعرى اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة
تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو
كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السما عرضا والشعرى تقطعها
طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة
تشبيها له به لخلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو
كوكب مضي خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية
وشامية يقال لاحدهما العبور وللاخرى الغميصاء سميت بذلك
لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد بها هنا العبور **وانه اهلك**

عاداً الأولى وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب وكانوا عاداً
أخرى وقيل الأخرى إرم وقيل الأولى يعني أول الخلق هلاكاً بعد قوم نوح
وثمودا وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة فما أبقى يعني منهم أحداً وقوم نوح
من قبل يعني أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق إنهم كانوا هم أظلم
وأطغى يعني لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب
والمؤتفكة يعني قرى قوم لوط أهوى أي أسقط وذلك أن جبريل عليه
السلام رفعها إلى السماء ثم أهواها أي ألقاها فغشاها ما غشى أي ألبسها الله ما غشى
يعني الحجارة المنضودة المسومة فبأي آلاء ربك تتمارى أي تشك أيها
الإنسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أي تكذب
هذا نذير يعني محمداً صلى الله عليه وسلم من النذر الأولى أي رسول من
الرسل المتقدمة كما أرسلت الرسل إلى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت
الرسل من قبله أزفت الآزفة أي دنت القيامة واقتربت الساعة ليس
لها من دون الله كاشفة أي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس
لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها وقيل
الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعاقبة والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها
غيرها وقيل معناه ليس لها راد يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها
لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد قوله تعالى أفمن هذا الحديث يعني
القرآن تعجبون تنكرون وتضحكون أي استهزاء ولا تبكون أي مما فيه
من الوعيد وأنتم سامدون أي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه
أن السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا
ولعبوا وأصل السمود في اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير إذا
رفع رأسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمعنى، وقيل معناه أشرون
بطرون وقال مجاهد غضاب متبرطمون فقيل له ما البرطمة قال
الإعراض فاسجدوا لله يعني أيها المؤمنون فاشكروا على الهداية
وقيل هذا محمول على سجود التلاوة، وقيل على سجود الفرض في الصلاة
واعبدوا أي اعبدوا الله وأفرده فقال واعبدوا إما لكونه معلوماً وإما
لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله تعالى ق عن عبد الله بن مسعود
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان
معه غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصباء أو تراب فرفعه إلى
جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافراً
زاد البخاري في رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره
وقال في آخره وهو أمية بن خلف خ عن ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس

قوم هو

ق عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على أن سجود التلاوة غير
واجب وهو قول الشافعي وأحمد، وقال عمر بن الخطاب إن الله لم يكتبها
علينا إلا أن نشاء وذهب قوم إلى وجوبها على القارئ والمستمع وهو
قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة القمر مكية

وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة
وثلاثة وعشرون حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اقتربت الساعة أي دنت القيامة وانشق القمر قيل
فيه تقديم وتأخير وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر
من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة
يدل عليه ما روي عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد
الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر إلى قوله سحر مستمر يقول
ذاهب ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي
رواية أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذ
انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولهما عن ابن عباس قال إن القمر انشق في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم م عن ابن عمر قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد، وعن جبير بن مطعم
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين
فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع
أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان
فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم، قال مقاتل انشق القمر ثم التأم
بعد ذلك، وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي
كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه
المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد فإنه أدل دليل وأقوى
مثبت له وإمكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب
الإيمان به واعتقاد وقوعه، قال الشيخ محيي الدين في شرحه صحيح مسلم

قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفة الملة وذلك
لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل به
ما يشا كما يفنيه ويكوره في اخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع
هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رويتهم ومعرفته ولم
يختص بها اهل مكة فاجاب العلما عن هذا بان هذا الانشقاق
حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم
متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السما او ينظر اليها الا الشاذ النادر
ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السما في
الليل من العجايب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك
يقع ولا يتحدث به الا احاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه
من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل
لقوم سالوها واقترحوا رويتها فلم يتاهب غيرهم لها • قال العلما
وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض
الافاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غايبا عن قوم وكما يجد الكسوف
اهل بلد دون بلد والله اعلم • وقيل في معنى الاية ينشق القمر يوم القيمة
وهذا القول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه
ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر
الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى **وان يروا اية يعرضوا**
دليل على وجود هذه الاية العظيمة وقد كان ذلك وقيل في معنى قوله
تعالى وان يروا اية اى تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد
بالاية هنا انشقاق القمر يعرضوا اى عن التصديق بها **ويقولوا سحر
مستمر** اى دايم مطرد وكل شي دايم حاله قيل مستمر وذلك لما راوا المعجزات
وترادف الايات وقالوا هذا سحر مستمر اى ذاهب سوف يبطل ويذهب
ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا **وكذبوا** يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله **واتبعوا اهواءهم** اى ما
زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر **وكل امر
مستقر** اى لكل امر اي حقيقة ما كانوا منه في الدنيا فسيظهر وما كان
منه في الاخرة فسيعرف وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر باهله في
الجنة والشرك مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين
والمكذبين حين يعرفوا حقيقته بالثواب او العقاب وقيل معناه
لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كاين وواقع لا محالة وقيل هو
جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل امر في امور
مستقر وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين انه حق

ولقد

ولقد جاءهم يعني اهل مكة **من الانبا** اى من اخبار الامم الماضية المكذبة
بالقران **ما فيه مزدجر** اى منتهى وموعظة **حكمة بالغة** يعني القران
حكمة تامة قد بلغت الغاية **فما تغني النذر** اذا خالفوهم وكذبوهم
فتول عنهم اى اعرض عنهم نسختها اية القتال **يوم يدع الداعي** اى اذكر
يا محمد يوم يدع الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قايما على صخرة بيت
المقدس **الى شي نكر** اى منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له
خاشعا وقري خشعا **ابصارهم** اى ذليلة خاضعة عند روية العذاب
يخرجون من الاجداث اى من القبور **كانهم جراد منتشر** مثل في كثرتهم
وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين **مهطعين** مسرعين مادين اعناقهم
مقبلين **الى الداع** اى الى صوت الداع وهو اسرافيل وقيل ناظرين
اليه لا يقلعون بابصارهم **يقول الكافرون هذا يوم عسر** اى صعب
شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين
لا على المومنين في قوله تعالى **كذبت قبلهم** اى قبل اهل مكة **قوم نوح
فكذبوا عبدنا** يعني نوحا **وقالوا مجنون وازدجر** اى زجروه عن
دعوته ومقالته بالشتم والوعيد لقولهم لين لم تنته يا نوح
لتكونن من المرجومين **فدعا** يعني نوحا **ربه** وقال **اني مغلوب**
اى مقهور **فانتصر** اى فانتقم لي منهم **ففتحنا ابواب السما** قيل هو
على ظاهره وللسما ابواب تغلق وتفتح ولا يستبعد ذلك لانه قد صح
في الحديث ان للسما ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان
يكون المطر من السحاب **بما منهمر** اى منصب انصبابا شديدا لم
ينقطع اربعين يوما **وفجرنا الارض عيونا** اى وجعلنا الارض كلها
عيونا تسيل بالما **فالتقى الما** يعني ما السما وما في الارض **على امر
قد قدر** اى قضي عليهم في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماآن
سوا فكانا على قدر **وحملناه** يعني نوحا **على ذات الواح** يعني سفينة
ذات الواح واراد بالالواح خشب السفينة العريضة **ودسر** اى مسامير
التي يشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل عوارض
السفينة واضلاعها • وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر
اصلها وطرفاها **تجري** يعني السفينة **باعيننا** اى بمراى منا
وقيل بحفظنا وقيل باوامرنا **جزا لمن كان كفر** يعني فعلنا ذلك به
وبهم من انجا نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد
امره وقيل لمن بمعنى ما اى جزا لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند
الذين غرقهم وقيل جزا لمن صنع بنوح واصحابه **ولقد تركناها اية**
يعني الفعلة التي فعلنا بهم اية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قيل

تهم

قال قتادة ابقاها الله تعالى ببا قرى من ارض الجزيرة عبرة حتى ينظر اليها
اوايل هذه الامة **فهل من مدكر** اى متذكر معتبر متعظ خايف مثل ٥
عقوبتهم **ق** عن ابن مسعود قال قرات على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مذكر فردها على مدكر وفي رواية اخرى سمعته يقول مدكر والا
فكيف كان عذابي ونذر اى انذارى **ولقد يسرنا القران للذكر** اى ليتذكر
ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراة وليس شى من
كتب الله تعالى يقرا كله ظاهرا الا القران **فهل من مدكر** متعظ بموعظة
وفيه الحث على تعليم القران والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله
على من يشا من عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير
والعربي والعجمي وغيرهم **قوله عز وجل** **كذبت عاد فكيف كان
عذابي ونذر** اى انذارى لهم بالعذاب **انا ارسلنا عليهم ريحا
صرصرا** اى شديد الهبوب **في يوم نحس** اى في يوم شوم **مستمر** اى دايم
الشوم مستمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم احد الا هلك فيه
وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعا في اخر الشهر **تنزع الناس** اى الريح
تقلعهم ثم ترمى بهم على روسهم فتدق رقابهم وقيل كانت تنزعهم من
قبورهم **كانهم اعجاز نخل** قال ابن عباس اصول نخل **منقعر** اى
منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين روسهم
من اجسادهم بلا روس كعجز النخلة الملقاة **فكيف كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر**
اى بالانذار الذي جا به صالح **فقالوا ابشرا منا واحدا** يعني ادميا واحدا
منا **نتبعه** اى ونحن جماعة كثيرة **انا اذا لفي ضلال وسعر** اى خطا
وذهاب من الصواب وسعر قال ابن عباس عذاب وقيل انا لفي عنا
وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون ٥ وقيل لفي بعد عن الحق
االقي الذكر عليه يعني انزل عليه الوحي **من بيننا بل هو كذاب اشر** اى بطر
متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعايه النبوة **سيعلمون غدا** اى حين
ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيمة وانما ذكر الغد للتقريب
من الكذاب الاشر اى صالح ام من كذبه **انا مرسلوا الناقة** اى باعثوها
ومخرجوها من الهضبة التي سالوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسالوه
ان يخرج لهم من صخرة حمرا ناقة عشرا فقال الله تعالى انا مرسلوا
الناقة **فتنة** اى محنة واختبارا **لهم فارتقبهم** اى فانتظر ما هم
صانعون **واصطبر** اى على اذاهم **ونبئهم** اى اخبرهم **ان الما قسمة بينهم**
اى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا
للعقلا **كل شرب** اى نصيب من الما **محتضر** اى يحضره من كانت نوبته

فاذا

فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم
وقيل يعني يحضرون اللبن اذا غابت الناقة فاذا جات حضروا اللبن ٥
فنادوا صاحبهم يعني قدار بن سالف **فتعاطى** اى فتناول الناقة
بسيفه **فعقر** يعني الناقة **فكيف كان عذابي ونذر** ثم بين عذابهم
فقال تعالى **انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة** يعني صيحة جبريل **فكانوا
كهشيم المحتظر** قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر
والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو
الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعنى
انهم صاروا كيبيس الشجر البالي الذي يهشم اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام
النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحايط **ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر** **قوله عز وجل** **كذبت قوم لوط بالنذر انا
ارسلنا عليهم حاصبا** يعني الحصبا وهي الحجارة التي دون ملا الكف
وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم
عذابا يحصبهم اى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى **الا ال لوط**
يعني لوطا وابنتيه **نجيناهم** يعني من العذاب **بسحر نعمة من
عندنا** اى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم **كذلك نجزي** اى كما
انعمنا على ال لوط كذلك نجزي **من شكر** يعني من وحد الله تعالى لم
يعذب مع المشركين **ولقد انذرهم** اى لوط **بطشتنا** يعني اخذنا
اياهم بالعقوبة **فتماروا بالنذر** اى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا
ولقد راودوه عن ضيفه اى طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه **فطمسنا
اعينهم** وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم
فقالت الرسل انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم
جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون
الى الباب واخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم
اى صيرناهم كسائر الوجه لا يرى لها شق ٥ وقيل طمس الله ابصارهم
فلم يروا الرسل فقالوا القد راينا هم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم
يروهم **فذوقوا عذابي ونذر** يعني ما انذركم به لوط من العذاب
ولقد صبحهم بكرة اى جاءهم وقت الصبح **عذاب مستقر** اى دايم استقر
بهم حتى افضى بهم الى عذاب الاخرة **فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر** **قوله عز وجل** **ولقد جا ال فرعون
النذر** يعني موسى وهارون عليهما السلام وقيل النذر الايات التي
انذرهم بها موسى **كذبوا باياتنا كلها** يعني الايات التسع **فاخذناهم**
اى بالعذاب **اخذ عزيز مقتدر** اى غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم

لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال **اكفاركم خير من اوليكم**
يعني اقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط وال فرعون وهذا استفهام انكاري اي ليسوا
باقوي منهم **ام لكم براة** يعني من العذاب **في الزبر** اي في الكتب انه
لن يصيبكم مثل ما اصاب الامم الخالية **ام يقولون** يعني كفار مكة
نحن جميع اي امرنا **منتصر** اي من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة
على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس
الاي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اي كل
واحد منهم عالم قال الله تعالى **سيهزم الجمع** يعني كفار مكة **ويولون
الدبر** اي الادبار فوحد لاجل رؤس الاي وقيل في الافراد اشارة الى انهم
في التولية والهزيمة كنفس واحد فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا
يثبت احد للزحف فهم في ذلك دبر واحد **خ** عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني
انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شيت لم تعبد بعد اليوم ابدا
فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك
فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر **بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر** فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر
وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم
الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثبت في درعه ويقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر علمت تاويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا
والساعة ادهى وامر اي اعظم داهية واشد مرارة من الاسر
والقتل يوم بدر • قوله عز وجل **ان المجرمين** يعني المشركين **في ضلال
وسعر** قيل في بعد عن الحق وسعر اي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال
في الدنيا ونار مسعرة في الاخرة وقيل في ضلال اي عن طريق الجنة
وعذاب الاخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى **يوم يسحبون في النار
على وجوههم** ويقال لهم **ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر** اي
مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شي من
خلقه فقدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شي بقدر حتى وضعك
يدك على خدك

فصل

في سبب نزول الاية وما ورد في
القدر وما قيل فيه **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على

الماء **م** عن ابي هريرة قال جاء مشركوا قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم
يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الاية ان المجرمين في ضلال وسعر
الى قوله انا كل شي خلقناه بقدر **م** عن طاووس قال ادركت ناسا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شي بقدر الله تعالى قال
وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل شي بقدر الله حتى العجز والكيس او الكيس والعجز • عن علي بن ابي
طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى
يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق
ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذي
وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم
حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه
وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث
عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث • وفي حديث جبريل المتفق
عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت فقيه ذم القدرية عن
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس
ومجوس هذه الامة يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته
ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم
بالدجال اخرجه ابو داود وله عن ابي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم
ولا تفاتحوهم في الكلام • وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجية والقدرية
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب • **وروى** ابن الجوزي
في تفسيره عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا جمع الله الخلايق يوم القيمة امر مناديا فنادى نداء يسمعه الاولون
والاخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيامر بهم الى النار يقول الله
ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر • قال ابن الجوزي وانما
قيل خصماء الله لانهم يخاصمون في انه لا يجوز ان يقدر المعصية على
العبد ثم يعذبه عليها **وروى** عن الحسن قال والله لو ان قدريا
صام حتى يصير كالحبل ويصلي حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح
بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر انا كل شي خلقناه
بقدر قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله اعلم ان مذهب
اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشيا في القدم
واعلم سبحانه وتعالى على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها
الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها

هاء

ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اى انما يعلمها الله سبحانه
وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن اقوالهم
الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر
قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقضت القدرية القايلون
بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه
وصارت القدرية فى الازمان المتاخرة تعتقد اثبات القدر ولكن
تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
وحكى ابو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وابو المعالى
امام الحرمين فى كتابه الارشاد فى اصول الدين ان بعض القدرية
قال لسنا بقدرية قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه
من هولا الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امرهم
الى الله ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهولا الجهلة
يضيفونه الى انفسهم ومدعى الشى لنفسه ومضيفه اليها اولى
بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام
الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس
هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت
المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى هرمز ولا خفا باختصاص
هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة
رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه
ابو داود فى سننه والحاكم ابو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين
وقال صح على شرط الشيخين ان صح سماع ابى حازم من ابن عمر وقال
الخطابى انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم
مذهب المجوس فى قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان
الخير الى الله والشر جميعا لا يكون شى منه الا بمشيته فهما مضافان
اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده
فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس ان معنى
القضا والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه
وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن قدم علم الله تعالى
بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق
لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر
يقال قدرت الشى وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضا
فى هذا معناه الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اى خلقهن وقد
تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة

واهل

واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدرة الله سبحانه
وتعالى وقد قرر ذلك ايمة المتكلمين احسن تقرير بدلايلها القطعية
السمعية والعقلية والله اعلم واما معانى الاحاديث المتقدمة
فقوله جا مشركوا قريش الى قوله انا كل شى خلقناه بقدر المراد بالقدر
هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه
وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك
قوله كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وعرشه على الما المراد منه تحديد وقت الكتابة
فى اللوح المحفوظ او غيره لا اصل القدر فان ذلك ازلى لا اول له
وقوله وعرشه على الما اى قبل ان يخلق السموات والارض وقوله
كل شى بقدر حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز العجز
عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتاخيره
عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى امور
الدنيا والاخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور
ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه قوله
تعالى **وما امرنا الا واحدة** وقيل معناه وما امرنا للشى اذا اردنا
تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فالارادة قدر والقول
قضا وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة
الى نفاذ الامر **كلمح بالبصر** قال ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجى
الساعة فى السرع كطرف البصر **ولقد اهلكنا اشياعكم** اى اشباهكم
ونظرائكم فى الكفر من الامم السالفة **فهل من مدكر** اى متعظ ان ذلك
حق فيخاف ويعتبر **وكل شى فعلوه** يعنى الاشياع من خير وشر **فى الزبر**
اى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ **وكل صغير وكبير** اى من
الخلق واعمالهم واجالهم **مستطر** اى مكتوب قوله عز وجل **ان
المتقين فى جنات** اى بساتين **ونهر** اى انهار وانما وحده لموافقة
رؤس الاى واراد انهار الجنة من الما والخمر واللبن والعسل وقيل
معناه فى ضيا وسعة ومعناه النهار والمعنى لا ليل عندهم **فى مقعد
صدق** اى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل
فى مقعد لا كذب فيه لان الله صادق وامتنع عليه الكذب فهو فى مقعد
صدق **عند مليك مقتدر** اى قادر لا يعجزه شى وقيل مقتدر بين امره
فى الملك والاقتدار اعظم شى فلا شى الا وهو تحت ملكه وقدرته فاى
منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها
قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه

الا اصل الصدق والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

• تفسير سورة الرحمن عز وجل مكية •

وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من احدى القولين عن ابن عباس
هي ثمان وسبعون اية واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وثلاثون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
الرحمن علم القران قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما
الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف فانزل الله الرحمن يعني الذي انكرتموه
هو الذي علم القران وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه
بشر فقال تعالى الرحمن علم القران يعني علم محمدا القران يسره للذكر ليحفظ
ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها
نعمة واعلاها رتبة وهو القران العزيز لانه اعظم وحي الله الى انبيائه
واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب
الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزل على افضل البرية خلق الانسان
يعني ادم عليه السلام قاله ابن عباس علمه البيان يعني اسما كل شي وقيل
علمه اللغات فكان يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان
اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون علم البيان اي النطق
الذي يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام
حتى عرف ما يقول وما يقال له • وقيل علم كل قوم بلسانهم الذي يتكلمون
به • وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم يعني عن خبر الاولين والاخرين
وعن يوم الدين • وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام
الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل
لا يعدوانها وقيل يعني بهما يحسب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار
والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد الحساب هو الفلك
تشبيها بحسبان الرحا وهو ما يدور الحجر بدورانه والنجم والشجر يسجدان
قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى من
الشتا وسجودهما سجود ظلهما • وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه
والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما
ارضيان في مقابلة سماويين والسما رفعها اي فوق الارض ووضع الميزان
قيل اراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل
عليه قوله الا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الالة
التي يوزن بها ليحصل به الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير
الا تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط اي بالعدل واقيموا وقيل لسان الميزان بالعدل

وقيل

وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا اي لا تنقصوا الميزان
ولا تطففوا الكيل والوزن امر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو
اعتدا او زيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ
الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه والارض
وضعها اي خفضها مدحوة على الما للانام اي للخلق الذي ينتشر فيها وهي
كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون
فوقها فيها اي في الارض فاكهة اي من انواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون
به من النعم التي لا تحصى والنخل ذات الاكمام يعني الاوعية التي يكون
فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما ينشق وكل شي
ستر شيا فهو كم وقيل ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر
لانها اعظمها واكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب التي يقتات بها
كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقا الى
الاعلا لان الحب ينفع من النخل واعم وجودا في الاماكن ذو العصف
قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع والاخضر اذا قطع
روسه ويبس وقيل هو ورق الزرع • وقيل العصف ورق كل شي يخرج
منه الحب يبدو اولا ورقا وهو العصف ثم يكون مستويا سوقا ثم
يحدث الله عز وجل فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان يعني
الرزق قال ابن عباس كل ريحان في القران فهو رزق وقيل هو الريحان
الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس
والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى فباي الا ربكما تكذبان
يعني ايها الثقلان يريد هذه الاشيا المذكورة وكرر هذه الاية في هذه
السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا في التذكير بها ثم
عدد على الخلق الاه وفصل بين كل نعمتين بما نبههم عليها ليفهمهم النعم
ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها
الم تكن فقيرا فاغنيتك فتنكر هذا وقيل هذا الكلام شايع في كلام
العرب تقريرا وذلك ان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على
وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسما
والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن فقال فباي
الا ربكما تكذبان من الاشيا المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة
الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة
الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي الا ربكما
تكذبان قالوا لا بشي من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي

وقال حديث غريب وفي رواية عنه كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشي
قوله تعالى **خلق الانسان من صلصال** يعني من طين يابس له صلصلة
وهو الصوت منه اذا نقر **كالفخار** يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف
فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان
الذي هو ادم فقال تعالى من تراب وقال من حما مسنون وقال من طين
لازب وقيل من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار **قلت**
ليس في هذه العبارة اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه
اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حما مسنون وهو
الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار **وخلق الجان** وهو
ابو الجن وقيل هو ابليس **من مارج من نار** يعني الصافي من لهب النار
الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر
والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت **فباي الاء ربكما تكذبان**
رب المشرقين يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق
الشتا الذي هو غاية انحطاط الشمس **ورب المغربين** يعني مغرب
الصيف ومغرب الشتا وقيل يعني مشرق الصيف وخسوف القمر ومغرب
الشمس ومغرب القمر **فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين** يعني ارسل
البحرين العذب والمالح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين
لان من شانهما الاختلاط وهو قوله **يلتقيان** لكن الله تعالى منعهما
عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله **بينهما برزخ** اي حاجز من قدرة الله
تعالى **لا يبغيان** اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا
يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني
بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما • وقيل بحر فارس والروم بينهما
برزخ يعني الجزاير وقيل بحر السما وبحر الارض يلتقيان كل عام **فباي**
الاء ربكما تكذبان يخرج منهما قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب
فهو كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من احدهما فحذف
المضاف • وقيل لما التقى البحران فصار كالشي الواحد جاز ان يقال يخرج
منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه
وقيل يخرج من السما والبحر قيل اذا امطرت السما فتحت الاصداف
افواهها فحيث ما وقعت قطرة كانت لولوة على قدر القطرة وقوله
اللولوء قيل ما عظم من الدر **والمرجان** صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل
المرجان هو الاحمر **فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار** يعني السفن الكبار
المنشآت اي المرفوعات وهي التي ترفع خشبها بعضه على بعض وقيل
هي ما رفع قلعها من السفن اما ما لم يرفع قلعها فليس من المنشآت

وقيل

وقيل المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات **في البحر كالاعلام** اي
كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر
فباي الاء ربكما تكذبان قوله عز وجل **كل من عليها فان** اي على
الارض من حيوان وانما ذكره بلفظ من تغليبا للعقلاء **فان** اي هالك
لان وجود الانسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان
ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة **ويبقى**
وجه ربك يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب وجهان
احدهما مع كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع
والوجه الثاني انه يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
ذو الجلال اي ذو العظمة والكبريا ومعناه الذي يجله الموحدون عن
التشبيه بخلقه **والاكرام** اي المكرم لانبيايه واوليايه وجميع خلقه بلطفه
واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته **فباي الاء ربكما تكذبان** عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام
اخرجه الترمذي • قال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا
الزموا هذه الدعوة واكثروا منها • قوله تعالى **يسئله من في السموات**
والارض يعني من ملك وانس وجن ولا يستغني عن فضله اهل السموات
والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسالونه المغفرة واهل الارض
يسالونه الرزق والمغفرة وقيل كل احد يساله الرحمة وما يحتاج اليه من
دينه او دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان
جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى
كل يوم هو في شان قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضي
يوم السبت شيا قال المفسرون انه من شانه يحيي ويميت ويرزق ويعز
قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج مكروبا
ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله
واحداثه في خلقه ما يشا سبحانه وتعالى • وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة
بيضا دفتاه من ياقوتة حمرا قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم
ثلثماية وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل
ما يشا فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان قال سفين بن عيينة
الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخرة يوم القيمة
والشان الذي هو فيه هو مدة ايام يوم الدنيا والاخرة يوم القيامة
والشان الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختيار بالامر
والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع وشان يوم القيمة الجزا والحسا

والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت
ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كاين فاذا
جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت
وقال ابو سليمان الداراني في هذه الاية كل يوم الى العبد بر جديد
وقيل شانه تعالى انه يخرج كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من
اصلاب الابا الى ارحام الامهات وعسكر من الارحام الى الدنيا وعسكر
من الدنيا الى القبور ثم يرحلون جميعا الى الله تعالى فباى الاء ربكما
تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق
بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شان
عن شان فهو كقول القايل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به
شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان
وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في امركم فهو كقول
القايل للذي لا شغل له قد فرغت لك • وقيل معناه ان الله وعد اهل
التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم ايها الثقلان مما وعدناكم
واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ
منه فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما
ثقلا على الارض احيا وامواتا • وقيل كل شي له قدر ووزن منا فس فيه
فهو ثقل • ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم واني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي اعظمهما القدر عما • وقال جعفر بن محمد الصادق سمي
الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب فباى الاء ربكما تكذبان يا
معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
اى جوانبها واطرافها فانفذوا اى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا
من الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها
فحيث ما كنتم يدرككم الموت • وقيل يقال لهم هذا يوم القيمة والمعنى
ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا
يقدر عليكم فاخرجوا • وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضائي
وتخرجوا من ملكي ومن سماي وارضي فافعلوا وقدم الجن والانس في
هذه الاية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على
ذلك ثم قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان يعني لا تقدرون على النفوذ
الا بقهر وغلبة واني لكم ذلك لانكم حيث ما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني
وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض
فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اى بينة من الله تعالى فباى الاء ربكما
تكذبان وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون

اى تخرجوا

يامعشر

يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض الاية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار قال اكثر
المفسرين هو اللهب الذي لا دخان فيه وقيل اللهب الاخضر المنقطع
من النار ونحاس قيل هو الدخان وهو رواية ابن عباس وقيل هو الصفر
المذاب يصب على روسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال
ابن مسعود النحاس المهل • وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل
يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر فلا تنتصران
اى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه فباى الاء ربكما تكذبان
فاذا انشقت السماء اى انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملايكة وقيل
المراد منه خراب السما وذلك لما قال كل من عليها فان فانه اشارة الى
اهل الارض ذكر في هذه الاية بيان حال سكان السما وقيل فيه تهويل
وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على
الانس والجن وهو تشقق السما وذوابانها وهو قوله تعالى فكانت وردة
كالدهان جمع دهن شبه تلون السما عند انشقاقها بتلون الفرس الورد
وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة • وقيل ان السما تتلون يومئذ الوانا
كالوان الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وفي اول الشتا احمر فاذا اشتد
البرد صار اغبر فشبه السما في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه
وقيل كالدهان اى كعصير الزيت • وقيل لانه يتلون في الساعة الوانا
وقيل تصير السما كالدهن الذايب وذلك حين يصلها حر جهنم • وقيل
كالدهان اى الاديم الاحمر فباى الاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسال عن
ذنبه انس ولا جان قيل لا يسالون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى
علمها منهم وكتبت الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس ايضا في
الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين • وقيل
لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا • وقيل انها مواطن فيسال في بعضها ولا
يسال عن بعضها • وعن ابن عباس ايضا قال لا يسالون سوال شفاء ورحمة
انما يسالون سوال تقريع وتوبيخ • وقيل لا يسال غير المجرم عن ذنب
المجرم فباى الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني بسواد وجوههم
وزرقة عيونهم فيوخذ بالنواصي والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة
الى النواصي من خلف ظهره وقيل تجعل روسهم على ركبهم ونواصيهم في
اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام
ثم يلقون في النار فباى الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون يعني المشركين يطوفون بينها وبين حميم آن يعني قد انتهى
حرها والمعنى انهم يسعون بين الجحيم وبين الحميم فاذا استغاثوا من

النار جعل عذابهم الحميم الآن الذي صار كالمهل وقال كعب الاحبار الآن واد
وادٍ من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال
فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله
تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون فذلك قوله يطوفون بينها وبين
حميم آن فباي آلاء ربكما تكذبان فان قلت هذه الامور
المذكورة في هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست
نعما فكيف قال في هذه الآيات فباي آلاء ربكما تكذبان قلت
هذه الامور المذكورة في هذه الآية زواجر ومواعظ وتخويف وكل
ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت
نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر
ما اعد الله تعالى لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال عز
من قائل ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه فترك
الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه
وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى واطلاعه عليه فيدعها
من مخافة الله تعالى • وقيل لمن راقب الله تعالى في السر والعلانية
بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشية الله تعالى وما عمل من
خير اخلصه لله تعالى ولا يحب ان يطلع عليه احد • قيل ان المؤمنين
خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودابوا الليل والنهار
جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه
شهوته عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية
الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي • قوله ادلج الادلاج مخففا
سير اول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير
والجهد والاجتهاد في اول الامر فان من سار في اول الليل كان جديرا
ببلوغ المنزل • وروى البغوي بسنده عن ابي الدرداء انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام
ربه جنتان قلت وان زنا وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه
جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال الثالثة
ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنا وان سرق
يا رسول الله فقال وان زنا وان سرق على رغم ابي ذر فباي آلاء
ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا افنان اي
اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا
ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان

بعني

يعني الوان الفواكه وجمع عطا بين القولين فقال كل غصن فنون
من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فباي آلاء ربكما
تكذبان فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة
لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احدهما التسنيم والاخرى
السلسبيل • وقيل احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة
للشاربين فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان اي
صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين
رطبا ويابسا وقال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي
في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين
على فرش جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي التي تلي الارض من
تحت الظهارة من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن
مسعود وابو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد
ابن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هذا مما قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطائنها من استبرق
وظواهرها من نور جامد • وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر
لانه ليس في الارض احد يعرف بالظواهر • وقيل ظواهرها من سندس
وهو الديباج الرقيق الناعم وهو يدل على نهاية شرف هذه الفرش
لانها ذكر بطائنها من الاستبرق ولا بد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن
فهو مما لا يعلمه البشر وجنا الجنتين دان يعني ان ثمرهما قريب يناله
القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد
وتعب • قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله ان شاء قائما
وان شاء قاعدا • وقيل لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك فباي آلاء ربكما
تكذبان فيهن فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت
الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور
ومجالس قاصرات الطرف اي غاضات الاعين قصرت طرفهن الا على
ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة
لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي
جعلك زوجي وجعلني زوجتك لم يطمثهن اي لم يجامعهن ولم يفترعهن
والمعنى لم يدمهن بالجماع • وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق
• خرجن الي لم يطمثن قبلي • وهن اصح من بيض النعام •
اي لم يمسسهن والمعنى لم يطاهن ولم يغشهن انس قبلهم اي من ازواجهن
من اهل الجنة ولا جان • وقيل انما نفى الجن لان لهم ازواجا في الجنة
وفي الآية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانس • وسئل ضمرة بن حبيب

هل للجن ثواب فقال نعم وقرا هذه الاية ثم قال الانسيات للانس والجنيات
للجن وقال مجاهد في هذه الاية اذا جامع ولم يسم انطوى الجن على احليله
فجامع معه واختلف في هولا اللواتي لم يطمثهن فقيل هن من الحور العين
لانهن خلقن لم يمسسهن احد قبل ازواجهن • وقيل لم يطمثهن انهن من
نسا الدنيا انشين خلقا اخر ابكارا • ومعنى الاية المبالغة في نفي الطمث
عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم **فباى
الا ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان** اراد صفا الياقوت في بياض
المرجان وهو صغار اللولو مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان
البياض المشرب بحمرة والاصح انهن شبههن بالياقوت لصفايه وقال
عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ
ساقها من ورا الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا يدل
على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان المراة من نسا اهل الجنة ليرى بياض ساقها من ورا سبعين حلة
حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان
فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته
من وراية اخرجه الترمذي • قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه
ولم يرفعه وهو اصح **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية
ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السما اضاة لا يبصقون ولا
يمتخطون ولا يتغوطون انيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب
مجامرهم اللولو ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما
من ورا اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل
واحد يسبحون الله بكرة وعشية وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد
وزاد فيه ولا يسقمون • قوله مجامرهم اللولو يعني بخورهم العود **فباى
الا ربكما تكذبان هل جزا الاحسان الا الاحسان** اى ما جزا من احسن
في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة وقال ابن عباس هل جزا من قال
لا اله الا الله وعمل بما جا به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة • روى البغوي
عن انس بن مالك قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزا الاحسان
الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم
قال يقول هل جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة • وروى الواحدي
بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في هذه الاية يقول الله عز وجل هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي
الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي • وقيل في معنى الاية هل جزا

من

الي

من اتى بالعمل الحسن الا ان يوتى في مقابلته بفعل حسن وفي الاية دلالة
على رفع التكليف في الاخرة لان الله وعد المومن بالاحسان وهو الجنة
فلو بقي التكليف في الاخرة وتركه العبد لاستحق العذاب على ترك العمل
والعقاب على ترك الاحسان اليه فلا تكليف **فباى الا ربكما تكذبان
ومن دونهما جنتان** اي ومن دون الجنتين الاولتين جنتان اخريان
وقال ابن عباس من دونهما جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل
فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل
ورمان **ق** عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وما بين القوم ان ينظروا الى ربهم
الا ردا الكبريا على وجهه في جنة عدن • وقال الكسائي ومن دونهما
جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان
من ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين **فباى الا ربكما تكذبان**
ثم وصف الجنتين فقال تعالى **مدهامتان** اى ناعمتان سودا وان من
ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد **فباى
الا ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان** اى فوارتان بالما لا ينقطعان
وقال ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود
ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كنضح المطر **فباى الا ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان** يعني فيهما من انواع الفواكه كلها
وانما فضل النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على
فضلهما على ساير الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة
قالوا انما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا
لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال فضلهما وان كانا من جملة
الملايكة لشرفهما وفضلهما • وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه
لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه
ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم
يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا حجة له
في الاية • وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة
جذوعها زمرد اخضر وكرمها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة
منها حللهم وثمرها مثل القلال او الدلا اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل والين من الزبد ليس لهم عجم • وروى ان الرمانة من رمان
الجنة كجلد البعير المقتب • وقيل ان نخل اهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال
كلما قطعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنى عشر ذراعا **فباى
الا ربكما تكذبان فيهن** اي في الجنان الاربع **خيرات حسان** روي عن ام سلمة

قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الخيرات الحسان
قال قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه **فبأي آلاء ربكما تكذبان حور
مقصورات** اي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امراة من نساء اهل الجنة
اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها
على راسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصر طرفهن وانفسهن
على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا **في الخيام** قيل هي البيوت قال ابن
الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال
خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا قام بها وتظلل
فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور
في الجنة **ق** عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للمؤمن في الجنة الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء
وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلها اهلون يطوف
عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا **فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان** تقدم تفسيره **فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على
رفرف خضر** قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن
عباس الرفرف فضول المجالس والبسط وقيل هي مجالس خضر فوق
الفرش وقيل هي المرافق وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف
وعبقري حسان قيل هي الزرابي والطنافس المخملة الى الرقة وقيل كل
ثوب موشى عند العرب عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من
الرجال وغيره فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه ينسب الى عبقر
وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء عجيب رفيع وذلك
ان العرب تعتقد في الجن على صفة عجيبة وانهم ياتون بكل امر عجيب ولما
كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليها كل عجيب بليغ **فبأي آلاء ربكما
تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** قيل لما ختم نعم الدنيا
بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي
هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة
الى تحميده وتمجيده **م** عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك
السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي غير
قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الواقعة

وهي

وهي تسع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة
وثلاثة احرف روى البغوي عن ابي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل
ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا واخرجه ابن
الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل **اذا وقعت الواقعة** اذا قامت القيامة وقيل
اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة
كالآزفة **ليس لوقعتها** اي لمجيئها **كاذبة** اي ليس لها كذب والمعنى انها
تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قضية كاذبة اي بكل ما اخبر
الله عنها وقص من خبرها قضية صادقة غير كاذبة اي ان كل مخبر عن
وقوعها صادق غير كاذب لم يخبر نفس اخبرت وقوعها **خافضة رافعة**
اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض
اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع
اقواما بالطاعة **اذا رجت الارض رجا** اي اذا حركت وزلزلت وذلك
ان الله عز وجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون
ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى يهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها
من جبال وغيرها وهو قوله تعالى **وبست الجبال بسا** اي فتتت فصارت
كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت
شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وصيرت على وجه الارض حتى
ذهبت **فكانت هباء منبثا** اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع
الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء **وكنتم ازواجا** اي اصنافا **ثلاثة**
ثم فسر الازواج فقال تعالى **فاصحاب الميمنة** يعني اصحاب اليمين
والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال
ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه
وقال الله هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي وقيل هم
الذين كتبهم الله بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين
على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله وهم السابقون
باحسان **ما اصحاب الميمنة** تعجب من حالهم في السعادة والمعنى
اي شيء هم **واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة** يعني اصحاب
الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس
هم كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية فقال الله تعالى هؤلاء الى
النار ولا ابالي وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم
على انفسهم لان العرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى **والسابقون**

السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة هم السابقون
في الاخرة وقيل هم الذين صلوا القبلتين من المهاجرين والانصار
وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد • وقيل
المسارعون الى التوبة والى ما دعى الله اليه من اعمال البر والخير
وقيل هم الفرى والمتوجون يوم القيمة **فان قلت** لم اخر ذكر
السابقين وكانوا اولى بالتقدم على اصحاب اليمين **قلت**
فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الامور
الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد
رغبة في الثواب واما مسئ فيرجع عن اسائته خوفا من العقاب
فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسعون ويرغبون ثم ذكر اصحاب
الشمال ليرهبون ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع
الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على
السابقين فقال تعالى **اولئك المقربون** اى من الله في جواره وفي
ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله **في جنات النعيم** قوله تعالى **ثلة**
اى جماعة غير محصورة العدد **من الاولين** اى من الامم الماضية
من لدن ادم الى زمن نبينا **وقليل من الاخرين** يعني من هذه الامة
وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبيا وصدقوهم من الامم الماضية
اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وامن به • وقيل ان الاولين
هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين يعني
التابعين لهم باحسان • وقيل ان الاولين سابق المهاجرين والانصار
وقليل من الاخرين اى ممن جا بعدهم من الصحابة **على سرر موضونة**
اى منسوجة بالذهب والجوهر وقيل موضونة يعني موصوفة •
متكئين عليها اى على السرر **متقابلين** يعني لا ينظر بعضهم في قفا
بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا
نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور **يطوف عليهم** اى للخدمة
ولدان اى غلمان **مخلدون** لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا
ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطقون والخلد القرط
وهي الحلقة تعلق في الاذن • واختلفوا في هولا الولدان فقيل هم
اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه
يلحقهم بابائهم ولان المومنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره فلو
خدمه ولد غيره كان منقصة بابي الخادم • وقيل هم صغار الكفار
الذين ماتوا قبل التكليف • وقيل هذا القول اقرب من الاول
لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاث مذاهب فقال الاكثرون

هم في النار تبعا لابائهم وتوقف فيهم طايفة والمذهب الثالث وهو الصحيح
الذى ذهب اليه المحققون انهم في الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا
موضعه • وقيل هم اطفال ماتوا ليس لهم حسنات فيثابوا ولا سيات
فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها
ولادة والقول الصحيح الذى لا معدل عنه ان شا الله انهم ولدان خلقوا
في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة
اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة
وليدة وان اسنت **باكواب** جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا اذان
لها ولا عرى **واباريق** جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق
لبروق لونها من الصفا • وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها **وكاس
من معين** اى من خمر جارية **لا يصدعون عنها** اى لا تتصدع روسهم
من شربها وعنها كناية عن الكاس • وقيل لا يتفرقون عنها **ولا ينزفون**
اى لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرى بكسر الزاى ومعناه
لا ينفد شرابهم **وفاكهة مما يتخيرون** اى ياخذون خيارها **ولحم طير
مما يشتهون** قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين
يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيا كل منه ما يشتهى
ثم يطير **فان قلت** نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القران
بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجايع
تميل نفسه الى اللحم واذا حضر عند الشبعان غير مشتهٍ بل هو مختار واهل
الجنة انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها
ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه
حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل **وحور عين**
اى ويطوفون عليهم وقيل ولهم حور عين وجا في تفسير حور بيض عين اي
ضخام العيون **كامثال اللولو المكنون** اى المخزون في الصدف المصون
الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس والهوى فيكون في نهاية
الصفا روي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ثغر حورا ضحكت
وروى ان الحورا اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد
الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها
نعلان من ذهب شراكهما من لولو يصيران بالتسبيح **جزاء بما كانوا
يعملون** اى فعلنا بهم ذلك جزاءا لما كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا
لا يسمعون فيها اى في الجنة **لغوا** قيل اللغو ما يرغب فيه من الكلام
ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع
ولا تاثيما قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه

في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتها
بلاغة فتامل

اثم كما يتكلم به اهل الخمار الدنيا وقيل معناه لا يأتون تاثيما اى ما هو
سبب التأثيم من قول وفعل قبيح الا قيلا معناه لكن يقولون قيلا
ويسمعون قيلا سلاما سلاما يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل
يسلم الملايكة عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم • وقيل معناه ان قولهم
يسلم فى اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شانهم فقال تعالى واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين لما بين حال السابقين شرع فى بيان حال
اصحاب اليمين فقال تعالى فى سدر مخضود اى لا شوك فيه كانه
خضد شوكه اى قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر
حملا وقيل ثمرها اعظم من القلال وهو النبق • قيل لما نظر المسلمون الى
وج وهو واد مخصب بالطايف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا
فانزل الله هذه الاية وطلح قيل هو الموز عند اكثر المفسرين • وقيل هو
شجر له ظل بارد طيب • وقيل هو شجر ام غيلان له شوك ونور طيب
الرايحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا ان فضله
على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا منضود اى متراكم قد نضد
بالحمل من اوله الى اخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه
ثمر وليس شى من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز
ونحو هما بل كلها ماكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وظل ممدود
اى دايم لا ينسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك لان اهل الجنة ظل
كلها لا شمس فيها ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها ماية سنة واقروا ان شيتم وظل
ممدود • وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على
ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون فى اصلها فيشتهى بعضهم لهو
الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك كل الشجرة بكل
لهو فى الدنيا وماء مسكوب اى مصبوب يجرى دايما فى غير اخدود ولا
ينقطع وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع
اذا جنيت ولا تمتنع من احد اذا اراد اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان
ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتا ولا يوصل اليها الا
بالثمن وقيل لا يخظر عليها كما يخظر عليها على بساتين الدنيا • وجا فى
الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله مكانها ضعفين
وفرش مرفوعة قال مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى
مرفوعة عالية • عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السما والارض ومسيرة
ما بينهما خمسماية عام اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

قال

قال الترمذى قال بعض اهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين
السما والارض • وقيل اراد بالفرش النسا والعرب تسمى المراة فراشا
ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة اى رفعن
بالفضل والجمال على نسا الدنيا • ويدل على هذا التاويل قوله فى عقبه
انا انشاناهن انشاء اى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى
الادميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم والكبر خلقا اخر فجعلناهن
ابكارا يعنى عذارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
انشاناهن انشاء قال ان من المنشات اللاتى كن فى الدنيا عجايز
عمشا رمصا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وضعفه بعض رواته
وروى البغوى بسنده عن الحسن قالت اتت عجوز النبى صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا ام فلان
الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكى قال اخبروها انها لا تدخلها
وهى عجوز ان الله تعالى قال انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا
هذا حديث مرسل • وروى باسناد الثعلبى عن انس بن مالك عن
النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله انا انشاناهن انشاء قال عجايز كن
فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا قال المسيب بن شريك هن
عجايز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا • وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن
فى الدنيا وقيل هن الحور العين انشاهن الله لم يقع عليهن ولادة
فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع عربا جمع عروب
وهى المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس فى رواية عنه وعنه انها
الملقة وقيل الغنجة • وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان
الكلام اترابا يعنى امثالا فى الخلق وقيل مستويات فى الحسن
السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين • عن معاذ بن جبل
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا
مردا مكحلين ابنا ثلاث وثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة
اخرجه الترمذى • وقال حديث حسن غريب لاصحاب اليمين يعنى
انشاناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذى ذكرنا لاصحاب اليمين
ثلة من الاولين يعنى من المومنين الذين هم قبل هذه الاية يدل
عليه ما روى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما
انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين
وقليل من الاخرين بكى عمر فقال يا نبى الله امنا برسول الله وصدقناه
ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من

هـ

الاخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله
تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة
ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله ق
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت
على الامم فرايت النبى ومعه الرهيط والنبى معه الرجل والرجلان
والنبى وليس معه احد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم امتى
فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا
سواد عظيم فقيل لى هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس
في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال
بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشيا
فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذى تخوضون
فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلنى
منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل اخر فقال يا رسول الله ادع الله
ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة • الرهيط الصغير رهط وهم
دون العشرة وقيل الاربعين عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحو من اربعين فقال اترضون ان
تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا
نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك
ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة
البيضا في جلد الثور الاحمر • وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون
من سائر الامم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن • وذهب جماعة الى
ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابو العالية ومجاهد
وعطاء ابن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة
وثلة من الاخرين من هذه الامة ايضا في اخر الزمان يدل على ذلك
ما روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من
الاولين وثلة من الاخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا
من امتى وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع
النبى صلى الله عليه وسلم وامن به وعاينه وجماعة ممن امن به وكان

بعده

بعده ولم يعاينه **فان قلت** كيف قال في الاولى الاية وقليل من
الاخرين وقال في هذه الاية وثلة من الاخرين **قلت** الاية الاولى
في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الاخرين وهذه الاية
في اصحاب اليمين وهم كثيرون في الاولين والاخرين • **وحكى** عن
بعضهم ان هذه • ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه
والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الايتين خبر والخبر لا يدخله النسخ
قوله تعالى **واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال** قد تقدم انه بمعنى التعجب
من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما اعد
لهم من العذاب فقال تعالى **في سموم** اى حر النار وقيل في ريح شديد
الحرارة **وحميم** اى ما حار يغلى **وظل من يحموم** يعني في ظل من دخان
شديد السواد وقيل ان النار سودا واهلها سود وكل شى فيها اسود
وقيل اليحموم اسم من اسما النار **لا بارد ولا كريم** يعني لا بارد المنزل ولا
كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثانى
حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذه لانهم
في ظل من دخان اسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى **انهم
كانوا قبل ذلك** يعني في الدنيا **مترفين** يعني منعمين **وكانوا يصرون على
الحنث العظيم** يعني الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين
الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل
على سياق الاية وهو قوله تعالى **وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اينا لمبعوثون او اباونا الاولون** فرد الله تعالى عليهم بقوله
قل ان الاولين والاخرين يعني الابا والابنا **لمجموعون الى ميقات يوم معلوم**
يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم القيامة الحساب **ثم انكم ايها الضالون**
يعني عن الهدى **المكذبون** يعني بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل
انه عام مع كل ضال مكذب **المكذبون لاكلون من شجر من زقوم** تقدم
تفسيره • **فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون
شرب الهيم** يعني الابل العطاش تهلك • وقيل الهيم دا يصيب الابل فلا
تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك • وقيل الهيم الارض ذات الرمل
التى لا تروى بالما قيل يلقى على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب
الهيم فلا يروون **هذا نزلهم** يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اى رزقهم
وغذاوهم وما اعد لهم **يوم الدين** يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج
عليهم في البعث بقوله تعالى **نحن خلقناكم** يعني ولم تكونوا شيا وانتم
تعلمون ذلك **فلولا** اى فهلا **تصدقون** يعني بالبعث بعد الموت
قوله عز وجل **افرايتم ما تمنون** يعني ما تصبون في الارحام من النطف

ءانتم تخلقونه اى انتم تخلقون ما تمنون بشرا ام نحن الخالقون اى انه
خلق النطفة وصورها واحياها فلم لا تصدقون لانه واحد قادر على
ان يعيدكم كما انشاكم احتج عليهم فى البعث بالقدرة على ابتدا الخلق
نحن قدرنا بينكم الموت يعنى الاجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم
من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الاجال القريبة والبعيدة
وقيل معناه انه جعل اهل السما واهل الارض فيه سوا شريفهم ووضيعهم
فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين يعنى
لا يفوتنى شى اريده ولا يمتنع منى احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين
عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى على ان نبدل
امثالكم اى ناتى بخلق مثلكم بدلا منكم فى اسرع حين وننشيكم اى نخلقكم
فيما لا تعلمون اى من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ما هو اسمح منها
من خلق شينا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا
بمن كان قبلكم ان نفعل ذلك بكم ما فاتنا • وقال سعيد بن المسيب
فيما لا تعلمون فى حواصل طير سود لانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو
وادى اليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شا ان يبدلهم
بامثالهم من بنى آدم فقدر ولو شا ان يمسخهم فى غير صورهم قدر وقال
بعض اهل المعانى هذا يدل على النشاة الثانية بكونها الله تعالى
فى وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشا الاول من
جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان
ننشيكم وقت لا تعلمونه يعنى وقت البعث والقيامة وفيه فايدة
وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشا هو الموت والبعث
فاذا كان ذلك واقعا فى الازمان لا يعلمه احد فينبغى ان لا يتكل الانسان
على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ولقد علمتم النشاة الاولى
اى الخلقة الاولى ولم تكونوا شيا وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيمة
فلولا تذكرون اى قاهر قادر على اعادتكم كما قدرت على بدئكم اول مرة
قوله تعالى افرايتم ما تحرثون لما ذكر الله عز وجل ابتدا الخلق وما فيه
من دلايل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقا وذكر امورا ثلاثة
الماكول والمشروب وما به اصلاح الماكول والمشروب ورتبه ترتيبا
حسنا فذكر الماكول اولا لانه هو الغذا واتبعه بالمشروب لان به الاستمرار
ثم النار التى بها الاصلاح وذكر من انواع الماكول الحب لانه هو الاصل
ومن المشروب الما لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان
بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله افرايتم ما تحرثون اى تثيرون
من الارض وتلقون فيها البذر ءانتم تزرعونه اى تنبتونه وتنشيونه حتى

يشتد

يشتد ويقوم على سوقه ام نحن الزارعون معناه ءانتم فعلتم ذلك ام الله
عز وجل ولا شك ان فى ايجاد الحب فى السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى
وان كان القا البذر من فعل الناس لو نشا لجعلناه يعنى ما تحرثون
وتلقون فيه من البذر حطاما اى تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع
به فى مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرث وهو ينبت بنفسه
يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله
لو نشا لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه او هو يدفع
عن نفسه بنفسه تلك الافات التى تقصده ولا يشك احد فى ان دفع
الافات ليست الا باذن الله وحفظه فظلتم تفكهون اى تتعجبون
مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على
ما سلف منكم من المعاصى التى اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون
وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات انا لمغرمون اى ويقولون
انا لمغرمون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض
وقيل معناه لمولع بنا • وقال ابن عباس لمعذبون يعنى انهم عذبوا
بذهاب اموالهم بغير فايدة • والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه
من الريع فى الزرع انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض
بل نحن محرومون اى ممنوعون والمعنى احرمنا الذى كنا نطلبه من
الريع فى الزرع افرايتم الما الذى تشربون ءانتم انزلتموه من المزن
ام نحن المنزلون ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا
يقدر عليه الا الله عز وجل لو نشا جعلناه اجاجا قال ابن عباس
شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه فلولا اى افلا تشكرون يعنى
نعمه عليكم افرايتم النار التى تورون يعنى تقدحون من الزند ءانتم
انشاتم شجرتها اى التى يقدح منها النار وهى المرخ والعفار شجرتان
يقدح منهما النار وهما رطبان وقيل اراد جميع الشجر الذى يوقد منه
النار ام نحن المنشيون نحن جعلناها يعنى نار الدنيا تذكرة اى
للنار الكبرى اذا راى الراى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى
الله عز وجل ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المومن
ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم
التى توقدون جزء من سبعين جزا من نار جهنم قالوا والله ان كانت
لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزوا
كلها مثل حرها ومتاعا اى بلغة ومنفعة للمقوين يعنى المسافرين
والمقوى النازل فى الارض القوا وهى القفر الخالية البعيدة
من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادى والسفار فان

منفعتهم الكرسى السفار المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع
ويهتدي بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين
وقيل للمقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد
وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل
المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال
للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة
للفقرا والاغنيا جميعا لا غنى لاحد عنها **فسبح باسم ربك العظيم**
لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق
خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد
من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اى برئ الله ونزهه عما يقول
المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح باسم
ربك العظيم • قوله عز وجل **فلا اقسم** قال اكثر المفسرين معناه
فاقسم ولا صلة موكدة وقيل لا على اصلها وفي معناها وجهان
احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره ومعناه
فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج • الوجه الثاني ان لا
رد لما قاله الكفار في القران من انه شعر وسحر وكهانة والمعنى
ليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم فقال اقسم والمعنى لا
والله لا صحة لقول الكفار • وقيل لان لا هنا معناها النفي فهو
كقول القايل • لا تسال عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهي عن
السوال **بمواقع النجوم** قال ابن عباس اراد نجوم القران فانه كان
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا • وقيل اراد مغارب
النجوم ومساقطها • وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها
يوم القيمة • وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم **وانه لقسم
لو تعلمون عظيم** قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القران
والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم
بذلك وقيل معنى لو تعلمون فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم
والمقسم عليه المعنى فاقسم بمواقع النجوم **انه لقران كريم** اى ان الكتاب
الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قران كريم اى عزيز مكرم لانه
كلام الله ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من
شانه ان يعطي الكثير وسمي القران كريما لانه يفيد الدلايل التي تودي
الى الحق في الدين • وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقران كريم لما
يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكمة فالفقيه يستدل
به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه

ما

ويتقوى

ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل علمه منه • وقيل سمي كريما لان كل
واحد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من
الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا سامه السامعون وهان في
الاعين وتملّه الآذان والقران كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوة
ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة
بل هو غض طري يبقى ابد الدهر كذلك **في كتاب مكنون** اى مصون
مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله
بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ
من التبديل والتحريف والقول الاول اصح **لا يمسه** اى ذلك الكتاب
المكنون **الا المطهرون** وهم الملايكة الموصوفون بالطهارة من الشرك
والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو
قول سعيد بن جبير وابي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة
الكرام البررة وعلى القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل
معنى لا يمسه الا المطهرون اى من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان
تمكن اليهود والنصارى من قراة القران • قال الفرا لا يجد طعمه
ونفعه الا من امن به • وقيل معناه لا يقراه الا الموحدون وقال قوم
معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية
نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحايض ولا المحدث حمل
المصحف ولا مسه وهو قول عطا وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل
العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقها يدل عليه ما روي مالك
في الموطا عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب
الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم لا يمس القران
الا طاهرا اخرجه مالك مرسلا وقد جا موصولا عن ابي بكر بن عمرو بن
حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل
اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال • وروى الدارقطني بسنده عن سالم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القران الا طاهر
والمراد بالقران المصحف سماه قرانا على قرب الجوار والاتساع كما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض
العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث
والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه **فان قلت** اذا كان الاصح
ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون
هم الملايكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المطهرون من
التطهير فكيف يصح قول الشافعي ولا يجوز للمحدث مس المصحف

قلت من قال ان الشافعي اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال نفى المس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم وقوله **تنزيل من رب العالمين** صفة للقران اى القران منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال بان القران شعرا وسحرا وكهانة فقال الله تعالى بل القران تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل **افبهذا الحديث** يعنى القران **انتم** اى يا اهل مكة **مدهنون** قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو الجرى فى الباطن على خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر **وتجعلون رزقكم** اى حظكم ونصيبكم من القران **انكم تكذبون** قال الحسن فى هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى بنعمة الله عليكم وهذا فى الاستسقا بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اى شكركم بما رزقكم التكذيب بمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق ونعمه وكذب بما جاء به القران والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب **ق** عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادى مومن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مومن بالكواكب ورواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون **م** عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السما من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا **ه** عن على بن ابى طالب قال قال رسول صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم يقولون

مطرنا

مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله على اثر سما اى اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل نائى اذا نهض وطلع واختلف العلما فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على قولين احدهما انه كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لاصل الايمان يخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشى للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول الذى ذهب اليه جماهير العلما منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلما يزعمون انها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جايز لا كفر فيه • واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيسا الظن بقايلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم • والقول الثانى فى تاويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويويد لهذا التاويل حديث ابى هريرة ما انزل الله من بركة الا اصبح فريق بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله تعالى **فلولا** اى فهلا **اذا بلغت الحلقوم** اى النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت **وانتم** يعنى يا اهل الميت **حينئذ تنظرون** يعنى الى الميت متى يخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيا **ونحن اقرب اليه منكم** اى بالعلم والقدرة والروية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم **ولكن لا تبصرون** اى الذين حضروه من الملايكة لقبض روحه • وقيل لا تبصرون اى لا تعلمون ذلك **فلولا ان كنتم غير مدينين** اى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين **ترجعونها** اى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم وعن قوله ترجعونها فلولا **ان كنتم صادقين** غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازون فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم

يكمهم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر
طبقات الخلق وبين درجاتهم فقال تعالى فاما ان كان من المقربين
يعني السابقين فروح اي فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح
وقيل رحمة وريحان اي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان
الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى
يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه وجنة نعيم
اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الاخرة • قال ابو بكر الوراق الروح
النجاة من النار والريحان دخول دار القرار واما ان كان يعني
المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام
لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله وانك
ترى فيهم ما تحب من السلامة • وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم
ويقبل حسناتهم • وقيل معناه مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل
فسلام عليك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين اي
بالبعث الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال فنزل من
حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم اي وادخال نار عظيمة
ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين لهو حق اليقين اي لا شك فيه
وقيل ان هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الاقاصيص
وما اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد الله لاعدائه من العذاب
الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه فسبح باسم
ربك العظيم اي فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل
بذكر ربك العظيم وبامره • عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم • ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم
اخرجه ابو داود وعن حذيفة انه صلى ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم
فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى
وما اتى على اية رحمة الا وقف وسال وما اتى على اية عذاب الا
وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده
غرست له نخلة في الجنة م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخرجه في صحيح البخاري والله اعلم

• تفسير سورة الحديد مدنية •

وهي تسع وعشرون اية وخمسمائة واربع واربعون كلمة والفان
واربعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يعني كل ذي روح
وغيره يسبح لله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عن كل سوء وعما لا
يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد فاختلفوا فيه
فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه
بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم والحق ان التسبيح
هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما
سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه
وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف
فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء
السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات
الارض وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة
خاشعة خاضعة لجلال الله منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء
فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي
وفي بعضها بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى
كون جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي
كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا الى المستقبل •
وهو العزيز اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء الحكيم
اي الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب له ملك السموات
والارض اي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه يحيي
ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وهو على
كل شيء قدير قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن
يعني هو الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجود والاخر
بعد فناء كل شيء بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب
العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس
وقيل هو الاول ليس قبله شيء • والاخر ليس بعده شيء • وقيل هو الاول
بوجوده في الازل وقبل الابتداء والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء
والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب
عن العقول ان تكيفه • وقيل هو الاول سبق وجوده كل موجود والاخر
الذي يبقى بعد كل مفقود • وقال الامام ابو بكر بن الباقلاني معناه
انه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في

الازل ويكون كذلك بعد موت الخلايق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فنا الاجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فنا خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال اخر من بقي من بني فلان يراد حياته ولا يراد فنا اجسام موتاهم وذهابها بالكلية هذا اخر كلام ابن الباقلاني • وقيل هو الاول السابق للاشيا والاخر الباقي بعد فنا الاحيا والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته • والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا يستولي عليه الكيفية • وقيل هو الاول القايم والاخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم • وقيل هو الاول ببره اذا عرفك توحيده والاخر بجوده اذا عرفك طريق التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذا وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك • قال الجنيد هو الاول بشرح القلوب • والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب • والباطن بعلم الغيوب • وسال عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شي عليم • م عن سهل بن ابي صالح قال كان ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شي فالق الحب والنوى منزل التورية والانجيل والقران اعوذ بك من شر كل شي انت اخذ بناصيته • وفي رواية من شر كل دابة انت اخذ بناصيتها • اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر يروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم • عن ابي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه • ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف • ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسماية سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سمايين كما بين السما والارض • ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم

قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السما بعد ما بين السمايين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض • ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها فان تحتها ارض اخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارض من مسيرة خمسماية سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الارض • ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب • قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان وهو العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسما وقيل هو اسم لسما الدنيا • **قوله عز وجل** هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها تقدم تفسيره وهو معكم اينما كنتم اي بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله وقدرته اينما كان من ارض او سما برا وبحرا • وقيل هو معكم بالحفظ والحراسة وقوله والله بما تعملون بصير يدل على صحة القول الاول له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم تفسيره قوله تعالى امنوا بالله ورسوله لما ذكر انواعا من الدلايل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويامرهم بالايمان بالله ورسوله ويامرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم في ذلك المال خلفا عن من مضى فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم يعني واي عذر لكم في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلوا عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج وقد اخذ ميثاقكم اي اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر ادم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه • وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعو الى متابعة الرسول ان كنتم مومنين اي يوما ما لان احدى الاوقات ان تومنوا القيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده يعني محمدا صلى الله عليه

وسلم ايات بينات يعني القران ليخرجكم يعني الله بالقران وقيل الرسول
بالدعوة من الظلمات الى النور اى من ظلمات الشرك الى نور الايمان
وان الله بكم لرؤف رحيم قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله
ميراث السموات والارض يقول اي شئ لكم في ترك الانفاق فيما يقرب
من الله تعالى وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها
انتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب • ثم بين فضل الله
من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى لا يستوى منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين
وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوى في الفضل من انفق ماله
وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع
من انفق وقاتل بعد الفتح اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا قال الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق
لانه اول من اسلم واول من انفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه
سبع منهم النبي وابو بكر • وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر
قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه
وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالي ارى ابا
بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح
قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له اراض انت عني
في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا
بكر ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك اراض انت في فقرك هذا
ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني على ربي راض وكلا وعد
الله الحسنى يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين
انفقوا قبل الفتح في افضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا اى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه
وسمي هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض
قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان
يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به
وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج وان تكتم الصدقة
ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا
تراءي بها الناس وان تستحقر ما تعطي وتتصدق به وان كان كثيرا
وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير
فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا فيضاعفه

حسنا

له

له يعني يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا وله اجر كريم يعني وذلك الاجر
كريم في نفسه • قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يعني على
الصراط يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اى عن ايمانهم وقيل اراد
جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة • وقال
قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء
نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين
من لا يضيء نوره الا موضع قدميه • وقال عبد الله بن مسعود يؤتون
نورهم على قدر اعمالهم • فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة • ومنهم من يؤتى
نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة
ويتقد مرة • وقيل في معنى الاية يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون
كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين امنوا انظرونا اى انتظرونا نقتبس من نوركم
اى نستضيء من نوركم قيل يغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيمة فيعطي
الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين
ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت
نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة
ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين • وقيل بل يستضيئون بنور
المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة قالوا
للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم قال ابن عباس
يقول لهم المؤمنون • وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم اى من
حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا يجعلها الله لكم
نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم فالتمسوا اى اطلبوا
لانفسكم هناك نورا اى لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون
في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم
وبين المؤمنين وهو قوله تعالى فضرب بينهم اى المؤمنين والمنافقين
بسور وهو حائط بين الجنة والنار له اى لذلك السور باب باطنه
فيه الرحمة اى في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله
العذاب اى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار روي عن عبد
الله بن عمرو قال ان السور الذي ذكر في القران هو سور بيت المقدس
الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال
ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت

المنفذ انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الاية
ينادونهم يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور
حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم
قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر
واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي شككتم
في نبوته وفي ما اوعدكم به وغرتكم الاماني اي الاباطيل وذلك ما كنتم
تتمنون من نزول الدواير بالمؤمنين حتى جا امر الله يعني الموت وقيل
هو القاوهم في النار وهو قوله تعالى وغركم بالله الغرور يعني الشيطان
قال قتادة وما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية اي عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من
العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة ولا من الذين
كفروا يعني المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق
كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير
المنافق فحسن عطفه على المنافق مأواكم النار اي هي مصيركم هي
مولاكم اي وليكم وقيل هي اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هي
التي تلي عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شيء وقيل
معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له وبئس
المصير قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل
نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي
ذات يوم قالوا حدثنا عن التورية فان فيها العجايب فنزلت نحن نقص
عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره فكفوا عن
سوال سلمان ما شا الله ثم عادوا فسالوه مثل ذلك فنزلت الله نزل
احسن الحديث فكفوا عن سواله ما شا الله ثم عادوا فسالوه فنزلت
هذه الاية فعلى هذا القول يكون تاويل قوله الم يان للذين امنوا يعني
في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب • وقيل نزلت في المؤمنين وذلك
لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن
بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك الم يان الاية قال ابن
مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ما عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع
سنين اخرجه مسلم • وقال ابن عباس ان الله عز وجل استبطا قلوب
المؤمنين فعاتبهم الله على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران فقال
الم يان يعني اما حان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين
وتخضع قلوبهم لذكر الله اي لمواعظ الله وما نزل من الحق يعني القران
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى

اي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح
منه

فطال

فطال عليهم الامد اي الزمان الذي بينهم وبين انبيائهم فقست
قلوبهم قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القران
والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين
قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر • روي عن ابي موسى الاشعري
انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلثماية رجل قد قروا القران فقال
انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامر فتقسوا
قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم فاسقون يعني الذين
تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم • قوله عز وجل اعلموا
ان الله يحيي الارض اي بالمطر بعد موتها اي يخرج منها النبات
بعد يبسها فكذلك يقدر على احيا الموتى • وقال ابن عباس يلين
القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة
بالعلم والحكمة والا فقد علم احيا الارض بالمطر مشاهدة قد بينا لكم
الايات اي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون ان
المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالنفقة
والصدقة في سبيل الله يضاعف لهم اي ذلك القرض ولهم اجر
كريم اي ثواب حسن وهو الجنة والذين امنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون اي الكثير والصدق قال مجاهد كل من امن
بالله ورسوله فهو صديق وتلى هذه الاية فعلى هذا الاية عامة في
كل من امن بالله ورسوله وقيل ان الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه
الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي وزيد
وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه
الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل اراد بالشهداء
المؤمنين المخلصين • وقال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلى هذه
الاية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم • وقيل تم الكلام عند
قوله هم الصديقون ثم ابتدا والشهداء عند ربهم وهم الانبيا الذين
يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس • وقيل هم الذين
استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم اي بما عملوا من العمل الصالح
ونورهم اي على الصراط والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين قوله تعالى اعلموا
انما الحياة الدنيا اي مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وانما اراد
من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف
حياته في طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله لعب اي
باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي

عن قريب **وزينة** اى منظر يتزينون به **وتفاخر بينكم** يعنى انكم تشتغلون
فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض **وتكاثر فى الاموال والاولاد**
وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله
واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى **كمثل غيث اعجب**
الكفار اى الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم البذر فى الارض **نباته**
اى ما نبت بذلك الغيث **ثم يهيج** اى ييبس **فتراه مصفرا** اى بعد
خضرته **ثم يكون حطاما** اى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى **وفى**
الاخرة عذاب شديد اى لمن كان حياته بهذه الصفة قال اهل
المعانى زهده الله بهذه الاية فى العمل للدنيا وهى صفة حياة الكافر
وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب فى العمل للاخرة بقوله
ومغفرة من الله ورضوان اى لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب
شديد لاعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لاولياء الله لان الاخرة
اما عذاب واما جنة **وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** اى لمن
عمل لها ولم يعمل للاخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الاخرة فهى له
بلاغ الى ما هو خير منه • وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب
الاخرة **قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم** معناه ليكن مفاخرتكم
ومكاثرتكم فى غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم فى طلب
الاخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين فى الاضمار الى مغفرة اى الى
ما يوجب المغفرة وهو التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به
من الاعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها **وجنة عرضها كعرض السماء**
والارض قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح
والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن
عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان
الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان
الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها
اضعاف ذلك • وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم
وافكارهم واكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض
الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس **اعدت للذين**
امنوا بالله ورسله فيه اعظم رجا واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت
لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيا اخر يدل عليه قوله فى
سياق الاية **ذلك فضل الله يؤتيه من يشا** فبين انه لا يدخل الجنة
احد الا بفضل الله لا بعمله **والله ذو الفضل العظيم** • ق عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد منكم عمله الجنة قالوا

والرق

ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل ورحمة قد تقدم
الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل • قوله تعالى **ما اصاب من مصيبة**
فى الارض يعنى قحط المطر وقلة النبات ونقص الاثمار **ولا فى انفسكم**
يعنى الامراض وفقد الاولاد **الا فى كتاب** يعنى اللوح المحفوظ **من قبل ان**
نبراها اى من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل
ان نبرا المصيبة **ان ذلك على الله يسير** اى اثبات ذلك على كثرته هين
على الله عز وجل **لكيلا تاسوا** اى تحزنوا **على ما فاتكم** من الدنيا **ولا**
تفرحوا اى لا تبطروا **بما اتاكم** اى اعطاكم قال عكرمة ليس احد الا وهو
يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا وقال جعفر
ابن محمد الصادق يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك
الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت **والله لا يحب**
كل مختال اى متكبر بما اوتى من الدنيا **فخور** اى به على الناس **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** قيل هذه الاية
متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا
مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه
فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يامرون الناس
بالبخل وقيل ان الاية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله انها فى صفة
اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته
ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان **فان الله هو الغنى** اى عن عباده
الحميد اى الى اوليائه **قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات**
اى بالدلالات والحجج **وانزلنا معهم الكتاب** اى المتضمن للاحكام وشرايع
الدين **والميزان** يعنى العدل اى وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو
الالة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله **ليقوم الناس**
بالقسط اى ليتعاملوا بينهم بالعدل **وانزلنا الحديد** قيل ان الله تعالى
انزل مع ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة
والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السما
الى الارض الحديد والنار والما والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشانا
واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن
وعلمهم صنعته بوحيه والهامه **فيه باس شديد** اى قوة شديدة
لمن جنه وهو الة الدفع ومنه سلاح وهو الة الحرب **ومنافع للناس**
اى ومنه ما ينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو
ذلك اذ الحديد الة لكل صنعة فلا غنا لاحد عنه **وليعلم الله** اى وارسلنا

رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى
الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله بالغيب اى الذين لم يروا الله ولا
الاخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا يبصرونه
ان الله قوى فى امره عزيز اى فى ملكه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم
بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما
فمنهم اى من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا اى اتبعنا
على اثارهم برسلنا والمعنى جعلنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت
الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه
الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه اى على دينه رافة ورحمة يعنى
انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا
عطف على ما قبله والمعنى انهم جاوا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم
فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم
المشاق فى العبادة الزايدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم
والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك ما كتبناها عليهم اى فرضناها
نحن الا ابتغاء رضوان الله اى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما
رعوها حق رعايتها يعنى انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها
بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا
فى دين ملوكهم واقام الناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى
الله عليه وسلم فامنوا به فذلك قوله فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم
وكثير منهم فاسقون وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى
عليه السلام روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان
قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سايرهن
فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم
وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم
يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم
الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
فقال النبى صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد
رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بى فاوليك هم الهالكون وعنه قال
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى يا ابن ام
عبد هل تدرى من اين اخذت بنو اسرايل الرهبانية فقلت الله
ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى

فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق
منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهولا افنونا ولم يبق احد يدعوا اليه
فتعالوا نتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى به
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال واحدثوا الرهبانية
فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها
فاتينا الذين منهم يعنى من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه
وسلم يا ابن ام عبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم
قال الجهد والجهاد الهجرة والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على
التلاع • وروى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة
رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل • وعن ابن عباس قال
كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التورية والانجيل وكان
فيهم مومنون يقرون التورية والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل
لملوكهم لو جمعتم هولا الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن
فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التورية والانجيل
الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا
فقالت طايفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيها ثم اعطونا
شيا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طايفة دعونا
نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحوش فان قدرتم علينا فى
ارضكم فاقتلونا وقالت طايفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر
الابار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من
القبايل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اوليك على منهاج عيسى
وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى
مكان فلان فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما
اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول
الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعنى ابتدعها الصالحون فما رعوها
حق رعايتها يعنى الاخرين الذين جاوا من بعدهم فاتينا الذين منهم
اجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون
هم الذين جاوا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق
منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سايح من سياحته وصاحب
دير من ديره فامنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانهم
بعيسى وبالتورية والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال
يجعل لكم نورا تمشون به القران باتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم قال

ليلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لا يقدرون على شي من فضل
الله الاية اخرجه النساي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع
الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم
تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة
والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير
مذكور فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين
غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغا رضوان
الله على هذا التاويل ما كتبناها عليهم الا ابتغا رضوان الله وابتغا
رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهيب لانه لم يامر به قوله تعالى
يايها الذين امنوا اتقوا الله الخطاب لاهل الكتابين من اليهود
والنصارى يعني يايها الذين امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد
وامنوا به وهو قوله **وامنوا برسوله** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
يوتكم كفلين اي نصيبين **من رحمته** يعني يوتكم اجرين لايمانكم يعني
بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **ق** عن ابي موسى
الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران
رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد والعبد المملوك اذا ادى
حق مواليه ورجل كانت عنده امة يطاها فادبها فاحسن تاديبها
وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران **ويجعل
لكم نورا تمشون به** يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القران
وقيل هو الهدى والبيان اي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدوا
به **ويغفر لكم** اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم **والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب** قيل لما سمع من لم يومن
من اهل الكتاب قوله اوليك يوتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما
من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يومن
فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اي ليعلم ولا صلة اهل
الكتاب يعني الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المومنين
ان لا يقدرون على شي من فضل الله والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن
بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يومنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب
في فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اوليك يوتون اجرهم
مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين
فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المومنين منهم ان لا يقدرون على شي
من فضل الله **وان الفضل بيد الله** يعني الذي خصكم به فانه فضلكم
على جميع الخلايق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين

وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل
فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الاية فعلى هذا يكون
فضل الله النبوة **يوتيه من يشا** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو
قوله وان الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه يوتيه من يشا لانه قادر
مختار **والله ذو الفضل العظيم** **خ** عن عبد الله بن عمر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم فيمن
سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل
التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا
قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا بها الى صلاة العصر ثم عجزوا
فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا
قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب اي ربنا اعطيت هولا قيراطين
واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم
من اجركم شيا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشا • وفي رواية انما
اجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس
وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من
يعمل الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف
النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار
الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى
مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا لكم الاجر مرتين فغضب اليهود
والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطا قال الله عز وجل هل ظلمتكم
من حقكم شيا قالوا لا قال فانه فضلي اعطيه من شيت **خ** عن ابي
موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود
والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم
فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في اجرك الذي شرطت لنا وما
عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا
فابوا وتركوا واستاجر اخرين بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم ولكم
الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا
ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقالوا اكملوا بقية عملكم
فان ما بقي من النهار شي يسير فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم
فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك
مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور • والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة المجادلة مدنية •

وهي ثنتان وعشرون اية واربعماية وثلاث وسبعون كلمة والف وسبعماية

فعملت اليهود الى نصف النهار
على قيراط قيراط

واثنتان وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم •
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة
وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت
وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها
انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلا من طلاق
اهل الجاهلية فقال ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما
ذاك طلاق واتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة تغسل شق
راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا
شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق
اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شي يجمعني واياه تنعشني
به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول
الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب
الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت
اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي وحفظت له
بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت
عليه ولم امر في شانك بشي فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت
اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم
اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السما وتقول
اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول
الظهار في الاسلام فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر
في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة اقصري حديثك
ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه
اخذه السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لك زوجك فتلا عليه رسول
صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية خ
عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جات المجادلة
خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع
ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي
الى الله الاية • واما تفسير الاية فقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك
اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي امر زوجها وتشتكي
الى الله اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع تحاوركما اي
مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير
اي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى الذين يظهرون منكم من نسايهم

يعني

يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم اي ما اللواتي
يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم
ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللاي ولدنهم وانهم يعني المظاهرين
ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا يعني كذبا وقيل
انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مويدا
والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مويدا فلا جرم صار منكرا
من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفى الله عنهم وغفر لهم بايجاب
الكفارة عليهم

فصل في احكام الظهار

وفيه مسايل المسيلة
الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من
ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من ساير الاعضا التي هي مواضع التلذذ
والمباضعة فثبت بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امراة
الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امراتي
اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله
ظهرك علي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما علوا امي وعلوها علي حرام
المسالة الثانية كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه في
التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم مقررا بالشرع كانت الاية
ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في احكام
الجاهلية وعاداتهم • المسالة الثالثة في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى
في الشريعة وعرف الفقها الاصل في هذا قوله انت علي كظهر امي او انت
مني او معي او عندي كظهر امي • وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس
امي او كيد امي او قال بطنك او راسك او يدك علي كظهر امي او شبه
عضوا منها بعضو من اعضا امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان
ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها
بعضو غير هذه الاعضا لا يكون ظهارا • ولو قال انت علي كامي او
كروح امي واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو
شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة
محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي او شبهها
بامراة محرمة بالرضاع يكون ظهارا على الاصح • المسيلة الرابعة فيمن
يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره
فعلى هذا يصح ظهار الذمي • وقال ابو حنيفة لا يصح احتج الشافعي بعموم
قوله والذين يظهرون من نسايهم • واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب
للمومنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمومنين • واجيب
عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمومنين

قوله تعالى والذين يظهرون من نسايهم يعني يمتنعون بهذا اللفظ
من جماعهن ثم يعودون لما قالوا اختلف العلما في معنى العود في
قوله ثم يعودون ولابد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان
اقوال الفقها فنقول ــــ قال الفرا الامرق في اللغة بين ان يقال
يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام
يتعاقبان كقوله واوحى الى نوح وان ربك اوحى لها ٭ واما لفظة
ما في قوله لما قالوا ففيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى
انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد لما قالوا اى المقول فيه
وهو الذى حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة
المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اى يعودون
الى شى وذلك الشى هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر
هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اى
فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل
اى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيا ثم اراد ان يفعله ثانيا
فقد عاد اليه وكذا من فعل شيا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه ٭
بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون اليه بان يفعلوا
مثله مرة اخرى ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض
والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلف
فيه على وجوه ٭ الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا
هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه
وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد
تمم ما شرع فيه من انقطاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن
الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ابتدايه من التحريم فحينئذ
يجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون
فيرجعون الى الالفة ٭ الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول
ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطى والملامسة والنظر اليها
بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشيا ثم قصد
استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي ٭ الوجه
الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطيها
وهو قريب من قول ابي حنيفة ٭ الوجه الرابع وهو قول الحسن
وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا
لا كفارة عليه ما لم يطاها ٭ قال العلما والعود المذكور هنا انه صالح
للجماع او للعزم عليه او لاستباحته الا ان الذي قاله الشافعي هو

اقل

اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به تحقق
مسمى العود واما الباقي زيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول في قوله
ثم يعودون اى يفعلون مثل ما فعلوه وعلى هذا الاحتمال في الاية
وجوه ايضا ٭ الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار
في الاسلام وتجب الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود هو العود الى
ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون
بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم ومعنى
ثم يعودون لما قالوا اى في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا
يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا ٭ الوجه الثاني قالوا
قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكن عودا وهذا
قول الظاهر اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون
لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان
لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان
يتماسا المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطي امراته التي ظاهر
منها ما لم يكفر ذلكم توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى
تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله بما تعملون اى من التكفير وتركه
خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد اى الرقبة
فصيام شهرين اى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اى الصيام فكفارته فاطعام ستين
مسكينا ذلك اى الفرض الذي وصفناه لتومنوا بالله ورسوله
اى لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما
اخبر به عن الله تعالى وتلك حدود الله يعني ما وصف من الكفارة
في الظهار وللكافرين اى لمن جحد هذا او كذب به عذاب اليم اى في نار
جهنم يوم القيمة

فصل في احكام الكفارة وما يتعلق

بالظهار وفيه مسايل المسيلة الاولى اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي ٭
قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم
جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة ٭ المسيلة الثانية اختلفوا
فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون
في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد فان عليه كفارة واحدة وقال
مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة
واحدة ٭ المسيلة الثالثة الاية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة
سوا اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالطعام ٭ وعند مالك
ان اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطي قبله لان الله تعالى قيد العتق

والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل ان يتماسا فدل
على ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في
العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة
وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد
وسفين • وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو
قول عبد الرحمن بن مهدي • المسئلة الرابعة كفارة الظهار مرتبة
فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزي
سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ
يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا انا اجمعنا على ان الرقبة في
كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد
اولى • المسئلة الخامسة العموم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام
شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية تجب عليه
استيناف الشهرين فلو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين
بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه
استيناف الشهرين • وعند ابي حنيفة يجب عليه استيناف الشهرين
المسئلة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة
بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين
مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او ارز
او ذرة او تمر ونحو ذلك • وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع
من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير فلو اطعم
مسكينا واحدا ستين مرة لا يجوز عند الشافعي وقال ابو حنيفة تجزيه
حجة الشافعي ظاهر الاية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا
فوجب رعاية ظاهر الاية وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة
وهو حاصل واجيب عنه بان ادخال سرور على قلب ستين
مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد المسئلة السابعة
اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه محتاج
اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم • وقال مالك
والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان
محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم
المسئلة الثامنة قال اصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهائجة
عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام • والدليل عليه ما روي عن
سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرأ اصيب من النساء ما لا يصيب
غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيئا تتابع بي

حتى

حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينا هي تخدمني ذات
ليلة اذ تكشف لي منها شيء فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت
الى قومي فاخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال انت بذاك يا سلمة قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر
لامر الله فاحكم في ما اراك الله قال حرر رقبة قلت والذي بعثك
بالحق ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين
متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم
وسقا من تمر بين ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا
وحشين ما لنا طعام قال فانطلق الى صاحب صدقة بني
زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت
وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء
الراي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي
وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق اخرجه
ابو داود • قوله نزوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله
تتابع بي التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا
وقوله وحشين يقال رجل وحشي اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا
جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن
الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت
حتى نزل القران قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض فقال
يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قالت يا رسول
الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت
ما عنده شيء يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول
الله وانا اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه
ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية قالت ان اوسا
تظاهر مني وذكرت ان به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جيتك الا
رحمة له ان له في منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين
زنبيل يسع ثلاثين صاعا • وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون
وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك
ثم ظاهر في تلك اللمم هنا لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هنا الالمام
بالنسا وشدة الحرص والشبق والله اعلم • قوله عز وجل ان الذين
يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون

امرهما كبتوا اى ذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اى كما
اخزى من كان قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا آيات بينات يعنى
فرايض واحكاما وللكافرين اى الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب
مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله اى حفظ
الله اعمالهم ونسوه اى نسوا ما كانوا يعملون فى الدنيا والله على كل
شئ شهيد قوله تعالى الم تر اى الم تعلم ان الله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى
عليه خافية فى الارض ولا فى السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى
ما يكون من نجوى ثلاثة اى من اسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة
والمعنى ما من شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين
ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم اى بالعلم يعلم نجواهم كانه
حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى
يكون معهم ولا خمسة الا هو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة
والخمسة قلت اقل ما يكفى فى المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض
فيكون اثنان كالمتنازعين فى النفى والاثبات والثالث كالمتوسط
الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل
جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل
ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة
ثم قال تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر يعنى ولا اقل من ثلاثة
وخمسة ولا اكثر من العدد الا هو معهم اينما كانوا اى بالعلم والقدرة
ثم ينبئهم بما عملوا اى فى يوم القيمة ان الله بكل شئ عليم قوله عز وجل
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك
انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين
ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوءهم
فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا
الذين خرجوا فى السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم فلما
طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم
ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى اى المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اى يرجعون
الى المناجاة التى نهوا عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعنى ذلك
السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شئ يسوءهم وكلاهما
اثم وعدوان ومعصيت الرسول وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصى

بعضهم بعضا بمعصية الرسول واذا جاؤك يعنى اليهود حيوك بما
لم يحيك به الله وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه
وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يسلمون
عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ويقولون فى
انفسهم يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول
يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول يريدون
لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب
المشية والمصلحة واذا لم تقتض المشية والمصلحة تقديم العذاب
فعذاب جهنم يوم القيمة كافيهم ق عن عائشة قالت دخل رهط من
اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت
عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقلت
يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت
عليكم • وللبخارى ان اليهود اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام
عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب
عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق
واياك والعنف والفحش قالت او لم تسمع ما قالوا قال او لم تسمعى ما
قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت
قال الخطابى عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما
يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو فى وعليكم
وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو وقال وهو الصواب لانه اذا
حذف الواو صار قولهم الذى قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت
الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد
الرفق واللين والفحش الردى من القول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
فى المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك انه
لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقتهم او يفعلوا
كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو
ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول
الثانى وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا
بالسنتهم وقيل امنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان

ومعصية الرسول **وتناجوا بالبر والتقوى** اى بالطاعة وترك
المعصية **واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان**
اى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية
الرسول **ليحزن الذين امنوا** انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين **ق** عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا
يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه
هذه الزيادة لابى داود **وليس بضارهم شيئا** يعنى ذلك التناجى وقيل
الشيطان ليس بضارهم شيئا **الا باذن الله** الا ما اراد الله تعالى وقيل
الا باذن الله فى الضر **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** اى فليكل المؤمنون
امورهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان فان من توكل على الله لا
يخيب امله ولا يبطل سعيه ۝ قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا**
قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا الاية قيل فى سبب نزولها ان
النبى صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار
فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله
عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه
فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون
ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال
لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر اولئك
النفر الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من
مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل
الله هذه الاية وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت
القصة فى سورة الحجرات ۝ وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا
ظنوا بمجلسهم فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض ۝ وقيل كان ذلك يوم
الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله
المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا فى المجلس لمن اراد الجلوس عند النبى
صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس فى الاخذ بالحظ منه وقرئ فى المجالس
لان لكل احد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسه فافسحوا اى فاوسعوا
فى المجالس امروا بان يوسعوا فى المجالس لغيرهم **يفسح الله لكم** اى يوسع
الله لكم الجنة والمجالس فيها **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا

تفسحوا

تفسحوا يفسح الله لكم **م** عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه
يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره
الحميدى فى افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدى وقيل فى معنى
الاية ان هذا فى مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتى القوم
وهم فى الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم
فى الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد الباس
قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد
من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقراءة
والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير
والراحة وسع الله عليه خيرى الدنيا والاخرة **واذا قيل انشزوا فانشزوا**
اى اذا قيل لكم ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا
وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة اذا نودى لها فانزل
الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا نودى للصلاة فانهضوا اليها وقيل
اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا مسرعين
ولا تقصروا عنه **يرفع الله الذين امنوا منكم** اى بطاعتهم لله ولرسوله
وامتثال اوامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعهم لاخوانهم **والذين**
اوتوا العلم اى ويرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل
علمهم وسابقتهم **درجات** اى على من سواهم فى الجنة ۝ وقيل يقال للمؤمن
الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع
للناس فاخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما
امر وان اولئك المؤمنين مثابون فيما ايتمروا وان النفر من اهل بدر
مستحقون لما عوملوا به من الاكرام **والله بما تعملون خبير** قال الحسن
قرأ ابن مسعود هذه الاية وقال ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبنكم
فى العلم فان الله يقول يرفع المؤمن العالم فوق الذى ليس بعالم درجات
وقيل ان العالم يحصل له بعمله من المنزلة الرفيعة ما لا يحصل لغيره
لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وافعاله كلها ۝ عن قيس بن كثير قال
قدم رجل من المدينة على ابى الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك
يا اخى قال حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت فى تجارة
قال لا قال ما جئت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى به علما
سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها رضا لطالب
العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان

وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء ورثة
الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه
فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه ق عن معوية
ابن ابي سفين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
يرد الله به خيرا يفقهه في الدين • وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي
وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الى الله
ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على
خير واحدهما افضل من صاحبه اما هولا فيدعون الى الله ويرغبون
اليه واما هولا فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وانما بعثت
معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشي بمشقة استعظمه
وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقرا بتلك الصدقة
المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى ان يخفف
عن نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا
صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنيا وذلك
انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته
ويغلبون الفقرا على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم
طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما
الفقرا واهل العسرة فلم يجدوا شيا واما الاغنيا واهل الميسرة فضنوا
واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة
قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجيه الا علي بن ابي
طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول
اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي اية
المناجاة • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين
امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي
صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار
قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت
ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن
هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب • قوله قلت
شعيرة اي وزن شعيرة من ذهب • وقوله انك لزهيد يعني قليل

المال

المال فقدرت على حالك **فان قلت** في هذه الاية منقبة عظيمة
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره **قلت**
كما هو قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت
لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها
وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب
الفقرا اذا لم يجد واما يتصدقون به عند مناجاته ووجه اخر وهو ان
هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات
المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة
ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك فلم يعملوا بها وليس فيها
طعن على احد منهم وقوله ذلك خير لكم واطهر يعني تقديم الصدقة على
المناجاة ولما فيه من طاعة الله ورسوله واطهر اي لذنوبكم فان لم
تجدوا يعني الفقرا الذين لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور
رحيم يعني انه تعالى غني عنهم ءاشفقتم قال ابن عباس ابخلتم والمعنى
اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات فاذ لم تفعلوا اي ما امرتم به وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم
ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال
الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار ثم نسخ فاقيموا الصلاة اي المفروضة
واتوا الزكاة اي الواجبة واطيعوا الله ورسوله اي فيما امر ونهى والله
خبير بما تعملون اي انه محيط باعمالكم ونياتكم • قوله عز وجل الم تر الى
الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم
تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المومنين اليهم واراد غضب الله عليهم
اليهود ما هم يعني المنافقين منكم اي من المومنين في الدين والولا ولا منهم
يعني ولا من اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اي انهم كذبة
نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العين فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما
فعل وجا باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الاية اعد الله
لهم عذابا شديدا انهم سا ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة
اي يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم فصدوا
عن سبيل الله يعني انهم صدوا المومنين عن جهادهم بالقتل واخذوا
اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو

يعني الكاذبة

الاسلام فلهم عذاب مهين يعني في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا اولیک اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شي يعني مع ايمانهم الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى عليهم وملكهم فانساهم ذكر الله اولیک حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولیک في الاذلين يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله ذلك قضاء ثابتا في الحرب ومن لم يومن بالحرب فهو غالب بالحجة ان الله قوي اي على رسله واوليايه عزيز اي غالب على اعدايه قوله تعالى لا تجد قومًا يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المومنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مومنا لا يوالي من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجتمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم ان الله تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل الى هولا من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هولا والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الاية في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستاتي قصته في سورة الممتحنة • وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباهم يعني ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد او ابناهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا رسول الله يا ابا بكر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبد الله بن عمير وعشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام ابن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب وحمزة وابو عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اولیک كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مومنة موقنة

مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصر منه وانما سمي نصره اياهم روحا لان به يحيى امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمة ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعدا الله سبحانه وتعالى فقال اولیک حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده • واسرار كتابه •

• تفسير سورة الحشر •

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية وهي اربع وعشرون اية واربعماية وخمس واربعون كلمة والف وتسعماية وثلاثة عشر حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طايفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة صالحه بنو النضير ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاهدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة ال عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع على خيانتهم حتى اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين الذين قتلهم عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بير معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المايدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا

بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم
ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية
وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت
اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس
المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا يخرجوا من الحصن فان
قاتلوكم فنحن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا
الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلا من اصحابك
وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا
منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى
كانوا في براز من قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه
ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحبون الموت قبله ولكن ارسلوا اليه
كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ونخرج اليك
ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان امنوا بك امنا بك وصدقنا
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج
ثلاثة من اليهود ومعهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة الى بني النضير الى اخيها وهو
رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر
برسول الله صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع
النبي صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف
الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم
به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم
الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وساير
اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا
من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة
نفر بعيرا وسقاية ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات
واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم الى ابي الحقيق والى حيي بن
اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طايفة بالحيرة فذلك قوله
عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن
اسحاق كان اجلا بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد

وفتح

وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال
الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلا فيما مضى وكان الله قد كتب
عليهم الجلا ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك
ان الحشر بالشام فليقرا هذه الاية فكان هذا اول حشر الى الشام قال
النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر
ثم يحشر الخلق يوم القيمة الى الشام • وقيل انما قال لاول الحشر لانهم
كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلي اخرهم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وقيل هذا كان اول الحشر من المدينة
والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب ثم الى اذرعات واريحا
من ارض الشام في ايام عمر • وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني
نار تحشرهم يوم القيمة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا
وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المومنون ان يخرجوا
اي من المدينة لعزهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون
ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي وظن بنو
النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله فاتاهم الله اي اتاهم
امر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله امر نبيه صلى الله
عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم
الرعب اي الخوف الشديد بقتل كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم
بايديهم وايدي المومنين قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب
في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على
ابلهم ويخرب المومنون باقيها • وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون
السقوف وينقبون الجدر لئلا يسكنها المومنون حسدا منهم
وبغضا • وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربون
اليهود من داخلها • وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون من دار من
دورهم في ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون
ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فاعتبروا اي فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم يا اولي الابصار اي
ذوي العقول والبصاير ولولا ان كتب الله عليهم الجلا يعني الخروج
من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة
ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا
الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله
شديد العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة

على اصولها فباذن الله الاية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها
فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح
افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه
انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم
وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم
لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه
فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه من الاثم وان
ذلك كان باذن الله تعالى **ق** عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى
الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم
من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين
البويرة اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

• وهان على سراة بني لوي • حريق بالبويرة مستطير •

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة
من التمر الالوان وقيل النخل كلها الا العجوة والبرنية • وقيل اللينة النخل
كلها من غير استثناء • وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه هي لون من
النخل وقيل كرام النخل • وقيل هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون
وهي شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان
من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمن وصيف فلما
راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد
وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هي لمن غلب عليها فاخبر الله ان
قطعها كان باذنه **وليخزي الفاسقين** يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزاء
اليهود اذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الاية على ان حصون الكفار
وديارهم لا باس ان تحرق وتهدم وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم
ونحوها قوله عز وجل **وما افاء الله على رسوله** اي ما رد الله على رسوله
منهم اي من يهود بني النضير **فما اوجفتم عليه** اي اوضعتم وهو سرعة
السير **من خيل ولا ركاب** يعني الابل التي تحمل القوم وذلك ان بني
النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى
في هذه الاية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها
شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة
فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل

ولكن

ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من اعدائه **والله على كل شيء قدير**
اي هي له خاصة يضعها كيف يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت
لهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث
ابن الصمة **ق** عن مالك بن اوس بن الحدثان النصري ان عمر دعاه
اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن
عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء
يرفا فقال هل لك في عباس وعلي يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما
دخلا قال العباس يا امير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم
اجل يا امير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر قال مالك
ابن اوس يخيل الي انهم قد كانوا قدموهم لذلك قال عمر اتئدوا
انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال
عمر ان الله خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها
احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل
ولا ركاب فقال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني
النضير فوالله ما استاثرها عليكم ولا اخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها
فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه
نفقة سنة ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم الله الذي باذنه تقوم السماء والارض
اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم انشد عباسا وعليا بمثل ما انشد القوم
اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو بكر انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ واقبل على علي
وعباس تذكران ان ابا بكر كان فيه كما تقولان والله يعلم انه فيه لصادق بار
راشد تابع للحق ثم توفى الله ابا بكر فقلت انا ولي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر فقبضته سنتين من امارتي اعمل فيها بما عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم اني فيه لصادق بار راشد
تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فقلتم
ادفعها الينا فلما بدا لي ان ادفعها اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما
على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما
ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله

الذي باذنه تقوم السما والارض لاافضي فيه بقضا غير ذلك حتى تقوم
الساعة فان عجزتما عنه فادفعها الي فاني اكفيكما قوله تعالى ما افا
الله على رسوله من اهل القرى يعني من اموال كفار اهل القرى
قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
قد تقدم تفسيره في سورة الانفال حكم الغنيمة وقسمها واما حكم الفي
فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشا فكان
ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله في
الكراع والسلاح عدة في سبيل الله ٥ واختلف العلما في مصرف
الفي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للايمة بعده
وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة والثاني هو لمصالح
المسلمين ويبدا بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا في
تخميس مال الفي فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة ٥
واربعة للمقاتلة او للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل
مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرا عمر بن الخطاب وما
افا الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقرا المهاجرين الى قوله
والذين جاوا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة
قال وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذا الفي حق الا ما ملكت
ايمانكم كي لا يكون الفي دولة والدولة اسم الشي الذي يتداوله القوم
بينهم بين الاغنيا منكم يعني بين الروسا والاقويا فتغلبوا عليه الفقرا
والضعفا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرييس
ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعد الفراغ منه ما شا الله فجعله
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما امره به وما اتاكم الرسول
فخذوه اي من مال الفي والغنيمة وما نهاكم عنه اي من الغلول وغيره
فانتهوا وهذا نازل في اموال الفي وهو عام في كل ما امر به النبي صلى
الله عليه وسلم او نهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب
او نهي عن محرم فيدخل فيه الفي وغيره ق عن عبد الله بن مسعود انه
قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات
للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها
ام يعقوب وكانت تقرا القران فاتته فقالت ما حديث بلغني عنك
انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله وما لي لا العن من لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت المراة
لقد قرات لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قراتيه لقد وجدتيه

كيلا

قال

قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم
هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمتوشمة التي تطلب
ان يفعل بها ذلك والنامصة التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة
هي التي تتكلف تفليج ما بين اسنانها بصناعة وقيل هي التي تتفلج
في مشيها فكل ذلك منهي عنه ق عن عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد
وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ٥ عن ابي رافع ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه
امر مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله
اتبعناه ٥ اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن الاريكة المتكى
عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك واتقوا الله اي في امر الفي
ان الله شديد العقاب اي على ترككم ما امركم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفي فقال عز وجل للفقرا
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يعني اخرجهم الى
الخروج يبتغون فضلا من الله اي رزقا وقيل ثوابا من الله ورضوانا
اي خرجوا من ديارهم لرضى الله عز وجل وينصرون الله ورسوله اي
بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلا كلمته اولئك هم
الصادقون في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الدنيا
والاموال والعشاير وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على
ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه
ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا ما له
دثار غيرها م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المهاجرين بالنور التام
يوم القيمة قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك خمسماية سنة اخرجه
ابو داود ٥ قوله عز وجل والذين تبوا الدار والايمان يعني انهم اسلموا
في ديارهم واثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله
عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوا الدار من قبل المهاجرين وقد
امنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوا يحبون من هاجر اليهم وذلك انهم
انزلوا المهاجرين في منازلهم واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة اي حرارة وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطوا المهاجرين من الفي
دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير
بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة فطابت انفس
الانصار بذلك ويوثرون على انفسهم اي ويوثروا الانصار المهاجرين

هم

باموالهم ومنازلهم على انفسهم **ولوكان بهم خصاصة** اى فاقة له
وحاجة اى ما يوثرون به • عن ابى هريرة قال جا رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسايه فقالت
مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال
انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شى
قالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشى ونوميهم فاذا دخل
ضيفنا فاريه فاذا اهوى بيده فقومى الى السراج كى تصلحيه فاطفيه
ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد فى رواية فانزل
الله ويوثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة خ عن ابى هريرة قال
قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا
النخيل قال لا قال اتكفونا المونة ونشرككم فى التمر قالوا سمعنا واطعنا
خ عن انس بن مالك قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار
الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها
قال اما لا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانكم ستصيبكم اثرة
بعدى وفى رواية ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على
الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثا والرا وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان
الثا والاول اشهر ومعناه الاستيثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا
ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم فى الامر نصيب وقيل هو من اثر اذا اعطى
اراد به يستاثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفى والاستيثار
الانفراد بالشى وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شيتم قسمتم
للمهاجرين من دياركم واموالكم وتشاركوهم فى هذه الغنيمة فقالت
الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا
نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويوثرون على انفسهم ولوكان بهم
خصاصة ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون والشح فى كلام
العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلما بين الشح والبخل فقال
البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع
ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى ومن يوق شح
فاوليك هم المفلحون اى الفايزون بما ارادوا وروى ان رجلا قال
لابن مسعود انى اخاف ان اكون قد هلكت قال وماذا قال اسمع الله

يقول **ومن يوق شح فاوليك هم المفلحون** وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج
من يدى شى فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القران
ولكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبيس الشى البخل
وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل
فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب
المحارم وقيل من لم ياخذ شيا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيا وقاه الله
باعطايه فقد وقاه الله شح نفسه • م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح
اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم •
عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شر الطعام
ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود والهلع اشد الجوع
والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شى يفوته
او يخرج من يده والخالع الذى خلع فواده لشدة خوفه وفزعه عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار فى سبيل الله
ودخان جهنم فى جوف رجل ابدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد
ابدا اخرجه النسائى قوله تعالى **والذين جاوا من بعدهم** يعنى من بعد
المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيمة **يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان** اخبر انهم يدعون لانفسهم
بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان **ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين**
اى غشا وحسدا او بغضا **للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم** فكل من
كان فى قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الاية لان الله تعالى
رتب المومنين على ثلث منازل المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ثم من
بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة
كان خارجا عن اقسام المومنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن ابى
ليلى الناس على ثلث منازل الفقرا المهاجرون والذين تبوءوا الدار والايمان
والذين جاوا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلث منازل
ق عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تسبوا اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه م عن عروة بن الزبير قال قالت عايشة يا ابن اختى امروا ان
يستغفروا لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم استغفروا لاصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم فسبوهم عند عبد الله بن معقل قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى

فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
اخرجه الترمذي وقال مالك بن انس من تنقص احدا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه غل عليهم فليس له
حق في المسلمين ثم تلى هذه الاية ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى فلله وللرسول الى والذين جاوا من بعدهم الى رءوف رحيم
وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود
والنصارى على الرافضة بخصلة بخصلة سيلت اليهود من خير
اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسيلت النصارى من خير اهل
ملتكم قالوا حوارى عيسى وسيلت الرافضة من شر
اهل ملتكم قالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا
لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيمة لا تقوم لهم راية
ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله بسفك دمايهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم
من الاهوا المضلة • وروى عن جابر قال قيل لعايشة ان ناسا
يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابا بكر وعمر
فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل واحب الله ان لا
ينقطع عنهم الاجر • وروى ان ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امن المهاجرين الاولين قال لا
قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد بانك لست من التابعين
لهم باحسان • **قوله عز وجل** الم تر الى الذين نافقوا يعني اظهروا
خلاف ما اظهروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود من قريظة والنضير
وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم لين اخرجتم اي من
المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني ان سالنا
احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعيننكم
ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم يعني المنافقين فقال تعالى لين
اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك
فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولين
نصروهم ليولن الادبار يعني لو قدروا وجد وانصرهم او لو قصدوا
نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون يعني بني النضير لا
يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم لانتم يعني يا معشر المسلمين
اشد رهبة في صدورهم من الله اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد

لكاذبون اي في قالوا ووعدوا لهم
اخبر تعالى عن حال المنافقين ٤

مع حزنه واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم
من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله تعالى
لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون لقتالكم بحصنين
بالقرى والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدر باسهم بينهم شديد
اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم
فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا اخرجوا اليكم فهم احبن
خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة مختلفة قال
قتادة اهل الباطل مختلفة اهواهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم
وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين ۵
واراهم يخالف دين اليهود ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود
مثلا فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا
وبال امرهم يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير
وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم اي في الاخرة ثم ضرب الله مثلا
اخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض
فقال تعالى كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في غزوة بني النضير ۵
وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وذلك ما روي
عن عطا وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا
تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان
ابليس اعياه في امره الحيلة الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال
الا احد منكم يكفينا امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا
وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاه في صورة جبريل
ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام الى اقصى
الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة
الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه
واقبل على العبادة في اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته
اطلع من صومعته فراى الابيض قايما يصلي في هيئة حسنة على
هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه اي لام نفسه
حين لم يجبه فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك
قال الابيض حاجتي اني احببت ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس
من عملك ونجتمع على العبادة قال برصيصا اني لفي شغل عنك فان
كنت مومنا فان الله سيجعل لك فيما للمومنين نصيبا ان استجاب لي
ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت
اليه برصيصا اربعين ۲ فلما انفتل بعده راه قايما يصلي فلما راى

برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان
تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا
يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينتقل عن صلاته الا
كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت
اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا
اني منطلق فان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت
وكان يبلغنا عنك غير الذي رايت فدخل ذلك على برصيصا امر
شديد وكره مفارقته لما راى من كثرة اجتهاده فلما ودعه الابيض
قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت
فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي به المبتلى والمجنون قال برصيصا
انا اكره هذه المنزلة لان في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس
شغلوني عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى
ابليس فقال والله قد اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض
لرجل فخنقه ثم جاه في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم
جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم اني لا اقوى على جنته
ولكني سارشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا
فان عنده الاسم الذي اذا دعي به اجاب قال فانطلقوا اليه فسالوه
ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل
ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق
الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرايل ولها ثلاث
اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم
تلك الجارية ملك بني اسرايل فخنقها وعذبها ثم جا اليهم كما كان
ياتي الناس في صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال لها
ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى من تثقون
به تدعونها عنده فاذا جا شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد
عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف
لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شانا من ذلك قال فانطلقوا
فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا
فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب
امانتك قال فانطلقوا فسالوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة
على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها
وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم
انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هي عليه

من

من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجا الشيطان فخنقها
فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا
على صلاته فجاها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض
لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها
وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها
فلم يزل كذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان
ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان
سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقو عليه فقتلها ثم انطلق بها
فدفنها الى جانب فجا الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازار
فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على
صلاته اذ جا اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون
في بعض الايام يسالون عنها ويوصون بها فقالوا يا برصيصا ما
فعلت اختنا قال جا شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه
وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جا الشيطان الى اكبرهم في منامه
فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع
كذا وكذا فقال هذا حلم من الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع
عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك
فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى الاصغر
بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال
الاوسط انا والله لقد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا
برصيصا ما فعلت اختنا قال اليس قد اعلمتكم بحالها فانكم قد
اتهمتموني فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاهم
الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها
خارج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوه في النوم فمشوا
مواليهم وغلمانهم معهم الفوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا
وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك فاقر على نفسه وذلك
ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ولم تكابر يجتمع عليك
امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر بقتله وصلبه على
خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني فقال لا
قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب له ويحك
ما اتقيت الله في امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد
بني اسرايل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في اخر
ذلك الم يكفك ما صنعت على اقررت على نفسك وفضحت

هـ

اشباهك من الناس وتفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة
لن تفلح ابدا ولن يفلح احد من تطرايك قال فكيف اصنع قال
تطيعني في خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه وتاخذ باعينهم
وتخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد
له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت عاقبة
امرك الى ان كفرت بربك **فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله
رب العالمين** قال الله تعالى **فكان عاقبتهما** يعني الشيطان وذلك
الانسان **انهما في النار خالدين فيها وذلك جزا الظالمين** قال
ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من
اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم
باجلا بني النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا
الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم
خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم
رجا نصر المنافقين فخذلوهم وتبروا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا
وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان
بعد ذلك لا يمشون في بني اسرايل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل
الفسق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبح حتى كان من
امر جريج الراهب ما كان فلما براه الله مما رموه به انبسطت الرهبان
بعده وظهروا للناس **وكانت قصة جريج** على ما روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم
في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا
عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي فقالت يا
جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما
كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل
على صلاته فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يا رب
امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه
المومسات فتذاكر بنوا اسرايل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي
يتمثل بحسنها فقالت ان شيتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم
يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من
نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه
فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم
قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاوا به
فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي فطعن في بطنه

وقال

وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج
يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال
اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه
فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو اشارة حسنة فقالت امه اللهم
اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم
لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة
في فيه فجعل يمصها **قال** ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون
زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم
لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني
مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة
فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله • ومروا
بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم
لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل
كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها
زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه
مسلم بتمامه وهذا اللفظه • واخرجه البخاري متفرقا حديث جريج
تعليقا وحديث المراة وابنها خاصة • المومسات الزواني جمع مو[مسة]
وهي المراة الفاجرة والبغي الزانية ايضا • وقوله يتمثل بحسنها اي
يعجب منه ويضرب به المثل • وقوله ذو اشارة حسنة اي صاحب
جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي
المتكبر القاهر للناس **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** اي لينظر احدكم اي شي قدم
لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام شيا يوبقه والغد يوم
القيمة وقربه على الناس كان يوم القيمة ياتي غدا وكل ما هو ات
فهو قريب **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** قيل كرر الامر بالتقوى
تاكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني
اتقوا الله فلا تاتوا المنهيات **ولا تكونوا كالذين نسوا الله** اي
تركوا امر الله **فانساهم انفسهم** اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم
يقدموا لها خيرا ينفعها عنده **اولئك هم الفاسقون لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفايزون** لما
ارشد المومنين لما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين

الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار يعني الذين هم في العذاب
الدايم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله
اصحاب الجنة هم الفايزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد
فاز فوزا عظيما • قوله تعالى **لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله** قيل معناه انه لو جعل في الجبل
تمييز وعقل كما جعل فيكم وانزل عليه القران لخشع اي تطاطا وخضع
وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته
متشقق من خشية الله وحذر من ان لا يودي حق الله تعالى في تعظيم
القران والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والحكم كان
لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القران من
المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب
مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه
اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه
الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل
قوله تعالى **وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** اي الغرض
وهذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هولا الكفار وقساوتها
وغلظ طباعهم ولما وصف القران بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال
تعالى **هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة** يعني انه
تعالى عالم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدو
وعلموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم
وقيل علم حال الدنيا والاخرة **هو الرحمن الرحيم** اسمان مشتقان اشتقا قهما
من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله
ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة
من رحيم ولهذا قيل هو رحمان الدنيا ورحيم الاخرة لانه تعالى احسانه
في الدنيا يعم المومن والكافر وفي الاخرة يختص احسانه وانعامه
بالمومنين **هو الله الذي لا اله الا هو الملك** اي المتصرف بالامر ۵
والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته **القدوس**
اي الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت
بركته **السلام** اي الذي سلم من كل النقايص وكل افة تلحق الخلق
فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام
فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القران **قلت**
الفرق بينهما ان كونه قدوسا هو اشارة الى برائته عن جميع العيوب
والنقايص في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرا عليه شي

من

من العيوب والنقايص في المستقبل فان الذي يطرا عليه شي من ذلك
فانه تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه من
ظلمه **المومن** قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن
من امن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات
لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين
من العذاب **المهيمن** قال ابن عباس اي الشهيد على عباده باعما لهم
الذي لا يغيب عنه شي وقيل هو القايم على خلقه برزقه وانشد
في معناه •

الا ان خير الناس بعد نبيه • مهيمنه التاليه في العرف والنكر •

اي القايم على الناس بعده • وقيل هو الرقيب الحافظ • وقيل هو
المصدق • وقيل هو القاضي • وقيل هو الامين والموتمن • وقيل بمعنى
العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات
منها • حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •
وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتاويله وانشد •
• جل المهيمن عن صفات عبيده • ولقد تعالى عن عقول اولي النهى •
• راموا بزعمهم صفات مليكهم • والوصف يعجز عن مليك لا يرى •
العزيز اي الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر **الجبار**
قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا
هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر
الكسير فعلى هذا هو صفة وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل
كسير ويغني كل فقير • وقيل هو الذي يقهر الخلق ويجبرهم على
ما اراد وسيل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا
اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز • وقيل الجبار هو الذي لا ينال
ولا يدانى والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس
صفة ذم وكذلك المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك
نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا
اظهر الكبر كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما
المتكبر في صفة الله فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو ۵
والعظمة ولهذا المعنى قال في اخر الاية **سبحان الله عما يشركون**
كانه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه اما
الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبريا فان اظهر ذلك
كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته
فلا شي مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما

لايليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبر
وهو الملك سبحان الله عما يشركون اى من اد عما الكبرية لانفسهم هو الله
الخالق اى المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو
راجع الى الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر المقلب
للشى بالتدبير الى غيره البارى اى المخترع المنشى للاعيان من
العدم الى الوجود المصور اى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريد
وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها
على بعض • وقيل الخالق المبتدى للخلق المخترع له على غير مثال سبق
البارى اى المنشى لما يريد لخلقه فيظهره من العدم الى الوجود
المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل
معنى التصوير التخطيط والتشكيل اولا يكون خلقا ثم براثم تصويرا
وانما قدم لفظ الخالق على البارى لان ترجيح الارادة مقدم على
تاثير القدرة وقدم البارى على المصور لان ايجاد الذات مقدم
على ايجاد الصفات له الاسما الحسنى يسبح له ما فى السموات
والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات من اخر
سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى
يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسى
كان كذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله تعالى اعلم

• تفسير سورة الممتحنة مدنية •

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اوليا الاية ق
عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا
تتعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا
اخرجى الكتاب قالت ما معى من كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب او
لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله
عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى ناس من المشركين
من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول
الله لا تعجل على انى كنت امرا ملصقا فى قريش ولم اكن من انفسهم

وكان

ذلك من خرج

وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابة يحمون بها اموالهم
واهليهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون
بها قرابتى وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضى بالكفر
بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم
فقال عمر دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله
اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اوليا
الى قوله سوا السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمرا الاسد من
المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة
المراة المسافرة سميت بذلك لملازمتها للهودج والعقاص الشعر
المضفور قال المفسرون نزلت هذه الاية فى حاطب بن ابى بلتعة
كما فى الحديث وذلك ان سارة مولاة ابى عمرو بن صيفى بن هاشم
ابن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ا
مسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جا بك قالت
كنتم الاصل والعشيرة والموالى وقد ذهبت موالى وقد احتجت
حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال
لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما
طلب منى شى بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبد المطلب فاعطوها
نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابى بلتعة حليف بنى
اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة
دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب فى
الكتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل
عليه السلام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمار والزبير وطلحة والمقداد بن
الاسود وابا مرثد وكانوا فرسانا فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى المشركين
فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا
حتى ادركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوها
وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على والله

حاطب ما كذبنا ولا كذبنا وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك
ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها وكانت قد خبأته
في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال
فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا
غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن
احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم
وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم
شيا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر
ابن الخطاب فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله
قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل
الله في شان حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اوليا يعني اصدقا وانصارا **تلقون اليهم بالمودة** اي باسباب
المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره
بالمودة التي بينكم وبينهم **وقد كفروا** اي وحالهم انهم كفروا **بما جاكم
من الحق** يعني القران **يخرجون الرسول واياكم** يعني من مكة **ان
تومنوا بالله** اي لان امنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله **ربكم
ان كنتم خرجتم** هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم **جهادا
في سبيلي وابتغا مرضاتي** فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا وقوله
تسرون اليهم بالمودة اي بالنصيحة **وانا اعلم بما اخفيتم** اي من المودة
للكفار **وما اعلنتم** اي اظهرتم بالسنتكم منها **ومن يفعله منكم** اي
الاسرار والقا المودة اليهم **فقد ضل سوا السبيل** اي اخطا طريق الهدى
ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى **ان يثقفوكم** اي ان يظفروا بكم
ويردكم **يكونوا لكم اعدا ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء**
اي بالضرب والقتل والشتم والسب **وودوا** اي تمنوا **لو تكفرون** اي
ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعدا الله لا يخلصون المودة
لاوليا الله ولا ينصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم انتم
ولا توادوهم **لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم** اي لا يدعونكم ولا يحملنكم
ذوو ارحامكم وقرابتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة

اعدايهم

اعدايهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم
يوم القيمة يفصل بينكم اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته
النار **والله بما تعملون بصير** قوله تعالى **قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابراهيم** يخاطب حاطبا والمومنين ويامرهم بالاقتدا بابراهيم
عليه السلام **والذين معه** اي من اهل الايمان **اذ قالوا لقومهم** يعني
المشركين **انا برآء منكم** جمع بري **ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم**
اي جحدناكم وانكرنا دينكم **وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا
ابدا حتى تومنوا بالله وحده** والمعنى ان ابراهيم عليه السلام
واصحابه تبروا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمومنين
ان يتاسوا بهم **الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك** يعني لكم ان
تتاسوا بابراهيم في جميع اموره الا في استغفاره لابيه المشرك فلا
تتاسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين
له اقامته على الكفر تبرا منه **وما املك لك من الله من شي** هذا
من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب الله
ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجا اسلامه وكان
من دعا ابراهيم ومن معه من المومنين **ربنا عليك توكلنا واليك
انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا** اي لا تظهرهم
علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب
من عندك فيقولون لو كان هولا على الحق ما اصابهم ذلك **واغفر
لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم** اي في ابراهيم
ومن معه **اسوة حسنة** اي اقتدا حسن **لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر** اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة **ومن
يتول** اي يعرض عن الايمان ويوالي الكفار **فان الله هو الغني** اي
عن خلقه **الحميد** اي الى اهل طاعته واوليايه فلما امر الله المومنين
بعداوة الكفار عادى المومنون اقرباهم المشركين واظهروا لهم العداوة
والبراة وعلم الله شدة وجد المومنين بذلك انزل الله تعالى **عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم** اي من كفار مكة **مودة**
تفعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اوليا واخوانا
وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام
حبيبة بنت ابي سفين ولان لهم ابو سفين **والله قدير** اي على
جعل المودة **والله غفور رحيم** اي لمن تاب منهم واسلم ثم رخص في
صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى **لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم**

اى لاينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم **وتقسطوا اليهم** اى وتعدلوا
فيهم بالاحسان اليهم وبرهم **ان الله يحب المقسطين** اى العادلين
قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله فى
برهم قال عبد الله بن الزبير نزلت فى امه اسما بنت ابى بكر وذلك
ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا
ضبابا وقرصا وسمنا وهى مشركة فقالت اسما لا اقبل منك هدية
ولا تدخلي على بيتا حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالته فانزل الله هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها
ق عن اسما بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت قدمت على
امى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا
رسول الله ان امى قدمت على وهى راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد
فى رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال
تعالى **انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من
دياركم وظاهروا على اخراجكم** وهم مشركوا مكة **ان تولوهم ومن
يتولهم فاولئك هم الظالمون** قوله عز وجل **يا ايها الذين
امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الاية** ٥ خ
عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن
عمرو يومئذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى صلى الله عليه
وسلم انه لا ياتيك احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت
بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه
النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه
سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده فى تلك المدة
وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت
عقبة بن ابى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ وهى عاتق فجاء اهلها يسالون النبى صلى الله عليه وسلم ان
يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن
قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يمتحنهن بهذه الاية يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور
رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده
يد امراة قط فى المبايعة ما بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس
اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية
صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى
مكة من اصحابه لم يرد عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت
سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها
مسافر من بنى مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب فى طلبها وهو كافر فقال
يا محمد اردد على امراتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه
طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات اى من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس
امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى
ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دينار ولا خرجت الا رغبة فى
الاسلام وحب الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا احلفت على
ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت
فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن
الخطاب ٥ قال المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين امنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذى تولى امتحانهن بنفسه فكان
يمسك من جاءه من النسا بعد الامتحان ويعطى ازواجهن مهورهن
ويرد من جا من الرجال فاختلف العلما هل دخل رد النسا فى عقد
الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع
منه وابقاه فى الرجال على ما كان فى العقد ٥ وقيل لم يشترط ردهن
لفظا صريحا وانما اطلق العقد فكان ظاهره العموم لاشتماله على
النسا من الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق
بينهن وبين الرجال فى الحكم **الله اعلم بايمانهن** اى هذا الامتحان
لكم والله اعلم بايمانهن **فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** يعنى اذا اقررن بالايمان
فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر **واتوهم** يعنى
ازواجهن **ما انفقوا** عليهن اى من المهر الذى دفعوه اليهن **ولا
جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن** اى مهورهن
اباح الله تبارك وتعالى للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب
الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار فى دار الحرب لان الاسلام

ن ٥

فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة على انقضا عدتها
فان اسلم الزوج قبل انقضا عدتها فهى زوجته وبه قال الاوزاعى
والليث بن سعد ومالك والشافعى واحمد وقال ابو حنيفة تقع
الفرقة باختلاف الدارين **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** جمع عصمة
وهى ما اعتصم به من العقد والنسب نهى الله تبارك وتعالى المومنين
عن المقام على نكاح المشركات بقول الله تعالى وان كان له امراة كافرة
فلا يعتدون بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهرى لما
نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين
قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابى سفيان وهما
على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى
ام ابنه عبد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما
وكانت اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن
عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الاسلام
بينهما فتزوجها بعده فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية
قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
ابى العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلى الله عليه
وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم فردها
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واسالوا** اى المومنون **ما انفقتم**
يعنى ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من
المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم **وليسالوا** يعنى المشركين الذين
لحقت ازواجهم بكم **ما انفقوا** اى من المهر ممن تزوجها منكم **ذلكم حكم
الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد
الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك
النسا ولم يرد الصداق وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل
العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المومنون بحكم الله تعالى وادوا ما
امروا به من ادا نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا
بحكم الله تعالى فيما امر من نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل
وان فاتكم ايها المومنون **شى من ازواجكم الى الكفار** اى فلحقن بهم
مرتدة **فعاقبتم** معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار شى
عقبى وهو الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم **فاتوا
الذين ذهبت ازواجهم** اى الى الكفار **مثل ما انفقوا** معناه اعطوا
الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما انفقوا عليها
من الغنايم التى صارت فى ايديكم من اموال الكفار وقال ابن عباس

لحق

لحق المشركون من نسا المومنين المهاجرين ست نسوة ام كلثوم بنت
ابى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت
ابى امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب اراد
عمر ان تهاجر فابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس
ابن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود
وهند بنت ابى جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن
وايل وام كلثوم بنت جرول وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن
عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور
نسائهم من الغنيمة • واختلف القول فى ان رد مهر من اسلمت
من النسا الى ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسئلة
ان الصلح هل كان وقع على رد النسا ام لا فيه قولان احدهما انه وقع
على رد الرجال والنسا جميعا لما روى انه لا ياتيك منا احد الا
رددته ثم صار الحكم فى رد النسا منسوخا بقوله تعالى فلا
ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول
الثانى ان الصلح لم يقع على رد النسا لانه روى عن على انه قال لا
ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل
لا يخشى عليه من الفتنة والرد ما يخشى على المراة من اصابة المشرك
اياها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف
قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية
واضمار الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل
لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا • واختلفوا فى
انه هل يجب العمل اليوم فى رد المال اذا شرط فى معاقدة الكفار ۞
فقال قوم لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة وهو قول عطا ومجاهد
وقتادة • وقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا **واتقوا
الله الذى انتم به مومنون** **قوله عز وجل** **يا ايها النبى اذا
جاءك المومنات يبايعنك** قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته
النسا تبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند
بنت عتبة امراة ابى سفيان متنقبة متنكرة مع النسا خوفا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا يشركن بالله شيا فرفعت
هند راسها فقالت انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته
على الرجال وكان قد بايع الرجال يوميذ على الاسلام والجهاد فقط

فقال النبي صلى الله عليه وسلم **ولا يسرقن** فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري أيحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال **ولا يزنين** فقالت هند او تزني الحرة فقال **ولا يقتلن اولادهن** فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن** فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال **ولا يعصينك في معروف** فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن في البيعة قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اربعماية وسبع وخمسون امراة ولم يصافح في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النسا بالكلام بهذه الاية لا يشركن بالله شيا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة لا يملكها • واما تفسير الاية فقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به البنات الذي كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولدان ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعني لا يلحق المراة بزوجها غير ولده وذلك ان المراة كانت تلتقط المولود اذا وضعت الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن به او تنهاهن عنه وقيل امروا فوق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعا بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المراة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم • قال ابن عباس في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله تعالى على النسا اخرجه البخاري (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيا فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية عن اسيد بن اسيد عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نسا اسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام اخرجه النساي (م) عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النايحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب • عن ابي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النايحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله تعالى **فبايعهن** يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن **واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم** عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطعتن قلت الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لماية امراة كقولي لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم** يعني اليهود وذلك ان ناسا من فقرا المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك **قد يئسوا من الاخرة** يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصدقه وانه رسول الله فكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير في الاخرة **كما يئس الكفار من اصحاب القبور** يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب وذلك ان الكفار اذا دخلوا في القبور يئسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

• تفسير سورة الصف •

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي اربع عشرة اية وماييتان واحدى وعشرون كلمة وتسعما حرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها**

ية •

الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل سبب نزولها ما روى عن
عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله
لعملنا فانزل الله سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام
فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قال
المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملنا ولبذلنا
فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا فانزل هل ادلكم على تجارة الاية فابتلوا بذلك
يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى
لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه
وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بهذه الاية وقيل نزلت في
المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون
كبر مقتا عند الله اى عظم بغضا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
معناه ان يعدوا من انفسهم شيئا ثم لم يفوا به ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا اى يصفون انفسهم عند القتال صفا
ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اى قد رص بعضه
ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل وفيه
الحديث ومعنى ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم
مكانه كثبوت البنا المرصوص قوله تعالى واذ قال موسى لقومه
اى واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل يا قوم
لم تؤذونني وقيل انهم كانوا يؤذونه بانواع الاذا والغضب منها
قوله ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها
انهم رموه بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني تؤذونني
وانتم عالمون علما قطعيا اني رسول الله والرسول يعظم ويوقر ويحترم
ولا يؤذى فلما زاغوا اى عدلوا ومالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم
اى ازالها عن الحق الى غيره والله لا يهدي القوم الفاسقين اي
لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهداية على عظم
ايذا الرسل حتى ان اذاهم يودي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى
واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه اى مصدق
بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد

عن ابي موسى قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان
ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد
ان محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من
الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه
ابو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد
وعيسى بن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدني قد بقي في البيت
موضع قبر اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا
صلى الله وسلم عليه يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد
حكما علما ابرار اتقيا كانهم في الفقه انبيا يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل ق عن جبير بن مطعم
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة
اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة وانا العاقب
الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى روفا رحيما واحمد يحتمل
معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبيا كلهم
محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضايل
والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره فلما جاءهم بالبينات
قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
هذا سحر مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي
ومن اكثر ظلما ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا
انما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به وهو يدعى الى الاسلام معنى
الاية ان الناس اشد ظلما من يدعوا ربه على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان
اجابته افترا الكذاب على الله بقوله هذا سحر مبين والله لا
يهدي القوم الظالمين اى لا يوفقهم للهداية لما علم حالهم عقوبة
لهم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم يعني ارادتهم ابطال
الاسلام بقولهم في القران هذا سحر والله متم نوره يعني متم للحق
ومظهره ومبلغه غايته وقاله ابن عباس مظهر دينه ولو كره الكافرون
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
اى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من
الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم نزلت هذه الاية حين قالوا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله لعملنا

وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيها رضى الله عز وجل وقيل جنته والنجاة من النار ثم بين ذلك التجارة فقال تعالى **تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم** اى الذى امركم به من الايمان والجهاد في سبيله **ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم** هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر المعنى امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله اى اذا فعلتم يغفر لكم ذلك **ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم** يعنى هذا الجزا الذى ذكر هو الفوز العظيم **واخرى تحبونها** اى ولكم تجارة اخرى وقيل ولكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة **نصر من الله وفتح قريب** قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل هو فتح فارس والروم **وبشر المؤمنين** اى يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال **يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله** اى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله كما قال لهم عيسى من انصارى الى الله **قال الحواريون نحن انصار الله** وكانوا اثنى عشر رجلا اول من امن بعيسى عليه السلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حوارى الزبير **فامنت طايفة من بنى اسرايل وكفرت طايفة** قال ابن عباس في زمن عيسى عليه السلام وذلك لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم مؤمنون واتبع كل فرقة منهم طايفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة **فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين** اى غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته

قالوا

تفسير سورة الجمعة مدنية

وهى احدى عشر اية ومائة وثمانون كلمة وسبعماية وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث في الاميين** يعنى العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرا حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الامى هو للذى

على

على ما خلق عليه كانه منسوب الى امه **رسولا منهم** يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته في كتب الانبيا النبى الامى وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى به من الوحى والحكمة ويكون حاله مشاكلة بحال امته الذى بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه **يتلوا عليهم اياته** التى تبين رسالته وقيل اياته التى يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل **ويزكيهم** اى يطهرهم من دنس الشرك **ويعلمهم الكتاب** اى القران وقيل الفرايض **والحكمة** وقيل هى السنة **وان كانوا من قبل** اى من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم **لفى ضلال مبين واخرين منهم** اى من المومنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم كانوا امة واحدة وقيل اراد بالاخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله هولا الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى ساله ثلاثا قال وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذى نفسى بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هولاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة **لما يلحقوا بهم** لم يدركوهم ولكنهم جاوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شان الصحابة **وهو العزيز** اى الغالب الذى قهر الجبابرة **الحكيم** اى الذى جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته **ذلك فضل الله يوتيه من يشا** يعنى الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم **والله ذو الفضل العظيم** اى على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **مثل الذين حملوا التوراة** يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ليس هو الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل **ثم لم يحملوها** اى لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها **كمثل الحمار يحمل اسفارا** جمع سفر وهو الكتب العظام من العلم سمى سفرا لانه مسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود والذين اعرضوا عن العمل بالتوراة وبالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم

بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود
الذين يقرون التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا
المثل يلحق من لم يفهم معاني القران ولم يعمل بما فيه واعرض عنه
اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل
القران اتبعوا القران قبل ان يتبعكم ثم تلى هذه الاية ثم ذم
هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى **بيس مثل القوم** اى بيس
مثلا مثل القوم **الذين كذبوا بايات الله** يعنى محمدا صلى الله
عليه وسلم وما اتى من ايات القران وقيل المراد من الايات
ايات التوراة لانهم كذبوا بها حتى تركوا الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم **والله لا يهدى القوم الظالمين** اى لا يهدى من سبق
فى علمه انه يكون ظالما وقيل يعنى الذين ظلموا انفسهم بتكذيب
ايات الله وانبيايه **قل** اى يا محمد **يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اوليا لله من دون الناس** اى من دون محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه **فتمنوا الموت** اى ادعوا على انفسكم بالموت **ان كنتم صادقين**
يعنى فيما زعمتم انكم ابنا الله واحباوه فان الموت هو الذى يوصلكم
اليه لان الاخرة خير لاوليا الله من الدنيا **ولا يتمنونه ابدا بما
قدمت ايديهم** اي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب **والله
عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم**
اى لا ينفعكم الفرار منه **ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبيكم بما كنتم تعملون** فيه وعيد وتهديد **قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا نودى للصلاة** اى لوقت الصلاة **من
يوم الجمعة** اى فى يوم الجمعة واراد بهذا الندا الاذان عند قعود
الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ندا سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر
اذن بلال خ عن السايب بن يزيد قال كان الندا يوم الجمعة
اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد الندا
الثالث على الزورا زاد فى رواية فثبت الامر على ذلك ولابى
داود قال كان يوذن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا
جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه فى الزورا
موضع عن سوق المدينة قريب المسجد وقيل كان مرتفعا
كالمنارة واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله
تعالى جمع فيه بين خلق ادم وقيل لان الله فرغ من خلق الاشيا

فاجتمعت

فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل
اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لوى قال ابو سلمة اول من
قال اما بعد كعب بن لوى وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان
يقال لها يوم العروبة • عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل
ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم
الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجمعون فيه كل سبعة ايام
وللنصارى يوم مثله فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى
ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم
العروبة ثم انزل الله فى ذلك بعد • عن كعب بن مالك انه كان اذا
سمع الندا يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن
يا ابت اذا سمعت الندا ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من
جمع بنا فى هذا البيت من حرة بنى بياضة نقيع فقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يوميذ قال اربعون اخرجه ابو داود واما
اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره
اهل السير ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل
قبا على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت
من ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام بقبا يوم الاثنين والثلاثا
والاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم
يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم
ابن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ فى بطن ذلك الموضع مسجدا
فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله **فاسعوا
الى ذكر الله** اى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع
فى المشى انما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرا فامضوا الى
ذكر الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد
نهوا ان ياتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب
والنية والخشوع • وعن قتادة فى هذه الاية فاسعوا الى ذكر الله
قال السعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتاول
قوله فلما بلغ معه السعى بقوله فلما مشى معه **ق** عن ابى هريرة رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة
فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا • وفى رواية اذا اتيتم الصلاة فلا تاتوها
تسعون واتوها تمشون عليكم السكينة والوقار وذكره زاد مسلم
فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة والمراد بقوله

فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة
الامام وذروا البيع يعني البيع والشرا لان اسم البيع يتناولهما
جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشرا عند الاذان الثاني
وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت
الشمس حرم البيع والشرا ذلكم اي الذي ذكرتم من حضور الجمعة
وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك الوقت ان كنتم
تعلمون اي مصالح انفسكم

فصل في فضل الجمعة

واحكامها واثم تاركها وفيه مسايل ۝ المسيلة الاولى في فضلها
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه
ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد في رواية ولا تقوم الساعة الا
في يوم الجمعة ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم
الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال
الله شيا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها ق وعنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة
ثم راح فكانما قرب بدنة ۝ ومن راح في الساعة الثانية
فكانما قرب بقرة ۝ ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب
كبشا اقرن ۝ ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة
ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج
الامام حضرت الملايكة يستمعون الذكر ۝ وفي رواية اذا كان يوم
الجمعة كان على باب من ابواب المسجد ملايكة يكتبون الاول
الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاوا يستمعون
الذكر ۝ قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا
كغسل الجنابة م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من توضا فاحسن الوضو ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر
له ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصا فقد
لغا ۝ قوله ومن مس الحصا فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع
الخطبة كما يشغله الكلام فيجعله كاللاغي خ عن عباية قال ادركني
ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرجت الى الطور فلقيت كعب
الاحبار فجلست معه فحدثني عن التورية وحدثته عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه
خلق ادم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة
فيها وما من دابة الا وهي مصيخة من حين تطلع الشمس شفقا من
الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو
يصلي يسال الله تعالى شيا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في
كل سنة يوم فقلت بلى في كل جمعة فقرا كعب التورية فقال صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله
ابن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم
الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اية ساعة هي قال ابو
هريرة اخبرني بها ولا تكن عني وفي نسخة ولا تضن علي فقال هي
اخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة فكيف تكون اخر ساعة
في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
وذلك ساعة لا يصلي فيها قال عبد الله بن سلام الم يقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في
صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه
مالك في الموطا والنسايي خ عن سلمان قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من
الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق
بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له
ما بينه وبين الجمعة الاخرى ۝ عن اوس بن اوس الثقفي قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل
وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الامام ولم يلغ واستمع
كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابو داود
والنساي قال ابو داود وسيل مكحول عن غسل واغتسل قال
غسل راسه وجسده ۝ المسيلة الثانية في اثم تاركها م عن
عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم
الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن
ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه اخرجه
ابو داود والنسايي وللترمذي نحوه م عن ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت
ان امر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن

الجمعة يوم تم **المسئلة الثالثة** في تاكيد وجوبها قال
العلما صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر
بالغ عاقل ذكر مقيم اذا كان لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من
غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما
لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النسا بالاتفاق يدل على
ذلك ما روى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك
او امراة او صبي او مريض اخرجه ابو داود وقال طارق راي النبي
صلى الله عليه وسلم ويعد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يسمع منه شيا • عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع الندا
اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من اواه
الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال
الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب • وعن احمد
في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا
سمعوا الندا من موضع تقام فيه الجمعة ليلزمهم الحضور وان لم
يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط
ان يبلغهم نداء موذن جهوري الصوت يوذن في وقت تكون
الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع
الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة
وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من اواه المبيت وقال
الزهري تجب على من كان على ستة اميال • وقال ربيعة تجب
على اربعة اميال • وقال مالك والليث على ثلاثة اميال
وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سوا كانت القرية
قريبة او بعيدة • دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري
عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ولابي
داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين **المسئلة الرابعة**
في تركها لعذر وكل من له عذر من مرض او تعهد مريض او خوف
جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل
على ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ
فامر الموذن لما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال

فنظر

فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا ذلك فقال كانكم انكرتم هذا ان
هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة
واني كرهت ان اخرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والرحض
والزلق اخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا
حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل
به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد
المسئلة الخامسة في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف
اهل العلم في العدد الذي ينعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد
باقل من اربعين وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد
العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا ولا تنعقد الجمعة
باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا
عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتا ولا صيفا الا ظعن
حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم والي والوالي غير
شرط عند الشافعي • وقال علي بن ابي طالب لا جمعة الا في مصر
جامع وهو قول اصحاب الراي ثم ان عند ابي حنيفة تنعقد
بثلاثة اذا كان فيهم والي • وقال الحسن تنعقد باثنين كساير
الصلوات • وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد
بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمسافر والمراة والصبي ولا
تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال مالك والشافعي
وابو يوسف • وقال احمد تصح في موضعين اذا كثر الناس وضاق
الجامع **المسئلة السادسة** لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة
بعد الزوال قبل ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الراي ان يسافر
بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا
سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا
ان يكون سفره سفر طاعة كحج او غزو • وذهب بعضهم الى انه
اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على
جوازه ما روى عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا
اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم راه فقال ما
منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك ثم الحقهم
فقال لو انفقت ما في الارض ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه
الترمذي • وروي ان عمر راى رجلا عليه اهبة السفر سمعه يقول

لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس
عن سفر وللجمعة شرايط وسنن واداب مذكورة في كتب الفقه
وفي هذا القدر كفاية والله اعلم **قوله عز وجل فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الارض** اي اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا
في الارض للتجارة والتصرف في حوايجكم **وابتغوا من فضل الله**
يعني الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شيت فاقعد
وان شيت فاخرج وان شيت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في
الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة
وزيارة اخ في الله وقيل ابتغوا من فضل الله هو طلب العلم
وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف
على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت
فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك
وانت خير الرازقين **واذكروا الله كثيرا** اي اذا فرغتم من
الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشرا فاذكروا الله كثيرا
قيل باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا تكون من الذاكرين الله
كثيرا حتى تذكره قايما وقاعدا ومضطجعا **لعلكم تفلحون** قوله
تعالى **واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما**
ق عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي
صلى الله عليه وسلم الا اثني عشر رجلا فنزلت هذه الاية واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وفي رواية ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما فجات عير من الشام وذكر
نحوه وفيه الا اثني عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر • ولمسلم كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج
الناس اليها فلم يبق الا اثني عشر رجلا انا فيهم وذكره في هذا
الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلا **واجيب**
عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث
حجة لاشتراط هذا العدد • وقال ابن عباس في رواية عنه لم
يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب
اهل المدينة جوع وغلا سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي
بتجارة بزيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب
فلما راوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع
النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه

الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو
تتابعتم حتى لم يبق معكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية
ابن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم يبق عاتق
بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر
وزيت وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة
ثم يضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه
فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول
الله صلى الله عليه وسلم قايم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس
ولم يبق في المسجد الا اثني عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لولا هولا لسومت لهم الحجارة من السما فانزل
الله هذه الاية واراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت
العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اليها
اي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع الى التجارة
لانها اهم اليهم وتركوك قايما اي اتفقوا على ان هذا القيام
كان في الخطبة • قال علقمة سيل ابن مسعود اكان النبي صلى
الله عليه وسلم يخطب قايما او قاعدا قال اما تقرا وتركوك
قايما قال العلما الخطبة فريضة في صلاة الجمعة • وقال داود
الظاهري هي مستحبة ويجب ان يخطب الامام قايما خطبتين
يفصل بينهما بجلوس • وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام
ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في
احد القولين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله تعالى
ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه
الثلاث شروط في الخطبتين جميعا • ويجب ان يقرا في الاولى
اية من القران ويدعو للمومنين في الثانية ولو ترك واحدة
من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب
ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا
القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مامور بالخطبة والسنة
للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا
لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف
بين العلما والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب
ان يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة
ومالك **ذكر الاحاديث الواردة** الدالة على هذه الاحكام

ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم قال كما يفعلون الآن م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب م عن كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود يقرا ايات من القران ويذكر الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدا فيه بالحمد لله فهو اجذم • عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا • وفي رواية ان يونس سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسال ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابو داود م عن جابر رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل الامور بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي • عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذي • عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك والامام يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن عمر راى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك في الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام • فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراة • ولجواز الجمعة خمس شرايط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان نقل فقد شرط من هذه الشرايط الخمس يجب ان يصلي ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدي الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد اربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة او نقص واحد من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر • ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعي ان بقا الاربعين شرط الى اخر الصلاة فلو انفض واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول اخر وهو ان بقي معه اثنان اتمها جمعة • وعند المزني ان انفضوا بعدما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقي وحده وان كان في الركعة الاولى يتمها اربعا وان انقص من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق اذا ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا خ عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن عبيد الله بن ابي رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا الجمعة ابو هريرة فقرا بعد الحمد سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرات بسورتين كان علي بن ابي طالب يقرا بهما في الكوفة قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بهما م عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرا بهما في الصلاتين • عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اي ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير

من اللهو والتجارة اى الذى جابها دحية **والله خير الرازقين**
يعنى ان الله تعالى موجد الارزاق واصلها منه فاياه فاسالوا ومنه
فاطلبوا والله اعلم •

• تفسير سورة المنافقين مدنية •

وهي احد عشر اية وماية وثمانون كلمة وتسع ماية وستة وسبعون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل**
اذا جاءك المنافقون يعنى عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه
قالوا نشهد انك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدا فقال تعالى
والله يعلم انك لرسوله اى هو الذى ارسلك فهو عالم بك **والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون** يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم
اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطى اللسان
القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شى واعتقد خلافه او اضمر خلاف
ما اظهر فهو كاذب الا يرى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك
لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم **اتخذوا ايمانهم
جنة** اى سترا يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم ما اخبر الله
عنهم من حلفهم انهم لمنكم • وقوله نشهد انك لرسول الله **فصدوا
عن سبيل الله** اى اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله
وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
انهم ساء ما كانوا يعملون يعنى حيث اثروا الكفر على الايمان **ذلك بانهم
امنوا** اى فى الظاهر وذلك اذا راوا المومنين اقروا بالايمان **ثم كفروا**
اى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد لقوله والله يشهد
انهم لكاذبون **فطبع على قلوبهم** اي بالكفر **فهم لا يفقهون** اى الايمان
وقيل لا يتدبرون القران **واذا رايتهم** يعنى المنافقين مثل عبد الله بن
ابي بن سلول **تعجبك اجسامهم** يعنى ان لهم اجساما ومناظر حسنة
وان يقولوا تسمع لقولهم اى فتحسب انه صدق وقال ابن عباس كان
عبد الله بن ابي جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى
الله عليه وسلم قوله **كانهم خشب مسندة** اى اشباح بلا ارواح
واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر ليست باشجار
مثمرة ينتفع بها **يحسبون كل صيحة عليهم** يعنى انهم لا يسمعون صوتا
فى العسكر بان ينادى منادا وان انفلتت دابة او انشدت ضالة
الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد
اتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل لانهم على وجل وخوف من ان ينزل
فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماهم وتم الكلام على قوله عليهم

ثم ابتدا فقال تعالى **هم العدو فاحذرهم** يعنى انهم وان كانوا معك ويظهرون
تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولا تامنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك
من الكفار ينقلون اليهم اسرارك **قاتلهم الله** اى لعنهم الله **انى يوفكون**
اى يصرفون عن الحق قوله تعالى **واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول
الله لووا رؤسهم** اى امالوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار
ورايتهم يصدون اى يعرضون عما دعوا اليه **وهم مستكبرون** اى عن
استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم **سواء عليهم استغفرت
لهم** اى يا محمد **ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى
القوم الفاسقين** **ذكر القصة فى سبب نزول هذه
الاية** قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق يجمعون لحربه وقايدهم
الحرث بن ابي ضرار وهو ابو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على
ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم
الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وامكن منهم وقتل
من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم
واموالهم فافاها عليه فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة
الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بنى غفار يقال له جهجاه
ابن سعيد الغفارى يقود له فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى
حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر
الانصار وصرخ الانصاري يا معشر المهاجرين واعان جهجاه رجل
من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي لجعال
وانك لهناك فقال جعال وما يمنعنى اذا فعلت ذلك فغضب
عبد الله بن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام
حديث السن فقال عبد الله افعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى
بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك
اما والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل
على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم
بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لين امسكتم عن جعال ودونه
فضل الطعام لم يركبوا رقابكم وليتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم
حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل
المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة
من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانك كنت العب فمشى زيد بن ارقم

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو لما
فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول
الله فقال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن
بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل
فيها فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله
ابن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال
عبد الله والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا
لكاذب وكان عبد الله شريفا في قومه عظيما فقال من حضر من
الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم في
حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت
الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت
الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان
زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من
النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم
قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة تروح فيها فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابي
فقال اسيد وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز
منها الاذل فقال اسيد انت والله تخرجه يا رسول الله تخرجه هو والله
الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله
بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته
ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد
الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك
رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني
اخشى ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد
الله بن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل النار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته
ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك
حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى اذتهم الشمس فنزل
بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل ذلك
ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن ابي الذي كان منه بالامس
ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعا

فهاجت

فهاجت ريح شديدة اذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة
قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين
كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه
بالوحي فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان
ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال
ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني بقول المنافق
وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون
قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤوا بها فامن ذلك المنافق وحسن
ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت
قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين
فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم
جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة
المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما
نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد
ان الله صدقك واوفى باذنك ق عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة
فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل
فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي
مما قالوه شدة حتى انزل الله تصديقي اذا جاءك المنافقون قال
ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤسهم
وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شيء ق عن جابر
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس
من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع
انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال
الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية
ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري فقال دعوها
فانها خبيثة وقال عبد الله بن ابي بن سلول اقد تداعوا علينا

لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر الا نقتل
يا رسول الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا باس
ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه
فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه
فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر انك انت
الذليل ورسول الله العزيز ففعل • قال اصحاب السير وكان
عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه
عبد الله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاءه عبد الله
ابن ابي قال له ابنه وراءك قال ما لك ويلك قال لا والله لا
تدخلها ابدا الا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلمن
اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قال فلما نزلت هذه السورة
وبان كذب عبد الله بن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل فيك آي
شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك
فلوى راسه وقال امرتموني ان اعطي زكاة مالي فقال لقد اعطيت
فما بقي لي الا ان اسجد لمحمد فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤسهم الاية ونزل هم الذين يقولون لا تنفقوا على
من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خزائن
السموات والارض اي بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احدا شيا الا
باذنه ولا يمنعه الا بمشيته ولكن المنافقين لا يفقهون يعني ان
امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون يقولون لين رجعنا الى
المدينة يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز منها الاذل
فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين فعزة
الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه
وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المومنين نصر الله اياهم
على اعدايهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا ما قالوا
هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الاية في عبد الله
ابن ابي بن سلول فلم يلبث الا اياما قلايل حتى اشتكى ومات على
نفاقه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى

لا تشغلكم

لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ومن
يفعل ذلك اي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله فاوليك هم
الخاسرون اي في تجارتهم حيث اثروا الفاني على الباقي وانفقوا مما
رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم
الموت اي دلايل الموت ومقدماته وعلاماته فيسال الرجعة
فيقول رب لولا اخرتني اي هلا امهلتني وقيل لو اخرتني اجلي
الى اجل قريب فاصدق اي فازكي مالي واكن وقري واكون من
الصالحين اي المومنين وقيل هذه الاية نزلت في المنافقين ويدل
على هذا ان المومن لا يسال الرجعة وقيل الاية نزلت في المومنين
والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان
له مال ولم يود زكاته واطاق الحج ولم يحج الا سال الرجعة عند الموت
وقرا هذه الاية قال واكن من الصالحين اي احج وازكي ولن يوخر
الله نفسا اذا جاء اجلها يعني انه تعالى لا يوخر من حضر اجله
وانقضت مدته والله خبير بما تعملون اي انه لو رد الى الدنيا
واجيب الى ما سال ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شايع لكل عامل
عملا من خير او شر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة التغابن مدنية •

في قول الاكثرين وقيل هي مكية الا ثلاث ايات من قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الى اخر ثلاث ايات وهي ثمان
عشرة اية ومايتان واحد واربعون كلمة والف وسبعون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل يسبح
لله ما في السموات وما في الارض له الملك يعني انه تعالى متصرف
في ملكه كيف يشا تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد يعني انه
تعالى متصرف في ملكه كيف يشا لان اصول النعم كلها منه وهو الذي
يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو وهو على كل شي قدير
يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشا كما يشا فلا مانع ولا مدافع
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله تعالى
خلق بني ادم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيمة كما خلقهم مومنا
وكافرا م عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم
وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم ق عن انس رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا
فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان

يبقى خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فما الرزق فما
الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى الاية ان الله
تعالى خلق الخلق ثم كفروا وامنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم
بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن ثم اختلفوا في تاويلها فروي
عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته ومنكم مومن في
العاقبة ومنكم مومن حياته كافر في العاقبة • وقال عطا بن ابي
رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر
بالكواكب وقيل فمنكم كافر اي بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب
الطبايع ومنكم مومن اي بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله
تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المومن وايمانه فعلا
له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره
بتقدير الله ومشيته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار الايمان
لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق
الله اياه يختار الكفر لان الله قدر ذلك عليه وعلمه منه وهذا طريق
اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبر
والقدر والله بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن
خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم اي انه
اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن
القامة والمناسبة في الاعضا وقد علم ان صورة الانسان احسن
صورة واكملها واليه المصير اي المرجع في القيامة يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
معناه انه لا يخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو
بكل شي عليم قوله تعالى الم ياتكم يخاطب كفار مكة نبا الذين كفروا
من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزا اعمالهم
وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك
اي الذي نزل بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك
لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا
فكفروا اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن
ايمانهم وعبادتهم والله غني اي عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر
الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن اي يوم القيمة ثم لتنبؤن
اي لتخبرن بما عملتم وذلك على الله يسير اي امر البعث والحساب

قل ح

يوم

يوم القيمة فامنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة
وما نزل بهم من العذاب قال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل
بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا يعني القران سماه
نورا لانه يهتدى به في ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة
والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا
فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم
القيمة يجمع فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارضين
ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ والمراد في المجازاة
والتجارة وذلك اذا اخذ الشي بدون قيمته فقد غبن فالمغبون
من غبن في اهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر له اهل
ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان
ويظهر غبن كل كافر بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار
يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل
هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الاخرة
غابنا لظالمه واصل الغبن في البيع والشرا وقد ذكره الله في حق
الكافرين انهم خسروا وغبنوا في شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالمغفرة • وقال في حق المومنين هل ادلكم على
تجارة • وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المومنين ومن يومن
بالله اي على ما جات به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار
ويعمل صالحا اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك يكفر عنه سياته
ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز
العظيم والذين كفروا اي بوحدانية الله وقدرته وكذبوا باياتنا اي
الدالة على البعث اوليك اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضا الله وقدره وارادته
ومن يومن بالله اي يصدق انه لا يصيبه مصيبة من مرض او موت
او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضا الله وقدره واذنه يهد قلبه
اي يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم
يكن ليصيبه فيسلم لقضا الله وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند
الرخا والصبر عند البلا والله بكل شي عليم واطيعوا الله اي فيما امر
واطيعوا الرسول اي فيما جا به عن الله وما امركم به فان توليتم
اي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين
الله لا اله الا هو اي لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل

المؤمنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس قال هولا رجال اسلموا من اهل
مكة واراد وا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم
ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه
قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا نصبر على فراقكم فاطاعوهم وتركوا
الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم اى ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة
وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم
يهاجر ثم هاجر وراى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين
فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما
لحقوا به ولم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فامره الله بالعفو عنهم والصفح
عنهم وقال عطا بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان
ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزوا بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا
فيرق عليهم ويقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم
اياكم على ترك الطاعة لله فاحذروهم اى تقبلوا منهم وان تعفوا
وتصفحوا وتغفروا اى فلا تعاقبوهم على خلافكم فان الله غفور رحيم
انما اموالكم واولادكم فتنة اى بلاء واختبار وشغل عن الاخرة وقد
يقع الانسان بسببهم في العظايم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب
مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر عظيم يعني الجنة والمعنى
لا تباشروا المعاصي بسبب الاولاد ولا توثروهم على ما عند الله من
الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض
فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر
من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لا يخلوا عن الفتنة واشتغال
القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ولا يقولن
احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى
اهل ومال وولد الا مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك
من مضلات الفتن • عن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجا الحسن والحسين وعليهما قميصان
احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر
فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم
فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى

قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وقوله فاتقوا الله ما استطعتم وهذه الاية ناسخة لقوله اتقوا الله
حق تقاته واسمعوا واطيعوا اى لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم
عنه وانفقوا اى من اموالكم في حق الله الذي امركم به خيرا لانفسكم
اى ما انفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
تقدم تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق
من الحلال مع طيبة نفس يعني ان تقرضوا اى تنفقوا في طاعة الله
متقربين اليه بالانفاق يضاعفه لكم اى يجزكم بالضعف الى سبعمائة
الى ما شا من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يحب المتقربين
اليه حليم اى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب
والشهادة العزيز الحكيم والله سبحانه اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة الطلاق مدنية •

وهي اثنتا عشرة اية ومايتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
يا ايها النبي اذا طلقتم النسا نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم
خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته
داخلة في ذلك الخطاب • وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر
القول اذا طلقتم النسا اى اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن
اى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها
وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة
فكان ابن عباس وابن عمر يقرءان فطلقوهن من قبل عدتهن وهذا
في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الاية
في عبد الله بن عمر كان قد طلق امراته في حال الحيض ق عن ابن عمر
رضي الله عنهما انه طلق امراته وهي حايض فذكر ذلك عمر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها
فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا زاد في رواية كان
عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن
كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي رواية لمسلم انه طلق امراته
وهي حايض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها
ثم ليطلقها طاهرا او حاملا • ولمسلم من حديث ابي الزبير انه سمع
عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف
ترى في رجل طلق امراته حايضا فقال طلق ابن عمر امراته وهي حايض

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال
ابن عمر وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فطلقوهن من قبل عدتهن **فصل** اعلم ان الطلاق في حال
الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول
النبي صلى الله عليه وسلم وان شا طلق قبل ان يمس والطلاق
السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها
العدة بالاقرا فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق
الصغيرة التي لم تحض والايسة بعدما جامعها او طلق الحامل
بعدما جامعها او في حال روية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا
بدعة في طلاق هولا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها
طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون
بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في
مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال
لاشبه ان يتعرف الحال ولو طلق امراته في حال الحيض او في طهر
جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى
الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يامره
بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها في الطهر الذي
يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس بن
سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن
عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب
تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق
كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث
عند بعض اهل العلم حتى لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون
بدعيا وهو قول الشافعي واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو
قول مالك واصحاب الراي • قوله تعالى **واحصوا العدة** اي عدد
اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصا العدة لتفريق الطلاق على
الاقرا اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقا زمان الرجعة ومراعاة
امر النفقة والسكنى **واتقوا الله ربكم** اي اخشوا الله ولا تعصوه
فيما امركم به **لا تخرجوهن من بيوتهن** يعني اذا كان المسكن الذي طلقها
فيه الزوج للزوجة بملك او كراء وان كان عارية فارتجعت كان
على الزوج ان يكتري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المراة
من المسكن الذي طلقها فيه **ولا يخرجن** يعني ولا يجوز للمراة ان

تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت
وان وقعت ضرورة بان خافت هدما او غرقا جاز لها ان تخرج الى
منزل اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء
قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا
استشهدوا باحد فقالت نساوهم لنتوحش في بيوتنا فاذن لهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا
كان وقت النوم تاوي كل امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لخالة جابر طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها واذا لزمتها
العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوا حيث
ينتبوا اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم
وقوله تعالى **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** قال ابن عباس الفاحشة
المبينة ان تبذو على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها
وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد
الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها
على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز
وقيل خروجها قبل انقضا عدتها فاحشة **وتلك حدود الله** يعني
ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام **ومن يتعد حدود**
الله اي فيطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام **فقد ظلم نفسه**
اي ضر نفسه **لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا** اي يوقع
في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على
ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة
حتى اذا ندم امكنه المراجعة • عن محارب بن دثار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق
اخرجه ابو داود مرسلا • وله في رواية عنه عن ابن عمر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن
ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت
زوجها الطلاق من غير ما باس به فحرام عليها رايحة الجنة اخرجه
ابو داود والترمذي قوله تعالى **فاذا بلغن اجلهن** اي اذا قربن
من انقضا عدتهن **فامسكوهن** اي راجعوهن **بمعروف او فارقو** هن
بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم **واشهدوا**
ذوي عدل منكم اي على الرجعة والفراق امر بالاشهاد على الرجعة
وعلى الطلاق عن عمران بن حصين انه سيل عن رجل يطلق امراته
ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها وعلى رجعتها فقال طلقت لغير

سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد
اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كما في قوله
واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب
اليه في الفرقة وفايدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا
يتهم في امساكها ولئلا يموت احد الزوجين فيدعي الاخر ثبوت الزوجية
ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة
فتنقضي العدة وتنكح زوجا اخر **واقيموا الشهادة** يعني ايها الشهود
لله اي طلبا لمرضات الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق
وادوها على الصحة **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر**
ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة
يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى مالكا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اسر العدو ابني وشكى ايضا الفاقة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا
بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه
العدو فاصاب منهم ابلا وجاءها الى ابيه • وعن ابن عباس قال
غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة
فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا في ابنه **ويرزقه من حيث لا يحتسب**
يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه
فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وساله ايحل
له ان ياكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت
الاية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء هو
ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه • وقال الربيع بن خثيم يجعل
له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس • وقيل مخرجا من كل شدة وقيل
مخرجا عما نهاه الله عنه **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** يعني يثق
بالله فيما نابه كفاه ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا **ان الله بالغ امره** اي منفذ امره وممض في خلقه ما
قضاه **قد جعل الله لكل شيء قدرا** اي جعل لكل شيء من شدة او رخاء
اجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الاية ان الله بالغ امره توكل
عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا
قوله عز وجل **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم** قيل
لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان

ابن

ابن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى
فانزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد
اللائي قعدن عن الحيض فلا يرجون ان يحضن وهن العجايز الايسات
من الحيض **ان ارتبتم** اي شككتم في حكمهن فلا تدروا ما عدتهن **فعدتهن**
ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن يعني الصغاير اللائي لم يحضن بعد
فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع
حيضها قبل بلوغ سن الايسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها
لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن
الايسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن
ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي
واصحاب الراي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض
تعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك • وقال الحسن تتربص سنة
فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا الكل في عدة الطلاق اما
المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سوا كانت ممن تحيض
او لا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سوا طلقها زوجها او
مات عنها وهو قوله تعالى **واولات الاحمال اجلهن ان يضعن**
حملهن • ق عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو
من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع
وهي حامل فلم تنشب ان وضعت بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها
تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل ابن بعكك رجل من بني
عبد الدار فقال لها ما لي اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانك
والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة
فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حتى امسيت واتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتاني باني قد حللت
حين وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه
وزاد قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان
كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تتطهر **ومن يتق الله يجعل**
له من امره يسرا اي يسهل عليه امر الدنيا والاخرة **ذلك** اي ذلك
الذي ذكر من الاحكام **امر الله انزله اليكم** اي لتعملوا به **ومن يتق**
الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا قوله تعالى **اسكنوهن** يعني
مطلقات نسائكم **من حيث سكنتم من وجدكم** اي من سعتكم وطا
فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا
فعلى قدر الطاقة **ولا تضاروهن** اي لا تؤذوهن **لتضيقوا عليهن**

فتكم •

يعني مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اي فيخرجن من عدتهن

فصل في حكم الاية

اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مونة السكنى فان كانت الدار التي طلقها فيها الزوج ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اهل اكثر العلم • وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا ان تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الراي وظاهر القران يدل على انها لا تستحق الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن • واما الدليل على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غايب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ليس لك عليه نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فاذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم • واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها • وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا • واما المعتدة عن

وفاة

وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان ٥ احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعايشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحق • واحتج من اوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تساله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله اخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث في بيتها اخرا استحبابا لا وجوبا • **قوله عز وجل** فان ارضعن لكم يعني اولادكم فاتوهن اجورهن يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد واتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصد الضرار وقيل المعروف هاهنا ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها ولا المراة في حق الولد ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المراة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير امه وذلك قوله فسترضع له اخرى

لينفق ذو سعة من سعته اى على قدر غناه ومن قدر اى ضيق
عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما اتاه الله اى على قدر
ما آتاه الله من المال لا يكلف الله نفسا اى في النفقة الا ما اتاها
اى من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى فى النفقة
سيجعل الله بعد عسر يسرا اى بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله
تعالى وكاين من قرية عتت اى عصت وطغت والمراد اهل القرية
عن امر ربها ورسله اى وامر رسله فحاسبناها حسابا شديدا
اى بالمناقشة والاستقصا وقيل حاسبها بعملها فى الكفر فجازاها
النار وهو قوله وعذبناها عذابا نكرا اى منكرا فظيعا وقيل فى
الاية تقديم وتاخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط
والسيف وساير انواع البلايا وحاسبناها فى الاخرة حسابا
شديدا فذاقت وبال امرها اى شدة امرها وجزا كفرها وكان
عاقبة امرها خسرا اى خسرانا فى الدنيا والاخرة اعد الله لهم عذابا
شديدا يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية
فاتقوا الله يا اولى الالباب اى يا ذوى العقول ثم نعتهم فقال
الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعنى القران رسولا اى وارسل
اليكم رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات قرى مبينات بالخفض اى
يبين الحلال من الحرام والامر والنهى وقرى بالنصب ومعناها
انها واضحات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات
الى النور اى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور
العلم ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعنى الجنة التى
لا ينقطع نعيمها وقيل رزقه الله طاعة فى الدنيا وثوابا فى الاخرة
الله الذى خلق سبع سموات يعنى بعضها فوق بعض ومن الارض
مثلهن اى فى العدد يتنزل الامر بينهن اى الوحى الى خلقه من السما
العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره
ينزل المطر ويخرج النبات وياتى بالليل وبالنهار وبالصيف
والشتا ويخلق الحيوان على اختلاف هياته وينقله من حال الى
حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا
وقيل فى كل سما من سمايه وارض من ارضه خلق من خلقه وامر من
امره وقضا من قضايه لتعلموا ان الله على كل شى قدير وان الله
قد احاط بكل شى علما يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شى لا يخفى
عليه خافية وانه قادر على الانشا بعد الافنا وكل الكاينات

جارية تحت قدرته داخلة فى علمه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة التحريم مدنية •

وهى ثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون كلمة والف وستون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل**
يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك والله
غفور رحيم ذكر سبب نزولها ق عن عايشة رضى الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوا وكان اذا
انصرف من العصر دخل على نسايه فيدنو من احداهن فدخل على
حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسالت
عن ذلك فقيل لى اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل فسقت
النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت
ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى يا
رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى ما هذه الريح التى
اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه
الريح فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست
نحله العرفط وساقول ذلك وقولى انت يا صفية ذلك فلما دخل
على سودة قالت تقول سودة والله الذى لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه
بالذى قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنى منها قالت له سودة
يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذا الريح الذى اجد
منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط
فلما دخل على قلت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له
يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول
سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت لها اسكتى ق عن عايشة رضى
الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت
جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل
عليها النبى صلى الله عليه وسلم ان تقل انى اجد منك ريح مغافير اكلت
مغافير فدخل على احديهما فقالت له فقال لا بل شربت عسلا عند
زينب بنت جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله
ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا
لقوله شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك احدا
زاد فى رواية تبتغى مرضات ازواجك **شرح الفاظ غريب
الحديثين** وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحب الحلوا والعسل الحلوا بالمد وهو كل شى حلو وذكر العسل بعدها

وان كان داخلا في جملة الحلوا تنبيها على شرفه ومرتبته وهو من باب
ذكر الخاص بعد العام • قولها في الحديث الثاني فتواطيت انا وحفصة
هكذا وقع في الرواية واصله فتواطات بالهمزاي اتفقت انا وحفصة
قولها اني لاجد منك ريح مغافير وهو بغين معجمة وفا بعد ها ياء وراء
وموضع حلو كالقاطر وله رايحة كريهة ينفحه شجر يقال له العرفط
بضم العين المهملة وبالفا يكون بالحجاز • وقيل العرفط نبات له
ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرايحة وقال
اهل اللغة العرفط من شجر العضاة وهو كل شجر له شوك • وقيل
رايحته كرايحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد
منه رايحة كريهة • قولها جرست نحلة العرفط هو بالجيم وبالرا
وبالسين المهملتين ومعناه اكلت نحلة العرفط فصار منه العسل
قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش
وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب
وان عايشة وسودة وحفصة من اللواتي تظاهرن عليه قال
القاضي عياض والصحيح الاول • قال النساي اسناد حديث حجاج
ابن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية • وقال الاصيلي حديث حجاج
اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فايدة يريد قوله تعالى وان
تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عايشة وحفصة كما اعترف به
عمر في حديث ابن عباس ونسيا في الحديث قال وقد انقلبت الاسما
على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه الشرب
كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان
عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم
وكذا ذكره القرطبي ايضا • وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسايه فلما كان يوم حفصة استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت
اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية
فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب
مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما
اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي
وعلى فراشي اما رايت وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي احلها الله لي اسكتي
فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن فلما

خرج

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها
وبين عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عايشة بما رات
وكانتا متصافيتين متظاهرتين على ساير ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم فغضبت عايشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف
ان لا يقربها عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت له امة يطاها فلم تزل به عايشة وحفصة حتى حرمها
على نفسه فانزل الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية اخرجه
النساي قال العلما الصحيح في سبب نزول الاية انها في قصة العسل
لا في قصة مارية من طريق صحيح قال النساي اسناد حديث
عايشة في العسل جيد صحيح غاية • واما التفسير فقوله يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل او ملك اليمين على اختلاف
الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل
لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما احله الله فالنبي صلى الله عليه
وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي
مرضات ازواجك اي تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله
غفور رحيم اي غفر لك ذلك التحريم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
اي بين واوجب الله لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهي ما ذكر في سورة
المايدة فامر الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة والله
مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم اي بخلقه الحكيم اي فيما فرض
من حكمه

فصل

اختلف العلما في لفظ التحريم فقيل ليس هو
يمين فان قال لزوجته انت علي حرام او قال حرمتك فان نوى
به طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها
او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته
فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة
اليمين وان قال ذلك لطعام حرمته على نفسي فلا شي عليه وهذا
قول ابو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب
الشافعي وان لم ينو شيا ففيه قولان للشافعي اصحهما انه يلزمه
كفارة يمين والثاني لا شي عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شي من
الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته
فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطاها وان حرم
طعاما فهو كما لو حلف ان لا ياكله ولا كفارة عليه ما لم ياكله واليه
ذهب ابو حنيفة واصحابه ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا

حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة وفي رواية اذا حرم امراته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله تعالى **واذ اسر النبي الى بعض**
ازواجه حديثا يعني ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على
نفسه واستكتمها بذلك وهو قوله لا تخبري بذلك احدا وقال
ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي
اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتين على امتي من
بعدي وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يترضاها
فاسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده
في ابي بكر وابيها عمر **فلما نبات به** اي اخبرت بذلك حفصة عايشة
واظهره الله عليه اي اطلع عليه نبيه صلى الله عليه وسلم على قول
حفصة لعايشة **عرف بعضه** قرى بتخفيف الرا اي عرف بعض
الذي فعلته حفصة فغضب من افشا سره وجازاها عليه
بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في ال الخطاب خير
لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه جبريل عليه السلام
وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها
صوامة قوامة وانها من نسايك في الجنة وقرى عرف بالتشديد
ومعناه عرف حفصة بعض ذكر الحديث واخبرها ببعض ما كان
منها **واعرض عن بعض** اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن
ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن
بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما
اخبرت به عايشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه
صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس **فلما نباها به** اي
اخبر حفصة بما اظهره الله عليه **قالت** يعني حفصة **من انباك هذا**
اي من اخبرك باني افشيت السر **قال نباني العليم** بما تكنه
الضماير **الخبير** بخفيات الامور **قوله عز وجل ان تتوبا الى**
الله يخاطب عايشة وحفصة اي من التعاون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والايذاء له **فقد صغت قلوبكما** اي زاغت ومالت
عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية **ق** عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر بن الخطاب
عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله

عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت
معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة
فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين
من المراتان اللتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال
الله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك
يا ابن العباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه
قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر
قريش قوما نغلب النسا فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما
تغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من نسايهم قال وكان
منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فتغضبت يوما على امراتي
فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك
فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره
احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت
اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت
اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من
فعل ذلك منكن وخسرت افتامن احداكن ان يغضب الله
عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت
لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساليه شيا
وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عايشة وكان لي
جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما فياتيني بخبر الوحي وغيره واتيه بمثل
ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل ليغزونا فنزل صاحبي
الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشا فضرب بابي ثم ناداني فخرجت
اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا اجات غسان قال لا بل
اعظم من ذلك واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه
قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون
حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على
حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت لا ادري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له
اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له
فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم
فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن

لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا
فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير
قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساءك فرفع راسه
الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله وكنا معشر
قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم
نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على
امراتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما
تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من
فعل ذلك منهن وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله لغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة
فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى **فقلت** استانس يا رسول
الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيئا
يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله وكان اقسم ان لا يدخل
شهرا من اجل ذلك الحديث **حين** افشته حفصة الى عائشة من
شدة مواخذته له عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري
فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بي فقلت يا رسول الله اقسمت
انك لا تدخل علينا شهرا وانك قد دخلت في تسع وعشرين اعدهن
فقال ان الشهر تسع وعشرون زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا
وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان
لا تعجلي حتى تستامري ابويك ثم قرا يا ايها النبي قل لازواجك ان
كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت
عائشة قد علم الله ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقه فقلت اني
هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة زاد في
رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك متعنتا ولمسلم
عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول
الله ما يشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن
فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر
والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون

الله

الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه
استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم
يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد فنادى باعلا
صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه **شرح
بعض الفاظه** قوله فعدلت معه بالاداوة فسكبت عليه
بالركوة فتبرز اي البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة
العوالي جمع عالية وهي اماكن باعلا اراضي المدينة قوله ولا
يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة اوسم منك
اي اكثر حسنا وجمالا منك قوله وكنا نتناوب النزول هو ان
يفعله الانسان مرة ويفعله الاخر بعده المشربة بضم الراء
وفتحها الغرفة فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت
الحصير اذا ظفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطا
سوى الحصير قوله ما رايت فيه شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاث
الاهبة والاهاب وهو الجلد قوله تعالى **وان تظاهرا عليه**
اي تتعاونا على ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم **فان الله هو مولاه** اي وليه
وناصره **وجبريل** اي وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان
داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو مرتبته منزلته
ومكانته **وصالح المؤمنين** روي عن ابن مسعود وابي بن كعب صالح المؤمنين
ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين
وقيل هم الانبياء **والملائكة بعد ذلك** اي بعد نصر الله وجبريل وصالح
المؤمنين **ظهير** اي اعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه **عسى ربه**
اي واجب من الله **ان طلقكن** يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف الازواج اللواتي كان يزوجه
بهن فقال **مسلمات** اي خاضعات لله بالطاعة **مؤمنات** اي مصدقات
بتوحيد الله **قانتات** اي تاركات الذنوب لقبحها **تائبات** اي
كثيرات العبادة **سائحات** اي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسمى
معه حيث ساح **ثيبات** جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه
من الوجوه **وابكارا** اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن
القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر
عن قدرته انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله

اى تاركات الذنوب لقبحها عابدات

عنه والعمل بطاعته **واهليكم** يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم
وادبوهم تقوهم بذلك **نارا وقودها الناس والحجارة** يعنى الكبريت
لانه اشد الاشيا حرا واسرع انقادا **عليها ملائكة** يعنى خزنة النار
يعنى الزبانية **غلاظ** اى فظاظ على النار **شداد** يعنى اقويا يدفع
الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا فى النار لم يخلق الله الرحمة
فيهم **لا يعصون الله ما امرهم** اى لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم
عنه **ويفعلون ما يؤمرون** اى لا تاخذهم رافة فى تنفيذا وامره
والانتقام من اعدا الله **يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم** اى
يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينوا النار وشدتها
لانه قد تقدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير
مقبول بعد دخول النار **انما تجزون ما كنتم تعملون** يعنى ان اعمالكم
السيئة الزمتكم العذاب قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا توبوا الى
الله توبة نصوحا** ذات نصح اى ينصح صاحبها بترك العود من الذنب
الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وابى بن كعب ومعاذ التوبة
النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع
وقال الحسن هى ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود
اليه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن
وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد
ابن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها اربعة اشيا الاستغفار
باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة
سى الاخوان

فصل

قالت العلما التوبة واجبة من كل ذنب على
الفور ولا يجوز تاخيرها سوا كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان
كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا يتعلق بحق ادمى ولها
ثلاث شروط ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعله
والثالث ان لا يعود اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة
كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كان المعصية
تتعلق بحق ادمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع
ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى
صاحبه وان كان حد قذف او نحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه
وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنو
فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنوب وبقى عليه ما لم
يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلايل الكتاب
والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر بن يسار المزنى

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى
اتوب فى اليوم مائة مرة خ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب
اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة ق عن انس بن مالك رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من
احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة الحديث م عن ابى
موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يبسط يده بالليل ليتوب مسى النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب
مسى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ت عن عبد الله بن عمر رضى
الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى **عسى ربكم
ان يكفر عنكم سياتكم** هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة
وذلك تفضلا وتكرما لا وجوب عليه **ويدخلكم جنات تجرى من تحتها
الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه** اى لا يعذبهم بدخول
النار **نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم** يعنى على الصراط **يقولون
ربنا** يعنى اذا طفى نور المنافقين **اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على
كل شى قدير يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وماواهم جهنم وبيس المصير** تقدم تفسيره قوله تعالى **ضرب الله
مثلا** اى بين شبها وحالا **للذين كفروا امراة نوح** واسمها واعلة
وامراة لوط واسمها واهلة وقيل اسمها والهة وواهلة **كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين** وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله
من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم **فخانتاهما** قال ابن عباس ما
بغت امراة نبى قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما
وكانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت
به الجبابرة من قومها واما امراة لوط فكانت تدل قومها على اضيافه
اذا نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان **فلم يغنيا
عنهما من الله شيا** اى لم يدفعا عن امراتيهما مع نبوتهما عذاب الله
تعالى **وقيل ادخلا النار مع الداخلين** وهذا مثل ضربه الله تعالى
للصالحين والصالحات من النسا وانه لا ينفع العاصى طاعة غيره
ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان
القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر
نبيا كامراة نوح وامراة لوط لما خانتاهما لم يغنى هذان الرسولان
عن امراتيهما شيا فقطع بهذه الاية طمع من يرتكب المعصية لا ينفعه

صلاح غيره وفي هذا السؤال تعريض بامي المؤمنين عايشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا اخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان هو مطيعا وان ك وصلة المسلم بالكافر لا تضر فقال تعالى وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون يعني اسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة امنت به امراة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة اذ قالت امراة فرعون رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله عز وجل عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة تلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة من درة بيضا وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد المًا وقيل رفع الله عز وجل امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني شركه وقال ابن عباس عمله جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها اي من الفواحش والمحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية من روحنا اضافة تشريف وتعظيم كبيت الله وناقة وصدقت بكلمات ربها يعني الشرايع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيايه وكتبه يعني الكتب المنزلة على انبيايه وكتبه ابراهيم وموسى وداود عليهم السلام وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله تعالى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واسية امراة فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الملك مكية

وهي ثلاثون اية وثلاثمائة وثلاثون كلمة والف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القران سورة ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وقيل تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خبا على قبر وهو لا يحسب انه قبر

الذي بيده

فاذا

فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر واني لا احسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك اي الامر والنهي والسلطان يعز من يشا ويذل من يشا وهو على كل شي قدير اي من الممكنات الذي خلق الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفنا وجعل الاخرة دار جزا وبقا وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشيا كانت في الابتدا في حكم الاموات كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم اعترضت عليها الحياة • وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه شي الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقا وهي التي كان جبريل والانبيا يركبونها لا تمر بشي ولا يجد ريحها شي الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل فخار وحيي • وقيل ان الموت صفة وجودية متضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضد الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم ينتفع احد بالدنيا ولم يصل اليه الثواب في الاخرة ليبلوكم اي ليختبركم فيما بين الحياة الموت ايكم احسن عملا روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا اعقلا احسن واورع عن محارم الله تعالى واسرع في طاعته وقال الفضيل ابن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله تعالى والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا وهو العزيز اي الغالب المنتقم ممن عصاه الغفور اي لمن تاب ورجع عن اساءته قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سما مقببة على الاخرى وسما الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفر وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وما بين السما الى الحجب

... الي

السبعة صحاري من نور ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي ما
ترى يا ابن ادم فيما خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل
خلقهن مستقيمة مستوية فارجع البصر اي كرر النظر هل ترى من
فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع البصر كرتين قال ابن عباس
مرة بعد مرة ينقلب اي ينصرف اليك فيرجع البصر خاسيا اي
صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى وهو حسير اي كليل منقطع لم
يدرك ما طلب ولقد زينا السما الدنيا اي الادنى من الارض وهي
التي يراها الناس بمصابيح اي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي
اعلام الكواكب • وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله
النجوم لثلاث زينة السما وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر
والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى وجعلناها رجوما
للشياطين قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون
السمع • فان قلت جعل الكواكب زينة للسما يقتضي بقاؤها
وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين
الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب
بل يجوز ان ينفصل من الكواكب شعل نور يرمى بها الشياطين بتلك
الشعلة وهي الشهب ومثله كمثل قبس يوخذ منه النار وهي على
حالها واعتدنا لهم اي واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا
عذاب السعير اي في الاخرة وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم
اي ما هذا العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من
انس او جن عذاب جهنم وبئس المصير ثم وصف جهنم فقال تعالى
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا هو اول صوت الحمار وذلك اقبح
الاصوات وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما
يفور الما بالحب القليل تكاد تميز اي تتقطع من الغيظ اي من غيظها
عليهم كلما القي فيها فوج اي جماعة سالهم خزنتها سوال توبيخ
وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول ينذركم قالوا بلى قد جانا نذير
فكذبنا وقلنا يعني للرسل ما نزل الله من شي وهذا اعتراف منهم
بان ازاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من
شي ان انتم الا في ضلال كبير فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من
جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة
للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع
اي من الرسل ما جاوا به او نعقل اي نفهم منه قال ابن عباس لو
كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به ما كنا في اصحاب السعير وقيل

معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وينظر ويتفكر ما
كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم هو في معنى الجمع اي بتكذيبهم
الرسل وقولهم ما نزل الله من شي فسحقا اي بعدا لاصحاب
السعير قوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون
ربهم ولم يروه فيومنوا به خوفا من عذابه لهم مغفرة اي لذنوبهم
واجر كبير يعني جزا اعمالهم الصالحة واسروا قولكم او اجهروا به
قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا
قولكم كي لا يسمع اله محمد فاخبر الله تعالى انه لا يخفى عليه خافية فقال
تعالى انه عليم بذات الصدور ثم اكد ذلك بقوله الا يعلم من خلق
يعني الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا
يعلم الله ما في صدور من خلق وهو اللطيف اي باستخراج ما في
الصدور الخبير بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد من كل شي والمعنى جعلها لكم
سهلة لا تمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها فامشوا في مناكبها
امر اباحة وكذا قوله وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها واطرافها
ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى
هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ التذلل وكلوا من
رزقه اي مما خلقه الله تعالى لكم في الارض واليه النشور اي واليه
تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى اامنتم من في
السما قال ابن عباس يعني عقاب من في السما ان عصيتموه ان
يخسف بكم الارض فاذا هي تمور اي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم
والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تقلبهم الى
اسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجي وتذهب ام امنتم
من في السما ان يرسل عليكم حاصبا يعني ريحا ذات حجارة كما فعل
بقوم لوط فستعلمون اي عند الموت في الاخرة كيف نذير اي
انذاري اذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين من قبلهم اي من
قبل كفار مكة وهم الامم الخالية فكيف كان نكير اي انكاري عليهم
اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن
اي ويضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط ما يمسكهن
اي في حال القبض والبسط الا الرحمن والمعنى ان الطير مع ثقلها
وضخامة جسمها لم يكن بقاوها وثبوتها في الجو الا بامساك الله

تعالى ابا ما وحفظه لها انه بكل شئ بصير يعني انه تعالى لا يخفى
عليه خافية أمن هذا الذي هو جند لكم استفهام انكاري اي لا
جند لكم ينصركم اي يمنعكم من دون الرحمن اي من عذاب الله تعالى
قال ابن عباس اي ينصركم مني ان اردت عذابكم ان الكافرون الا في
غرور اي من الشيطان تغرهم بان العذاب لا ينزل بهم أمن هذا
الذي يرزقكم ان امسك رزقه يعني من ذا الذي يرزقكم المطر
ان امسكه الله عنكم بل لجوا اي تمادوا في عتو اي سوء وتكبر
ونفور اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال
أفمن يمشي مكبا على وجهه اي راكبا راسه في الضلالة والجهالة
اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب
على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيمة
اهدى اي هو اهدى أمن يمشي سويا اي قايما معتدلا يبصر
الطريق على صراط مستقيم يعني المؤمن يمشي يوم القيامة
سويا قل هو الذي انشاكم اي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة يعني انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم
تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تاملتم ما عقلتموه
فكانكم ضيعتم هذه النعم واستعملتموها في غير ما خلقت له
فلهذا قال قليلا ما تشكرون وذلك لان شكر نعم الله تعالى
صرفها في وجه مرضاته فكانكم ما شكرتم رب هذه النعم اهوا
لها قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم في الارض واليه
تحشرون الى يوم القيمة والمعنى ان القادر على الابدا قادر على
الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا
السوال يحتمل وجهان انه سوال عن نزول العذاب بهم والثاني
انه سوال عن القيمة فاجاب الله تعالى عن ذلك بقوله قل
انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين امره باضافة العلم الى
الله تعالى وتبليغ ما اوحي اليه فلما راوه يعني العذاب في
الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل العذاب ببدر زلفة
اي قريبا سيت وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها
الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم اي وقالت
لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون اي من الدعا انتم تتمنون
وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اي تدعون انه باطل
قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ارايتم ان اهلكني
الله ومن معي اي من المؤمنين او رحمنا اي بابقاينا واخر في

اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع بهم لا محالة
وقيل في معنى الاية قل ارايتم ان اهلكني الله فعذبني ومن معي
او رحمنا فغفرلنا فنحن مع ايماننا خايفون وان يهلكنا بذنوبنا لان
حكمه نافذ فينا فمن يجيركم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول
ابن عباس قل اي قل لهم في انكارك عليهم وتوبيخك لهم هو الرحمن
امنا به وعليه توكلنا اي نحن امنا به وعبدناه وانتم كفرتم به
فستعلمون اي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين
نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على
طريق الاحتجاج فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم قيل يريد
زمزم وقيل غيرها من المياه غورا اي غايرا ذاهبا في الارض
لا تناله الايدي ولا الدلا فمن ياتيكم بماء معين اي ظاهر تراه
العيون وتناله الايدي والدلا وقال ابن عباس معين اي جار
والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم
قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا
في الارض فمن ياتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال
لهم حينيذ فلم تجعلون من لا يقدر على شئ اصلا شريكا له
في العبودية فهذا محال والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ن والقلم مكية

وهي اثنان وخمسون اية وثلثماية كلمة والف ومايتان وستة
وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره
الارض وعنه انه اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كاين الى يوم القيمة
ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض
فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا نون والقلم وما
يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل لبوثا وعن علي بلهوت قال
اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين
بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل الارضين
السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله
تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف
قايمة وقيل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فاخذ
الله ياقوتة خضرا من اعلا درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسماية
سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما
الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره في

الارض ونون تنفس كل يوم نفسًا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه
جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سموات
وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال
لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى
نونًا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده
خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة
فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه
وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت
الذي على ظهر الارض فوسوس اليه الشيطان فقال له اتدري ما
على ظهرك يا نونًا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم
لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت
منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله منها فاذن لها فخرجت
قال كعب الاحبار فو الذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه
ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت • وعن ابن عباس ايضًا ان نون هو
الدواة ومنه قول الشاعر •

• اذا ما الشوق برح بي اليهم • الفت النون بالدمع السجام •

اراد بالنون الدواة • وعن ابن عباس ايضًا ان نون حرف من حروف
الرحمن اذا جمعت الرحمن • وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو
اسم للسورة **والقلم** هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور
طوله ما بين السما والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه
فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كاين الى يوم القيمة فجرى على اللوح
المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه **وما يسطرون**
اي وما يكتب الحفظة من اعمال بني ادم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم
المعين يحتمل ان يكون المراد وما يسطرون به في اللوح المحفوظ ويكون
الجمع وما يسطرون للتعظيم لا للجمع **ما انت** يا محمد **بنعمة ربك بمجنون**
هذا جواب القسم اقسم بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى
انك لا تكون مجنونًا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه
الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما يقال ما
انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من
الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق
الحميدة والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه
النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فنفى الله

نقال

تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون **وان لك لاجرًا
غير ممنون** اي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد •
عيس كواكب ما يمن طعامها • اي ما يقطع يمنن بذلك كلابًا
ضارية وقيل في معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول
هو الاول ومعناه ان لك على احتمال الطعن وصبرك على هذا القول
الشنيع وافترايهم عليك اجرًا عظيمًا دايمًا لا ينقطع وقيل ذلك
على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا الخلق الى الله تعالى والصبر
على ذلك وبيان الشرايع لهم اجرًا عظيمًا فلا يمنعهم نسبتهم اياك
الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم
وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى **وانك لعلى خلق عظيم**
وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق
الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم
يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه
وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة
وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال
الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل
في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات
ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل
وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاداب والاجانب والتسا[هل]
في جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر
واحتمال الاذى من الاعلا والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر
فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد
كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله
تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم • وقال ابن عباس معناه لا دين
احب الي ولا ارضى عندي منه وهو دين الاسلام • وقال الحسن هو
اداب القران سئلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت كان خلقه القران • وقال قتادة هو ما كان يا تمر به من اوامر
الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى وانك لعلى خلق الذي
امرك الله به في القران • وقيل سمى الله خلقه عظيمًا لانه امتثل تاديب
الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين •

فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ذلك • روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال م عن

النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر
والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم
ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس • عن عايشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم اخرجه ابو داود
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس
ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن • عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن وان الله تعالى
يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان من احبكم الى الله واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
ق عن البرا رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير ق
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم
احاسنكم اخلاقا ق عن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى
الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال
لشيء لم فعلت كذا او هلا فعلت كذا زاد الترمذي وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احسن خلقا وما مسست خزا ولا حريرا ولا شيا
كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط
ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عنه
قال كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت زاد في رواية ويجيب اذا دعي • وعنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده
من يده حتى يكون الرجل هو ينزع يده ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له اخرجه الترمذي ق عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم
زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده
ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله ق عن انس قال كنت
امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ

الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة
عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد
من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك
فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطا
ق عنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
الناس وجها وخلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير وكان فطيما كان
اذا جانا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير
طاير صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار م عن الاسود قال
سئلت عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في
بيته قالت كان يكون في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضا
ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة • عن عبد الله بن الحرث بن جزء
قال ما رايت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه
الترمذي قوله تعالى فستبصر يا محمد ويبصرون يعني اهل مكة
اذا نزل بهم العذاب بأيكم المفتون قال ابن عباس معناه بايكم
المجنون في فريقك او في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي
فتن بالجنون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل
والصلاح والهداية فاعلم الله تعالى انه العالم بالفريقين الضال
والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي
مكة وذلك انهم دعوه الى دين ابايه فنهاه الله ان يطيعهم ودوا
لو تدهن فيدهنون اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة
في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه
واظهر خلاف ما ابطن معنى الاية انهم تمنوا لو تترك ما انت عليه
مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما
لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك • وقيل معناه ودوا لو تكفرون
فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة ولا تطع
كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل مهين اي ضعيف حقير وقيل
هو من المهانة وهو قلة الراي والتمييز • وقال ابن عباس كذاب
وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه
قيل هو الوليد بن المغيرة • وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل
هو الاخنس بن شريق هماز اي مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن
وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس مشاء بنميم اي قتات يسعى

بالنميمة ليفسد بين الناس مناع للخير اى بخيل بالمال وقال ابن
عباس مناع للخير اى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لين دخل
واحد منكم فى دين محمد لا انفعه بشى ابدا معتد اى ظلوم يتعدى الحق
اثيم اى فاجر يتعاطى الاثم عتل اى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السئ
الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره
وقيل هو العتل الاكول الشروب القوى الشديد لا يزن فى الميزان
شعيرة يدفع الملك من اوليك سبعون الفا فى النار دفعة واحدة
بعد ذلك زنيم اى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة
زنيم وهو الدعى الملصق فى القوم وليس منهم قيل انما دعاه ابوه بعد
ثمانى عشرة سنة وقيل الزنيم الذى له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن
عباس فى هذه الاية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم يعرف وكانت
له زنمة فى عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما يعرف
الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا تعرف ان الله وصف احدا ولا ذكر
من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق بها عارا
لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الاخرة ان كان ذا مال وبنين قرى على
الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اذا
تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اى جعل مجازاة النعم التى
خولها من المال والبنين الكفر باياتنا وقيل لان كان ذا مال وبنين
نطيعه ثم اوعده فقال تعالى سنسمه على الخرطوم اى على الانف
والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما فى الاخرة وهو سواد الوجه
فعبر بالانف عن الوجه • وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل
ذلك به يوم بدر • وقيل معناه سيلحق به شيا لا يفارقه اى سنسمه
بسيم سوء نريد ان نلصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى ولا
يعفى اثرها وقد الحق الله به بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه فى
الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه
سنكويه على وجهه • قوله تعالى انا بلوناهم اى اختبرنا اهل مكة
بالقحط والجوع كما بلونا اصحاب الجنة روى عن ابن عباس فى قوله
تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال
له الضروان دون صنعا بفرسخين يطاه اهل الطريق وكان غرسه
قوم من اهل الصلاح وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان
يكون للمساكين اذا صرموا نخلهم بالمنجل كل شى تعداه المنجل فلم يجزه
اذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شى يخرج من المنجل الى البساط

فهو

فهو ايضا للمساكين واذا احصدوا زرعهم فكل شى تعداه المنجل فهو
للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شى ينتثر ايضا فلما مات الاب
وورثه بنوه هذه الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان
العيال لكثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال
قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل
فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن
نخلهم فذلك قوله تعالى اذا اقسموا اى تحالفوا ليصرمنها اى ليقطعن
ثمرها مصبحين يعنى لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعنى الثمار
والزرع والاعناب ان كنتم صارمين اى قاطعين ثماركم فانطلقوا
اى مشوا اليها وهم يتخافتون اى يتسارون يقول بعضهم لبعض
سرا ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد اى على
قصد ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد
اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب وقيل معناه من المساكين وقال
ابن عباس على قدرة قادرين اى عند انفسهم على جنتهم وثمارها
لا يحول بينهم وبينها احد فلما راوها اى راوا الجنة محترقة قالوا
انا لضالون اى لمخطؤن للطريق اضللنا مكان جنتنا وليس هذه
بجنتنا بل نحن محرومون اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها
بمنعنا المساكين وتركنا الاستثنا قال اوسطهم اى اعدلهم واعقلهم
وافضلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اى هلا تستثنون انكر عليهم ترك
الاستثنا فى قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا
لانه تعظيم الله واقرار بانه لا يقدر احد على شى الا بمشيته وعلى
التفسير الثانى ان الاستغفار بمعنى لا يتركون شيا للمساكين من
ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اى تتوبون وتستغفرون الله
من ذنوبكم وتعريضكم ومنعكم حق المساكين • وقيل كان استثناوهم
سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم من
نعمه قالوا سبحان ربنا معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا
على انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اى بمنعنا المساكين حقوقهم
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا قالوا يا
ويلنا دعوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اى فى منعنا حق
الفقرا والمساكين وقيل معناه طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع
ما كان يصنع اباونا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا ان
يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود بلغنى ان
القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها

الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال الله تعالى كذلك
العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدي حدودنا وخالف امرنا
يخالف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون ثم اخبر بما اعد الله للمتقين فقال تعالى ان للمتقين عند
ربهم جنات النعيم اي عند ربهم في الاخرة ولما نزلت هذه الاية
قال المشركون انا نعطى في الاخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى
تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين كالمجرمين يعني ان التسوية بين
المسلم والمجرم غير جايز فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه ولما
قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق
الالتفات ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم المعوج ام لكم كتاب
اي نزل من عند الله فيه اي في ذلك الكتاب تدرسون اي تقرؤن
ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب لما تخيرون اي تختارون وتشتهون
ام لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق موكدة عاهدنا
كم عليها فاستوثقتم بها منا الى يوم القيمة اي لا تنقطع تلك الايمان
والعهود الى يوم القيمة ان لكم اي في ذلك العهد لما تحكمون اي
لانفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة
ما للمسلمين ام لهم شركا اي بل لهم شركا يعني ما كانوا يجعلون لله
شركا وانما اضاف الشركا اليهم لانهم هم جعلوها شركا لله وقيل معنى
شركا شهدا يشهدون بصدق ما دعوه فليأتوا بشركائهم ان كانوا
صادقين اي في دعواهم يوم اي فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم
لتنفعهم وتشهد لهم وتشفع يكشف عن ساق اي عن امر فظيع
شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة في القيمة تقول العرب
للرجل اذا وقع في امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة
الشدة شمر عن ساقك اذا اقام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر
في الحرب كشف الحرب عن ساق • وسئل ابن عباس عن هذه
الاية فقال اذا خفي عليكم شي من القران فاتبعوه في الشعر فانه
ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر •

• سن لنا قومك ضرب الاعناق • وقامت الحرب على ساق •

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة • وانشد اهل اللغة ابياتا
في هذا المعنى فمنه ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير •

• اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا • ...
• كفى بها ... • ومنها قول جرير •

• الارب سام الطرف من ال مازن • اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا •

وقد

وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد
ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في روية الشمس بالظهيرة
صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في روية القمر ليلة البدر
صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في
روية الله يوم القيمة الا كما تضارون في روية احدهما اذا كان يوم
القيمة اذن موذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد
كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون
في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر
اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال كذبتم ما اتخذ من صاحبة
ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم
الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا
فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم
تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ
الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون
عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم
كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى لم يبق
من يعبد الله من بر وفاجر الا اتاهم الله في ادنى صورة من التي
راوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا
يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم
فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله لا نشرك بالله شيا مرتين
او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه
اية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من
كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى
من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما
اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون روسهم وقد تحول في
صورته التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت
ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم
سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيها
خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال
لها السعدان فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح
وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس

في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي بيده ما
من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين المؤمن
لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون
معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم
على النار فيخرجون خلقا كثيرا وقد اخذت النار الى نصف ساقه
والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا فيقال
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد
يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا
يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا
عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملايكة وشفع النبيون
وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من
النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم
في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة
من حميل السيل الا ترونها ما يكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون
الى الشمس اصيفر او اخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض
قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هولاء
عتقاء النار الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير
قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون
ربنا اعطيتنا ما لم نعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي
افضل من هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا ارضاي فلا
اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه

فصل

في شرح غريب الحديث وما يتعلق به اما الروية وما يتعلق بها
فسياتي الكلام عليها في موضعها ان شا الله تعالى • قوله حتى لم
يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة
راوه فيها وفي رواية ابي هريرة فياتيهم الله في صورته التي يعرفون
فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا
ربنا فاذا جا عرفناه فياتيهم في صورته التي يعرفون فيقول انا
ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه • قال الشيخ محيي الدين النواوي
رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات
واعظمها وللعلما فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو معظم السلف
او كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نومن بها
ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا الجازم

العاظم

ان

ان الله تعالى ليس كمثله شي وانه منزه عن التجسيم والانتقال
والتحيز في جهة وفي ساير صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب
جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال
الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا واجروه على
ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في
التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب
والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين انها تاول على ما لا
يليق بها على حسب موقعها وانما يسوغ تاويلها لمن كان من
اهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم
الله ان الاتيان عبارة عن رويتهم اياه لان العادة ان من غاب
عن غيره لا يمكنه رويته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجي هنا عن
الروية مجازا • وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه
اتيانا وقيل ياتيهم الله اي بعض ملايكته قال القاضي عياض
وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك
هو الذي جاءهم في الصورة التي انكروها من سمات الحدوث
الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة
اي بصورة ويظهر لهم من صور ملايكته ومخلوقاته التي لا تشبه
صفات الاله ليختبرهم وهذا اخر امتحان المؤمنين فاذا قال
لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم راوا عليه علامة من علامات
المخلوقات فانكروه وعلموا بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون
بالله منه • واما قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله في صورته
التي يعرفونه بها فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى
الله تعالى لهم في الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما
عرفوه بصفته وان لم يكن تقدمت لهم روية له سبحانه وتعالى
لانهم على الصفة يرونه لا يشبه شيا من مخلوقاته فيعلمون بذلك
انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشا
اياه ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة • وقوله في حديث
ابي سعيد اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها معنى راوه
فيها اي علموه وهي صفته المعلومة للمومنين وهو انه لا يشبهه شي
وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله انما استعاذوا منه لما
قدمناه من كونهم راوا سمات المخلوق • قوله فيكشف عن ساق
وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي
في كتاب الاسما والصفات • قال ابو سليمان الخطابي فيحتمل ان

ت

بهتا

يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف
عن الشدة وضبط يكشف بفتح اليا وضمها وقد تقدم تفسير
كشف الساق • وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم
وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روى
عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في قوله يوم يكشف عن
ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا انفرد به روح بن جناح عن
مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي ياتي باحاديث منكرة لا
يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده مجهول
ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمومن عند
رويته الله تعالى من الفوايد والالطاف • قال القاضي وقد يكون
الساق علامة بينه وبين المومنين من ظهور جماعة من الملايكة
على خلقة عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله علامة
للمومنين خارجة عن الساق المعتاد • وقيل معناه كشف الحزن
وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطيب
حينيذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال الخطابي
وهذه الرواية في هذا المقام يوم القيمة غير الرواية التي هي في الجنة
لكرامة اوليا الله وانما هذه الرواية امتحان لعباده وقوله
فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقا نفسه الا اذن له في
السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره
طبقة واحدة كالصفيحة اي فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر
على السجود • وقوله لم يرفعون روسهم وقد زال المانع عنهم لهم
يقولون انت ربنا • وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم بفتح الجيم
وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحا وقيل بضمها
من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويوذن فيها دحض مزلقة اي
تزلق فيه الاقدام ولا تثبت • قوله فيه خطاطيف جمع خطاف
وهو الذي يخطف الشي وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة الذي
يعلق فيها اللحم وحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك
عظيم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شي اصلا
وقسم يخدش فلا يرسل ثم فيخلص وقسم يكردس اي يلقى ويسقط
في نار جهنم وهذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل
الحق وهو جسر على متن جهنم وهو ارق من الشعر واحد من
السيف يمر عليه الناس كلهم فالمومنون ينجون على حسب منازلهم
واعمالهم والاخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله منها ومعنى

مناشد

مناشدة المومنين لله يوم القيمة في الشفاعة لاخوانهم الذين في
النار • وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال
نصف دينار من خير ومثقال ذرة فقال القاضي عياض قيل معنى
الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شي زيد على مجرد الايمان لان الايمان
الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا الخير زايد عليه من عمل
صالح او ذكر خفي او عمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف
من الله تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لانه تلك
اقل المقادير وقول المومنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب خير وقوله
تعالى شفعت الملايكة هو بفتح الفا وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
وتفرد الله بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان
فقط ومعنى فيقبض قبضة اي جمع جماعة • قوله قد عادوا حمما
اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر من افواه الجنة جمع فوهة وهي اول النهر
قوله فيخرجون كاللولوء اي من الصفا في رقابهم الخواتيم قيل
معناه ان يعلق في رقابهم اشيا من ذهب او غير ذلك مما يعرفون
بها والله اعلم • قوله تعالى **ويدعون الى السجود فلا يستطيعون**
السجود يعني الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر او
كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود **خاشعة ابصارهم ترهقهم**
ذلة وذلك ان المومنين يرفعون روسهم من السجود ووجوههم اشد
بياضا من الثلج وقد علاها النور والبها وتسود وجوه الكفار
والمنافقين ويغشاهم ذل وحسرات وندامة **وقد كانوا يدعون الى**
السجود يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان
والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح
فلا يجيبون **وهم سالمون** يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحا
فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في
الذين يتخلفون عن الجماعة • قوله عز وجل **فذرني ومن يكذب**
بهذا الحديث اي دعني والمكذبين بالقران وخل بيني وبينهم ولا
تشغل قلبك بهم وكلهم الي فاني اكفيك اياهم **سنستدرجهم** اي
سناخذهم بالعذاب **من حيث لا يعلمون** اي عذبوا يوم بدر بالقتل
والاسر وقيل معنى الاية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم
الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم
على المومنين وهي في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت
عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعالجه بالاستغفار

والتوبة **واملي لهم** اي امهلهم واطل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم **ان كيدي متين** اى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المودى الى العذاب **ام تسالهم اجرا** اى على تبليغ الرسالة **فهم من مغرم مثقلون** المغرم الغرامة والمعنى اطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامة فى اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان **ام عندهم الغيب فهم يكتبون** اى عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار **فاصبر لحكم ربك** اى اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ باية السيف **ولا تكن** فى الضجر والعجلة **كصاحب الحوت** يعنى يونس بن متى **اذ نادى** ربه اى فى بطن الحوت **وهو مكظوم** اى مملوء غما **لولا ان تداركه نعمة من ربه** اى حين رحمه وتاب عليه **لنبذ بالعراء** اى لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض **وهو مذموم** اى يذم ويلام بالذنب وقيل فى معنى الاية لولا نعمة ربه لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيمة يوم ينبذ بعرا القيمة اى بارض مها وحصابها **فان قلت** هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب **قلت** الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثانى لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى **فاجتباه ربه** والفا للتعقيب اى اصطفاه وورد عليه الوحى وشفعه فى قومه **فجعله من الصالحين** اى النبيين قوله تعالى **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم** وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى اسيد حتى اذا كانت الناقة او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذى المكتل والدراهم فاتينا من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر • وقيل كان رجل من العرب يمكث لا ياكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك • وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العاين بعينه

ليزلقونهم

ما يعجبه وقيل يصدعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرات القران نظرا شديدا بالعداوة والبغضا يكاد يسقط ومنه قولهم نظرا الى نظرا يكاد يصرعنى او يكاد ياكلنى يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القران وهو قوله **لما سمعوا الذكر** لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة يحدون النظر اليه بالبغضا **ويقولون انه لمجنون** يعنى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا القران قال الله تعالى ردا عليهم **وما هو** يعنى القران **الا ذكر للعالمين** قال ابن عباس موعظة للمومنين قال الحسن دوا من اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية **ق** عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم **م** عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق حق ولو كان شى سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا • عن عبد الله بن رفاعة الزرقى ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ولد جعفر تسرع اليهم العين • اخرجه الترمذى قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلما وقالوا العين حق وانكره طوايف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولا يودى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول منهم واذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد عند مقابلة هذا الشخص الذى هو العاين لشخص اخر فيوثر فيه بقدرة الله وفيه صحة اثر العين انها قوية الضرر اذا وافقت القدر والله اعلم بمراده • واسرار كتابه

• تفسير سورة الحاقة مكية •

وهى ثنتان وخمسون اية ومايتان وست وخمسون كلمة والف واربعة واربعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **الحاقة** اى القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعنى انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزا على الاعمال اى يجب • وقيل الحاقة النازلة التى حقت فلا كاذبة لها • وقيل الحاقة هى التى تحق على القوم اى تقع لهم **ما الحاقة** استفهام ومعناه التوبيخ والتفخيم لشانها وتهويل لها والمعنى اى شى هى الحاقة **وما ادراك ما الحاقة** اى انك لا تعلمها اذا لم تعاينها وترى ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لا يبلغه دراية احد ولا فكرة وكيف قدرت حالها فهى اعظم من ذلك **كذبت**

ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة
لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعباد الذي اوعدهم
نبيهم حتى نزل بهم وقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي
بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد
في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت ثمود
بسببهم واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت في
الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من ابصروا الذي هوى فيها
البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها عاتية اي عتت على خزانها فلم
تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا
لها ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها
عنهم بقوة ولا حيلة سخرها عليهم اي ارسلناها وسلطناها عليهم
وفيه رد على من قال ان كان سبب ذلك اتصال الكواكب فنفى هذا
المذهب بقوله سخرها عليهم فبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره
ومشيئته لا باتصال الكواكب سبع ليال وثمانية ايام قال وهب
هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ايام ذات برد ورياح
شديدة وسميت عجوزا لانها تاتي في عجز الشتاء • وقيل لان عجوزا من
قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح حتى قتلتها حسوما اي متتابعة
دايمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه
الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم • وقيل حسوما شوما
وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها • وقيل الحسم القطع
والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم تبق منهم احد فترى القوم
فيها اي في تلك الايام والليالي صرعى اي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت
كانهم اعجاز نخل خاوية اي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم
بجذوع نخل خاوية ساقطة ليس لها رؤس فهل ترى لهم من باقية
اي من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم الثامن كما
وصفهم الله تعالى اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم
يبق منهم احد قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرى بكسر القاف
وفتح الباء اي ومن معه من جنوده واتباعه وقرى بفتح القاف
وسكون الباء اي ومن قبله من الامم الكافرة والموتفكة يعني قوم
لوط وقيل يريد اهل الموتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم
وهو قوله بالخاطية اي بالخطية والمعصية وهو الشرك فعصوا رسول
ربهم قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد
بالرسول كلاهما للتقدم الخبر عن ذكر الاثنين جميعا فاخذهم اخذة رابية

يعني

يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زايدة على عذاب الامم انا لما
طغى الماء اي طغى وعتا وجاوز حده حتى علا على كل شي وارتفع فوقه
وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم في الجارية
يعني حملنا اياكم وانتم في اصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية اي
السفينة التي تجري لنجعلها اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها
من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة اي عبرة وموعظة
وتعيها اي تحفظها اذن واعية اي حافظة لما جاء من عند الله وقيل
اذن سمعت وعقلت ما سمعت واوعت وقيل لتحفظها كل اذن
فتكون عظة وعبرة لمن ياتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى
ليعتبر ويعمل بالمواعظ قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة يعني النفخة الاولى وحملت الارض والجبال اي رفعت
من اماكنها فدكتا دكة واحدة اي كسرتا وفتتتا حتى صارتا هباء منثورا
منبثا والضمير عايد الى الارض والجبال فعبر عنها بلفظ الاثنين فيومئذ
وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ
واهية اي ضعيفة لتشققها والملك يعني الملايكة على ارجائها
يعني نواحيها واقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون
الملايكة على حافتها حتى يامرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض
ومن عليها ويحمل عرش ربك فوقهم اي فوق رؤسهم يعني الحملة يومئذ
اي يوم القيمة ثمانية يعني ثمانية املاك جاء في الحديث انهم اليوم
اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله باربعة اخر فكانوا ثمانية على
صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس
الجبل وروى السدي عن ابي بن مالك قال الصخرة التي تحت الارض
السابعة ومنتهى علم الخلايق على ارجائها يحملها اربعة من الملايكة لكل
واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه
نسر قيام عليها قد احاطوا بالسموات ورؤسهم تحت العرش وعن
عروة ابن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان
ومنهم من صورته على صورة الاسد • وعن ابن عباس قال صدق النبي
صلى الله عليه وسلم امية بن ابي الصلت في شي من الشعر فقال رجل
وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث يرصد فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدق • عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملايكة الله من حملة العرش ان ما
بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه ابو داود باسناد
صحيح غريب • عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله

عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحا في عصابة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال
والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان
ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين
السما والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال
واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد الذي
فوقها كذلك وكذلك حتى عددهن سبع سموات كذلك ثم فوق
السما السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سما الى سما والله عز وجل
فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وفي رواية وليس يخفى عليه
من اعمال بني ادم شي • عن ابن مسعود ما بين السما والارض مسيرة
خمسماية عام وما بين الكرسي والما مسيرة خمسماية عام والعرش
على الما والله على العرش لا يخفى عليه شي من اعمالكم اخرجه ابو
سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا عن ابن مسعود قال
ابن مسعود خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة
على اختلاف سير الدواب • عن ابن عباس قال لحملة العرش قرون
ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسماية عام ومن ترقوته
الى موضع القرط مسيرة خمسماية عام • وعن عبد الله بن عمر قال
والذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موخر عينيه خمسماية
عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
وروي عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف
من الملايكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل **يومئذ تعرضون** اي
على الله للحساب **لا تخفى منكم خافية** اي فعلة خافية والمعنى انه
تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شي منها وان عرضكم يوم القيمة عليه
ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيمة
ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلايق فالمحسنون
يسرون باحسانهم والمسيؤن يحزنون باساتهم • عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس
يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما
العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه
واخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من
قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن

ابي

ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **فاما من اوتي** اي
اعطي **كتابه بيمينه فيقول هاؤم** اي تعالوا **اقرؤا كتابيه** والمعنى
انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطا كتابه بيمينه
احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله
واقربايه **اني ظننت** اي علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى
العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العلم والعادات والاحكا
اني ملاق حسابيه اي في الاخرة والمعنى اني كنت في الدنيا اني
احاسب في الاخرة **فهو في عيشة راضية** اي في حالة من العيش
مرضية وذلك بانه لقي الثواب وامن من العقاب **في جنة**
عالية رفيعة **قطوفها دانية** اي ثمارها قريبة لمن يتناولها
قايما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا **كلوا** اي يقال
لهم كلوا **واشربوا هنيئا بما اسلفتم** اي بما قدمتم لاخرتكم من الاعمال
الصالحة **في الايام الخالية** اي الماضية يريد ايام الدنيا **واما**
من اوتي كتابه بشماله قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى
كتابه بها **فيقول ياليتني لم اوت كتابيه** وذلك لما نظر في
كتابه وراى قبايح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يوت كتابه لما
حصل له من الخجل والافتضاح **ولم ادر ما حسابيه** اي لم ادر
اي حسابي لانه لا طايل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له **يا ليتها**
كانت القاضية تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة
التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة
للحيات اي ما احيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شي
عنده واكره اليه منه اي من الموت في الدنيا لانه راى تلك الحالة
ابشع وامر مما ذاقه من الموت **ما اغنى عني ماليه** اي لم يدفع عني
يساري وما لي من العذاب شيا **هلك عني سلطانيه** اي
ضللت عن حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عنه
حجته حتى شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني
ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا
خذوه يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه **فغلوه** اي اجمعوا يده
الى عنقه **ثم الجحيم صلوه** اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم
في الدنيا **ثم في سلسلة** وهي حلقة منتظمة كل حلقة منها في حلقة
ذرعها اي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد او غيرها
سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع الملك وقال ابو نوفل
البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ما بينك

وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون
ذراعًا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو • عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من
السما الى الارض وهي مسيرة خمسماية سنة فبلغت الارض قبل الليل
ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا
الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن الرصاص الحصا الصغار وقوله مثل هذه واشار
الى مثل الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو
اشرف الاعضا • وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة
منها وقوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها وقال ابن عباس
تدخل في حلقه وتخرج من دبره انه كان لا يؤمن بالله العظيم
اي لا يصدق بوحدانية الله وعظمته ولا يحض على طعام المسكين
اي ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر اهله بذلك
وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى
عطفه على الكفر وجعله قرينة • قال الحسن هذه الاية ادركت
اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سايلا • وعن بعضهم
انه كان يامر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول خلعنا
نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام
فليس له اليوم هاهنا حميم اي ليس له في الاخرة قريب ينفعه
او يشفع له ولا طعام الا من غسلين يعني صديد اهل النار ماخوذ
من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر ياكله اهل
النار لا ياكله الا الخاطئون اي الكافرون قوله عز وجل
فلا اقسم قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين
كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا هاهنا
نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال
لا اقسم على ان القران قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى
عن القسم وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وتشاهدون
وبما لا ترون وما لا تشاهدون اقسم بالاشيا كلها فيدخل فيه جميع
المكنونات والموجودات • وقيل اقسم بالدنيا والاخرة وقيل
بما تبصرون على ظهر الارض وما لا تبصرون اي ما في بطنها وقيل
ما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل ما تبصرون
يعني الانس وما لا تبصرون يعني النعم الباطنة وقيل ما تبصرون ما

اظهره

اظهره الله من مكنون غيبه للملايكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما
لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه
ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران لقول رسول كريم
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى
هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم
لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله
عليه وسلم • فان قلت قد توجه هاهنا سوال وهو ان جمهور
الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القران كلام الله فكيف
يصح اضافته الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى
لانه هو المتكلم واما اضافته الى الرسول لانه هو المبلغ عن الله تعالى
ما اوحي اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول
هذا الاشكال • وقال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول المبلغ
عن الله تعالى وما هو بقول شاعر يعني القران ليس بقول رجل
شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تؤمنون
اراد بالقليل ايمانهم اصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القران
من عند الله تعالى ولا بقول كاهن اي وليس هو بقول رجل كاهن
ولا هو من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون يعني لا تتذكرون البتة
تنزيل اي هو تنزيل يعني القران من رب العالمين وذلك انه
لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين
ليزول هذا الاشكال قوله تعالى ولو تقول علينا اي اختلق علينا
محمد بعض الاقاويل يعني واتى بشي من عند نفسه لم نقله نحن ولم
نوحه اليه لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه وانتقمنا منه باليمين
اي بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة وقال الشماخ
يمدح عرابة •

• تلك اليمين اذا ما راية رفعت • لمجد تلقاها عرابة باليمين •

اي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شي في ميامنه والمعنى
لاخذنا منه باليمين اي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زايدة
وقيل معنى الاية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد ان
يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر
لانه اشرف العضوين ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس
يعني نياط القلب وقيل هو الظهر حبل وقيل هو عرق يجري في الظهر
حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه • وقيل هو عرق
يتصل من القلب بالراس • قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه

بعينه بل المراد منه لو كذب علينا وتقول علينا لامتناه فكان
كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا
لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه
بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك
ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة المتكلم بذلك القول
الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته فما
منكم من احد عنه حاجزين اى ما نفس يحجزنا عن عقوبته
والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو
تكلم لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما
قال حاجزين بلفظ الجمع وهو فعل واحد ردا على معناه وانه
يعنى القران وذلك انه لما وصفه الله انه تنزيل من رب العالمين
بواسطة جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال
لتذكرة اى لعظة للمتقين اى لمن اتقى عقاب الله وانا لنعلم
ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقران وانه يعنى القران
لحسرة على الكافرين يعنى يوم القيمة والمعنى انهم يندمون
على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من امن به وانه لحق
اليقين معناه انه حق يعنى لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب
فيه فسبح باسم ربك العظيم اى نزه ربك العظيم واشكره على
ان جعلك اهلا لايحايه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المعارج مكية

وهى ثمان وعشرون اية ومايتان واربع وعشرون كلمة وتسعماية
وتسعة وعشرون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل سال سايل قرى بغير همزة وفيه وجهان
الاول انه لغة فى السوال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع
عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقرى سال
سايل بالهمز من السوال بعذاب قيل الباء بمعنى عن عذاب
واقع اى نازل وكاين وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال
الله تعالى مجيبا لذلك السوال للكافرين وذلك ان اهل مكة
لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض
من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا صلى الله عليه وسلم فسالوه
فانزل الله تعالى سال سايل بعذاب واقع للكافرين اى هو للكافرين
والباطلة ومعنى الاية دعى داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين
وهذا السايل هو النضر بن الحرث حيث دعى على نفسه وسال العذاب

فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فنزل به ما سال فقتل يوم
بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له دافع اى ان العذاب واقع
بهم لا محالة سوا طلبوه او لم يطلبوه اما فى الدنيا بالقتل واما فى
الاخرة لان العذاب واقع بهم فى الاخرة لا يدفعه عنهم دافع من الله
اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله
للكافرين دافع يدفعه عنهم ذى المعارج قال ابن عباس ذى
السموات سماها معارج لان الملايكة تعرج فيها وقيل ذى الدرجات
وهى المصاعد التى تعرج الملايكة اليها وقيل ذو الفواضل والنعم
وذلك لان افضاله ونعامه مراتب وهى تصل الى الخلق على مراتب
مختلفة تعرج الملايكة والروح يعنى جبريل عليه السلام وانما
افرده بالذكر وان كان من جملة الملايكة لشرفه وفضل منزلته وقيل
ان الله تعالى اذا ذكر الملايكة فى معرض التخويف والتهويل افرد
الروح بالذكر وهذا يقتضى ان الروح اعظم الملايكة اليه اى الى الله
عز وجل فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اى من سنى الدنيا
والمعنى انه لو صعد غير الملك من بنى ادم لما صعد من منتهى امر
الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله تعالى من فوق
السما السابعة لما صعد فى اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك
كله فى ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكر ان مقدار ما بين الارض
السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة • وقيل
ان ذلك اليوم هو يوم القيمة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل
بين الناس فى مقدار خمسين الف سنة من سنين الدنيا وليس يعنى
ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من الايام لان
يوم القيمة له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود لا اخر له ولو كان له اخر
كان منقطعا وهذا القول فى حق الكفار دون المومنين • قال ابن عباس
يوم القيمة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة • وروى البغوى
بسنده عن ابى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخف على المومنين حتى
يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال ابن عباس
معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين
الف سنة • وقال عطا ويفرغ الله تعالى فى مقدار نصف يوم من ايام
الدنيا وقال الكلبى يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملايكة
والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين الف سنة

وانا افزغ منه في ساعة واحدة من نهار وقال يمان هو يوم القيمة فيه خمسون
موطنا كل موطن الف سنة ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة وفيه تقديم وتاخير **فاصبر** اي يا محمد على تكذيبهم
اياك **صبرا جميلا** اي لا جزع فيه وهذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ
باية السيف **انهم يرونه** اي العذاب **بعيدا** اي غير كاين **ونراه قريبا**
اي كاينا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا
الى يوم القيمة كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه
على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه في قدرتنا غير بعيد علينا
فلا يتعذر علينا امكانه **يوم تكون السما كالمهل** يعني كعكر الزيت
وقال الحسن كالفضة المذابة **وتكون الجبال كالعهن** اي الصوف
المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات
الوان احمر واسود وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال
وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا اطيرته الريح • وقيل العهن
الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما يتغير الجبال تصير
رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هبا منثورا **ولا يسيل حميم
حميما** اي لا يسيل قريبا قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال
الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا
يساله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يساله في الدنيا وذلك لشدة
الامر وهو هول يوم القيمة **يبصرونهم** اي يرونهم وليس في القيمة مخلوق
من جن او انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه
وقرابته فلا يساله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال
ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك
وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله لشغله بنفسه
وقيل يبصرونهم اي يعرفونهم اما المومن فيعرفون ببياض وجهه واما
الكافر فيعرف بسواد وجهه **يود المجرم** اي يتمنى المشرك **لو يفتدي
من عذاب يومئذ** اي عذاب يوم القيمة **ببنيه وصاحبته** اي
زوجته **واخيه وفصيلته** اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقربايه
الاقربين **التي تؤويه** اي تضمه ويأوي اليها **ومن في الارض جميعا** يعني
انه يتمنى لو ملكهم هولا وكانوا تحت يده ثم انه يفتدي بهم جميعا **ثم
ينجيه** اي ذلك الفدا من عذاب الله **كلا** اي لا ينجيه من عذاب الله
شي ثم ابتدا فقال تعالى **انها لظى** يعني النار ولظى اسم من اسمايها
وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اي تلتهب
نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل ف

والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن
عباس تنزع العصب والعقب • وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل
تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دابها وقيل لمكارم
خلقه ومحاسن وجهه واطرافه **تدعوا** يعني النار الى نفسها **من ادبر**
عن الايمان **وتولى** اي عن الحق فتقول له يا مشرك يا منافق قال
ابن عباس تدعوا الكافر والمنافق باسمايهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم
كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعوا اي تعذب قال اعرابي لاخر دعاك
الله اي عذبك الله **وجمع فاوعى** يعني وتدعوا من جمع المال في
الوعاء ولم يؤد حق الله منه **ان الانسان خلق هلوعا** قال ابن
عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا
وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقيل الصبر
وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله **اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا** يعني اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه
المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره
ويهرب مما يكره ثم يعتقد بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره
قيل المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى
الله عز وجل فقال تعالى **الا المصلين** وهذا استثنا الجمع من
الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع **الذين هم على صلاتهم
دايمون** يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرايض **فان قلت**
كيف قال على صلاتهم دايمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون
قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادايها وان لا
يتركوها في شي من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل
وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان ياتي بها
العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو
سابق للصلاة واشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد
المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول
وقتها وتفريغه من الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز
وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة
يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف
واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو
ان يحترز عن الريا والسمعة ويخوف ان لا يقبل منه مع الابتهال
والتضرع الى الله تعالى في سوال قبولها وطلب الثواب والمداومة
على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها

وهيآتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سألنا عقبة ابن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في اموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب عن السوال فيحسب غنيا فيحرم في اوقات معلومة للسائل يعني الذي يسأل الناس والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيمة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون يعني الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجا وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة المؤمنون قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيى الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع • وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى اولئك يعني من هذه صفته في جنات مكرمون قوله تعالى فمال الذين كفروا اي فما بالهم قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعات في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم

قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة نعيم النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون فيها وقد كذبوا نبيه كلا اي لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشيء واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ۞ ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة • روى البغوي باسناد الثعلبي عن بسر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم انى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واوان الصدقة واخرجه ابن الجوزي في اسناده بلا تفسير اسناده • وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولا نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل فلا اقسم يعني واقسم وقد تقدم بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين عن اهلاكهم وابدالكم بمن هو خير منكم فذرهم يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسختها اية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور سراعا اي الى اجابة الداعي كانهم الى نصب يعني الى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهم الاصنام التي كانوا يعبدونها يوفضون اي يسرعون ومعنى الاية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى انصابهم ليستلموها خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة ترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني يوم القيمة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا • والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده • واسرار كتابه

• تفسير سورة نوح عليه السلام •

وهي ثمان وعشرون اية ومائتان واربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اى بان خوف
قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم يعنى الغرق بالطوفان والمعنى
انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال يا قوم انى لكم نذير
مبين اى انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله اى وحّدوه ولا تشركوا به شيئا
واتقوه اى وخافوه بأن تحفظوا انفسكم مما يوقعكم واطيعون اى فيما امركم
به من عبادة الله وتقواه يغفر لكم من ذنوبكم اى يغفر لكم ذنوبكم ومن
صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض
الذنوب ويؤخركم الى اجل مسمى اى الى منتهى اجالكم فلا يعاقبكم ان اجل
الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون معناه يقول امنوا قبل الموت
تسلموا من العذاب فان اجل الله اذا جا وهو الموت اذا جا لا يؤخر
عنكم ولا يمكنكم الايمان قال يعنى نوح عليه السلام رب انى دعوت
قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاى الا فرارا اى نفارا وادبارا عن
الايمان وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم اى ليؤمنوا لك فتغفر لهم جعلوا
اصابعهم فى اذانهم لئلا يسمعوا دعوتى واستغشوا ثيابهم اى غطوا
وجوههم بثيابهم لئلا يرونى واصروا على كفرهم واستكبروا عن الايمان بك
استكبارا اى تكبرا عظيما ثم انى دعوتهم جهارا اى معلنا قال ابن عباس
باعلا صوتى ثم انى اعلنت لهم اى كررت لهم الدعا معلنا واسررت
لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بينى وبينه
ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السما عليكم مدرارا وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا
حبس الله عنهم المطر زمانا طويلا واعقم ارحامهم ونسائهم اربعين
سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اى من الشرك
واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان
الاستغفار الاشتغال بالطاعة سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر
سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون
اليه فى الدنيا • وروى الشعبى عن عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس
فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال
طلبت الغيث بمجاديح السما التى يستنزل بها القطر ثم قرا استغفروا ربكم
انه كان غفارا الاية • قوله بمجاديح السما واحدها مجدح وهو نجم
من النجوم • وقيل هو الدبران • وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى شبهها
بالمجدح الذى له شعب وهو عند العرب من الانوا الدالة على المطر
فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانوا مخاطبة لهم بما يعرفون كما يزعمون
من شانها المطر لانه يقول بالانوا • وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس

ذنوبا

ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا
شكى الجدب فقال استغفروا الله • وشكى اخر اليه الفقر وقلة النسل واخر
قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك
رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى هذه الاية وقوله
يرسل السما عليكم مدرارا اى يرسل ما السما وذلك لان ما المطر ينزل
من السما الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض • وقيل بالسما
المطر من قول الشاعر •

• اذا نزل السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •

يعنى المطر مدرارا اى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال
وقيل مدرارا اى متتابعا ويمددكم باموال وبنين اى يكثر اموالكم
واولادكم ويجعل لكم جنات اى البساتين ويجعل لكم انهارا وهذا
كله مما يميل طبع البشرية اليه مالكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس
اى لا ترون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجا بمعنى الخوف
والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم • وقيل معناه ما لكم لا تعرفون
لله حقا ولا تشكرون له نعمة • وقيل معناه ما لكم لا ترجون فى عبادة
الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعنى تارة
حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه
خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على
وحدانية الله وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا اى بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا يعنى فى السما
الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بنى تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل
الشمس سراجا يعنى مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس
والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهما واقفيتهما الى
الارض ويروى ان هذا عن ابن عباس ايضا والله انبتكم من الارض نباتا
يعنى ان ادم واصله خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا
اسم جعل موضع ضمير المصدر اى انباتا • وقيل تقديره انبتكم فنبتم
نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهو انه لو كان انبتكم فنبتم انباتا عجيبا
وهذا الثانى اولى لان الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة احيا
الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان
هذا اموافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة
الى هذا المجاز فان لهذا البشر اللطيف ثم يعيدكم فيها اى فى الارض بعد
الموت ويخرجكم اى منها يوم البعث اخراجا اى حقا لا محالة والله
جعل لكم الارض بساطا اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون فيها كما

يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة
قوله تعالى قال نوح رب انهم عصونى اى لم يجيبوا دعوتى واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعنى اتبع السفلة والفقرا القادة
والروسا الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا فى الدنيا وعقوبة
فى الاخرة ومكروا مكرا كبارا يعنى كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا
بالتشديد اشد واعظم فى المبالغة والماكرون هم الروسا والقادة
ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة
على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه
وقيل مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا
رسله وقالوا يعنى القادة للاتباع لا تذرن الهتكم يعنى لا تتركن
عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
هذه اسما الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة قوله
ولا تذرن الهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة وهى
اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسما قوم صالحين كانوا بين ادم
ونوح فلما ماتوا وكان اتباع هولا يقتدون بهم وياخذون بعدهم
باخذهم بالعبادة فجاهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك
انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم بعدهم فقال
لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدا عبادة الاوثان
وسميت تلك الصور بهذه الاسما لانهم صوروها على صورة اوليك القوم
الصالحين من المسلمين خ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت
الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد اما ود فكانت لكلب
دومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد
ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير
لال ذى الكلاع اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى
الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصابا
وسموها باسمايها ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اوليك ونسخ العلم عبدت
الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها
التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت
للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان
وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونايلة وهبل كانوا لاهل
مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى
ونحو ذلك من الاسما وقد اضلوا كثيرا اى ضل بسبب الاصنام كثير من
الناس وقيل اضل كبرا قوم نوح كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا

ضلالا

ضلالا يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا الضلال وهذا
دعا عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلا قلبه غضبا لله
وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب
النبوة ان يدعوا بالضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت
انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يومنون وهو قوله تعالى
انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقيل انما اراد بالضلال
امر الدنيا وما يتعلق بها لا فى امر الاخرة مما خطاياهم اغرقوا
اى بالطوفان فادخلوا نارا اى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا
كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم
بهذه الاية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفا تقتضى التعقيب
فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل
دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة
لانه يبطل دلالة الفا وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الاخرة
فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول
اصح فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يعنى ينصرهم ويمنعهم من
عذاب الله الذى نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا يعنى احدا يدور فى الارض فيذهب ويجى من الدوران وقيل
اصله من الدار اى نازل دار انك ان تذرهم يضلوا عبادك قال
ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر
هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير
على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا حين اخرج
الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسايهم واعقم بعد ذلك ارحام
النسا وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين
سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يومنون ولا يلدون
مومنا فحينيذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم
صبى وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب رب
اغفر لى وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لى يعنى ما صدر
منى من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انه
انما دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك الدعا عليهم كالانتقام منهم
فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس او لانه ترك
الاحتمال ولوالدى وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمخا
بنت انوش وكانا مومنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام
من ابايه كافر وكان بينهما عشرة ابا ولمن دخل بيتى مومنا اى دارى

وقيل مسجدي وقيل سفينتي **وللمؤمنين والمؤمنات** وهذا عام في كل مؤمن امن بالله وصدق الرسل وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ في الدعا **ولا تزد الظالمين الا تبارا** اي هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاه فاهلكهم جميعا والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمانماية وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن** اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملك وهم اتباع الرسل والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شديدة محبة للشرور والافات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لساير انواع الماهية وان يكون لها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة او شاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرط للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذ تاويله المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بعض الكتاب والسنة

فصل واختلفت الرواية هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم وقد تقدم تفسيره

في سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حيل بيننا وبين خبر السما فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هولا النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا يكلمهم انما اعلمه الله عز وجل بما اوحي اليه من قوله قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن اخرون **والحاصل** من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجن والانس فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة ومن كذبه فهو من الشياطين المبعدين المومنين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل البعثة وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وذهب اخرون الى انه كان زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا اخر كلام القرطبي والله اعلم

عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كانت العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام وتهامة معروفة ونخلة واد من اودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه

واقعة الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه وامنوا به واستمع
نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة وقالوا كانوا تسعة من
جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
اي لما رجعوا الى قومهم **انا سمعنا قرانا عجبا** قال ابن عباس رضي
الله عنهما بليغا اذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته **يهدي الى
الرشد** اي يدعوا الى الصواب يعني التوحيد والايمان **فامنا به** اي
بالقران **ولن نشرك بربنا احدا** اي ولن نعود الى ما كنا عليه من
الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا
وقيل كانوا نصارى وقيل مجوسا او مشركين **وانه تعالى جد ربنا** اي
جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال
عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا
ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذو الغنا غناه ابن عباس عظمت
قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فضله وقيل الاوه ونعماوه على خلقه
وقيل علا ملك ربنا **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا** اي انه تعالى جلال
ربنا وعظمته ان يتخذ صاحبة وولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة
والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل نقص **وانه كان يقول
سفيهنا** يعني جاهلنا قيل هو ابليس **على الله شططا** اي كذبا
وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة
الحد في كل شي **وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا** اي
كنا نظن ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا
وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القران علمنا انهم
قد كذبوا على الله قوله تعالى **وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن** وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا
سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر
سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي
باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السايب الانصاري قال
خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف
الليل جاء ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر
الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فجا الحمل
يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى
الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من
الجن فزادوهم رهقا ذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير سند وفي

الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم **رهقا** قال ابن عباس
اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم
كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظما
الانس سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان
المحارم **وانهم ظنوا** يعني الجن **كما ظننتم** اي يا معشر الكفار من الانس
ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت **وانا** يعني تقول الجن
لمسنا السما اي طلبنا بلوغ السما الدنيا واستماع كلام اهلها **فوجدناها**
ملئت حرسا يعني من الملائكة **شديدا وشهبا** اي من النجوم **وانا
كنا نقعد منها** اي من السما **مقاعد للسمع** يعني كنا نجد فيها بعض
المقاعد خالية من الحرس والشهب والان قد ملئت المقاعد كلها
فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به وقيل
شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال
كان الجن يصعدون الى السما يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة
زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زاد فيكون
باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم
فذكروا ذلك لابليس ولم يكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم
ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما يصلي بين جبلين اراه قال
بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح • وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد
مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما
بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على
الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من
الاستراق بالكلية **وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض** اي برمي
الشهب **ام اراد بهم ربهم رشدا** ومعنى الاية لا ندري هل المقصود
من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اراد بهم صلاح
وخير **وانا منا الصالحون** اي المومنون الخالصون **ومنا دون ذلك**
اي دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح
وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره **كنا طرائق قددا**
اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدد القطعة
من الشي قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء
مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوا كاهوا الناس وذلك

ان الجن فيهم القدرية والمرجية والرافضة وغيرذلك من اهل الاهواء
فعلى هذا التفسير يكون معنى طرايق قددا استصير طرايق قددا
وهو بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة
وقيل معناه وكنا فى اختلاف احوالنا مثل الطرايق المختلفة
وانا ظننا اى الظن هنا بمعنى العلم واليقين اى علمنا وايقنا
ان لن نعجز الله فى الارض اى لن نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه
هربا اى ان طلبنا وقلنا نعجزه اى ما كنا وانا لما سمعنا
الهدى امنا به اى لما سمعنا القران امنا به وبمحمد صلى الله عليه
وسلم فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا اى نقصانا من عمله وثوابه
ولا رهقا يعنى ظلما وقيل مكروها يغشاه وانا منا المسلمون
وهم الذين امنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون
اى الجايرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا
لله اندادا فمن اسلم فاوليك تحروا رشدا اى قصدوا طريق الحق
وتوجهوه واما القاسطون يعنى الذين كفروا فكانوا لجهنم حطبا
يعنى وقودا للنار يوم القيمة فان قلت قد يتمسك بظاهر
هذه الاية من لا يرى لمومنى الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر
عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المومنين منهم قلت
ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاوليك تحروا رشدا فذكر سبب
الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب
الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا
منها قلنا ان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة
وصاروا خلقا اخر والله تعالى قادر ان يعذب بالنار قوله
عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة اختلفوا فيمن يرجع
الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم
والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم
وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه
لو ثبت الجن الذين سمعوا القران على الطريقة التى كانوا عليها
قبل استماع القران ولم يسلموا لاسقيناهم ماء غدقا اى لوسعنا
الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن
الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا على
الطريقة يعنى كفار مكة الى الحق والايمان والهدى فكانوا مومنين
مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعنى كثيرا وذلك بعد ما رفع
عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو امنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا

ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان
الخير والرزق كله اصله من المطر قوله لنفتنهم فيه اى لنختبرهم
كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل فى معنى الاية لو استقاموا اى
ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا
عليهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم
والقول الاول اصح لان الطريقة معروفة بالالف واللام وهى طريقة
الهدى والقول بان الاية فى الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون
بالمطر ومن يعرض عن ذكر ربه اى عن عبادة ربه نسلكه اى ندخله
عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل
لا يزداد الا شدة قوله تعالى وان المساجد لله يعنى المواضع التى
بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد
المسلمين والكنايس والبيع التى لليهود والنصارى اذا دخلوا
كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المومنين ان
يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد
بقاع الارض كلها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون
المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير
قالت الجن للنبى صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة
ونحن نارون عنك فنزلت وان المساجد لله وروى عنه ايضا
ان المراد بالمساجد الاعضا التى يسجد عليها الانسان وهى سبعة
الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء
التى يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره م
عن العباس بن عبد المطلب انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه
ق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال امرنا النبى صلى الله عليه وسلم
ان نسجد على سبعة اعضا وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين
والقدمين والركبتين وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
امرت ان اسجد على سبعة اعضا على الجبهة واشار بيده الى انفه
واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر
كف الشعر عقصه وطرزطرفه فى اعلا الظفيرة وقد نهى عن ذلك
قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله يعنى النبى صلى الله عليه
وسلم يدعوه يعنى يعبد الله ويقرا القران وذلك حين كان يصلى
الفجر ببطن نخلة كادوا يعنى الجن يكونون عليه لبدا يعنى يركب
بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على استماع القران قاله

ابن عبد البر وعنه ايضا ان من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى
قومهم فاخبروهم من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
له واقتدائهم به في الصلاة • وقيل معنى الاية لما قام عبد الله
بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي
جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا
الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم
فوق بعض **قال** يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد على الامر
انما ادعوا ربي وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
لقد جئتنا بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم انما ادعوا ربي **ولا اشرك به احدا قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا** اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق
اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والغوي هو الله تعالى
قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني منه احد الا ان عصيته
ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه وقيل حرزا احترز
به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه **الا بلاغا من الله
ورسالاته** اي ففيه الجواز والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي
يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ • وقيل الا بلاغا من الله له
فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه • وقيل معناه لا املك لكم
ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا مرسل لا املك
الا ما ملكت **ومن يعص الله ورسوله** يعني ولم يومن **فان له
نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون** يعني
العذاب يوم القيمة **فسيعلمون** اي عند نزول العذاب **من اضعف
ناصرا واقل عددا** اهم ام المومنون **قل ان ادري** اي ما ادري **اقريب
ما توعدون** يعني العذاب وقيل يوم القيمة **ام يجعل له ربي امدا**
اي اجلا وغاية تطول مدتها **عالم الغيب** والمعنى ما غاب عن العباد
فلا يظهر اي فلا يطلع **على غيبه احدا** اي الغيب الذي يعلمه
وانفرد به احدا اي من الناس ثم استثنى فقال **الا من ارتضى من
رسول** يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء
من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون
ذلك معجزة له دالة على نبوته • قال الزمخشري وفي هذا ابطال
الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء
مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل بين المرتضين بالاطلاع
على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد

شي من المرضي وادخله في السخط • قال الواحدي وفي هذا دليل
على ان من ادعى ان النجوم تدل على ما يكون من حياة او موت ونحو
ذلك فقد كفر بما في القران • فاما الزمخشري فانكر كرامات الاولياء
جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من
المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم • قال فخر الدين والسنة الاية
الى المنورتين واحدة فان جعل الله الاية دالة على المنع من احكام
النجوم فينبغي ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي
ان الاية لا دلالة فيها على شي من ذلك والذي يدل عليه ان قوله
فلا يظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفي العمل بمقتضاه
ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت
وقوع القيمة فيكون المراد من الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب
لاحد فلا يبقى في الاية دلالة على انه لا يظهر شيا من الغيوب لاحد
ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على شي من المغيبات غير الرسل كالكهانة
وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان تذهب اهل
السنة الى اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم
الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل ليخبر به وهو
من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس يحدثون من غير ان يكونوا انبيا
وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري • قال ابن وهب تفسير
يحدثون يلهمون • ولمسلم عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون
فان يكن في امتي احد منهم فان عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات
كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة
النبي صلى الله عليه وسلم عنها ولا انسد الطريق الى معرفة الرسول
من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي صلى الله عليه وسلم وكرامة
الولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي
ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي
لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على
يد الولي امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت
نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول
متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما
الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة ببعث النبي

صلى الله عليه وسلم ممن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به
القران وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم • وقوله تعالى فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه اي من بين يدي الرسول ومن خلفه
وذكر البعض دال على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملائكة
يحفظونه من الشيطان ان يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه
من الجن ان يستمعوا الوحي فيلقوه الى الكهانة فيخبروا به قبل
الرسول وقيل ان الله تعالى اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة
ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من
الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في
صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاءه ملك قالوا هذا
رسول ربك ليعلم اي ليعلم محمد انه صلى الله عليه وسلم ان اي ان
جبريل بلغ رسالات ربه • وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد
ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه
ليعلم الله الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم فيعلم الله ذلك ظاهرا
موجودا فيجب فيه الثواب واحاط بما لديهم اي اعلم الله ما
عند الرسل فلم يخف عليه شيء من امورهم واحصى كل شيء عددا
قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى
مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المزمل مكية •

غير ايتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير ذلك وهي
ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية ومايتان وخمس وثمانون
كلمة وثمانمائة وثلاثون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم واصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف قال
المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما
جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملوني زملوني حتى انس به وقيل
خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل
وقيل معناه متزمل النبوة حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم
به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان في
اول الامر ومبتداه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان
صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا ايها المزمل
قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة
والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتدا الاسلام الا قليلا اي

قل

قل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال
تعالى نصفه اي قم نصف الليل او انقص منه قليلا اي الى الثلث
او زد عليه اي على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان
الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه
فكان يقوم كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب
واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف
عنهم ونسخها بقوله فاقرؤا ما تيسر منه • قيل ليس في القران
سورة نسخ اخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها
ونزول اخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا • وكان قيام الليل
فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت
فريضته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك م عن سعيد بن هشام قال انطلقت الى عائشة
فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت الست تقرا القران قلت بلى قالت فان خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان القران قلت فقيام رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت الست تقرا المزمل قلت بلى
قالت فان الله افترض القيام في اول هذه السورة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك
الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السما ثم انزل التخفيف في اخر هذه
السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة • وقوله تعالى
ورتل القران ترتيلا قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرؤه
على هينتك ثلاث ايات او اربعا او خمسا • وقيل الترتيل التوقف
والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراة حرفا حرفا اثره في بعض
بالمد والاشباع والتخفيف وترتيلا تاكيدا في الامر به وانه لابد للقاري
منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القراة حتى
يتمكن المصلي من حضور القلب والتامل والفكر في حقايق الايات
ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر بقلبه عظمة المعبود
وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجا والخوف وعند ذكر
القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور
المعرفة والاسراع في القراة ولا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان
المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراة فصل
عن انس قال قتادة سئل انس كيف كانت قراة رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله
ويمد الرحمن ويمد الرحيم • عن ام سلمة رضي الله عنها وقد سالها يعلى
ابن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت
ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا
حرفا اخرجه النسائي • وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقول الرحمن الرحيم
ثم يقف وكان يقول ملك يوم الدين ثم يقف • وفي رواية ابي داود
قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يقطع قراءته
اية اية خ عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة الفتح يرجع في قراءته ق عن ابي
وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال اني لاقرا
المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما
يقرءون القران لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان
افضل الصلاة الركوع والسجود اني لاعرف النظائر التي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية
فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به
هنا سرعة القطع القراءة والعجلة فيها • وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي
جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج
الصوت والنظائر جمع نظير وهي الشبه والمثل عن عائشة رضي
الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم باية من القران اخرجه
الترمذي • وللنسائي عن ابي ذر نحوه وزاد والاية ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم • عن سهل
ابن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا
فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم
الاسود اقرءوا قبل ان يقراه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل القراءة
ولا يتاجله اخرجه ابو داود وزاد غيره في رواية لا يجاوز تراقيهم
عن جابر رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نقرا القران وفينا العربي والعجمي فقال اقرءوا وكل
حسن وسيجي اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه
اخرجه ابو داود عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا
تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن
هم احدكم اخر السورة • قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا

قال

قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر
وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شي له خطر وقدر فهو ثقيل
والمعنى نصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل
الشاق • وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال
والحرام والحدود والفرائض والاحكام • وقيل ثقيل على المنافقين
لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم • وقيل هو خفيف على اللسان
بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة • وقيل ثقيلا اي
ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل
معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا الكلام
رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة
والبيان • وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ
والمنسوخ • وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا انزل القران والوحي يجد له مشقة ق عن عائشة رضي
الله عنها ان الحرث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده علي فيفصم
عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي
ما يقول قالت عائشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا م عن عبادة بن الصامت
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك
وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا انزل عليه الوحي عرفنا ذلك في
فيه وغمض عينيه وتربد وجهه مثل صلصلة الجرس الصلصلة
الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس
ونحوه • قوله فيفصم عني ويفارقني وقد وعيت ما قال اي حفظته
وقوله ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد
قوله تربد وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد • وقوله تعالى
ان ناشئة الليل اي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها
تنشى عن التي قبلها وقال ابن ابي مليكة سالت ابن عباس وابن
الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهو عبارة عن الامور التي تحدث
وتنشا في الليل • وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل
هي قيام اخر الليل وقيل اوله • وقيل اي ساعة قام الانسان من
الليل فقد نشا • وروي عن زين العابدين علي بن الحسين انه كان
يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذا ناشئة من الليل وقيل كل

صلاة بعد عشا الاخرة فهي ناشية من الليل وقيل ناشية الليل **هى**
اشد وطاءً قرئ بكسر الواو مع المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك
لان مواطاة القلب واللسان والسمع والبصر يكون بالليل اكثر مما
يكون بالنهار وقرئ وطا بفتح الواو وسكون الطاء اى اشد على المصلى
واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه
على النفس اشد واثقل • وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول
الليل اشد وطا يقول هى اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم
من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لايدرى متى يستيقظ وقيل
اثبت فى الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هى اوطا للقيام واسهل
على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل
للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار
ولا يعرض له فى الليل حوايج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان
وابعد من الريا وهو قوله تعالى **واقوم قيلا** اى اصوب قراءة واصح
قولا من النهار لهداة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين
قولا بالقران • **والحاصل** ان اشد عبادة الليل اشد نشاطا واتم
اخلاصا وابعد عن الريا واكثر بركة وابلغ فى الثواب فادخل فى القبول
ان لك فى النهار سبحا طويلا اى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى
حوايجك واشتغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى
حوايجك افضل من الليل **واذكر اسم ربك** اى بالتوحيد والتعظيم
والتقديس **وتبتل اليه تبتيلا** قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا
وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل نفسك
وانقطعها عن كل شى سواه • وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها
والتماس ما عند الله • وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى
العبادة • وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شى الا من عبادة الله وطاعته
فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجى على مصدره
قلت جا تبتيلا على تبتل نفسك اليه تبتيلا وهو كقوله
انبتكم من الارض نباتا • وقيل لان معنى تبتل تبتل نفسك فجى به
على معناه مراعاة لنحو الفواصل • وقيل الاصل فى تبتل ان يقال
تبتيلا وتبتلت تبتيلا محمول على معنى تبتل اليه تبتيلا وقيل انما
عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انما هو
التبتل فاما التبتل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا
الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لا بد
من التبتل لانه المقصود وذكر التبتل ثانيا اشعارا بانه لا بد منه

رب المشرق والمغرب يعنى ان التبتل والانقطاع لايليق الا الى الله تعالى
الذى هو رب المشرق والمغرب **لا اله الا هو فاتخذه وكيلا** اى فوض
امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك
من النصر على الاعدا **واصبر على ما يقولون** اى من التكذيب لك
والاذى **واهجرهم هجرا جميلا** اى واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه
وهذه الاية منسوخة باية القتال **وذرنى والمكذبين** اى دعنى
ومن كذبك لا تهتم به فانى اكفيكهم **اولى النعمة** اى اصحاب النعم
والترفه نزلت فى صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت فى المطعمين
ببدر **ومهلهم قليلا** يعنى الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا
ببدر **ومهلهم قليلا** يعنى الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا
ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال **ان
لدينا** اى عندنا فى الاخرة **انكالا** يعنى قيودا عظاما ثقالا لا تنفك
ابدا وقيل اغلالا من حديد **وجحيما وطعاما ذا غصة** اى غير سائغ
فى الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع **وعذابا اليما** اى
وجيعا **يوم ترجف الارض والجبال** اى تزلزل وتتحرك وهو يوم القيمة
وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعنى رملا سايلا وهو الذى اذا
اخذت منه شيا تبعك ما بعده **انا ارسلنا اليكم** يعنى يا اهل
مكة **رسولا** يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم **شاهدا عليكم** اى بالتبليغ
وايمان من امن منكم وكفر من كفر **كما ارسلنا الى فرعون رسولا** يعنى
موسى بن عمران عليه السلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من
بين ساير الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم اذوه اهل مكة لما
واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى موسى واذاه لانه رباه
فعصى فرعون الرسول فاخذناه يعنى فرعون بذلك **اخذا وبيلا**
اى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة اى خوف بذلك كفار
مكة ثم خوف كفار مكة بيوم القيمة • وقيل معنى فكيف تتقون
فقال تعالى **فكيف تتقون ان كفرتم** اى كيف لكم بالتقوى يوم القيمة اى
فى الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيمة وقيل معنى
فكيف تتقون العذاب يوم القيمة وباى شى تتحصنون من عذاب
ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا **يوما يجعل الولدان
شيبا** يعنى شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين
يقال لادم عليه السلام قم فابعث الى النار من ذريتك **ق** عن ابى
سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زادفى

رواية والخير بيديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان تخرج من
ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف
تسعماية وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق
ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعماية
وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السودا
في جنب الثور الابيض ومن رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجوا
ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة ثم قال شطر
اهل الجنة فكبرنا واما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من
ذريتك بعثا الى النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار واما
الرقمة بفتح الراء واسكان القاف هي الاثر في باطن عضد الحمار
وقوله اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة وشطر اهل الجنة ففيه
البشارة العظيمة لهذه الامة اولا ثم الثلث ثم الشطر فلفايده
حسنة وهي ان ذلك ادفع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطاءه
الانسان مرة بعد مرة يدل على الاعتنا به ودوام ملاحظته وفيه
تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على شكر الله وحمده
على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم
بها اما ما يتعلق بمعنى الاية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف
تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا • وقوله صلى الله عليه
وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان • الاول انه عند زلزلة الساعة
قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره • الثاني انه في
القيمة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيمة ليس فيها
شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم
تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت
على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي •

• والهم يخترم الجسيم نحافة • ويشيب ناصية الصبي ويهرم •

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوا الشيب كناية
عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا
حقيقة لان الطفل لا تمييز له • وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك
اليوم بالطول يبلغون من الشيخوخة والشيب السما منفطر به
وصف اليوم بالشدة ايضا وانما السما مع عظمها تنفطر وتنشق فما
ظنك بغيرها من الخلايق وقيل تنشق لنزول الملايكة وقيل به اي

بذلك المكان وقيل انها ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اي بامره وهيبته
كان وعده مفعولا اي كاينا لا محالة فيه ولا خلف ان هذه اي ايات
القران تذكرة اي مواعظ يتذكر بها فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا بالايمان
والطاعة قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
اي اقل من ثلثي الليل ونصفه وثلثه اي وتقوم ثلثه ونصفه وطا
يفة
من الذين معك اي المومنين وكانوا يقومون معه الليل والله
يقدر الليل والنهار يعني العالم بمقادير الليل والنهار واجزايهما
وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر
الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه علم ان لن تحصوه
يعني ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت
اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه • وقيل كان الرجل
يصلي الليل مخافة ان لا يصيب ما امر الله به من القيام فقال
تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك فتاب عليكم
اي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفى عنكم ما لم تحيطوا
بعلمه ودفع المشقة عنكم فاقروا ما تيسر من القران فيه قولان احدهما
ان المراد بهذه القراة في الصلاة وذلك لان القراة احد اجزا الصلاة
فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال
الحسن يعني في صلاة المغرب والعشا قال قيس بن ابي حازم صليت
خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في اول ركعة بالحمد واول اية من البقرة
ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع فلما
انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقروا ما تيسر منه وقيل
نسخ ذلك التهجد واكتفي بما تيسر من نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس
وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك • القول الثاني ان المراد بقوله
فاقروا ما تيسر من القران دراسة وتحصيل حفظه وان لا يعرضه
للنسيان فقيل يقرا ما ية اية ونحوها وقيل بل قراة السورة القصيرة
كافية روى البغوي باسناده عن انس رضي الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين اية في يوم او ليلة لم يكتب
من الغافلين • ومن قرا ماية اية لم يحاجه القران يوم القيمة ومن
قرا خمسماية اية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيي الدين في كتابه
الاذكار ولم يضعفه • وقال في رواية من قرا اربعين اية بدل خمسين وفي
رواية عشرين وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات لم يكتب من الغافلين ق عن

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرا القران كل ليلة
قلت بلى يا رسول الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود
وكان اعبد الناس واقرا القران في كل شهر قال قلت يا نبي الله اني اطيق
افضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال قلت يا نبي الله اني اطيق
افضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة
النسخ والتخفيف فقال **علم ان سيكون منكم مرضى** يعني ان المريض يضعف
عن التهجد بالليل فخفف الله عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه **وآخرون
يضربون في الارض** يعني المسافرين للتجارة **يبتغون من فضل الله**
اي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة **وآخرون يقاتلون
في سبيل الله** يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر
مشتغل في النهار بالاعمال الشاقة فلو لم يقم بالليل لتوالت عليه
اسباب المشقة عليهم فخفف الله عنهم لذلك • روي عن ابن مسعود
قال ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا
محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهدا ثم قرا
عبد الله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون
يقاتلون في سبيل الله **فاقرءوا ما تيسر منه** اي من القران وانما
اعاده للتاكيد **واقيموا الصلاة** يعني المفروضة **وآتوا الزكاة** اي
الواجبة **واقرضوا الله قرضا حسنا** قال ابن عباس يريد سوى الزكاة
من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد ساير الصدقات وذلك
بان يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا
للفقرا ومراعاة النية والاخلاص وابتغا مرضات الله تعالى بما
يخرج والصرف الى المستحق **وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله** اي ثوابه واجره **هو خيرا واعظم اجرا** يعني ان الذي قدمتم
لانفسكم خير من الذي اخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده
عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله
احب اليه من مال وارثه قالوا كيف يا رسول الله قال انما ماله
احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر **واستغفروا الله** اي لذنوبكم
وتقصيركم في قيام الليل **ان الله غفور رحيم** اي لجميع الذنوب

تفسير سورة المدثر مكية

قيل غير اية من اخرها وهي ست وخمسون اية ومايتان وخمس
وخمسون كلمة والف وعشرة احرف • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل **يا ايها المدثر** ق عن يحيى بن كثير قال سالت

ابا سلمة بن عبد الرحمن عن اول ما نزل من القران قال يا ايها المدثر
قلت يقولون اقرا باسم ربك قال ابو سلمة سالت جابرا عن ذلك
وقلت له مثل الذي قلت فقال جابر لا احدثك الا ما حدثنا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت
جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيا ونظرت خلفي
فلم ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا فاتيت خديجة فقلت دثروني
فدثروني وصبوا علي ما باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر
وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض
الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت
الوادي وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش في الهوى يعني جبريل
فاخذتني رجفة شديدة ق عن جابر رضي الله عنه من رواية
الزهري عن ابي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينما انا امشي
سمعت صوتا من السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاني
بحرا جالس على كرسي بين السما والارض فجئثت منه رعبا فقلت
زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز
فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي
وذكره وفيه قال ابو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع
فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما
نزل من القران ويعارضه حديث عايشة رضي الله عنها المخرج
في الصحيحين ايضا في بدء الوحي وسياتي في موضعه ان شا الله
تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرجف فواده الحديث **قلت** الصواب الذي
خلق كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل
عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال
وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع
فالصواب ان اول ما نزل من القران على رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة اقرا باسم ربك الذي خلق وان اول ما نزل بعد فترة
الوحي سورة المدثر فيحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين
والله اعلم • قوله فاذا هو قاعد على عرش يريد السرير الذي يجلس
عليه • وقوله يحدث عن فترة الوحي اي عن احتباسه وعدم
تتابعه وتواليه في النزول • قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة

مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وتروى ثاثا بن مثلثتين بعد الجيم ومعناه فزعت منه وفزعت • وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترة من قولهم حميت الشمس والنار اذا زاد حرهما • وقوله فصبوا علي ماء فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه الماء حتى يسكن فزعه والله اعلم • واما التفسير فقوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفي بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه متدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني • وقيل يا ايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا قم فانذر اي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك • وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته وربك فكبر اي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان وثيابك فطهر فيه اربعة اوجه احدها ان يترك لفظ الثياب على الحقيقة والثاني ان يترك لفظ الثياب على التطهير في الحقيقة والتطهير على المجاز • والثالث ان يترك لفظ الثياب على التطهير في الحقيقة • والرابع ان يترك لفظ الثياب والتطهير على المجاز • اما الوجه الاول فمعناه • وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزوا عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسة وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل وامره بتقصيره كذلك • وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب • الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

• وشككت بالرمح الاصم ثيابه • ليس الكريم على القنا بمحرم •

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل على الوجه • الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معنى وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك حسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي •

• واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع •

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفا هو طاهر الثياب

وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشي الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى والرجز فاهجر يعني اترك الاوثان ولا تقربها • وقال ابن عباس اترك الماثم وقيل الشرك والمعنى اترك كلما اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ولا تمنن تستكثر يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر هذا قول المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لا بد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما رباان وحلالان وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيا لمجازاة الدنيا اعط لله واردبه وجه الله • وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثر عملك في عينك فانه مما انعم الله به عليك واعطاك قليلا • وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من الوحي كالمستكثر ذلك عليهم • وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثره وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير لتستكثر منه • وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل ولربك فاصبر اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضا لاجل الله فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة وهو يوم القيمة يوم عسير اي شديد على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم فيعطون كتبهم بشمايلهم وتسود وجوههم غير يسير اي غير هين فان

قلت ما فايدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فايدة التكرار للتاكيد كقوله انا محب لك غير مبغض • وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المومنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المومنين قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه احد

والمعنى ذرني واياه فانا اكفيكهو نزلت هذه الاية في الوليد بن المغيرة
المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه **وجعلت له مالا ممدودا** اى كثيرا
يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع
والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة الاف
درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة
وعنه كان له بين مكة والطايف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة
وعبيد وجواري وقيل كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره
شتاء ولا صيفا وقيل كان له بستان بالطايف غلة شهر بشهر **وبنين
شهودا** اى حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنيا غير محتاجين
الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا يشهدون معه المحافل
والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وعمارة
وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وخالد اسلم منهم ثلاثة نفر خالد
وهشام وعمارة **ومهدت له تمهيدا** اى بسطت له في العيش وطول
العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر
قريش وكان يدعى ريحانة قريش **ثم يطمع** اى يرجوا **ان ازيد** اى ازيده
مالا وولدا وتمهيدا **كلا** اى لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد
بعد نزول هذه الاية في نقصان ماله وولده حتى هلك **انه كان
لاياتنا عنيدا** اى معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلايل
التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان منازعا منكرا للكل وقيل
كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه
وهو اقبح الكفر واخشه **سارهقه صعودا** يعني ساكلفه مشقة
من العذاب لا راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة من النار
يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو
كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
سارهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع
يده ذابت فاذا رفعها عادت قال الكلبي الصعود صخرة ملسا
في النار يكلف الكافر ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من
خلفه وذلك دابه ابدا **قوله عز وجل انه فكر وقدر** اى فكر في الامر
الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهياه لذلك
الامر وهو المراد بقوله وقدر اى وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك
ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب

من

من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في
المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى
مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت محمدا انفا كلاما
ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلوا وما يعلى ثم
انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش
كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد
حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني
ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك
ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن
ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم
قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام
حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال
لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون
انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر
فهل رايتموه يشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم
عليه شيا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر
في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يوثر فذلك قوله عز
وجل انه فكر اى في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول
في محمد والقران **فقتل كيف قدر** اي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو
على طريق التعجب والانكار والتوبيخ **ثم قتل كيف قدر** كرره للتاكيد
وقيل معناه لعن على اى حال قدر من الكلام **ثم نظر** اي في طلب ما
يدفع به القران ويرده **ثم عبس وبسر** اى كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر
في شي يريده **ثم ادبر** اى عن الايمان **واستكبر** اى حين دعي اليه **فقال ان
هذا** اى الذي يقوله محمد ويقروه **الا سحر يوثر** يروى ويحكى عن السحرة
ان هذا الا قول البشر يعني يسارا وجبرا فهو ياثره عنهما قال الله
تعالى **ساصليه** اى ادخله **سقر** وهو اسم من اسما جهنم وقيل احد دركاتها
وما ادراك ما سقر وما اعلمك اى شي هي سقر وانما ذكره على سبيل
التهويل والتعظيم لامرها **لا تبقي ولا تذر** قيل هما بمعنى كما تقول صد عني
واعرض عني وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا يبقي احد

من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحوم اوليك شيا الا
اكلته واهلكته ٭ وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اى لا يبقى من فيها حيا ولا
تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا ٭ وقيل لا يبقى لهم
لحما ولا تذر منهم عظما ٭ وقيل لكل شى ملال وفترة الا جهنم ليس لها
ملال ولا فترة فهى لا تبقى عليهم ولا تذرهم **لواحة للبشر** جمع بشرة اى
مغيرة للجلد حتى تجعله اسود وقال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد
سوادا من الليل ٭ وقال ابن عباس محرقة للجلد ٭ وقيل تلوح لهم
جهنم حتى يروها عيانا **عليها تسعة عشر** اى على النار تسعة عشر
من الملايكة وهم خزنتها مالك ومن معه ثمانية عشر جاء فى الاثر
ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من
افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع
احدهم سبعين الفا فيرميهم بيده حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن
دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر وقال
ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم
اسمع من ابى كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى
الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد منهم يعنى بخزنة جهنم
فقال ابو الاسود بن الاسود كلدة بن خلف الجمحى انا اكفيكم منهم سبعة
عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى انتم اثنان ويروى
عنه انه قال انا امشى بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الايمن
وتسعة بمنكبى الايسر فى النار وتمضى فتدخل الجنة فانزل الله
تعالى **وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة** يعنى لا رجالا آدميين
فمن ذا يغلب الملايكة وانما جعلهم ملايكة ليكونوا من غير جنس
المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة **وما
جعلنا عدتهم** اى عددهم فى القلة **الا فتنة للذين كفروا** اى ضلالة
لهم حين قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم لم يكونوا عشرين وما الحكم فى
تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل
على تعذيب جميع من فى النار ٭ واجيب عن قولهم لو لم يكونوا
عشرين بان افعال الله لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية
بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة ٭ وقيل وجه الحكم فى كونهم تسعة
عشر ان العدد يجمع القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الآحاد اقل له
الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد
يجمع اقل الكثير واكثر القليل لا اكثر الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد
فكثير لا يدخل تحت الحصر ٭ واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد

القليل

القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة
الله وانه على كل شى قدير وان احوال القيمة على خلاف احوال الدنيا
زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية **ليستيقن الذين اوتوا الكتاب**
يعنى ان هذا العدد مكتوب فى التورية والانجيل وانهم تسعة عشر
ويزداد الذين امنوا ايمانا يعنى من امن من اهل الكتاب يزدادون
تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة
دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك الا بالوحى السماوى فازدادوا
بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله **ولا يرتاب** اى ولا يشك **الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون** يعنى فى عددهم وانما قال ولا يرتاب وان
كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين
ونفى الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه
قال ولتخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر والنفاق
وليقول الذين فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق **والكافرون** اى
مشركى مكة **فان قلت** لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول
الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية **قلت**
لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون وهو
كساير الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الاية معجزة للنبى صلى
الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر
وقد يحتمل ان يراد بالذين فى قلوبهم اهل مكة لان فيهم من هو شاك
وفيهم من هو قاطع بالكذب **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يعنى اى شىء
اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل
المضروب لانه مما غرب عن الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد
واستبعادا له والمعنى اى غرض قصد فى جعل الملايكة تسعة عشر
لا عشرين ومرادهم بذلك انكاره من اصله وانه ليس من عند الله
فلهذا اسموه مثلا **كذلك** اى كما اضل من انكر عدد الخزنة وصدق من
صدق به كذلك **يضل الله من يشا ويهدى من يشا** لان الله تعالى
اليه الهداية والاضلال **وما يعلم جنود ربك الا هو** هذا جواب لابى
جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة
عشر ولهم اعوان وجنود من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى
خلقوا لتعذيب النار ٭ وقيل ان مقدورات الله تعالى غير متناهية
فكذلك جنوده غير متناهية **وما هى** يعنى النار **الا ذكرى للبشر**
اى الا تذكرة وموعظة للناس يتعظون بها **كلا** اى لا يتعظون ولا
يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى اصحاب خزنة

النار وقيل كلاهما بمعنى جميعا والقمر والليل اذ ادبر اى ولى ذاهبا وقيل
ادبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرني فلان اى جاء خلفي بالليل ياتي خلف
النهار والصبح اذا اسفر اى اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه انها
لاحدى الكبر يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر
دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر
والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار
والمعنى ان النار نذيرا للبشر قال الحسن والله ما انذر بشيء ادهى من
النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها
نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه
يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
اى يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنها فيقع في الشر والمعصية
والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن او كفر وقد يتمسك
بهذه الاية من يرى ان العبد غير مجبور عن الفعل وانه متمكن من فعل
نفسه واجيب عنه بان مشية العبد تابعة لمشية الله تعالى
وقيل اضافة المشية الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما
شئتم وقيل هذه المشية لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او
يتاخر قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اى مرتهنة في
النار بكسبها ومأخوذة بعملها الا اصحاب اليمين فانهم غير
مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله تعالى لهم وقيل
معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه
باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل
هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم
وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق وحين قال
الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين
اى مباركين على انفسهم وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا
اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة في جنات
اى هم في جنات يتساءلون عن المجرمين اى يتساءلون المجرمين
وعن صلة فيقولون لهم ما سلككم في سقر قيل وهذا يقوى
قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا
الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسال بعضهم بعضا عن
المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقولون
المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم اى ادخلكم وقيل

ما حبسكم

ما حبسكم في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع فقالوا مجيبين لهم
لم نك من المصلين اى لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اى لم
نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخائضين اى في الباطل وكنا نكذب
بيوم الدين اى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيمة حتى اتانا
اليقين يعني الموت قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
قال ابن عباس تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون
وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلى قالوا لم نك من
المصلين الاية وقال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل احد
دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن انس رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار
فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم
يا فلان فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة
يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له
فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان
فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا
وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه
فما لهم عن التذكرة معرضين اى عن مواعظ القرآن كانهم حمر
جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اى نافرة وقرئ بالفتح اى منفرة
مذعورة محمولة على النفار فرت من قسورة قيل القسورة جماعة
الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه ايضا
انها القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من
رجال اقويا وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل
القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة
الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت
الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا القرآن هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله وذلك
انه لا يرى مثل نفار حمير الوحش اذا خافت من شيء بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور
من الله انك رسوله نؤمن فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا
يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه ذنبه
وكفارته فائتنا بمثل ذلك كلا اى لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم
عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الآخرة اى لا يخافون عذاب

الاخرة والمعنى انهم لوخافوا النار لما اقترحوا هذه الايات بعد قيام
الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة
النبوة فطلب الزيادة يكون من باب العنت كلا اى حقا انه تذكرة
يعنى انه عظة عظيمة فمن شاذكره اى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك
عليه وما يذكرون الا ان يشا الله اى الا ان يشا الله لهم الهدى
فيتذكروا و يتعظوا هو اهل التقوى واهل المغفرة اى هو حقيق
بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيوحدوه ويطيعوه وهو حقيق
بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى
محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه • عن انس رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل
المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقانى فلم
يجعل معى الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذى وقال حديث
غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطيعى وليس بالقوى في
الحديث وقد تفرد به عن ثابت عن انس والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة القيمة مكية •

وهى اربعون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستماية واثنان وخمسون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
لا اقسم بيوم القيمة اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظ لا فقيل
ادخال لفظة لا على القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم قال
امرؤ القيس •

• لا وابيك ابنة العامرى • لا يدعى القوم انى افر •

قالوا وفايدتها تاكيد القسم كقوله لا والله ما ذاك كما تقول تريد
والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقوله
لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها تزاد الا في وسط الكلام لا في
اوله واجيب عنه بان القران في حكم السورة الواحدة بعضه
متصل ببعض يدل عليه انه قد يجى ذكر الشى في سورة ويذكر جوابه في سورة
اخرى كقوله يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة
ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة
جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القران في حكم السورة
الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير
جايز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما زعموا
ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيمة واقسم بالنفس اللوامة وقيل
الوجه فيه ان يقال ان لا هى للنفى والمعنى في ذلك كانه لا اقسم بذلك

اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما له فيكون الغرض تعظيم المقسم به
وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشيا على اثبات هذا المطلوب
فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه • وروى البغوى في تفسير القيمة عن
المغيرة بن شعبة قال يقولون القيمة وقيامة احدهم موته وشهد
علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف
لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الايات في
ذلك وقوله ولا اقسم بالنفس اللوامة قيل هى التى تلوم على الخير
والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على ما
فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل • وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة
الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت
شرا تقول يا ليتنى لم افعل • وقال الحسن هى نفس المؤمن ما تراه
الا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت باكلى وان الكافر يمضى قدما
لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها • وقيل هى النفس الشريفة التى تلوم النفوس
العاصية يوم القيمة بسبب تركها التقوى • وقيل هى النفس الشريفة
التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هى النفس
الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيمة فتقول واحسرتا
على ما فرطت في جنب الله فان قلت اى مناسبة بين يوم القيمة
وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه
المناسبة انه في يوم القيمة تظهر احوال النفوس اللوامة من الشقاوة
او السعادة فلهذا احسن بينهما في القسم بالنفس اللوامة على معنى
التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة
الله تعالى • وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة
تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لا تقسم بها فان قلت
المقسم به هو يوم القيمة والمقسم عليه هو يوم القيمة فيصير حاصله
انه اقسم بيوم القيمة على وقوع القيمة وفيه اشكال قلت
ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا قسم بربها في الحقيقة فكانه قال
اقسم برب القيمة وقيل لله تعالى ان يقسم بما شا من خلقه وجواب
القسم هو محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى
ايحسب الانسان وقيل هو جواب القسم قوله بلى قادرين على ان نسوى
بنانه ومعنى ايحسب الانسان ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها
ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها
في اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اى لا يمكننا جمعها مرة اخرى فكيف
خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابدا قادر على

تها •

الاعادة نزلت هذه الاية في عدي بن ربيعة خلف بن زهرة وهو ختن
الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
اكفني جاري السوء عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف امرها
وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو
عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك او يجمع الله العظام
فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجمع
عظامه بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة • وقيل ذكر
العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفس ولا يستوي
الخلق الا باستوائها • وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر او يجمع
الله العظام **بلى قادرين** يعني على جمع عظامه وتاليفها واعادتها
الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك
وهو **على ان نسوي بنانه** يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه
شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض
والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها وقيل معناه
ظن الكافر انا لا نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على
صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على
جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب
الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه اخر ما يتم به الخلق
قوله تعالى **بل يريد الانسان ليفجر امامه** اي ليدوم على فجوره فيما
يستقبله من الزمان ما عاش ولا ينزع عن المعاصي ولا يتوب
قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب
سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على اسوأ احواله وشر اعماله وقيل هو
طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت
وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور
الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق **يسأل ايان يوم
القيمة** اي متى يكون يوم القيمة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال
متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى **فاذا برق البصر** اي
اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما راى من العجائب التي كان
يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل
برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق اي شق عينه وفتحها
من البريق وهو التلألؤ **وخسف القمر** اي اظلم وذهب ضوءه **وجمع
الشمس والقمر** يعني اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل جمع بينهما

في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى
يقول الانسان يعني الكافر المكذب **يومئذ اين المفر** اي المهرب وهو
موضع الفرار **كلا** اي لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله **لا وزر** اي لا حرز
ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجأوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم
لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت
اليه وتحصنت فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك •
الناس آلب علينا فيك ليس لنا • الا السيوف واطراف القنا وزر •
ومعنى الاية انه لا شيء يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم
القيمة يستندون اليه من النار **الى ربك يومئذ المستقر** يعني
مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو
بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة
او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء
ادخله النار بعدله **ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر** قال ابن
مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيئ وما اخر
بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها • وعن ابن عباس ايضا
بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله
واخر من حق الله فضيعه • وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله في اول
عمره واخره • وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله
لورثته **بل الانسان على نفسه بصيرة** اي بل الانسان على نفسه من
نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه
وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل
معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل
الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة **ولو القى
معاذيره** يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه
فانه قد شهد عليه شاهد من نفسه من يكذب عذره وقيل ان اهل
اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه
ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة
عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيمة فتشهد عليه جوارحه
بما عمل في الدنيا **قوله عز وجل** **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ق
عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل
به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان
مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير فقال ابن عباس انا احركهما كما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل

لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان نقراه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قراه النبي صلى الله عليه وسلم كما قراه وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه فكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الاية التي في لا اقسم بيوم القيمة لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال علينا ان نجمعه في صدرك وتقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لاتحرك به لسانك ان علينا جمعه اي نجمعه في صدرك وقرانه ان نقراه ومعنى الاية لاتحرك بالقران لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اي باخذه **ان علينا جمعه** اي جمعه في صدرك وحفظك اياه **وقرانه** اي وقراته عليك والمعنى سنقريك يا محمد بحيث تصير لا تنساه **فاذا قراناه فاتبع قرانه** اي لاتكن قراتك مقارنة لقراة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراة فخذ انت فيها وجعل قراة جبريل قراته لانه بامره نزل بالوحي ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله • وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لانه ليس هذا موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع امر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه **ثم ان علينا بيانه** اي نبينه بلسانك فتقراه كما اقراك جبريل وقيل اذا اشكل شي من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شي سال جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى **كلا** اي حقا **بل يحبون العاجلة ويذرون الاخرة** اي يختارون الدنيا على العقبى يعملون لها يخاطب كفار مكة **وجوه**

يوميذ

يوميذ يعني يوم القيمة **ناضرة** من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم • وقيل ناعمة • وقيل مسفرة مضية وقيل بيض يعلوها النور والبهاء • وقيل مشرقة بالنعيم **الى ربها ناظرة** قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه الاية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به • وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطا لان العرب لا تقول نظرت الى الشي بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطية •

• وقد نظرتكم ابنا صادرة • للورد طال بها حوزي وتنساسي •

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب هذا اخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تاويله • هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الروية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك ويكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا ابطل المعنيان لم يبق لبقا الروية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الاية بالروية وسنذكرها ان شا الله تعالى

فصل

في اثبات روية المومنين ربهم سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها في الاخرة وان المومنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون • وزعمت طوايف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجية ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطا صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تعالى وقد رواها نحو عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايات القران فيها مشهورة واعتراضات

ثم الاجماع قال علما اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى

المبتدعة لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك
باقي شبههم واجوبتها مستفاضة في كتب الكلام وليس هذا موضع
ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا
يشترط فيه اتصال ولا سعة ولا مقابلة المرئ ولا غير ذلك • واما
الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية فمنها ما روي عن ابن عمر رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة
منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة
الف عام واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب • وقال وقد روي عن ابن عمر
رضي الله عنه ولم يرفعه ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون
ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم
ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا
ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله
لا تضامون روي بفتح التا وتشديد الميم وقد تضم التا مع
التشديد ايضا ومعناه • لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت
النظر اليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه
بعضكم دون بعض • وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر
معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة
لا تشبيه المرئي بالمرئي • عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول
الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا
يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه
كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله
ان ناسا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها
سحاب قال الترمذي • وقد روي مثل هذا الحديث عن ابي
سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد
اخرجه البخاري ومسلم • ومعنى تضارون وتضامون واحد
عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه
مخليا به يوم القيمة قال نعم قلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا
رزين اليس كلكم راى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال

فانه

فانه اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه
ابو داود م عن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى
تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا
الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب
اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب
كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم • قوله عز وجل ووجوه
يومئذ باسرة اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت
الوانها وعدمت اثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليأس
من رحمة الله وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار تظن اي
تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين ان يفعل بها فاقرة اي
يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة
والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه قيل الفاقرة
دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى
كلا اي حقا اذا بلغت يعني النفس كنا بها عن غير مذكور التراقي
جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى
ببلوغ النفس التراقي الاشفاء على الموت ومنه قول دريد بن الصمة •
وكرب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي •
وقيل يعني من حضره من راق اي هل من طبيب يرقيه ويداويه
مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوايه وقيل
لما نزل قضا الله به من امر الله تعالى ما نزل التمسوا له الاطبا
فلم يغنوا عنه من قضا الله شيئا • وقيل هذا من قول الملايكة
الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه
اذا خرجت فيصعد بها ملايكة الرحمة او ملايكة العذاب وظن
اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي انه الفراق يعني الخروج من
الدنيا وفراق الاهل والمال والولد والتفت اي اجتمعت الساق
بالساق اي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا مع شدة
الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الاخرة وقيل تتابعت
عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه وقال
ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا
واول يوم من ايام الاخرة • وقيل يجهزون جسده والملايكة يجهزون
روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا في الكفن • وقيل هما ساقاه
عند الموت الا ترى كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند

التزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى الى
ربك يومئذ المساق اى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه
يوم القيمة ليفصل بينهم • قوله تعالى فلا صدق ولا صلى يعني ابا
جهل لم يصدق بالقران ولم يصل لله تعالى ولكن كذب وتولى اي
اعرض عن الايمان والتصديق ثم ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر
ويختال في مشيته • وقيل اصله يتمطط اى يتمدد من المطى اولى
لك فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة
موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو
دعا عليه بان يليه ما يكرهه • وقيل معناه انك احد بهذا
العذاب واحق واولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه
قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية
اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحا وقال له اولى لك فاولى ثم
اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني لاعز من مشى بين جبليها فلما
كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشد قتلة وكان نبي الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل نبي امة فرعونا وان فرعون هذه الامة
ابو جهل ايحسب الانسان ان يترك سدى اى هملا لا يؤمر ولا ينهى
ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الاخرة الم يك نطفة اى ماء
قليلا من مني يمنى اى يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من
شي قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة
اى صار الانسان علقة بعد النطفة فخلق فسوى اى فقدر خلقه
وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاه فجعل منه اى من الانسان
الزوجين اى الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اى خلق من ماء
اولادا ذكورا واناثا اليس ذلك اى الذى فعل ذلك هذا وانشا الاشيا
اول مرة بقادر على ان يحيى الموتى اى بقادر على اعادته بعد الموت عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
منكم والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين • فليقل
بلى وانا على ذلك من الشاهدين • ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى
الى اليس الله بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى • ومن قرا والمرسلات
فبلغ فباي حديث بعده يومنون فليقل امنا بالله اخرجه ابو داود
وله عن موسى بن ابي عايشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان
اذا قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسالوه
عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم •

• تفسير سورة هل اتى وتسمى الانسان ايضا مدنية •
قاله مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطا
ابن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع
منهم اثما او كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة • وقيل ان
المدني من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا
ومن هذه الاية الى اخرها مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون
اية ومايتا واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل هل اتى
اي قد اتى على الانسان يعني ادم عليه السلام حين من الدهر يعني
مدة اربعين سنة وهو من طين ملقى م عن انس رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله ادم في الجنة تركه ما
شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما راه اجوف
عرف انه خلق لا يتمالك • قوله يطيف به اى يدور حوله فلما راه
اجوف اى صاحب جوف • وقيل هو الذى داخله خال • وقوله عرف
انه خلق لا يتمالك اى لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات • وقيل
لا يملك دفع الشهوات عنه • وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ويروى
في تفسير الاية ان ادم بقي اربعين سنة طينا واربعين حما مسنونا
واربعين صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة لم يكن
شيا مذكورا اي لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به
وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيا ولم يكن شيا يذكر روي عن عمر
انه سمع رجلا يقرا هذه الاية لم يكن شيا مذكورا فقال عمر ليتها تمت
يعني ليته بقي على ما كان عليه • ويروى نحوه عن ابي بكر وابن مسعود
وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو ادم بدليل قوله انا
خلقنا الانسان فالانسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى
قوله حين من الدهر طايفة من الدهر غير مقدر لم يكن شيا مذكورا
يعني انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام ولم
يذكروا ابتنى انا خلقنا الانسان يعني ولد ادم من نطفة اى من مني الرجل
ومني المراة امشاج اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ما الرجل
وما المراة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فما الرجل ابيض غليظ
وما المراة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له فما كان من
عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ما المراة
وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضا ونطفة
المراة صفرا وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هي

العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت اي خلطت
بدم وهو دم الحيض فاذا احبلت المراة ارتفع حيضها دم الحيض وقيل
الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم تكسوه
لحما ثم ننشاه خلقا اخر • وقيل ان الله تعالى جعل النطفة اختلاطا
من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج **نبتليه**
اي لنختبره بالامر والنهي **فجعلناه سميعا بصيرا** قيل فيه تقديم وتاخير
تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام
الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلا
والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا وهما السمع والبصر
وهما كناية عن الفهم والتمييز وقيل المراد الحاستان المعروفتان وانما
خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها **انا هديناه السبيل** اي بينا
له سبيل الحق والهدى والباطل والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر
وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه
والمراد من هداية السبيل نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال
الكتب **اما شاكرا واما كفورا** اي موحدا طايعا لله واما مشركا
بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتميز شكر
الانسان من كفره وطاعته من معصيته • وقيل في معنى الاية اما
مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا • وقيل معناه الجزا يعني بينا له
الطريق ان شكر او كفر • وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا
معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور
الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر
واوعد الكافر فقال تعالى **انا اعتدنا** اي هيانا في جهنم **للكافرين**
سلاسل اي يشدون بها **واغلالا** اي في ايديهم تغل بها الى اعناقهم
وسعيرا يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب
والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى **ان الابرار**
يعني المؤمنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار
وبر واصله التوسع فمعنى البر التوسع في الطاعة **يشربون من كاس**
يعني فيه شراب **كان مزاجها كافورا** قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور
ويختم بالمسك **فان قلت** الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما
وجه مزج شرابهم **قلت** قال اهل المعاني اراد كالكافور في
بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس
هو اسم عين في الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه

العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم فيها
ضرر فيما ياكلون ويشربون • وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه
مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج
شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل **عينا** بدلا من الكافور
وقيل اعني عينا **يشرب بها** اي يشرب منها **عباد الله** قال ابن عباس
اولياء الله **يفجرونها تفجيرا** اي يقودونها الى حيث شاءوا من منازلهم
وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى **يوفون بالنذر** لما
وصف الله تعالى ثواب الابرار في الاخرة وصف اعمالهم في الدنيا التي
يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر
والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه
جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة
وغير ذلك من الواجبات • وقيل النذر في عرف الشرع واللغة ان
يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس هو واجب عليه وذلك بان يقول
لله علي كذا وكذا من صدقة او صلاة او صوم او حج او عمرة يعلق
ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضي او قدم
غايبي كان لله علي كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفا به **خ** عن عايشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصي الله فلا يف به
وفي رواية فليطعه ولا يعصيه • **وعنها** ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذي
وابو داود والنسائي **ق** عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على امه فتوفيت قبل ان
تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي الاية دليل على
وجوب الوفا بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى **ويخافون**
يوما كان شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه
في اهل السموات واهل الارض وفي اوليا الله واعدايه • وقيل فشى
شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكة
وكورت الشمس والقمر وفي الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر
كل شي على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خايفون
من شر ذلك اليوم وهوله وشدته • **قوله عز وجل** **ويطعمون الطعام**
على حبه اي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه
وصفهم الله تعالى بانهم يوثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون

به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اى لحب الله **مسكينا** يعنى فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب **ويتيما** اى صغيرا وهو الذى لا اب له يكتسب له وينفق عليه **واسيرا** قيل هو المسجون من اهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ اهل الشرك فعلى هذا يجوز اطعام الاسرا وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكوات والكفارات • وقيل الاسير المملوك • وقيل الاسير المراة لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النسا فانهن عندكم عوان يعنى اسرا • وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك • واختلفوا فى سبب نزول الاية فقيل نزلت فى رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاء مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقى له ولاهله رغيف واحد فنزلت فيه هذه الاية • وروى عن ابن عباس انها نزلت فى على ابن ابى طالب رضى الله عنه وذلك انه عمل ليهودى بشى من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلاثة واصلحوا منه شيا يأكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسال فاخرجوا ذلك الطعام اليه ثم عمل الثلث الثانى فلما فرغ اتى يتيم فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسال فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الاية • وقيل الاية عامة فى كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه **انما نطعمكم لوجه الله** اى لاجل وجه الله **لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة او لطلب الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله لان فيهما شرك وريا فنفوا ذلك عنهم بقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا **انا نخاف من ربنا يوما** يعنى انا احسنا نيتنا للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم **عبوسا** وصف اليوم بالعبوس مجاز كما يقال نهار صائم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة **قمطريرا** يعنى شديد الكرب يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذى

لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله فى البلا **فوقاهم الله شر ذلك اليوم** اى الذى يخافونه **ولقاهم نضرة** اى حسنا فى وجوههم **وسرورا** اى فى قلوبهم **وجزاهم بما صبروا** اى على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفا بالنذر والايثار **جنة وحريرا** اى ادخلهم الجنة والبسهم الحرير **متكئين فيها** اى فى الجنة **على الارائك** جمع اريكة وهى السرر فى الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** يعنى لا يوذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يوذيهم فى الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشرى قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه فى لغة طى وانشد

• وليلة ظلامها قد اعتكر • قطعتها والزمهرير ما زهر •

والمعنى ان الجنة ضيا فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر **ودانية عليهم ظلالها** اى قريبة منهم ظلال اشجارها **وذللت** اى سخرت وقربت **قطوفها** اى ثمارها **تذليلا** اى ياكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاوا وعلى اى حال ارادوا **ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب** قيل هى الكيزان التى لا عرى لها كالقدح ونحوه **كانت قواريرا قوارير من فضة** قال اهل التفسير اراد بياض الفضة فى صفا القوارير وهو الزجاج والمعنى ان آنية اهل الجنة من فضة بيضا فى صفا الزجاج يرى ما فى باطنها من ظاهرها قال الكلبى ان الله جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها • وقيل ان القوارير التى فى الدنيا من الرمل والقوارير التى فى الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج **قدروها تقديرا** اى قدروا الكوس على قدر ريهم وكفايتهم لا يزيد ولا ينقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم **ويسقون فيها** اى فى الجنة **كاسا كان مزاجها زنجبيلا** قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التى يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لساير اهل الجنة • وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل فى شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللدع قال الاعشى

• كان القرنفل والزنجبيل باتا • بفيها واريا مشارا •

الارى العسل والمشار المستخرج من بيوت النحل • وقال المسيب فى معناه فكان طعم الزنجبيل به اذا ذقته وسلافة الخمر فلما كانت

هم

الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة
بذلك وقيل ان شراب اهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل
وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القران مما في
الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا
يشبه زنجبيل الدنيا **عينا فيها تسمى سلسبيلا** اى سلسلة
منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل
سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من
اصل العرش من جنة عدن الى ساير الجنان • وقيل سميت
بذلك لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى
اى توصف لان اكثر العلما على ان سلسبيل صفة لا اسم **ويطوف
عليهم ولدان مخلدون** اى في الخدمة وقيل مخلدون مسورون
ويقرطون **اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** يعني في بياض اللولؤ
الرطب وحسنه وصفا به واللولؤ اذا نثر على البساط كان احسن
منه منظوما • وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة
قوله تعالى **واذا رايت** قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل لكل احد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رايت ببصرك ونظرت
به **ثم** يعني الى الجنة **رايت نعيما** اى لا يوصف عظمه **وملكا كبيرا**
قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه • وقيل هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استيذان الملائكة
عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انقضا **عاليهم** اى فوقهم **ثياب
سندس خضر** وهو ما رق من الديباج **واستبرق** وهو ما غلظ منه
وكلاهما داخل في اسم الحرير **وحلوا اساور من فضة وسقاهم
ربهم شرابا طهورا** يعني طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه
الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه
يستحيل رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يوتون الطعام
ثم من بعده يوتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم
ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر
وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل شهوتهم الشراب الطهور هو عين
ما على باب الجنة من شرب منه نزع الله تعالى ما كان في قلبه
من غل وحسد وغش **ان هذا كان لكم جزا** اى يقال لاهل الجنة بعد
دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزا قد اعده الله
لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم • وقيل هو اخبار من الله تعالى للعباد

المؤمنين انه قد اعده الله لهم في الاخرة **وكان سعيكم مشكورا** اي
شكرتكم عليه واثبتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده
هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاه اياهم الكثير من
الخيرات **قوله عز وجل** **انا نحن نزلنا عليك** يا محمد **القران
تنزيلا** قال ابن عباس متفرقا اية بعد اية ولم ينزله جملة واحدة
والمعنى انزلنا عليك القران متفرقا فان الحكمة بالغة تقتضي
تخصيص كل شي بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله اليه
وحي منه ليس بكهانة ولا سحر ليزول تلك الوحشة التي حصلت
له من قول الكافر انه سحر او كهانة **فاصبر لحكم ربك** اى القضاء
من حكمة محضة • وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن في
القتال • وقيل هو عام في جميع التكاليف اى فاصبر في كل ما حكم
الله تعالى به سوا كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او
عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق
وغير ذلك **ولا تطع منهم اثما او كفورا** يعني وكفورا وقيل اراد به
ابا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
نهاه ابو جهل عنها فقال ان رايت محمدا يصلي لاطان عنقه وقيل اراد
بالاثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النسا والمال
فارجع عن هذا الامر • وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك
بغير مهر • وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن
هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الاية **فان قلت** ما من
فرق بين الاثم والكفور **قلت** ثم الاثم هو المقدم على المعاصي
اى معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور اثم ولا ينعكس
لان من عبد الله غيره فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما
عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه **واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا** قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني
صلاة الصبح واصيلا صلاة الظهر والعصر **ومن الليل فاسجد له**
يعني صلاة المغرب والعشا فعلى هذا يكون هذه الاية جامعة
لمواقيت الصلوات الخمس **وسبحه ليلا طويلا** يعني صلاة التطوع
بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الاية هو الذكر
باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع اوقات الليل
والنهار بقلبه ولسانه قوله تعالى **ان هؤلاء** يعني كفار مكة **يحبون**

العاجلة يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ويذرون وراءهم يعني
اماهم يوما ثقيلا يعني شديدا او هو يوم القيمة والمعنى انهم
يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له نحن خلقناهم وشددنا
اي قوينا واحكمنا اسرهم اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها
الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط
وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضتا واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم
بدلا منهم ان هذه اي السورة تذكرة اي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ
اي لنفسه في الدنيا الى ربه سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب
اليه وهذه مما يتمسك به القدرية ويقولون اتخاذ السبيل هو
عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيته
قال اهل السنة ويرد عليهم قوله في سياق الاية وهو قوله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله اي لستم تشاؤن الا بمشية الله تعالى
لان الامر اليه ومشية الله مستلزمة بفعل العبد فجميع ما يصدر
عن العبد بمشية الله تعالى ان الله كان عليما اي باحوال خلقه
وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء
في رحمته اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان
ذلك من الله تعالى وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق والظالمين
يعني المشركين اعد لهم عذابا اليما والله سبحانه وتعالى اعلم

• تفسير سورة المرسلات مكية •

وهي خمسون اية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اعلم ان المفسرين
ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان المراد باسرها
الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف
الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح
الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل
هي الرياح التي ارسلها نشرا بين يدي رحمته • وقيل هي الرياح
التي تنشر السحاب وتاتي بالمطر • فالفارقات فرقا يعني الرياح
التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح
اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار
وغيرت الاثار فيحصل بذلك خوف في قلوب العباد فيلجاؤا

الى الله تعالى ويذكروه فصارت تلك الرياح كانها هي القت الذكر
والمعرفة في القلوب عند حدوث هبوبها • الوجه الثاني
ان المراد باسرها الملائكة الذين ارسلهم الله والمعنى والمرسلات
عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه
وهذا القول رواية عن ابن مسعود • فالعاصفات عصفا يعني
الملائكة تعصف في طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح في السرعة
والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم
وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة
فالفارقات فرقا • قاله ابن عباس يعني الملائكة تاتي بما يفرق
بين الحق والباطل • فالملقيات ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر
الى الانبياء • وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر هو القران خاصة
فعلى هذا يكون الملقي هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع
على سبيل التعظيم • الوجه الثالث ان المراد باسرها ايات
القران والمعنى والمرسلات عرفا ايات القران المتتابعة في
النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير • فالعاصفات
عصفا يعني ايات القران تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى
يجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر • والناشرات نشرا يعني
ان ايات القران نشرت انوار الهداية والمعرفة في قلوب المومنين
فالفارقات فرقا يعني ان ايات القران تفرق بين الحق والباطل
فالملقيات ذكرا يعني ان ايات القران هي الذكر الحكيم التي يلقي
الايمان والنور في قلوب المومنين • الوجه الرابع انه ليس
المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا بعينه فعلى هذا
يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا الملائكة • فان قلت وما المجانسة
بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلت الملائكة
روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح
فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم في القسم
عذرا او نذرا اي للاعذار والانذار • وقيل عذرا من الله او نذرا
منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى انما
توعدون اي من امر الساعة ومجيئها لواقع اي لكائن نازل
لا محالة وقيل معناه انما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم
ذكر متى يقع فقال تعالى فاذا النجوم طمست اي محي نورها وقيل

وقيل محقت واذا السما فرجت اي شقت وقيل فتحت واذا الجبال
نسفت اى قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت وقرى وقتت
بالواو ومعناهما واحد اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيمة
ليشهدوا على الامم لاى يوم اجلت اي اخرت وضرب الاجل لجمعهم
كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت
الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من امن بهم
ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى ليوم الفصل قال ابن عباس يوم
يفصل الرحمن فيه بين الخلايق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا
فقال تعالى وما ادراك ما يوم الفصل يعني وما اعلمك بيوم
الفصل وهوله وشدته ويل يومئذ للمكذبين اى بالتوحيد
والنبوة والمعاد والبعث والحساب قوله تعالى الم نهلك
الاولين يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا
رسلهم ثم نتبعهم الاخرين يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذ
وهم كفار قريش اى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم
كذلك نفعل بالمجرمين اى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين
ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين يعني النطفة
فجعلناه في قرار مكين يعني الرحم الى قدر معلوم اى وقت الولادة
وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا قرى بالتشديد
من التقدير اى قدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون اى المقدرون
له وقرى بالتخفيف من القدرة اى قدرنا على خلقه وتصويره كيف
شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن صورة وهيئة
ويل يومئذ للمكذبين اى المنكرين للبعث لان القادر على الابتدا
قادر على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا يعني وعاء واصله الضم
والجمع احياء وامواتا يعني تكفتهم على ظهرها يعني تضمهم في
دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها في قبورهم ولهذا
تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها وجعلنا فيها اى في الارض
رواسى شامخات يعني جبالا عاليات واسقيناكم ماء فراتا يعني عذبا
ويل يومئذ للمكذبين يعني ان هذا اكله اعجب من البعث والقادر عليه
قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
يعني يقال يوم القيمة للمكذبين في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
وهو العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب يعني
دخان جهنم اذا سطع وارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق وكذلك شان
الدخان العظيم يقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اوليا

الله

الله في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على
روسهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم لا ظليل اى ذلك الظل لا يظل من حر
ولا يغني من اللهب اى لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا
بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب انها يعني جهنم ترمي بشرر كالقصر
جمع شررة وهي ما تطاير من النار كالقصر اى كالبنا العظيم ونحوه وقيل
هي اصول الشجر والنخل واحدتها قصرة • وسيل ابن عباس عن قوله
ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة
فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتا وكنا نسميها
القصر كانه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن
يجمع بعضها الى بعض حتى يكون كاوساط الرجال صفر جمع اصفر يعني
ان لون تلك الشرر اصفر وانشد لبعضهم •
دعتهم باعلا صوتها ورمتهم • بمثل الجمال الصفر نزاعة للشوى •
وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جا في الحديث ان شرر نار جهنم اسود
كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شي من الصفرة
وقيل هي قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرار يرتفع كانه مجموع غليظا اصفر
ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون يعني بحجة تنفعهم
وقيل هذا في بعض مواطن القيمة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون
وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ولا يوذن
لهم فيعتذرون عطف على يوذن واختير ذلك لان روس الايات بالنون
فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق الفواصل
كما تستحب وفاق القوافي والقران نزل على ما تستحب العرب من موافقة
المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار • قال الجنيد اى عذر لمن اعرض
عن منعمه وكفر اياديه ونعمه • فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن
قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم
الانذار والاعذار في الدنيا فلم يبق لهم عذر في الاخرة ولكن ربما تخيلوا
خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يوذن لهم في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ
للمكذبين يعني انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال
السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين اهل الجنة واهل النار
وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات جمعناكم والاولين
يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان
كان لكم كيد فكيدون اى ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا
وهم يعلمون ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع

فلهذا عقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى ان المتقين اى الذين
اتقوا الشرك فى ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اى ان فى ظلهم عيون
ماء وفواكه مما يشتهون اى يتلذذون بها كلوا واشربوا اى ويقال لهم
كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى لا بواسطة
وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام هنيا
اى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اى فى الدنيا من الطاعات
انا كذلك نجزى المحسنين قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من
النعم العظيمة لتعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا
بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله ويل يومئذ
للمكذبين قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا اى يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا
فى الدنيا قليلا الى منتهى اجالكم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ امرا
الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اى مشركون بالله
مستحقون للعقاب لاجرم اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون اى اذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون
نعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما
يقال لهم هذا يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
ويل يومئذ للمكذبين فباى حديث بعده يؤمنون اى بعد القران
يومنون اى اذا لم يومنوا به فباى شى يؤمنون والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة النبا العظيم وتسمى سورة عم والتساءل

مكية وهى اربعون اية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وتسع مائة وتسعون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
عم اصله عن ما يتساءلون اى شى يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام
ومعناه التفخيم كقولك اى شى زايد اذا اعظمت شانه وذلك ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت
وتلا عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عن ماذا التساؤل فقال تعالى عن النبا
العظيم اى عن الخبر العظيم الشان قال الاكثر هو القران وقيل هو البعث
وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به الذى هم فيه مختلفون
فمن فسر النبا العظيم بالقران قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر او شعر
او كهانة ونحو ذلك مما قالوه فى القران ومن فسر النبا العظيم بالبعث
قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المومنون ومن مكذب به وهم
الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه
كاختلافهم فى القران كلا هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى

ليس

ليس الامر كما قالوا سيعلمون اى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر
يعنى فى القيامة ثم كلا سيعلمون وعيد على اثر وعيد وقيل معناه
كلا سيعلمون يعنى المومنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكروا اشيا
من عجايب صنايعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا انه قادر
على ايجاد العالم وفنايه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب
والثواب والعقاب فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اى فراشا
وبساطا لتستقر عليها الاقدام والجبال اوتادا يعنى للارض حتى
لا تميد وخلقناكم ازواجا يعنى اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا نومكم
سباتا اى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود
منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل
السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال
وجعلنا الليل لباسا اى غطاء وغشاء يستر كل شى بظلمته ولهذا
يسمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان
يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك وجعلنا
النهار معاشا اى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح • وقال ابن
عباس يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا فوقكم
سبعا شدادا يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق
ولا فطور على ممر الازمان الى ان ياتى امر الله تعالى وجعلنا سراجا
وهاجا يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل
جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة وانزلنا
من المعصرات يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن
عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من
بمعنى البا اى وانزلنا بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر
وقيل هى السحاب وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس قيل المعصر السحابة
التى تتحلب بالمطر ولا تمطر • وقيل المعصرات المغيثات والعاصر
هو المغيث • وقيل المعصرات السموات وذلك ان المطر ينزل من
السما الى السحاب ماء ثجاجا اى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه
بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية
وصب دما الهدى لنخرج به اى بذلك الماء حبا يعنى ما ياكله الناس
كالحنطة ونحوها ونباتا اى ما ينبت فى الارض من الحشيش مما ياكل
الانعام وجنات الفافا اى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فذلك
على البعث بذكر ابتدا الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى ان يوم الفصل
اى الحساب كان ميقاتا اى لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل

ميقاتا يجتمع فيه الخلايق ليقضي بينهم يوم ينفخ في الصور يعني النفخة
الاخيرة فتاتون افواجا يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب وفتحت
السما فكانت ابوابا يعني فكانت ذوات ابواب لنزول الملايكة وقيل
تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق وسيرت الجبال اي عن وجه
الارض فكانت سرابا اي هبا منبثا كالسراب في عين الناظر ان جهنم
كانت مرصادا اي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع
النار وروي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسال
العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز
الى الثاني فيسال عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث
فيسال عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم
فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسال عن الحج فان جاء به تاما جاز
الى السادس فيسال عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع
فيسال عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع
اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة • وقيل كانت مرصادا اي
معدة لهم • وقيل هو من رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمرصاد
المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار
اي تنتظرهم للطاغين اي الكافرين مآبا اي مرجعا يرجعون اليها
لابثين اي في جهنم فيها احقابا جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة
اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن علي
ابن ابي طالب • وقيل الحقب الواحد سبعة عشر الف سنة فان قلت
الحقب وان طالت فهي متناهية وعذاب الكافر في جهنم غير متناه
فما معنى قوله احقابا • قلت ذكروا فيه وجوها احدها ما روي
عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين
فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر الى الابد
فليس للاحقاب عدة الا الخلود • وروي عن عبد الله بن مسعود
قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا
ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا
الوجه الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد
متناهي والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها اي في تلك
الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب
الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها • الوجه الثالث ان الاية
منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع ٥
والخلود قد حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل

بردا

بردا اي روحا وراحة • وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ولا شرابا اي يغنيهم
من عطش الا حميما وغساقا اي لكن يشربون حميما • قيل هو الصفر
المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس
الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار جزاء
وفاقا اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب
فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار انهم كانوا لا يرجون
حسابا اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يومنون بالبعث
ولا بانهم يحاسبون وكذبوا باياتنا اي التي جاءت بها الانبيا وقيل
كذبوا بدلايل التوحيد والنبوة والبعث والحساب كذابا اي
تكذيبا • قال الفرا هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر
التفعيل فعال قال وقد سالني اعرابي منهم يستفتيني الحلق احب
اليك ام القصار يريد التقصير وكل شي اي من الاعمال احصيناه
اي بيناه واثبتناه كتابا اي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل
معناه وكل شي علمناه لا يزول ولا يتغير ولا يبدل والمعنى انا عالم
بجميع ما فعلوه من خير او شر وانا اجزيهم على قدر افعالهم جزاء
وفاقا فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قيل هذه
الاية اشد اية في القران على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من
العذاب اغيثوا باشد منه • قوله تعالى ان للمتقين مفازا
اي فوزا ونجاة من العذاب • وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة
ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب
وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال حدايق جمع حديقة
وهي البستان المحوط فيه نخل واعنابا يدل على تعظيم ذلك العنب
وكواعب جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن اترابا
يعني مستويات في السن وكاسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة
مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية لا يسمعون فيها اي في الجنة
وقيل في حالة شربهم لغوا يعني باطلا من الكلام ولا كذابا اي تكذيبا
والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به جزاء من ربك
عطاء حسابا اي جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اي كافيا
وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا • وقيل جزاء بقدر اعمالهم رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا اي لا يقدر الخلق ان
يكلموا الرب الا باذنه وقيل لا يملكون شفاعة الا باذنه يوم اي في ذلك
اليوم يقوم الروح والملايكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام وقال
ابن عباس الروح ملك من الملايكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه

فاذا كان يوم القيمة قام وحده صفا وقامت الملايكة كلهم صفا
واحدا فيكون من عظيم خلقه مثلهم • وقال ابن مسعود الروح
ملك اعظم من السموات والارض والجبال وهو في السما الرابعة
يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا
يجي يوم القيمة صفا وحده • وقيل الروح خلق على صورة بني ادم
وليسوا بناس يقومون صفا والملايكة صفا هولا جند وهولاء
جند • وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني ادم وما ينزل
من السما ملك الا ومعه واحد منهم • وعنه انهم بنو ادم يقومون
صفا والملايكة صفا فيقومون سماطان سماط من الروح
وسماط من الملايكة **لا يتكلمون** يعني الخلق كلهم اجلالا لهيبة
الله عز وجل وهول ذلك اليوم **الا من اذن له الرحمن** اي في
الكلام **وقال صوابا** اي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله
الا الله وقيل الاستثنا يرجع الى الروح والملايكة ومعنى الاية
لا يشفعون الا في شخص اذن الرحمن في الشفاعة له وذلك
الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ۵
ذلك اليوم الحق اي الكاين الواقع لا محالة وهو يوم القيمة **فمن
شا اتخذ الى ربه مابا** اي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما
يتقرب به اليه **انا انذرناكم** اي خوفناكم في الدنيا **عذابا قريبا**
اي في الاخرة وكل ما هو آت قريب **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه**
اي من خير او شر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيمة **ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا** قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم
القيمة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحش
ثم يحصل القصاص بين البهايم حتى يقتص للشاة الجما من
الشاة القرنا نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا
فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا • وقيل يقول الله
عز وجل للبهايم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني ادم
وكنتم مطيعين فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا راي
الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا والدنيا في صورة بعض
البهايم وكنت اليوم ترابا • وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر
اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار • وقيل لساير الامم
سوى الناس ومومني الجن عودوا ترابا فحينيذ يقول الكافر يا
ليتني كنت ترابا • وقيل معناه ان الكافر اذا راى ما انعم الله به على
المومن من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في

طاعة الله في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا
ابليس وذلك انه عاب ادم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه
خلق من نار فقال يا ليتني كنت ترابا • قال ابو هريرة رضي الله
عنه يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي والله اعلم

• تفسير سورة النازعات مكية •

وهي ست وقيل خمس واربعون اية وماية وتسعون كلمة وسبعماية
وثلاثة وخمسون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسا
بحات
سبحا فالسابقات سبقا اختلفت عبارات المفسرين في هذه
الكلمات هل هي صفات لشي واحد ام لاشيا مختلفة على الوجه
واتفقوا على ان المراد بقوله **فالمدبرات امرا** وصفا لشي واحد
وهم الملايكة • الوجه الاول في قوله تعالى والنازعات غرقا
يعني الملايكة تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسامهم كما يغرق
النازع من القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اي
والنازعات اغراقا • وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه
ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف
المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الما • والناشطات نشطا
الملايكة تنشط نفس المومن اي تحلها حلا رفيقا فتقبضها كما
ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع من بنفس الكافر
والنشط بنفس المومن لان بينهما فرق فالنزع جذب بشدة ۵
فالنزع ٢
والنشط جذب برفق • والسابحات سبحا يعني الملايكة يقبضون
ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى يستريح
ثم يستخرجها كالسابح في الما يتحرك فيه برفق ولطافة • وقيل
هم الملايكة ينزلون من السما مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع
في جريه يقال له سابح • فالسابقات سبقا يعني الملايكة
سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح • وقيل هم الملايكة تسبق
بارواح المومنين الى الجنة • الوجه الثاني في قوله والنازعات
غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج
والناشطات نشطا قال ابن عباس رضي الله عنهما هي نفوس
المومنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك
لانه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل ان يموت • وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه هي ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار
حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم • والسابحات سبحا يعني

ارواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت • فالسابقات سبقا يعني استباقها
الى الحضرة القدسية • الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات
غرقا يعني النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب • والسابحات سبحا
يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك • فالسابقات سبقا
يعني النجوم تسوق بعضها بعضا في السير • الوجه الرابع في قوله
تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع من اعنتها وتغرق في
عرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي
السابحات في جريها وهي السابقات سبقا فاستباقها الى الغاية
الوجه الخامس في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني الغزاة حين
تنزع في قسيها في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني
الخيل والابل حين يخرجون بها اصحابها الى الغزو • الوجه السادس
ليس المراد بهذه الكلمات شيا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك
الموت ينزع النفوس غرقا حين يبلغ بها الغاية • والناشطات نشطا
يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب • والسابحات سبحا
يعني السفن • والسابقات سبقا يعني سابقة نفس المؤمنين
الى الخيرات والطاعات • اما قوله فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم
الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها • وقال عبد الرحمن
ابن سابط يدبر الامر من الدنيا اربعة جبريل واسرافيل وميكائيل وملك
الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود • واما
ميكائيل فموكل بالقطر والنبات • واما ملك الموت فموكل بقبض
الانفس • واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذه
اقسام الله بهذه الاشيا لشرفها ولله ان يقسم بما يشا من خلقه او
يكون التقدير ورب هذه الاشيا وجواب القسم محذوف على تقدير
لتبعثن ولتحاسبن • وقيل جوابه ان ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو
قوله قلوب يومئذ واجفة **يوم ترجف الراجفة** يعني النفخة الاولى
يتزلزل ويتحرك بها كل شي ويموت منها جميع الخلق **تتبعها الرادفة**
يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة
هما صيحتان فالاولى تميت كل شي والاخرى تحيي كل شي باذن الله عز
وجل • وقيل الراجفة القيمة والرادفة البعث يوم القيمة روى البغوي
بسند الثعلبي عن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه **قوله عز وجل** **قلوب يومئذ**
واجفة اي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زايلة عن اماكنها

ابصارها

ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها
الكفار بدليل قوله تعالى **يقولون** يعني المنكرين للبعث اذا قيل
لهم انكم مبعوثون بعد الموت **اينا لمردودون في الحافرة** يعني
نرد الى اول الحال وابتدا الامر فنصير احيا بعد الموت كما كنا اول
مرة والعرب تقول رجع فلان الى حافرته اي رجع من حيث جا
والحافرة عندهم لابتدا الشي اول • وقيل يقال رجع فلان في حافرته
اي في طريقه الذي جا فيها بحفر مشيه فحصل باثر قدميه حفر فهي
محفورة في الحقيقة • وقيل الحافرة الارض التي يحفر فيها قبورهم
سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى اينا لمردودون
من الحافرة الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة
النار **ءاذا كنا عظاما نخرة** اي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل
الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر اي تصوت **قالوا** يعني
المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيامة **تلك اذا كرة خاسرة**
اي راجعة غابنة يعني ان ردنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا
بعد الموت **فانما هي** يعني النفخة الاخيرة **زجرة واحدة** اي صيحة
واحدة يجمعونها جميعا **فاذا هم بالساهرة** يعني وجه الارض
سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطي
عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا
الصيحة صاروا على وجهها • وقيل هي ارض الشام وقيل ارض القيمة
وقيل هي ارض جهنم **قوله عز وجل** **هل اتاك حديث موسى**
يعني قد اتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم
شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه السلام وانه
كان يتحمل المشاق من قومه لينتاسى به **اذ ناداه ربه بالواد المقدس**
اي المطهر **طوى** هو اسم واد بالشام عند الطور **اذهب الى فرعون انه**
طغى اي علا وتكبر وكفر بالله **فقل هل لك الى ان تزكى** اي تتطهر من
الشرك والكفر وقيل معناه تصلح وتسلم العمل وقال ابن عباس تشهد
ان لا اله الا الله **واهديك الى ربك** اي ادعوك الى عبادته وتوحيده
فتخشى اي عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كان دعوة موسى شاملة
لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه
فاراه اي موسى لفرعون **الاية الكبرى** يعني اليد البيضا والعصى **فكذب**
يعني فرعون بانها من الله **وعصى** اي تمرد واظهر التجبر **ثم ادبر** اي اعرض
عن الايمان **يسعى** بعمل الفساد في الارض **فحشر** اي فجمع قومه وجنوده
فنادى اي لما اجتمعوا **فقال** يعني فرعون لقومه **انا ربكم الاعلى** اي

لارب لكم غيري وقيل اراد ان الاصنام ارباب وصورتها ورّبهم **فاخذه الله نكال الاخرة والاولى** اى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه في الدنيا ويدخله النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري • وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة **ان في ذلك** اى في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصي **لعبرة** اى عظة **لمن يخشى** اى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكري البعث فقال تعالى **ءانتم اشد خلقا ام السما بناها** معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما عندكم في تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السما مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ذكر كيفية السما والارض فقال تعالى **رفع سمكها** يعني علوسمتها وقيل رفعها بغير عمد **فسواها** اى اتقن بناها فليس فيها شقوق ولا فطور **واغطش** اى اظلم **ليلها** والغطش الظلمة **واخرج** اي واظهر وابرز **ضحاها** اى نهارها وانما عبر بالنهار في النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السما لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها في السما بدليل قوله بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السما ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى **والارض بعد ذلك دحاها** اى بسطها ومدها قال امية ابن الصلت •

دحيت البلاد فسويتها • وانت على طيها قادر •

فان قلت ظاهر الاية ان الارض خلقت بعد السما فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما **قلت** خلق الله الارض اولا ثم سمك السما ثانيا ثم دحى الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الايتين وزال الاشكال • قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السما ثم استوى الى السما فسواها سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك **اخرج منها ماءها ومرعاها** اى فجرت الارض عيونها ومرعاها اى رعيها وهو ما ياكله الناس والانعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز **والجبال ارساها** اي اثبتها **متاعا لكم ولانعامكم** اى الذي اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم قوله تعالى **فاذا جاءت الطامة الكبرى** يعني النفخة التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتعلوا عليه والطامة عند العرب

الداهية

الداهية التي لا تستطاع **يوم يتذكر الانسان ما سعى** اى ما عمل في الدنيا من خير او شر **وبرزت الجحيم لمن يرى** يعني انه يكشف عنها الغطا فينظر اليها الخلق **فاما من طغى** اي كفر **واثر الحياة الدنيا** اى على الاخرة **فان الجحيم هي الماوى** اى لمن هذه صفته **واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى** اى المحارم التي يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله فيمتنع **فان الجنة هي الماوى** اى لمن هذه صفته **قوله عز وجل يسالونك** اي يا محمد **عن الساعة ايان مرساها** اى متى ظهورها وقيامها **فيم انت من ذكراها** اى لست في شي علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر قيامها ووقتها **الى ربك منتهاها** اى منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسوالهم اى فيم هذا السوال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اى من علاماتها لانك اخر الرسل وخاتم الانبيا فكفا هم ذلك دليلا على وجوب الاستعداد لها **انما انت منذر من يخشاها** اى انما ينفع انذارك من يخافها **كانهم** يعني الكفار **يوم يرونها** اي يعاينوا يوم القيمة **لم يلبثوا** اى في الدنيا وقيل في قبورهم **الا عشية او ضحاها** **فان قلت** العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها **قلت** قيل ان الها والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى • وقيل اضافه الى يوم كانه قال الا عشية او ضحى يومها والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

تفسير سورة الاعمى •

وهي مكية وهي احدى واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله عز وجل **عبس وتولى** اى اعرض بوجهه **ان جاءه الاعمى** يعني ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زايدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لوى واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مناجي عتبة بن ربيعة واباجهل بن هشام والعباس ابن عبد المطلب وابي بن خلف واخاه امية بن خلف وهو يدعوهم الى الله يرجوا اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هولاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين

كان يكلمهم فانزل الله هذه الايات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا راه ويقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشر مرة في غزواته وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال رايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء ٥ عن عايشة رضي الله عنها قالت انزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظما قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخرين ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **وما يدريك** اى شى يجعلك داريا **لعله يزكى** اى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك **او يذكر** اى يتعظ **فتنفعه الذكرى** اى الموعظة **اما من استغنى** قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بما له من المال **فانت له تصدى** اى تتعرض له وتقبل عليه وتصغي الى كلامه **وما عليك الا يزكى** اى لا يومن ولا يهتدي وانما عليك البلاغ **واما من جاك يسعى** يمشي يعني ابن ام مكتوم **وهو يخشى** الله عز وجل **فانت عنه تلهى** اى تتشاغل وتعرض عنه **كلا** اى لا تفعل بعدها مثلها **انها** يعني الموعظة وقيل ايات القران **تذكرة** اى موعظة الخلق **فمن شا** اى من عباد الله **ذكره** اى اتعظ به يعني القران في اللوح المحفوظ ثم ذكر جلالة القران ومحله عنده فقال عز وجل **في صحف مكرمة** يعني القران في اللوح المحفوظ **مرفوعة** اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السما **مطهرة** يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملايكة **بايدى سفرة** قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني كتبة وهم الملايكة الكرام الكاتبين واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر ٥ وقيل هم الرسل من الملايكة الى الانبيا واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله **كرام** اى هم كرام على الله **بررة** اى مطيعين له جمع بار قوله تعالى **قتل الانسان** اى لعن الكافر وطرد **ما اكفره** اى ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره وقيل معناه اى شى حمله على الكفر نزلت هذه الاية في عتبة بن ابى لهب وقيل في امية بن خلف ٥ وقيل في الذين قتلوا يوم بدر ٥ وقيل الاية عامة في كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغي ان يعلم ان الله تعالى خالقه فقال تعالى **من اى شى خلقه** لفظة استفهام ومعناه التقرير ثم فسر

ذلك بقوله تعالى **من نطفة خلقه فقدره** يعني خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخر خلقه وقيل قدره يعني خلق راسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده **ثم السبيل يسره** اى سهل له طريق خروجه من بطن امه ٥ وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل ليس على احد ما خلق له وقدر عليه **ثم اماته فاقبره** اى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور واقبره معناه ستره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني ادم على ساير الحيوانات ثم قال تعالى **ثم اذا شا انشره** اى احياه بعد موته للبعث والحساب لان وقت البعث غير معلوم لاحد وهو الى مشية الله فمتى شا ان يحيي الخلق احيا ثم **كلا** ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب **لما يقض ما امره** اى لم يفعل ما امره به ربه ولم يود ما فرض الله تعالى عليه ولما ذكر خلق ادم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى **فلينظر الانسان الى طعامه** اى الى قدرة ربه وما دبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى **انا صببنا الما صبا** يعني المطر **ثم شققنا الارض شقا** اى بالنبات **فانبتنا فيها** اى بذلك الما **حبا** يعني الحبوب التي يتغذى بها الانسان **وعنبا** يعني انه غذا من وجه وفاكهة من وجه فلهذا انعم الحب **وقضبا** يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لانه يقتضب اى يقطع في كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذي يعلف به الدواب **وزيتونا** وهو ما يعصر منه الزيت **ونخلا وحدايق** جمع حديقة **غلبا** يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه في بعض وقال ابن عباس طوالا **وفاكهة** يعني جميع الوان الفاكهة **وابا** يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما ياكله الدواب ٥ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما انبتت الارض مما ياكل الناس والانعام ٥ روى ابراهيم التيمي ان ابا بكر رضي الله عنه سيل عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اى سما تظلني واى ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم خ عن انس ان عمر رضي الله عنهما قرا وفاكهة وابا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا لفظ البخاري ٢ قال ثم اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب **متاعا لكم ولانعامكم** يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ولانعامكم ثم ذكر اهوال القيمة فقال تعالى **فاذا جات الصاخة** يعني صيحة القيمة سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اى تبالغ في اسماعهم

حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اى انه لا يلتفت الى واحد من هولا لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب فى ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتنى بمالك والابوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنين يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل من يفر هابيل من اخيه قابيل والنبى صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام من ابيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المرء المومن من موالاة هولا ونصرتهم والمعنى ان هولا الذين كانوا يفربون بهم فى الدنيا ويتفقون بهم ويتعززون فانه يفر منهم فى الدار الاخرة وفايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهم اشد من تعلقه بالابوين لكل امرى منهم يومئذ شان يغنيه اى يشغله شان نفسه عن شان غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرى منهم يومئذ شان يغنيه اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح حسن ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واحوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعدا والاشقيا فوصف السعدا بقوله وجوه يومئذ مسفرة اى مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضا وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضو وقيل من الغبار فى سبيل الله ضاحكة اى عند الفراغ من الحساب مستبشرة اى بالسرور وفرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقيا فقال ووجوه يومئذ عليها غبرة اى سواد وكابة للهم الذى نزل بهم ترهقها قترة اى يعلوها ويغشاها ظلمة وكسوف • وقال ابن عباس رضى الله عنهما يغشاها ذلة والفرق بين القترة والغبرة ان الغبرة ما كان اسفل فى الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسما اوليك الذين صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة التكوير مكية •

وهى تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسماية وثلاثون حرفا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيمة كانه راى العين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت واذا السما انشقت اخرجه الترمذى •

بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن عباس رضى الله عنهما اظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشى الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها • قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا اخ عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكونان يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاهما فى النار يكون سببا لازديا الحر فى جهنم واذا النجوم انكدرت اى تناثرت من السما وسقطت على الارض قال الكلبى وعطا تمطر السحاب السما يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال سيرت اى على وجه الارض فطرت فصارت هبا منثورا واذا العشار عطلت يعنى النوق الحوامل التى اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشرا ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهى انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راعى اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيمة واذا الوحوش يعنى دواب البر حشرت اى جمعت يوم القيامة ليقتص بعضها من بعض • وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شى موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيمة واذا البحار سجرت قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل تجرى بعضها فى بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا • وقيل صارت مياهها من حميم الابل لاهل النار • وقيل سجرت اى يبست وذهب ماوها فلم يبق فيها قطرة • قال ابى بن كعب ست ايات وقيل يوم القيمة بين الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضو الشمس فبينا هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض بينها كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الجن والانس واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن والانس نحن ناتيكم بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هى نار تاجج فبينا هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السما السابعة العليا اذ جاءتهم ريح فاماتتهم • وعن ابن عباس قال هم اثنى عشر خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الاخرة وهى ما ذكر بعد هذه وهو قوله

تعالى وإذا النفوس زوجت روي يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل
الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار
وقيل الحق كل امرء بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى
وقيل يحشر الرجل مع صاحبه عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها
وقيل زوجت نفوس المومنين بالحور المومنين وقرنت نفوس الكافرين
وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد وإذا الموءدة سئلت
يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من
التراب فيردها اي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك
في الجاهلية تدفن البنات حية • وروي عن ابن عباس قال كانت
المراة في الجاهلية اذا حملت وكانت اوان ولادتها حفرت حفيرة
فتمخضت على راس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها الحفرة وان
ولدت غلاما حبسته • وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له
بنت واراد بقاوها البسها جبة صوف او شعر وتركها ترعى
الابل والغنم في البادية فاذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت
قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بيرا
في الصحرا فيبلغ بها البير فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت
دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوايد والموءودة
في النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن احيا الموءودة
ولم يويد فافتخر به الفرزدق في شعره ٢٥ بأي ذنب قتلت معناه
قال الموءودة فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سوالها توبيخ قاتلها
لانها قتلت بغير ذنب وإذا الصحف نشرت يعني صحايف الاعمال
تنشر للحساب وإذا السما كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت
كما يقلع السقف وقيل كشفت وازيلت عمن فيها وإذا الجحيم سعرت
اي اوقدت لاعداء الله تعالى وإذا الجنة ازلفت اي قربت لاوليا
الله علمت نفس ما احضرت من خير او شر وهذا جواب لقوله اذا
الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل فلا اقسم لا زايدة والمعنى
اقسم فقد تقدم ذلك في قوله لا اقسم بيوم القيمة بالخنس الجوار الكنس
يعني النجوم تبدا بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو
هذا المعنى • وروي عن علي بن ابي طالب • وقيل هي النجوم الخمسة
زحل • والمشتري • والمريخ • والزهرة • وعطارد • تخنس في مجاريها
ان ترجع وراها في الفلك وتكنس اي تستتر وقت اختفايها وقيل انها
تخنس ان تتاخر عن مطالعها في كل عام تتاخر بالنهار وقيل هي الظبا

وهي رواية عن ابن مسعود واصل الخنوس الرجوع الى ورا والكنوس
هو ان تاوي الى كناسها وهو الموضع الذي ياوي اليه الوحش والليل
اذا عسعس اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك
يكون في طرفي الليل والصبح اذا تنفس اي اقبل وبدا اوله وقيل استنار وفي
تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روح ونسيم فجعل ذلك نفسا على
المجاز الثاني انه شبه الليل بالكوكب المحزون فاذا اجعل له التنفس
وجد راحة فكانه تخلص من ٣ فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة
ولما ذكر القسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران
لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى ان جبريل نزل
به عن الله ذي قوة كان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من
الما الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السما ثم قلبها وانه ابصر
ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه
بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند • وانه صاح صيحة بثمود
فاصبحوا جاثمين • وانه يهبط من السما الى الارض ثم يصعد في اسرع
من الطرف عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه مطاع ثم
امين اي في السموات تطيعه الملايكة ومن طاعة الملايكة له ان فتحوا
ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح
خزنة الجنة ابوابها بقوله امين يعني على وحي الله تعالى الى انبيايه
وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون
وهذا ايضا من جواب القسم اقسم على ان القران نزل به جبريل وان
محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقوله اهل مكة وذلك انهم
قالوا انه مجنون وانما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى عنه الجنون
ولقد راه يعني راى النبي صلى الله عليه وسلم يعني جبريل عليه السلام
في صورته التي خلق فيها بالافق المبين يعني بالافق الاعلى من ناحية
المشرق حيث تطلع الشمس • وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام
اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السما قال لن تقوى
على ذلك قال بلى فاين تشا ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني
ذلك قال فبمنى قال لا يسعني ذلك قال بعرفات قال لا يسعني
ذلك قال بحرا ٣ يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت
فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملا ما
بين المشرق والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي
صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته فضمه الى

القدم

صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش
ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل
احيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاه وشانه حتى يصير ۞
كالعصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السما وما اطلع عليه مما
كان غايبا عن علمه من القصص والانبا بظنين قرى بالظا ومعناه
بمتهم والظنة التهمة وقرى بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول
انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم ۞
الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن فقراة
الظا اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو
اراد البخل لقال وما هو بالغيب وما هو يعني القران بقول شيطان
رجيم يعني ان القران ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل
كانوا يقولون انه شيطان يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه فاين
تذهبون اي فاين تعدلون عن القران وفيه الشفا والهدى والبيان
وقيل معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد
بينت لكم ان هو يعني ما في القران الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق
اجمعين لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به
ثم بين ان مشية العبد موقوفة بمشيته فقال تعالى وما تشاؤن الا
الا ان يشا الله رب العالمين اعلمهم الله ان المشية في التوفيق للاستقامة
اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشية الله وتوفيقه وفيه اعلام
ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيته

تفسير سورة اذا السما انفطرت مكية

وهي سبع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثماية وتسعة وعشرون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
اذا السما انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت
واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالملح ۞
فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت واذا القبور بعثرت
اي بحثت وقلبت ترابها وبعث من فيها من الموتى احيا علمت نفس
ما قدمت واخرت يعني علمت في ذلك الموت ما قدمت من الصدقات
واخرت من الزكوات وهو احوال يوم القيمة قوله عز وجل يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك بالباطل حتى
صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا امنك
من عقابه نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي الاشرف واسمه اسيد

ابن

ابن كلدة وقيل كلدة بن خلف ... النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله
وانزل هذه الاية وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص يقول ما الذي
غرك وقيل غره حمقه وجهله • وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره
عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك الكريم اي
المتجاوز عنك وهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبة بل بسط لك المدة
لرجا التوبة • قال ابن مسعود ما من احد الا سيخلو الله عز وجل به
يوم القيمة فيقول يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ما غرك بي يا ابن ادم
ماذا عملت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين • وقيل للفضيل بن عياض
لو اقامك الله يوم القيمة فيقول لك يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم
ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة • وقال يحيى بن معاذ
لو اقامني بين يديه وقال ما غرك بي اقول ما غرني بك برك بي سالفا
وانفا وقال ابو بكر الوراق لو قال ما غرك بي قلت غرني بك انت
اكرم الاكرمين • وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم
دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول
غرني كرم الكريم الذي خلقك اي اوجدك من العدم الى الوجود
فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا تسمع وتبصر فعدلك اي عدل
خلقك في مناسبة الاعضا فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه
جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة في اي صورة
ما شا ركبك اي في اي شبه من اب او ام او خال او عم وجا في الحديث
ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا
في اي صورة ما شا ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر
والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذه دلالة على قدرة
الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيات والصفات
دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله
تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين اي بيوم الحساب
والجزا وان عليكم لحافظين يعني رقبا من الملايكة يحفظون عليكم
اعمالكم كراما اي على الله كاتبين اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون
يعني من خير او شر قوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم يعني الذين
بروا وصدقوا في ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه
لفي نعيم يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك
قال لابي حازم المزني ليت شعري ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك
على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال اين اجد ذلك في كتاب
الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين

فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم
القيمة لانه يوم الجزا وما هم عنها بغائبين اى عن النار ثم عظم ذلك
اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هو
الكافر وهو على وجه قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
اى شى علمك به لولم نعرف احوالك ثم ما ادراك ما يوم الدين التكرير
للتعظيم في ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيا اي
لا تملك نفس لنفس كافرة شيا من المنفعة والامر يومئذ لله يعني
انه لم يملك الله تعالى في ذلك احدا شيا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم

• تفسير سورة المطففين مدينة •

في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان ايات مكية وهو قوله تعالى
واذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين • وقيل انها نزلت بين
مكة والمدينة من الهجرة وهي ست وثلاثون اية وتسعة وستون
كلمة وسبعماية وثلاثون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم •
قوله عز وجل ويل اى قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال
ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم للمطففين يعني الذين
ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في المكيال
والوزن الا الشي اليسير الطفيف • قال ابن عباس لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله
عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل • وقيل لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه
صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وجعل
الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على
الناس يستوفون يعني اذا اكتالوا من الناس اى اشتروا شيا من الناس
استوفوا عليهم واذا كالوهم او وزنوهم يعني الناس كما نصحتك ونصحت
لك يخسرون اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من
ياخذ لنفسه زايدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل
او الكثير لكن اذا لم يتب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن
فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكباير وذلك لان
عامة الخلق محتاجون الى امر المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن
والزرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن • قال نافع كان ابن
عمر يمر بالبايع فيقول اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون
يوم القيمة حتى يلجمهم العرق • وقال قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى
لك واعدل كما تحب ان يعدل لك • وقال الفضيل المزان سواد يوم

القيمة الا يظن اى الا يعلم ويستيقن اوليك الذين يفعلون هذا الفعل
وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيمة يوم يقوم الناس
لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروى مرفوعا
م عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنوا
الشمس من روس الخلايق يوم القيمة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي
او اثنين قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض
او الميل يكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق
فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى
حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيديه الى فيه قوله عز وجل كلا قيل انه ردع وتنبيه اى ليس
الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا
تم الكلام هنا • وقيل كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب
الفجار الذين كتب فيه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي الارض السابعة
السفلى وفيها ارواح الكفار • وروى البغوى باسناد الثعلبي عن البرا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسفل سبع ارضين وعليين
في السما السابعة تحت العرش • وقال شمر بن عطية جا ابن عباس
الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفي
سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السما فتابى السما ان تقبلها
ثم يهبط بها الى الارض فتابى ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى
ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق
فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لحساب يوم القيمة • وقيل هي
صخرة تحت العرش الارض السابعة السفلى خضرا خضرة السما منها ويجعل
كتاب الفجار تحتها قال وهب هي اخر سلطان ابليس وجا في الحديث
الفلق جب في جهنم مفتوح • وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال
وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما
ادراك ما سجين اى ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل لما
ذلك تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس هذا التفسير للسجين وانما
هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار
مرقوم اى مكتوب فيه اعمالهم عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى
حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه • وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه اعلم
بعلامة يعرف بها انه كافر • وقيل مرقوم اى مختوم وهو لغة حمير ويل
يومئذ للمكذبين وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة ثم

قال ويل يومئذ للمكذبين اى من ذلك الكتاب المرقوم عليهم
من الشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اى بيوم القيمة لانه يوم
الجزا وما يكذب به اى بيوم القيمة الا كل معتد اثيم هو مبالغة من
الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين اى اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه
وسلم اذا العبد اذا اخطا خطية نكتت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع
واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلوا قلبه
وهو الران الذى قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح واصل الرين الغلبة
ومعنى الاية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم واحاطت
بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس
ران قلوبهم طبع عليها • وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب
والطبع ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين والاقفال
اشد من الطبع • وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب
شى كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن عباس
يريد لا يصدقون • وقيل معناه ليس الامر كما يقولون لان لهم فى
الارض ثم فقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل عن كرامته
ورحمة ممنوعة وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا
التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو
عدول عنه على الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فانه من
حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظرة رحمة ولا يزكيه والذى
ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن روية الله وهذا هو
الصحيح • واحتج بهذه الاية من اثبت الروية للمومنين قالوا ولا
ولكن لم يكن للتخصيص فايدة ووجه اخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب
فى معرض الوعيد والتهديد للكفار لا يجوز حصوله فى حق المومنين
فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب فى حق المومنين • قال الحسن لو علم
الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت انفسهم
فى الدنيا وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الاخرة عن
رويته وسيل مالك عن هذه الاية فقال لما حجب الله اعداه لم يروه
تجلى لاوليايه حتى راوه • وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون دالة على ان اولياء الله يرون الله عز وجل وعنه
كما حجب اقواما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر ان الكفار

مع كونهم محجوبون عن الله يدخلون النار فقال عز من قايل ثم انهم
لصالوا الجحيم اى لداخلون النار ثم يقال اى تقول لهم الخزنة هذا
اى هذا العذاب الذى كنتم به تكذبون يعنى فى الدنيا كلا اى ليس
الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اى لا يومن بالعذاب
الذى يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب الابرار
لفى عليين جمع علم من العلو وقيل هو موضع على صفة الجمع لا واحد
له من لفظه وتقدم من حديث البرا المرفوع ان عليين فى السما
السابعة تحت العرش • وقال ابن عباس لوح من زبرجد خضرا
معلقة تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه • وقيل هو قايمة تحت العرش
اليمنى • وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة • وقيل سدرة المنتهى
وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف • وقيل هى مراتب عالية
محفوفة بالجلالة قد عظمها الله واعلاها وما ادراك ما عليون
تنبيها له على عظم شانه كتاب مرقوم ليس تفسير لعليين والمعنى
ان كتاب الابرار لفى عليين كتاب مرقوم قيل لهم فيه بخير وا هو ما اعد
الله لهم من الكرامة • وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليين محل الملايكة
وضد سجين وهو محل ابليس وجنوده يشهده المقربون يعنى الملايكة
الذين هم فى عليين يشهدون اى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه
كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون
من الملايكة لكرامة المومن قال الله تعالى ان الابرار يعنى المطيعين
لله لفى نعيم يعنى نعيم الجنة على الارايك جمع اريكة وهى الاسرة فى
الحجال ينظرون الى اعدايهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون
الى ربهم تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يعنى انك اذا رايتهم
تعرف انهم اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبيا
وقيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب يسقون من رحيق
يعنى الخمرة الصافية الطيبة البيضا مختوم يعنى ختم ذلك الشراب
ومنع من ان تمسه الايدى الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت
قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانها من خمر النهر لا يختم
عليه فكيف طريق الجمع بين الايتين قلت يحتمل ان يكون المذكور
فى هذه الاية فى اوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار
وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ختامه مسك اى طينته التى ختم
عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود
مختوم اى ممزوج ختامه اى اخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج
لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

اى فليرغب الراغبون بالمبادرة من الشى النفيس الذى يحرص
عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه ويتنفس به على غيره
اى ويبخل وَيبخل وَمزاجه من تسنيم اى شراب ينصب عليهم
من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهوا متسنما فينصب فى اوانى اهل
الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك واصل هذه الكلمة من
العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه • وقيل شراب اسمه تسنيم وهو
من اشرف شراب اهل الجنة • وقال ابن مسعود وابن عباس عن
قوله من تسنيم من تسنيم نحوا فقال هذا انما قال الله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفى لهم من قرة اعين عينا يشرب بها المقربون اى منها
وقيل يشربها المقربون صرفا قوله عزوجل ان الذين اجرموا
اى اشركوا يعنى كفار قريش اباجهل والوليد بن المغيرة والعاص
ابن وايل واصحابهم من اهل مكة كانوا من الذين امنوا اى من
عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقرا المومنين يضحكون
اى منهم ويستهزون بهم واذا مروا بهم يعنى من المومنين الفقرا بالكفار
الاغنيا يتغامزون يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن
والحاجب اى يشيرون اليهم بالاعين استهزا بهم واذا انقلبوا الى اهلهم
يعنى الكفار انقلبوا فكهين اى معجبين مما هم فيه وقيل يتفكهون
بذكرهم كانوا يتفكهون بحديثهم واذا راوهم يعنى راوا اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولا لضالون اى هم فى ضلال باتباعهم
محمدا صلى الله عليه وسلم ويرون انهم على شى قال الله عزوجل وما
ارسلوا يعنى المشركين عليهم يعنى على المومنين حافظين اى لاعمالهم
والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم • قوله عزوجل فاليوم يعنى
فى الاخرة الذين امنوا من الكفار يضحكون وسبب هذا الضحك
ان الكفار لما كانوا فى الدنيا ضحكوا من المومنين لما هم فيه من الشدة
والبلا فلما افضوا الى الاخرة انعكس ذلك الامر فصار المومنون
فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلا فضحك
المومنون على الكافرين لما راوا ما لهم • وقال ابو صالح يفتح للكافرين
ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا جاوا اليها غلقت
دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم
وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر الى عدو
له من الكفار كان له فى الدنيا اطلع عليه من تلك الكوة وهو يعذب
ضحك منه فذلك فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك
جمع اريكة وهو السرير ويتخذ فيه الحجلة وهى التى يزين بها البيت

صرفا للمقربين ويشربها ممزوجا سائر اهل الجنة ويسمى ابن عباس

وارايك

دارايك الجنة الدر والياقوت ينظرون يعنى اليهم وهم فى النار
يعذبون قال الله تعالى هل ثوب الكفار اى جوزى الكفار ما كانوا
يفعلون اى بالمومنين من الاستهزا والضحك وهذا الاستفهام بمعنى
التقرير وثوب واثاب واثيب بمعنى قال اوس •
سأجزيك او يجزيك عنى مثوب • وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى والله اعلم •

تفسير سورة الانشقاق مكية

وهى خمس وعشرون اية وماية وسبع كلمات وثلاثون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عزوجل اذا السماء
انشقت يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها واذنت لربها وحقت
اى سمعت امر ربها بالانشقاق وطاعته من الاذن وهو الاستماع وحقت
اى لها ان تطيع امر ربها واذا الارض مدت يعنى مد الاديم العكاظى
وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بنا ولا جبل والقت ما فيها
اى اخرجت ما فى بطنها من الموتى والكنوز وتخلت اى من ذلك الذى
كان فى بطنها واذنت لربها وحقت واختلفوا فى جواب اذا فقيل
جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشيا يرى الانسان الثواب
والعقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت
السما لقى كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت حينئذ يكون الواو زايدة
زايدة يا ايها الانسان انك كادح اى ساع اليها فى عملك سعيا والكدح
عمل الانسان وجهده فى الامر من الخير والشر • وقيل معناه عامل لربك
عملا ومعناه انك كادح فى لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح
يستمر بك الى الموت • وقيل معناه انك كدوح فى دنياك كدحا تصير به
الى ربك كدحا فملاقيه اى فملاق جزا عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق
ربك فاما من اوتى كتابه بيمينه يعنى ديوان عمله فسوف يحاسب
حسابا يسيرا سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض
عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة
ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على
صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر
فيه ولا الحجة عليه فانه من طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح
ق عن ابى مليكة ان عايشة كانت لا تسمع شيا لا تعرفه الا راجعت فيه
حتى تعرفه وان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت
فانما قال ذلك للعرض ولكن من نوقش الحساب عذب وينقلب الى
اهله يعنى فى الجنة من الحور العين والادميات مسرورا اى بما اوتى
من الخير والكرامة واما من اوتى كتابه وراء ظهره يعنى انه تغل يده

اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من
وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه
فسوف يدعوا ثبورا يعني عند عطايه كتابه بشماله من وراء ظهره ويعلم
انه من اهل النار فيدعوا بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه
ويصلى سعيرا اي ويقاسي التهاب النار وحرها انه كان في اهله يعني
في الدنيا مسرورا يعني باتباع هواه وركوب شهواته انه ظن ان لن يحور
اي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع بلى اي ليس الامر كما ظن بل
يحور الينا ويبعث ويحاسب ان ربه كان به بصيرا اي من يوم خلقه الله
الى ان يبعثه **قوله عز وجل** فلا اقسم بالشفق تقدم الكلام في تفسير
لا اقسم بيوم القيمة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في
ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور ولا هو النهار فعلى
هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار الذي فيهما معاش العالم وسكونه
وقيل هو ما بقي من النهار • وقال ابن عباس واكثر المفسرين هي الحمرة
التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلما وقيل
هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة والليل
وما وسق اي جمع وضم مما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام
وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماواه • وقيل ما عمل فيه ويحتمل
ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم بهم والقمر اذا اتسق اي
اجتمع وتم نوره وذلك في ايام البيض وقيل استدار واستوى ولما
ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن قرى بفتح البا
وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سما
بعد سما وقد فعل الله به ذلك ليلة اسري به فاصعده سما بعد
سما وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القربة من الله تعالى
وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال خ عن ابن عباس قال لتركبن
طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى
هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة
فلا يحزنك تكذيبهم وعنادهم وكفرهم وقرى لتركبن بضم البا وهو
الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد
حال وامرا بعد امر وذلك في موقف القيامة فيتقلب بهم الاحوال
فيصيرون في الاخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن
عباس يعني الشدايد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل
حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل
ثم شيخ • وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي

سعيد

سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لتتبعن سنن من كان قبلكم واحوالهم شبرا بشبر وذراعا بذراع
حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن وقيل في معنى الاية انه اراد به السما تتغير لونا بعد لون فتتغير
تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتنطوي اخرى
فما لهم لا يؤمنون يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار واذا
قرى عليهم القران لا يسجدون يعني لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة
لانه جزء منها وقيل اراد سجود التلاوة وهذه السجدة احد سجدات القران
عند الشافعي ومن وافقه ق عن رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة
فقرا اذا السما انشقت فسجد فقلت ما هذه السجدة قال سجدت بها
خلف ابا القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه ولمسلم
عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك
واذا السما انشقت بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقران والبعث
والله اعلم بما يوعون يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب فبشرهم
بعذاب اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون غير مقطوع ولا منقوص في الاخرة والله تعالى اعلم

• تفسير سورة البروج مكية •

وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمس وستون
حرفا في اصح العدد • بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله
عز وجل** والسما ذات البروج يعني البروج الاثني عشر وانما
حسن القسم بها فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو سير
الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف • وقيل البروج
الكواكب العظام سميت بذلك بروجا لظهورها واليوم الموعود يعني
يوم القيمة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة والمشهود يوم عرفة والشاهد
يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة
فيه ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجاب
الله له ولا يستعيذ من شر الا اعاذه الله منه • اخرجه الترمذي
وضعف احد رواته من قبل حفظه وعلى هذا قال ابن عباس والاكثرون
ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة • وقيل الشاهد يوم الجمعة
والمشهود يوم النحر • وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة
انما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل
الشاهد الانبيا والمشهود عليهم هم الامم • وقيل الشاهد هو الملك

والمشهود عليه هو ادم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة وقيل الشاهد
الانبيا والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبيا قبله شهدوا له
بالنبوة وقوله والسما ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود
اقسام اقسم الله بها لشرفها وعظمها وجواب القسم **قتل اصحاب
الاخدود** اى لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود
الشق الطويل المستطيل فى الارض اختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له
ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما اعلمه
السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه اذا سلك اليه راهب
فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه الساحر ضربه واذا رجع من الساحر
قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى الى الراهب
فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى واذا خشيت اهلك فقل
حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست
الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال
اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه
حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره
فقال الراهب اى بنى انت اليوم افضل منى قد بلغ من امرك ما ارى
وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرى الاكمه
والابرص ويداوى الناس من ساير الادوا فسمع جليس للملك قد عمى
فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال
انى لا اشفى احدا انما يشفى الله عز وجل فان امنت بالله فدعوت الله فشفاك فامن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان
يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربى فقال او لك رب
غيرى قال الله ربى وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام
فجى بالغلام فقال له الملك اى بنى انه قد بلغ من سحرك ما تبرى
الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله عز
وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجى بالراهب فقال له
ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع فى مفرق راسه فشقه
به حتى وقع شقاه ثم جى بالغلام فقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه
الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به
الجبل فقال اللهم يا رب العالمين اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل
فسقطوا وجا يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال
كفانيهم الله بقدرته فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا فاحملوه
فى قرقور وتوسطوا البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال

اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفيت بهم السفينة فوقعوا وجا يمشى الى الملك
فقال له ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست
بقاتلى حتى تفعل ما امرك به فقال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد
وتصلبنى على جذع نخل ثم تاخذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس
ثم قل بسم الله رب هذا الغلام ثم ارمنى به فانك ان فعلت ذلك قتلتنى
فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته
ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم رب هذا الغلام ثم رماه به
فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم
فمات فقال الناس امنا برب هذا الغلام ثلاثا ثم اتى الملك فقيل
له ارايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس كلهم
فامر بالاخدود فخدت بافواه السكك واضرم النيران وقال من لم
يرجع عن دينه فاقحموه او قيل له اقتحم ففعلوا ذلك حتى جات امراة
معها صبى لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبرى
ولا تقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفى هذا
الحديث اثبات كرامات الاوليا وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع الى
الدين وفيه انقاذ احد من الهلاك والاكمه هو الذى خلق اعمى والميشار
بالياء وتخفيف الهمزة ويروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه
ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة
وانكفات اى انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطريق
وافواهها والاخدود الشق العظيم فى الارض واقحموه اى ارموه فيها وتقاعست
اى تاخرت وكرهت الدخول فى النار قال ابن عباس كان بنجران ملك
من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل مولد
النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له
عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام
ولم يجد بدا عن طاعة ابيه فكان يختلف الى المعلم وكان فى طريقه
راهب حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال
وهب بن منبه ان رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه
فسار اليه ذو نواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية
فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر الفا وغلب ارباط على اليمن
فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق. وقال محمد بن اسحاق
عن عبد الله بن ابى بكر ان خربة احترقت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا
عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة فى راسه اذا اميطت يده عنها
انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه

عست

رضي الله فبلغ ذلك عمر فقال اعيدوا عليه الذي وجدتم وقال سعيد بن
جبير وابن ابزى لما انهزم اهل اسفيذ هار قال عمر بن الخطاب اي شي جري
على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وكان الخمر قد اطت لهم
فتناولها ملك من ملوكهم فغلب على عقله فوقع على اخته فلما ذهب
عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما الذي اتيت وما المخرج منه
قالت المخرج منه انك تخطب الناس وتقول ان الله قد حل نكاح ۞
الاخوات لكم فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به
ما جانا به من نبي ولا انزل علينا في كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان
يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا به فخد لهم الاخدود واوقدوا فيها
النيران وعرضهم عليها فمن ابي قذفه في النار ومن اجاب سبيه
وروي عن علي قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة
الى قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك الاية فدعاهم فتابعه اناس لهم
اخدود فملوها نارا فمن تبع ذلك النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه
فجاؤا بامراة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا اماه قعي ولا
تقاعسي • وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخري
بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فنطياخوس
الرومي واما التي بفارس فبخت نصر وزعموا انهم اصحاب دانيال واما
التي باليمن فذو نواس • واما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما
قرانا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك ان القصة كانت مشهورة عند
اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين • وقوله تعالى **النار ذات
الوقود** وهو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين
الذين القوا في النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم
اذ هم عليها قعود اي جلوس عند الاخدود **وهم** يعني الملك خد
الاخدود واصحابه **على ما يفعلون بالمؤمنين** اي من عرض على النار
واراد بهم ان يرجعوا الى دينهم **شهود** اي حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين
ضلال حين تركوا عبادة الصنم **وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله** وقيل
ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله **العزيز الحميد** يعني ان
الذي يستحق العبادة هو العزيز اي الغالب القاهر الذي لا يغالب
ولا يدافع الحميد يعني الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك
وهو الله جل جلاله **الذي له ملك السموات والارض** اي هو للعبادة
والله على كل شي من افعالهم بالمؤمنين **شهيد** وفيه وعد عظيم ۞

للمومنين ووعيد عظيم للكافرين • قوله عز وجل **ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات** بالنار **ثم لم يتوبوا** اي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه
دليل على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله
تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم لو لم يتوبوا **فلهم
عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** قيل لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم
عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق والوفا
وذلك ان الله احرقهم بالنار حتى احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم
من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمؤمنين
فقال تعالى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من
تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير** قوله عز وجل **ان بطش
ربك لشديد** قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة
لشديد **انه هو يبدئ ويعيد** اي يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم
احيا بعد الموت ليجازيهم باعمالهم في القيمة **وهو الغفور** اي لذنوب
المؤمنين **الودود** اي المحب لهم وقيل المحبوب اي يوده اولياؤه ويحبونه
وقيل يغفر ويود ان يغفر • وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة **ذو
العرش** اي خالقه ومالكه **المجيد** قرى بالرفع على انه صفة لله تعالى
لان المجيد من صفات المتعال ذو الجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى
وقري المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اي العرش المعظم اذ لا يعلم
صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصف بالمجيد فقد
قيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما يريد انه لا يعجزه شي ولا يمتنع منه
شي طلبه وقيل **فعال لما يريد** لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو
يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار
لا ينصرهم منه ناصر **هل اتاك** اي قد اتاك **حديث الجنود** اي خبر
الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبيا ثم بين من هم فقال تعالى
فرعون يعني وقومه **وثمود** كانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة
بل الذين كفروا من قومك يا محمد **في تكذيب** يعني لك وللقران كما
كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم **والله من
ورائهم محيط** اي عالم بهم لا يخفى عليه شي من اعمالهم يقدر ان ينزل
بهم ما انزل بمن قبلهم **بل هو قران مجيد** اي كريم شريف كثير النفع
والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة **في لوح محفوظ** قرى
بالرفع على انه نعت للقران يعني ان القران محفوظ من التبديل
والتغيير والتحريف وقرى محفوظ لانه حفظ من الشياطين ومن
الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروي البغوي باسناد الثعلبي

بالكسر على انه نعت اللوح لانه يعرف
باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وفيه
نسخ الكتب وحكى عن كعب انه

الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده
دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق
بوعده واتبع رسله ادخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضا طوله
ما بين السما والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر
والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه من نور وكلامه مسطور معقود
بالعرش واصله فى حجر ملك والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الطارق مكية

وهى سبع عشرة اية واحد وستون كلمة ومايتان وتسع وثلاثون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والسما والطارق قيل نزلت فى ابى طالب وذلك انه اتى النبى صلى الله
عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذا انحط نجم فامتلا
ما ثم نارا ففزع ابو طالب وقال ايش هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا
نجم رمى به وهو من ايات الله فتعجب ابو طالب فانزل الله والسما والطارق
يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار
وسمى النجم طارق لانه يظهر بالليل قالت هند •
نحن بنات طارق • نمشى على النمارق •
تريد ان اباها نجم فى علوه وشرفه **وما ادراك ما الطارق** قيل لم يكن النبى
صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه له بقوله **النجم الثاقب** اى المضى المنير
وقيل المتوهج • وقيل هو المرتفع العالى • وقيل هو الذى يرمى به الشيطان
لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها • وقيل تقديره ورب
هذه الاشيا وجواب القسم قوله تعالى **ان كل نفس لما عليها حافظ**
يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما
تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملايكة وقيل حافظ
من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها
الى المقادير ثم يخل عنها • وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب
الا ما قدر لها • قوله عز وجل **فلينظر الانسان** يعنى نظر
تفكر واعتبار **مم خلق** اى من اى شى خلقه ربه ثم بين ذلك فقال
تعالى **خلق من ما دافق** يعنى دافق اى مدفوق مصبوب فى
الرحم واراد به ما الرجل وترايب المراة وهى عظام الصدر والنحر قال
ابن عباس هو موضع القلادة من الصدر وعنه انه بين ثدى
المراة وقيل ان المنى يخرج من جميع اعضا الانسان واكثر ما يخرج
من الدماغ فى عرق فى ظهر الرجل وينزل فى عروق كثيرة من مقدم
بدن المراة وهما الترايب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين

العضوين

العضوين بالذكر **انه على رجعه لقادر** يعنى ان الله تعالى قادر على ان
يرد النطفة فى الاحليل وقيل قادر على رد الما فى الصلب الذى خرج
منه وقيل قادر على رد الانسان عما كان من قبل • وقيل معناه ان
شيت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا
الى النطفة • وقيل انه قادر على حبس ذلك الما حتى لا يخرج وقيل
معناه وان الذى قدر على خلق الانسان ابتدا قادر على اعادته
حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى يعنى
الاية لقوله تعالى بعده **يوم تبلى السراير** وذلك يوم القيمة تظهر
الخبايا ومعنى تبلى تختبر وقيل السراير هى فرايض الاعمال كالصوم والصلاة
والوضو والغسل من الجنابة فكل هذه سراير بين العبد وبين ربه
عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم
واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيمة تختبر حتى يظهر من
اداها ومن ضيعها • قال عبد الله بن عمر يبدو الله يوم القيمة كل سر
يكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الفرايض كما امر
كان وجهه مشرقا مستبشرا يوم القيمة ومن ضيعها او انتقص منها
كان وجهه اغبر **فما له** اى لهذا الانسان المنكر البعث **من قوة** اى
يمتنع بها من عذاب الله **ولا ناصر** اى ينصره من الله ثم ذكر قسما
اخر فقال تعالى **والسما ذات الرجع** اى ذات المطر سمى به لانه يجى ويرجع
ويتكرر **والارض ذات الصدع** اى تتصدع وتنشق عن النبات
والشجر وجواب القسم قوله تعالى **انه** يعنى القران **لقول فصل**
اى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل **وما هو بالهزل** اى
باللعب والباطل **انهم** يعنى مشركى مكة **يكيدون كيدا** يعنى يحتالون
فى المكر بالنبى صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا
فيه **واكيد كيدا** يعنى اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا
يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الاخرة بالنار **فمهل
الكافرين** اى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم • وقال ابن عباس هذا
وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال
قليل فقال **امهلهم رويدا** يعنى قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ
الامهال باية السيف والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية •

وهى تسعة عشر اية واثنان وسبعون كلمة ومايتان واحدى وتسعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل **سبح اسم ربك الاعلى** اى قل سبحان ربى الاعلى وهو قول

جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى ذكره
البغوي باسناد الثعلبي • وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون
فعلى هذا يكون الاسم صلة • وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره
وانت له معظم ولذكره محترم • وقال ابن عباس سبح اي صل بامر ربك
الاعلى • عن عقبة بن عامر قال فلما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال
قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك
الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود الذي خلق فسوى
اي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان
مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى اي قدر الارزاق وهدى
لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى اي فعرف كيف يأتي الذكر
والانثى • وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه الى الخروج منه • وقيل
قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام • ثم هدى كل فريق من الطائفتين
سلوك سبيل ما قدر له عليه • وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما
وقدر اي اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر
الانعام لمراعيها وهو قوله تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت العشب
وما ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك فجعله
يعني المرعى بعد الخضرة غثاء اي هشيما يابسا باليا كالغثاء الذي
تراه السيل احوى اي اسود بعد الخضرة وذلك لان الكلأ اذا جف ويبس
اسود قوله عز وجل سنقرئك اي نعلمك القرآن بقراءة جبريل
عليك فلا تنسى يعني ما يقرأ عليك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل جبريل بالوحي كان لم يفرغ من اخر الاية حتى يتكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى
سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك الا ما شاء الله يعني ان
تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور
وقيل معناه الا ما شاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث
عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة
بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرني كذا اية كنت انسيتها من سورة كذا
وكذا وفي رواية كنت اسقطهن من سورة كذا اخرجاه في الصحيحين
وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسيه شيئا انه يعلم الجهر
يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه يعلم السر والعلانية
ونيسرك لليسرى اي نهون عليك لان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى
تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة • وقيل هو

متصل

متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما يقرؤه على جبريل اذا فرغ
من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال
ونيسرك لليسرى اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذكر اي
فعظ بالقرآن ان نفعت الذكرى اي مدة نفعت الموعظة والتذكير
والمعنى عظ انت وذكر ان نفعت او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر
من يخشى اي سيتعظ من يخشى الله تعالى ويتجنبها اي الذكرى
ويتباعد عنها الاشقى اي في علم الله تعالى الذي يصلى النار الكبرى
اي هي نار الاخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا ثم لا يموت اي في النار
فيستريح فيها ولا يحيى اي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل
قد افلح من تزكى اي تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قال ابن عباس
وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر وذكر اسم ربه
فصلى قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ
تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الاية • وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى
الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى
الى المصلى وان قلت لا قال فالان فاخرج فانما هذه الاية في هذا قد افلح
من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التاويل
وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت
يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه
السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح ولذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون
الدبر وكان ذلك يوم بدر • قال عمر بن الخطاب كنت لا ادري اي جمع هو
يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وجه اخر انه كان في علم الله تعالى انه
سيكون ذلك فاخبر عنه وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر اسم ربه فصلى يعني
الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة
العيد قوله عز وجل بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير
وابقى يعني ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني
وانتم تؤثرون الفاني على الباقي وقال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن
مسعود فقرأ هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على
الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها
ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الاخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا
العاجل وتركنا الاجل • وقيل ان اريد بذلك الكافر فالمعنى انهم يؤثرون
الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الاخرة وهو خير
وابقى ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا اربع ايات

لفي الصحف الاولى اى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القران ذكر فى تلك
الصحف فلاح من تزكى والمصلى والمعنى وايثار الدنيا وان الاخرة خير
وابقى ثم بين ذلك فقال **صحف ابراهيم وموسى** يعنى ان هذا القدر
المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى صحف جميع الانبيا
التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور فى هذه الايات
لا يختلف فى شريعة بل جميع الشرايع متفقة عليه • عن ابى ذر قال
دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية
قلت يا رسول الله وما تحيته قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله
هل انزل عليك شى مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله
فما كانت صحف موسى قال عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن عجبت لمن ايقن بالقدر
كيف يغضب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا الحديث
رزين فى كتابه وذكره ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه
شيا عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرا فى الوتر بسبح
اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد فى ركعة
اخرجه الترمذى والنسائى • وعن عبد الرحمن بن جريج قال سالنا
عايشة باى شى كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرا
فى الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بقل يا ايها الكافرون وفى
الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائى
والترمذى وقال حديث حسن غريب والله سبحانه وتعالى اعلم

• تفسير سورة الغاشية مكية •

وهى ست وعشرون اية واثنان وتسعون كلمة وثلثماية واحدى وثمانون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله**
عز وجل **هل اتاك** قد اتاك يا محمد **حديث الغاشية** يعنى القيمة
سميت غاشية لانها تغشى كل شى باهوالها وقيل الغاشية النار سميت
بذلك لانها تغشى وجوه الكفار **وجوه يومئذ** يعنى يوم القيمة **خاشعة**
يعنى ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه
اشرف اعضا الانسان فعبر به عنه **عاملة ناصبة** قال ابن عباس يعنى
الذين عملوا ونصبوا فى الدنيا على غير دين الاسلام ومن عبدة الاوثان
وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم
اجتهادا فى صلاة يدخلون النار يوم القيمة ومعنى النصب الندرب فى
العمل بالتعب **ق** عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احدث فى امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس

عليه

عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث فى دين الاسلام
شيا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية
فانها تشتمل على كل عامل فى دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه مردود
عليه اذا لم يكن تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم • وقيل فى الاية عاملة فى
الدنيا بالمعاصى ناصبة فى الاخرة فى النار • وقيل عاملة ناصبة فى
النار لانها لم تعمل لله فى الدنيا فاعملها وانصبها فى النار بمعالجة
السلاسل والاغلال وهى رواية عن ابن عباس تخوض فى النار كما تخوض
الابل فى الوحل • وقيل يجرون على وجوههم فى النار • وقيل يكلفون
ارتقا جبل من حديد فى النار وهو قوله **تصلى نارا حامية** قال ابن
عباس قد حميت فهى تتلظى على اعداء الله عز وجل **تسقى من عين انية**
اى ساهية فى الحرارة قد اوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقع منها
قطرة على جبال الدنيا لذابت فيند فعوا اليها وردا عطاشا فهذا
شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى **ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن**
قيل هو نبت ذو شوك لاطى بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج
سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهو رواية عن ابن عباس
فاذا يبس لا يقربه دابة • وقيل الضريع فى الدنيا هو الشوك اليابس
الذى ليس له ورق وهو فى الاخرة شوك من نار • وجا فى الحديث
عن ابن عباس يرفعه الضريع شى من النار يشبه الشوك امر من الصبر
وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدردا ان الله يرسل على
اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيتذكرون
انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالما فيستغيثون فيعطشهم
العطش ثم يسقون من عين انية شربة لا هنية ولا مرية فاذا ادنوه من
وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك
قوله تعالى وسقوا ما حميما فقطع امعاءهم • قال المفسرون فلما نزلت
هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا فى ذلك فان
الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى لا يسمن **ولا يغنى**
من جوع يعنى ان هذا الطعام لا تقدر البهايم على اكله فهو اذا لا يسمن
ولا يغنى من جوع **فان قلت** قد ذكر الله تعالى فى هذه الاية
لا طعام لهم الا من ضريع وذكر فى موضع اخر لا طعام لهم الا من غسلين
فكيف الجمع بينهما **قلت** ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع
العقوبات فمنهم طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الغسلين ثم
وصف اهل الجنة فقال تعالى **وجوه يومئذ ناعمة** اى متنعمة ذات بهجة

وحسن في نعمة وكرامة **لسعيها راضية** اى لسعيها في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها **في جنة عالية** قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى كل درجة كما بين السما والارض **لا يسمع فيها لاغية** اى ليس فيها لغو ولا باطل **فيها عين جارية** عن وجه الارض في غير اخدود وقيل تجرى حيث من منازلهم وقصورهم **فيها سرر مرفوعة** قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجي اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلس عليها ثم ترفع الى مواضعها **واكواب** يعني الكيزان التي لا عرى لها **موضوعة** يعني عندهم بين ايديهم • وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشراب منها وجدوها مملوة **ونمارق مصفوفة** يعني وسايد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض اينما ارادوا ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى **وزرابي** يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية **مبثوثة** اى مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس • **قوله عز وجل أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** قال ابن عباس قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وابتدا بالابل لانها من انفس اموال العرب لهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علما التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من ساير الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل ولا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة • وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية • وسيل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لم يركب على ظهره ولا يوكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال العرب وانفسه تاكل النوى وغيره وتخرج الابل ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل وتنقاد للقايد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شا • ومنها انها فضلت على ساير الحيوانات باشيا وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن ويحل لحمه ولا توجد جميع هذه الخصال الا في

الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويا كل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش مدة ايام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف ساير الحيوانات ومنها انها ترعى كل نبات في البوادي مما لا ترعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت **فان قلت** كيف حسن ذكر الابل مع السما والارض والجبال **قلت** كان المراد ذكر الدلايل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشيا جميعا وكانت الابل من اعظم شي عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا ابدا بها ولانها من اعظم الحيوانات عندهم **والى السما كيف رفعت** يعني فوق الارض بغير عمد ولا شي لها شي **والى الجبال كيف نصبت** على الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول **والى الارض كيف سطحت** اى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شي قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل ويرفع مثل السما وينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شي ولما ذكر الله تعالى دلايل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال **فذكر انما انت مذكر** اى فعظ انما انت واعظ **لست عليهم بمسيطر** اى بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية منسوخة نسختها اية القتال **الا من تولى وكفر** استثنا منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير **فيعذبه الله العذاب الاكبر** وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله **ان الينا ايابهم** اى رجوعهم بعد العذاب **ثم ان علينا حسابهم** يعني جزاوهم بعد الرجوع على الله والله اعلم

• تفسير سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية ومايه وثلاثون كلمة وخمسماية وسبعة وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والفجر • اقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوايد البدنية وهي ايضا دلايل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوايد الدنيوية انها تبعث على الشكر اختلفوا في معنى هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل من انقضا الليل وظهور الضوء

والانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه
نشر الموتى من قبورهم للبعث • وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر
والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها
ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر محرم • واختلفوا فيه
فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة • وقيل هو فجر
يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات **وليال عشر**
قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها
روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام
الاشتغال باعمال الحج **واخرج** الترمذي عن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيها احب الى الله
من هذه الايام العشر وذكر الحديث قال العشر الايام الاواخر من
رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد المئزر وايقظ اهله يعني للعبادة
وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم
عاشورا **والشفع والوتر** قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى
يروي ذلك عن ابي سعيد الخدري • وقيل والشفع الخلق كله بالايمان
والهدى • والضلالة • والسعادة • والشقاوة • والليل والنهار والارض
والسما • والشمس والقمر • والبر والبحر • والنور والظلمة • والجن
والانس • والوتر هو الله تعالى • وقيل الخلق كله منه شفع ومنه وتر
وقيل هي الصلوات منها شفع ومنها وتر • عن عمران بن حصين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة
بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن
ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب • وعن
عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير روي
ان رجلا سئل عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال الشفع والوتر
يقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم
عليه فهما الشفع والوتر • واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر
وقيل الشفع الايام والليالي والوتر الذي لا ليلة معه وهو يوم القيمة
وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها
سبع فكانه اقسم بالجنة والنار • وقيل الشفع اوصاف المخلوقين
المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى
والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات
الله تعالى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى

بلا فتور وعلم بلا جهل وحياة بلا ممات **والليل اذ يسر** اي اذا سار وذهب
وقيل اذا جاوا قبل واراد به كل ليلة • وقيل هي ليلة المزدلفة فعلى هذا
يكون المعنى والليل اذا يسار فيه **هل في ذلك** اي فيما ذكرت **قسم**
مقنع ومكتفي في القسم وهو استفهام بمعنى التاكيد **لذي حجر** اي لذي
عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغي ولا يجمل كما سمي
عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبايح وسمي نهي لانه ينهي عما لا يحل ولا
ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر الا لمن هو قاهر لنفسه
ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى
ان من كان ذا عقل ولب ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشيا
فيه عجايب ودلايل فدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم
به لدلالته على خالقه • قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد
واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى **الم تر كيف فعل ربك بعاد**
وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافر
يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك
سوط عذاب • وقوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك الم تعلم وانما اطلق
لفظ الروية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة
عندهم وقوله الم تعلم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل
احد كيف فعل ربك بعاد **ارم ذات العماد** يعني ان المقصود من
ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا اطول اعمارا واشد
قوة من هولا فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم
من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى
ارم هو جد عاد على ما ذكره في نسبة عاد • وقيل ان المتقدمين على
قوم عاد كانوا يسمون ارم باسم جدهم • وقيل ارم هم قبيلة من عاد
وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا
اليه وهو ارم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح وقال الكلبي ارم هو الذي
يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال له
عاد ارم وثمود ارم فاهلك عادا وثمودا وابقى اهل السواد واهل
الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقال
الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت
وهي بلاد الرمال والاحقاف • وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية
سيارة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا
اهل جنان وزرع ومنازلهم بوادي القرى وهي قال الله **التي لم يخلق**
مثلها في البلاد وسموا ذات العماد لانهم كانوا على عمد سيارة وهو قول

قتادة ومجاهد والكلبي ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول
قامتهم مثل العماد في الشبه • قال مقاتل كان طول احدهم اثني عشر
ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة
في الطول والقوة وهم الذين كانوا اشد منا قوة • وقيل سموا ذات العماد
لبناء بناه بعضهم فشد عمده ورفع بناه • قيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملك الدنيا ودنت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة
فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا
فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت
فبينما هو يسير في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات
عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها وظن ان فيها احد
يساله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل
سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعين
بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو
بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق
الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللولوء والياقوت
واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها
بعضا وهي مفروشة كلها باللولوء وبنادق المسك والزعفران قال
ابن عباس فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة
فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة
تجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل
معه من لولوها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر
ما كان معه وحدث بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم
عليه فساله عن ذلك فقص عليه بما راى فارسل معاوية الى كعب
الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب
وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني
حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة قهرمان مع
كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوهم بما في
بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا
موافقة فخرجوا على صخرة نقية من التلال واذا فيها عيون تجري
ماء وموج فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان نبني فيها فوضعوا
اساسها من الجزع اليماني واقاموا في بنائها ثلثمائة سنة فلما اتوه
وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا حوله الف
قصر وعند كل قصر علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وامر الملك

فملكها بعده وخرب البلاد والعباد
فات شديد وخلص الملك لشداد

وزراه

وزراه وهم الف وزير ان يتهيئوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك
واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا على مسيرة يوم
وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السما فاهلكتهم
جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في
زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في
طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك
الرجل فقوله عز وجل **وثمود** اي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد
الذين جابوا اي قطعوا **الصخر بالواد** يعني بوادي القرى وكانت
ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا
وفرعون ذي الاوتاد وسمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم
وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل
في ظل ملك راسخ الاوتاد • روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي
عباس ان فرعون لما سمي ذي الاوتاد لانه كانت امراة وهي كانت
امراة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته
ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون
اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت
فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله
السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها
وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان
الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها
فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك
قالت لا افعل فدعاها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات
والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب
شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها
ابنتان فجا بابنتها الكبرى فذبحها على فيها ثم قال اكفري بالله والا
ذبحت الصغرى على فيك وكان رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض
على في ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما اضجعت على جسدها
واراد ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي
من الاربعة الذين تكلموا في المهد صغارا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي
فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضي الى رحمة الله
وكرامته فذبحت فلم تلبث الام الى ان ماتت فاسكنها الله الجنة وبعث
في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه روي في جبل
كذا في موضع كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلي

وثلاث صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا
فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على احد
فايما هذين الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه في الدنيا سؤله
وايما هذين الرجلين اظهر على فعجل عقوبته واجعل مصيره في الاخرة
الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وامن
واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون
وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعى به فقال احق ما يقول هذا
قال ما رايت مما يقول شيا فاعطاه فرعون فاجزل واما الاخر
فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نسا
بني اسرايل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة
فقالت وكيف يسعني ان اصبر على ما ياتي فرعون وانا مسلمة وفرعون
كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا
منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة
فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون
وان الهها والهك والهي واله السموات والارض واحد لا شريك له
فمزق عليها ثيابها وضربها وارسل الى ابويها فدعاهما وقال لهما
ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك
اني اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له
فقال ابوها يا اسية الست من خير نسا العالمين وزوجك من العماليق
قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له ان يتوجني
تاجا يكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما
فرعون اخرجا عني ثم مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله
لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله
روحها وادخلها الجنة **قوله عز وجل** الذين طغوا في البلاد
يعني عادا وثمودا وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك
الطغيان بقوله فاكثروا فيها الفساد يعني القتل والفساد ضد
الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر كذلك الفساد فصب
عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل
هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة
الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشي بعضه ببعض
وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل
نوع منه وقيل هو جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا

قرا

قرا هذه الاية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها
ان ربك لبالمرصاد قال ابن عباس بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق
العباد لا يفوته احد • وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق
وقيل يرجع الخلق الى امره وحكمه واليه مصيرهم • وقيل يرصد اعمال العباد
كما لا يفوت بالمرصاد • وقيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم
قوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه اي امتحنه ربه
بالنعمة فاكرمه اي بالمال ونعمه اي بما وسع عليه فيقول ربي اكرمني
اي بما اعطاني من المال والنعمة واما اذا ما ابتلاه يعني بالفقر
فقدر عليه اي فضيق عليه وقيل قتر رزقه اي وقدر اعطاه ما يكفيه
فيقول ربي اهانني اي اذلني بالفقر نزل في امية بن خلف الجمحي الكافر
وقيل ليس المراد به واحد بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي
تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد
الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى
كلا اي ليس الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لاهانته
فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته
ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على
الانسان من اصناف المال ليختبره ابشكر ام يكفر ويضيق عليه
ليختبره ايصبر ام يضجر ويقلق بل لا يكرمون اليتيم اي لا يعطونه
حقه الثابت له في الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما
في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه ولا يحضون على طعام المسكين
اي لا يطعمون مسكينا ولا يامرون باطعامه وقري ولا يحاضون ومعناه
ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك وياكلون التراث اي الميراث اكلا
لما اي شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا
في الجاهلية لا يورثون النسا والصبيان وياكلون نصيبهم وقيل
الاكل اللم الذي ياكل كل شي يجده لا يسال احلال ام حرام وياكل الذي
له ولغيره ويحبون المال حبا جما اي كثيرا والمعنى يحبون جميع المال
ويولعون به ويحبه كلا اي ما ينبغي ان الامر هكذا من الحرص على جميع
المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره
من المسكين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم
الندم فقال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اي دكت وكسرت مرة بعد
مرة وكسر كل شي عليها من جبل وبنا وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شي وجا
ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت عنها وعن
مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وامروها كما جاءت

من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها
على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين وقال
ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الاية
فقيل في تاويلها وجا امر ربك وقضاؤه وقيل وجا دلايل اياته
فجعل مجيها مجيا له تفخيما لتلك الايات **والملك صفا صفا** اي
ينزل ملايكة كل سما صفا صفا على حدة فيصطفون صفا
بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف **وجي يوميذ**
يعني يوم القيمة **بجهنم** قال ابن مسعود في الاية ان تقاد جهنم
بسبعين الف زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى
تنصب على يسار العرش **يوميذ** يعني يوم يجا جهنم **يتذكر الانسان**
اي يتعظ الكافر ويتوب **وانى له الذكرى** يعني انه يظهر التوبة
ومن اين له التوبة **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** اي قدمت الخير
والعمل الصالح لحياتي في الاخرة التي لا موت فيها **فيوميذ لا يعذب
عذابه احد** اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر
يوميذ **ولا يوثق وثاقه احد** يعني لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ
الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل والاغلال
وقري ولا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثا ومعناه ولا يعذب
عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف
وذلك لشدة كفره وعتوه **قوله عز وجل** **يا ايتها النفس
المطمينة** اي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال
الله الموقنة التي قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت
لامره وطاعته وقيل المطمينة الموقنة وقيل هي الراضية بقضا الله
وقيل هي الامنة من عذاب الله • وقيل هي المطمينة بذكر الله قيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في
خبيب بن عدي الانصاري • وقيل في عثمان حين اشترى بير
رومة وسبلها • وقيل في ابي بكر الصديق والاصح ان الاية عامة
في كل نفس مومنة مطمينة لان هذه السورة مكية **ارجعي الى
ربك** اي الى ما وعد ربك من الخير والثواب قيل يقال لها عند
خروجها من الدنيا • قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المومن
ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فتقول
اخرجي ايتها النفس المطمينة اخرجي الى روح الله وريحان وربك
عليك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجد احد في انفه والملايكة
على ارجا السما يقولون قد جا من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا

تمر

تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يوتي بها الرحمن جل
جلاله فتسجد له ثم يقال لميكايل اذهب بهذه النفس فاجعلها
مع انفس المومنين ثم يومر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا
عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان
معه شي من القران كفاه نوره وان لم يكن جعل له فيه نور امثل الشمس
في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله
اليه واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من
بجاد اي من كسا انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال
ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك
غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الى ربك اي الى صاحبك وهو
الجسد وانما يقال لها عند البعث فيامر الله الارواح ان
ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطا والضحاك ورواية
عن ابن عباس • وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته **راضية**
عن الله بما اعد الله لك **مرضية** اي رضي الله عنها وقيل لها
في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية **فا**ذا كان يوم القيمة
قيل لها **ادخلي في عبادي** اي في جملة عبادي الصالحين المصطفين
وادخلي جنتي قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف
فشهدت جنازته فجا طاير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم
لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر فلم
لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك
راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال بعض
اهل الاشارة في تفسير هذه الاية يا ايتها النفس المطمينة الى
الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الاخرة
والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

• سورة البلد مكية •

وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثماية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل**
لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول
سورة القيامة والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين **وانت
حل بهذا البلد** اي مقيم به فاترك الله فيه فكانه عظم حرمة مكة
من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اي حلال والمعنى
احلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما
على الناس من الاثم في استحلالها احل الله عز وجل مكة يوم الفتح

حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة
ومقيس بن صبابة وغيرهما فاحل دما قوم وحرم دما قوم اخرين
فقال من دخل دار ابي سفين فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن
ومن دخل المسجد فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم
خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم
القيمة والمعنى ان الله تعالى اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها
وشرفها وحرمتها ومع ذلك فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه
يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله
تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه في المستقبل بعد
الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده • وقيل في معناه قوله
وانت حل بهذا البلد قال يحرمون ان يقتلوا به صيدا او يستحلون
قتلك فيه واخراجك منه **ووالد وما ولد** يعني ادم وذريته اقسم
الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم وبالانبيا والصالحين
من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حين يقسم
به وجواب القسم قوله تعالى **لقد خلقنا الانسان في كبد** قال ابن
عباس في نصب وقيل يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعنه
ايضا قال في مدة حملة وحمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله
ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة • وقيل لم يخلق الله خلقا
يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق • وعن ابن عباس
ايضا قال الكبد الاستوا والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى انا
خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شي من الحيوان يمشي
منكبا وقيل منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن الله في خروجه
انقلب راسه الى اسفل • وقيل في كبد اي في قوة نزلت في ابي الاسد
اسيد بن كلدة بن جمح • وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي
تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان
ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر
موضع قدميه **ايحسب** يعني ابا الاسد من قوته **ان لن يقدر عليه
احد** يعني يظن لشدته في نفسه انه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد
ابن المغيرة المخزومي **يقول** يعني هذا الكافر **اهلكت** اي
انفقت **مالا لبدا** اي كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق
بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم **ايحسب ان لم يره احد**
يعني ايظن ان الله لم يره ولا يساله عن ماله من اين اكتسبه وفيما

انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال
والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر
نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى **الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين**
يعني ان نعم الله على عبده مقدورة بها كيما شكروه وجا في الحديث
ان الله عز وجل يقول ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت
عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه **وهديناه
النجدين** قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل
والهدى والضلالة • وقال ابن عباس الثديين **فلا اقتحم
العقبة** فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من ذلك الرقاب
واطعام السغبان فيكون ذلك خيرا له على عداوة من ارسله وهو
محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل معناه لم يقتحمها ويجاوزها ۞
والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه
الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال الخير والبر
فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل
على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام • وقيل انه شبه ثقل
الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان
كمن اقتحم العقبة وجاوزها • وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة
جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها
بطاعة الله ومجاهدة النفس • وقيل هي على الصراط يضرب على
متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا
وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان
فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في النار منكوس فمن الناس
من يمر كالبرق الخاطف • ومنهم من يمر كالريح العاصف • ومنهم من
يمر كالفارس • ومنهم من يمر كالرجل يعدو • ومنهم من يمر كالرجل
يسير ومنهم من يزحف زحفا • ومنهم الزالون • ومنهم من يكردس في
النار • وقيل معنى الاية هلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي
فقال تعالى **وما ادراك ما العقبة** اي وما ادراك ما اقتحام
العقبة **فك رقبة** يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال
الرق من العبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في
ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق
رقبة كان فداه من النار **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو
منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه • وروى البغوي بسنده

عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت اقصرت
الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة ان تعين
في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك
فكف لسانك الا من خير • وقيل في معنى الاية فك رقبته من رق
الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات حتى
يصير بها الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من
النار **او اطعم في يوم ذي مسغبة** اي ذي مجاعة والسغب الجوع
يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة يريد يطعم يتيما بينك وبينه قرابة
او مسكينا ذا متربة يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال
ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم
بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله **ثم كان من الذين
امنوا** والمعنى انه كان مؤمنا نفعته هذه القرب ولا يقتحم العقبة
وتواصوا بالصبر يعني وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء
الفرايض وجميع اوامر الله ونواهيه **وتواصوا بالمرحمة** اي برحمة
الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله **اولئك**
يعني اهل هذه الخصال **اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا**
هم اصحاب المشئمة عليهم نار مؤصدة يعني مطبقة عليهم ابوابها
لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله سبحانه وتعالى اعلم

• تفسير سورة الشمس مكية •

وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبع واربعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل والشمس
وضحاها** اي ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل
الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد
نورها قوي حرها وهذا اضعف الاقوال **والقمر اذا تلاها** اي تبعها
وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في
الاضاءة وخلفها في النور • وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين
يكمل ضوءه ويستدير وذلك في الليالي البيض • وقيل تلاها تبعها
في الطلوع وذلك في نصف اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس
ظهر الهلال فكانه تبعها **والنهار اذا جلاها** يعني جلا ظلمة
الليل بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور وكونه
معروفا **والليل اذا يغشاها** يغشى الشمس حين تغيب فتظلم
الافاق وقيل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة

لان

لان بوجودها يكون النهار ويشتد الحر الضحى وبغروبها يكون الليل
ويتبعها القمر **والسماء وما بناها** اي ومن بناها وقيل والذي بناها
فتعالى هذا الكائن الذي اقسم به وبا عظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل
ما بمعنى المصدر اي والسماء وبنائها **والارض وما طحاها** اي بسطها
وسطحها على الماء **ونفس وما سواها** اي عدل خلقها وسوى اعضاها
هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القايم بالجسد فيكون
معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة
والباصرة والفكر والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما
نكرها لا نه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه
وهي نفس جميع من في الانس والجن **فالهمها فجورها وتقواها**
قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية
وعنه عرفها ما تاتي وما تتقي • وقيل الزمها فجورها وتقواها
وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها
للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور
م عن ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل
الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد
سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم
وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى فقال افلا يكون
ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله
وملك يده فلا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال لي يرحمك الله
اني لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل
الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق
ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها م عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا
رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم قال
فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل ام فيما
العمل ام فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به
المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه
اقسام اقسم بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم
بها وقيل فيه اضمار تقديره رب الشمس وضحاها وما بعدها
واورد على القول انه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما

يُنها

بناها وذلك قوله تعالى فيكون التقدير ورب السما ورب من بناها
وهذا خطأ لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا
اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السما الذى بناها
وجواب القسم قوله تعالى **قد افلح من زكاها** اى فازت نفس وسعدت
زكاها الله اى اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة
وقد خاب من دساها اى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى
وافسدها واصله من دس الشى اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى
اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسار من خذله
واضله حتى لا يظن احد انه لا يتولى تطهير نفسه او هلاكها بالمعصية
من غير قدر سابق متقدم وقضا سابق وعن زيد بن ارقم قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك من العجز
والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسى تقواها وزكها
انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم انى اعوذ بك من علم
لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب
لها **قوله عز وجل** **كذبت ثمود** وهم قوم صالح عليه السلام **بطغواها**
اى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب
حتى كذبوا **اذ انبعث اشقاها** اى قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا
بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف
وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا قام بعقر الناقة ق قال عبد الله
ابن زمعة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى
عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبعث اشقاها انبعث
لها رجل عزيز عارم منيع فى اهله مثل ابى زمعة لفظ البخارى
قوله عارم اى شديد ممتنع قوله تعالى **فقال لهم رسول الله** يعنى صالحا
عليه السلام **ناقة الله** وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا
على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لتشريفها كبيت الله **وسقياها**
اى وشربها اى ذروا شربها ولا تتعرضوا للما يوم شربها **فكذبوه**
يعنى صالحا **فعقروها** يعنى الناقة **فدمدم عليهم ربهم** اى فدمر
عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استيصال وقيل دمدم اى
اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم احد **بذنبهم** اى فعلنا
ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم
الناقة **فسواها** اى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل
معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم

العذاب **ولا يخاف عقباها** اى لا يخاف الله تبعة من احد فى هلاكهم
قاله ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى
ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه السلام
والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من العذاب ان يؤذيه
احد بسبب ذلك والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والليل اذا يغشى مكية

وهى احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلثماية وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل**

والليل اذا يغشى اى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه اقسم
الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى ماواه
ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله **والنهار اذا
تجلى** بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق **وما
خلق الذكر والانثى** اى ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى
والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء
واحد ان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما ادم وحوى وانما اقسم
بهما لانه تعالى ابتدع خلق ادم من طين وخلق منه حوى من غير ام
وجواب القسم قوله تعالى **ان سعيكم لشتى** اى ان اعمالكم مختلفة فساع
فى فكاك نفسه وساع فى عطبها روى ابو مالك الاشعرى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبايع نفسه
فمعتقها او موبقها قوله موبقها اى مهلكها قوله تعالى **فاما من
اعطى** اى انفق ماله فى سبيل الله عز وجل **واتقى** اى ربه وفيه اشارة
الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغى **وصدق بالحسنى** قال ابن عباس صدق
بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف اى ان الله سيخلف عليه
ما انفقه فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله
عز وجل الذى وعده انه يثيبه **فسنيسره** اى فسنهيئه فى الدنيا
لليسرى اى للخلة والعظة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله قوله
عز وجل **واما من بخل** اى بالنفقة فى الخير والطاعة **واستغنى** اى
عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه **وكذب بالحسنى** اى بلا اله الا الله
وكذب بما وعده الله من الجنة والثواب **فسنيسره للعسرى** اى
فسنهيئه للشر بان يجريه على يديه حتى لا يعمل بما لا يرضى الله تعالى
فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان يأتى خيرا وفى الاية
دليل لاهل السنة وصحة قولهم فى القدر وان التوفيق والخذلان
والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق فى الازل

ق عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصره
فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده
من النار ومقعده من الجنة قال مسلم الا وقد كتبت شقية او سعيدة
قالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير لعمل السعادة
واما من كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى المخصرة
بكسر الميم كالسوط والعصى ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتا
المثناة فوق ضرب الارض بيدك او غير ذلك مما يوثر فيه الضرب ۞
وهذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية
ابن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل
اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني ابي بكر وامية بن خلف وقيل
كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان
صاحب النخلة اذا طلع نخلته لياخذ منها الثمر فربما سقطت الثمرة
فياخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى ياخذ
الثمرة من ايديهم وان وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه
حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم
فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني
نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل
ان لي نخلا وما فيه اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح
رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعني
حايطا له فيه نخل فقال هي لك فاتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اشتريتها مني بنخلة في الجنة فقال نعم هي
لك فدعى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري
صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الاية وهذا
القول فيه ضعف لان السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة
فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بالمدينة
وبمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق
وامية بن خلف لان سياق الايات يقتضي ذلك قوله تعالى **وما يغني**
عنه ماله اي الذي بخل به **اذا تردى** اي اذا مات وقيل هوى في جهنم
ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة
وذلك ان الله عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى اخبرهم

ان بيده الارشاد والهداية وعليه يتبين طريقها وقيل معناه ان علينا
للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائي الى العمل
بطاعتي واصرف اعدائي عن العمل بطاعتي • وقيل معناه من سلك
سبيل الهدى فعلى الله سبيله **وان لنا للاخرة والاولى** لنا ما في
الدنيا فمن طلبها من غير مالكها اخطا الطريق **فانذرتكم** اي يا اهل مكة
نارا تلظى اي تتوقد وتتوهج **لا يصلاها الا الاشقى** يعني الشقي **الذي**
كذب وتولى يعني الرسل وتولى اي عن الايمان **وسيجنبها الاتقى** يعني
التقي **الذي يؤتي** اي يعطي **ماله يتزكى** اي يطلب عند الله ان يكون
زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق في جميع
المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال ابوه اي
بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري اريد فانزل الله
وسيجنبها الاتقى الى اخر السورة • وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال
لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام
طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه
على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم
يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد قال
محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما
وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا
تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال
ابو بكر افعل عندي غلام اسود واجلد منه واقوى وهو على دينك
اعطيكه قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا
فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر
بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بير
معونة شهيدا وام عميس وزهرة فاصيب بصرها حين اعتقها ابو
بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذب
ورب البيت ما يضر اللات والعزى وما ينفعها فرد الله تعالى
عليها بصرها فاعتق النهدية وابنتها وكانتا لامراة من بني عبد
الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها والله لا اعتقهما
ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما
قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية
من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر
بلالا واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم
ابي بكر عتيقا فقال في ذلك

جزا الله خيرا عن بلال وصحبه • عتيقا واخزى فاكها وابي جهل
عشية هما في بلال بسوءة • ولم يحذرا ما يحذر المرء والعقل
بتوحيد رب الانام وقوله • شهدت بان الله ربي على مهل
فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن • لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب ابراهيم والعبد يونس • وموسى وعيسى نجني ثم لا تملي
لمن ظل يهوى الغي من ال غالب • على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل **وما لاحد عنده من نعمة تجزى** اي عند ابي بكر من نعمة تجزى اي من يد يكافيه عليها **الا ابتغاء وجه ربه الاعلى** اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطالب رضاه **ولسوف يرضى** اي بما يعطيه الله عز وجل في الاخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل •

• تفسير سورة والضحى مكية

وهي احد عشر اية واربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **والضحى** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية السورة على ثلاثة اقوال القول الاول **ق** عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلاث فجاءت امرأة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين او ثلاث فانزل الله عز وجل والضحى **والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى** واخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • قال فابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد ربه فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى • وقيل ان المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل امرأة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف فقال

سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ادخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي فقيل اثنا عشر يوما • وقال ابن عباس خمسة عشر يوما • وقيل اربعين يوما فلما نزل جبريل عليه السلام عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما جئت حتى اشتقت اليك شوقا ولكني عبد مأمور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة • قوله عز وجل والضحى • قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا سجى • وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتا والليل اذا سجى • قال ابن عباس اقبل بظلامه • وقيل معناه سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا اقسم اقسم الله بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك • وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الاي • وقيل معناه وما قلى احدا من اصحابك وما هو على دينك الى يوم القيمة • **وللاخرة خير لك من الاولى** اي الذي اعطاك في الاخرة خير لك واعظم من الذي اعطاك في الدنيا روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا **ولسوف يعطيك ربك فترضى** قال ابن عباس هي الشفاعة في امته حتى يرضى **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد واسأله ما يبكيك وهو يعلم فاتى جبريل وسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوؤك **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل لكل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتي لا يشرك بالله شيئا • عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني ات من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا اخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل

العراق تقولون ارجى اية في القران قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى اية من
كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى يعطيك ربك من الثواب
فترضى وقيل النصر والتمكين وكثرة المومنين فترضى وقيل حمل الاية
على ظاهرها خيري الدنيا والاخرة معًا اولى وذلك ان الله تعالى
اعطاه في الدنيا من النصر والظفر على الاعدا وكثرة الاتباع والفتوح
في زمنه وبعده الى يوم القيمة واعلا دينه وان امته خير الامم واعطاه
في الاخرة الشفاعة الخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه في
الدنيا والاخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذلك
نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل **الم يجدك يتيما صغيرًا فاوى**
اي الم يجعلك الله يتيما من الوجود الذي هو عين العلم والمعنى الم
يجدك يتيما صغيرا حين مات ابوك ولم يخلف لك مالا ولا ماوى
يجعل لك ماوى تاوي اليه وضمك الى عمك اباطالب حتى احسن
تربيتك وكفاك المونة وذلك ان عبد الله مات ولرسول الله صلى
الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب
كفله عمه ابو طالب الى ان قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من
قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا من قريش عديم النظير
فاواك اليه وايدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته
ووجدك ضالا اي عما انت عليه اليوم **فهدى** اي فهداك الى
توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن عالم النبوة واحكام الشريعة
فهداك اليها • وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فراه ابو جهل منصرفا من اغنا
من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب • وقال سعيد بن المسيب خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب في قافلة ميسرة غلام
خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة جا ابليس فاخذ بزمام
ناقته فعدل به عن الطريق فجا جبريل عليه السلام فنفخ على ابليس
نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
القافلة فمن الله بذلك • وقيل وجدك من اهل الضلال فعصمك
عن ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم • وقيل الضلال هنا
بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا في
طلب ما يتوجه به حتى هداه الله لدينه • وقال الجنيد ووجدك
متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه
الاية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة

على

على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك
الانبيا قبله منذ ولدوا نشاوا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها
وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله وتوحيده ويدل
على ذلك ان قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب
سوى الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه
ما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبراه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه
وعيروه به • **ويويده** هذا ما روي في قصة بحيرا الراهب حتى
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين
سافر مع عمه ابي طالب الى الشام فراى بحيرا علامات النبوة فيه
وهو صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني
بهما فوالله ما ابغضت شيا بغضهما ويوكد هذا ايضا شرح صدره صلى
الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقال هذا حظ
الشيطان منك وملاه حكمة وايمانا • **وقوله** تعالى ما ضل صاحبكم
وما غوى • وقال الزمخشري ومن قال كان على امر قومه اربعين
سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه
على دين قومهم معاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا معصومين قبل
النبوة وبعدها من الكباير والصغاير الشايبة فما بال الكفر والجهل
الصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي والله اعلم **قوله عز وجل
ووجدك عايلا فاغنى** يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنايم
وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذه حقيقة المعنى **ق** عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن العرض
ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والرا المال **م** عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح
من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اعطاه • **وروى** البغوي
باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سالت ربي عز وجل مسالة وددت اني لم اكن سالته قلت يا رب
اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا قال يا محمد الم اجدك
يتيما فاويتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت
بلى يا رب زاد في رواية الم نشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت
بلى يا رب **فان قلت** كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه
على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك
وتعالى **قلت** انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك
ليقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى

الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة
انعامه كانه قال مالك تقطع رجاك عني الست الذي ربيتك واويتك
وانت يتيما صغيرا اتظنني اني تاركك وتضيعك كبيرا بل لا ابد
وان اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان
المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقرا فقال عز وجل **فاما
اليتيم فلا تقهر** اي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تنتهره على
ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل
في امر اليتامى ياخذون اموالهم ويظلمون حقوقهم • روى البغوي
بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في
المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة
هكذا ويشير باصبعيه **خ** عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة
والوسطى وفرج بينهما **واما السايل فلا تنهر** يعني السايل على
الباب يقول لا ترد وجهه اذا سالك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه
واما ان ترده اذا سالك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان
ترده ردا لينا برفق ولا تنكر بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن ادهم
نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة • وقال ابراهيم السايل بريد
الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول توجهون الى اهليكم بشي وقيل السايل
هو طالب العلم فيجب اكرامه وانصافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه
ولا ينهره ولا يلقى بمكروه • **واما بنعمة ربك فحدث** قيل اراد بالنعمة النبوة
اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاك الله وقيل النعمة
هي القران امره ان يقراه ويقريه غيره • وقيل اشكره لما ذكر نعمه عليك
في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغنا
بعد العيلة والفقر امره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث
بنعمة الله تعالى شكرها • عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من اعطي فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن
عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم
يعط كان كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي • وله عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر
الله وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم
الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن
النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الله والتحدث

بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراة
اهل المدينة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس كل سورة حتى يختم
القران فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم
النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله تعالى اعلم

• تفسير سورة الم نشرح مكية •

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف •

بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل**

الم نشرح لك صدرك استفهام بمعنى التقرير اي قد فعلنا ذلك
ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر
نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل
التي تصد عن ادراك الحق • وقيل معناه الم نفتح عليك ونوسعه
ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح
صدره في صغره **م** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج
منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست بما زمزم
ثم لامه ثم اعاده الى مكانه وجا الغلمان يسعون الى امه يعني ظئرته
فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد
كنت ارى اثر المخيط في صدره **ووضعنا عنك وزرك** الذي سلف
منك في الجاهلية وهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغال
قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها
لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل • وقيل معناه عصمناك
من الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمي العصمة
وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفى في سورة
طه عند قوله وعصى ادم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر **الذي انقض ظهرك** اي اثقله واوهنه حتى سمع له
نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل والرحل فوق البعير
فمن حمل الوزر عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها
اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن
حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار
سيات المقربين • قوله عز وجل **ورفعنا لك ذكرك** روى البغوي

باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سال جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز
وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة
والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل
شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع من ذلك بشي وكان كافرا
وقال قتادة ورفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال
مجاهد يريد التاذين وفيه قول حسان

اعز عليه للنبوة خاتم • من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه • اذ قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار
بفضله • وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه واسم محمد رسول الله ونبي الله
وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن
يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما جا في القران وغيره من كتب الانبيا
ثم وعده اليسر والرخا بعد الشدة والعنا وذلك انه كان في شدة
بمكة فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها
من جهاد المشركين يسرا ورجا بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق
الذي جيتهم به وانما كرره لتاكيد الوعد وتعظيم الرجا قال الحسن
لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
فقد جاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين قال مسعود ولو كان العسر
في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قالت
المفسرون في معنى قوله عسر بيسرين بين ان الله تعالى كرر لفظ العسر
وذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادات العرب
اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول كقولك
كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية
مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة
فكانا يسرين فكانه قال فان مع العسر يسرا ويسرا وزيف ابو علي بن
يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في
قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة
واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسران وهذا قول
مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس

سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز
قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه
وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيرا اهل مكة فاغتم النبي صلى الله
عليه وسلم لذلك وظن قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه
في هذه السورة ووعده الغنى يسليه بذلك عما خامره من الغم
فقال تعالى ان مع العسر يسرا اي الذي في الدنيا عاجلا ثم انجز
ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان
يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فضلا من
امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه
تعريه من الفا والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان العسر
الذي في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران
يسر الدنيا ويسر الاخرة يسر الدنيا وهو ما ذكره في الاية الاولى ويسر
الاخرة وهو ما ذكره في الاية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين
اي ان عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المومنين في الدنيا واليسر
الذي اوعدهم في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما
يسر الاخرة فدائم غير زايل لا يجتمعان في الغلبة كقوله صلى الله عليه
وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال القشيري
كنت يوما بالبادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت

ارى الموت لمن اصبح • مغموما له اروح
فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى
الا ايها المرء الذي • الهم به برح
وقد انشد بيتا لم • يزل في فكره يفسح
اذا اشتد بك العسر • ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين • اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقال اسحاق بن بهلول
القاضي • فلا تياس اذا اعسرت يوما • فقد ايسرت في دهر طويل
فلا تظنن بربك ظن سوء • فان الله اولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار • وقول الله اصدق كل قيل
وقال احمد بن سليمان في المعنى وقيل غيره •
وكل الحادثات اذا تناهت • يكون وراها فرج قريب

قوله عز وجل فاذا فرغت فانصب لما وعد الله على نبيه
صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر وعلى الاجتهاد في
العبادة والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ

من عبادة انتهيا باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت
من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعا وارغب اليه فى
المسئلة • وقال ابن مسعود واذا فرغت من الفرايض فانصب
فى قيام الليل واذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك
وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل
اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين
قال عمر بن الخطاب انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سهلا لا فى عمل
دنياه ولا فى عمل اخرته السهلل الذى لا شى معه وقيل السهلل الباطل
والى ربك فارغب اى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من
النار وقيل اجعل رغبتك الى الله فى جميع احوالك لا الى احد سواه

• تفسير سورة والتين مكية •

وهى ثمان ايات واربع وثلاثون كلمة ومااية وخمسة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل**
والتين والزيتون قال ابن عباس هو تينكم الذى تاكلون ه
وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم
لانه فاكهة مخلصة من شوايب التنغيص وفيه انه يشبه فواكه
الجنة بلا عجم بطريق الرشح وتليين الطبيعة ويقلل البلغم واما
الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح
به وشجره فى اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وينبت فى الجبال
التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض الوفا من السنين فلما
كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقها لاجرم
اقسم الله بها وقيل هما جبلان فالتين الذى عليه دمشق والزيتون
الذى الجبل عليه بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع
الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا
وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت
المقدس **وطور سينين** يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه
السلام وسينين اسم للمكان الذى كلم الله عليه موسى فيه الجبل
سمى سينين وسينا لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة
يسمى سينين وسينا **وهذا البلد الامين** وهو مكة حرسها الله
تعالى لانه الحرم الذى يامن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام
لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا يلتقط لقطته الا لمنشد وهذه
اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم
قوله تعالى **لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم** يعنى فى اعدل

والزيتون ح

قامة واحسن صورة وذلك ان الله تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه
ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة
يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز والمنطق
ثم رددناه اسفل سافلين يعنى الهرم وارذل العمر فيضعف
بدنه وينقص عقله والسافلون هم الصغار والزمنى والاطفال
فالشيخ الكبير اسفل من هولا جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا
يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل
ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى
فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** فانهم لا يردون الى
النار ولا الى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثنا
منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع
عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات
ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب
لهم بعد الهرم والخوف مثل الذى كان يعمل فى حال الشباب
والصحة • وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على زمن
النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم
الذين عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص ه
والحكم عام • قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له
باحسن ما يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قروا القران
من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر **فلهم اجر غير ممنون** يعنى غير
مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير
عمل ثم قال الزاما للحجة **فما يكذبك** يعنى يا ايها الانسان وهو
خطاب على طريق الالتفات **بعد** اى هذا الكذب لا تتفكر فى صورتك
وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل
ذلك قادر على ان يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة وقيل
هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول
بعد ظهور هذه الدلايل والبراهين **اليس الله باحكم الحاكمين**
فيقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذى وعن البرا
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشا الاخرة فقرا
فى احدا الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن منه
صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة اقرا باسم ربك مكية •

وهى تسع عشرة اية واثنان وتسعون كلمة وماتيان وثمانون حرفا

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القران واول اية ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم ق عن عايشة ام المومنين انها قالت اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم وكان لا يرى رؤية الا كانت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلوا بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا قال ما انا بقاري فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب منه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك تصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزي بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن العم اسمع من ابن اخيك فقال له يا ابن اخي ما ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني يومك احيا انصرك نصرا موزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه كي يتردى من روس شواهق الجبال فلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك **فصل** في هذا الحديث دليل

صريح على ان سورة اقرا اول ما نزل من القران وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عايشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم ومن غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلما الا ما تفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وانما ابتدا صلى الله عليه وسلم بالرويا ليلا يفجاه الملك فيايته بصريح النبوة توطية للوحي وانما التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم • قولها فجيه الحق اي جاه الحق بالوحي بغتة • قوله فغطني بالغين المعجمة والطا المشالة المهملة اي عصرني وضمني ضما شديدا حتى بلغ مني الجهد قال العلما والحكمة في الغط اشغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفا قلبه ولهذا كرره ثلاثا • قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اي الفزع • قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله يروى بضم اليا وبالخا المعجمة من الخزي اي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك بذلك • ويروى بفتح اليا وبالحا والنون لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح • وقولها وتحمل الكل اي الثقل والحوايج المهملة وتكسب المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء • قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شا الله ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شا منه بالعبرانية ان اراد او بالعربية ان اراد ذلك • قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى وهو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب الخبر انما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبيا عليهم الصلاة والسلام • قوله يا ليتني فيها اي ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا اي قويا بالغا قولها فلم ينشب ورقة ان توفي اي فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم • قوله حتى يتردى من التردي الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه تبدى له اي ظهر قوله فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم • وقيل الجاش هو ما ثار من فزعه

وذهاب من حزنه والله اعلم • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اقرا باسم ربك قيل الباء زايدة مجازه اقرا اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امر ان يبتدى القران باسم الله تاديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرا القران مفتتحا باسم ربك اى قل بسم الله ثم اقرا فعلى هذا يكون فى الاية دلالة على استحباب البداية بالتسمية فى اول القراة وقيل معناه اقرا القران مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة واعبا الرسالة الذى خلق يعنى جميع الخلايق وقيل هو حصل منه الخلق واستاثره لا خالق سواه وقيل هو الذى خلق كل شى خلق الانسان يعنى ادم وانما خص الانسان بالذكر من بين ساير المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة من علق جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع مع العلق ولمشاكلة رؤس الاى ايضا اقرا كرره تاكيدا وقيل الاول اقرا فى نفسك والثانى اقرا للتبليغ وتعلم امتك ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم يعنى هو الذى لا يوازنه كريم ولا يعادله فى الكرم نظير وقيل يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاوه الشى من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض عن الله سبحانه وتعالى جل جلاله وتعالى علاه وشانه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك فى وصفه لانه اكرم الاكرمين • وقيل الاكرم الذى له الابتدا فى كل كرم واحسان وقيل الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة • وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراة والمعنى اقرا وربك الاكرم انه يجزى بكل حرف عشرا الذى علم بالقلم اى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغايبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرف اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسيل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان ما لم يعلم قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحد وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم الادم الاسما كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** كلا ان الانسان ليطغى اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ان اى لان راه استغنى اى راى نفسه

غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى كما اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى ابى جهل وكان قد اصاب ما لا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ان الى ربك الرجعى اى المرجع فى الاخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ فتكبر ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت فى ابى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة م عن ابى هريرة قال قال ابو جهل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لان رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطا على رقبته قال فما فجاهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له ما لك قال بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملايكة عضوا عضوا فانزل الله لا ندرى فى حديث ابى اوس بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال قال وامره بما امره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه خ عن ابن عباس قال قال ابو جهل لان رايت محمدا يصلى عند البيت لاطان على عنقه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعل لاخذته الملايكة زاد ت الترمذى عيانا ومعنى ارايت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفايدة التنكير فى قوله عبدا يدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذى ينهى عبدا اشد الخلق عبودية فى العبودية وهذا دابه وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفا مصلحة الا ان ياذن فيه المولى والزوج ارايت ان كان على الهدى يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعنى بالاخلاص والتوحيد ارايت ان كذب يعنى ابا جهل وتولى اى عن الايمان وتقدير نظم الاية ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متولى عن الايمان اى اعجب من هذا الم يعلم يعنى ابا جهل بان الله يرى يعنى يرى ذلك الفعل فيجازيه وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم كلا اى لا يعلم ذلك ابو جهل لين لم ينته يعنى عن ايذا محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه لنسفعا بالناصية اى لناخذن بناصيته فنجرنه الى النار يقال سفعت بالشى اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر

مقدم والسفع الضرب اى ليضربن وجهه من النار وليسودن وجهه وليذلنه ثم قال على البدل **ناصية كاذبة خاطية** اى صاحبها كاذب خاطى قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتنهرنى فوالله لاملان عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا او رجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجا ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فنهره فقال ابو جهل انك لتعلم ان ما بها نادٍ اكثر منى فانزل الله تعالى **فليدع ناديه سندع الزبانية** قال ابن عباس لو لا دعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح معنى فليدع ناديه اى عشيرته وقومه فلينتصر بهم واصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه اهل **سندع الزبانية** يعنى الملايكة الغلاظ الشداد • قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون النار بشدة ماخوذ من الدين وهو الدفع **كلا** ليس الامر ما عليه ابو جهل **لا تطعه** اى فى ترك الصلاة **واسجد** اى صل لله **واقترب** اى من الله **م** عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعا وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارى والمستمع ان يسجد عند قراتها • يدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرا باسم ربك واذا السما انشقت اخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة القدر مدنية •

وقيل انها مكية والاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل فى المدينة وهى خمس ايات وثلاثون كلمة ومائة واثنى عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل**

انا انزلناه يعنى القران كناية عن غير مذكور **فى ليلة القدر** وذلك ان الله تعالى انزل القران العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقايع والحاجة اليه وقيل انه انزله الى سما الدنيا لشرف الملايكة بذلك اوكانها كالمشترك بيننا وبين الملايكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والاجال وما يكون فى تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده

ومعنى هذا ان الله تعالى يظهر ذلك لملايكته ويامرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه ان يحدثه فى تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم • قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضا المقدر • وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها عن الليالى من قولهم لفلان قدر عند الامير اى منزلة وجاه • وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملايكة فيها

فصل

فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها **ق** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه • واختلف العلما فى وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحا الرجلان ان خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان اخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال فى اخره فالتمسوها فى العشر الاواخر فى التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها وعامة الصحابة والعلما ممن بعدهم على انها باقية الى يوم القيمة • روى عن عبد الله بن محنس مولى معاوية قال قلت لابى هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت فى شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا فى محلها فقيل هى منتقلة تكون فى سنة فى ليلة وفى سنة اخرى فى ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة فى اوقاتها المختلفة • وقال مالك والثورى واحمد واسحاق وابو ثور انها تنتقل فى العشر الاواخر من رمضان • وقيل بل تنتقل فى رمضان كله • وقيل انها فى ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا فى جميع السنين ولا تفاوتها فعلى هذا هى فى ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابو حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما علم انها فى شهر رمضان • واختلفوا فى تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلى هى اول ليلة من شهر رمضان وقيل هى ليلة سبعة عشرة وهى التى كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذى عليه الاكثرون انها فى العشر الاول من رمضان

ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك

ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاوز

العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر
من رمضان م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر
الاواخر من رمضان ذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين ق
عن ابي هريرة ان سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني اريت
هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت
السما فمطرنا فو الذي بعثه بالحق لقد هاجت السما اخر ذلك اليوم وكان
المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي
رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة
يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف
العشر الاواخر • وورد في ليلة القدر اثنين وعشرين حديثا عن عبد
الله بن انيس قال كنت في مجلس لبني سلمة وانا اصغرهم فقال من
يسال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في
صبيحة احد وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة
القدر فقال كم الليلة فقلت اثنان وعشرين اخرجه ابو داود وذهب
جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي
ايضا خ عن الصنابحي انه سال رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيا قال
اخبرني بلال موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في اول السبع
من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال
قلت يرسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني
بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين فقيل
لابنه لاذا كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج
الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد
فجلس عليها ولحق ببادية اخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد
صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان اثر الما والطين على
جبهته وانفه • ويحكى عن بلال وابن عباس قال التمسوها ليلة
اربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين يحكى ذلك عن جماعة
من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب وعن زر بن

ابن

ابن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل ان عبد الله بن مسعود
يقول من اقام السنة اصاب ليلة القدر قال اي والله الذي لا اله
الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني والله اني لاعلم اي ليلة هي
الليلة التي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي سبع
وعشرين وامرتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضا لا شعاع
لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال
ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داود • وقيل هي ليلة تسع وعشرين
دليله تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر • عن ابن عمر قال سيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال
هي في كل رمضان اخرجه ابو داود قال ويروى موقوفا عليه ذكر
ليالي مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان
وليلة احد وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه
ابو داود وعن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت
ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بملتمسها لشي سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته
يقول التمسوها في تسع بقين او سبع بقين او في خمس بقين او في ثلاث
بقين او اخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان
كصلاته في اخر السنة فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي خ
عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخبر بليلة القدر فتلاحا رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت
وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة
قوله فتلاحا رجلان اي تخاصم وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد
رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها خ عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في العشر في
سبع مضين او سبع بقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى
في سابعة تبقى في خامسة • قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين
وسبع وعشرين وتسع وعشرين واخر ليلة من رمضان • قال الشافعي
كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على
نحو ما يسال عنه فقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا
واقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوي وفي

الجملة ابهم الله هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر
رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة
الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في القران في اسمائه ورضاه
في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها
واخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا في الطاعة من قيامها
ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة
ولا باردة تطلع الشمس من صبيحتها بيضا لا شعاع لها ق عن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر احيا الليل
وايقظ اهله وجد وشد الميزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره ق
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد يعتكف في العشر الاواخر
من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف بعده ازواجه ق
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر
الاواخر من رمضان • عن عايشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت
ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف
عنا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسايي
وابن ماجة **قوله عز وجل** وما ادراك ما ليلة القدر اي اي شي
يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها
والتشريف الى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ليلة
القدر خير من الف شهر قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل من بني اسرايل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر
فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال
يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه ليلة القدر
خير من الف شهر التي حمل الاسرايلي في سبيل الله لك ولامتك الى يوم
القيمة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم راى اعمار الناس قبله او ما شا الله من ذلك فكانه تقاصر
اعمار امته اي لا يبلغون من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه
الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك في الموطا قال
المفسرون معناه معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في
الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله فيها من
المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة • الوجه الثاني في فضلها
قوله عز وجل تنزل الملايكة يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين

حال

حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا
اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا بما قالوه ويعتذرون ويستغفرون لهم الى
ما يرون من تقصير قد يقع في بعضهم والروح يعني جبريل عليه السلام قال
اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت
ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملايكة يصلون ويسلمون على كل
عبد قايم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي • وقيل ان الروح
طايفة من الملايكة لا تراهم الملايكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن
من غروب الشمس الى طلوع الفجر • وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع
الملايكة تلك الليلة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم
من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من
كل امر الوجه الثالث في فضلها قوله تعالى سلام اي سلام على
اوليا الله واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملايكة في ليلة القدر
على اهل المساجد من حيث تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل ان الملايكة
ينزلون فيها كلما لقوا مومنا او مومنة يسلمون عليه من ربه • وقيل تم
الكلام عند قوله من كل امر ابتدا فقال سلام هي يعني ليلة القدر
سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا
السلامة • وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل
فيها سوا ولا يحدث فيها اذى حتى مطلع الفجر اي ان ذلك السلام
والسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله اعلم بمراده • واسرار كتابه

• تفسير سورة لم يكن وتسمى البينة مدنية •

قال الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات واربع
وتسعون كلمة وثلثماية وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود
والنصارى والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان
الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في
دينهم • اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه • واما
النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون
اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين عن
كفرهم وشركهم • وقيل معناه زايلين حتى تاتيهم لفظة مضارع ومعناه
الماضي البينة الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم
بالقران فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية
ودعاهم الى الايمان فامنوا فانقذهم الله من الجهل والضلالة ولم

يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم بالاية فيهم من امن من الفريقين
قال الواحدي بسيطه وهذه الاية اصعب ما في القران نظما وتفسيرا وقد
تخبط فيها الكبار من العلما • قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص
كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقرير الاية لم يكن
الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان
كلمة حتى لانتها الغاية فهذه تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم
عند اتيان الرسول ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجي الرسول
فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا
منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها
الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين
اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي
الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه
وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب اي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق
على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر
الا مجي الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه
لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى
فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما
غمست وامكث في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا
والزاما • قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف
واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب لمنفكين عن
كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور حكاية حالهم وهو قوله تعالى وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع
خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقرير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين
عن كفرهم وان جاتهم البينة وعلى التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير
لفظة حتى بهذا ليس من اللغة وذكروجوها اخر قال والمختار هو
الاول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من الله اي تلك البينة رسول
من الله يتلوا اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم صحفا اي كتبا يريد
ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القران لانه كان صلى الله
عليه وسلم يقرا عن ظهر قلب لا عن كتاب مطهرة اي من الباطل والكذب
والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل مطهرة معظمة اي لا ينبغي

ان يمسها الا المطهرون فيها اي في المصحف كتب اي الايات المكتوبة
وقيل الكتب بمعنى الحكم قيمة اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل
قيمة بمعنى قايمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه
ثم ذكر من لم يومن من اهل الكتاب فقال تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاتهم البينة
يعني جاءهم البيان في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل اهل
الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى
فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به اخرون
ثم ذكر ما امروا به في كتبهم فقال تعالى وما امروا يعني هولا الكفار الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها
عن شوائب الريا وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص في ابتدا
الفعل الى انتهايه والمخلص هو الذي ياتي بالحسن لحسنه والواجب
لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة فقد دلت الاية على ان كل
مامور به فلا بد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية في جميع ه
المامورات قال اصحاب الشافعي الوضوء مامور به ودلت هذه الاية
على ان كل مامور به يجب ان يكون منويا فيجب النية في الوضوء • وقيل
الاخلاص محله القلب وهو ان ياتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له
لا يريد بذلك سمعة ولا ريا ولا غرضا اخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب
الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد من ذلك
بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية
وقيل في معنى له الدين مقرين له بالعبودية • وقيل قاصدين بقلوبهم
رضى الله تعالى بالعبادة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى
قلوبكم حنفا اي مايلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام • وقيل
متبعين ملة ابراهيم عليه السلام • وقيل حنفا اي حجاجا وانما
قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال
وقيل حنفا مختونين محرمين كالحاج المحرم • وقيل الحنيف الذي
امن بجميع الانبيا والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يومن باشرف
الانبيا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ويقيموا الصلاة
اي المكتوبة في اوقاتها ويوتوا الزكاة اي المفروضة عند محلها
وذلك اي الذي امروا به دين القيمة اي الملة المستقيمة ه
والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهو نعت
لاختلاف اللفظين القيمة رد الى الملة وقيل الهاء في القيامة

للمبالغة ركعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك
دين اصحاب الكتب القيمة • وقيل القيمة جمع القيم والقيمة والقايم
واحد والمعنى ودين وذلك دين القايمين لله بالتوحيد واستدل
بهذه الاية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد
اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو
الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان
فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر
ما للفريقين فقال تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان
جنايتهم اعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا
يستفتحون به وقيل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وكذبوه
وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فان قلت
ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع
والنبوة والقيمة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كفرهم اخف فلم سوى بين
الفريقين في العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة في
الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا
وادخلهم اسفل سافلين في الاخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع
المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب في نار جهنم خالدين
فيها اوليك هم شر البرية اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا
النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال بل تبقون
خالدين فيها فكانهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اوليك هم خير البرية يعني انهم بسبب اعمالهم الصالحة
واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه قيل المرضي
ينقسم قسمين رضي به ورضي عنه فالرضا به ان يكون ربا ومدبرا والرضي
عنه بما يقضي ويدبر • قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسال
الرضا عنك • وقيل رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير
والكرامة ذلك اي هذا الخير والرضى عنه لمن خشي ربه اي لمن خاف ربه
في الدنيا وانتهى عن المعاصي ق عن انس بن مالك قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم لابي ان الله امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرئك عليك القران قال الله

اقرئك

سماني

سماني لك قال نعم قال فذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت
عيناه شرح الحديث اما بكا ابي فانه بكى سرورا واستصغارا
لنفسه عن تاهله لهذه النعمة العظيمة واعطايه المنزلة الكريمة والنعمة
عليه بها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراة
النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من
الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكره هذه النعمة واما
تخصيص هذه السورة بالقراة فانها مع وجازتها جامعة لاصول
وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في
امر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراة على ابي فهي ان يتعلم ابي القراة
من الفاظه صلى الله عليه وسلم اسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف
ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراته على ابي ليعلم ابي منه
لا ليتعلم هو من ابي • وقيل انما قرى على ابي ليتعلم غيره التواضع
والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية ان يتعلم
القران ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي وحث على الاخذ عنه
وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم راسا
واماما في القراة وغيرها وكان احد علما الصحابة رضي الله عنهم والله اعلم

• تفسير سورة الزلزلة مكية •

وقيل مدنية وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون
حرفا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت
تعدل نصف القران • وقل هو الله احد تعدل ثلث القران وقل يا ايها
الكافرون تعدل ربع القران اخرجه الترمذي • وقال حديث غريب
وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت
عدلت نصف القران • ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت ربع القران
ومن قرا قل هو الله احد عدلت ثلث القران وقال حديث غريب
بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل •
اذا زلزلت الارض زلزالها اي تحركت حركة شديدة واضطربت
عند قيام الساعة قيل تزلزلت في شدة صوت اسرافيل حيث ينكسر كل ما
عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر
وبنا وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها
في الدنيا وهي من اشراط الساعة • والثاني انها زلزلة يوم القيامة
واخرجت الارض اثقالها قال اثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفاين
والاموال فتلقيها على ظهرها • يدل على صحة هذا القول ما روي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقي الارض افلاذ كبدها

امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجي القاتل فيقول في هذا قتلت
ويجي القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجي السارق فيقول
في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيا اخرجه مسلم
والافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج
من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور في الجوف وانما خص الكبد
لانها من اطيب ما يشوي عند العرب من الجزور استعار الفي للاخراج
ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيمة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى
ظهرها وقيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها
فهو ثقل عليها ومنه سمي الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم
احياء وامواتا وقال الانسان ما لها اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة
العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان وجهان احدهما انه اسم
جنس يعم المومن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط
الساعة فيسال بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم الكافر خاصة
وهذا على قول من جعلها زلزلة القيمة لان المومن عارف بها والكافر
جاحد لها فاذا وقعت سيل عنها وقيل مجاز الاية يوميذ تحدث
اخبارها فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل
فيها وعلى ظهرها من خير او شر فتشكوا على العاصي وتشهد عليه وتشكوا
الطايع وتشهد له عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الاية يوميذ تحدث اخبارها قال الله ورسوله اعلم قال فان
اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا
وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح بان
ربك اوحى لها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس
اوحى اليها وقيل ان الله تعالى يخلق في كل الارض الحياة والعقل والنطق
حتى تخبر بما امرها الله به وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى
يوميذ يصدر الناس اشتاتا اي عن موقف الحساب بعد العرض
اشتاتا اي متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال
الى النار ليروا اعمالهم قال ابن عباس ليروا جزا اعمالهم وقيل معناه
ليروا صحايف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة اي وزن نملة صغيرة وقيل هي ما لصق من التراب باليد خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس ليس مومن ولا كافر
عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه يوم القيمة فاما المومن فيرى حسناته
وسياته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى
ثوابه في الدنيا في نفسه وولده واهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس

له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مومن يرى عقوبته في
الدنيا في نفسه وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله
شر وقيل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام
على حبه وكان احدهما ياتيه السايل فيجر عليه انما يوجر على ما
يعطي ونحن نحبه وكان الاخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة
والنظرة والنميمة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكباير
وليس هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم في القليل من الخير يعطوه
فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم عن اليسير من الذنب فانه يوشك ان
يكثر والاثم الصغير في عين صاحبه فانه يصير مثل الجبل العظيم يوم
القيمة قال ابن مسعود احكم اية في القران فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية الجامعة الفاذة حتى سيل عن زكاة الحمر فقال ما انزل فيها شي
الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة كل واحد منهما
بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم
الغير والا فهما من كرما الصحابة رضي الله عنهم وقال الربيع بن خثيم مر
رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ اخرها قال حسبي الله
قد انتهت الموعظة والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة العاديات مكية

في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي احدى عشرة اية
واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والعاديات ضبحا فيه قولان احدهما انها الابل في الحج
قاله علي كرم الله وجهه هي الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة
الى منى قال لان اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس
للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا
القول يكون معنى ضبحا ضبحها ومدها اعناقها في السير واصله من
حركة النار في العود فالموريات قدحا يعني اخفاف الابل ترمي بالحجارة
من شدة عدوها فتضرب الحجر بالحجر فتوري النار وقيل هي النيران تجمع
فالمغيرات صبحا يعني الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى
والسنة ان لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم
اشرق ثبير كيما نغير فاثرن به نقعا اي هيجن بمكان سيرها غبارا
فوسطن به جمعا اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم
على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعرضه

بابل الجح الترغيب فيه وفيه تصريح بمن يجح القدرة عليه قال الكنود هو
الكنود ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في
تفسير والعاديات قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات اذا تغير
حالها من تعب او فزع ومن قول العرب صبحته النار اذا غيرت لونه
فالموريات قدحا انها تورى النار بحوافرها اذا سارت والحجارة وقيل
هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة فرسانها • وقال ابن عباس وجماعة
هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت وقال
ابن عباس هي الخيل تعدو في سبيل الله ثم تاوي بالليل فيورون اصحابها
نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب تقول اذا اراد الرجل
ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا
يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة
في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا اي غبارا
فوسطن به جمعا اي دخلنا به اي بذلك النقع وهو الغبار • وقيل صرن
بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه
الايات اولى بالصحة واثبت بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا
ايراء النار بحوافرها وايثار الغبار ايضا وانما اقسم الله بالخيل الغزاة
لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على
فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم
عليه فقال تعالى **ان الانسان لربه لكنود** اي لكفور وهو جواب القسم
قال ابن عباس الكفور الكفور الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي
وقيل هو الذي يعد المصايب وينسى النعم • وقيل هو قليل الخير ماخوذ
من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيا • وقال الفضيل بن عياض الكنود
الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة
وانه على ذلك لشهيد قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا الشاهد
وقيل انها راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع **وانه**
يعني الانسان **لحب الخير** اي المال **لشديد** اي لبخيل والمعنى انه من اجل
حب المال لبخيل وقيل معناه انه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد
افلا يعلم يعني الانسان **اذا بعثر** اي اثير واخرج ما فيها من خير او شر
ما في القبور يعني من الموتى **وحصل ما في الصدور** اي ميز وابرز ما
فيها من خير او شر **ان ربهم بهم** انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس
يومئذ لخبير اي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره والمعنى
انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر
في قوله وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب

وانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله اعلم

• تفسير سورة القارعة مكية •

وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل القارعة**
اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اي شدائده والقارعة
من اسماء القيمة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد
وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع
الخلايق من شدة صوت نفخته **ما القارعة** تهويل وتعظيم والمعنى
انها فائقة في الهول والشدة **وما ادراك ما القارعة** وكيف ما قدرت
امرها فهي اعظم من ذلك **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** الفراش
هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها دائما
وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش اذا ثار لم يتجه
لجهة واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان
الخلق في البعث يفزعون فيذهب كل واحد الى غير جهة الاخر والمبثوث
المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم
بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فتشبه
الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم في بعض من شدة
الهول **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** وذلك انه تتفرق اجزاؤها
في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما جمع
بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على ان تاثير تلك
القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن
المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة
ثم لما ذكر حال القيمة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى **فاما من ثقلت
موازينه** يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو
العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو
الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيوتى بحسنات المومن
في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويوتى
بسيات الكافر في اقبح صورة فتخف في ميزانه فيدخل النار وقيل
انما يوزن اعمال المومنين فمن ثقلت موازينه حسناته على سياته
دخل الجنة ومن ثقلت سياته على حسناته دخل النار فيقتص منه
على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه بكرمه
فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته • واما الكافرون فقد قال
في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا • روي عن ابي بكر الصديق انه

قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق الميزان ان يوضع فيها الحق غدا ان يكون ثقيلا وان خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق الميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا • قوله تعالى **فهو في عيشة راضية** اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضى يرضى عن صاحبها **واما من خفت موازينه** اي رجحت سياته عن حسناته **فامه هاوية** اي مسكنه النار سمي المسكن اما لان الاصل في السكنى الامهات وقيل معناه فام راسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسما النار وهي المهواه التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على روسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد فقال هوت امه اي هلكت خوفا وثقلا **وما ادراك ماهيه** يعني الهاوية ثم فسرها فقال **نار حامية** اي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة التكاثر مكية •

وهي ثمان ايات وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل**

الهاكم التكاثر اي اشغلكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشي اعرض عن غيره فينبغي للمومن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقربا تفاخر باحسن المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذموم • روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية الهاكم التكاثر فقال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فابقيت وما اكلت فافنيت وما لبست فابليت • اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله **حتى زرتم المقابر** اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم اتاكم

الموت وانتم على ذلك • قيل نزلت هذه الاية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنوا فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم ابن عمرو فكان بينهم تفاخر فتعاد السادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فانزل الله هذه الاية وهذا القول اشبه بظاهر القران لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى وكانه تعالى يعجبهم من انفسهم مجيبا انكم اكثرهم عددا اجسادا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال **كلا** اي ليس الامر كما يتوهم هولاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا **سوف تعلمون** وعيد لهم **ثم كلا سوف تعلمون** كرره تاكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد • وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المومنين وصاحب هذا القول كان يقرا الاولى بالياء والثانية بالتاء **كلا لو تعلمون علم اليقين** اي علما يقينا وجواب لو محذوف المعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت **لترون الجحيم** اللام تدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت **ثم لترونها** يعني مشاهدة **عين اليقين** وقيل انما كرره للوعيد **ثم لتسالن يومئذ عن النعيم** كفار مكة في الدنيا من الخير والنعمة فيسالون يوم القيمة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فيسالهم عن ذلك وقيل ان هذا السوال يعم الكافر والمومن وهو الاولى لكن سوال الكافر سوال توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمومن يسال سوال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم به عليه واطاع ربه فيكون فيكون السوال في حقه تذكير النعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله واي نعيم نسال عنه وانما هي الاسودان التمر والما قال اما انه سيكون

اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسال
العبد عنه فروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لنسالن يومئذ عن
النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الما البارد اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي هريرة قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وليلة فاذا هو بابي بكر
وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول
الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما
فقوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته
فلما راته المراة رحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الما اذ جا الانصاري فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد
اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاهم بعذق فيه بسر وتمر
ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق فشربوا
فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي
نفسي بيده لتسالن عن هذا النعيم يوم القيمة • اخرجكم من بيوتكم
الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم • واخرجه الترمذي باطول
من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وما بارد • وروى عن ابن عباس
قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسال الله العبيد يوم
القيمة فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم • وقيل يسال عن الصحة
والفراغ والمال خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل
الذي يسال العبد عنه هو القدر الزايد على ما يحتاج اليه فانه
لابد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن • وقيل يسال عن
تخفيف الشرايع وتيسير القران • وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم •
وقيل يسال عما انزل به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم انقذكم به
من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله تعالى اعلم

• تفسير سورة العصر مكية •

قال ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشر
كلمة وثمان وستون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والعصر قال ابن عباس هو الدهر وقيل اقسم الله به
لما فيه من العبر والعجايب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم يضيفون النوايب والنوازل

الي الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل من
النوايب والنوازل كان بقضا الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر
وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف
الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد • وقيل اراد بالعصر اخر طرفي
النهار اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى • وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها
لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر والذي هو في مصحف
عايشة رضي الله تعالى عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر
وفي الصحيحين شغلونا عن صلاة العصر • وقال صلى الله عليه وسلم
من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله • وقيل اراد بالعصر
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه في
قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان
زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى **ان الانسان
لفي خسر** اي لفي خسران ونقصان قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل
قولهم كثر الدراهم في ايدي الناس اي الدراهم وذلك لان الانسان لا
ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر
في عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة في طاعة او معصية فان
كانت في معصية فهو الخسران البين الظاهر وان كانت في طاعة
فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل
تضييع وخسران فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران • وقيل ان
سعادة الانسان في طلب الاخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان
ان الاسباب الداعية الى حب الاخرة خفية والاسباب الداعية الى
حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب
الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم
بتضييع اعمارهم • وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى
المومنين فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** فانهم ليسوا
في خسر والمعنى ان كل ما هو من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في
صلاح وخير وما كان في ضده فهو في خسر وفساد وهلاك **وتواصوا
بالحق** اي اوصى بعض المومنين بعضا بالحق يعني بالقران والعمل بما فيه
وقيل بالايمان والتوحيد **وتواصوا بالصبر** اي على اداء الفرايض واقامة
امر الله وحدوده • وقيل اراد بالانسان اذا عمر في الدنيا وهو لفي نقص
وتراجع الا الذين امنوا فانه يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي
كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان

في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

ويل اي قبوح وقيل هو اسم واد في جهنم **لكل همزة لمزة** قال ابن عباس المتساوون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقيل معناهما واحد وهو المغياب والمغتاب للناس من بعضهم قال الشاعر اذا لقيتك من كره تكاشرني وان تغيب كنت الهامز اللمزة وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل اللمز الذي يؤذي بسوء اللفظ والهمز الذي يوقظ بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطغيان على الناس واللمز الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى الاصل الواحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشي بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والعض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم وهما الفتان للفاعل نحو سخره وضحكه كالذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاصي ابن وايل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا ما كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص بالعام بقرينة العرف الاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى **الذي جمع مالا** وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو اعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى ما له هو الكرمنه كالشي الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشي الحقير **وعدده** اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة

اي استعده وجعله ذخيرة وغيا له **يحسب ان ماله اخلده** اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت **كلا** رد عليه اي لا يخلده ماله بل يخلد ذكره العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه **لينبذن** واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن **في الحطمة** اي في النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة واللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسرون اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تاكل اللحوم وتكسر العظام **وما ادراك ما الحطمة** اي نار لا كسائر النيران **نار الله** انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها **الموقدة** اي لا تخمد ابدا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي وقال ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح **التي تطلع على الافئدة** المها ووجعها على القلوب والمعنى انها تاكل كل شي حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شي في بدن الانسان وانه يتالم بادنى شي فكيف اذا اطلعت عليه واستولت به ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة **انها عليهم مؤصدة** اي منطبقة مغلقة **في عمد ممددة** قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الاوتاد عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليها غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله اعلم

تفسير سورة الفيل مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وست وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وكانت قصة اصحاب الفيل
على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس وذكر الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارباط
الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح
ابن يكسوم فساخط ارباط في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين
فكانت طايفة مع ارباط وطايفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة
ارباط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي
على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت
الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعا وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك
بصنعا كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها
حج العرب فسمع به ملك من كنانة فخرج اليها فدخل اليها فقعد
فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترى على
فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذي
قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب
الى النجاشي يخبره بذلك وساله ان يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال
له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج
ابرهة في الحبشة سايرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب
بذلك فعظموه ورا وا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن
يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذه اسير
فقال يا ايها الملك استبقيني فان بقاي خير لك من قتلي فاستحياه
واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنى من بلاد خثعم خرج
اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبايل اليمن
فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتا
يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا
خرج بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال
ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي
بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى
لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره
وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود مقدمة
خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه اموال اصحاب
الحرم واصاب لعبد المطلب ماتي بعير ثم ان ابرهة ارسل حناطة
الحميري الى اهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك
به اليه اخبره اني لم آت لقتال انما جيت لاهدم هذا البيت فانطلق

حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هشام فقال ان الملك ارسلني اليك
لاخبرك انه لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جا لهدم هذا البيت
ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد ان نخلى
بينه وبين ما جا له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه
السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان نخلي بينه وبين ذلك فو الله ما
لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلما انه اردفه على
بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر
صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غنا فيما
نزل بنا فقال وما غنا رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة وعشية ولكن
سابعث الى انيس سايس الفيل فانه لي صديق فاساله ان يصنع
لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده
قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في روس الجبال وقد اصاب
الملك له ماتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه
صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال
ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في
السهل والوحوش في روس الجبال يستاذن عليك وانا احب ان تاذن
له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان
عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة عظمه واكرمه ان يجلس
معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم
دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك
فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك ان يرد
على ماتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد اعجبتني حين
رايتك ولقد زهدت الان فيك قال لم قال جيت الى بيت هو دينك
ودين ابايك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في
ماتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت
رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذلك فامر
بابله فردت عليه فلما ردت الابل الى عبد المطلب خرج فاخبر قريشا
الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في روس الجبال خوفا
عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة واخذ
بحلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا ۔ يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ۔ امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لاهم ان العبد يمنع رحله • وحلاله فامنع حلالك
لايغلبن صليبهم • ومحالهم عدوا محالك
جروا جميع بلادهم • والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم • جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيا للدخول وعبا جيشه وهيا فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت اثني عشر فيلا فاقبل نفيل الي الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمود اوارجع رشيدا فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الي اليمن فقام يهرول فوجهوه الى قدامه ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عز وجل طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين لايهتدوا الى الطريق الذي جاوا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

الا رديت ركابنا ربنا • نعمانكم على الهجران عينا
وانك لو رايت ولن تريه • لدى جنب المحصب ما راينا
حمدت الله اذ بصرت طيرا • وخفت حجارة تلقى علينا
وكلهم يسئل عن نفيل • كان على الحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل يتساقط اناملة كلما سقطت انملة اتبعتها مدة من قيح فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجى والفيل الاخر شجعوا فحصبوا اي رموا بالحصبا وقال بعضهم انفلت ابو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية بن الصلت

ان

ان ايات ربنا ساطعات • ما يماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى • ظل يعوي كانه معقور

روي عن عايشة رضي الله عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الى جرا اصحاب الفيل ان فية من قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابراهة لهدم الكعبة وقال فيه ان كان ابو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك هذا يوم لا تستغني فيه عن رايك فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى ماية من الابل فقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثها في الحرم فلعل بعض السواد يعقر منها شيا فيغضب رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ما يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن هذا البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات من شاطي البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على روسنا ثم قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى حاذت عسكر القوم ركدت فوق روسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما في مناقيرها من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة الجبل فلم يونسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم ساهدين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فتخرقها حين تقع في دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فوسهم فحفر حتى عمق في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شيت حفرتي وان شيت

حمرتك وان شئت فهما لك معًا قال ابو مسعود فاختر لي على نفسك
فقال عبد المطلب انى لم ارا جعل اجود المتاع فى حمرتى فهو لك وجلس
كل واحد منهما على حمرته ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا
واصابوا من فضلها حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا
واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود فى اهليهما فى غنا
من ذلك المال ودفع الله عن كعبته • واختلفوا فى تاريخ الفيل فقيل
كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين
سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علما السير والتواريخ واهل
التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم
واما التفسير فقوله عز وجل الم تر اى الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة
كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان
الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان فكانه صلى الله عليه وسلم
علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى له الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر
وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل
انما وحده لوفاق الاي من قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة
الله تعالى وعلمه وحكمته اويستحيل فى العقل ان طيرا تاتى من قبل البحر
تحمل حجارة ترمي بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف
محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل
ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعى الى توحيده
واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا
كتاب لهم فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه
وسلم فكانه تعالى قال انا الذى فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما
لك وتشريفا لقومك فكيف تركك بعد ظهورك **الم يجعل كيدهم**
يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة **فى تضليل** اى تضييع وخسار
وابطال ما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت
بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله
تعالى **وارسل عليهم طيرا ابابيل** يعنى طيرا بعضها طير كثير متفرقة يتبع
بعضها بعضا وقيل ابابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظه
وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس
كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها روس
كروس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها

مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر
ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا يصيب شيا الا هشمه ووجه
الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذا الطير انه كان فى هذه
كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر
كل واحد بما بلغه صفاتها والله اعلم • **قوله عز وجل ترميهم بحجارة**
قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت
بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب
الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره **من سجيل** قيل السجيل اسم علم
الديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو
الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون
بما كتب الله فى ذلك الكتاب • وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ
الاجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكيل كيل فارسى
معرب وقيل السجيل الشديد **فجعلهم كعصف ماكول** يعنى كزرع وتبن
اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاوه شبه تقطع اوصالهم
وتفرقها بتفريق اجزا الروث • وقيل العصف ورق الحنطة وقيل كالحب
اذا اكل فصار اجوف • وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون
على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله اعلم بمراده • واسرار كتابه •

• تفسير سورة قريش مكية •

وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهى اربع ايات وسبع عشرة كلمة
وثلاث وسبعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم •
قوله عز وجل **لايلاف قريش** اختلفوا فى هذه اللام فقيل هى متعلقة
بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع
بالحبشة فقال فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اى اهلك
اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا
جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما
فى مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة
وغيرهم وهو المشهور المستفيض ان هذه السورة منفصلة عن
سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما • واجيب عن مذهب
ابي بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة
بان القران كالسورة الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضه
بعضا بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على
الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا فى العلة
الجالبة اللام فى قوله تعالى لايلا فقيل هى لام التعجب اى اعجبوا لايلاف

قريش رحلة الشتا والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم
بعبادته وهو كقولك على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة
بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتا
والصيف اى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الفت
الشي الفا وهو بمعنى الايتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هذين
الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من الفت كذا اى لزمته
والفنيه الله اى الزمنيه الله وقريش وهم ولد النضر بن كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم • عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير
والشر ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس
تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد
ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش
اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب • عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش
نكالا فاذق اخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
غريب النكال العذاب والمشقة والنوال العطا والخير وسموا
قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله
ويقترش لهم اى يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع
المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانه سال معاوية عبد الله بن
عباس لم سميت قريش قال لدابة تكون في البحر هي من اعظم دوابه يقال
لها القرش لا تمر بشي من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا توكل
وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم
وانشد سعد الجمحي

• وقريش التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •
• سلطت بالعلو في لجج البحر • على سائر البحور جيوشا •
• تاكل الغث والسمين ولا • تترك فيه لذي الجناحين ريشا •
• هكذا في الكتاب حي قريش • ياكلون البلاد اكلا كشيشا •
• ولهم اخر الزمان نبي • يكثر القتل فيهم والخموشا •
• يملا الارض خيله ورجالا • يحشرون المطي حشرا كميشا •

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم
الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش
القوم اذا اجتمعوا وسمي قريشا مجمعا لذلك قال الشاعر

• ابوكم قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبايل من فهر •

وقوله

وقوله تعالى **ايلافهم** هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم
المنة فيه **رحلة الشتا والصيف** قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة
ويصيفون بالطايف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب
البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتا
الى اليمن لانها ادفى ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جذبا لا
زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجاراتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض
لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت
العرب تكرمهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام ولولا
الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن
والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل
الساحل حملوا الطعام في البحر على السفن الى مكة واهل البر حملوا على
الابل والحمير فالقى اهل الساحل الى جدة واهل البر بالمحصب واخصب
الشام فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب
وكفاهم الله مونة الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير
حتى كان فقيرهم كغنيهم • وقال الكلبي وكان اول من حمل السمراء يعني
القمح الى الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

• قل للذي طلب السماحة والندا • هلا مررت بال عبد مناف •
• هلا مررت بهم تريد قراهم • منعوك من ضر ومن اكفاف •
• الرايشين وليس يوجد رايش • والقايلين هلم للاضياف •
• والخالطون غنيهم بفقيرهم • حتى يكون فقيرهم كالكاف •
• والقايمين بكل وعد صادق • والراحلين برحلة الايلاف •
• عمرو العلا هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •
• سفرين بينهما له ولقومه • سفر الشتا ورحلة الاصياف •

وقوله تعالى **فليعبدوا رب هذا البيت** يعني الكعبة وذلك ان الانعام
على قسمين احدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع
وهو ما ذكره في هذه السورة ولولا دفع عنهم الضر واجلب لهم النفع وهما
نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم
امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو **الذي
اطعمهم من جوع وامنهم من خوف** ويعني الذي اطعمهم من جوع اى من
بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في الاية انهم لما
كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها سنينا كسني
يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد قالوا يا محمد ادع الله
لنا فانا مومنون فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد

واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى اطعمهم
من جوع وامنهم من خوف اى بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم
يتعرض لهم احد فى رحلتهم وقيل امنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم الجذام وقيل امنهم بمحمد صلى الله عليهم عليه وسلم وبالاسلام

تفسير سورة ارايت الذى مكية

وقيل نزل بعضها بمكة فى العاصى بن وايل والنصف الثانى بالمدينة
فى ابى بن سلول المنافق وهى سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة
وخمس وعشرون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ارايت الذى يكذب بالدين قيل نزلت فى العاصى
ابن وايل السهمى وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عمرو بن عايذ
المخزومى • وفى رواية عن ابن عباس انها فى رجل من المنافقين ومعنى
الاية هل عرفت الذى يكذب بيوم الجزا والحساب فان لم يعرفه
فذلك الذى يدع اليتيم ولفظ ارايت استفهام والمراد به
المبالغة فى التعجب فى حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت
ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا الذى يكذب بالدين بعد
ظهور دلايله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذى
يدع اليتيم اى يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف
وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل بترك
المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه
ويستخف به وقرى ويدع بالتخفيف اى يدعوه ليستخدمه قهرا
واستطالة ولا يحض على طعام المسكين اى لا يطعمه ولا يامر
باطعامه لانه يكذب بالجزا وهذا غاية البخل ان يبخل بماله وبمال
غيره فلا يامر غيره بالاطعام قوله تعالى فويل للمصلين يعنى
المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون
روى البغوى بسنده عن سعد قال سيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت
قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن
الناس ويصلونها فى العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى
الذين هم يراون وقال تعالى فى وصف المنافقين واذا قاموا الى
الصلاة قاموا كسالى يراون الناس • وقيل ساه عنها لا يبالى
صلى او لم يصل • وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها
عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين

لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال
تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها فى المنافقين والمومن
قد يسهو فى صلاته والفرق بين الفريقين هو ان سهو المنافق هو
ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمومن اذا سهى عن صلاته
تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين
وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع اجزا
الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذى يعتقد انه لا فايدة فى
الصلاة فاما المومن الذى يعتقد فايدة صلاته وانها عليه واجبة
ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل
له سهو فى الصلاة يعنى انه يصير ساهيا فى بعض اجزا الصلاة
بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك
لا يكاد يخلوا منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق
ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو فى الصلاة من
افعال المومن الذين هم يراون بترك الصلاة فى السر ويصلونها
فى العلانية والفرق بين المنافق والمرايى ان المنافق هو الذى
يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرايى يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع
ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر
النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه الريا فلا باس بذلك وليس
بمراى ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون روى عن
على انه قال هى الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك
ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم عليه بترك
الصلاة ومنع الزكاة • وقال ابن عباس الفاس والدلو والقدر
واشباه ذلك وهى رواية عن ابن عباس • ويدل عليه ما روى عنه
قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود • وقال مجاهد الماعون
العارية • وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة وادناه
عارية المتاع • وقال محمد بن كعب القرظى الماعون المعروف كله
الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم • وقيل اصل الماعون من القلة
فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير
وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الما والملح والنار ويلتحق بذلك
البير والتنور فى البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع به ومعنى
الاية الزجر عن البخل بهذه الاشيا القليلة الحقيرة فان البخل
بها فى نهاية البخل • قال العلما ويستحب ان يستكثر الرجل فى بيته

مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب
والله اعلم بالصواب وباسرار كتابه العزيز الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه •

تفسير سورة الكوثر مكية

قال ابن عباس والجمهور • وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة
وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل
انا اعطيناك الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله
عليه وسلم وقيل الكوثر القران العظيم وقيل هو النبوة والكتاب
والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته • وقيل الكوثر الخير الكثير
كما قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر
في الجنة قال سعيد النهر في الجنة من الخير الذي اعطاه الله
اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شي كثير
في العدد وكبير القدر والخطر كوثر • وقيل الكوثر الفضائل
الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جا في تفسير الكوثر
فقد اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطي النبوة والكتاب
والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة
الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعدا
وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيمة واولى الاقاويل
في الكوثر والذي عليه جمهور العلما انه نهر في الجنة كما جا مبينا
في الحديث ق عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفا اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلت
ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شانيك هو الابتر قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله
اعلم قال فانه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل هو حوض ترد
عليه امتي يوم القيمة انيته عدد نجوم السما فيختلج العبد منهم
فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك لفظ
مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
عرج بي الى السما اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف
فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك
ربك فاذا طينه مسك اذفر او طيبه شك الراوي عن
انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك
نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن

واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمر
ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم
منها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن • عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماوه احلى
من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح خ عن عامر بن عبد الله بن مسعود قال سالت عايشة
عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه
نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطياه در مجوف انيته كعدد نجوم السما
ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماوه ابيض من اللبن وريحه
اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السما من شرب منها لا يظما
ابدا زاد في رواية وزواياه سوا ق عن ابن عمر قال امامكم حوضي
ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح قال بعض الرواة هما قريتان
بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام • وفي رواية فيه اباريق كنجوم السما
من ورده شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا ق عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي
كما بين صنعا والمدينة • وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية
قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعا اليمن وان فيه من الاباريق كعدد
نجوم السما م عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على حوضي
اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسيل عن عرضه
فقال الى عمان وسيل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل يغث فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من الذهب والاخر
من الورق ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم
اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا
بعدك ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم
القيمة رهط من اصحابي او قال من امتي ٢ عن الحوض فاقول
يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا
على ادبارهم القهقري • ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ترد علي امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن
ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي
غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن عني طايفة منكم فلا يصلون فيقول

يارب هولا اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا
بعدك ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل
عن الحوض م عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
حوضي لابعد من ايليا الى عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجال
كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا
قال نعم تردون غرا محجلين من اثار الوضوء ليست لاحد غيركم عن زيد
ابن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال
ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد على الحوض قال كم كنتم يومئذ
قال سبعمائة او ثمانمائة اخرجه ابو داود **فصل** في شرح
هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين
النووي قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان بها فرض
والتصديق به من الايمان وهو ظاهر عند اهل السنة والجماعة لا
يتاول ولا يختلف وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة
فذكره مسلم من رواية ابن عمر وعائشة وام سلمة وعقبة ابن عامر وابن
مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وجابر ورواه البخاري
ومسلم من رواية ابي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال محيي
الدين ورواه البخاري ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما
من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو واخرين وقد جمع ذلك الامام
الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه
المتكاثرة **فان قلت** قد اتفقنا على اخراج حديث الحوض
عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث
وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد كل واحد منهما واخرجا ايضا احاديث
الحوض عن اسماء بنت ابي بكر الصديق ذكرها القاضي عياض فيمن خرج
له من الصحيحين • قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي
الحديث متواترا • واما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية
حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح • وفي رواية
كما بين ايليا وصنعاء اليمن • وفي رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان
الى ايليا وفي رواية ان حوضي لابعد من ايليا الى عدن فهذا الاختلاف
في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم
يات في حديث واحد بل احاديث مختلفة الرواة عن جماعات من
الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها
النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك

على

على اذن افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على
التقدير العظيم الموضوع للتحرير لاعلام السامعين عظم بعد المسافة
وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير
فان الكثير ثابت على ظاهره وصحة الروايات به والقليل داخل فيه
فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في ابتداء الحوض ان العدد
المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء
ولا مانع يمنع من ذلك ان قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة
بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم
وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد الحوض
لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لاكثر العدد والمراد
للسامعين • ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب
فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون
ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم
فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث
بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجالا منكم حتى اذا هويت لاناولهم
اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا
بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا
مما اختلف العلماء في معناه والمراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون
والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم
النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال لهم ليس هولاء
ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم
وقيل المراد بهم من اسلم ثم ارتد وابعده في زمن ابي بكر الصديق وهم
الذين قاتلهم على الردة ومنهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي
صلى الله عليه وسلم لما كان يعرف من ايمانهم في حياته فيقال له
قد ارتدوا بعدك فيل المراد بهم اصحاب البدع التي لم يخرجوا بيدعتهم
عن الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد
ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم فعلى هذا القول لا يقطع لهولا المطرودين
عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم
الجنة من غير عذاب • وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين
كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الاهوا فهو من المطرودين عن الحوض
قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والمعلنون بالكبائر فكل هولا
يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب
والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه

دخول النار لا يعذب فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر
الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا • وقيل ان
جميع المومنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من يشا من
عصاتهم • وقيل انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من
الحوض خاصة •

شرح غريب الفاظ الاحاديث

قوله فيختلج العبد منهم اى ينتزع ويجذب • قوله ما بين جنبيه كجربا
واذرح فبجيم ثم را ساكنة ثم با موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند
بعض رواة البخاري فيها بالمد والقصر اولى وهي قرية من الشام واما
اذرح فبهمزة ثم ذال ساكنة معجمة ثم حا مهملة وهي مدينة في طرف
الشام قريب من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم
بليدة بالبلقا من ارض الشام • واما ايليا فبفتح الهمزة واسكان
اليا المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طريق الشام على
ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر والمدينة بينها وبينها وبين
المدينة خمسة عشر مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى
دمشق اثنى عشر مرحلة وهي اخر الحجاز واول الشام • واما صنعا فهي
قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في الحديث لان بدمشق
موضع يعرف بصنعا دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه
المسافات والجمع بين رواياتها يشخب منه ميزابان وهو بفتح اليا
المثناة تحت وبالشين والخا المعجمتين اى يسيل فيه وفي الحديث
الاخر يغت بفتح اليا وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التا المثلثة
فوق اى يدفق منه ميزابان اندفاقا شديدا متتابعا قوله انى لبعقر
حوضي وهو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من
الحوض اذا وردته للشرب • وقيل هو موخر الحوض • قوله اذود الناس
اى اضرب الناس لاهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم وفيه منقبة
عظيمة لاهل اليمن • قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفا والرا
هو الذى يتقدم على ليصلح لهم الحياض والدلا ونحوها والة الاستقا
والمعنى انا سابقكم على الحوض كالمهيئ له • قوله فاقول سحقا اى
بعدا وقيل لمن قال انهم اهل الردة اذ يقال لاهل الحوض سحقا بل يشفع
قلت في حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر
مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
اظهرنا اذا اغفا اغفاة يعني نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم
قوله تعالى **فصل لربك وانحر** معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير
الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي لهم

له

له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل فصل لربك صلاة العيد يوم النحر
وانحر نسكك • وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن
بمنى • وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اى ضع يدك اليمنى على اليسرى
في الصلاة عند النحر • وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه
ابن الجوزي ومعنى الاية قد اعطيتك ما لا نهاية لكثرته من خير
الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذى
اعطاك هذا العطا الجزيل والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة
الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر
البدن متقربا اليه **ان شانئك** اى عدوك ومبغضك **هو الابتر**
يعني هو الاذل الاقل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وايل السهمي
وذلك انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل
فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس
في المسجد فلما دخل العاص قالوا له ما الذى كنت تتحدث معه
فقال ذلك الابتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي
ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة • وقيل ان العاص
ابن وايل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه
رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه
السورة • وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش
وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية
والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر
فقال انتم فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون
بالجبت والطاغوت ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر
اى المنقطع من كل خير قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور
ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المفردة
يدق اسفلها وتسمى الصنبور • وقيل هي النخلة التي تخرج في اصل اخرى
لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها
ودواها ان تقطع الصنابر منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه
وسلم بمنزلة الصنوبر تنبت في جذع نخل فاذا انقطع استراحت النخلة
فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره • وقيل الصنوبر الوحيد الضعيف الذي
لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا بعيد فاكذبهم الله تعالى في
ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف
الوحيد وانت الاعز الاشرف الاعظم • والله اعلم بمراده واسرار كتابه

• تفسير سورة قل يا ايها الكافرون مكية •

وهي ست ايات وست وعشرون كلمة واربعون وتسعون حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت نصف القران ومن قرا قل يايها الكافرون عدلت ربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت ثلث القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب • ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القران ان القران مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهي من عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القران على هذا التقسيم والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل

قل يايها الكافرون نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم واتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في ديننا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جيت به خيرا كنا شركناك فيه واخذنا حظنا منه فان كان بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله قل يايها الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اوليك الملا من قريش فقام على روسهم ثم قرا عليهم من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه • وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض الهتنا لصدقناه فيما يقول ولامنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة • وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزئين ومن لم يومن منهم ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت بجميع ما انزل الله علي وكان فيما نزل عليه قل يايها الكافرون • وقيل ان النفوس تابى سماع الكلام الغليظ الشنيع من المنظورين ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد انزل الله قل يايها الكافرون والمخاطبون بقوله يايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يومنون لا اعبد ما تعبدون في معنى الاية قولان احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون

لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم اي ولستم في الحال بعابد معبودكم وقيل يحتمل ان يكون الاول الحال والثاني الاستقبال • وقيل يصلح ان يكون للحال والاستقبال ولكن يختص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وما بمعنى من اي من تعبدون ويحتمل ان يكون بمعنى الذي اي الذي تعبدون القول الثاني حصول التكرار في الاية فعلى هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شيتم وهذه الاية منسوخة باية القتال والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة النصر مدنية

وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل

اذا جا نصر الله والفتح يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومن احب ان يدخل في عقد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ما لهم باسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الديلمي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح

وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا حتى جاوزوا خزاعة على
الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتيذ بانفسهم
متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع
عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا
الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يا بني بكر صيبوا ثاركم
فلعمري انكم لتسترقون في الحرم فلا تصيبون ثاركم قالت فلما
تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا
ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق
مما استحلوا من خزاعة وكان في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي
حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك
مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهرانى
الناس فقال

يا رب اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتموا ولدا وكنا والدا • ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا • وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا • ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا • ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الموكدا • وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا • وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا

فانصر هداك الله نصرا ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عنان من السما فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصرة كعب وهم
رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة حتى
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما
اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفين
قد جا ليشد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما
لقي ابو سفين بديلا قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال سيرت في خزاعة في هذا الساحل وفي
بطن هذا الوادي قال وما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة
قال ابو سفين لين كان جا المدينة لقد علف بها النوى فقال
احلف بالله لقد جا بديل محمدا ثم خرج ابو سفين حتى قدم على رسول

الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل ابنته ام حبيبة بنت ابي
سفين فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
طوته عنه فقال يا بنية ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به
عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله
لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان
يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى
عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لكم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن ابي
طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها
الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك احسن القوم
رحما واقربهم مني قرابة وقد جيت في حاجة فلا ارجعن كما جيت خائبا اشفع لي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفين لقد والله
عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه
والتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا
فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر فقالت والله
ما بلغ بني ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني
قال والله لا اعلم شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر
بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيا
قال والله ما اظن ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفين في
المسجد فقال ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره
وانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك قال جيت محمدا صلى
الله عليه وسلم فكلمته فوالله ما رد شيا ثم جيت ابن ابي قحافة
فلم اجد عنده خيرا ثم جيت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم
اتيت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشي
صنعته فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيا ام لا قالوا وما ذاك
امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك
محمد قال لا قالوا والله ما زاد علي ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت
قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجهاد وامر اهله ان يجهزوه فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ابنته فاطمة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه

فابن ترنبه بريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم
خذ العيون والاخبار حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب
حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في سورة الممتحنة
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على
المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى المدينة لعشر
بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبي صلى الله عليه
وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر
ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف
من الانصار والمهاجرين عنه احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت
الاخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدرون ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي ابو سفيان بن حرب
وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا يتحسسون الاخبار وينظرون هل
يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام
لقيته بالجحفة مهاجرا بعياله وكان قبل ذلك مقيما بمكة على
سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد
المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك
قريش الى اخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم البيضا فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي اجد
حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه اذ سمعت
كلام ابي سفيان وبديل بن ورقا وهما يتراجعان وابو سفيان يقول
ما رايت كالليلة نيرانا قط قال بديل والله هذه نيران خزاعة
حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون
هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف
صوتي فقال يا ابا الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي
قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد جا بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة

قلت

قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب هذه البغلة حتى اتي بك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فردفني ورجع صاحباه
فخرجت اركض على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار
من نيران المسلمين ينظروا يقولوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطي
قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودخل عليه ابو سفيان عمر فقال يا رسول الله هذا عدو الله ابو سفيان
قد امكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني اضرب عنقه قال فقلت
يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذت براسه قلت والله لا يناجيه الليلة احد دوني فلما اكثر
عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني
عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا
يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب من اسلام الخطاب
لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك
فاذا اصبحت فاتني به قال فذهبت الى رحلي فبات عندي فلما اصبح
غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه قال ويحك يا ابا
سفيان اما ان لك ان تعلم ان لا اله الا الله واني رسول الله قال بابي
انت وامي ما احلمك واكرمك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره
لقد اغنى شيا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول
الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه
فان في النفس منها حتى الان شيا فقال العباس ويحك اسلم واشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فتشهد
شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان
هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو
امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فلما
ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق
الوادي عند خطم الجبل حتى يرى حين تمر به جنوده قال فخرجت به
حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت
به القبايل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هولا فاقول
مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفذت القبايل لا تمر قبيلة الا
سالني عنها فاذا اخبرته فيقول ما لي ولفلان حتى مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم في كتيبته الخضرا وانما قيل لها الخضرا لكثرة الحديد
وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق فقال

سبحان الله من هولا يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهولا من قبل ولا طاقة والله يا
ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة
قال فنعم اذن فقلت الحق الان بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة
فصرخ في المسجد باعلا صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاكم بما لا قبل
لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفين فهو امن ومن اغلق عليه
بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجا حكيم بن
حزام وبديل بن ورقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
الى قريش يدعوهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن
ورقا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث
في اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار
وامره ان يركز رايته باعلا مكة بالحجون وقال لا تبرح حتى امرتك
ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى
الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بسيفه عليه برد حبرة وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله عز وجل حتى راى
ما اكرمه به من الفتح حتى ان راسه تكاد تمس واسطة الرحل ثم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلا مكة
وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل من
اسفل مكة وبها بنوا بكر وقد استنفذتهم قريش وبنوا الحرث بن عبد
مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان
صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد اجتمعوا
مع اناس بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد
والزبير حين بعثهما لا تقاتلان الا من قاتلكم وامر سعد بن عبادة ان
يدخل في بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم
يوم الملحمة اليوم تستحل المحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر
الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ما قال سعد بن
عبادة وما نامن ان يكون له في قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذي تدخل بها
فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على
قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن
بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثني عشر او ثلاثة عشر رجلا ولم
يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلا من خيل
خالد بن الوليد فشذ او سلك طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قد عهد الى امرايه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لا
يقاتلوا الا من قاتلهم الا في نفر سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار
الكعبة • عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم
فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامنه له وعبد الله
ابن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان
مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام
فاستيقظ ولم يصنع له شيا فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا وقد
كان له قينتان يغنيان بهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر
بقتلهما • والحويرث بن نقيل بن وهب وكان ممن يوذيه • ومقيس بن
صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل اخاه خطا ورجوعه
الى قريش مرتدا • وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن توذيه
بمكة • وعكرمة بن ابي جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته
ام حكيم بنت الحرث بن هشام فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة
الاسلمي اشتركا في دمه • واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد
الله رجل من قومه • واما قينتا ابن خطل فقتلت احدهما وهربت
الاخرى حتى استامن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت
حتى اوطاها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح
فقتلها • واما الحويرث بن نقيل فقتله علي بن ابي طالب قالت ام هاني
بنت ابي طالب لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلا مكة فر الي
رجلان من احماي بني مخزوم وكانت عندي هبيرة بنت ابي وهب المخزومي
قالت فدخل علي علي بن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت
عليهما باب بيتي ثم جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلا مكة
فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها اثر العجين وفاطمة ابنته تستره
بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم
انصرف الي فقال مرحبا واهلا بام هاني ما جاء بك فاخبرته خبر
الرجلين وخبر علي بن ابي طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من
امنت فلا تقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان
الناس حتى جا البيت فطاف سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في
يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة

فتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها
ثم وقف على باب الكعبة وقد استنكف له الناس في المسجد فقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
الا كل ماثرة او دم او مال يدعى فهي تحت قدمي هذين الا سدانة البيت
وسقاية الحاج الا وقتل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية
مغلظة مائة من الابل في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد
اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء الناس من ادم وادم من
تراب ثم تلى هذه الاية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية
ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم قال
فاذهبوا فانتم الطلقا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
كان امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقا ثم جلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه علي بن ابي طالب ومفتاح
الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعا له فقال هاك
مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة
فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب
اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا
فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النسا قال عروة بن الزبير خرج صفوان
ابن امية سيد قومه قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر
فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو امن قال يا رسول الله
اعطني شيا يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمامته التي دخل بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال
يا صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير
الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني
اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف
به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان هذا يزعم انك
امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال انت
بالخيار اربعة اشهر • قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين افتتح مكة وملكها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار
فقالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح مكة
ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شي
يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ
الله المحيا محياكم والممات مماتكم • قال ابن اسحق وكان جميع من شهد

فتح

مكية

فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان
سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر
ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا • ق عن
ابي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله واثنى عليه
وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل
ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفدى
واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو شاة رجل من اهل
اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتبوا لابي شاة قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم • واما التفسير فقوله تعالى اذا جا نصر الله يعني اذا
جاك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش فجى النصران
جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها او تاخرها
عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا
المعنى قال اذا جا نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين
وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق
والفرق بين النصر والفتح اما النصر هو الاعانة والاظهار على الاعدا
وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف
عليه بالفتح وقيل النصر كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذي هو
بتمام النعمة **ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا** يعني زمرا
وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن
لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها
لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل
فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا
يدخلون واحدا واحدا او اثنين اثنين • وقيل اراد بالناس اهل اليمن
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد اتاكم اهل اليمن
هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله
هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله قوله
تعالى **فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** يعني فانك حينئذ
لاحق به عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال
بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابنا مثله فقال انه ممن قد علمتم

بداءة

قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما رايت انه دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصر الله وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي كذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما هو قلت اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ق عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد اذ نزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول قبل ان يموت سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي انه سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه • وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح • قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين • وقيل في معنى سورة اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاستغفار بهذه الطاعات يصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والاخرة • وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الاية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح • **فان قلت** ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر • **قلت** انه تعبد الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه • وقيل هو من ترك الافضل

والاولى

والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبيا يكون المعنى واستغفره مما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه • وقيل المراد منه الاستغفار لامته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والله اعلم •

تفسير سورة تبت مكية •

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تبت يدا ابي لهب ق عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا اجتمعنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحا فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه • ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشي عن كله وجميعه • وقيل ارمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدنية فهو كقولهم خسرت يده وكسب يده فاضيفت الافعال الى اليد • وابو لهب هو عبد العزى ابن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي لهب لحسنه واشراق وجهه **فان قلت** لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة **قلت** فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزي فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه كان من اهل النار وماله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها وتبت قيل الاول اخرج مخرج الدعا عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك • وقيل تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما تقول يا ابن اخي حقا فاني افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب يعني صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس ماله • وقيل وما كسب ولده لان ولد الانسان

من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم اخرجه الترمذي
ثم اوعده بالنار فقال تعالى **سيصلى نارا ذات لهب** اي نارا تلتهب
عليه **وامراته** يعني ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب
وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
لتوذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس **فان قلت** انها من بيت
العز والشرف فلمه **حمالة الحطب** قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعقبة
بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتوذيهم
بذلك وهي رواية عن ابن عباس **فان قلت** انها من بيت العز
والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب **قلت** يحتمل انها مع كثرة
مالها وشرفها كانت في نهاية البخل والخسة وكان يحملها بخلها على حمل
الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله
هي بنفسها • وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة
بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب • يقال فلان يحطب
على فلان اذا كان يغري به • وقيل حمالة الخطايا والاثام التي حملتها
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب في
مصيرها الى النار **في جيدها** اي عنقها **حبل من مسد** قال ابن
عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج
من دبرها فتكون سايرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما
وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل الذي كانت تحتطب به فبينما
هي يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك
فجذبها من خلفها فاهلكها • وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال
له المسد • وقيل قلادة من ودع • وقيل كانت خرزات في عنقها •
وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقتها في عداوة محمد صلى
الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده • واسرار كتابه

• تفسير سورة الاخلاص مكية •

وقيل مدنية وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون
حرفا • **فصل** ح عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع
رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فذكر ذلك وكان الرجل يتقللها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل نصف القران وفي رواية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا وينظر اليها بنظر القلة
لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا

اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القران
م عن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزا القران
ثلاثة اجزا فجعل قل هو الله احد جزا من القران م عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا عليكم ثلث القران فقرا قل هو الله
احد الله الصمد حتى ختمها • وقد ذكر العلما رضي الله عنهم في كونه صلى الله
عليه وسلم جعل سورة الاخلاص ثلث القران اقوالا متناسبة متقاربة
فقيل ان القران العزيز لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة
ذات الله تعالى وتقديس اوصافه واسمائه او معرفة افعاله وسنته
مع عباده • ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة
وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران
لانه منتهى التقديس وان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا
من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك
كله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قوله لا اله الا الله فهذا سر
من اسرار القران المجيد الذي لا يتناهى اسراره ولا تنقضي عجايبه وقال
الامام فخر الدين لعل الغرض منه ان المقصود الاشرف في جميع الشرايع
والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاوه وثناوه
ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة
ذات الله فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القران وقال
الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله قيل معناه ان القران على
ثلاثة انحا قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد
متمحضة للصفات فهي جزء القران من ثلاثة اجزا • وقيل معناه
ان ثواب قراتها مرة يتضاعف بقدر ثلث القران بغير تضعيف
قوله استقلها لها يقال استقللت الشي وتقللته اي عددته
قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة • قيل سميت قل هو الله
احد سورة الاخلاص اما انها خالصة لله تعالى في صفته او لان
قاريها قد اخلص لله التوحيد • ومن فوايد هذه السورة ان الاشتغال
بقراتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله
تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته من كل ما لا يليق
به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية
وعدم النظير • عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا كل يوم
مايتي مرة قل هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون
عليه دين • وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة

مرة فاذا كان يوم القيمة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل بيمينك
اخرج بيمينك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب • وعنه ان
رجلا قال يرسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال
حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذي • عن ابي هريرة قال
اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو
الله احد الله الصمد • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت
قيل وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب صحيح • بسم الله الرحمن الرحيم • •

قوله عز وجل **قل هو الله احد** عن ابي بن كعب ان المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله
قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من
يولد سيموت وليس شي يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا
يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عدل ليس
كمثله شي اخرجه الترمذي وقال قد روي عن ابي العالية ان النبي صلى
الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه
السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب
وهذا اصح • وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد
قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد
ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة
وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد • وقيل جاء
ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا
ربك لعلنا نومن بك فان الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا من
اي شي هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها
فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد في الالوهية والربوبية
الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل
والنظير • وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال
رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استاثر
بها فلا يشركه فيها احد • والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد
يدخل في الاحد ولا ينعكس • وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات
والاحد في النفي يقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وفي النفي ما
رايت احدا فتفيد العموم • وقيل الواحد هو المنفرد الذات فلا
يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد **الله**

الصمد

الصمد قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له قال جماعة من المفسرين
وجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشي المصمت الصلب الذي
ليس فيه رطوبة ولا رخاوة وفيه يقال لسداد القارورة الصماد فانه
فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى جل الله عن صفات
الجسمية • وقيل وجه هذا القول ان الصمد ليس باجوف معناه هو
الذي لا ياكل ولا يشرب وهو الغني عن كل فعلى هذا الاعتبار هو صفة
كمال والقصد بقول الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف ما اثبتوا
له الالهية واليه الاشارة بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام • وقيل الصمد الذي
ليس باجوف وهو شيان احدهما دون الانسان وهو ساير الجمادات
الصلبة والثاني اشرف من الانسان واعلى منه فهو الباري جل وعز
وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت
ومن يموت يورث منه • وروي عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال الصمد
هو السيد الذي انتهى سودده وهو رواية عن ابن عباس ايضا قال هو
السيد الذي كمل فيه جميع اوصاف السودد • وقيل هو السيد المقصود في
جميع الحوايج المرغوب اليه في الرغايب المستعان به عند المصايب
وتفريج الكرب • وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك دالة
على انه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم
والاحسان • وقيل الصمد الدايم الباقي بعد فنا خلقه • وقيل الصمد الذي
ليس فوقه احد وهو قول علي • وقيل هو الذي لا تعتريه الافات ولا
تغيره الاوقات • وقيل هو الذي لا عيب فيه • وقيل الصمد هو الاول
الذي ليس له زوال والاحد الذي ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل
لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي ان لا يكون
في الوجود صمد سوى الله العظيم القادر على كل شي وانه اسم خاص بالله
تعالى به له الاسما الحسنى والصفات العلى ليس كمثله شي وهو السميع
البصير • قوله عز وجل **لم يلد ولم يولد** وذلك ان مشركي العرب قالوا
الملايكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد
معناه ان من له ولد كان والد فنفى عنه احاطة الولد من جميع الجهات
فهو الاول الذي لا يتقدمه والد كان عنه وهو الاخر الذي لم يتاخر
عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا احد
اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله **ولم يكن
له كفوا احد** العديد والنظير والصاحبة والولد • عن ابي هريرة ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك
وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا
الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله اعلم •

• تفسير سورة الفلق مدنية •

وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربع
وستون حرفا م عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الم تر ايات انزلت هذه السورة الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ
برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم في فضل هاتين
السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القران وفيه رد على من
نسب الى ابن مسعود هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القران ايضا
وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجمعت الامة على هذا
كله بعد خلاف ذكر فيه خ عن زيد بن حبيش قال سالت ابي بن كعب
عن المعوذتين قلت يا ابا الوليد ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا
فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن
نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر
ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطش والطشيش المطر الضعيف
وموقول الرذاذ ليصلي بنا فخرج فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو
الله احد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل
شي وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت
منه فقال قل فقلت ما اقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قل
اعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما اخرجه
النسائي عن جابر بمثله ومعناه • بسم الله الرحمن الرحيم •
قوله عز وجل **قل اعوذ برب الفلق** قال ابن عباس وعايشة كان
غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم
يزالوا به حتى اخذ من مشاطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من
اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم
رجل من اليهود فنزلت السورتان ق عن عايشة رضي الله عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم
يصنعه • وفي رواية انه كان يخيل اليه فعل الشي وما فعله حتى اذا كان
ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عايشة
ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال
جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي ثم قال احدهما

لصاحبه

لصاحبه ما وجع الرجل قالوا مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم
اليهودي من بني زريق قال فيما ذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة
ذكر قال فاين هو قال في بير ذروان ومن الرواة من قال في بير بني زريق
فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البير فنظر اليها
وعليها نخل ثم رجع الى عايشة فقال والله لكان ماؤها نقاعة الحنا
ولكان نخلها روس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجه قال اما انا فقد
عافاني الله وشفاني وخفت ان اثور على الناس منه شرا • وفي رواية
للبخاري كان يرى انه ياتي النسا ولا ياتيهن قال سفين وهذا اشد
ما يكون من السحر اذا كان كذلك • عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من
اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل فقال
ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة
وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما نشط من
عقال فما ذكر ذلك اليهودي ولا راه في وجهه قط اخرجه النسائي وروي
انه كان تحت صخرة في البير فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة
من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه • وقيل كان في وتر عقد
عليه احدى عشر عقدة • وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين
السورتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس
ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام
النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال • وروي انه لبث ستة اشهر
واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان م عن ابي سعيد الخدري
ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله
ارقيك من كل شي يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك
بسم الله ارقيك

فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى
الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر • وما قيل في الرقي • فقولها في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم
يصنعه قال الامام المازري مذهب اهل السنة وجمهور علما الامة على
اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشيا الثابتة خلافا لمن
انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقايق
لها وقد ذكره الله في كتابه وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن
ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا ينكر في
العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام
او المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع

من ذلك بنوع عادة اجراها تعالى على يد من يشاء من عباده **فان قلت**
المستعاذ منه هو بقضاء الله وقدره ام لا فان كان بقضاء الله وقدره فما
وجهه **قلت** هو بقضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى
الترمذى عن ابى خزامة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقى به ودواء نتداوى به وتقاة
نتقيها هل ترد من قدر الله شيا قال هى من قدر الله تعالى • قال الترمذى
هذا حديث حسن وقول عمر من قدر الله تعالى **فصل** وقد
انكر بعض المبتدعة حديث عايشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب
النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا
المبتدع بان الذى ادعاه باطل ولان الدلايل القطعية العقلية
والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما
يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل
بخلافه باطل • واما ما يتعلق بامور الدنيا وهو ما يعرض للبشر
غير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه
كان يخيل اليه انه وطى زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله
الانسان فى المنام فلا يبعد ان يتخيله فى اليقظة ولا حقيقة له وقيل
يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد ما تخيله فيكون اعتقاده
على السداد • قال القاضى عياض وقد جاء فى بعض رواة هذا الحديث
فبينته ان السحر انما سلط على بدنه وجوارحه لا على قلبه
وعقله واعتقاده فى ذلك وذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا
طعنا لاهل الزيغ والضلالة • وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب
اى مسحور • قوله وجف طلعة ذكر يروى باليا ويروى بالفا وهو وعا
طلع النخل • واما الرقى والتعويذ وقد اتفق الاجماع على جواز ذلك
اذا كان بايات من القران او اذا كانت وردت فى الحديث ويدل
على صحة هذه الاحاديث الواردة فى ذلك منها حديث ابى سعيد
المتقدم ان جبريل رقى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها ما روى عن
عبيد بن رفاعة الزرقى ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد
جعفر تسرع اليهم العين افاسترقى لهم قال نعم فانه لو كان شى سابق
القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى • وقال حديث صحيح • وعن
ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ
ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان
اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب
فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما النهى عنه منه ما كان فيه

كفر

كفرا وشرك وما لا يعرف معناه مما ليس يعزى لجواز ان يكون فيه كفر
والله اعلم • واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد
بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق
عن الصبح وسبب تخصيصهم فى التعوذ ان القادر على ازالة هذه
الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه
وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجى الفرج كما ان المضطر الانسان ينتظر
طلوع الصباح كذلك الخايف يترقب مجى النجاح • وقيل ان تخصيص الصبح
بالذكر فى موضع المدح لانه دعا المضطرين واجابة الملهوفين فكانه
يقول قل اعوذ برب الوقت الذى يفرج فيه هم المهمومين والمغمو مين
وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن فى جهنم • وقيل هو واد فى جهنم
اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ
برب هذا العذاب والقادر عليه من شر عذابك وغيره • وروى
عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التاويل ان الله تعالى
فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال
قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات **من شر ما خلق**
قيل يريد ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا
يتم الا به وباعوانه وجنوده • وقيل من شر كل ذى شر • وقيل من شر ما
خلق من الجن والانس **ومن شر غاسق اذا وقب** عن عايشة قالت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذى
بالله من شر هذا فان الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف فاسود
ومعنى وقب دخل فى الخسوف او دخل فى الغيبوبة • وقيل سمى به
لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه • وقيل اذا وقب دخل فى المحاق
وهو اخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا
يناسب لسبب نزول هذه السورة • وقال ابن عباس الغاسق
الليل اذا وقب اى اقبل بظلمته من المشرق • وقيل سمى الليل غاسقا
لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل
لان فيه الافات ويقل فيه الغوث • وقيل يتم السحر • وقيل الغاسق الثريا اذا
سقطت وغابت • وقيل الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند
طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها **ومن شر
النفاثات فى العقد** يعنى السواحر اللاتى ينفثن فى عقد الخيط
حين يرقين عليها • وقيل المراد بالنفاثات لبيد بن الاعصم التى
سحر النبى صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل

انه النفخ فقط • واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعوذ الشرعية
المستحبة بجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل
عليه حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة
النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق • قال عكرمة لا ينبغي
للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد قبل النفث في العقد انما يكون
مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كانت النفث
لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها
بل هو مندوب اليه **ومن شر حاسد اذا حسد** الحاسد هو الذي
يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعي فلذلك امر الله
تعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون
النبي صلى الله عليه وسلم او لبيد بن الاعصم وحده والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة الناس مدنية •

وقيل مكية والاول اصح وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم • قوله
عز وجل • **قل اعوذ برب الناس** انما خص الناس بالذكر وان
كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس
فكانه قال اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم
وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم • وقيل ان اشرف
المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر **ملك الناس اله الناس**
انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد لا يكون ملكا فنبه
بذلك انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله
الناس لان الالهية خاصة له تعالى لا يشاركه فيها احد والسبب
في تكرير لفظة الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم **من شر الوسواس**
يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفي **الخناس**
يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتاخر قيل ان الشيطان
خاتم على قلب الانسان فاذا غفل وسهى وسوس واذا ذكر الله تعالى
انخنس الشيطان عنه وتاخر • وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم
الكلب • وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه
خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمسه
ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع
راسه على القلب فذلك قوله تعالى **الذي يوسوس في صدور الناس**
يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد

بالصدر

بالصدر القلب **من الجنة** يعني الجن **والناس** وفي معنى الاية وجهان
احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الانس والجن ويدل عليه قول
بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد
سماهم الله تعالى رجالا يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى
الاية ان الوسواس الخناس يوسوس الجن كما يوسوس الانس والوجه
الثاني ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون
من الانس كما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك
شيطان الانس قد يوسوس الانسان كالناصح له فان قبل زاد في
الوسوسة وان كره السامع ذلك خنس وانقبض فكانه تعالى امر
ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا **ق** عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه
ثم ينفث فيهما فيقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه
وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات • عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات
وينفث فاذا اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء
بركتها اخرجه مالك في الموطا ولهما بمعناه **ق** عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القران
فهو يقوم به اناء الليل والنهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه اناء
الليل واطراف النهار • **عن ابن عباس** قال قال رسول الله اي الاعمال
احب الى الله تعالى قال الحلال المرتحل قال وما الحلال المرتحل
قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل
ارتحل اخرجه الترمذي والله سبحانه
اعلم بالصواب واليه المرجع
والماب وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه
وسلم
تم